جامع أعمال

الوزير أبي حمزة المهاجر تقبله الله تعالى
الشيخ المجاهد عبد المنعم بن عز الدين البدوي
وزير الحرب في دولة العراق الإسلامية

أبناء الأنصار

صحيفة الخلافة

الطبعة الثالثة ١٤٤٧ هـ

مشروع إتقان

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع أعمال

وزير الحرب لدولة العراق الإسلامية،

الشيخ المجاهد:

أَبِـي حَمزَةَ الـمُهَاجِرِ

تَقَبَّلَهُ اللهُ تَعَالَى

الطبعة الثالثة - ١٤٤٧هـ

مشروع إتقان

مركز إنتاج الأنصار

مؤسسة صرح الخلافة

الفهرس

المقدمة.. ٢١

قسم التفريغ.. ٢٥

فترة جماعة التوحيد والجهاد.. ٢٥

تفريغ الكلمة في إصدار نحر مرتد تركي.. ٢٥

فترة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ومجلس شورى المجاهدين........................ ٢٧

بَيَانٌ حَوْلَ عَمَلِيَّةِ السّديرِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ... ٢٧

سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ.. ٢٨

{تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء}.. ٣٣

نِدَاءٌ إِلَى عُلَمَاءِ الأُمَّةِ... ٣٩

فترة دولة العراق الإسلامية.. ٤٣

{إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لله}.. ٤٣

لَبَّيْكِ يَا أُخْتَاهُ.. ٥٠

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}... ٥٣

مَسَالِكُ النَّصْرِ.. ٦٠

الدَّوْلَةُ النَّبَوِيَّةُ.. ٨٥

اللقَاءُ الصَّوْتِيُّ الأَوَّلُ... ١٢٠

اللِّقَاءُ الصَّوْتِيُّ الثَّانِي.. ١٣٦

رَمَضَانُ شَهْرُ الجِهَادِ وَالغُفْرَانِ.. ١٥١

رِسَالَةٌ إِلَى فَوَارِسِ بَغْدَادَ... ١٦٠

حوار في إصدار (غزوة الأسير ٢).. ١٦٦

إلى من حملوا أمانة البلاغ.. ١٧٠

قسم الكتابات... ١٨٤

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ.. ١٨٤
رسالة من أبي حمزة المهاجر إلى جماعة أنصار السُنّة........................ ١٨٨
الوصيَّةُ الثَّلاثينِيَّة لأمَراءِ وجُنُودِ الدَّولةِ الإسلامِيَّة........................ ١٩٧
وصية الأُمراء.. ١٩٨
وصية الجنود.. ٢٠٨
سير أعلام الشهداء.. ٢٢١
مقدمة سير أعلام الشهداء.. ٢٢١
القسم الإعلامي في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين........................ ٢٢٣
أبو أسامة المغربي (١).. ٢٢٣
أبو هريرة الحجازي (٢).. ٢٢٧
أبو عُمَيْرٍ السّوري (٣).. ٢٣١
الحجّي ثامر مبارك (٤).. ٢٣٤
أبو حمزة الأردني (٥).. ٢٣٨
سيفُ الأمّة (٦)... ٢٤٢
أبو طارق اليمنيّ (٧)... ٢٤٥
مجموعة الفرسان (٨)... ٢٤٨
الهزبر النّهدي (٩)... ٢٦٠
الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق........................ ٢٦٣
أبو عبد الله التُركي –آزاد أكنجي– (١٠)...................................... ٢٦٣
أبو خالد السوري (١١).. ٢٦٦
عُمر حديد (١٢)... ٢٧١
أبو فارس الأنصاري (١٣).. ٢٧٨
(كراج) الشهداء (١٤–١٥–١٦).. ٢٨٢
جليبيب المهاجر (١٤ –١).. ٢٨٢
الدّاعية الشّهيد (١٤–٢).. ٢٨٦
أبو بَصير الإماراتيّ (١٥).. ٢٨٨
أبو الحور الأنصاريّ (١٦–١)... ٢٩١

أبو تُراب النجديّ (١٦-٢)........ ٢٩٣
الشّيخ المُجاهد (١٧)........ ٢٩٦
أبو نصر (١٨)........ ٣٠٢
أَسَدُ الجولان أَبو ناصر الليبيّ (١٩)........ ٣٠٦
أبو عبد الله الشّامي (٢٠)........ ٣١٣
أبو محمّد الجزائري (٢١)........ ٣١٩
أبو الغادية (٢٢)........ ٣٢٢
الأُخوّة الصَّالحة: أبو دجانة وأبو ناصر (٢٣)........ ٣٢٩
مُعَلِّمُ الفُرْسَانِ: أبو جعفر المقدسي (٢٤)........ ٣٣١
رجلٌ بألف: طارق الوحش (٢٥)........ ٣٤٣
أبو رضوان التونسي (٢٦)........ ٣٤٩
مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي........ ٣٥٦
أبو المرضيّة اليمنيّ (٢٧)........ ٣٥٦
أَبو تُرابٍ الليبيّ (٢٨)........ ٣٦١
أبو طارق التّونسي (٢٩)........ ٣٦٥
الابْنُ البَارّ (٣٠)........ ٣٦٨
حصاد الأجور وباكورة الخير (٣١)........ ٣٧٢
أبو تراب (٣١-١)........ ٣٧٣
أبو فريدة (٣١-٢)........ ٣٧٥
أبو حفص وأبو طارق (٣١-٣)........ ٣٧٩
الشيخ المجاهد (٣١-٤)........ ٣٨١
القوي بالله أبو دجانة (٣٢-١)........ ٣٨٦
أبو عبيدة المكّي (٣٢-٢)........ ٣٩٠
أبو الشهيد: أبو عمار (٣٣-١)........ ٣٩٣
ابن الشهيد عمار (٣٣-٢)........ ٣٩٨
دكتور أيوب (٣٤)........ ٤٠٠
العريس الشّهيد (٣٥)........ ٤٠٥

أبو عزام (٣٦).. ٤١٢
الشّيخ أبو أنس الشّامي (٣٧)... ٤٢٣
أبو حسين اليوسفية (٤١)... ٤٣٠
معاذ ومعوذ ابنا عفراء (٤٣)... ٤٣٧
زاد المجاهد – الطبعة الثانية... ٤٤٤
مقدمة المصنف... ٤٤٤
فضل الذكر ٤٤٥
فضل الدعاء ٤٤٦
والدعاء سهام لا تصيب إلا بآداب وشروط................................. ٤٤٧
ما يقوله المجاهد يثني به على مولاه ويصلي على النبي قبل الدعاء......... ٤٤٩
أوقات الإجابة التي يتعرض فيها المجاهد لرحمة ربه......................... ٤٥٠
ما يقوله ويقدمه المجاهد من أدعية جامعة عند سؤاله مولاه راجيا الإجابة.... ٤٥٣
ما يقوله المجاهد مستغفرًا ومعترفًا بالذنب وموبخًا لنفسه.................... ٤٥٤
ما يقوله المجاهد للناس داعيًا إلى الله، وأول ما يبدأ به التوحيد ثم الفرائض...... ٤٥٥
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا وسوس الشيطان بالشك في الإيمان، والسؤال عن الخالق....... ٤٥٦
ما يقوله المجاهد عن الدّهر إذا ساءه شيء، وحُرمة سبِّه...................... ٤٥٧
ما يقوله المجاهد في يمينه إذا حلَف، وما عليه إن حُلف له.................. ٤٥٨
ما يقوله المجاهد إذا حلف بغير الله ساهيا.................................. ٤٥٩
ما يقوله المجاهد ويفعله لمن استعاذه بالله................................... ٤٥٩
ما يقوله المجاهد إذا سأله بالله أحد، ولا يسأل بوجهه إلا الجنة.............. ٤٦٠
ما يقوله المجاهد إذا غلبه أمر، مسلّما بقضاء الله من غير عجز.............. ٤٦٠
ما يقوله المجاهد إذا فاته شيء من الخير بعد الحرص عليه.................. ٤٦١
ما يقوله المجاهد إذا تشاءم من شيء... ٤٦١
ما يقوله المجاهد إذا حلَّ الوباء بأرض....................................... ٤٦٢
ما يقوله المجاهد إذا خشي الرياء في العمل، وما حظّ المخلص من غيره في الجهاد......... ٤٦٢
ما يقوله أو يفعله المجاهد ليتقي فتنة الدّجال................................ ٤٦٤
ما يقوله المجاهد في بيعة الحرب والبيعة العامة، وعظم إثم الناكث......... ٤٦٥

استحباب تجديد بيعة الطاعة، وأن يحثّ الأمير جنوده عليها، وتغليظ العهود قبل المعارك الحاسمة أو الخطيرة.. ٤٦٦
ما يقوله المجاهد ويفعله إذا طلب منه العدو عهد الله وحكمه............................ ٤٦٧
ما يقوله المجاهد لمن دعا بدعوى الجاهلية.. ٤٦٨
ما يقوله المجاهد إذا نزل به البلاء والنهي عن تمني تعجيل العقوبة...................... ٤٦٨
ما يقوله المجاهد إذا ابتلي بشدّة، وتمني الموت.. ٤٦٩
ما يقوله المجاهد متوكلا به على مولاه، وطارحا نفسه إليه ليحفظها...................... ٤٦٩
ما يقوله المجاهد المستضعف للكفار إذا قتلوا أو آذوا مسلمًا، ووجوب الثبات على الحق والصبر عليه.. ٤٧٠
ما يقوله المجاهد إذا غلب على ظنه الموت أو شعر به.................................... ٤٧٠
بعض ما يقوله المجاهد في صلاته.. ٤٧١
ما يقوله المجاهد إذا وسوس له الشيطان في صلاته....................................... ٤٧٢
فضل الصوم في سبيل الله، وما يقوله المجاهد الصائم إذا أفطر............................ ٤٧٢
ما يقوله المجاهد إذا حضر الطعام وهو صائم ولم يفطر................................... ٤٧٢
ما يقوله المجاهد إذا أصابته ضربة قاتلة.. ٤٧٣
ما يقوله المجاهد إذا رأى ما يعجبه من نفسه أو من غيره................................ ٤٧٣
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا أصيب بالعين... ٤٧٤
ما يرقي المجاهد به أهله وأخاه إذا اشتكى.. ٤٧٥
ما يقوله المجاهد ويفعله للملدوغ.. ٤٧٧
ما يقوله المجاهد على الحريق إذا أصيب به الجسد...................................... ٤٧٨
ما يقوله ويفعله المجاهد على الدمامل والبثور والحروق................................. ٤٧٨
ما يقوله المجاهد على المجنون والمعتوه.. ٤٧٩
ما يقوله المجاهد إذا خاف العاهات والأمراض الخبيثة.................................. ٤٧٩
ما يقوله المجاهد ويفعله عند الاستسقاء وما يستسقي به من الله الذي في السماء........ ٤٨٠
ما يقوله المجاهد إذا رأى الرؤيا.. ٤٨٢
ما يقوله المجاهد ويفعله إذا أراد جرأة القلب وإجابة الدعوة............................ ٤٨٥
ما يقوله المجاهد يدعو به على الكفار... ٤٨٥

ما يقوله المجاهد يدعو به على أعداء الله إذا حبسوه عن الصلاة في وقتها.................٤٨٧
من كان في عدد وعدة وخاف العُجب فليقل...٤٨٧
ما يقوله المجاهد إذا اشترى أو استأجر بيتًا، وخاف من جاره سوءًا...........................٤٨٨
الدعاء عند التخطيط لعمل عسكري، أو أي أمر من أمور الخير يصعب عليه.............٤٨٨
ما يتخذه المجاهدون من شعارات وأدوات وعلامات في الحرب وقبلها حَتَّى لَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ٤٨٨
التفاؤل في اختيار الشعار ٤٨٩
ما يقوله المجاهد مستعيذا من السوء..٤٩٠
ما يستعيذ به المجاهد من الجواسيس...٤٩٠
ما يقوله المجاهد في كل مجلس، عسكريًّا أو غيره، وكفارةُ لغطه.............................٤٩٠
ما يقوله المجاهد إذا خاف أن يُسحر من عدوٍ له...٤٩١
ما يقوله الأمير المجاهد مؤذنا ببدء العمل..٤٩٢
ما يقوله الأمير المجاهد موصيا جنده قبل بدء المسير للقتال...................................٤٩٢
استحباب تشجيع أمير الغزو قبل بدء القتال، ومدحه على الملأ أرجى لطاعته...............٤٩٣
ما يوصي به الإمامُ أو أميرُ الجيش الجنودَ بحقِّ أميرِ الغزو، وواجب الجنود نحو أمرائهم..٤٩٣
ما يقوله المجاهد إذا أراد الغزو..٤٩٤
ما يقوله المجاهد راجيا من الله السلامة والعافية في غزوه وكل أمره.........................٤٩٥
ما يجب على الأمير المجاهد أن يحرض عليه جنوده قبل بدء القتال...........................٤٩٦
ما يجب أن يقوله ويفعله الأمير قبل دخول أرض العدو أو ساحة القتال، ووجوب أخذ الحيطة والحذر، ومشروعية العيون..٤٩٧
استحباب سؤال المجاهد النصر على الأعداء، وخاصة قبل العمل............................٤٩٨
الِاسْتِفْتَاحُ بِصَعَالِيكِ المجاهدينَ أي الضعفاء وما ينبغي أن يقال لمن ظن في نفسه قوة أو شجاعة أو ذكاء على غيره..٤٩٨
ما يقوله المجاهد إذا صعد مرتفعا من الأرض كجبل أو بناية...................................٤٩٩
ما يقوله المجاهد إذا هبط منحدرا..٥٠٠
ما يقوله المجاهد إذا ضعفت أو عجزت دابته عن العمل......................................٥٠٠
ما يقوله المجاهد إذا نزل بموضع يخاف ما فيه من الإنس والجن والسباع.......................٥٠١

ما يقوله المجاهد إذا خاف القصف والحرق والفرار من الزحف........................٥٠١
ما يقوله المجاهد إذا خاف قلّة العدد والعدة..٥٠١
ما يقوله المجاهد عند لقاء العدو..٥٠٢
ما يقوله المجاهد عند بدء الهجوم على العدو، والإشارة ببدء القتال...................٥٠٣
ما يقوله الأمير والجنود إذا التحم الصفان..٥٠٣
ما يقوله ويفعله القائد العام إذا التقى جنده بالعدو، وبمن يستغيث ويستنصر..............٥٠٤
ما يقوله المجاهد إذا خاف الهزيمة في معركة وشماتة العدو.........................٥٠٤
ما يقوله المجاهد مستعيذا بالله من الجبن والكسل والعجز وغلبة الأعداء...................٥٠٥
ما يقول المجاهدون الضعفاء لإخوانهم المهرة لتأجيج القتال...........................٥٠٦
ما يقوله الأمير للجند مظهرا للمحبة، ومحرضا على هدم مظاهر الشرك، ومجازيا على حسن العمل..٥٠٦
ما يقوله الأمير المجاهد إذا جد الجد أو انهزم الناس وأراد عطف الجند للقتال، وفضل أصحاب القرآن وأهل السبق..٥٠٧
ما يفعله المجاهد متأسيا لتقليل الخوف بعون الله....................................٥٠٨
ما يقوله المجاهد إذا خاف العدو..٥٠٩
ما يقوله المجاهد ويرفع الله به البلاء..٥١٢
دعاء هام لرفع الهم والغم والكرب يا مجاهد......................................٥١٢
ما يفعله ويقوله المجاهد لنيل درجة الشهادة......................................٥١٣
ما يقوله المجاهد إذا قُتل رأسٌ من رؤوس الكفر...................................٥١٤
ما يقوله المجاهد إذا قُتل أميره وقدوته، أو قُتل من عظمت نكايته في العدو.............٥١٤
ما يقوله المجاهد المنتصر في معركة...٥١٥
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا جاءه ما يسره......................................٥١٦
ما يقوله الأمير والمجاهدون إذا أجار مسلمٌ كافرًا أصليًّا، وعِظَمُ إثم من يخفر ذمته.........٥١٦
ما يقوله المجاهد المحتسب إذا أصابته الجراح....................................٥١٧
ما يقوله المجاهد على ما يؤلمه من جسده.......................................٥١٧
ما يقوله إذا رجع من غزوة ولو وحده...٥١٨
ما يقوله إذا حلّت به أي مصيبة تؤذيه..٥١٨

ما يقوله المجاهد إذا خرج هاربا والعدو في أثره يطلبه..٥١٩
ما يقوله المجاهد إذا كان لا يعرف الطريق أو لُبّس عليه..................................٥٢٠
ما يقوله المجاهد إذا وقع في كرب من حصار أو أسر أو أي ضيق........................٥٢٠
ما يقوله المجاهد إذا ابتلي بتعذيب الأعداء أو هدد به...٥٢١
ما يقوله المجاهد إذا خاف العاهات والأمراض الخبيثة..٥٢٢
ما يقوله المجاهد صادقا ويضمن به الجنة إن مات بالليل أو النهار......................٥٢٢
ما يقوله المجاهد إذا فرَّ من الزحف وعظم الذنب..٥٢٢
ما يدعو به المجاهد للأسرى من الثبات والفرج وواجبه نحو أهليهم........................٥٢٣
ما يقوله ويفعله المجاهد فرارا من النفاق في الدين..٥٢٤
ما يقوله المجاهد إذا خاف الفتنة في الدين..٥٢٥
ما يقوله المجاهد إذا خاف الفقر والدَيْن على دينه..٥٢٧
ما يقوله المجاهد من أدعية لدفع التعب في العمل، وتقليل الفقر وقضاء الدين.........٥٢٨
ما يقوله المجاهد مستعيذا به من شر حواسه وشهوته...٥٢٩
ما يقوله المجاهد ليتحرّز من شرّ الشياطين..٥٢٩
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا تراءت له الشياطين أو تمثلت.....................................٥٣١
ما يقوله المجاهد لرد عدوان الشياطين..٥٣٣
ما يقوله المجاهد لوحدة الصف والألفة وإصلاح ذات البين.....................................٥٣٤
ما يقوله المجاهد ويفعله في هزله ومزاحه، وما يحل له منه والتحذير من التمادي فيه......٥٣٤
ما يقوله المجاهد طلبا لحسن الخلق مع إخوانه ومع الناس.....................................٥٣٧
ما يقوله المجاهد إذا بلغه عن أخيه ظاهر الصلاح سوءًا..٥٣٧
ما يقوله المجاهد ويفعله ليعتق نفسه من النار لمظالم ارتكبها................................٥٣٩
ما يقوله المجاهد لمن ظلمه من إخوانه..٥٤٠
ما يقوله المجاهد إذا أحب أخاه في الله، أو أخبره بمحبته......................................٥٤٠
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا استأذن على أخيه...٥٤١
ما يقوله المجاهد إذا استقبل إخوانه..٥٤٢
ما يقوله المجاهد لأخيه وأهله سائلا عن أحوالهم وكيف يجيبونه...........................٥٤٣
ما يقوله المجاهد لمن هو أكبر منه إذا ناداه..٥٤٥

ما يقوله المجاهد للكبير إذا أسدى إليه نصحا، أو حدث له مكروه احتراما وتقديرا..........٥٤٦
ما يقوله المجاهد لولده رجاء صلاحه..٥٤٨
ما يقوله المجاهد لمن صنع إليه معروفًا..٥٤٨
ما يقوله المجاهد لأخيه إذا أماط عنه الأذى....................................٥٤٩
ما يقوله المجاهد لمن أكل من طعامهم...٥٤٩
ما يقوله المجاهد إذا عطس، أو عطس أخوه، وكراهية التثاؤب......................٥٥٠
ما يقوله المجاهد يعزي به من ابتلي بفقد حبيب...................................٥٥٠
ما يقوله المجاهد إذا غضب..٥٥١
ما يقوله المجاهد عن إخوانه المجاهدين..٥٥٢
ما يقوله المجاهد بحق من سبق من إخوانه الشهداء...............................٥٥٢
ما يقوله المجاهد بشأن العشائر التي لم تستجب للحق............................٥٥٣
ما يقوله المجاهد لأخيه إذا أراد أن يمدحه وعقوبة المخالف.........................٥٥٣
ما يقوله المجاهد إذا مر بصبيان المجاهدين......................................٥٥٤
ما يقوله المجاهد إذا طالت عزوبته، وما كان عليه الصحابة من ضيق الحال..........٥٥٤
ما يفعله المجاهد إذا ألَمَّ بمعصية سرًّا...٥٥٥
ما يقوله المجاهد من أذكار قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.........................٥٥٦
ما يقوله المجاهد من أذكار تخص الصباح، وما يفعله...............................٥٥٩
ما يقوله المجاهد من أذكار تخص المساء..٥٦١
ما يقوله المجاهد قبل أن ينزل منزلا سواء أكان للسكن أو للقتال.....................٥٦١
ما يقوله المجاهد إذا نزل منزلًا..٥٦١
ما يقوله المجاهد إذا دخل بيته أو موقعه.......................................٥٦٢
ما يقوله المجاهد إذا أراد دخول الخلاء، وبعد خروجه..............................٥٦٣
ما يقوله المجاهد ويفعله إذا حضر طعامه وشرابه.................................٥٦٣
ما يقوله المجاهد إذا أتى أهله، وحرمة نشر ما يقع بينهما وما يقوله للناس بعدها وشر ذلك.٥٦٦
ما يقوله المجاهد إذا لبس ثوبا جديدا، أو لمن لبس ثوبا جديدا.......................٥٦٧
ما يقوله المجاهد إذا اشترى دابة ذات روح أو آلة، وعِظَم أجر من حبس نفسه ودابته للجهاد في سبيل الله..٥٦٨

ما يقوله المجاهد إذا ركب دابته.. ٥٧٠
ما ينبغي للمجاهد إذا لعنت الدابة.. ٥٧١
ما يقوله المجاهد إذا خرج من منزله أو موقعه... ٥٧٢
ما يقوله المجاهد في وداع السفر ٥٧٢
ما يقوله المجاهد إذا سافر ٥٧٣
ما يقوله المجاهد إذا عثرت دابته، أو اصطدمت بشيء................................ ٥٧٤
ما يقوله المجاهد من ذكر إذا استيقظ من الليل والبشرى العظيمة له.................. ٥٧٤
ما يقوله المجاهد المسافر إذا أسحر ٥٧٥
ما يقوله المجاهد إذا رأى هلال الشهر الجديد... ٥٧٥
ما يقوله المجاهد إذا رأى القمر ٥٧٦
ما يقوله المجاهد إذا رأى الخسوف والكسوف... ٥٧٦
ما يقوله المجاهد عند وبعد سماع الأذان... ٥٧٧
ما يقوله المجاهد إذا سمع صياح الديكة ونهيق الحمار ونباح الكلب بالليل.......... ٥٧٨
ما يقوله المجاهد إذا ضل منه شيء ٥٧٩
ما يقوله المجاهد إذا هبت الريح... ٥٨٠
ما يقوله المجاهد إذا رأى السحاب مقبلا.. ٥٨٠
ما يقوله المجاهد إذا سمع صوت الرعد ٥٨١
ما يقوله ويفعله المجاهد إذا نزل المطر ٥٨١
ما يقوله المجاهد مستخيرًا إذا همّ بأي أمر من أمور الخير والجهاد، أو تعارض خيران مستويان في المنزلة، أما الحرام والمكروه فلا استخارة في تركهما.................. ٥٨٣
ما يقوله المجاهد إذا دخل السوق لحاجة.. ٥٨٣
ما يقوله المجاهد إذا رأى مبتلًى... ٥٨٤
ما يقوله المجاهد إذا رأى حريقا... ٥٨٤
ما يقوله المجاهد إذا زار القبور أو مر بها... ٥٨٥
ما يقوله المجاهد عند النوم... ٥٨٥
النبي القائد ﷺ.. ٥٩٠
مقدمة الكاتب.. ٥٩١
شرف علم المغازي... ٥٩٥

أئمة الفن وأول من صنف فيه.. ٥٩٦
عدد مغازي وبعوث النبي ﷺ.. ٥٩٨
شِعْرُ حَسّانَ الّذِي عَدّدَ فِيهِ الْمَغَازِيَ.. ٦٠٠
الهجرة النبوية الشريفة.. ٦٠١
فصل تآمر كفار قريش على رسول الله ﷺ.. ٦٠٣
فصل الأمر بالهجرة.. ٦٠٧
فصل الهجرة الشريفة والأعداد لها.. ٦٠٩
فصل بعض ما ورد في رحلة الهجرة من أحداث........................... ٦١٩
فصل ومما ورد من أحداث في الهجرة.. ٦٢٧
فصل الرسول ﷺ آخر من هاجر.. ٦٣٥
فصل المدة التي استغرقتها رحلة الهجرة.................................. ٦٣٦
فصل طريق الهجرة.. ٦٣٦
سرية ساحل البحر أول لواء عُقد في الإسلام وبداية مشوار الجهاد والعز.................. ٦٣٨
فصل في موقع المعركة (العيص).. ٦٤٨
فصل من هو أبو مرثد حامل اللواء.. ٦٤٩
فصل ما هو اللواء والفرق بينه وبين الراية................................ ٦٥١
الفرق بين الراية وبين اللواء.. ٦٥٢
صفة راية النبي ﷺ.. ٦٥٣
ما كان مكتوباً فيها.. ٦٥٤
سرية عبيدة بن الحارث.. ٦٥٥
فصل في أمير الغزوة (عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف)......... ٦٦١
فصل من هو حامل اللواء (مسطح بن أثاثة)................................ ٦٦٤
فصل موقع السرية.. ٦٦٦
سرية سعد بن أبي وقاص.. ٦٦٨
فصل في موضع السرية.. ٦٧٠
فصل في حامل اللواء.. ٦٧١
غزوة الأبواء.. ٦٧٦
نص المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع بني ضمرة.. ٦٧٧
مكان الغزوة.. ٦٧٩
غزوة بواط.. ٦٨٢

سبب الغزوة... ٦٩٣
موقع الغزوة.. ٦٩٤
غزوة بدر الأولى لطلب كرز بن جابر الفهري.. ٦٩٦
غزوة ذي العشيرة.. ٦٩٩
فصل ذكر خبر علي في الغزوة.. ٧٠١
فصل خبر طلحة في الغزوة.. ٧٠٣
فصل مُوَادَعَةُ بَنِي ضَمْرَةَ وبني مدلج.. ٧٠٤
فصل خليفة رسول الله ﷺ على المدينة أثناء الغزوة.. ٧١٠
فصل خط سير الغزوة ومكانها.. ٧١١
سرية عبد الله بن جحش الأسدي.. ٧١٥
ذكر استفتاح اليهود بالحرب وتفاؤلهم بما حدث.. ٧١٩
فصل الله يدافع عن الذين آمنوا.. ٧١٩
وقفات مع الغزوة وأحداثها... ٧٢٠
هل يجوز اليوم القتال في الأشهر الحرم؟.. ٧٢٩
أمير السرية... ٧٣١
فصل غلط من ظن أن عبد الله بن جحش كان من العميان القاعدين.. ٧٣٢
مكان وخط سير الغزوة.. ٧٣٣
غزوة بدر الكبرى.. ٧٣٦
فصل سبب الغزوة.. ٧٣٦
فصل النبي ﷺ يرسل العيون لاستطلاع الهدف قبل الخروج من المدينة.. ٧٣٩
فصل الخروج من المدينة وتوقيت الغزوة.. ٧٤٣
فصل أم ورقة تستأذن في الخروج لتداوي الجرحى وتعالج المرضى.. ٧٤٤
فصل النبي ﷺ يعسكر بجنده خارج المدينة ويردّ من لا يطيق القتال.. ٧٤٦
فصل الاستبشار والتفاؤل بمنزل الجيش للعرض.. ٧٥٢
فصل من استعمل على المدينة؟.. ٧٥٥
فصل عدد جنود الجيش النبوي من المهاجرين والأنصار.. ٧٥٨
فصل المسير إلى الهدف وما كان مركب الجيش.. ٧٦٢
فصل النبي ﷺ يقول: "إنا لا نستعين بمشرك" لمن جاء يقاتل معه حمية لقومه وطلباً للغنيمة ٧٦٣
فصل الرسول ﷺ يرسل الطلائع أثناء المسير.. ٧٧٤

فصل رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة النبي ﷺ..٧٧٧
فصل النذير يستنفر قريشًا لحماية أموالهم...٧٨٠
فصل ما كان من قريش و خطبائهم في كيفية استنفار الناس....................................٧٨٣
فصل التَّهَكُّمُ على من أراد القُعُود عن القتال وتشبيهه بالنساء..................................٧٨٦
فصل قريش تستفتح وتطلب حكم الله أن يهلك الأظلم..٧٨٧
فصل قريش تكفر بدينها طلباً لنجاة العير ٧٩٠
فصل قريش تخرج بطرا وتأبى الرجوع فخراً، وذكر من رجع منهم...........................٧٩٩
فصل قريش تعرف الله حق المعرفة ودرس في كيفية النصرة...................................٨٠٢
فصل الرسول ﷺ يشاور الناس لما علم بخروج قريش ومواقف الصحابة.......................٨٠٦
فصل فريق من المؤمنين يكره القتال ويحب العير بدونه.......................................٨١٠
فصل المسير إلى إحدى الحسنيين وعقد الألوية والراية للجيش ووضع الشعار...............٨١٢
فصل الرسول ﷺ ينفرد عن الجيش ويستطلع بنفسه..٨١٧
فصل خبر سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ في أيام بدر ٨٢٤
فصل الاستطلاع النهائي للموقع الذي سيعسكرون فيه والفريقان يتسابقان إلى الماء.........٨٢٥
فصل الحباب بن المنذر يشير على رسول الله ﷺ بموقع القتال...............................٨٢٨
فصل موضع المعركة ونزول الجيش النبوي بأعلى المكان.....................................٨٢٩
فصل خط سير الجيش النبوي...٨٣١
فصل النعاس يغشى المؤمنين ونزول المطر ٨٣٦
فصل النبي ﷺ يرسل من يستطلع جيش المشركين وحالهم.....................................٨٤١
فصل في تحديد يوم المعركة...٨٤٢
فصل بناء العريش...٨٤٣
فصل صباح يوم المعركة...٨٤٧
فصل استطلاع المشركين وشيطان قريش يحزر المسلمين......................................٨٤٨
فصل ما كان من شأن عتبة بن ربيعة يوم بدر ومقالة رسول الله ﷺ فيه......................٨٥٤
فصل مُنَاشَدَةُ الرّسُولِ ﷺ رَبّهُ النّصْرَ ٨٥٧
فصل الجيش النبوي يستغيث بالله ويطلب النصر ممن بيده النصر ٨٦٣
فصل التوجيهات الربانية إلى جنده في صفة معونتهم للأبرار وقتلهم للكفار...............٨٦٧

فصل الملائكة تقاتل يوم بدر ٨٧١
فصل سيما الملائكة؛ أي علاماتهم يوم الفرقان يوم بدر ٨٧٤
فصل الشيطان يخيّل لحزبه من المشركين نصرتَه ويعدهم ويمنيهم.................... ٨٧٧
فصل الله يغري كِلا الطرفين بصاحبه قبل القتال ليقضي سبحانه أمراً كان مفعولاً.......... ٨٨١
فصل النبي ﷺ يحدّد أماكن قتلى المشركين قبل المعركة............................ ٨٨٧
فصل فرض الله ألا يفرّ مسلم من عشرة يوم بدر ٨٨٨
فصل التعريف الرباني لأفعال النصرة عند لقاء الكفرة............................... ٨٩٢
فصل التعليمات النبوية لكيفية القتال ببدر ٨٩٦
فصل النبي ﷺ يحرض المسلمين على القتال وطلب الشهادة وما جاء في خطبته يوم بدر... ٩٠٠
فصل بدء المناوشات والمبارزة بين الصفين... ٩٠٣
فصل النبي ﷺ يرمي الحصى في وجوه الكفار فتملأ أعينَهم تراباً وقلوبَهم رعباً............ ٩٠٨
فصل نصر الله بالريح العقيم يوم بدر ٩١١
فصل بدأ القتال وما كان من شجاعة رسول الله ﷺ................................. ٩١٤
فصل بعض مواقف البطولة للصحابة عند القتال يوم الفرقان........................ ٩١٥
فصل مشورةُ العبَّاس على النبي ﷺ ألَّا يلحق العير بعد النصر ٩١٧
فصل بعض ما كان يوم بدر من كرامات... ٩١٨
فصل صور من روعة البراءة من الشركِ وأهلِه يومَ بدر ٩٢٣
فصل النبي ﷺ يأمر بعدم قتل نفر كانوا في جيش المشركين لعلّة.................... ٩٢٧
فصل ذكر الفتية الذين نزل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}............... ٩٣٠
فصل مقتل فرعون هذه الأمة... ٩٣٤
فصل ما جاء في عذاب أبي جهل بقبره ٩٤٢
فصل قتل كل من دعا عليهم رسول الله ﷺ بمكة...................................... ٩٤٢
فصل خبر أمية بن خلف وكيف استُدرج عدو الله إلى بدر وكيف هلك............. ٩٤٦
فصل ما صنع رسول الله ﷺ بقتلى المشركين وما قاله لهم بعدما جيفوا............ ٩٥٢
فصل النهي عن سب قتلى المشركين ببدر لكيلا يتأذّى الحي........................ ٩٥٩
فصل أول قتيل من المسلمين يوم الفرقان ببدر ٩٦١
فصل خبر حارثة بن سراقة وأنه في الفردوس الأعلى.............................. ٩٦١

فصل في عدد من قُتل من المسلمين يوم بدر وما فعل الله بهم...................... ٩٦٢
فصل هل صلى رسول الله ﷺ على قتلى المسلمين ببدر؟...................... ٩٦٩
فصل علي رضي الله عنه يزيد في تكبيره على جنائز البدريين...................... ٩٧٠
فصل عدد قتلى المشركين وأسراهم في بدر...................... ٩٧١
فصل النبي ﷺ يأمر بقتل نفر من أسارى المشركين صبراً...................... ٩٧١
فصل النبي ﷺ يشاور الصحابة بشأن الأسرى...................... ٩٧٤
فصل الإحسان إلى الأسرى...................... ٩٧٩
فصل فداء الأسرى...................... ٩٨١
فصل زينب بنت رسول الله ﷺ ترسل في فداء زوجها...................... ٩٨١
فصل دلائل النبوة في قصة سهيل بن عمرو...................... ٩٨٤
فصل شيء مما جاء في تجلّد قريش لمُصَابها...................... ٩٨٨
فصل الغنيمة بعد النصر والغنى بعد الفقر...................... ٩٨٩
فصل ما قيل أنَّ أولَ سيفٍ تقلَّده النبي ﷺ خاصاً به كان من غنائم بدر...................... ٩٩٠
فصل في الصَّفِيّ...................... ٩٩١
فصل الشراكة فيما يصاب من المغنم...................... ٩٩٣
فصل أهل الشجاعة يظنون أنَّ لهم في الغنيمة أكثر من الضعفاء...................... ٩٩٥
فصل التنازع في غنائم بدر والعناية الإلهية بالدَّولة النبوية...................... ٩٩٧
فصل كيفية توزيع غنيمة الحرب...................... ١٠٠٠
فصل من ضُرب له بسهم في بدر ولم يشهد الوقيعة...................... ١٠٠٦
فصل في قصة القطيفة المفقودة...................... ١٠٠٧
فصل النبي ﷺ يرسل من يبشر المسلمين في المدينة بنصر الله...................... ١٠١٠
فصل أفضلية من شهد بدراً...................... ١٠١١
فصل أسماء النجوم العوالي ممن شهد بدراً من الصحابة رضوان الله عليهم...................... ١٠١٧
فصل غزوة بدر الكبرى في أسفار أهل الكتاب...................... ١٠١٨
وفي الختام...................... ١٠٢٢
ديوان هموم وآلام...................... ١٠٢٣
مُقَدّمَةُ الشّيْخِ أبي حَمْزَةَ المُهَاجِرْ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى...................... ١٠٢٣

يا دُمُوْعِيْ!!..١٠٢٥
قَوْمِيْ وَالشّركُ..١٠٢٦
رَمَضَانُ وَالجِهَادُ..١٠٢٧
أبَتَاهُ..١٠٢٨
أَسَدُ الجُوْلاَنِ..١٠٣٠
المِحْنَة..١٠٣١
عَاشِقُ الإِخْوَانِ..١٠٣٤
دَمْعَةٌ عَلَى الإِخْوَة..١٠٣٥
غَزْوةُ (بالي)..١٠٣٦
هُمُوْمُ مُسَافِر..١٠٣٧
أُمّاهُ..١٠٣٨
دَمْعَةٌ عَلى حبّ..١٠٣٩
جَدَّ المَسِيْرُ..١٠٣٩
عَاشِقُ الحُوْرِ..١٠٤٠
رِسَالَةُ الحَبِيْبِ..١٠٤٢
دَوْلَةُ الإِسْلامِ..١٠٤٣
سِهَامُ الإِصَابَةِ..١٠٤٤
خَرَابُ المَدِيْنَة..١٠٤٥
عَلّمْنِيْ يَا شَهِيْد..١٠٤٧
كَواكِبُ النّوْرِ..١٠٤٨
قَلْبُ الفَتى..١٠٤٩
صَرْخَةُ العِرْضِ..١٠٥٠
دُنْيَا الهُمُوْمِ..١٠٥١
يَا رَبّ..١٠٥٢
حَمْداً لِربّيْ..١٠٥٣
أخْتاهُ..١٠٥٤
نَاصِحُ الأَحْرَارِ..١٠٥٥

رِسَالَةُ الأَسِيْرِ ١٠٥٦
فِيْ رِثَاءِ أَبِيْ الحَسَنِ ١٠٥٧
حِوَار الكُفّارِ ١٠٥٨
دَعْوَةٌ للرّحِيْلِ ١٠٥٩
فَوَارِسُ بَغْدَادَ ١٠٦٠
وَفِيْ عِيْدِ الأَضْحَى ١٤٢٨ .... ١٠٦١
عَتَبْتُ عَلَى امْرِئِ القَيْس وَصْف لَيْلِ الهَمّ ١٠٦١
عِتَابٌ ١٠٦٢
إعْذَارٌ ١٠٦٣
يَا نَفْسُ ١٠٦٤
الرِّيَاءُ ١٠٦٥
تَوْفِيْقُ رَبّيْ ١٠٦٦
الملاّ عُمَرُ ١٠٦٧
رَمَضَانُ ١٠٦٨
أَبُوْ عَبْدُوْ ١٠٦٩
أَسَدُ الفُرَاتِ ١٠٧٠
رِثَاءُ أَبِيْ عُمَرَ ١٠٧١
الجُبّ ١٠٧٢
الدُّنْيَا ١٠٧٣
رَايَةُ الحَقّ ١٠٧٣
دوْلَةُ الإِسْلامِ ١٠٧٤
الهَـمّ ١٠٧٥
الإِنْفَاقُ ١٠٧٦
عِيْدُنَا ١٠٧٧
صَرْخَةُ أَسِيْرٍ ١٠٧٨
أبُوْ عُمَيْرٍ ١٠٧٩
مَحَبّةُ الوَلَدِ ١٠٨٠

يا أخِيْ.. ١٠٨١
المستدرك على ديوان هموم وآلام... ١٠٨٣
نِدَاءٌ إِلَى عُلَمَاءِ الأُمَّةِ.. ١٠٨٣
الخوف من الله... ١٠٨٤
همومُ مسافرٍ (نسخة أ):... ١٠٨٥
رثاء أبي عمر المصري... ١٠٨٦
أبو عبدو (نسخة أ):.. ١٠٨٧
أمّ الشهيد... ١٠٨٨
علّمني يا شهيدُ (نسخة أ)... ١٠٨٩
أبو عمير (نسخة أ)... ١٠٩٠
الحجي ثامر مبارك.. ١٠٩١
قصةُ مسرفٍ.. ١٠٩٢
رثاءُ أبي فارسٍ... ١٠٩٣
المراجع... ١٠٩٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل بفضله في كل جيل عدولًا يحملون هذا العلم، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ونحسب الشيخ الوزير أبا حمزة المهاجر من هؤلاء الأجلاء، الذين تسابق هممهم الجوزاء، الأخفياء الأتقياء، لم ينتظروا مقابل ما قدموه تصفيقا ولا ثناء من الجماهير الغثاء، بل شقوا طريقهم ومضوا إلى دربهم متوكلين على رب السماء؛ فبيده أمر كل شيء وإليه الاتكاء، فرحمهم الله وأعلى منزلتهم في دار البقاء.

فللشيخ قائمة من الكتب والمصنفات، والكلمات والصوتيات، كتبها وألقاها بين الفينة والفينة من الأوقات، ولم يكن دأبه كدأب علماء السوء أنصار الطواغيت، بل صدَّق قوله بفعله، فأمهر التوحيد روحه ومهجته، فجزاه الله عن أمة الإسلام خيرًا.

ولقد أقدم إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة على جمع العقد المتناثر الدرر، في كلماته ومصنفاته، ولقد راجعنا الجامع فصححنا فيه الأخطاء النحوية والإملائية، وخرجنا الأحاديث والاقتباسات العلمية، ونسقنا الآيات، ووضعنا في النهاية صفحات ذكرنا فيها المراجع.

ولقد اعتمدنا في (الوصايا الثلاثينية) و (النبي القائد) على الطبعة الثانية الصادرة عبر مكتبة الهمة، غير أن الخرائطَ الموجودة في (النبي القائد) في الطبعة الأولى، وتخريجَ الأحاديث والاقتباسات فيها في الطبعة الثانية؛ أبقيناها كما هي.

وقد قامت المؤسسة -علاوة على ما ذُكِر- بجمع الأشعار التي لم تُورَد في ديوان الوزير، أو أوردت ولكن مختلفة عما في الديوان، وسمَّتها: (المستدرك على ديوان هموم

وآلام)، كما أن (سير أعلام الشهداء) و (زاد المجاهد) أخرجناهما بحلة مزينة وطبعة جديدة، صححنا فيهما الأخطاء الموجودة في الطبعة الماضية.

كما وإن جزءًا من مشروع إتقان تحرير سيرة للوزير تناسب مقامه، ليكون القارئ على اطلاع بمسيرة هذا الإمام الهمام.

فها هي بضاعة إخوانكم المزجاة تعرض عليكم، فما كان فيها من صواب فمن الله الواحد المنان، وما كان فيها من خطأ فمن النفس وطبيعة الإنسان، والحمد لله رب العالمين.

إخوانكم في صرح الخلافة

قسم التفريغ

فترة جماعة التوحيد والجهاد

تفريغ الكلمة في إصدار نحر مرتد تركي

١٤٢٥هـ || ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على الضحوك القتال، وبعد:

إلى جميع المسلمين في العالم، وخاصة الشعب التركي المسلم، هذا البيان:

يعلم الجميع أن العراق خاضع تحت الاحتلال الأمريكي باعتراف الأمريكان أنفسهم. ورغم وضوح هذا الاحتلال وظهوره في أقبح وأجلى صوره، إلا أن هناك كثيرًا من الأشخاص والشركات ما زالوا يناصرون ويخدمون هذا المحتل؛ لأجل حفنة من الدولارات مثل شركة تبه ودرسه.

ورغم أننا نبهنا إخواننا المسلمين في العالم، وفي تركيا خاصة: عدم مناصرة المحتل، وأطلقنا لهم العديد من العاملين معهم لعلهم يتوبون، إلا أنهم لا يزالون مستمرين؛ ومنهم هذا المرتد مراد يوجل، وصدق الله القائل: {وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد:٢٥]، لِيُتَّخَذَ كتاب يهدي وحديد ينصر.

ليعلم الجميع أننا سننفذ حكم الله في هذا المرتد، وفي جميع من يقع تحت أيدينا لاحقًا دون إمهال منا. ونناشد الشعب التركي المسلم أن يعود كما كان؛ شديد بأسه على الكفار، وناصرًا ومعينًا لإخوانه المسلمين. وصدق الله القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة:٥١].

الله أكبر، الله أكبر.

فترة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ومجلس شورى المجاهدين

بَيَانٌ حَوْلَ عَمَلِيَّةِ السّدِيرِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ

٢٧ محرم ١٤٢٦هـ || ٩ مارس ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الحكيم ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ناصر المؤمنين والصلاة والسلام على الضحوك القتّال، وبعد:

قال الله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} [التوبة:١٤].

بفضل الله وتوفيقه، وبعد مراقبة طويلة ودقيقة على مدار السَّاعة لفندق (السدير)؛ تواترت الأنباء عن قاطني هذا الوكر، فكانت المفاجأة: يهودُ بلحاهم وقبعاتهم المشهورة، ومقر لشركة سور الأمنية، أكبر شركات العمالة في العراق، ومقر سري للاستخبارات العراقي الجديد، وعدد لا يستهان به من عملاء الـ (CIA) الاستخبارات الأمريكية.

وبعد دراسة المنطقة والحواجز التي تحول دون تنفيذ الهدف؛ تبين لدى القيادة أنه أنجح مكان لتدمير الهدف من الخلف حيث لا يحتسبون، وعن طريق سيارة نفايات حيث أن تواجدها في المنطقة ملائم.

وفي الوقت المحدد تمت السيطرة على كافة نقاط الأبراج والحراسة التي تحيط بالموقع من كل مكان، وبفضل الله أولًا وأخيرًا، ثم التدريب العالي لم تستغرق العملية أكثر من ثلاثين ثانية تم بعدها اقتحام الموقع.

وقد منَّ الله على سرية القائد أبي مصعب الزرقاوي بهذه العملية.

والله أكبر والعزة للإسلام.

ولا عدوان إلا على الظالمين.

سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

١٧ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ || ١٣ يونيو ٢٠٠٦م

الحمد لله مالك الملك المتنزه عن الجور والمتكبر عن الظلم المتفرّد بالبقاء، السامع لك شكوى والكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بُعِثَ بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرًا. أما بعد:

أمة الإسلام، أهلنا ببلاد الرافدين؛ أبشروا وأمّلوا وقرّوا عيناً، واسكنوا فؤاداً، وطيبوا نفساً. فأبناؤكم بحول الله سيوفٌ بارقة، ورماحٌ شامخة، ودروعٌ حصينة لكم ولدينكم. واعلموا أنا ذراعكم الطولى، فأمرونا نأتِكم بالبعيد قبل القريب، ونسكب دماءنا دفاعاً عن دينكم وأعراضكم.

نعلم أنكم ضحيتم بالكثير، وأصابكم من جهد البلاء العظيم، لكن اعلموا أن الله ابتلاكم ليمتحن قلوبكم ويختبر صبركم، ويميز طيب معدنكم. قال الله تعالى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الأنفال: ٣٧].

أما والله لئن استشهدنا لنشهدَن، ولئن سئلنا لنصدَقَنّ، أنا وجدناكم أفضل ما نرجو وأحسن مما نظن، فقد كنتم ولا زلتم البيت الذي آوى، والقلب الذي احتضن، فضربتم أروع أنواع الجود والكرم، والشجاعة والإقدام.

ولسوف تقطفون ثمار صبركم بحول الله تعالى بأيديكم في الدنيا والآخرة، {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ} [آل عمران:١٩٥]، فإياكم إياكم وتثبيط الشيطان، فإن الحصيف إذا أوشك أن يحط الرحال، لا يستريح بالأثقال.

ووالله لقد اقتربنا من بلوغ الهدف وإدراك الأمل وإني لأرى النصر يفور تحت الثرى يوشك أن يُؤذن له. واعلموا أنه ليس من عملٍ أحب إلى الله في زماننا هذا بعد الإيمان بالله من الجهاد في سبيل الله.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف:١٠-١١]. فوحّدوا صفوفكم وطهروا قلوبكم وكونوا ظهراً لإخوانكم المجاهدين، وإياكم والمخذلين المُرجفين، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤].

وإلى إخواننا في ساحات الوغى، وأرض الرباط والجهاد أقول: اعلموا أن دماءنا دون دمائكم، وهدمنا دون هدمكم، ورجالنا وسلاحنا في نحور عدونا وعدوكم. فما خرجنا يعلمُ الله بطراً ولا أشراً، ولا من أجل منصبٍ زائل، أو عَرَضٍ خائر، وإنما جهاداً في سبيل الله، ونصرةً لدين الله، وابتغاءً لمرضاة الله.

فهلمّوا إلى إخوانكم وضعوا أيديكم في أيدينا حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. فإن الله سائلنا يوم القيامة، وإن الموت أقربُ إلى أحدنا من شراك نعله.

فهذا عدونا قد وحّد صفوفه علينا، أفما آن الأوان أن نجتمع يا عباد الله؟ قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣].

ويا أيها الصليبيّ الكذاب بوش، ويا قطعان العبيد، وخُدّام اليهود، اعلموا أن الدماء التي فارت في عروقنا غضباً لله عليكم وطلباً للقصاص العادل منكم لهيَ في أوجها وقمة ذروتها. فلم ولن تخمد نارها بحول الله. وإن السيوف التي تلوّنت بدمائكم لتتعطش المزيد من رؤوسكم العفنة.

وإن ما رأيتم في سابق عهدكم، إنما هو غيضٌ من فيض، ولفحة من هول ما أعددنا لكم من عواصفَ خالعة، ورعودٍ هلعة، وزوابع تجتثُّ القابع فيكم والماشي. فترقبوا أياماً سوداً تُنسيكم مصائبها أهوالَ ما تُقاسونه اليوم. فما ظنكم بأحرارٍ دنّس اليهود أرضهم وهتكوا عرضهم.

ويا كلبَ الروم، يا كلب الروم، لا يغرّنك العدد والعُدة أو المدد والمدة! فإن الحرب ما زالت في أولها، وهذه أول الملاحم. الغالبُ فيها من صمد لا من سبق. والأمور بخواتيمها. وإنها عندنا لعينُ اليقين، قال ربُّ العالمين: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ} [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦].

أما أنتم أيها المجوس العملاء، فإن يوم جزائكم قد أزِف، وإن ساعة حسابكم قد حانت، فوالله فوالله لأنتم أحقرُ من أن تُرفع لكم راية، أو تُدركوا غاية، فبغدادُ الرشيد، بغداد الرشيد، لن يسودها إلَّا أحفاد سعد وابنِ الوليد.

وها هم أسيادكم على أبوابِ فرار، لا يلوون فيه على عميل خائن، فمصيركم مصير أجدادكم المجوس الروافض كالطوسيّ وابن العلقميّ وأمثالهم الذين باعوا بغدادَ للتتار، فكان عاقبة أمرهم خُسرًا، فلقد انتحر الأول، وقُتِلَ الآخرُ شرَّ قتلة، وسُحِلَ في شوارعِ بغداد جيفةً قذِرة.

فيا أحفاد الخيانة، وأربابَ الغدرِ، وفضيحة الأمسِ واليومِ: كأني بأيام الإسماعيلية الباطنية، والقرامطة والعبيدية تُعيدونها بأحطِّ وأحقرِ صورها. فانتظروا على أيدينا ما نالَ أجدادكم على أيدي أجدادنا.

ولكن اعلموا أيها المجوس أن هدايتكم إلى الحق، وعودتكم إلى الرشد، وتوبتكم إلى الله من باطل الرفض، ومعونة الـمُحتل أحبُ إلينا من الدنيا وما فيها، فإن أبيتم إلَّا السيف فانتظروا منا القادم، والقادمُ أدهى وأمرّ.

ويا أعوان المحتل من الحزب العراقي وجبهة التنافر ومن يدور في فلكهم سراً من المنافقين؛ فقد كذبتم على أنفسكم، وخُنتم أمتكم. ولا عجبَ ولا ريب فقد كذبتم قبلُ على الله، {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} [الزمر:٣٢]، فادّعيتم أنكم ستدخلون العملية السياسية لدفعِ البلاءِ عن أهل السنة. فكنتم بحقّ شرَّ بلاءٍ عليهم. حيثُ أتيتم بقاتل المسلمينَ في الفلوجة وهادمِ بيوتهم فجعلتموه وزيراً للدفاع!

ثم جعلتم رئيساً للبرلمان من هو أشدُّ رفضاً وأكثرُ مكراً من الصفويين أنفسهم؛ فقد صرّحَ في إيران بأنه: (لا علاقة لهم بالذي يدور في العراق، وأنهم يعملون على استقرار الأمن)!

وها هو الهاشميّ، يقول: (إننا نحتاج إلى عامٍ أو عامين لبناء القوات العراقية) في إشارة منه لبقاء المحتل. ثم كان خاتمة الضلال ما أعلنه سيدهم سلام -لا سلّمه الله- في لقاءٍ مع إذاعة لندن: (أن خروج المحتل جريمةٌ تماماً كقدومه)! {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران:٨].

أما أنتم يا فرسان التوحيد، ورهبان الليل، وأسودَ الشرى؛ فجزاكم الله عنا وعن المسلمين كل خير. فلقد عاينت الحروبَ ورجالها. وأشهدُ بالله، أشهدُ بالله، أن أمتي لم تبخلْ علينا في بلاد الرافدين، بخيرة أبنائها، وأصدق نُجبائها، فلم ترَ عيني مثلهم، ولا سمعتُ كخبرهم، إلّا خبرَ الرعيلِ الأولِ.

فأشهدُ أنهم أصدقُ الناسِ لهجة، وأوفاهم عهدًا، وأكثرهم ثباتًا، وأشدّهم في أمر الله. فلستُ أشكُّ يعلمُ الله، طرفةَ عين أنا نحنُ الجيش الذي يُسلِمُ الراية لعبد اللهِ المهديّ. إن قُتِلَ أولنا، فسيُسلمها آخرنا، وبسطُ هذا في غيرِ موضعنا.

فالله، إن تلكَ الدماءَ الطاهرةَ الزكية، دماءَ الشُّهداءَ وأميرهم، لهيَ أكرمُ على اللهِ أن تذهبَ سُدى. فأشهدُ باللهِ، أنهم ما جادوا بها إلّا له -نحسبهم والله حسيبهم-.

واعلموا يا أحبابي، أن الله ما اصطفى أميركم إلّا ليُكرمهُ ويبتليكم. فما ذهب حتى استوى البنيان. وبدأ النصرُ يلوح بين الأغصان. فالصبرَ والثبات، والشدةَ الشدة.

ويا رعية أميرِ المؤمنين، ويا أبناءَ أسامة، وتلاميذَ الظواهريّ، ورجالَ الزرقاويّ، عزَمتُ عليكم أن لا تُلقوا سلاحكم ولا تُريحوا أنفسكم وعدوّكم، حتى يقتلَ كلّ واحد منكم أمريكياً واحداً على الأقل، في مدةٍ لا تتجاوز خمسة عشر يومًا؛ بطلقةِ قناص، أو رميةِ حرّان، أو عبوةٍ ناسفة، أو سيارةٍ استشهادية، وحسبَ ما تقتضيه المعركة، وبدءاً من سماعِ ندائي هذا.

كما عزمتُ على كلِّ سنيٍّ حُر، قتلَ المجوسُ الروافض أباهُ أو أخاهُ، أو أحدًا من أهله، أو اغتصبوا له عِرضًا، أو دمّروا وأحرقوا له بيتًا، أو أسروا له أسيراً فهوَ بأيديهم ذليل، أن يقتلَ مجوسيًا رافضيًا واحدًا من جيش الدجال، أو فيلقِ غدرٍ أو حزب الدعوة أو حزب اللات أو حزب العدالة، أو حركة ثأر الله لعنهم الله.

ورسالتي الأخيرة لوليّ أمرنا، الملّا عُمر، وأميرنا أسامة، وشيخنا الظواهري:

أقولُ: إنا على العهدِ ماضون، وعلى دربِ الجهادِ سائرون، فأبشروا بما يسرّكم، وسيروا على بركة الله، فإنما نحنُ حسنة من حسناتكم وسهمٌ في جعبتكم فارموا بنا حيثُ شئتم فلن تجدوا إلّا جندياً مطيعاً.

وأخيراً، اللهم إني أعوذُ بك من فتنة القول، كما أعوذُ بك من فتنة العمل، ونعوذُ بك من التكلُّفِ بما لا نُحسِن، كما نعوذُ بك من العُجبِ بما نُحسِن.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

خادمُ المجاهدين

أبو حمزةَ المُهاجر (عبد المُنعم البدويّ)

{تعالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء}

٥ رمضان ١٤٢٧هـ || ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٦م

الحمد لله مالك الملك، المتنزّه عنِ الجور، المتفرّد بالبقاء، السامع لكلِ شكوى، والكاشفِ لكلِ بلوى والصلاة والسلام على من بُعِثَ بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أما بعد:

فإني أهنئ الأمة الإسلامية عامة، والمجاهدين أهلَ الثغورِ خاصة، بحلول شهر رمضان المبارك شهر الجهاد والاستشهاد، وأسأله أن يكون للمسلمين شهر عزّ ونصرٍ وتمكين.

ورسالتي الأولى:

إلى أهلِ الله وخاصته، إلى من أثنى عليهم الباري في كتابه العزيز، إلى من شرّفهم الله وفضّلهم فقرنهم باسمه واسم ملائكته فقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:١٨]. إلى أهلِ العلمِ والخشية، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:٢٨]. إلى من خصّهم الله تعالى بحفظ الدين والذكرِ في الصدور، فقال: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت:٤٩]، إلى القائمين بشرط الله في خيرية هذه الأمة الوارد في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران:١١٠]. إلى من نال نصيبهم من ميراثِ محمد ﷺ، إلى من أمره الله بأداء زكاة علمه، ورفع الجهلِ عن الناس، وتفقد أحوالهم، ورصّ صفوفهم، وتوحيد كلمتهم. قال سبحانه: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء:٥٩]. إلى من جعلهمُ الله قدوة وأسوةً للناس في دينهم، سيّما في ميدان الجهاد في سبيلِ الله، والنفيرِ إلى ساحاتِ الوغى ونصرةِ الدين، أوَ لم يقل الله تبارك وتعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ

كَثِيرٌ} {آل عمران:١٤٦]، [وفي قراءة أخرى:] {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}. قال ابنُ عباس والحسن: (علماء وفقهاء)[1].

فأينَ أنتم من القتالِ والقتلِ في سبيل الله؟

فغني عن القول أن مهمة العالِمِ أن يفتيَ الناسَ في الضرّاء قبل السرّاء، {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:١٤٧].

عُلماءنا الكرام:

إن أصالةَ دورِ العلماء وسِمَةَ عِلمهم هي القيامِ بالعهدِ والميثاق الذي أخذه الله عليهم، قال تعالى: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران:١٨٧].

أيها العلماء:

إننا اليوم لنتعرّضُ لمسائل في الدماء والأموالِ والأعراض، لو جُمِعَ لها الأئمةُ الأربعة لوقفوا حيارى، ومطلوبٌ منا أن نفتي فيها، هذا والفاروقُ عُمر كان إذا حَكَمَ يقول: (واللهِ ما يَدْرِي عمرُ أصاب الحقَّ أمْ أخْطَأَ)[2]، وهو الذي قال فيه ﷺ: "إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"[3].

فإذا كان المُلهمُ المحدّث، الذي ضُرب الحقُّ على لسانِهِ وقلبِهِ يقولُ هذا وقد كان يستفتي عليّاً وكبار الصحابة ورجع عن مسائل كثيرة مشهورة، فما يقولُ المذنبُ المسكين؟ في زمنٍ عمّ فيه الجهل وقلّ فيه العلم.

---

[1] جامع البيان، الطبري، (ج٦/ص١١٣).

[2] لم نقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطحاوي في مشكل الآثار (ج٩/ص٢١٤)، والبيهقي في الكبرى، عن مسروق، قال: كتب كاتب لعمر بن الخطاب: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر. فانتهره عمر رضي الله عنه، وقال: (لا، بل اكتب: هذا ما رأى عمر، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر)، قال الحافظ في التلخيص (ج٤/ص٤٧٢): إسناده صحيح.

[3] رواه البخاري.

أيها العُلماءُ الأفاضل، أيها السادةُ الأجلَّاء، اسمعوها مني جيداً:

إننا قادمون، إننا منتصرون، إننا منتصرون، وعسى أن يكونَ قريباً، وعسى أن يكونَ قريباً. وربما في حياةِ كثيرٍ منكم، حينئذ، لن نتخلّى عنكم أيضاً. فأنتم آباؤنا، وإخواننا، وفخر أمتنا، وعزّ ديننا، وورثةُ نبيّنا. فإن تركتمونا، لن نترككم. وإن ابتعدتم عنا، فسنلحقُ بكم. ونتعلّقُ في أثوابكم؛ لأنكم مصدرُ نورٍ وهداية. إن ضلّ أحدكم لشهوةٍ أو شُبهة، كففنا ألسنتنا عنه، وحرسنا عرضه، ما لم يفتن غيره بقولٍ أو عمل.

علماءنا الأجلَّاء:

لسنا خوارج، ولسنا أهلَ بِدعة، ولا دُعاةً إليها، إنما نحنُ رجال، رأينا الدين والذُّل، يتحدّر كالسيل الجارف، ليهويَ بالأمةِ إلى حضيضِ الجهل، فبنينا من عظامنا وجماجمنا سدّاً يحمي دينكم وعرضكم.

واليومَ، قد ارتفع السدُّ، واشتدّ، وأصبحَ عصيّاً على موجةِ الكفر، كلما عصفت موجة تحطمت على جداره. ثم عدنا إلى شجرة الإسلامِ الأبية، فأخذنا نرويها بدمائنا، حتى إذا ترعرعت، وعَلَت أفنانها، وأينعت ثمارها، وترسّخت في الأرضِ جذورها، جعلنا من أجسادنا سلّماً لها، وقلنا لكم هلمّوا إلى الثمر، فكلوه هنيئاً مريئاً. فإن طيور الشر، تطوفُ بالوادي، نخشى أن تذهبَ بتعبِ السنين، وبمُرِّ الأنين، فإن ما سكبناهُ من دمائنا في العراقِ كثير، أكثرُ من أربعةِ آلافِ مهاجر، وأضعافِ أضعافِ ذلك من أنصار الخيرِ والبركة.

عُلماءنا الأفاضل:

إننا اليومَ ندعوكم لتحمّلِ الأمانة، فإننا على مفترقِ طُرق، فلا تخذلونا، باللهِ عليكم لا تخذلونا، فإنا بحاجةٍ إليكم، لا نعِدُكم بالأمنِ والأمان، إنما نعدكم بالجهادِ في سبيلِ الله، وأن نكونَ وقّافين عند حدودِ الله، فليس عندنا أغلى من دمائنا، سكبناها، ونسكبها لتسير فيها سفينةُ الإسلام، فهيّا أنيروا دربها بعلمكم، وأمسكوا دفتها بكتابِ الله، وسنةِ

نبيّكم. أما وإن تخلّيتُم عنا، وتخبّطنا في الشِعاب، فلا تلومونا، فإنَّ الطلبَ قويّ، ولا بُدّ من السير ووصول البر، وإننا لَفاعلون بحولِ الله وهدايته، فحاشا كلاءة اللهِ وحفظه وإحاطته أن تُخطئنا.

أيها العُلماء الأفاضل:

لِنَهَبْ جدلًا وأملًا أن يكون شيخُ الأزهر هو من يزكي للمجاهدين ويفتيهم، ومُفتي الحجاز، على مدفع الهاون، بينما مُفتي الشام، يُصحححُ له الرماية، هل تظنون أن حالَ الأمة سيكونُ كحالنا اليوم؟

أيها الأفاضل:

إن القيادةَ والطليعة لا يجوزُ لشخصٍ أن يتصدّرها إلّا عن تصوّرٍ صحيح، ومعرفةٍ وعلمٍ صحيحين، وهو ما حباه الله لأهلِ العلم. وإن سمة المجتمع الخيِّرِ الفاضل القويّ المتماسك أن يسودَ فيهِ العلماء، وأن يعرفَ الناسُ حقهم، {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء:٨٣].

ولا يسعني في هذا المقام إلّا أن أُذكّركم بالعالم المجاهد الضرير عُمر عبد الرحمن، القابعِ في سجون أمريكا متعرضاً لأشدِّ أنواعِ التعذيبِ والإساءة، والإساءةِ النفسيةِ والجسدية، لا لشيءٍ إلّا أنه كفَرَ بالطاغوت ربّا، وآمَنَ باللهِ وحده.

وإلى شيخنا أقول: لا تحزن، فإنَّ اللهَ سيجعلُ بعدَ العُسرِ يُسراً. وإن الثابتين على العهدِ كُثُر فأبناؤك المخلصون على ما تركتهم عليهِ بحول الله، لم يبدّلوا ولم يُغيّروا، وما ازدادوا في الطاغوتِ إلّا بصيرةً ويقينًا، ولا يسوؤك تراجعُ المُنهزمين، الذين أسألُ الله أن يتغمّدهم ببعض ما كان منهم من عملٍ صالح، إنه أرحمُ الراحمين.

كما أني أُناشدُ كلَّ مجاهدٍ حُر على أرضِ الرافدين، أن يجدّ ويجتهدَ في هذا الشهرِ الكريم، لعل الله أن يرزقنا بأسرِ بعضِ كلابِ الروم، فنخرِجَ بهم شيخنا من ظُلماتِ سجنهِ، عرفاناً، وولاءً، ومحبةً.

ورسالتي الثانية:

إلى أولئك الذينَ ضحّوا بالكثير، وتحمّلوا من الضغوطاتِ ما اللهُ بها عليم، إلى شيوخِ العشائر، الذين ساندونا و وقفوا معنا سرّاً وجهراً، وأمدّونا بالمالِ والرجال، أقول:

جزاكمُ اللهُ خيراً، فأنتم أهلُ النخوةِ والكرم، والشجاعةِ والإقدام، فإنهُ لو حلَفَ حالفٌ بينَ الركنِ والمقام أنَّ أكرم أهلِ الأرضِ هُم أهلُ العراق، ما أظنه قد حَنَثَ في يمينه ولسوفَ يأتي اليوم أيها الشيوخُ الأكارم الذي نرفعكم فيهِ على أكتافنا، بل نضعكم فوقَ رؤوسنا ونصيحُ في الناس:

أولئكَ آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جريرُ المجامِعُ

أما أولئكَ الذين وقفوا مع المحتل وأعوانه من الخونة، وصاروا عيوناً وألسنة له، فخانوا دينهم وعرضهم وأرضهم، ظناً منهم أنهم سيُحققون مكسباً مادياً أو وضعاً اجتماعياً، فإذا بهم يخنسون داخل ثكناتٍ عسكرية، أو يفرّون خارج البلاد، تاركين ديارهم، وأموالهم وأهليهم تلحقهم لعنات الرب، وغضبُ الأهل، أقولُ لهؤلاء وفي هذا الشهرِ الكريم، شهرِ العفوِ والصفح:

إننا اليوم، نُعلِنُ عفوًا عامًا عن كلِّ هؤلاء، متنازلين عن دمائنا التي سُكِبَت بأيديكم، وبخيانتكم ونُرحّبُ بكم مرةً أخرى، فعودوا إلى دينكم وأوطانكم، ولكمُ الأمن والأمان، ولا نتعرّضُ لكم إلَّا بخير، وذلك قبل القدرةِ عليكم، شرطَ أن تُعلنوا توبتكم الصادقة في ملأ من عشيرتكم أنتم، وبين أهليكم، وأن تُعلمونا بذلك بأي وسيلة، خوفَ الخطأِ والزَلَل، وأن تضعوا أيديكم في أيدي إخوانكم وأبنائكم المجاهدين حتى يعودَ الأمنُ والأمان إلى ديارنا، ونُخرِجَ المحتلَّ من بين أظهُرِنا، ومدَّةُ العفوِ تنتهي بانتهاء الشهرِ الكريم.

ويشهدُ الله أنا أوفياء صادقون معكم ولن تجدوا منا إلَّا الخيرَ والمحبة.

ورسالتي الأخيرة: إلى أهلِ الكفاءاتِ المتميزة، والخبراتِ العالية، من علماءِ الكيمياءِ والفيزياء، والإدارة والإلكترونيات، والإعلام، وكافة التخصصات العميقة، وخاصةً علماء الذرّة، وهندسةِ المتفجرات، نقولُ نحنُ في حاجةٍ ماسةٍ إليكم، فساحة الجهادِ تُلبي طموحكم العلمي، فمعسكرات الأمريكان باتساع رقعتها، خيرُ حقلِ تجارب لقنابلكم غيرِ التقليدية، من الجرثوميةِ والقذرة -كما يُسمّونها-.

ويُسرُّني في ختامِ كلمتي، أن أُعلِنَ عن بدءِ حملةٍ عسكرية كبرى باسم: (الفتح المُبين) نستأصلُ بها شأفة الكافرين والمرتدين، ونأتي على بقية حصون المنافقين ومن الله العون إنه هو العزيزُ الحكيم.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

خادمُ المجاهدين

أبو حمزةَ المهاجر

نِدَاءٌ إِلَى عُلَمَاءِ الأُمَّةِ

١٣ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ || ٣٠ أبريل ٢٠٠٧م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم أما بعد:

هذا نداء من عبد ضعيف إلى ساداته من العلماء:

أيها العلماء، أسألكم بالله الذي رفع السماء بلا عمد ألا تعلمون أنه إذا احتل شبر من بلاد المسلمين صار الجهاد فرض عين على أهل هذه المحلة وخصوصاً إذا لم تقم بهم الكفاية؟

أيها العلماء، أسألكم بالله الذي رفع السماء بلا عمد أليس جهادنا في العراق جهاداً مشروعاً؟

إن كان الجواب بـ(نعم)؛ فلماذا إذن تركتمونا في القائم وراوة وحصيبة كما تركتمونا في الفلوجة وسامراء وتلعفر؟!

ألم يصل إلى أذهانكم أيها الأفاضل ما فعل الأمريكان وحلفاؤهم من الروافض في أخواتنا في تلعفر؟!

ألم تسمعوا عن انتهاك الأعراض وقتل الأطفال والنساء فضلاً عن تذبيح المجاهدين في الفلوجة؟!

والله الذي لا إله إلا هو أقولها غير حانث:

إننا في الفلوجة أكلنا أوراق الشجر وبُلنا الدم من شدة العطش كما مات كثير من إخواننا من شدة العطش. وفي تلك الأثناء كنّا نستمع إلى الدنيا نحاول أن نسمع بصيص أمل يخرج من عالم من العلماء يدافع عن إخوانه الذين يقتّلون ويذبّحون وما تركوا السلاح لله تبارك وتعالى، بل على العكس من ذلك خرج علينا هؤلاء العلماء في خطبة العيد في مثل أيامنا هذه يقولون عنّا أنّا خوارج!

هل من خرج على الأمريكان وحاربهم وذاد عن حياض الأمة هو من الخوارج؟!

هــل كفّرناكم أيهــا الأفاضــل؟! هــل كفّرنا عامــة المســلمين، أم قاتلنــا عنكم وعن أعراضكم وعن نسائكم وعن أطفالكم؟!

أيها العلماء، لماذا أكلتم في لحومنا وطعنتم في أعراضنا؟! بالله عليكم إن لم تكونوا أنتم حصننا الحصين وسدنا المنيع، فمن؟!

أيها العلماء: والله لن نرحمكم يوم القيامة ستتعلق في أعناقكم ونطالبكم بالحق الشرعي الذي فرضه الله عليكم.

ألم يأخذ الله عليكم الميثاق أن تبينوا الكتاب للناس؟!

لماذا تركتمونا للجهال وسفلة الناس؟!

وفي مثل هذا وغيره وأنا البسيط الضعيف قلت أبياتاً من الشعر البسيطة أقول فيها:

علماء الدّين أيا ملح البلد *** من للشراع مرشد الربّان
لا يحصد الإنسان إلا ما بذر *** خير البذور ذروة الإيمان
العزّ حي والتراجم بينكم *** ما مات من أحيا العقيدة ثان
عقيدة الجهاد لا حيض النساء *** السيف بطّال بلا قرآن
أبدًا ترقعون للسلطان *** وسهامكم لا تخطئ الإخوان
فالحق أبلج والباطل لجلج *** فإلى متى عقيدة الخذلان
كفر الشباب بالكهانة نفسها *** جَدّوا المسير يعدّون سنان
إذ بالخيانة صوّبت سهامها *** غدرا من العلماء والرهبان
خوارج بالدين جهّال كما *** في قتلهم أجر، أبيدوا الجاني
سماحة الدّين الحنيف تقتضي *** ردع الخوارج في كل مكان
صبراً أئمة الضلالة صبرا *** عند العليم ملتقى الخصمان
أخذ الله عليكم الميثاق *** لتبيِّنُنَّهُ بلا كتمان
فنبذتموه مثلما نبذوه *** بخسا شريتم دينكم شتّان
الله يحكم بيننا فتجهزوا *** بدمائنا جُدنا ليوم دان

فلقد جاءنا كلام ربّنا *** وهو الحقّ تبارك المنّان

أمر صريح في قتال عدونا *** أن اضربوا منهم كل بنان

فترة دولة العراق الإسلامية

{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}

١٩ شوال ١٤٢٧هـ || ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فيا أمة الإسلام، أمتي الغالية، لقد جاء اليوم الذي وعدناك بأسرع مما نرجو، وأعجل مما نظن، فهذا هو الفتح المبين، هلّت بشائره تشرح الصدور وتبهج النفوس وتفرح الصديق وتغيظ العدا، فها هي دولة الإسلام، ها هي دولة الإسلام في بلاد الرافدين يشد بنيانها وتشخص ساريتها وترفرف رايتها بعز عزيزٍ أو بذل ذليلٍ، وها هو عدوك اليوم يترنح من هول ما ذاقه من مصائب وأهوال وكروب كالجبال يعجز أن يحمل وزرها أو يخمد نارها، وإنه اليوم يحمل متاعه لا يروم غير الفرار، فقد مالت خيمته وانكسر قِدره واقتلعت عواصف المجاهدين جذوره، وهدمت أركانه وحطمت على رأسه أحلامه فصار على الرحيل عازمًا وعلى الهزيمة قابضًا وعلى المكوث غير صابر وعلى البقاء غير قادرٍ؛ فلا يسعني، أمام كل هذا، إلا أن أشكر أغبى وأشأم رئيس عرفته دولة العبيد والمخدرات، أمريكا عبر عصورها، الذي سمح لنا بهذه الفرصة التاريخية العظيمة، فأتى بجنوده وخبرائه إلى حالة القتال المباشر فالتقى الجمعان في صورة لم نكن نحلم بها أو نتخيلها، فاستطاع بحول الله وقوته فلاحٌ عراقي موحدٌ بصيرٌ لا يحسن في كثير من الأحوال القراءة والكتابة أن يفجر بعبوته الناسفة الحضارة الأمريكية المزيفة فيتطاير مع أشلاء جنودها وخبرائها أحلام العم سام في بلاد النفط والماء.

كما أني أحب أن أذكر هذا الأحمق المطاع، أنه قد استطاع في فترة وجيزة جدًا أن يعيد مجد الإمبراطورية الفارسية القديمة فكان أشأم على بلاده من جورباتشوف على اتحاده فبسط نفوذ فارس في أفغانستان بعدما كانت صخرة كؤودًا أمامهم ثم ثنى على العراق ففتح كنوزها لهم بعدما كانوا لا يحلمون بشربة ماء فإذا بهم يمتصون نفطها وينهبون كنوزها ويستعبدون رجالها ثم ثلَّث ببلاد الشام فأرهب طاغيتها الرافضي النصيري وما زال عليهم الحصار حتى اضطره إلى فتح بلاده أمام مئات بل آلاف الفرس ليتجنسوا فيها فيكونوا ردءًا لعميل الدجال نصر اللات المسمى بنصر الله الخارج لتوه من نصر مزعوم على قمة الآلة العسكرية الرومية، فاكتملت بذلك الإمبراطورية الفارسية القديمة الممتدة من بلاد ما وراء النهر إلى إيران ثم مروراً بالعراق حيث المدائن انتهاءً بالشام.

فهل يا ترى يستطيع الفرس المجوس أن يوفوا حق هذا الأحمق بوش الذي أعاد مجدهم التليد دون أن يضربوا طلقة واحدة أو يضحوا بجندي واحد؟ وهل يا ترى يدرك عقلاء الروم أنهم صاروا عبيدًا لفارس ومرتزقة يقاتلون بلا أجر؟ فها هو الشعب الأمريكي وضع قدمه على أول الطريق الصحيح لخلاصه من مأزقه وبدأ يدرك خيانة وعمالة رئيسه وزمرته لإسرائيل فصوت لصالح شيء من العقل في انتخاباته الأخيرة. وهل يا ترى سيوفّي الساسة بما وعدوا به مواطنيهم فيَجبُرون قلوب الأمهات بانتزاع أبنائهن من ثنايا الأسود في بلاد الرافدين تمامًا كما يَجبرون العجز الرهيب في الميزانية التي أُهدرت في حرب غبية خاسرة خائبة ويدركون أن دافعي الضرائب يدفعون ثمن الطلقة التي يقتل بها أبناؤهم في مستنقع العراق. وأقول للبطة العرجاء: لا تتعجلي الفرار كما تعجل وزير دفاعك الأعرج القزم، فإنا لم نرتوِ بعد من دمائكم واصبر في أرض النزال يا جبان فإنا نعلم أن الروم لا يستحيون من هزيمة.

ويا أيها المسلمون الموحدون، أيها المجاهدون في أقطار الأرض:

إننا اليوم نعلن انتهاء مرحلة من مراحل الجهاد وبدء مرحلة جديدة هامة نضع فيها أول لبنةٍ من لبناتها لندشن مشروع الخلافة الإسلامية ونعيد للدين مجده.

أيها المؤمنون، أيها المجاهدون:

لسنا أبناء سايكس-بيكو؛ نحن أبناء محمد بن عبد الله ﷺ الذي ابتدأ دولته المباركة في تلك البقعة الطاهرة طيبة القابعة في قلب الصحراء حيث لا مورد ولا ماء إلا ما يجود به عليهم رب الأرض والسماء، فهل كان يسعى ﷺ إلى تقسيم وتفتيت جزيرة العرب حينما أعلن دولته بالمدينة وحارب أهله بمكة؟!

أيها الموحدون:

أبشروا؛ فوالله لن نستريح من جهادنا إلا تحت أشجار الزيتون في رومية بعد أن ننسف البيت الأنجس المسمى بالبيت الأبيض، وإن ما حدده إخوانكم من مكان لدولتهم إنما هو من باب قول رسولنا الكريم ﷺ: "وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ"[١]، وإلا فهي وقفة لوثبة، وحصن لكرّة، وهل تظنون أننا سكبنا دماءنا لندع أهلنا في كردستان فريسة لبني علمان أو في الجنوب لقمة سائغة ليهود أصفهان؟! فأحسنوا يا عباد الله بنا الظن إنما هو حمى ولا بد لكل حمى من حد.

ثم إني أقول: ما بال أقوام يطعنون ظهورنا ثم يتبسمون في وجوهنا؟!

يلقاك يحلف أنه بك واثق *** وإذا توارى عنك فهو العقربُ

يعطيك من طرف اللسان حلاوة *** ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

ولهؤلاء نقول: إنه لا يمكن أن نقتل شرطيًا ذهب ليتدرب على أيدي زبانية شيطان الأردن ثم نحن ندع أولئك الذين اتخذوا الطاغوت نفسه صديقًا وراعيًا واعتبروه ذا مصداقية ونزاهة فالتفوا حول دماء الشهداء وأطراف المعوقين سرًا، فعقدوا اتفاقيات مع المحتل الأمريكي. وإني لأعلم أولئك النفر الذين جالسوا عبد الله الخائن سرًا ثم يكفرونه

---

[١] رواه مسلم وأحمد.

أمام السذج علناً وعندنا الأدلة والشهود على ذلك فيا عباد الله توبوا، توبوا ولا تخونوا دينكم وإخوانكم وجهادكم فإن الشيطان -أعني شيطان العلم والسلطان- يلبّس عليكم.

عباد الله: معلوم أن كل أمرٍ واجب لا يتم إلا بالاجتماع عليه؛ فالجماعة له واجبة كما قرر أهل الأصول بقولهم: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[١]؛ فرد كيد المعتدين وحفظ حوزة المسلمين وأهم من ذلك إقامة شرع الله المتين لا يكون والقوم يقاتلون متفرقين مختلفين بغير راع يوحّد صفوفهم ويجمع شملهم فَيَصْدرون عن رأي واحد وقلب واحد وإن اختلفت الأذرع بين الطول والقصر والشدة والضعف.

دع عنك أخي المسلم القول القائل: (إن المهم اتحاد الرؤى أو الأفكار لا اتحاد السيوف والأوتار)؛ فإن ذلك مخالف لبداهة العقول وهدي الرسول وما عليه أهل الحل والعقد، ولأنه قد حان وقت الصدق والحسم.

أقول للشيخ المفضال والبطل المغوار الهاشمي القرشي الحسيني النسب أمير المؤمنين أبي عمر البغدادي: بايعتك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. معلناً ذوبان كل التشكيلات التي أسسناها بما فيها مجلس شورى المجاهدين، وبالنيابة عن إخواني في المجلس تحت سلطة دولة العراق الإسلامية.

واضعًا تحت تصرفكم وإمرتكم المباشرة اثني عشر ألف مقاتل هم جيش القاعدة، كلهم قد بايع على الموت في سبيل الله، وأكثر من عشرة آلاف لم تستكمل عدتهم المادية أعينهم تفيض من الدمع حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون.

سائلين الله أن نكون قد استكملنا عدة النصر المادية والإيمانية ومصداقًا لرسول الله ﷺ كما عند الحاكم في المستدرك: "خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَمْ يُغْلَبِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ"[٢].

[١] انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد الجيزاني (ص٢٩٨-٢٩٩).

وأقول لأميرنا وشيخنا الحبيب: امض حيث أمرك الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فوالذي رفع السماء بلا عمد لو خضت بنا البحر لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، فنحن منذ اليوم جنودك الغيارى، ورجالك المخلصون، فخض بنا ما شئت من مصاعب وأهوال، فلن تجد منا إلا السمع لما تقول، والطاعة لما تأمر، ولقد عرفت ساحات الوغى صولاتنا وبأسنا وشدتنا؛ فاجعلنا في نصل سهمك ثم ارم بنا عدوك نفتك بكبده ونأتك بخبره بحول الله وقوته.

إخواننا المجاهدين الأكارم أصحاب المنهج والخلق والعمل:

لقد أذقتم الكافر الأهوال ومرغتم أنفه بالأوحال فداكم والله نفسي، لقد كنتم نعم الظهر والسند، ونعم الساعد والمدد، ولقد أفرحتم قلوبنا بجهادكم ونكايتكم بعدوكم فبارك الله فيكم.

إخواني وأحبابي:

ألستم خرجتم للذي خرجنا لأجله؟!

ألستم تسعون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى؟!

ألستم تهريقون دماءكم لإقامة دولة الإسلام في الأرض؟!

فلئن كان ديننا وهدفنا واحداً وعدونا واحداً فما الذي يمنع أن نكون صفًا واحدًا؟ {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤].

فيا أبطال جيش أنصار السنة، ويا أسود الجيش الإسلامي، ويا فلذات أكبادنا في جيش المجاهدين، يا من كنتم الشوكة التي أدمت العدو، وأمالت رايته وطمست هيبته، وأذاقته من البأساء ما أثخن فيه الجراح، وأسال منه الدماء. يا من نغصتم على العدو أيامه، وأنسيتم جيوشه أوهامه، يا قادة الأنصار وجيش المجاهدين وبقية المخلصين: لقد

---

[٧] قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه والخلاف فيه على الزهري من أربعة أوجه قد شرحتها في كتاب التلخيص.

ازداد شوقنا إليكم وحنت أحضاننا لودكم فإن إخوانكم يدعون الله أن يحفظكم وأن تبشروهم باليوم الذي تعلنون فيه ما عودتموه عليه من صفاء المنهج ووضوح الهدف فتباركون دولة العراق الإسلامية وتبايعون الشريف أميرًا، فلسنا بخير منكم حتى نقدم وتبطئوا فأنتم أسبق منا جهاداً وأزهد إمارة وأطوع جنوداً ونحسبكم أخلص لله دينا، فلقد علمتم أن ذلكم مما يغيظ العدا ويفرح الصديق ويفوت على العدو فرصة شق الصف وتفريق الكلمة ويرد خنجره في صدره وصدر من جالسه سرًا وضيع دينه وأهله.

وأذكّر إخواني جنود الدولة بقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر:٥]. فإياكم ودار الغرور وعليكم بدار الخلود يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم.

وإن أكثر الناس كالأنعام السائبة لا يعرفون لماذا وجِدوا وإلامَ يصبون، وتذكروا أنكم تقاتلون لتخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فغاية ما تصبون إليه شهادة في سبيل الله فإن موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واعلموا أنكم بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين؛ فالله الله في أهلنا أهل السنة، اعرفوا لهم حقهم علينا وأنزلوا الناس منازلهم وخاصة العلماء وشيوخ العشائر والوجهاء، فإن للفلاح في مزرعته والعامل في مصنعه والمدرس في مدرسته حق النصرة علينا، نحمي أعراضهم ونحفظ أموالهم ونمسك ألسنتنا عنهم حتى ولو لم يكونوا من الجهاد وأهله فلا يمكن أن يستغني الرجل عن أهله أو يستغني أهله عنه، وعليكم بالرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا سيما وأن البعث الكافر قد لبَّس على الناس دينهم.

قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ"[١]. وإن أعرابيًا بال في مسجده فنهاه الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: "لَا تُزْرِمُوهُ"[٢] أي: لا تقطعوا عليه بوله، ثم دعا بدلو من ماء فأهريق عليه، فإن دين الله يسر، وإياكم والإفراط والمبالغة.

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه البخاري.

قال ﷺ: "وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"[٣]، وقال الله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨].

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

الجندي:

أبو حمزة المهاجر

[٣] رواه البخاري.

لَبّيّكِ يَا أُخْتَاهُ

٤ صفر ١٤٢٨هـ || ٢٢ فبراير ٢٠٠٧م

الحمد لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، الكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بعث بالسيف بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. أما بعد:

فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال:٢٤]، وقال: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة:٣٦]، وقال تعالى: {إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة:٣٩]، القائل: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة:٤١]. انفروا خفافاً وثقالاً كهولاً وشباناً أغنياء وفقراء.

أيها المسلمون، أيها المجاهدون:

اليوم، هتك العرض وثلم الدين ولحقت المعرة بكل المسلمين.

اليوم، ولغ الكلب في عرض الطاهرة وداس الكافر الفاسق الفاجر حجاب العفيفة.

أيها المسلمون:

إن نبيكم ﷺ نادى بالجهاد في سبيل الله لما شبِّب بنساء المسلمين فقال: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟"[١].

واليوم ولغت كلاب طارق الهاشمي ونوري المالكي في أعراض نساء أهل السنة ورقصت على عفتها، فمن لهؤلاء وجنودهم؟!

---

[١] رواه البخاري.

أين أحفاد محمد بن مسلمة؟

أين أحفاد محمد بن مسلمة؟

إن نبيكم قال: "مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امرأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلاَّ خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ"[١]. وقال: "مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، وَهُوَ يقدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ أَذَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٢].

فيا شباب دولة الإسلام، إن مولانا أمير المؤمنين، قال: (لست لكم بأمير ولا أنتم بجنودي؛ حتى ترووا الأرض من دماء الكافرين، أبيدوا سيطراتهم، اقتحموا معسكراتهم، قطعوا أوصالهم، انزعوا أفئدتهم من أجسامهم).

اليوم يوم الملحمة

اليوم نمحو المشأمة

اليوم نسفك الدماء

العرض يشكو المظلمة

واعلموا أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[٣]. فتعرضوا للشهادة واحرصوا عليها فإن القتل في سبيل الله غاية ما زلنا نتشدق بها. قال الضحوك القتال: "مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ"[٤]. فهل أعظم من هذه هيعة يا جنود الله؟

---

[١] رواه أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة يحيى بن سُليم وإسماعيل بن بشير. ابن أبي مريم: هو سعيد. والليث: هو ابن سعد.

[٢] رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وموسى بن جبير. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

[٣] رواه البخاري.

[٤] رواه مسلم.

فيا قوافل الشهداء: انطلقي على بركة الله حولي سيطراتهم نارًا، وديارهم دمارًا، واجعلي دماءهم أنهارًا. ولقد عزم أميرنا فقال: (عزمت على كل مجاهد أن يُخرج سلاحه من مخبئه، ولا يضعه من يده حتى يلقى الله شهيدًا أو يفتح الله علينا). {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩]. واحذروا أن تكونوا ممن قال الله فيهم: {وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة:٤٦].

أما أنت أيتها العفيفة الطاهرة، فأجرك على الله فأجرك على الله، واصبري واحتسبي، واعلمي أن أكثر من ثلاثمائة أنصاري استشهادي عراقي قد طلبوا عمليات استشهادية في أول عشر ساعات من سماعهم الخبر، منهم خمسون جنابيًا، وطلب أكثر من عشرين شاباً منهم زواجك إن لم تكوني ذات بعل.

فلبيك يا أختاه، ثأرك لن ننساه!

اللهم عليك بنوري المالكي، اللهم عليك بطارق الهاشمي، اللهم عليك بعدنان الدليمي، اللهم عليك بسلام الزوبعي، اللهم عليك بمحمود المشهداني. اللهم إنهم كذبوا عليك ودنسوا أسماء عشائرهم الحرة وخدعوا وخانوا أمتهم، حتى هتكت الأعراض باسم السياسة والكياسة وحقوق أهل السنة. اللهم انتقم منهم وأرنا فيهم آية من آيات انتقامك العاجل. اللهم عليك بمن أفتى لهم ولأهل السنة بدخول الحرس الوثني وحفظ النظام. اللهم عليك بأحفاد ابن باعوراء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الجندي

أبو حمزة المهاجر

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}

١٨ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ || ٥ مايو ٢٠٠٧م

الحمد لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بعث بالسيف بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد:

ففي ظل الصراع المحتدم والذي بلغ ذروته بين قوى الكفر والطغيان وبين المؤمنين حملة القرآن بين الاستبداد والاستكبار وبين عصبة نحسبهم من الأبرار يشهد العالم عامة والساحة الجهادية في بلاد الرافدين خاصة حملة تضليل فكريةٍ وعَقَدية، تسير جنبًا إلى جنب مع الحملة الصليبية الرافضية العسكرية؛ حملة تهدف في المقام الأول إلى طمس معالم الدين وردم وتذويب الحدود الفاصلة بين الحق والباطل ثم تزيين واقع التخاذل والتبعية والإذلال والإذعان إلى غير ما شرع الله ولو كان دستورًا أمريكيًا رافضيًا يهوديًا لا يختلف على كفر من سنّه ولا من دعا له ولا من رضي به أحد من أهل العلم المعتبرين، {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠].

وكلما شهدت الساحة تطورًا جهاديًا ملموسًا، وازدادت قوة الجهاد قوة الحق والعزة، في المقابل زادت دعوة الباطل والمذلة؛ وبدأ هؤلاء المجرمون يزينون للناس فقهًا جديدًا مفاده أنه لا يضر المرء أن يكون من أئمة الكفر يدافع عن الطاغوت بكل مؤسساته التشريعية والعسكرية، وفي نفس الوقت هو مسلم تقي ورع يصوم ويصلي ويحج البيت العتيق، يرى الأعراض تنتهك وتغتصب جهارًا نهارًا وبمعونة منه وعلى الأقل تحت سمعه وبصره وفي نفس الوقت يتحدث عن الشرف والعزة والكرامة.

إنها ثقافة الإذلال والخنوع، سخر لها الباطل آلة إعلامية مرعبة أهدافها:

أ- تزيين الحملة الصليبية المجرمة على بلادنا وإظهار المحتلين أنهم هم الشرفاء المنقذون للأمة من بطش الرافضة.

ب- ترسيخ دعائم حكم الطاغوت وتشويه الشريعة في أعز مفاصلها، أعني عقيدة الولاء والبراء.

هذه الحملة السابقة تولى كبرَها الحزب الإسلامي ورئيسه طارق الهاشمي وأعوانه من أئمة الردة فما فتئ هذا المجرم وخاصة في الأيام الأخيرة يدعو إلى بقاء المحتل ويروج لذلك ويزين مذهبه بخزعبلات فكرية لا تروق إلا لأمثاله أشباه المنبوذين الهنود[1]، ونذكر هؤلاء بقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء:١٣٩]، وبقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} [النساء:١٤٤]. ثم أذكرهم بقول الله الذي يحكي قصة الحزب الإسلامي مع الأمريكان وخوفهم من بطش الرافضة على حد قولهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥١-٥٢]. قال الطبري -رحمه الله-: (وأَخْبَرَ أنه مَن اتَّخَذَهم نَصِيرًا وحَليفًا وولِيًّا مِن دونِ اللَّهِ ورسولِه والمؤمنين فإنه منهم في التَّحَزُّبِ على اللَّهِ وعلى رسولِه والمؤمنين، وأن اللَّهَ ورسولَه منه بَريئان)[2]. واعلموا أن ربكم قال: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة:١].

فإلى هؤلاء الأفاكين نقول: صدق الله وكذبتم، الله ذكر لنا حل الاستضعاف وكيفية الخروج منه وذكرتم لنا حلولاً، والله أحكمُ وأعلم، قال الله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء:

[1] الهندوس.
[2] جامع البيان، الطبري، (ج٨/ص٥٠٧).

٧٥]. قال القرطبي -رحمه الله-: ({وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} حَضٌّ على الجهاد، وهو يَتَضَمَّنُ تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الَّذِينَ يسومونهم سوء العذاب، وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنِ الدِّينِ[1]، فأوجبَ تعالى الجهاد لإعلاءِ كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذِ المؤمنين الضُّعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلفُ النُّفُوسِ)[2].

وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين، إن هؤلاء القوم -أعني قادة الحزب الإسلامي- قلبوا الحقائق رأسًا على عقب وغيروا وطمسوا معالم الدين ويدل على ذلك تنبيهم أخطر فكرين مرّا على الأمة الإسلامية:

أولاً: **عقيدة الإرجاء في أفضح وأظهر صورها**؛ فقد أصبغوا الشرعية على حكومةٍ لا يختلف على كفرها، بل وشاركوا فيها والأدهى و الأمر أنهم يدعون إلى تقويتها وتثبيت أركانها!

ثانياً: **عقيدة الخوارج**؛ من تفسيق وتبديع بل وتكفير المجاهدين وتسميتهم بالتكفيريين واستباحة دمائهم وحرماتهم وأعراضهم بينما هم بلسمٌ باردٌ للصليب وجنده.

فيا قادة الحزب الإسلامي: غداً ستقفون أمام الباري وتعرف يا طارق من التكفيري الكذاب، أهو الذي فجرّ نفسه على أبواب سجن أبي غريب، والذي قُتل وهو يفك قيد الأبطال في بادوش والذي قتل وحرق الأمريكان انتقاماً لعبير، أم ذلك الذي يدافع عن الاحتلال ولم يتمعّر وجهه لانتهاك أعراض بناته وأخواتهم في بلاد الرافدين ولو على سبيل المسرحية والتمثيل.عجيبٌ أمركم أيها القوم!

كان العرب القدماء كفارًا يعبدون الحجر والشجر، ولكن كانوا أهل عفةٍ وكرامة، يثورون لأعراضهم إذا خُدشت، كانوا كفاراً ولكن لم يكونوا قط جبناء ولا خونة.

أيها المسلمون:

---

[1] ذكر المتحدث في الأصل: (ويقتلونهم على الدين)، وصححت على قول القرطبي.

[2] جامع أحكام القرآن، القرطبي، (ج٥/ص٢٧٩).

إن خيانة هؤلاء القوم ليست وليدة الساعة ولا اقتضتها ظروف المرحلة فقد أعلنوا وبصراحةٍ أنهم شاركوا في مؤتمري الخيانة والعمالة في لندن وصلاح الدين تمهيداً لغزو واحتلال العراق، وسرّعوا في المشاركة في مجلس الحكم الانتقالي ولم يكن ثمة قوة للرافضة ولا ميليشيات. واليوم يريدون أن يقنعوا البسطاء من أهل السنة أنهم يشاركون في العملية السياسية لأجلهم! ألا بئس الكذب من أفواه الرجال.

إن هؤلاء القوم وقعوا في كوارث خمس:

أولًا، شاركوا وأعانوا على احتلال بلاد المسلمين.

ثانيًا، أسسوا وشاركوا في حكوماتٍ باطلة خارجةٍ عن الشريعة وأضفوا الشرعية عليها.

ثالثًا، ثبطوا الناس عن الجهاد العيني المفروض عليهم.

رابعًا، سبّوا المجاهدين وافتروا عليهم وطعنوا في منهجهم واليوم يحاولون تفريق جمعهم وتشتيت شملهم.

خامسًا، روّجوا لعقيدتي الإرجاء والتكفير بين عوام المسلمين.

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن الحزب الإسلامي، نحبّ أن نبين بعض الحقائق الهامة في تعاملنا مع هذا الكيان:

أولًا: إننا نفرّق بين قادة الحزب وبين أتباعهم وأنّا ندينُ الله ونعلنها للملأ وحتى لا يكذب أحدٌ علينا أننا لا نرى كفر وردة أتباع الحزب الإسلامي، ونرى أنهم وقعوا فريسة حملة التضليل الكبيرة التي قادها أئمة هذا الحزب.

ثانيًا: وعلى الرغم مما سبق ذكره من موقفنا الشرعي من قادة الحزب الإسلامي أنهم مرتدون، إلا أننا نقولها و بكل وضوح وصراحةٍ إننا لا نرى قتالهم و نديُن الله بعدم الانجرار معهم في معارك جانبية، لا تخدمُ إلا المحتل وأعوانه من الروافض المجوس، و نقول

لهؤلاء القوم: إن تاريخكم معشر الإخوان المسلمين مليءٌ بمثل هذه النكبات والكوارث، و قد جمعتنا و إيّاكم دولٌ و مناطق، فهل وجدتمونا قط رفعنا عليكم السلاح أو بدأنا بقتالكم!؟

بل إن تاريخكم النكد يؤكّد استعدادكم التام للتنازل عن أهم ثوابت الدين لأجل الحكم و لو كان مقعداً على باب وزارة. فهذا (سيّاف) و (ربّاني) جاؤوا على ظهر الدبابات الأمريكية إلى كابل، و حارب (النحناح) إخوانه بضراوةٍ في الجزائر، و اليوم يحكمُ (أردوغان) بالعلمانية، و رضيتم أنتم بوزارة المرأة و شؤون البيئة بل إن إمام مسجدٍ صار وزيراً للعهر و الرقص أو ما يسمى بوزارة الثقافة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ثالثًا: نقول لإخواننا في الكتائب المسلحة التابعة لتيّار الإخوان المسلمين: إننا قرأنا الحدث جيدًا، ففي نفس اليوم الذي أعلن فيه فصيلان تابعان للحزب الإسلامي وتنظيمه اتحادهما، أعلن قادة الحزب الإسلامي الحرب على التكفيريين ويعنون بذلك المجاهدين من تيار السلفية الجهادية، وإلى هؤلاء الإخوة نقول: إن هؤلاء القوم ما كانوا ليجرؤوا على هكذا إعلان إلا بعدما ظنوا من أنفسهم قوةً بهذا الاتحاد، وكذلك ظنوا أنكم رهن إشارتهم في حربهم ضدّ الإسلام والمسلمين، ونقول لكم وبكل ألمٍ وحزن وحسرة إنا والله لا نحبّ أن تسفكوا منا دماً أو نسفك منكم قطرة دمٍ واحدةً ما لم تنخرطوا ضمن جنود دولة المالكي، فهل يرضيكم يا عباد الله أن نحكمكم بالإسلام؟! فوالله لا يضرنا أن يحكمنا بالإسلام كائنًا من كان.

إخواننا، لا نريد منكم شيئاً؛ فقط دعونا والعدو فإن انتصرنا عليه فهو عزّ الدنيا والآخرة لنا و لكم، وإن قضي علينا فهي شهادةٌ لنا وتكونوا قد استرحتم منا ولن تلقوا الله بدمائنا.

ونقول لقادة الحزب الإسلامي: نعم؛ إننا ندين الله فيكم بما سبق ذكره، إلا أننا لا نرى البدء بقتالكم ما لم تجبرونا على ذلك فها هُم نصارى العراق لم نستهدفهم على

الجملة قط، أو نحاصر أماكنهم على الرغم أننا أعلنا موقفنا منهم وللإعلان قصّة؛ أنه بمدينة الموصل نشط مجموعةٌ من العصابات المجرمة فقطعوا الطريق و روّعوا الآمنين باسم الجهاد و المجاهدين منتحلين أسماء جماعاتٍ جهاديةٍ معروفة، فأعددنا لهم كمائنَ محكمةً بحول الله وقوته سقط على إثرها الكثير منهم وطهّرنا البلاد وأرحنا العباد من شرّهم، و في إحدى المرات داهمنا مقرًا لهؤلاء فوجدنا ضمن أسراهم أحد النصارى وكان من أعيانهم وأغنيائهم، و عرض علينا فداءه بالمال فرفضنا ذلك وأحسنّا إليه وأطلقنا سراحه وحمّلناه رسالة إلى قومه، جاؤوا على إثرها وبرسالة من أكبر أساقفتهم وكبار تجّارهم يرومون دفع الجزية لقاء تأمينهم.

فأردنا فعلًا أن نحقن دماءهم و نعلن لجميع نصارى العراق أننا نقبل حقن دمائهم وتأمينهم؛ ولكن وفقًا لشروط عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، (لأنَّ شرطه سنَّةٌ مستمِرَّةٌ، وبها عمل الأئمة بعده، واحتج بها الفقهاء، وأوجبوا إبقاءها)[١] كما قال ابن القيم –رحمه الله–، فكان موقفنا هو تأخيرًا لبيانٍ وقت حاجته و ليس كما يظن البعض أننا لا نفقه تحييد الخصوم.

الرسالة الأخيرة التي أحب أن أوجهها إلى كل المحبين المخلصين المهتمّين بشأن دولة الإسلام الفتيّة، أقول لهم: إن ما تسمعونه في أخبار الفضائيات من قتالٍ بيننا و بين الجماعات الجهادية أو عشائرنا المباركة إنما هو محضُ كذبٍ وافتراء ومحاولةٌ يائسةٌ أخيرةٌ لشق الصف الجهادي، وإنا لما أعلنا دولة الإسلام كنا نتوقع هذا و زيادة فإن مشروع الكفر برمته اليوم يتعرض إلى زلزالٍ يهزّ أركان عرشه فبدأ الطاغوت الأكبر –فرعون العصر– يجمع كل سحّارٍ عليم، فجاءت (العربية) و(العراقية) و(الحرة) و(الجزيرة) وكل صاحب بدعة و هوى، كلٌّ يحاول أن يقنع الناس أن جنود دولة الإسلام كذابون يقتلون الأبرياء و المساكين و هم من يعلمون كذب ما يقولون، وقريباً ذاك اليوم الذي ينقلبون فيه صاغرين. فمن أسقط الطائرات ومن اقتحم السجون والمعتقلات ومن دمّر

[١] ذكره المتحدث باختصار وبالمعنى، أحكام أهل الذمة، ابن القيم، (ج٢/ص٤٣٠).

الكاسحات و الدبابات ومن جعل معسكرات الأمريكان قاعًا صفصفًا؟ و ما مجزرة الأمريكان بديالى عنكم ببعيد.

وأحب أن أطمئن كل مسلم غيور على حالة دولة الإسلام الفتية المباركة، فإننا و باعتراف العدوّ نفسه صباح مساء، نسيطر على أكثر من ثمانين في المائة من ديالى والموصل وصلاح الدين، ونملك زمام المبادرة بالأنبار و توجع ضربتنا المحتلين في بغداد و كركوك.

وأخيراً، نقول لـ(بوش) والمالكي: موتوا بغيظكم، فسنبقى بعون الله وحفظه شوكةً في حلوقكم، والله أكبر والعزة للإسلام والمسلمين.

أخوكم

أبو حمزة المهاجر

مَسَالِكُ النَّصْرِ

١٣ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ || ١٩ أبريل ٢٠٠٨م

الحمد لله رب العزّة ربّ العالمين، وليّ النّصرة لهذا الدين لا إلٰه إلا هو ينصر الحقّ ولو بعد حين والصلاة والسلام على إمام المرسلين ورضي الله عن أصحابه من الأنصار والمهاجرين، وبعد؛

فقد قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة:٣٢-٣٣]. فليوقن كل مسلم أنّ تمام النّصر قادمٌ وأن الله مُعزٌّ هذا الدّين وأن المستقبل له ولو تكالبت علينا الأمم أجمعون وأن الأرض حتمًا سنحكُمها بحول الله القوي المتين ومن طعن أو شك في ذلك كان من المرجفين الكافرين.

قال الله الملكُ الحقُّ المبين: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ} [الأنبياء:١٠٥-١٠٦]. وقال الصّادقُ الأمين ﷺ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ"[١]. فكان تميم الدّاري -رضي الله عنه- يقول كما في المسند: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذلّ والصّغار والجزية).

وليعلم أهل التّوحيد أن عقيدةً سفكت لأجلها دماء طاهرة، وقاتل عليها الشُهداء فلأجلها عاشوا ولأجلها ماتوا، حتمًا ستنتصر، وتمتد سهامها لتضرِب عنق كلّ كافر، وتنير فؤاد كلّ موحّد، ولكن ينبغي أن ندرك جميعاً أنّ مدار النّصر مع متابعة النبي ﷺ

[١] رواه أحمد والبخاري في تاريخه والحاكم والبيهقي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه.

وجوداً وعدماً، من غير سبب يزاحم ذلك كما قال أهل العلم. قال ابن القيم -رحمه الله-: (وكذلك النّصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال الله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر:٥١]، وقال: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف:١٤]، فمن نقص إيمانُه نقص نصيبه من النصر والتأييد)[1].

فالنبي ﷺ دلّنا على أسباب النصر ومعوقاته أتم دلالة، قال [ابن القيم][2] -رحمه الله-: (وكذلك عرَّفهم ﷺ من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرُق النصر والظَّفَر، ما لو علموه وعقلوه ورعَوه حقَّ رعايته لم يَقُمْ لهم عدوٌّ أبدًا)[3].

فمن أسباب النصر:

أولاً: التوحيد.

قال الله تعالىٰ: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة:٢١٧]. وقال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج:٨]. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يدركها المجاهدون.

إن المعركة بين الموحدين والكافرين في أصلها وصميمها معركة على العقيدة، وأنّ الله حصَر وقَصَر هذا العداء في الدين، فالكافر أي كافر سواء أكان علمانيًا أو شيوعيًا، نصرانياً أو يهوديا، لا ينقم على الموحّدين إلا إيمانهم الخالص من الشوائب، وأي شعارٍ يُرفع لأي معركة تدور بيننا وبينهم غير شعار الدين هو محض كذب وافتراء، فعداء الكافر الأصلي أو المرتد للمجاهدين الموحدين لا ينطلق أبداً من دافعٍ اقتصادي أو سياسي، **إنَّها معركة كفرٍ وإيمان، معركة عقيدة وقضية دين.**

[1] إغاثة اللهفان، ابن القيم، (ج٢/ص٩٢٧).
[2] ذكر المتحدث: شيخ الإسلام ابن تيمية، فصحح.
[3] أعلام الموقعين، ابن القيم، (ج٥/ص٤١٤)، وبدائع الفوائد، (ج٣/ص١٠٩٣).

فإنّنا لا نقاتل المحتلّ الصليبي أو المرتدّ العربي لأجل الأرض، إنّما لإعلاءِ كلمة الله على الأرض. وهو لا يقاتلنا لاختلافه معنا في بعض المكاسب المادية، ولو كان الأمر كذلك لهان عليه وعلينا ولأمكن الالتقاء في منطقة وسط، ولكنّ أنهار اللّبن التي تجري في قلوبنا وعروقنا لا يمكن أبدا أن نلوِّثها ببحر عقيدتهم وأباطيل نجاستهم.

إنّ الاستعمار قديماً كان واجهةً للصليبية، مثلما هو اليوم واجهةٌ لليهودية والنصرانية. و لقد أعلنها مراراً قيصر الرّومِ بوش: (إنّها حربٌ صليبية). فما بال القوم يكذبون ويكذِّبون؟

فإذا علمت هذا أيّها المجاهد فوجب عليك ألّا تختلط عليك الرّايات ولا تخدعك المسمّيات، تماما كما ينبغي أن تطهّر قلبك وصفّك من القاذورات، فإيّاك أن يكون في قلبك أو صفّك شركٌ أو مشرك، كما ينبغي أن تعلم أن وجود الشرك في صفوفنا وقلوبنا أكبر حاجب للنصر، وأسرع شيء للهزيمة. قال الله تعالى: {وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}[الشورى:٨]، وقال: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[آل عمران:١٩٢]، وتفسير ذلك في قوله تبارك وتعالى: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣].

ثم إن إخلاص النّية لله هو أهم عوامل النصر والتمكين. قال الله تعالى: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} [الفتح:١٨]، أي من الصِّدق والوفاء وإخلاص النّية بالبيعة لله رب العالمين. فدلّت الآية أنّه شرطٌ من شروط التّمكين وأنّه عند توفّره فإن الله يثيب عليه فتحًا ونصرًا وتمكينا. قال الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف:١١٠]. وقال ﷺ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ"[١]. ولذا كان النّبيُّ ﷺ القائد أحرص النّاس

[١] رواه أحمد والبغوي في شرح السنة والبيهقي والطبراني، وقال الأرنؤوط: حديث حسن، رجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع، عمرو لم يسمعه من محمود بن لبيد، بينهما فيه عاصم بن عمر بن قتادة، وهو ثقة، وعمرو صدوق. يونس: هو ابن محمد المؤدِّب.

على تخليص قلوب أصحابه من هذه الآفة وخاصة في الجهاد، وركّز على أمراء الجهاد فقال: "إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ"[1].

فعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سَمُرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا"[2]. قال النّووي: (قال العلماءُ: والحكمة في أنَّه لا يولَّى من سأل الولاية أنَّه يوكل إليها ولا تكون معه إعانةٌ، كما صرَّح به في حديث عبد الرَّحمن بنِ سَمُرة السَّابق، وإذا لم تكن معه إعانةٌ لم يكن كفئًا ولا يُولَّى غيرُ الكُفءِ)[3].

وقد يكون المرء له سابقة في السّيرِ إلى الله والجهاد في سبيل الله، وبه من الخير ما الله به عليم، لكنّه لا يصلح للإمارة مع أنّه قد يَظنُّ في نفسه القدرة عليها. فعن أبي ذرٍّ –رضي الله عنه– قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي، ثم قال: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ"[4]. ولكن قد يتعين على بعض أهل الخير إذا رأى دماءً تُزهق، وأموالاً تُسرق، وهو قادر على دفعها، قال الكريم ابن الكريم: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:٥٥].

ثانيًا: الوحدة.

قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} [آل عمران:١٠٣]. قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: (يا أيها الناسُ، عليكم بالطاعةِ والجماعةِ، فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّـذِي أَمَـرَ بِـهِ، وإنَّ مـا تَكْرَهـون في الجماعـةِ والطاعـةِ، هـو خـيرٌ مما تَسْـتَحِبُّون في الفُرْقةِ)[5].

---

[1] رواه مسلم.
[2] رواه مسلم.
[3] شرح مسلم، النووي، (١٢/ص٢٠٨).
[4] رواه مسلم.
[5] رواه الطبري في تفسيره (ج٥/ص٦٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج٣/ص٧٢٣) ورواه الطبراني في الكبير.

ولم لا؛ وقد ثبت عن رسول الله ﷺ كما في المسند أنه قال: "ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ"[١]، وفي رواية: "وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ"[٢]. قال [السعدي][٣] -رحمه الله-: (فمن أخلص أعماله كلّها لله، ونصح في أموره كلّها لعباد الله، ولزم الجماعة بالائتلاف، وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافيًا نقيًا، صار لله وليًّا، ومن كان بخلاف ذلك امتلأ قلبه من كل آفة شر)[٤].

فالأصل الذي يجب أن يكون عليه المسلمون هو الاجتماع لا الفُرقة والاعتصام بحبل الله لا الشّذوذ والاختلاف، وهذا الاجتماع يورث في الدنيا عزّا ونصرًا وتمكينًا، وفي الآخرة بياضاً للوجه ورِفعةً للدرجة. كما ثبت عن ابن عباسٍ في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران:١٠٦]، قال: (تبيّضُّ وجوهُ أهل السنة والجماعة، وتسودُّ وجوهُ أهل البدعة والفرقة)[٥].

وليس مع الفرقة عز ونصر قطُّ، ولو كان أميرنا خير خلق الله في أرضه وأشجعهم. فهذا أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لم يكن يوم خلافته يمشي على ظهر الأرض خير منه، ومع ذلك لمّا اختلفت عليه الأمة وخرج عليه طائفة من البُغاة ثم من الخوارج -أبعدهم الله- لم يستطع قط أن يجهز ولو جيشًا واحدًا لقتال الكفار. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في معرض كلامه عن الأئمة الاثني عشر عند الرّافضة: (فإنّ هؤلاء ليس فيهم من كان له سيفٌ إلا عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ، ومع هذا فلم يَتَمَكَّنْ في خلافته من غزو الْكُفَّارِ، ولا فتحِ مدينةٍ، ولا قتل كافرًا، بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعضٍ، حتَّى طمع فيهم الكفَّار بالشَّرق والشَّام من المشركين وأهل

---

[١] رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه والترمذي والطبراني وغيرهم من طرق مختلفة، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٢] رواه الطبراني والدارمي وأحمد. قال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، وله إسنادان ضعيفان، وفي الإسناد الأول: لم يصرح ابن إسحاق بسماعه من الزهري. وفي الإسناد الثاني، وإن كان صرح بالسماع من شيخه عمرو بن أبي عمرو إلَّا أن في طريقه عبدَ الرحمن بن الحويرث، وهو ضعيف. عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، مختلف فيه، حسن الحديث.

[٣] قال المتحدث ابن القيم، فصحح.

[٤] بهجة قلوب الأبرار، السعدي، (ص٢١٨).

[٥] رواه ابن أبي حاتم في التفسير.

الكتاب، حتَّى يُقال إنَّهم أخذوا بعض بلاد المسلمين)[١]. ومعركةُ الجمل أفجع مثالٍ على نتيجة فرقة الصفِّ واختلاف الكلمة. وعلى العكس من ذلك، لـمّا جاء عامُ الجماعة واجتمعت الأمة على معاوية رضي الله عنه، جيّش الجيوش، وفتح البلاد، وجبى الزكاة، وأعطى المال.

ولا يختلف أحد أن عليًّا أتقىٰ لله وأشجع، وأحكمُ وأعدلُ من معاويةَ –رضي الله عنه–، ولكنّ الخلاف كله شرٌّ. قال النّبي ﷺ كما في صحيح مسلم: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[٢]. وقال: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[٣].

وإنّا بعون الله وحمدِهِ ما دامت قلوبنا مجتمعة على أمير نحسن به الظن وندفع عنه التُّهم والرِّيْب، فوالله لو أتت أمريكا بكلّ جيشها، بل بكلّ رجالها ونسائها لحربنا فإنّا لمنصورون، فخُذوا يا جنود اللهِ علىٰ كلّ من يريد أن يفرّق صفّكم.

ثالثًا: السمع والطاعة والامتثال لأمر الله.

قال الله تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [المائدة:٧]. فعن عبادة –رضي الله عنه– قال: (بَايَعْنَا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)[٤]. وفي رواية: (عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ)[٥]. وقال: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ

---

[١] منهاج السنة، ابن تيمية، (ج٨/ص٢٤١).
[٢] رواه مسلم.
[٣] متفق عليه.
[٤] متفق عليه.
[٥] رواه أحمد وابن حبان والبزار، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

اللهِ"[1]. قال الحافظ في الفتح: (في أحاديث الباب الأمر بالطّاعة لكلّ أميرٍ ولو لم يكن إمامًا)[2]. وقال ﷺ: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ: الْجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[3]. والذي أحب أن أؤكّد عليه هنا هو صدق السّمع والطّاعة وقوّة الامتثال لأوامر الله تعالى في المكرهِ والعسرِ إذِ الطّاعةُ فيما يحبُّ المرء هيّنة بعون الله.

وأكثر ما نحذر منه المعصية في الحرب فقد جرّبنا عاقبتها في غير ما موضع، فكانت دائما سبباً لكثير من الويلاتِ. فهذا رسول الله ﷺ في جيش الصّحابة في أُحدٍ قد حدّد لكلّ طائفة من الجند مكانها، ووضع الرُّماة في مكان به يحمون ظهورهم من أي التفاتٍ للعدو أو تقدم يلوح في الأفق، وقال لهم وبكلّ وضوحٍ: "احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا"[4]. فلم يعِ الرُّماة نصيحة رسول الله ﷺ وكانت النتيجة هزيمة للمسلمين ومقتلةً عظيمة بسبب معصية طائفة من الجيش على الرّغم من نصيحة أميرهم وتحذيره إياهم. فدلّ على أن المعصية العسكرية عاقبتها سريعة، وأي اجتهادٍ من الجند منفرد يخالف اجتهاد الأمير وإن كان ظاهره الحُسن والصّلاح هو خطأٌ كبير وفتح لباب من الشرّ عظيم. فالجندي يتعبّد الله بطاعة أميرهِ ما لم يُؤمر بمعصيةٍ شرعية.

أما الاجتهاد الحركي العسكري فهو حق خالصٌ للأمير لا ينبغي الخروج عنه إلا من واجب النصح، لأن القاعدة تقول: (إنَّ رأي الإمام -أو الأمير-، لا يجوز نقضه برأي آحاد المسلمين فيما ينفرد بالنظر فيه)[5].

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] فتح الباري، ابن حجر، (ج١٣/ص١٢٢).

[3] رواه أحمد والطبراني والترمذي والحاكم، وغيرهم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

[4] رواه أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحداً ولا أبوه. ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها.

[5] هذا نص شمس الدين ابن مفلح في الفروع وتصحيح الفروع، (ج٣/ص١٢١). وانظر: شرح منتهى الإرادات، ابن النجار، (ج٢/ص٤٤٩).

وانظر يا عبد الله إلى نعمةِ السّمع والطّاعة في العُسر والكَرَب، فهذا رسول الله ﷺ ندَب المسلمين المجروحين في أُحُد على ما فيهم من الجراح والآلام لـمّا علم أنّ أبا سفيان يريد أن يعود ليقضي على بقية الجيش الإسلامي، فاستجابوا طاعةً لله ورسوله. قال الله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران:١٧٢].

وهكذا حالهم تماماً عندما رجعوا من غزوة الأحزاب مقبِلين على الرّاحة بعد زوال الغمة، فرحين بنعمة الأمن، لم ينفضوا غبار طولِ الحصارِ بعدُ، وإذ بالأمر يأتيهم بغزوةٍ أخرى وبسرعة: "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"[١]. فاستجابوا لأمر الله ورسولهِ وصدقوا الله ورسولَه فكان النّصر على عدوّهم بصدق السّمعِ والطّاعة وقوّة الامتثال لأمرِ الله. فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– كما في صحيح مسلمٍ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي". ومما يعين على السمع والطاعة للأمير أمورٌ منها:

أولًا: حسن الظن بالأمير.

قال الله تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات:١٢]. فإذا كان حسن الظنّ بعمومِ المسلمين واجبًا فهو في حق الأمير أوجبُ. ولا أضرُّ على الجهاد من سوء الظنّ بالأمير كيف وهو أكذب الحديث. قال ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"[٢].

قال صاحب فيضِ القديرِ: (ومن أساء الظنّ بمن ليس محلاًّ لسوء الظنّ به، دلّ على عدم استقامته في نفسه، كما قيل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه ...)[٣].

ثانيًا: توقير الأمير.

---

[١] رواه البخاري.
[٢] متفق عليه.
[٣] فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، (ج١/ص٣٣٠).

ففي الـمُسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن معاذ قال: (عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ، وَسَلِمَ مِنَ النَّاسِ")[1].

وتعزير الأمير وتوقيره بطاعته ونصرته. وبذِكر محاسنه الخلقية والخلقية والمسارعة إلى امتثال أمره ونهيه ونصحه سراً. نقل الحافظ في الفتح: (وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ المسلمين؛ إعانتهم على ما حَمِلوا القيام به، وتنبيهُهُم عند الغفلة، وسدُّ خلَّتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم)[2].

رابعًا: الصبر والثبات.

قال الله تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠]. ولأن الطريق طويل لا بد له من زاد، ولأنّه مجهدٌ وشاق، وحافلٌ بالعقبات لا بد من الصبر والثبات. ولأنّ الجهاد عبادة فرضها الله علينا، لا بدّ أن نقوم بها مهما اشتدّت المحن أو تسلّل الملل، سواءً انتفش الباطلُ أو قلّ النّصيرُ لا بدّ من المسير.

روى الإمام مالك عن زيد بن أسلم قال: (كتب أبُو عُبيْدة بْنُ الْجرّاحِ إِلى عُمر بْنِ الْخطّابِ، يذْكُرُ لهُ جُمُوعًا مِن الرُّومِ وما يتخوّفُ مِنْهُمْ، فكتب إِليْهِ عُمرُ: أمّا بعْدُ، فإِنّهُ مهْما ينْزِلْ بِعبدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مُنْزلِ شِدّةٍ، يجْعلِ اللهُ بعْدهَا فرجًا، وإِنّهُ لنْ يغْلِب عُسْرٌ يُسْريْنِ، وإنّ الله يقول في كتابه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠])[3].

---

[1] رواه أحمد، وابن حبان والطبراني والحاكم وغيرهم من طريق معاذ بن جبل -رضي الله عنه-. قال الحافظ في المطالب العالية: وفيه عند الجميع ابن لهيعة، وهو ضعيف لكنه يتقوى بشواهده. حسنه الأرنؤوط.

[2] فتح الباري، ابن حجر، (ج١/ص١٣٨).

[3] رواه مالك في الموطأ رواية أبي مصعب.

وقال الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة:٦٨]. قال أبو جعفر الطّبري: (هذا إخبارٌ من الله تعالى ذكرهُ أتباعَ رسوله ﷺ أنّه مُبتليهم ومُمْتحنهم بشدائدِ الأمورِ، ليعلَمَ مَن يَتَّبعُ الرّسولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ)[1]. لكنّ عاقبة الصبر خير، قال الله تعالىٰ: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل:١٢٦]، فاستعينوا بالله وقولوا قولة أسلافِكم المجاهدين: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٥٠]، وقولة الموحّدين المبتلين: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف:١٢٦]، فصاروا بها شهداء بررة بعدما كانوا كفاراً سحرة.

واعلم كما قال الصّادق الأمين خير من بلّغ عن ربّ العالمين: "أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ"[2]. وقال: "وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[3].

والذي أريد أن أركّز عليه وثبت لدينا بالتجربة والأثر أن أثره عظيم: ألا وهو ثبات القيادة وخاصّةً في أرض المعارك وعند لقاء الأعداء. ففي الصحيح؛ سأل رجل البراء –رضي الله عنه–، فقال: يا أبا عمارة أوليتم يوم حنين؟ قال البراءُ وأنا أسمع: أمّا رسولُ اللهِ ﷺ لم يُوَلِّ، كان أبو سفيان بن الحارث آخِذًا بعنان بغلتهِ، فَلَمَّا غشيه المشركون، نزل، فجعل يقول: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب"[4]. وهذا الحديث فيه فوائد عظيمة هي نور على الدرب:

أوّلها: أنّ القيادة كانت في أرض المعركة وموضع المعمعة ولم تكن بعيدةً عن أرض النّزال فلم تخرج من البلد إلى أخرى بحجة أنها رمز من الرموز بذهابها تذهب الدعوة

---
[1] جامع البيان، الطبري، (ج٢/ص٧٠٣).
[2] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
[3] رواه أحمد، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.
[4] متفق عليه.

وأقلّ ما نطلبه من إخواننا أن يبقى أمير الولاية ضمن ولايته، وأمير القاطع ضمن قاطعه، وأمير الكتيبة أو السرية بين جنوده، و أيّما رجل لا يستطيع أن يفعل ذلك لا تحلّ له الإمارة ولو كان أهلا لها. فالأسود لا تصطاد خارج الغابة إلا أن تقتات على كسب غيرها.

الوقفة الثانية: قوله: (آخذ بِعِنَانِ بغلته)، وفيه؛ أنّه لا بد أن يظهر من الأمير الثبات وأن يبدوَ عليه ذلك بلسان الحال، فهذا رسول الله ﷺ في هذا الموضع الخطير كان يركب بغلة بطيئة السّيرِ. قال ابن كثير -رحمه الله-: (وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامّة أنّه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه وهو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري ولا تصلح لكرٍّ ولا لفرٍّ ولا لهربٍ، وهو مع هذا أيضًا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرف صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدّين)[1]. وذكر ابن بطالٍ عن المهلّب قائلاً: (وفيه ركوب البغال في الحرب للإمام ليكون أثبت له ولئلا يظنّ به الاستعداد للفرار والتولية، ومن باب السياسة لنفوس الأتباع؛ لأنه إذا ثبت، ثبت أتباعه، وإذا رئي منه العزم على الثبات عُزم معه عليه)[2]، انتهى. وفي هذا الكلام فائدة: أنه ينبغي على الأمير ألّا يركب مركبةً هي أسرع وأقوى من جنوده -أي مما يركب جنوده- بل يكون في ركوبه كأوسطهم إن لم يكن أقلهم دابة تثبيتاً لقلوب جنوده وبعدا عن الشبهات؛ وخاصّةً إذا كانت الدّابة من أموال الجهاد.

الوقفة الثالثة: تعريفه ﷺ بنفسه بقوله: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِب".
فلما جدّ الجدُّ وأذهلتِ الحرب النفوس حتى أنّ المرءَ ليمرُّ بأخيه فلا يعرفه، من شدّة الحال أو سرعة الهزيمة، كان لا بدّ له ﷺ أن يُعلم جنده ومن له في نفوسهم المحبّة أنّه موجودٌ ولم يفر، ويعلن ذلك على الملأ ضارباً عرض الحائط بكل المحاذير الأمنية و الاحتياطات العسكرية فليس هذا موضعها ولا وقتها، والموقف يُملي التضحية بالنفس والثّبات في الكَرب. وأعجبُ العَجَبِ أنّ بعض أمراء الجهاد إذا جدّ الجدُّ ودَهم العدو

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٤/ص٢٦٨).
[2] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٥/ص٦٩).

منطِقته وبدأ القتل يستعرُ في جنوده، ذهب فاختبأ، ولم يتصل بأحد من جنوده وغير اسمه وربما رسمه بحجة الحفاظ على القيادة الراشدة، وهو مع ذلك قد ضيّع نفسَه وإخوانه. فلو ثبت فيهم وجمع جنده وناجز عدوّه وأظهر جلَداً وثباتاً، لكان فيه النجاة لنفسه وإخوانه بدلاً أن يضيع نفسه ومن أُمِّر عليهم.

الوقفة الرابعة: أن النبي ﷺ كما في صحيح مسلم قال: "أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ"، فقال عَبَّاسٌ: -وكان العباس صيّتا- (فقلت بأعلى صوتي: أين أصحابُ السَّمُرة؟) قال: (فوالله، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حين سمعوا صوتي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فقالوا: يا لبيك يا لبيك). وعند ابن إسحاق: (فجعل الرَّجُلُ يعطف بعيره فلا يقدر، فيقذف درعه ثم يأخذ بسيفه ودرقته ثُمَّ يَؤُمُّ الصَّوْتَ)[1]. وروى الطبري أنّ النّبي ﷺ قال للعبّاس: "نادِ: يا مَعْشَرَ الأنصارِ، ويا مَعْشَرَ الـمُهَاجِرِين". فجعل ينادي الأنصار فخذًا فخذًا. ثمّ قال: "نادِ يا أصحابَ سورةِ البقرةِ"[2]، قال: فجاء النّاس عُنُقاً واحدةً، وفي صحيح مسلم: ثم قصُرت الدّعوة على بني الحارث بن الخزرج، وهنا وقفةٌ مهمّة، وفائدة ربّانيةٌ نبوية عظيمة، وهي فِعل رسول الله ﷺ لـمّا انهزم النّاس وتفرّق الصّف، حتّى إنّه لم يبقَ معه إلّا اثنا عشر، وفي أكثر الرّوايات ثمانون رجلاً، وانهزم فرسان المسلمين وأبطال المعارك الأفذاذ ومنهم خير رجالات القتال سلمةُ بن الأكوع، بل وانهزم خيرُ عبادِ الله أصحابُ بيعة الرّضوانِ وغيرهم.

حينئذٍ لم تيأس القيادة، ولم تقنط ولم تُلق السيف وتفر من أرض النّزال، و حاشاه ﷺ، بل ثبت ﷺ ثمّ بدأ ينادي النّاس بصفاتهم فبدأ بأهل الإيمان الرّاسخين والجنود المخلصين والعباد الرّبانيين أصحاب الشّجرة وبيعة الرِّضوان. ثمّ نادى أهل القرآن وحملة كتاب الله وخاصّة درّة الكتاب فنادى أصحاب سورة البقرة، فلمّا التفّوا حوله بدأ يثير الحميّة العَشرية في نفوس العُصبة المؤمنة؛ فنادى الأنصار فخذاً فخذا، وبأسمائهم، فمن

---

[1] سيرة ابن هشام، (ج٢/ص٤٤٥)، ونقل هذا اللفظ ابن حجر في الفتح، (ج٨/ص٣١).
[2] جامع البيان، الطبري، (ص٣٨٨/ج١١).

حدّثته نفسه بالفرار خشي العار، وهم مع ذلك فيهم ومنهم أصحاب الشجرة وسورة البقرة، فبدأ ﷺ بالخُصوص الخُلّص ثمّ ثنّى بالعُموم.

والوقفة الهامّة، أنّه على الرّغم من إثم الفرار من الزّحف وعِظَم جريمة فاعل ذلك وارتكابه مهلكةً من المهالك التي يُخشى على صاحبها ألّا تدركه توبة، فإنّه لم يُعنّف من فرّ ولم يتخذها عليه مثلمةً ولا مسبّة بل على العكسِ من ذلك، شيّمهم بعشائرهم بعد سبقهم في الجهاد والتوحيد وفي هذا فائدة، أن يلجأ الأمير حال الشدّة أوّل ما يلجأ بعد الله إلى أصحاب السّبق المجاهدين، ويثنّي بأبناء العشائر الطيّبين، وإيّاه ثمّ إيّاه أن يُعيّر أحداً منهم، وكذلك عليه أن يتّصل بكلّ من ترك الجهاد ويذكّره بسبقه وجهاده في سبيل الله و يردّه إلى صفوف إخوانه، فإنّ في تركِهِ تركَهُ للشيطان وحزبه وخسارةً للجهاد وجُنده و لا يقول عاقِلٌ بذلك.

الوقفة الخامسة: مع حقيقة من فرّ يوم حنين، ففي صحيح مسلم، أنّ أمّ سُليمٍ اتّخذت يوم حُنين خنجرًا، ثمّ قالت: يا رسول الله، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ، انْهَزَمُوا بِكَ؟ فقال رسول الله ﷺ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ". وعند البخاري: (وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ والطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا)، قال النووي -رحمه الله- عن الطُلقاء: (وهم الذين أسلموا من أهل مكّة يوم الفتح، سُمُّوا بذلك لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضَعْفٌ، فاعتقدت أُمُّ سُلَيْمٍ أنّهم منافقون وأنّهم استحقُّوا القتل بانهزامهم)[1]. ممّا سبق يتّضح بجلاءٍ أنّ من بدأ بالفرار يوم حُنين كان من الطُلقاء ممّا خلخل صفّ المسلمين وأوقع الفزع في قلوب الشجعان المُخلصين، ففَعَلوا فِعْلهم.

لكنَّ السؤال الذي لأجله وقفتُ هذه الوقفة؛ هل كان رسول الله ﷺ حاشاهُ مُخطئًا حينما اصطحب معه الطُلقاء إلى حُنينٍ وهم حديثو عهدٍ بالإسلام؟ وكان في إسلامهم ضَعْفٌ كما سبق، ولم يُعطهم ﷺ بعد دورةً في التوحيد؟ ويؤكّد حداثة عهدهم بالتوحيد ما صحَّ في سنن الترمذي أنّ رسول الله ﷺ لمّا خرج إلى حُنينٍ مرَّ بشجرةٍ للمشركين

[1] شرح مسلم، النووي، (ج١٢/ص١٨٨).

يُقالُ لها ذاتُ أنواطٍ يعلّقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أَنْوَاطٍ، كما لهم ذاتُ أَنْوَاطٍ، فقال النّبيّ ﷺ: "سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}"[1].

أقول ذلك؛ لأنّ بعض مرضى النّفوس عابوا علينا كثرة من دخل في جيشنا بعد إعلان دولة الإسلام، وكان بعضُهم سبباً في انكسار الإخوة في بعضِ الأماكن، وما أحدثنا شيئاً أكثر من أن تأسّينا برسول الله ﷺ، بل إنّ رسول الله ﷺ لـمّا فتح الله عليه وكفى وأحسن وقسّم الغنائم أعطى الطُلقاء والمهاجرين ولم يُعط الأنصار شيئاً كما في صحيح البخاري[2] وغيره وهم سواد الجيش. قال [ابن حجر][3] -رحمه الله-: (وكان من الحكمة في ذلك أن يَظهر أنَّ الله نصر رسوله لا بكثرة من دخل في دينه من القبائل ولا بانكفاف قومه عن قتاله)[4]. ومع ذلك نبشّر الأمّة والحمد لله أنّه لم يُلقِ السّلاحَ قط أميرٌ دخل معنا بعد إعلان الدّولة، بل هم إلى يومنا هذا أبطال النّزال وفرسان المعارك مثلُهم مثلُ من سبقهم إلى هذا الخير، والحمد لله ربّ العالمين.

خامساً: الإعداد.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال:٦٠]. قال صاحب أضواء البيان: (فهو أمرٌ جازمٌ بإعداد كلّ ما في الاستطاعة من قوّةٍ، ولو بلغت القوّة من التطوّر ما بلغت، فهو أمر جازمٌ بمسايرة التطوّر في الأمور الدُّنيوية)[5]. ومعلومٌ أنّ الجهاد فرضُ عينٍ على كلّ مسلم وخاصّةً في بلاد الرّافدين، وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو

---

[1] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

[2] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، الْتَقَى هَوازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ والطُّلَقاءُ، فَأَدْبَرُوا، قالَ: "يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ". قالُوا: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقالَ: "أَنا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ". فانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقاءَ والْمُهاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصارَ شَيْئًا، فقالُوا، فَدَعاهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ، فَقالَ: "أَما تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاهِ والْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟!" ﷺ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصارُ شِعْبًا، لَاخْتَرْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ".

[3] ذكر المتحدث، ابن القيم، فصحح.

[4] فتح البخاري، ابن حجر، (ج٨/ص٤٩).

[5] أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (ج٣/ص٥١٩).

واجب، قال ﷺ: "ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا"[١]. وقال: "أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"[٢]. قال الصنعاني في شرحه للحديث السّابق: (أفاد الحديث تفسير القوة في الآية بالرّمي بالسّهام لأنّه المعتاد في عصر النّبوة، ويشتمل الرّمي بالبنادق للمشركين والبُغاة)[٣].

وخُلاصة القول؛ أنّ الإعداد للمعركة القائمة مع الأعداء المحتلين و المرتدين واجبٌ على كلّ مسلمٍ وجب عليه الجهاد.

وما سأخصُّ هنا:

أوّلًا: عين ما ذكره أبو جعفرٍ الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: {مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}، قال: (ما أَطَقْتُم أن تعُدُّوه لهم مِن الآلاتِ التي تكونُ قوةً لكم عليهم مِن السلاحِ)[٤]، فصناعة السّلاح هي من أعظم ما يعين على الجهاد في سبيل الله، وهو ما يسمّى اليوم بالصناعة الحربية، وقد ذكر الله هذه الصناعة في غير ما موضع من كتابه، بل ذكر بعض أدقّ تفاصيلها فقال سبحانه: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء:٨٠]، قال الطبري -رحمه الله-: (وعلَّمْنا داودَ صنعةَ لبوسٍ لكم، واللَّبوسُ عندَ العربِ السِّلاحُ كُلُّه؛ دِرْعًا كان أو جَوْشَنًا[٥] أو سَيْفًا أو رُمْحًا)[٦]. وقال ابن كثير: (يعني: صنعة الدروع)[٧]. وذكر ربُّ العزّة صفة الدّروع فقال: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} [سبأ:١١]، أي: دروعاً واسعةً طويلة. {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} جاء في أضواء البيان: (أي اجعل الحِلَقَ و المسامير في نسجِكَ الدّروع بأقدارٍ

---

[١] رواه البخاري.
[٢] رواه مسلم.
[٣] سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، (ج٧/ص٢٧٥).
[٤] جامع البيان، الطبري، (ج١١/ص٢٤٤).
[٥] الجوشن: اسم الحديد الذي يلبس من السلاح. اللسان (ج ش ن).
[٦] جامع البيان، الطبري، (ج١٦/ص٣٢٩).
[٧] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٥/ص٣٤٨).

متناسبة)[١]. وروى ابن كثيرٍ عن قتادة[٢]: (إنّما كانت الدّروع قبله صفائح، وهو أوّل من سردها حلقًا)[٣].

وممّا سبق تعلم العناية الإلهية بصناعة الدّروع حتى ذكر الله أدقّ تفاصيلها وامتنّ بها على عباده فهل أنتم شاكرون؟ وللأسف فإنّ كثيراً من المجاهدين أو أغلبهم لا يهتمّ بها في حربنا لعدوّنا، وفيها فوائد كثيرة أهمّها حفظ نفس المجاهد التي هي أغلى شيءٍ عندنا من طلقات العدو وشظايا قنابله.

ثانيًا: تأمين عدم إصابة المجاهد في مواضِعَ قاتلة تعيقه عن الجهاد أو تجعله يفقد الوعيَ فيبقى في ساحة المعركة بعد إصابته ممّا يعرّضه لأسر الأعداء.

ثالثًا: تُعين المجاهد على الوصول لأقرب مكانٍ من العدو، وخاصة لأبطال الاقتحامات وأسود العمليات الاستشهادية.

وأخيرًا، نحن لسنا أشجع من رسول الله ﷺ فقد كان له درعٌ ومِغْفَر، كما كان له سيف. ففي صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ). وقد ثبت عن النّبي ﷺ فيما رواهُ عنه أحمد في مسنده وأبو داود: (أنّه ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ أَوْ لَبِسَ دِرْعَيْنِ)[٤]. وعن أنس بن مالك كما في الصّحيحين: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ) وهو نوعٌ من الدّروع يكون على قدرِ الرأس، أو الخوذة بمفهوم العصر. وأرشدنا رب العزّة إلى السبائك المعدنية والتي هي الأساس في صنع أي سلاحٍ اليوم، فقال سبحانه في قصّة ذي القرنين: {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} [الكهف:٩٦]، أي: جيئوني بقطع الحديد الكبيرة وانفخوا حتى إذا صار الجميع كالنّار من شدّة توهّجه واحمراره، قَالَ: {آتُونِي

[١] أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (ج٤/ص٨٤٢).
[٢] أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
[٣] المرجع السابق.
[٤] قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} أي: نُحاساً مُذابا، وقد وُجد حديثا أنّ إضافة نسبةٍ من النّحاس إلى الحديد أحسن طريقة لتقسية الحديد وزيادة مقاومته وصلابته.

وعلَّم الله نوحا صناعة السُّفن فقال: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود:٣٧]، روى الطبري عن ابن عبّاسٍ –رضي الله عنهما– أنّه قال: (إنه لم يَعْلَمْ كيف صَنْعَةُ الفُلكِ، فَأَوحَى اللّهُ إليه أن يَصْنَعَها على مِثْلِ جُؤْجُؤ الطائرِ –أي صدره–)[1].

هذا وقد مدح النّبيّ ﷺ الغازين من أمّته على السُّفُن كما في حديث أمّ حرامٍ –رضي الله عنها–، فهل من مشمّرٍ لهذه الصناعة؟ وقال الله تعالى: {فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ} [النحل:٢٦]، ومعلومٌ لدى كلّ من يفهم في المتفجّرات واستعمالها أنّ هذه الآية بحق هي أساس علم الهدم بالمتفجّرات، وحسبُك أنّ الرّسول ﷺ لم يشجّع صناعةً كما صناعة أدوات الحرب، فقال ﷺ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ"[2]، فما بالكم بمن صنّع صاروخاً أو طائرةً أو ابتكر مادّةً متفجّرةً.

ب. الإعداد الإعلامي:

إنّ معارك المجاهدين مع أعدائهم تدور اليوم على محورين هامّين، الأوّل هو المحور العسكري وسبق، والثاني هو محور مجابهة الإعلام الشيطاني الذي مسخ هوية الأمّة وحرّف عقيدتها وقِيَمها وأرسى دعائم التبعية والهزيمة النّفسية، فإنّ حِمم قذائف الإعلام أكثر فتكاً و أشدّ خطراً على الأمّة ورجالها من لهيب حِمم قذائف الطّائرات. ولذا ينبغي على المجاهدين الذين وفّقهم الله لكسر شوكة أعدائهم عسكرياً أن يناضلوا على جبهةٍ أخرى هي جبهة الإعلام. ففي المسند عن أنسٍ –رضي الله عنه– قال: "جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ"[3]، وفيه أيضاً عن كعب بن مالكٍ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ

[1] جامع البيان، الطبري، (ج١٢/ص٣٩٢).

[2] رواه أبو داود، واللفظ له وأحمد والنسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقيُّ من طريق الحاكم.

[3] رواه أحمد، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

النَّبلِ"[١]، وكان رسول الله ﷺ يوظّف أكثر أساليب الإعلام في عصره تأثيرًا وأشدّها وقعاً على نفوس أعدائه ألا وهي الشعر. روى الترمذي[٢] عن أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَعبدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ *** اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ *** وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبلِ". وكما فرح رسول الله ﷺ بإسلام خالد القائد العسكري، فرح بإسلام أحد عمالقة أعلام الشُعراء، ففي المعجم الكبير للطبراني عندما جاء وفد الأنصار في بيعة العقبة قال للعبّاس: "هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ؟"، فلمّا انفتل قال: نَعَمْ هَذَا الْبرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، قال كعب: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "الشَّاعِرُ؟" قال: نَعَمْ[٣]. ولقد حرص رسول الله ﷺ على إعداد شُعرائه إعداداً جيّدا فقال لحسّان: "وآت أبا بكرٍ، يعلّمك مساوئ القوم، فإنّه عالمٌ بالأنساب"[٤]. وفي صحيح البخاري عن عائشة –رضي الله عنها–، استأذن حسّان النّبي ﷺ في هجاء المشركين. قال: "كَيْفَ بِنَسَبِي؟"، قال حسّان: (لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ). وكان ﷺ يعجبه الجيّد من الشعر فقال: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ"[٥].

---

[١] رواه أحمد وعبد الرزاق وابن حبان والطبراني في الكبير. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[٢] قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

[٣] ورواه أحمد وابن حبان وابن هشام في السيرة والطبري في تاريخه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع.

[٤] رواه ظهير الدين البيهقي في لباب الأنساب (ص٦) بهذا اللفظ دون سند، وهو غير أبي بكر البيهقي. ورواه السمعاني في الأنساب (ج١/ص٩) والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص١٦٩) بلفظ: "لَا تَعْجَلْ وَأْتِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي". ورواه مسلم بلفظ: "لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي".

[٥] رواه البخاري.

كما أنّه ﷺ اتّخذ خطيبا ينافح عن الإسلام والمسلمين هو ثابت بن قيس بن شمّاس المبشّر بالجنّة، فلمّا جاءت بنو تميم بخطيبهم وشاعرهم قال النّبيّ ﷺ لثابت بن قيس: "قُمْ فَأَجِبْهُ"، فأجابه، فقام الأقرع بن حابس فقال: (إِنَّ مُحَمَّدًا لَمُؤْتًى لَهُ وَاللَّهِ ما أدري هذا الأمر، تكلّم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً، وَتَكَلَّمَ شاعرنا فكان شاعرهم أشعر، وأحسن قولاً)، ثمّ دنا من النّبيّ ﷺ فقال: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ)[١].

ونستطيع أن نلخِّص بعض أهم أهداف الإعلام الإسلامي في نقاطٍ أهمّها:

أ. الذبّ عن أعراض المسلمين وعقيدتهم، قال الله تعالى مستثنيًا من الشعراء: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} [الشعراء: ٢٢٧]، فعن ابن عبّاس أي يردّون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين. وفي الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: "يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"[٢]، وعند ابن عساكر أنّ رسول الله ﷺ قال: "مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ؟"، فقال ابن كعب: أنا، و قال ابن رواحة: أنا، وقال حسّان: أنا، قال: "نَعَمْ اهْجُهُمْ أَنْتَ وَسَيُعِينُكَ عَلَيْهِمْ روحُ القُدُسِ"[٣]، وقال ﷺ: "إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا يُفَاخِرُ، أَوْ يُنَافِحُ عَنْ ﷺ"[٤].

ب. رفعُ الهمّة لشباب الأمّة وخاصّة المجاهدين، ففي الصّحيح عن سلَمة بن الأكوعِ قال خرجنا مع النّبيّ –عليه السّلام–، إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجلٌ من القوم لعامر بن الأكوع: (أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ –قَالَ:– وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ)[٥].

---

[١] رواه الواحدي في أسباب النزول، (ص٣٩٠)، قال السيوطي في الجامع: رواه الروياني، وابن منده، وأبو نعيم، وقال: غريب تفرد به المعلي بن عبد الرحمن بن الحكيم الواسطي، قال الدارقطني: هو كذاب، ورواه ابن عساكر.

[٢] رواه البخاري.

[٣] الحديث في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (ج٤/ ص١٢٩) ترجمة (حسان بن ثابت) عن جابر بلفظه. وفي مجمع الزوائد كتاب (الأدب) باب: هجاء المشركين: عن جابر مختصرا. مع اختلاف في الألفاظ. وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن. قال السيوطي: رجاله ثقات.

[٤] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

[٥] رواه البخاري.

ج. فضح أكاذيب عقائد وأخلاق الكافرين والمرتدّين وتبصير الأمّة بحقيقة زبالة حضارتهم وزيف بضاعتهم، وكبح جماح تطاولهم على المسلمين وبثّ الرّعب في نفوسهم. روى ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن ابن سيرين قال: (كان شعراءُ المسلمين حَسَّانَ بنَ ثابتٍ، وعبدَ اللّهِ بنَ رَوَاحَةَ، وكعبَ بنَ مالكٍ؛ فكان كعبٌ يُخَوِّفُهم الحربَ، وعبدُ اللّهِ يُعَيِّرُهم بالكفرِ، وكان حَسَّانُ يُقْبِلُ على الأنسابِ)، قال ابن سيرين: (فبَلَغَني أَنَّ دَوْسًا إِنَّما أَسْلَمَتْ فَرَقًا[1] مِن قول كعبِ بن مالكٍ:

قَضَيْنا مِن تِهامَةَ كُلَّ وَتْرٍ[2] *** وخيبرَ ثُمَّ أَغْمَدْنا السُّيُوفا
نُخَيِّرُها ولو نَطَقَتْ لَقَالَتْ *** قَوَاطِعُهنَّ دَوْسًا أو ثَقِيفَا

فقالَتْ دَوْسٌ: انطلِقوا فخُذوا لأنفسِكم لا يَنزِلُ بكم ما نزَل بثقيفٍ)[3].

د. نقل صورةٍ صادقة عن حقيقة المعارك التي تدور رحاها بين أبطال الملّة وأعدائهم، وتوثيق حقائق بطولات شباب الإسلام خوفاً عليها من الضياع أو سرقة تجّار الدّماء.

سادساً: الفاقة لله والتواضع.

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة:٢٥]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (قال ابن جُريج، عن مجاهد: هذه أوّل آية نزلت من سورة برآءة، يذكر الله تعالى فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إيّاهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله ﷺ، وأنّ ذلك من عندهِ تعالى وبتأييده وتقديره لا بعَدَدِهم ولا بِعُدَدِهم، ونبّههم أنّ النّصر من عنده سواءً قلّ الجمعُ أو كثُر، فإنّ يوم حنينٍ أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا، فولّوا مدبرين إلّا القليل منهم مع رسول الله ﷺ)[4].

---

[1] الفرَق بالتحريك: الخوف والفزع. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات ابن الأثير (ج٣/ ص٤٣٨).
[2] والوَتر والوِتر: الظلم في الذَّحْل، والذحل: الثأر، لسان العرب (ج٥/ ص٢٧٤)، (ج١١/ ص٢٥٦) (و ت ر، ذ ح ل).
[3] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (ج٣/ص٢٥٣-٢٥٤).
[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٤/ص٢٦٥).

قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا"[١]، قال ابن القيّم –رحمه الله–: (فإنَّ دوام الفقر إلى الله مع التخليط، خيرٌ من الصّفاءِ مع العُجب)[٢]. وعند مسلمٍ عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"، وهذه الرّفعة في الدّنيا بالنّصر والظَفَرِ والذّكرِ الحسَن، وفي الآخرة بعلوِّ الدّرجة والمقام المحمود).

قال ابن بطّالٍ –رحمه الله–: (قالت عائشة: إنّكم لتغفلون عن أفضل عبادة التواضع)[٣].

قال الطبري –رحمه الله–: (والتواضع من المحن التي امتحن الله بها عباده المؤمنين، لينظر كيف طاعتهم إيّاهُ فيها، ولما علِم تعالى من مصلحة خلقه في ذلك، في عاجل دُنياهم و آجل أخراهم)، إلى قولِه: (ومنه أنّه لما دخل مكّة جعل النّاسُ يقولون: هُوَ هَذَا هُوَ هَذَا، فجعل يحني ظهره على الرّحلِ ويقول: اللهُ أعلى وأجلّ). ثمّ قال: (عن طارق بن شهاب قال لما قدِمَ عمرُ الشام عَرَضَتْ لهُ مخاضة فنزل عن بعيره ونزع خفّيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيرُه، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصكّ في صدره وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنّكم كنتم أذلّ النّاس وأحقر النّاس فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزّ في غيره يذلّكم الله)[٤].

سابعاً: ذكر الله.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال:٤٥]، قال الطبري: ({وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا} . يقولُ: وادْعُوا اللهَ بالنصرِ عليهم، والظَّفَرِ بهم، وأشْعِروا قلوبَكم وألسنتكم ذكرَه، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [...] وعنه عن قتادة قال: افْتَرَضَ اللهُ ذكرَه عندَ أشْغَلِ ما تكونون، عندَ الضِّرابِ بالسيوفِ)[٥].

وللقرطبيّ كلامٌ نفيسٌ في تفسير هذه الآية قائلاً: (للعُلماء في هذا الذّكر ثلاثةُ أقوال؛

الأوّل: اذكروا الله عندَ جزعِ قلوبِكم فإنّ ذكره يُعين على الثبات في الشّدائد.

---

[١] رواه مسلم.

[٢] طريق الهجرتين، ابن القيم، (ج١/ص٣٦٦)، وانظر: (ج١/ص١٠٥).

[٣] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج١٠/ص٢١٣).

[٤] نقل كلام الطبري، ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج١٠/ص٢١٣).

[٥] جامع البيان، الطبري، (ج١١/ص٢١٣).

الثاني: اثبتوا بقلوبكم واذكروه بألسنتكم فإنّ القلب لا يسكُنُ عند اللّقاء ويضطرب اللّسان، فأمر بالذّكر حتى يثبُت القلبُ على اليقين ويثبُتَ اللّسانُ على الذّكر ويقول ما قال أصحابُ طالوت: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٥٠]. و هذه الحالة لا تكون إلَّا عند قوّة المعرفة واتّقاد البصيرة وهي الشجاعة المحمودة في النّاس.

الثّالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسَكم ومثابته لكم).

قلت: ويحتمِلُ هذا جميعا فيذكر الله بلسانه ويشعر قلبه الجرأة ويتذكّر ما وعده الله من النّصر في الدّنيا و الجنانِ في الآخرة. وقال الله تعالى لموسى وهارون: {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه:٤٢]، قال ابن كثيرٍ -رحمه الله-: (والمراد أنّهما لا يفتُران في ذكرِ الله؛ في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عونًا لهما عليه، وقوّةً لهما وسلطانًا كاسرًا له، كما جاء في الحديث: {إنَّ عَبْدي كُلَّ عَبْدي الَّذِي يَذْكُرني وهو مناجزٌ قِرْنهُ}[1])[2].

واعلم أنّ ذكر الله عند القتال يكونُ سرّاً، فقد أخرج الحاكم وصحّحه[3] عن أبي موسى -رضي الله عنه-: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ الصَّوْتَ عِنْدَ الْقِتَالِ).

ثامناً: الدّعاء.

قال الله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} [الفرقان:٧٧]، وقال سبحانه: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر:٦٥]، وقال: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦]، وقال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠]، وقال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة:١٨٦].

[1] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقويّ. وقال البخاري في التاريخ الكبير (ج ٦/ص٤٩٤): لم يصح إسناده.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٥/ص٢٨٩).

[3] قال الحاكم: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحديث هشام الدستوائي شاهده، وهو أولى بالمحفوظ.

وقال ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ"[١]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- كما عند الحاكم وغيرِه: "لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ"[٢]، وقال: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ"[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (النَّصْرُ وَالرِّزْقُ يحصل بأسبابٍ من آكدها دعاء المؤمنين)[٤]. وقال: (لَمَّا قَدَّرَ النَّصْرَ يوم بدرٍ وأخبر النَّبيُّ ﷺ قبل وقوعه أصحابه بالنَّصر وبمصارع القوم، كان من أسبابِ ذلك استغاثة النَّبِيّ ﷺ ودُعاؤه)[٥].

فهذا رسول الله ﷺ لـمّا رأى كثرة عدوّه و قوّته وقلّة أصحابه وضعفهم لجأ إلى من بيده وحده النّصر؛ {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران:١٢٦]. ففي صحيح مسلم عن الفاروق عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- قال: لـمّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمِئةٍ وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيّ الله ﷺ القبلة ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ"[٦]، فما زال يهتف بربّه مادًّا يديه، مستقبلًا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه. وكان يدعو على المشركين عموماً فيقول كما في الصّحيح: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"[٧]. وكان يخصّ ﷺ أعيانهم ورؤساءهم، ففي الصّحيح عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: (اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، فَدَعا على نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ: على شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، والْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشامٍ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لقد رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى، قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ)[٨].

---

[١] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

[٢] قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

[٣] رواه الحاكم وأحمد والترمذي. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. أبو صالح -وهو الخُوزي- لم يرو عنه غير صبيح أبي المليح، فهو في عداد المجهولين، وليس لـه غير هذا الحديث، وهو مختلف فيه، فقد ضعفه ابن معين، وقواه أبو زرعة فقال: لا بأس به! وأما الحافظ ابن حجر فقال في التقريب: لين الحديث.

[٤] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج١١/ص٤٤٢).

[٥] المرجع السابق، (ج١٤/ص١٤٧).

[٦] رواه مسلم.

[٧] رواه البخاري.

[٨] رواه البخاري.

واعلم يا وليّ الله أنّك في موضعٍ من مواضع الإجابة، فعن سهلِ بن سعدٍ السَّاعدي أنّه قال كما في الموطّأ: (ساعتانِ تُفْتحُ فيهما أبْوابُ السّماءِ، وقلّ داعٍ تُردُّ عليْهِ دعْوتُهُ، حضْرةُ النِّداءِ بالصّلاةِ، والصّفُّ فِي سبِيلِ اللّهِ)[١]. فتحرَّ أيها المجاهد أوقات الإجابة كساعة يوم الجمُعة وعند الأذان ونزول المطر وفي الثُلثِ الأخير من اللّيل، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– كما في الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[٢]. وفي روايةٍ: "مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟"[٣]، وإنّي لأرجو من الله أن لا يحرمنا الإجابة خاصّةً وقد ظلمنا القريبُ و البعيد واجتمعت الدّنيا على حربنا، وإليكم بشرى رسول الله ﷺ قائلاً لمُعاذ: "واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بيْنَهُ وَبيْنَ اللَّهِ حِجابٌ"[٤]. وهذا نبيٌّ مظلوم كُذِّب فدعا، فكيف كانت الإجابة؟ قال الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} [القمر:٩-١٣].

ثمّ اعلم أيّها المجاهد أنّ من مسالك النّصر وُجود الضّعفاء في صفوفنا، ودُعاءهم لنا ففي الصّحيح عن ابن عبّاسٍ قال: (أخبرني أبو سُفيان قال: قال لي قيصر: سَأَلْتُكَ: أشرافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أم ضُعفاؤهم؟ فزعمتَ ضُعفاؤهم، وهم أتباع الرُّسُلِ)[٥]. وقال لسعدٍ –رضي الله عنه–: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!"[٦]، فبيّن الحديث: الحثَّ على الاعتناء بالضّعفاء من المجاهدين وغيرهم من النّساء والأطفال والشيوخ، لأنّهم في الغالب أشدُّ إخلاصاً في الدّعاء وأكثر خُشُوعاً وأكثرُ حاجةً وافتقاراً إلى الله.

---

[١] رواه مالك في الموطأ (رواية أبي مصعب)،

[٢] رواه البخاري.

[٣] رواه أحمد. قال الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الوهاب شيخ أحمد.

[٤] رواه البخاري.

[٥] رواه البخاري.

[٦] رواه البخاري.

وفي الختام، أذكّر بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران٢٠٠]، وبقوله: {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣]، وبقوله: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨]، وبقوله: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج:٤٠]، وبقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال:٤٥]، فهذه هي مسالك النّصر في كتاب الله عضُّوا عليها بالنَّواجذ.

وأخيراً، والسَّبب الذي لأجله جاءت هذه الكلمة؛ أنّ العدوّ أعلنَ وإن كان كاذبا، أنَّ عدد قتلاهُ في العراق بلغ أربعة آلاف قتيلٍ، ويجدُر بنا أن نحتفل بهذه المناسبة على طريقتنا الخاصّة ونُشرِك المخذول بوشًا في هذا الاحتفال، فنناشدُ أحبابنا أبطال الدّولة أن تقوم كلُّ مفرزةٍ بتقديم رأس أمريكي هديّةً للدّجّال بوش وبأيّ وسيلة تراها المفرزةُ مناسبةً لها، إضافةً إلى خادمٍ وعبدٍ حقير ومُراسلٍ ذليل من مرتدّي الصحوات في مدّة أقصاها شهر من تاريخ علم المفرزة بها، على أن نهب ثواب هذا العمل إلى من قُتِلوا ظُلماً وعُدواناً من عوامّ المُسلمين في الزنجيلي وبعقوبة ودويليبة وغيرها. قال النّبيّ ﷺ لعمْرو بن العاص: "لو أَقرَّ أَبُوكَ بِالتَّوْحِيدِ، فصُمْتَ عنه أو تَصَدَّقْتَ نَفَعَهُ ذَلِكَ"[١].

ولتكن هذه الغزوة باسم: (غَزْوَةُ البِر)، وإنّا لنرجو من الرّحمن الرّحيم أن يغفر لأهلنا، وخاصّة أولئك الذين لم يكونوا في صفّ المجاهدين، والذين لا شكّ ماتوا على كبيرةٍ عظيمة، وتركوا فرضاً قد تعيّن عليهم، ونسأل الله أن يهدي عُموم المسلمين ويرُدّهم إلى راية الحقّ والدّين، واللهُ غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.

أخوكم

أبو حمزة المهاجر

[١] رواه أحمد، وأبو داود. قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

الدَّوْلَةُ النَّبَوِيَّةُ

١٩ رمضان ١٤٢٩هـ || ١٩ سبتمبر ٢٠٠٨م

الحمد لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، و الكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بُعث بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فلا بد أن يعلم كل موحد أن كل ملل الكفر على اختلاف مشاربها ومناهجها وتضارب مصالحها تدرك جميعًا أن وصول الجهاد في مكانٍ ما إلى مرحلة الحكمِ حكمِ الله في الأرض وإعادة الخلافة الإسلامية أمر خطير دونه خرط القتاد وشلالات الدماء وهي القضية التي أجمعوا أنه لا يمكن السماح بها أو المهادنة فيها فسخروا لذلك كل وسيلة ممكنة ضاربين عرض الحائط كل المبادئ الأخلاقية والمحسنات الجمالية التي طالما دجلوا بها على عباد الله المستضعفين ولأننا وللأسف جيلٌ ولد ونشأ في ظل حكم الذل والخنوع وبعدت عنا كل معاني العزة والكرامة ونسينا مجدنا و تاريخ بنائه كان لا بد لنا أن نعود قليلاً إليه وخاصة إلى ما هو متعلق بمفهوم الدولة النبوية و ظروف نشأتها ولأنه قد انطبع عند كثير منا أن مفهوم الدولة الإسلامية هو نفس مفهوم الدولة الطاغوتية التي رسمها سايكس-بيكو دولة صدام والأسد واللامبارك.

وبعضنا يفهم خطأً أن مفهوم الدولة التي ينبغي قيامها وإعلانها هي دولة الرشيد يخاطب فيها السحابة في السماء ويغرف الذهب كالماء ويرسل الجيوش التي أولها عند عدوه وآخرها في بغداد.

فهيا بنا نتجه إلى المدينة النبوية لنرقب ولو شيئًا يسيرًا من حركة بناء الدولة النبوية، وهل كانت المدينة فحسب ملاذًا آمناً يأوي إليها المستضعفون من المؤمنين أم أنه عهد جديد من التضحية بالنفس والمال، وفصلٌ آخر من فصول الفقر والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات؟ ونريد أن نعرف هل قامت الدولة النبوية أول ما قامت

قويةً راسخة متينة لا تهزها الريح ولا تأخذ فيها الفتن أم أن القلوب بلغت الحناجر وظنَّ الناس بربهم الظنون؟

هل صحت مزارع القوم ونشطت تجارتهم وزاد عدد رجالهم، أم حصد القتل في سبيل الله شبابهم وشيوخهم وتعطلت تجارتهم وبارت مزارعهم؟

هل كانت تلك الدار عذبة الماء طيبة الهواء أم أنها أرض كثيرة الوباء آجلة الماء؟

هل كانت الجيوش النبوية وافرة العدد والعدة، أم كما وصف الله: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران:١٢٣]، في قلة العدد ورثاثة العدة وضيق المعاش؟

وأخيراً، فإن الداعي لهذه التذكرة عن مفهوم الدولة أننا في العراق ومعنا كل موحد نشعر بالفرح والسرور أننا وبعد أيام قليلة ستمر علينا الذكرى الثانية لقيام دولة الإسلام في بلاد الرافدين، سنتان من الصبر والثبات والتضحية والفداء، سنتان وما زالت باقية، نحصد رؤوس المحتل وأعوانه، نغيظ الكافرين ونشفي صدور المؤمنين. سنتان أجرينا بدمائنا سفينتها وبجماجمنا أعلينا بنيانها، سنتان وشباب الإسلام في العراق ثابتين على أمر الله رغم المحن والفتن وقذائف الباطل التي طعنت ظهورهم من أصدقاء الأمس، وقديماً قالوا: (الضربة التي لا تقصم تقوي). فالحمد الله أننا اليوم أكثر ثباتاً ويقيناً بنصر الله وأشد فرحاً وتمسكاً بدولتنا، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:٢٢].

فما هي صفة الدار التي هاجر رسول الله ﷺ إليها وأقام فيها دولة الإسلام الأولى؟

روى الإمام أحمد والشيخان وابن إسحاق عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحُمَّى، وكان واديها يجري نجلاً -يعني ماء آجناً- فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسُقْم وصرف الله ذلك عن نبيِّه).

وفي الموطأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أنه قال: (لما قدمنا المدينة نالنا وباء من وعكها شديد، فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون في سبحتهم قعوداً، فقال رسول الله ﷺ: "صلاةُ الْقاعِدِ مِثْلُ نِصْفِ صلاةِ الْقائِمِ")[١].

وعن عائشة -رضي الله عنها- كما في الصحيح، أن بلالًا لما وَعِكَ كان يقول: (اللهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ)، ثم قال رسول الله ﷺ: "اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ"، قالت: (وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ)، قالت: (فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا، -تَعْنِي: مَاءً آجِنًا-)[٢]. قال ابن بطال -رحمه الله-: (فلما رأى رسول الله ﷺ ما نزل بأصحابه من الحُمَّى والوباء خشي كراهية البلد، لما في النفوس من استثقال ما تكرهه، فدعا الله في رفع الوباء عنهم، وأن يحبب إليهم المدينة كحبهم مكة أو أشد)[٣].

فهذه حمى المدينة ضربت أصحاب رسول الله ﷺ حتى أن عائشة -رضي الله عنها- تقول عن أبيها وبلال: (فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّهُم ليهذُونَ وما يعقلُونَ من شدَّةِ الحمَّى)[٤]، وأن بعض من هاجر إليها نكص على عقبيه ولم يتحمل وباء المدينة، كما ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم: (أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلَامِ، فَاسْتَوْخَمُوا الأَرْضَ، وَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ)، وعند البخاري: (فَاجْتَوَوُا[٥] الْمَدِينَةَ) وعند أحمد: (فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَهْلُ ضَرْعٍ، وَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ رِيفٍ، وَشَكَوْا حُمَّى الْمَدِينَةِ)[٦]. وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله: (أن

---

[١] رواه مالك في الموطأ (رواية أبي مصعب) وأحمد والنسائي ومسلم وأبو داود. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير هلال بن يساف، وأبي يحيى -وهو الأعرج، واسمه مصدع- فمن رجال مسلم.

[٢] رواه البخاري.

[٣] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٤/ص٥٥٨).

[٤] روى الزيادة ابن إسحاق في السيرة.

[٥] فاجتووا: أصابهم الجَوَى، وهو المرض وداء الجَوْف إذا تَطَاوَلَ، وذلك إذا لم يُوَافِقْهُمْ هواؤها واسْتَوْخَمُوها. ويقال: اجْتَوَيْتُ البَلَدَ إذا كَرِهْتَ المُقَامَ فيه، وإن كنت في نعمة. (انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: جوا).

[٦] قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أَعْرَابِيًّا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصاب الْأَعْرَابِيَّ وعكٌ بالمدينة، فأتى الْأَعْرَابِيُّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِلْنِي[١] بَيْعَتِي، فأبى رسول الله ﷺ)[٢].

مما سبق يتبين، أن الأرض التي اختارها الله لهجرة نبيه وإقامة دينه كانت أرضاً شديدة الوباء آجلة الماء حتى أن كبار الصحابة كبلال –رضي الله عنه– استعظم بلاءها ودعا على من كان سببًا في المجيء إليها من الكفار وهو من هو في تحمل البلاء ومع ذلك لم يكن هذا الوباء وذلك البلاء أبدًا ليجيز لأحد أن يترك دار الهجرة ويرتد على عقبيه كما في قصة العكليين والأعرابي السابقتين.

وبقي الصبر على بلاء المدينة من علامات سعادة المرء حتى بعد موت رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد مولى الْمَهْرِيِّ: أَنَّهُ جاء أبا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ليالي الْحَرَّةِ، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة، ولأوائها، فقال: (وَيْحَكَ لاَ آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا").

هذا ولقد كانت حياة الصحابة الكرام في الدولة النبوية حياة خوف ووجل وترقب وحذر دائم وخاصة في مرحلة تأسيسها الأولى وأيام المحن، ففي الصحيح عن أنس –رضي الله عنه– قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المدِينَةِ لَيْلَةً، سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ على فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وهو مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: "لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَجَدْتُهُ بَحْرًا". يَعْنِي الفَرَسَ)[٣]. فدل استنفار الناس لأجل الصوت أنهم كانوا يفزعون ويستنفرون لأدنى خطر ولو كان احتمالياً كصوت صخرة وقعت من قمة جبل وهو ما يشابه اليوم أصوات الانفجارات التي يحدثها العدو –أبعده الله–. وهكذا الأمة إذا كانت

---

[١] أقلني: الإقالة أن يعود المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما، وتكون الإقالة في البيعة والعهد. (انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: قيل).

[٢] متفق عليه.

[٣] رواه البخاري.

في حالة حرب وقرب من العدو وتوقع مداهمة وهجوم في أي لحظة، ينبغي لها أن تتعامل مع الخطر ولا تتجاهله، قال المهلب -رحمه الله-: (ولكن النبي لما رأى الفزع المستولي علم أنه ليس يُكاد لما أخبره الله في قوله: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧])[1]. وهنا فائدة هامة خاصة بالأمير أو الإمام قال ابن بطال -رحمه الله-: (وجملة ذلك أن الإمام ليس له أن يسخو بنفسه؛ لأن في ذلك نظمًا للمسلمين وجمعًا لكلمتهم)[2]. وقد كان النبي ﷺ أول قدومه المدينة يرهق نفسه في حراسة نفسه حذرًا من الأعداء وأخذًا بالأسباب إلى أن نزل قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧]، ففي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- (فلَمَّا قَدِمَ المدِينَةَ قالَ: "لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ". إِذْ سَمِعْنا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقالَ: "مَنْ هَذا؟" فَقالَ: أَنا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئتُ لِأَحْرُسَكَ. وَنامَ النَّبِيُّ ﷺ)[3]. وفي رواية: (حَتَّى سَمِعْنَا غَطِيطَهُ)[4].

وعند النسائي كان رسول الله ﷺ أول ما قدم المدينة يسهر من الليل، فهذا رسول الله ﷺ يتعب من طول الحراسة ولا يجد للنوم طعمًا حتى تمنى أن يأتي من يحرسه ولا يكون ذلك إلا لشدة حذره واحتياطه ﷺ، وقد كان ﷺ نعم الحارس فمع شدة تعبه سمع صوت السلاح في الليل وقام يستكشف الخبر، قال الحافظ في الفتح: (وفي الحديث الأخذُ بالحذر والاحتراس من العدوِّ، وأنَّ على النَّاس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل. وفيه الثَّناء على من تبرَّع بالخير وتسميته صالحًا، وإنَّما عانى النَّبيُّ ﷺ ذلك مع قوَّةِ تَوَكُّلِهِ للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنَّهم كانوا إذا اشتدَّ البأس كان أمام الكلِّ. وأيضًا فَالتَّوَكُّلُ لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأنَّ التوكُّل عمل القلب وهي عمل البدن)[5].

وفي الأحاديث السابقة فوائد أهمها وقفتان:

---

[1] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٥/ص٣٣).
[2] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٥/ص١٣٦).
[3] رواه البخاري.
[4] رواه البخاري.
[5] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص٨٢).

الأولى: في قوله -رضي الله عنه-: (فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة وهو متقلد سيفه)، فالحديث يوضح بجلاء مدى جاهزيته ﷺ للقتال وفي أقل زمن ممكن، وأن سلاحه ﷺ وأدوات قتاله لم تكن في مخبأ بعيد بل كان يحمل سلاحه أو بين يديه، فكان أسرع الناس استجابة للصوت وأكثرهم جاهزية.

ولقد ذهب السادة الشافعية إلى وجوب حمل السلاح وحرمة تنحيته فضلاً عن ضمه إذا كان ثمة خوف من الأعداء، ويتأكد ذلك إذا كان الجهاد فرض عين، قال الله تعالى: {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً} [النساء:١٠٢]. قال ابن كثير -رحمه الله-: (وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية، وهو أحد قولي الشافعي، ويدل عليه قوله: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ} [النساء:١٠٢])[١]، قال القرطبي -رحمه الله-: (وقال أهل الظَّاهِرِ: أخذ السِّلَاحِ في صلاة الخوف واجبٌ لأمر الله به، إلَّا لمن كان به أذًى من مطرٍ، فإذا كان ذلك جاز له وضع سلاحه. قال ابن الْعَرَبِيِّ: إذا صَلَّوْا أخذوا سلاحهم عند الخوف، وبه قال الشَّافِعِيُّ وهو نص القرآن)[٢]. ويتضح من كلام ابن العربي السابق، أن وجوب حمل السلاح محمول على الخوف من العدو عمومًا سواءً أكان في الصلاة أو في غير الصلاة من باب الأولى؛ لأن حمل السلاح في الصلاة لا شك أنه يحدث نوع حركة زائدة وبه كلفة ومشقة ولكن لأجل الاحتراس من العدو وجب ذلك. قال القرطبي -رحمه الله-: (وهذا يَدُلُّ على تأكيد التَّأَهُّبِ والحذر من الْعَدُوِّ في كُلِّ الأحوال وترك الاستسلام، فَإِنَّ الجيش ما جاءه مصابٌ قَطُّ إلَّا من تفريطٍ في حذرٍ، وقال الضحاك: في قوله تعالى: {وَخُذُوا حِذْرَكُمْ}: يعني تقلَّدوا سيوفكم فإن ذلك هيئة الغزاة)[٣].

---

[١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٣/ص٢٠٨).
[٢] جامع أحكام القرآن، القرطبي، (ج٥/ص٣٧١).
[٣] جامع أحكام القرآن، القرطبي، (ج٥/ص٣٧٣).

فاتقوا الله يا أيها المجاهدون، ولا تخبؤوا سلاحكم فإنكم في جهاد هو فرض عين عليكم، والتأهب له في كل لحظة واجب، كما أن وقوع المجاهد في الأسر هو بسبب ترك سلاحه بحجة الدواعي الأمنية، وليحمل المجاهد من السلاح ما يكون خفيف الوزن عظيم الفائدة كحزام من الرمانات اليدوية مع رشاش خفيف.

الوقفة الثانية: وهي قوله ﷺ: "لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ"، وفي الحديث التنبيه على أهمية الحراسة وفضلها، فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ"[١]. وعند الحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ"[٢]. وعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: إِنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا، وَيُصَامُ نَهَارُهَا"[٣]، وقال ﷺ كما عند أحمد: "مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ، لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١]". وفي الصحيح قال ﷺ: "طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"[٤].

فعلى المجاهد إذا نام اثنان فأكثر في مكان، أن يتناوب الرفقاء في الحراسة، إذا نام واحد حرس آخر، فهذه سنة رسول الله ﷺ في الغزو والجهاد، من أجل هذا أرشد

[١] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

[٢] قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يُخرجاه. وقد أوقفَه وكيعُ بن الجرّاح عن ثور، وفي يحيى بن سعيد قُدوة.

[٣] رواه أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم. صححه الحاكم ووافقه الذهبي قال الأرنؤوط: حسن، وهذا إسناد ضعيف، مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما، ثم هو منقطع، فإن مصعب بن ثابت ولد بعد مقتل عثمان بنحو خمسين سنة.

[٤] رواه البخاري.

الإسلام إلى المبادرة إلى النوم بعد العشاء وعدم تضييع الأوقات فيما لا يفيد، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ: (كَانَ يَكْرَهُ الْحَدِيثَ بَعْدَ الْعِشَاءِ)[١]. وروي عن عمر –رضي الله عنه– أنه كان يضرب الناس عن الحديث بعد العشاء، ويقول: (أَسَمَرًا أول الليل، ونومًا آخره؟)[٢]. ولا شك أن الحراسة في سبيل الله هي عين الرباط، فالرباط هو الحراسة في مكان تخاف العدو و تخيفه. قال ﷺ: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ"[٣]. وقال ﷺ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما عَلَيْهَا"[٤]. فلا تتهاون أيها الموحد في حراسة نفسك وإخوانك، فقد علمنا أثر التهاون في الحراسة وما يجره من بلاء ومصائب، فاتقوا الله يا عباد الله و لا تضيعوا سنة رسول الله.

وأما عن الحالة الاقتصادية للدولة النبوية:

فقد كانت تعيش الدولة النبوية الناشئة حالة فقر قاتل لم يستثنِ أحدًا صغيرًا كان أو كبيراً، ففي الصحيح عن أيوب عن محمد قال: (كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَتَمَخَّطَ، فَقَالَ: بَخْ بَخْ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الْكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ)[٥]. فهؤلاء أضياف كرام في مسجد رسول الله ﷺ حيث يراهم جميع الصحابة يخرون صرعى من ألم الجوع وقسوته لا يملك لهم أحد شيئاً، وإذا قال أبو هريرة –رضي الله عنه– كما في الصحيح: (كانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طالِبٍ، كانَ يَنْقَلِبُ بِنا فَيُطْعِمُنا ما كانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنا الْعُكَّةَ لَيْسَ فيها شَيْءٌ، فَنَشُقُّها فَنَلْعَقُ ما فِيها)[٦].

---

[١] لفظ البخاري: (وَكانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ العِشاءَ، الَّتِي تَدْعُونَها العَتَمَةَ، وَكانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَها والْحَدِيثَ بَعْدَها).

[٢] رواه عبد الرزاق في المصنف.

[٣] رواه مسلم.

[٤] رواه البخاري والترمذي وأحمد.

[٥] رواه البخاري.

[٦] رواه البخاري.

ولك أيها المجاهد المغمور بنعمة الله، أن تتصور حالة جوع تستدعي من كريم كجعفر ينقلب بأضياف كرام وليس عنده إلا وعاء جلد به آثار سمن يقطعونه ليلعقوا ما فيه! هذا وقد كان مجيء جعفر إلى المدينة في فتح خيبر، وإسلام أبي هريرة في نفس السنة أي في السنة السابعة من الهجرة النبوية، يعني أن حالة الفقر المؤلمة القاسية هذه كانت تضرب الدولة النبوية بعد سبع سنين من قيامها وبعدما أنعم الله على المسلمين بغنائم خيبر. وعن حالة أضياف الإسلام وجوعهم يخبر الصحابي الجليل كيف أنه كان يقعد لكبار القوم يسألهم عن آية من كتاب الله قائلاً: (مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي)، حتى دعاه رسول الله ﷺ فوجد لبناً في بيته أُهدي إليه فقال: "يَا أَبَا هِرٍّ"، قلت: (لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، قال: "الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي"، قال: (وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أَحَقَّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ)[١] الحديث.

وهذا فارس المسلمين زوج بنت رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب يعمل عند يهودي في تمرات يسد بها ألم الجوع، فعند الترمذي قال: (خَرَجْتُ فِي يَوْمٍ شَاتٍي مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَخَذْتُ إِهَابًا مَعْطُونًا، فَجَوَّبْتُ وَسَطَهُ، فَأَدْخَلْتُهُ عُنُقِي، وَشَدَدْتُ وَسَطِي، فَحَزَمْتُهُ بِخُوصِ النَّخْلِ، وَإِنِّي لَشَدِيدُ الجُوعِ، وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَامٌ، لَطَعِمْتُ مِنْهُ، فَخَرَجْتُ أَلْتَمِسُ شَيْئًا، فَمَرَرْتُ بِيَهُودِيٍّ فِي مَالٍ لَهُ، وَهُوَ يَسْقِي بِبَكَرَةٍ لَهُ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ ثُلْمَةٍ فِي الحَائِطِ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَعْرَابِيُّ؟ هَلْ لَكَ فِي دَلْوٍ بِتَمْرَةٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَافْتَحِ البَابَ، حَتَّى أَدْخُلَ، فَفَتَحَ، فَدَخَلْتُ، فَأَعْطَانِي دَلْوَهُ، فَكُلَّمَا نَزَعْتُ

[١] ذكر مختصرا. رواه البخاري.

دَلْوًا، أَعْطَانِي تَمْرَةً، حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ كَفِّي، أَرْسَلْتُ دَلْوَهُ، وَقُلْتُ: حَسْبِي، فَأَكَلْتُهَا، ثُمَّ جَرَعْتُ مِنَ المَاءِ فَشَرِبْتُ)[١].

وإليك موقف جوع يشق الكبد ألـمًا فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ عاد رجلاً، فقال: "مَا تَشْتَهِي؟"، قال: (أشتهي خبزَ برٍّ)، قال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ خُبْزُ بُرٍّ فَلْيَبْعَثْ إِلَى أَخِيهِ"[٢]، الحديث.

ولكن أن يكون الجوع يفترس الصِّبية فهذا والله شديد؛ فعند أبي داود، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه دخل على فاطمة وحسن وحسين يبكيان، فقال: (مَا يُبْكِيهِمَا؟)، قالت: (الْجُوعُ)[٣].

وعند الترمذي عن رافع بن عمرو قال: (كنت أرمي نخل الأنصار، فأخذوني، فذهبوا بي إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: "يَا رَافِعُ، لِمَ تَرْمِي نَخْلَهُمْ؟"، قال قلت: يا رسول الله، الجوع)[٤].

ولم يكن حال لباسهم وما يستر عوراتهم بأحسن من حال طعامهم، ففي الصحيح أَنَّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصَّلاةِ فِي ثَوْبٍ واحِدٍ، فقال ﷺ: "أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبانِ؟"[٥]. ولقد كان هذا الثوب في أحيان كثيرة قصيراً ضيقاً لا يكاد يستر عورة الصحابي في صلاته وفي مسجد رسول الله ﷺ، فعن سهل بن سعد قال: (كَانَ رِجَالٌ يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عاقِدِي أُزْرِهِمْ على أَعْناقِهِمْ، كَهَيْئَةِ الصِّبْيانِ، وَيُقالُ لِلنِّساءِ: "لا تَرْفَعْنَ رُؤُوسَكُنَّ حَتَّى يَسْتَوِيَ الرِّجالُ جُلُوسًا")[٦].

---

[١] قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ.

[٢] رواه ابن ماجه. صحَّحه الضِّياء في المختارة، وحسَّن إسناده ابن مُفلح في الآداب الشَّرعيَّة، والبوصيريُّ في المصباح، لكن فيه صفوان بن هُبيرة، قال العقيليُّ في الضُّعفاء: لا يُتابع على حديثه، ولا يُعرف إلَّا به؛ ولذا حكم بنكارَته أبو حاتم كما في العِلل لابنه، والذَّهبيُّ في الميزان، وأشار ابن حجر في نتائج الأفكار إلى لينه.

[٣] قال الأرنؤوط: حسن بالسياقة السالفة قبله. وهذا إسناده ضعيف لضعف موسى بن يعقوب الزمعي. ابن أبي فديك: هو محمد بن إسماعيل الديلي مولاهم، وأبو حازم: هو سلمة بن دينار.

[٤] قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

[٥] متفق عليه.

[٦] رواه البخاري.

قال ابن بطال -رحمه الله-: (قال الطحاوي: إن الذين كانوا يعقدون أزرهم على أعناقهم لم يكن لهم غيرها والله أعلم؛ إذ لو كان لهم غيرها للبسوها في الصلاة، وما احتيج أن ينهى النساء عن رفع رؤوسهن حتى يستوي الرجال جلوسًا، وتختلف أحكامهم في الصلاة، وذلك مخالف لقوله ﷺ في الإمام: "فَلا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ"[١]، ولقوله: "فَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا"[٢]، ألا ترى أن عمرو بن سلمة حين كان يصلي بقومه، وتنكشف عورته، لم تكن له غير تلك الجبة القصيرة، فلما اشتريت له جبة سابغة تستره في الصلاة، قال: «فَما فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بها»[٣]، [...] إنما نهى النساء عن رفع رؤوسهن خشية أن يلمحن شيئًا من عورات الرجال عند الرفع من السجود)[٤].

فهل بعد هذا الفقر من فقر؟ فقد يصبر المرء على ألم الجوع ولكن أن لا يجد ما يستر عورته فهذا مؤلم وقاسٍ، وأن يرى النبي ﷺ وصحابته الكرام هذه الحالة ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً فلا شك أن الأمر شديد، ومما يدمع عين الموحد أن حالة الفقر هذه لم تستثنِ رسول الله ﷺ خير خلق الله وأكرمهم وأشرفهم، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: (جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، وَقَدْ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، قَالَ أُسَامَةُ: وَأَنَا أَشُكُّ، عَلَى حَجَرٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لِمَ عَصَّبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ). وفي رواية: (رَأَى أَبُو طَلْحَةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ، يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فَأَتَى أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ، يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَأَظُنُّهُ جَائِعًا)[٥]. قال أنس: (فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ، وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ، قَلَّ عَنْهُمْ)[٦]، الحديث.

---

[١] رواه البخاري.
[٢] متفق عليه.
[٣] رواه البخاري.
[٤] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٢/ص٢٣-٢٤).
[٥] رواه مسلم.
[٦] تكملة للحديث قبل السابق.

فتأمل أيها المشتكي من قلة الحال وضيق العيش، كيف أن نبيك ﷺ أصابه جَهد الجوع حتى عُرف ذلك من وجهه بل و يتقلب ظهراً لبطن من شدة الجوع وفي رهط من الصحابة يسألهم أنس ما به فيجيبون الجوع ولا أحد يملك له ﷺ شيئاً، وحينما وُجِد كان كسيرات من خبز لا تصلح لضيف كريم كرسول الله ﷺ، وقد كان ﷺ يطوي الليالي دون أن يَطعم شيئاً صلوات ربي وسلامه عليه. فعن ابن عباس -رضي الله عنه-: (كَانَ رسول الله ﷺ يَبيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعِيرِ)[1]، نعم وأهله يا من تتمردن على أزواجكن طلباً للسعة وخاصة المجاهدين في سبيل الله، فهؤلاء نسوة رسول الله ﷺ وبنات الأكرمين يَجهدهم الجوع، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا أَشْبَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا)، بل أنه ﷺ لم يُشبع أهله خبزَ الشعير وبنخالته كما في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنيا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنَ الْخُبْزِ الشَّعِيرِ)[2].

ومما يدمي القلب ولا طاقة للنفس بتصوره أن تعرف أن نبيك ﷺ أرهقه الجوع حتى اضطر إلى أن يجيب دعوة يهودي في طعام قبيح بل ويرهن درعه عنده كي يأخذ شعيراً يصنعه طعاماً لأهله؛ ففي الصحيح عن أنس -رضي الله عنه- قال: (مَشَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رُهِنَ لَهُ دِرْعٌ مَعَ يَهُودِيٍّ بِعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَخَذَهُ لأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ، يَقُولُ: "ما أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صاعُ بُرٍّ، وَلا صاعُ حَبٍّ"، وَإِنَّ عِندَهُ يَوْمَئِذٍ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ)[3]. قال الحافظ في الفتح في سرد قوله ﷺ: "مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صاعُ تَمْرٍ، وَلَا صَاعُ حَبٍّ": (إنه لم يقله مُتَضَجِّرًا ولا شاكيًا -معاذ الله من ذلك- وإنَّما قاله معتذرًا عن إجابته دعوة اليهوديّ ولرهنه عنده درعه)[4]. نعم أجابَ رسولُ الله ﷺ دعوةَ يهوديّ من جوعٍ على خبز شعير وشحمٍ

---

[1] رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

[2] رواه البخاري.

[3] رواه الترمذي وهذا لفظه وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ورواه مطولًا ومختصرًا البخاري، وابن ماجه، والنسائي.

[4] فتح الباري، ابن حجر، (ج٥/ص١٤١).

تغيرت رائحته، بل وألجأته الحاجةُ أن يرهن أعظم ما عند المسلم شيئًا من سلاحه، وعند يهودي، والذي في أحسن أحواله أمواله مختلطة حلالٌ بحرام، قال الله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة:٤٢]، ولو وَجد رسولُ الله ﷺ عند أحدٍ من المسلمين ما يستقرضه منه حتماً لفعل، قال الحافظ: (قال العلماء: والحكمة في عُدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصَّحَابَةِ إلى معاملة اليهودي إمَّا لبيان الجواز، أو لأنَّهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعامٌ فاضلٌ عن حاجة غيرهم، أو خشي أنَّهم لا يأخذون منه ثمنًا أو عِوَضًا فلم يرد التَّضييق عليهم)[١]. قلتُ: محال أن يرهن رسول الله ﷺ سلاحه عند عدوه وإن كان معاهداً إلا لحاجة شديدة لا يمكن دفعها من غير هذا الوجه والله تعالى أعلم. وحسبُك أن تعلم أنه ﷺ كما في الصحيح: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَخَذَهُ طَعَامًا لِأَهْلِهِ)[٢]، وفي رواية: (أَخَذَهَا رِزْقًا لِعِيَالِهِ)[٣]، وعند أحمد: (مَا وَجَدَ مَا يَفْتَكُّهَا حَتَّى مَاتَ)[٤].

هذه حالةُ الدولة النبوية من أول نشأتها إلى وفاته ﷺ، جوعٌ أصاب الجميع إلى حدٍّ لا يستطيع من لا يعرف الجوع أن يُدرك خطره، ومع ذلك ما سمعنا قط مسلماً ولا حتى منافقاً يطعن في دولته ﷺ قائلاً إنه ﷺ كان لا يجد ما يطعم نفسه وأصحابه فكيف يحاصر نفسه ويقيم دولة لا تمتلك مقومات الدولة بل أبسط مقومات الدولة، الطعام والشراب.

وأما عن مجال الإعداد العسكري فكيف كانت حالة الجيوش النبوية؟

هل كانت تعاني هذه الشدة نفسها أم كان للمجهود العسكري فضل على باقي الحياة المدنية؟ ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه قال: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ السَّاحِلِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَهُمْ ثَلَاثُ مِئةٍ وَأَنَا

---

[١] فتح الباري، ابن حجر، (ج٥/ص١٤١-١٤٢).

[٢] رواه البخاري دون الزيادة: (أَخَذَهُ طَعَامًا لِأَهْلِهِ)، وهذه الزيادة عند أحمد في المسند. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة.

[٣] رواه أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[٤] قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد منقطع، فإن الأعمش -وهو سليمان بن مهران- لم يسمع من أنس، وإنما رآه رؤية.

فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إذا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الْجَيْشِ فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَكَانَ مِزْوَدَيْ تَمْرٍ، فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنِيَ، فَلَمْ يَكُنْ يُصِيبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ. فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي تَمْرَةٌ؟! فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنِيَتْ)، وفي رواية: (خَرَجْنا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ نَحْمِلُ زَادَنا على رِقَابِنا)[١]، وعند مسلم: (وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا، كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ، فَنَأْكُلُهُ)، وعند البخاري: (فَأَصابنا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنا الْخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ: جَيْشَ الْخَبَطِ).

وللحديث فوائد كثيرة، لكن الذي يتحمله المقام ثلاث وقفات:

الأولى: هي قوله -رضي الله عنه-: (زَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ)، وقوله: (نَحْمِلُ زَادَنا على رِقَابِنَا، فَفَنِيَ زَادُنَا). فهذا رسول الله ﷺ أرحم الخلق بالخلق وأحرصهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم الأذى وأعلم الناس بالقتال يرسلُ جيشاً في حر الصحراء وقسوتها يحملون أزوادهم على رقابهم ليس معهم من الطعام ما يبلغهم هدفهم، يقاتلون عدواً متحفزاً، ولا شك أنه ﷺ كان يعلم مُدة الغزوة و وعورة الطريق وما يحتاجه الجندي من الزاد وكم يكفيه من ذلك وما حدُّ الكفاية منه سواء بعلمه ﷺ أو بسؤال أهل الخبرة من أصحابه وخاصة أمير الغزوة، وعلمنا ذلك من قوله -رضي الله عنه-: (وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ).

والسؤال: هل يجوز أن يُرسل جيش حالته مثل ما مرَّ؟ وهل تطعن حالة كهذه في الدولة الإسلامية وقوتها العسكرية؟

نقول: إن رسول الله ﷺ استفرغ الوسع في تحصيل السبب، واجتهد في طلب ما يبلغهم الهدف، ثم توكل على من بيده خزائن السماوات والأرض ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

---

[١] رواه البخاري.

فتعذر تتمة الأسباب ليست عذراً ولا مانعاً من طلب العدو، قال ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا"[١]. وفي الحديث ما كان عليه رسول الله ﷺ من الحرص على الجهاد في سبيل الله و طلب العدو وخاصة في أوقات ضعفه، وأن فعله ﷺ ليس تضييعاً للجند –حاشاه– ولا إلقاء بالنفس إلى التهلكة كما يزعم بعضهم اليوم أنه كلما خرج لعملية ليس فيها الأسباب مكتملة مستحكمة ادعى أنها التهلكة بعينها.

وأنه في فعله هذا ﷺ فائدة ربانية نبوية عظيمة الشأن جليلة القدر يعلم أثرها وأهميتها من مارس الجهاد عبادة: أن الأمور لا تسير إلا باستفراغ الوُسع في طلب السبب، فإن ترك المجاهد السبب أو قصَّر في الأخذ به كان نصيبه وحظه الخذلانَ وفوات المطلوب، ومن اجتهد في طلب السبب ولم يدع لذلك حيلة ممكنة ثم توكل على الله كان نصيبه السعادة في الدنيا والآخرة، {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣]، قال الله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم:٢٥]، فلو تركت الأمرَ قائلةً: ما يُجدي فعل امرأة ضعيفة مع جذع نخلة؟ حتماً ما سقط الثمر.

كذلك لو امتنع الصحابة أو أحدهم من أكل التمرة قائلاً: ما عساها تفعل؟ ما كان ليعيش وحتماً مات في طريقه، قال المهلب –رحمه الله تعالى–: (هذه التمرة إنما كانت تُغني عنهم ببركة النبي وبركة الجهاد معه، و إنما بارك الله لهم في التمرة حتى وجد لها مسدًا من الجوع؛ لئلا لا تخرق العادة عن رتبتها، ولا تخرج الأمور عن معهودها المتسق في حكمته مع أنه قدير أن يخلق لهم طعامًا ويجعل لهم من الحجارة خبزًا)[٢]. وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من السمع والطاعة في العسر واليسر وحسن الظن والزهد في حطام الدنيا، فخرجوا يحملون أزوادهم على رقابهم. كما فيهم مقدار ما أنعم الله عليهم من جميل الصبر وخشونة العيش التي عودوا أنفسهم عليها فمكنتهم من تجاوز المحن والصبر على المصائب والفتن.

---

[١] رواه أحمد وابن ماجه والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٢] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٥/ص١٤٦).

وفيه حرصهم –رضي الله عنهم– على الجهاد في سبيل الله وطلب أموال الكفار أينما وُجدوا ولو قصروا عن ذلك السبب وتكالبت عليهم المخاطر وأطبق عليهم الخوف والجوع، فقد يقول قائل إن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم أن الأمور مع الجيش ستؤول إلى هذا الحد! قلت: اختلف أهل العلم في هذه الغزوة بعينها فمنهم من ذكر أنه ﷺ كان معهم، ولكن الراجح أنه أرسلهم ومثلما حدث في غزوة الخبط حدث في غزوة ذات الرقاع وأشد مع رسول الله ﷺ، فعن أبي موسى –رضي الله عنه– قال: (خَرَجْنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدامُنا، وَنَقِبَتْ قَدَمايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ على أَرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاعِ؛ لِما كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ على أَرْجُلِنا)[1].

والشيء الهام جداً في هذه الفائدة: أن ما أصاب الرسول ﷺ وأصحابه من جَهدِ الجوع وتقطُّع الأعضاء إنما كان في جهاد الطلب فقد خرجوا يطلبون أموال الكفار، فكيف يا عباد الله بجهاد الدفع؟ الدفع عن الدين والأنفس والأعراض، وقد ذكر أهل العلم أنه لا يشترط له شرط كما لا تنفع معه أعذار واهية أو حجج كاذبة والله يهدي الجميع إلى ما يحب ويرضى.

الوقفة الثانية: هو قوله –رضي الله عنه–: (فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر)، أي: أن أمير الجيش أبا عبيدة –رضي الله عنه– جمع أزواد الناس الخاصة وأشرك الجميع في القسمة مع أنه يجوز يكون بعضهم أكثر زاداً من بعض والحاجة إليه شديدة والتمسك بماله قد يكون سببًا في نجاته. نقل ابن بطال عن المهلب –رحمه الله– قوله: (فللسلطان أن يأمر الناس بالمواساة ويجبرهم على ذلك، ويشركهم في ما بقي من أزوادهم إحياءً لأرماقهم وإبقاءً لنفوسهم، وفيه أن للإمام أن يواسي بين الناس في الأقوات في الحضر بثمن وبغير ثمن، كما له فعل ذلك في السفر)[2].

---

[1] رواه البخاري.

[2] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٧/ص٧).

وإنما فعل أبو عبيدة هذا متأسيًا بفعل رسول الله ﷺ، فعن سلمة -رضي الله عنه- قال: (خَفَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ وَأَمْلَقُوا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ، -وفي الحديث- فقال رسول الله ﷺ: "نَادِ فِي النَّاسِ، فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ"، بُسِطَ لذلك نِطَعٌ وَجَعَلُوهُ على النِّطَعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا وَبَرَّكَ عَلَيْهِ)[١]، وعن سويد بن النعمان: (أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عامَ خَيْبَرَ، حَتَّى إذا كانُوا بِالصَّهْباءِ، وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعا بِالأَزْوادِ، فَلَمْ يُؤْتَ إِلَّا بِالسَّوِيقِ، فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ)[٢]، الحديث.

ففي الأحاديث السابقة ما أكدناه عن حالة الجيش النبوي وضعف تمويله، وفيه أنهم استحبوا للإمام أن يُطيب خاطر الناس ولو بالكلمة الطيبة حتى يُعطوا ما بأيديهم عن طيب نفس في أوقات الشدة أو يعدهم بثمنه حال اليسر وإلا فله أن يجبرهم على ذلك إذا كانت ضرورة كما سبق في كلام المهلب -رحمه الله-، وخاصة أن حديث جابر والحديثين السابقين ليس فيهما إلا الأمر بالفعل ولا أثر للكلام عن الثمن. هذا وقد مدح النبي ﷺ هذا الفعل في الحضر والسفر فقال ﷺ كما في الصحيحين: "إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ".

مما سبق يتضح جرم من دنت نفسه وخبثت طبيعته فعمد إلى مال الله وأخذ منه وعنده فضلُ زادٍ خاص به في وقت حاجةٍ ألـمَّت بإخوانه وأُسَرهم وخاصة الأسرى والشهداء، فلا هو جادَ بماله واقتسمه مع أهل العوز من إخوانه ولا ترك لهم ما يسد رمقهم فاحتال لذلك بكل حيلة، كل ذلك تحت تأثير ضعف اليقين وأنه يريد أن يترك رزقاً لعياله من بعده ولا يتعرضون لمآسٍ وجدها عند غيرهم، ألا تعست النفس الدنيئة! فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى دَخَلَ بَعْضَ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَ يَلْتَقِطُ مِنَ التَّمْرِ وَيَأْكُلُ فَقَالَ لِي: "يَا ابْنَ عُمَرَ مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ؟" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَشْتَهِيهِ. قَالَ: "لَكِنِّي أَشْتَهِيهِ وَهَذِهِ صُبْحُ رَابِعَةٍ لَمْ أَذُقْ طَعَامًا وَلَمْ

---

[١] رواه البخاري،

[٢] رواه البخاري،

أَجِدْهُ وَلَوْ شِئْتُ لَدَعَوْتُ رَبِّي فَأَعْطَانِي مِثْلَ مُلْكِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فَكَيْفَ بِكَ يَا ابْنَ عُمَرَ إِذَا بَقِيتَ فِي قَوْمٍ يُخَبِّئُونَ رِزْقَ سَنَتِهِمْ وَبِضَعْفِ الْيَقِينِ")[1].

الوقفة الثالثة: عن سبب الغزوة -وإن جاء الكلام متأخرًا عمدًا- وهي في قوله رضي الله عنه: (نتلقّى عيرًا لقريشٍ)، والعير: هي الإبل التي تحمل الطعام وغيرها، قال ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي"، قال السعدي -رحمه الله-: (وذلك لكرامته على ربه، وكرامة أمته وفضلهم، وكمال إخلاصهم، فأحلها لهم، ولم ينقص من أجر جهادهم شيئًا)[2].

والمتتبع لسرايا النبي ﷺ وغزواته قبل بدر يتعجب أن جميع السرايا والغزوات قبل بدر كانت لطلب العير، فالغنيمة من أموال الكفار هي أشرف الكسب على الإطلاق وأطيبها وقد جعلها الله مصدر قوت نبينا وآل بيته فقال ﷺ: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي"، والحديث رواه الإمام أحمد[3] واستشهد به البخاري رحمه الله.

ولقد حرم الله الصدقة والزكاة على رسول الله ﷺ، لأنها طعام الضعفاء والمساكين وهي أوساخ الناس، فاقتضى مقام النبوة أن يكون كسبه ﷺ وقوت عياله من كسب أولي العزم الأقوياء أرباب السيف والسلاح من الفيء والغنيمة قال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ

---

[1] رواه عبد بن حميد في المنتخب، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (ج٤/ ص٢٣٣)، وابن أبي حاتم (ج٩/ ص٣٠٧٨ - ٣٠٧٩). قال القرطبي في تفسيره (ج١٣/ ص٣٦٠): وهذا ضعيف، يضعفه أنّه -عليه السلام- كان يدخر لأهله قوت سنتهم. وقال ابن كثير في تفسيره (ج٦/ ص٢٩٣): حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (ج٧/ ص٤٦١): رواه عبد بن حميد، وأبو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب، بسند فيه راوٍ لم يُسَمَّ. قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر، قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، والجراح بن منهال ضعيف.

[2] بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعدي، (ص٧٣).

[3] قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه. ابن ثوبان اختلفت فيه أقوالُ المجرحين والمعدلين، فمنهم من قوى أمره، ومنهم من ضعفه، وقد تغير بأخرة، وخلاصة القول فيه أنه حسنُ الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكرة، وهذا منها.

اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الحشر:٧]، فرسول الله ﷺ لم يكن فلاحًا ولا حدادًا ولا نجارًا وإنما كان مجاهداً في سبيل الله تعالى يأكل من كسب سيفه قائلًا: "وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي"[1]، قال الحافظ في الفتح: (وفي الحديث إشارةٌ إلى فضل الرّمح، وإلى حِلِّ الغنائم لهذه الأمَّة، وإلى أنَّ رزق النَّبِيِّ ﷺ جُعل فيها لا في غيرها من المكاسب، ولهذا قال بعض العلماء: إنَّها أفضل المكاسب)[2]، وقال القرطبي -رحمه الله تعالى-: (والأسباب التي يُطْلَبُ فيها الرِّزْقُ سِتَّةُ أَنْوَاعٍ: أعلاها كَسْبُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ قال: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على مَنْ خَالَفَ أَمْرِي"، خرجه الترمذي وصححه[3]. فجعل الله رزق نَبِيِّهِ ﷺ في كسبه لفضله، وَخَصَّهُ بأفضل أنواع الكسب)[4]، ولقد حضَّ الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين المجاهدين على الكسب من الغنيمة وأنها أحل الحلال فقال سبحانه: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال:٦٩]، وقال: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} [الفتح:٢٠]، وقال: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً} [الأحزاب:٢٧].

ولذا كان ﷺ يخرج بنفسه في طلب العير -أي الغنيمة- ويخرج معه أكابر الصحابة الأغنياء منهم والفقراء، وليس أدل على عظم هذا الشرف -أي طلب أموال الكفار- أن جعل الله أهل بدر أعظم أهل الإسلام أجراً وهم في الأصل خرجوا طلباً لعير المشركين، قال الله تعالى: {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} [الأنفال:٧]، قال ﷺ في شأن عير أبي سفيان كما في صحيح مسلم: "إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"، وعن كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال: (وَلَمْ يُعَاتِبِ النَّبِيُّ ﷺ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، إِنَّمَا خَرَجَ يُرِيدُ الْعِيرَ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مُغَوِّثِينَ لِعِيرِهِمْ، فَالْتَقَوْا عَنْ غَيْرِ

---

[1] رواه البخاري.
[2] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص٩٨).
[3] الصواب أنه رواه البخاري.
[4] جامع أحكام القرآن، القرطبي، (ج٨/ص١٠٨).

مَوْعِدٍ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَعَمْرِي، إِنَّ أَشْرَفَ مَشَاهِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ لَبَدْرٌ)[١].

فهل يقول مجاهد موحد بعد ذلك إنه لا يريد أن يُقتَل في طلب الغنيمة بعد أن علم أن نبيه وكبار الصحابة كانوا يريدون ذلك وأن المنافقين هم الذين كانوا يحرصون على الغنائم التي لا قتال فيها؟ قال الله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} [الفتح:١٥]، قال السعدي -رحمه الله-: (لما ذكر تعالى المخلفين وذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن الرسول ﷺ وأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منه الصحبة)[٢]. قال ﷺ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[٣]، وقال ﷺ -كما في الصحيحين-: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ". فالأجر و المغنم بدلٌ عن الخير أي الأجر في الآخرة والمغنم في الدنيا، فأسرع أيها المجاهد إلى أطيب الكسب. قال الخطابي -رحمه الله-: ([وأما] المال الَّذي يكتسب بالخيل -أي بالجهاد- من خير وجوه الأموال وأطيبها)[٤].

وفائدة أخرى هامة من الناحية العسكرية، أن تعلم أن الجيوش تزحف على بطنها فطلب أموال المشركين وقطع طرق إمدادهم هو إضعاف لقوتهم وحصار لقواعدهم، فلا يمكن لأي قوة كانت أن تؤمن كل ما يحتاجه جيشها بالجو؛ فعلى الرغم من ضخامة الأسطول الجوي الأمريكي وامتلاكه الطائرات العملاقة إلا أنه يعتمد على الطرق البرية في ٧٠% مما يحتاجه! ولقد أمرنا الله تعالى بحصار قواعد الكافرين وحثنا على الكمائن كأحسن أسلوب لقطع طرق إمدادهم وقال: {وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}

---

[١] رواه البخاري من طريق هشام والنسائي من طريق ابن جرير مختصرًا، ورواه أحمد واللفظ له والترمذي وابن ماجه وغيرهم. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن أبا سفيان من رجال مسلم.

[٢] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٧٩٣).

[٣] رواه البخاري.

[٤] نقله ابن حجر في فتح الباري، (ج٦/ص٥٦).

[التوبة:٥]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع)[١]، وقال الله تعالى: {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} [النساء:١٠٤]، قال ابن كثير: (لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد)[٢].

وليكن لكم أيها المجاهدون الموحدون في جدكم أبي بصير -رضي الله عنه- أسوة حسنة؛ فقد رده النبي ﷺ إلى المشركين للصلح الذي كان عقد بينهم، فلم تهن قوته ولم يقنط على قيادته بل فكر كيف يخرج من فتنته ولم ينتظر كيف ضياع فرصته فرصة طول الطريق وقلة العدد فاحتال حتى قتل من خرج فرحاً مزهواً بأسره، وجاء مرة أخرى إلى رسول الله ﷺ فنظر إليه قائلاً: "مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ -أو- مَعَهُ رِجَالٌ"[٣]، فمدحه ووصفه بالإقدام في الحرب وأنه من رجالها، كما قال الخطابي رحمه الله[٤]. وعَرَّضَ للرجال المستضعفين أولي العزم أمثاله أن يلحقوا به، فخرج رضي الله عنه وحيداً شريداً طريدًا حيث لا أصحاب ولا أرض بهمة الرجال التي تقام بهم الدول، وبدأ في بناء قاعدة عسكرية بعيدة عن المدينة على ساحل البحر سرعان ما زاد عدد رجالها، ففي الصحيح: (وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ ما يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إلى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ: لَمَّا أَرْسَلَ: فَمَنْ أَتَاهُ فهو آمِنٌ. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح:٢٤]، حَتَّى بَلَغَ: {الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح:٢٦])[٥]، فانظر كيف استطاعت عصبة من أولي العزم أصحاب الهمم، أن تكسر جبروت قريش وتجعلها تتوسل في رد شرط كانت تظنه ويظنه المسلمون أنه مذلة ودنية في الدين، وحسبك أن

[١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٤/ص٢٥٣).
[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٣/ص٢٠٩).
[٣] رواه البخاري وأبو داود وغيرهما.
[٤] أعلام الحديث، الخطابي، (ج٢/ص١٣٤١).
[٥] رواه البخاري.

تعلم هذه الخاتمة المفرحة المبكية لأسد الساحل، قال الحافظ في الفتح: (فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصيرٍ، فقَدِمَ كتابُه وأبو بصيرٍ يموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده، فدفنه أبو جندلٍ مكانه)[١].

وفائدة أخرى هامة وخاصة لنا نحن في الدولة الإسلامية الناشئة أن تعلم أيها المجاهد أنها أهم مصادر تمويل الجيش، فأي دولة إسلامية نشأت عبر التاريخ كان جل خزنتها من الغنيمة والفيء قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (الأموال السلطانية التي أصلها في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف: الغنيمة والصدقة والفيء)[٢].

فاحتسب يا ولي الله الأجر، وليكن في خلدك دائماً أنك تغنم الكفار والمرتدين لتطعم عوائل الأسرى والشهداء، تغنم لتمول مجاهدًا آخر لا يستطيع الغنيمة، تغنم لتشتري سلاحاً تقاتل به في سبيل الله، وإياك والخروج لذات الغنيمة فالإخلاص الإخلاص.

بعض أوقات الشدة التي هددت الدولة النبوية:

ولقد مرت بالدولة النبوية أوقات محنة شديدة بالغة القسوة عظيمة الأثر، ومن ذلك ما حدث يوم أحد، فعند الطبري[٣] وغيره[٤] قال: (خرَج رسولُ اللهِ ﷺ يعني حينَ خرَج إلى أحدٍ -في ألفِ رجلٍ من أصحابِه، حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ[٥] بينَ أحدٍ والمدينةِ، انْخَزَل[٦] عنهم عبدُ اللهِ بنُ أبَيِّ بن سلولَ بثلثِ الناسِ، فقال: «أطاعهم فخرَج وعصاني، وواللهِ ما نَدْرِي علامَ نقتُلُ أنفسَنا ها هنا أيُّها الناسُ؟» فرَجع بمن اتَّبعه من الناسِ من قومِه من أهلِ النفاقِ وأهلِ الرَّيْبِ. واتَّبعهم عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بن حَرامٍ، أخو بني سَلِمةَ، يقولُ: يا قومُ أُذكِّرُكم اللهَ أن تخذُلوا نبيَّكم وقومَكم عندَما حضَر من عدوِّهم، فقالوا: لو نعلَمُ أنكم تُقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نُرى أن يكونَ قتالٌ، فلما اسْتَعصَوا عليه، وأَبَوا إلا

---

[١] فتح الباري، ابن حجر، (ج٥/ص٣٥١).
[٢] السياسة الشرعية، ابن تيمية، (ص٤٦).
[٣] جامع البيان، (ج٦/ص٢٢٢)،
[٤] أخرجه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام (ج٢/ ص٦٣ –)٦٤.
[٥] الشوط: بستان من بساتين المدينة عند جبل أُحُد. ينظر: معجم البلدان (ج٣/ ص٣٣٥)، وتاج العروس (ش و ط).
[٦] انخزل: انفرد. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات ابن الأثير (ج٢/ص٢٩).

الانصرافَ عنهم، قال: «أَبْعدَكم اللهُ يا أعداءَ اللهِ، فسيُغْنى اللهُ عنكم». ومضَى رسولُ اللهِ ﷺ).

وفي هذه الحادثة وقفات هامة:

أولاً: مع الفاجعة العظيمة والموقف العسكري الحرج والخطير الذي أحدثه انسحاب ثلث الجيش وما يترتب عليه من اضطراب للخطط وخلخلة في الصفوف مع النقص الحاد في العدد والعدة، وحدث ذلك بمنطقة الشوط أي بالقرب من ميدان المعركة وعلى مشهد من الفريقين المتقاتلين، وأخطر ما في هذا التصرف وأعظمه وقعاً أن الصحابة الكرام اكتشفوا فجأة أن ثلث جيشهم على أقل تقدير لم يكونوا مسلمين بل كانوا كفاراً منافقين يظهرون الحب و الولاء والنصرة ويبطنون العداوة والبغضاء والحرب، قال الله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} [آل عمران:١٦٧]، وقال سبحانه: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ} [النساء:٨٨]، وسبب نزول الآية كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت –رضي الله عنه– قال: (لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا}) الحديث، قال الطبري –رحمه الله–: (أي: فما شأنُكم أيُّها المؤمنون في أهل النِّفاقِ فئتين مُخْتلِفتَين.{وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}، يعني: والله رَدَّهم في أحكامِ الشركِ في إباحة دمائهم، وسَبْيِ ذَراريِّهم)[1].

وعند ابن القيم في زاد المعاد: (قال الزهري، وعاصم بن عمر، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان، وغيرُهم: كان يومُ أحد يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ، اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مُستخفٍ بالكفر)[2].

---

[1] جامع البيان، الطبري، (ج٧/ص٢٨٠).
[2] (ج٣/ص٢٤٧).

الوقفة الثانية: مع فعل كرام الشيم عظام الهمم صحابة رسول الله ﷺ ومدى تأثرهم بتلك الكارثة العظيمة التي أطلت عليهم بقرونها فجأة بردة ثلث الجيش على أعقابهم وفيهم إخوانهم وأبناء عمومتهم ورجال عشائرهم، الواضح والحمد لله أنه لم يكن ثمة تأثير حقيقي يذكر باستثناء ما هَمَّ به طائفتان من المؤمنين هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، قال الله تعالى: {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران:١٢٢]، قال الطبري -رحمه الله-: (همُّوا بالرجوع حينَ رجَع عبد الله بن أبيٍّ، فعَصَمهم الله)[١]، قال جابر بن عبد الله: (وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله: {وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا})، فلم يكن لهذا الإرجاف الصعب الخطير الشأن في بقية الجيش النبوي أي أثر، بل لم ينشغلوا حينها بجدل عقيم عن أسباب الحدث ولا تداعياته المستقبلية والحالية، بل رصوا الصفوف وشحذوا الهمم وتوجهوا إلى مولاهم وناصرهم بالدعاء، وامتثلوا لأمر الله ونبيه أحسن ما يكون، وكانت منهم بعد الحدث مظاهر همة ونشاط بائنة، وأراد القائد أن يستكشف هذه الحماسة الرائعة الوقادة، فقال: "مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟"[٢]، فقام إليه رجال ليأخذوه، وأخذه أبو دجانة، ومشى به يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ"[٣]، قال ابن إسحاق: (ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر. وكانت الهزيمة التي لا شك فيها)[٤]..

وتالله تلك هي همم الموحدين الصادقين لا يضرهم قلةُ السالكين ولا كثرةُ الهالكين مهما كانت قوة ووجاهة الهالك، ولا ضعف حال النصير، غايتهم طاعة الله وطاعة رسوله، لا يؤثر فيهم ردة شيخ عشيرة محتال أو كاهن دجال يدعي التقوى والصلاح، فهذا أبو عامر الفاسق سيد من سادة الأوس وشيخ من شيوخ الصحوات بمنطق اليوم، قال ابن كثير: (كان يعد قُرَيْشًا أنه لو قد لقي قومه، لم يختلف عليه منهم رجلان. فَلَمَّا

[١] جامع البيان، الطبري، (ج٦/ص١٣).
[٢] رواه مسلم من طريق أنس رضي الله عنه بلفظ مقارب، والحاكم من طريق الزبير رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار، ورجاله ثقات.
[٣] رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية (ج٣/ص١٤٣٧)، قال الهيثمي في المجمع: فيه من لم أعرفهم.
[٤] سيرة ابن هشام، (ج٢/ص٧٧)،

التقى النَّاس، كان أوَّل من لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعدان أهل مكَّة فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامرٍ. قالوا: فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق. وكان يسمَّى في الجاهليَّة الرَّاهب)[١].

فكان أول وأسرع وأنشط من بادر لقتاله ونزاله هو ابنه غسيل الملائكة حنظلة ترك فراش العرس وطِيب العروس ليقطع لسان وعنق أبيه شيخ الصحوات، فكانت الشهادة، فهل بقي لأدعياء الوطنية وحرمة الدم الوطني حجة؟!

فيا جنود دولة الإسلام؛ إياكم أن يضركم خذلان المرجفين ولا تراجع المنهزمين، فإن اللهَ واللهِ ناصركم، وادعوا الله بالثبات، ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. روى الإمام أحمد عن عياض الأشعري يوم اليرموك [قوله:]، (إِذَا كَانَ قِتَالٌ فَعَلَيْكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ. -قَالَ:- فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ إِنَّهُ قَدْ جَاشَ إِلَيْنَا الْمَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْنَاهُ، فَكَتَبَ إِلَيْنَا: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكُمْ تَسْتَمِدُّونِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْتَنْصِرُوهُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ نُصِرَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي أَقَلَّ مِنْ عُدَّتِكُمْ، فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَقَاتِلُوهُمْ، وَلا تُرَاجِعُونِي. -قَالَ:- فَقَاتَلْنَاهُمْ فَهَزَمْنَاهُمْ)[٢].

الوقفة الثالثة: في عدد جيش المسلمين يوم أحد، قال الطبري: (خرَج رسولُ اللهِ ﷺ حينَ خرَج إلى أحدٍ في ألفِ رجلٍ من أصحابِه)[٣]. وهذا هو العدد الذي يكاد يُطبق عليه جميع أهل السير والمغازي وإن اختلفوا في عدد من بقي مع النبي ﷺ وأغلب أهل السير على أنهم سبعمئة -وهذا هو الراجح ولنا على ذلك أدلة لاحقة- وقد كان القتال يوم أحد قتال دفع لم يتخلف عنه أحد إلا بعذر وهم قلة قليلة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

[١] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج٥/ص٣٥٦).

[٢] قال الأرنؤوط: والخبر إسناده حسن، سماك – وهو ابن حرب– من رجال مسلم، وكذا عياض وهو ابن عمرو الأشعري، وهو مختلف في صحبته، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

[٣] جامع البيان، (ج٦/ص٢٢٢).

عن قتال الدفع: (فهذا وأمثاله قتال دفعٍ لا طلبٍ لا يجوز الانصراف فيه بحالٍ، ووقعةُ أُحُدٍ من هذا الباب)[١].

فالعدو جاء يريد أن يستأصل أهل الإسلام في ديارهم، والرسول ﷺ أمر الناس بالخروج لقتالهم، قال [ابن كثير في البداية والنهاية][٢]: (فَلَمَّا صَلَّى رسول الله ﷺ الجمعة، وعظ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ وأمرهم بِالْجِدِّ والجهاد)[٣]، فخرج أهل المدينة من المسلمين للنزال شيوخاً وشباباً، فأجاز النبي ﷺ من كان مفيداً للمعركة ومطيقاً لها أو بلغ خمس عشرة سنة من الصبيان ورَدَّ جماعة آخرين كما ثبت في الصحيحين[٤]، ونفَرَ الكهولُ من الرجال فهذا خيثمة أبو سعد قد استشهد ابنه سعدٌ في بدر يقول لرسول الله ﷺ: (قد كَبِرت سِنّي ورقّ عظمي وأحببتُ لقاءَ ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقةَ سعدٍ في الجنة)؛ فدعا له رسولُ الله ﷺ بذلك، فقُتِل بأحد شهيدًا[٥].

أي أن كل جيش الدولة النبوية يوم أحد، و بعد ثلاث سنين من إعلانها، كان سبعمئة مقاتل على أحسن تقدير لما سبق ذكره، ويؤكده ما ثبت في الصحيحين عن حذيفة –رضي الله عنه– قال: قال النبي ﷺ: "اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ"، وعند مسلم: "أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلَامَ"، قال: (فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةِ رَجُلٍ)، وفي رواية: (فَوَجَدْنَاهُمْ خَمْسَ مِئَةٍ)[٦]، ومع أن مدار الحديث كما قال الحافظ في الفتح (على الأعمش)[٧]، لكن اختلف أصحابه عليه في العدد[٨]؛ قد ذهب العلماء في تفسير هذا الاختلاف والجمع بين الروايات مذاهب عدة، فبعضهم جعل العدد الأكبر لكل من أسلم

---

[١] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (ج٥/ص٥٣٩)، والمستدرك على مجموع الفتاوى، (ج٣/ص٢١٩).

[٢] في الأصل ذكر ابن القيم في زاد المعاد، ولم يذكره صاحب الزاد.

[٣] رواه الواقدي في المغازي (ج١/ص٢١٣)، وذكر ابن كثير رواية موسى بن عقبة في البداية والنهاية (ج٥/ص٣٤٥)، ورواه البيهقي في الدلائل والسنن.

[٤] عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ، فَأَجَازَنِي). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيِّ: (فَلَمْ يُجِزْنِي، وَلَمْ يَرَنِي بَلَغْتُ). وَصَحَّحَهَا ابْنُ خُزَيْمَةَ.

[٥] ذكره الواقدي في مغازيه (ج١/ص٢١٢)، ونقله عنه البيهقي في الدلائل (ج٣/ص٢٤٩).

[٦] رواه البخاري.

[٧] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص١٧٩).

[٨] ذكره ابن حجر في المرجع السابق.

من الرجال والنساء والصبيان والعدد الأقل هم المقاتلة فحسب، وآخرون ذهبوا إلى أن العدد الأقل هم مقاتلة المدينة والباقي من حولهم من مقاتلة القرى والبوادي، ولكي نؤكد أن كل جيش الدولة النبوية كان في أُحد: متى كان هذا الإحصاء؟ يذهب الحافظ في الفتح أنه كان يوم أحد قال: (وكأن ذلك وقع عند تَرَقُّبِ ما يخاف منه، ولعله كان عند خروجهم إلى أحدٍ وغيرها، ثم رأيت في شرح ابن التِّين الجزم بأنَّ ذلك كان عند حفر الخندق. وحكى الدَّاوُدِيُّ احتمال أنَّ ذلك وقع لما كانوا بالحديبية)[1]؛ ونرجح بأن ذلك كان بعد أحد لا قبلها لقول الحافظ: (وكأن ذلك وقع عند تَرَقُّبِ ما يخاف منه)، وهذا بالضبط ما أعنيه فقد تعرضت الدولة النبوية لهزة عنيفة بردة هذا العدد الكبير من الناس، وهل أعظم من كارثة النفاق خطراً؟ فكأن النبي ﷺ أراد أن يقف على حقيقة الرجال المقاتلين ويعرف عددهم بالضبط دون المنافقين، فإنه في حالة حرب مستمرة وله مع أعدائه موعد للنزال، ويؤكد ذلك ما رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي: أن عدد من أحصوه ما بين الستمئة إلى سبعمئة[2]، وهو نفس العدد الذي ثبت معه ﷺ بأُحد أي سبعمئة، ويقوي ذلك أن راوي الحديث هو حذيفة -رضي الله عنه- صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين والله تعالى أعلم.

ويتضح مما سبق كم كان عدد جيش الدولة النبوية بعد ثلاث سنين من إعلانها.

والسؤال الهام الآن والذي كان لأجله هذا الاستطراد المطول، هل هذا العدد هو الحد الأدنى الذي يمكن أن تقام به دولة إسلامية؟ وما مقدار السيطرة والنفوذ؟ هل هي مضبوطة مقيدة أم أنها نسبية؟

ولمعرفة طبيعة سيطرة الجيش الإسلامي على الأرض لا بد أن نجلي شيئًا من صورة الواقع بعد أُحد، وهو كالتالي:

---

[1] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص١٧٨).

[2] رواية مسلم: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلَامَ"، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ؟ قَالَ: "إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا"، قَالَ: فَابْتُلِينَا، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا.

سبعمئة مقاتل من المسلمين أثخنتهم الجراح وفي وضع نفسي حرج قال الله تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} [آل عمران:١٥٣]، أي: حزناً بعد حزن، يقابله ثلاثمئة منافق على أقل تقدير في كامل عدتهم متلبسين بالمجتمع المسلم ومطلعين على كل عوراتهم، وكتل يهودية في غاية التنظيم الإداري والإعداد العسكري تربطهم مع المسلمين معاهدات هم أسرع الناس إلى نقضها متى وجدوا الفرصة سانحة وقد كان، مع علاقة قوية مع منافقي العرب في الباطن، كما أن هناك طائفة أقل خطراً هم من تبقى من أهل المدينة ولم يسلم وكانوا ما زالوا كثرا إذا وضعنا في الاعتبار عدد من خرج في جيش الفتح بالمقارنة بأُحد وبهم من صناديد العرب المقاتلين. ففي الصحيح عن البراء -رضي الله عنه- قال: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ -أي يوم أحد- رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: "أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ"؛ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا")[١]، وفي رواية ابن إسحاق: (واللهِ إن هذا الأُصَيرم، ما جاء به؟! لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر)[٢].

فسيطرة الجيش النبوي على الأرض نعم هي قوية وموجودة بفضل تماسك المسلمين وقوة عقيدتهم ووحدة صفهم ولكن يكدرها وبقوة الشيء الكثير -كما أسلفنا عن المجموعات الثلاث الموجودة معهم- هذا باعتبار المحيط القريب ومن هم معهم بالمدينة أما إذا قورنت هذه القوة بمحيطها الأكبر المتربص بها من قريش وباقي كفار العرب فضلاً عن الفرس والروم فيكون الأمر حينئذ أشد صعوبة. فهل كانت دولة النبي بعد أُحد ما زالت باقية عند الأدعياء المغالين في مفهوم العدد والعدة ومقدار بسط النفوذ والسيطرة؟

وهيا بنا نقف على صورة أخرى أشد كرباً تعرضت لها الدولة النبوية وذلك في غزوة الخندق أيام الأحزاب قال الله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب:١٠-١١].

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه ابن هشام في السيرة وأحمد في مسنده، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

والصورة في غزوة الأحزاب هي كالتالي:

النبي ﷺ وأصحابه الكرام يحفرون خندقاً يمنع العدو وبمشورة من سلمان –رضي الله عنه–: (إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا)[١]، ثم يعسكر الجيش المسلم خلف الخندق وكانوا نحو ألف مقاتل وهو الراجح إن شاء الله خلافاً لما ذهب إليه أكثر أهل السير وعلى ذلك أدلة ليس هذا موضعها، قال شيخ الإسلام: (وقد كان المسلمون يوم بدر ثَلَاثَمِائَةٍ وثلاث عشر، ويوم أحدٍ نحو سَبْعِمِائَةٍ، و يوم الخندق أكثر من أَلْفٍ أو قريبًا من ذلك)[٢]، أمامهم عشرة آلاف من مشركي العرب عقدوا العزم على دخول المدينة والقضاء على المسلمين، ثم فجأة ظهر عدو يهددهم من الخلف سافراً عن عدائه في أقبح صورة وهم يهود بني قريظة. روى الحاكم[٣] والبيهقي عن حذيفة –رضي الله عنه– قال: (لقد رأيتُنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود، وأبو سفيان ومَن معه مِن الأحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفلَ مِنّا نخافهم على ذرارينا)[٤].

قال السعدي –رحمه الله–: (فحاصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رُؤُوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة)[٥].

ولقد بلغ الخوف والجوع بالمسلمين مبلغًا عظيمًا إلى درجة أن رسول الله ﷺ نادى يوماً في الناس، فقال: ("مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ"، فما قام رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلينا فقال: "مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ"، فما قام رَجُلٌ من القوم مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ،

---

[١] رواه الواقدي في المغازي (ج٢/ص٤٤٥)، والطبري في تاريخه (ج٢/ص٥٦٦).

[٢] منهاج السنة، ابن تيمية، (ج٧/ص٢٠٠).

[٣] رواه الحاكم بلفظ مختلف وطريق آخر، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

[٤] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (ج٣/ص٤٥١ – ٤٥٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٥٠٠) من طريق عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، عن حذيفة به. إسناده ضعيف؛ لجهالة محمد بن عبد الله الدؤلي، وعبد العزيز ابن أخي حذيفة.

[٥] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٥٩٥).

وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني)[١]، فلما اشتد الأمر وخاف النبي ﷺ على الذراري والنساء من يهود قريظة إذ لم يكن هناك مانع عسكري معتبر يردعهم عن ذلك أو حتى أن تمتد أياديهم النجسة إلى المسلمين من الخلف أراد الرسول ﷺ أن يفرق جمع الأحزاب وأرسل إلى غطفان يصالحهم على الرجوع وترك القتال مقابل ثلث ثمار المدينة وجرت المراوضة على ذلك واستشار السعدين سيدَي الأوس والخزرج فقالا: (وَاللهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ)، فصوب رأيهما وقال: "إنما هو شيء أصنعه لكم؛ لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة"[٢]، ثم جاء الفرج بعد بضع وعشرين ليلة، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} [الأحزاب:٩].

وذلك بصدق إيمانهم وحسن بلائهم وصبرهم على أمر الله وتوكلهم عليه، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} [الأحزاب:٢٢]. هذا وينبغي أن تعلم أن المسلمين لم يكونوا قد استعدوا اقتصادياً لهذه المعركة الشرسة أو استعدوا ولم يكن عندهم ما يكفي أو يسد الرمق.

فقد شرعوا في حفر الخندق وليس عندهم ما يأكلون ويسد غائلة الجوع مع أنهم قوم هم أهل زرع ولكن اشتغلوا بالجهاد مع رسول الله ﷺ فثبت في سبب نزوله قوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥]، عن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- قال: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلَامَ، وَكَثَّرَ

---

[١] رواه أحمد من طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو في السيرة لابن هشام عن محمد بن إسحاق ورواه الطبري في تاريخه، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن لولا إرساله، فإن محمد بن كعب القرظي لم يدرك حذيفة، وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى تقويه.

[٢] رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٢٣). عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا. وأخرج عبد الرزاق في مصنفه وأبو عبيد في الأموال من مرسل الزهري بنحوه. وله شاهد أيضًا من حديث أبي هريرة عند البزار والطبراني في الكبير وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وإسناده لا بأس به في الشواهد.

نَاصِرِيهِ، قُلْنَا بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثَّرَ نَاصِرِيهِ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مَا هَمَمْنَا بِهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ فِي الْإِقَامَةِ عَلَى أَمْوَالِنَا الَّتِي أَرَدْنَا، فَأُمِرْنَا بِالْغَزْوِ)[1].

فما صفة طعامهم يومئذ؟

ففي الصحيح عن أنس –رضي الله عنه– أنهم كانوا: (يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفَّيَّ مِنَ الشَّعِيرِ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهالَةٍ سَنِخَةٍ، تُوضَعُ بَيْنَ يَدَي الْقَوْمِ، والْقَوْمُ جِياعٌ، وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ)[2]، ولقد ضرب رسول الله ﷺ نفسه جوع يفتت الكبد ويدمع العين، قال أنس –رضي الله عنه– كما في الصحيح: (إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فقالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. فَقالَ: "أَنَا نازِلٌ". ثُمَّ قامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَواقًا)[3]. وفي الصحيح: أنه ﷺ مر على المهاجرين والأنصار وهم يحفرون في غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمَّا رَأَى ما بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قال:

"اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ *** فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ"،

فقالوا مجيبين له:

(نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا *** عَلَى الجِهَادِ ما بَقِينا أَبَدا)[4].

وبعد هذا نسأل أولئك المتكلمين عن الدولة الإسلامية بمفهوم سايكس–بيكو: كم هي مساحة الدولة النبوية في المدينة؟

ثم كم كانت هذه المساحة أيام الأحزاب، خاصة بعد نقض يهود قريظة العهد؟

---

[1] رواه الطبري في تفسيره (ج٣/ص٣٢٣)، والنسائي وابن حبان، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

[2] رواه البخاري.

[3] رواه البخاري.

[4] رواه البخاري.

وهل كانت الدولة الإسلامية ما زالت باقية؟ ولماذا؟

وهل يمكن أن تكون هذه الصورة هي الحد الأدنى للقوة التي يجب أن تكون عليها الدولة الإسلامية ومساحتها؟

و ما مقدار بسط النفوذ على الأرض في ظل حكم إسلامي باعتبار ما حدث يوم أحد وأيام الأحزاب حيث لا شيء يمنع النساء والذراري من العدو اليهودي، وبلغ الخوف بالجيش إلى حد أنه لا يريد جندي القيام ولو كان نصيبه الجنة مع رسول الله ﷺ؟

وما مقدار المنعة والسيادة بعدما فاوض النبي ﷺ على دفع ثلث ثمار المدينة للمشركين وكانوا لا يحلمون بتمرة بغير ثمن في زمن الشرك؟

والسؤال الآن: هل الدولة الإسلامية في العراق استوفت شروط الدولة من حيث المساحة والقوة وبسط النفوذ وبالمقارنة بما كانت عليه الدولة النبوية آخذين في الاعتبار ما مرت عليه الدولتان من محن، والفرق الهائل بينهما؟

أخي الموحد، إنني لن أتكلم عن الأنبار وعزها، وكيف أذل الكفر ورايته، وأعلى منار الإسلام وعقيدته على أيدي رجال الدولة الإسلامية والعدو ما زال يعترف بذلك.

ولن أتكلم عن عرين الإسلام في ديالى ومعاركهم، وكيف وصل بهم العز أن احتفلوا يوماً بالقضاء على آخر سيطرة للمرتدين في عموم بعقوبة.

ولن أتحدث عن الموصل ورجالها، ولا عن فحوى اعتراف مسؤولها المرتد محافظ الحدباء: أنهم يفقدون السيطرة تماماً على الموصل، وأنه وزمرته محاصرون في منطقة الدواسة، وأن القوة والكلمة للدولة الإسلامية في عموم الموصل.

ولن أتحدث عن بغداد و نواحيها، ولماذا طلب الحكيم أن تكون الكرخ للسنة والرصافة للرافضة، ولماذا أطلق الأمريكان اسم مثلث الموت على الرضوانية واليوسفية

والإسكندرية، فقد كنت أتشرف يومها بمتابعة هذه المنطقة وأعرف كيف كان دخول المنطقة للأمريكان والمرتدين حلماً بعيد المنال.

ولن أتحدث عن كركوك وصلاح الدين ومِنن الله فيهما، وكيف سقطت يوماً صلاح الدين بالكامل في أيدي رجال الدولة الإسلامية باستثناء تكريت.

إنما أتحدث اليوم عن بقعة منسية واحدة من بقاع تلك الدولة الفتية المترامية الأطراف وخاصة قبل أن يتآمر عليها الخائنون المجرمون الكافرون من بني جلدتنا حسداً من عند أنفسهم وكرهاً أن يكون منهج السلف هو الحاكم في أرض الله.

سأتحدث عن عرب جبور وما حولها، فقد شرف الله هذه المنطقة بنعمة الجهاد في سبيل الله ومنذ أول يوم لدخول المحتل إلى أن انضوى جميع رجالها المجاهدون تحت لواء الدولة الإسلامية، فبلغ عدد جنودنا في هذه المنطقة وحدها ثلاثة آلاف مجاهد فأقاموا الحدود وردوا المظالم ونشروا الأمن وأعالوا الفقراء، وذلك بعدما خاضوا حربًا ضروسًا ضد المحتل وأعوانه فطهروا الأرض من رجسهم و أخرجوهم منها خزايا خائبين، ولقد منَّ الله عليهم أن حرموا الأرض على آلياتهم ثم حرموا السماء على طائراتهم فبدؤوا بالمروحيات ثم الطائرات الحربية، وأخيراً منعوا كل أصناف الطائرات من دخولها.

وهنا خرج وعلى الملأ مساعد قائد القوات الأمريكية ليعلنها بصراحة قائلًا: (هذه المنطقة خارج نطاق السيطرة)، فاستدعى قاصفاته الاستراتيجية من أمريكا ودول الخيانة المجاورة التي يتآمر معها المجلس السياسي العميل لقصف عرب جبور، وأعلنوا أنها أرض محروقة محرمة على كل من يدب على الأرض، علماً أن مساحة عرب جبور وما حولها تزيد بكثير عن مساحة المدينة اليوم -لا يوم إعلان الدولة النبوية-.

والسؤال: هل لو كانت الدولة الإسلامية فحسب في عرب جبور ألم تكن دولة حقيقية؟

ونحن اليوم والحمد لله نبشر الأمة أننا وبالرغم من خيانة الإخوان المسلمين بزعامة الحزب الإسلامي، وخيانة السروريين في العراق بزعامة الجيش الإسلامي، ما زلنا نبسط وبحول الله وقوته سيطرتنا على بقاع كثيرة تشبه عرب جبور في ديالى والموصل وكركوك وبغداد والأنبار.

ونعترف وبمرارة أننا خسرنا كثيراً من الأماكن بعد عمالة وردة الجماعات المشكلة للمجلس السياسي للمقاومة وتحالفه مع المحتل الصليبي، فقد كانوا نعم العيون والعون للمحتل وخاصة أنهم كانوا مختلطين بنا وكنا نراهم إخوة في الدين حتى طعنونا في ظهورنا، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي الختام، أهنئ المسلمين وأهلنا في بلاد الرافدين وخاصة جنود دولة الإسلام بحلول شهر رمضان المبارك، فالحمد الله الذي بلغنا وإياكم هذا الشهر الكريم شهر الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

يا رب يا ذا الفضل من فوق السما *** هذا الصيام خالصاً هذا الظما
وجلادنا الأعداء في ظلم بنا *** فاقصم كَفوراً لا يهاب الأعظمَ

وفقكم الله فيه لصالح الأعمال وأفضلها وأزكى الأفعال وأكملها، فكونوا فيه رهبان الليل فرسان النهار، فإن أمة الإسلام ترقب نزالكم وجهادكم في هذا الشهر الكريم، فأثلجوا صدور المؤمنين وأروا الكفار ما كانوا يحذرون.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

أخوكم

أبو حمزة المهاجر

اللقَاءُ الصَّوْتِيُّ الأَوَّلُ

٢٥ شوال ١٤٢٩هـ || ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٨م

يسعدنا في مؤسسة الفرقان أن نلتقي الشيخ أبا حمزة المهاجر –حفظه الله– ليجيب عن أهم الأسئلة التي كثر حولها الجدل.

بداية أرحب بالشيخ أبي حمزة المهاجر –حفظه الله– ونبدأ بعون الله؛

١– فضيلة الشيخ هل يمكن أن توجز لنا الظروف التي سبقت إعلانكم للدولة الإسلامية؟

– بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بُعث بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أما بعد:

أولاً، ينبغي أن يدرك الجميع كما قررنا ذلك مرارًا أننا نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يكون ذلك إلا بحكم وإمارة، فإنشاء دولة إسلامية في العراق هدفٌ لنا جميعاً منذ أول طلقة أطلقناها على المحتل وأعوانه، وحلمٌ ظل يراود نفوسنا وكنا نعمل له بكل جد واجتهاد، فأنفقنا له الأموال وسكبنا الدماء الغزيرة.

ومن الناحية السياسية: استقل الأكراد بدولة في الشمال، وعلت أصوات فيلق بدرٍ وحلفائه بفيدرالية الوسط والجنوب، وكان لهم ذلك بأن يقر مشروع الفيدرالية في البرلمان الشركي، فالمشهد السياسي أن الأكراد عندهم مشروع، والرافضة عندهم مشروع، فكانت الدولة الإسلامية هي مشروعنا لأهل السنة.

ومن الناحية العسكرية: فقد كثفنا عملنا في كل مناطق أهل السنة، ورمينا بكل ما في جعبتنا عسكرياً لهذا الهدف، فاختل توازن المحتل وأعوانه وذلك بعدما أعلن المالكي مزهواً عند مقتل الشيخ الشهيد أبي مصعب -رحمه الله- أنه قضى على ٨٠٪ من المقاومة ولا حاجة للتفاوض معهم، وهذا مسجل معلوم، فبدأ تحت ضربات رجال مجلس شورى المجاهدين يترنح المارد ويهوي وأعطانا ظهره ننال منه كيف شئنا، ثم بدأ ينكمش ويتقهقر تاركاً معظم مناطق أهل السنة لإدارتنا، وحينها اعترف مجرم البيت الأبيض أن الوضع صعب في العراق، ووصلنا إلى النقطة الحرجة في المعادلة والتي طالما سعينا إليها وهي أن يكون العدو في أضعف أحواله عسكرياً وسياسياً، ونحن في أحسن أحوالنا عسكرياً واقتصادياً، وهو ما كان بإجماع المجاهدين في العراق، مما جعلنا في نفس النقطة التي ينبغي أن نعلن فيها الدولة الإسلامية وننصب أميرها، فكان ذلك في واحد وعشرين من شهر رمضان المبارك لعام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين من الهجرة.

٢- أغلب الناس على أنه كان عليكم الانتظار إلى خروج المحتل ثم تتفقون على إعلان مشروع الدولة الإسلامية، فما ردكم؟

- لقد سبق وقلنا أننا وصلنا إلى نفس النقطة التي كنا نخطط لها منذ أمد بعيد، والغريب أن أصحاب المناهج الفاسدة ودعاة الوطنية كانوا قد وصلوا إلى نفس النتيجة، فأرادوا أن يقطفوا الثمرة ثمرة جهاد رويناه بدمائنا وحفظناه بأرواحنا، فوردت إلينا أنباء مؤكدة عن مؤامرة كان يحيكها الحزب الإسلامي مع طرف في المقاومة (الشريفة) -على حد قولهم-، لإعلان إقليم السُّنة تحت دولة الرافضة بدعوى أن حكمه سيكون مستقلاً وسيحافظون فيه على حقوق أهل السنة، وقد كان الأمريكان راضين بل دافعين في هذا الاتجاه، وكانت هناك محاولة أخرى لطرف آخر إلا أنها أقل خطورة من الأولى، فكان لا بد من قرار حاسم، وهو ما كان.

ثم إن توقيت خروج المحتل توقيتٌ أثبتت تجربة أفغانستان أنه أسوأ توقيت، وهو ما تيقنا منه جيداً، فقد كان هناك أطراف تخزن السلاح وتجهز المجموعات الأمنية لليوم الذي يخرج فيه المحتل، فتضرب صاروخاً وتدخر عشرة، وعلمنا هذا من بعض من تاب الله عليه وبايعنا منهم، بل كانوا أحياناً يصرحون أن يوم القتال معنا قد اقترب، وبعضهم كان أكثر ظرافة فيقول: (لن ننسى دماءكم)! فبعد خروج المحتل إذاً تكون المعادلة هي: مجموعة من العلمانيين والوطنيين والبعثيين لم تُجهد نفسها في قتال حقيقي تمتلك المال والسلاح والرجال، ومجاهدون في سبيل الله خرجوا منهكين بالجراح أنفقوا ما في جعبتهم من مال وسلاح، ونتيجة المعادلة في هذه الحالة: حكم وطني علماني وإبعاد للدين وأهله، وهو ما كان في كل الصراعات التي حدثت في العصر الحديث وسقطت ثمرته -أي ثمرة الجهاد- في أيادٍ خبيثة كما في الجزائر ومصر والمغرب وباكستان، فأفسد مشروع الدولة الإسلامية بحمد الله جميع مخططاتهم ورد الله مكرهم وكيدهم في نحورهم.

٣- هل سعيت إلى الاتصال بجماعات المقاومة قبيل إعلان الدولة؟

- يشهد الله أننا اجتهدنا في ذلك، وجميع الجماعات تعلم ذلك جيدًا، باستثناء فصيل واحد كان قد انخرط في العملية السياسية انخراطًا تامًا، فبعضهم اتصلنا به قبل شهرين وبعضهم قبل أربعة أشهر، ولكن للأسف لم نتمكن من لقاء بعضهم قبل إعلان الدولة، وتعذر البعض صراحة أنه كان خارج البلاد، وآخرون تعذروا بأشياء أخرى مضحكة مبكية، وقد كانت الدعوة أولاً لحلف المطيبين، كنا نظن أن مثل هذا الحلف لا يمكن أن يرد، ولكن استجاب الكثير الطيب وتخلف القليل، وحتى بعد إعلان الدولة اتصلنا بهم وما زلنا قائلين: يا عباد الله هذا مشروعكم ومشروع الأمة وليس حكرًا علينا ولقد تخلينا عن أسماء جماعاتنا وتركنا إمارتها لصالح هذا المشروع الكبير، وقلنا للجميع: إن قلوبنا مفتوحة لكل نقد وتعديل يخص هذا المشروع، فقط لا يمكن الرجوع عن أمرين: الدولة وأميرها، لأنا اجتهدنا ونحسب فيهما الخير والبركة والفلاح، فكان جواب أمير جيش المجاهدين مثلاً بعد لقائي به وبنائبه أن قال بعد نحو ثماني عشرة ساعة من الحوار: (يا

شيخ إذا لم نأت جميعًا لهذا المشروع فأنا جندي عندك)، وأظهر نائبه الفرح بهذا اللقاء، وتبادلنا الهدايا، ولكن بعد ثلاثة أشهر من هذا اللقاء انقلب الرجل فجأة، وبدأ يفتي بقتل الإخوة، وتحالف مع الصحوات، حتى أنه كان يبيت عند شذر عبد سالم (قائد صحوة التاجي)، ومع ذلك ظلت أيدينا وقلوبنا مفتوحة لأبناء جيش المجاهدين، فقد كنا ندرك أن منهم من لا يرضى عن تصرفات أمرائه، وكان في هذا الخير الكثير، أما من خاض في الصحوات منهم وهم الكثرة فشأنهم شأن إخوانهم من أهل الردة.

أما عن ثورة العشرين فقد أعلمناهم قبل إعلان المشروع ولم ندعهم، لأن منهج القوم من الدعوة إلى الوطنية والحرص عليها منهجًا ونحن ندعو إلى الإسلام منهجًا، ومع ذلك فقد قاتلنا معظم جنودهم وأمرائهم بعد إعلان الدولة وجنبًا إلى جنب مع الصحوات، وقد تأكد عندنا أن إمارتهم العامة لم تأمرهم بذلك نظرياً، لكن أحداً لم يستجب لهم و لأسباب كثيرة ليس هذا موضعها.

٤- هل بايع الدولة بعد إعلانها أحد من الجماعات الجهادية؟

- إذا كان الحق ما نطق به الأعداء فقد خرج المدعو صالح المطلق على إحدى الفضائيات يدق ناقوس الخطر محذراً الأمريكان والمرتدين قائلًا: (إن الجماعات المقاومة تتلاشى لصالح تنظيم القاعدة)، وهذا ما كان بحمد الله، ففي الأسابيع الأولى لإعلان الدولة كان يلحق بجيش الدولة في الأسبوع الواحد نحو ألف مقاتل، حتى استوعبنا بحمد الله أكثر من ٨٠% من المجاهدين على الأرض ومن كل الجماعات وبلا استثناء.

٥- هل بالفعل بايع الدولة رهط من شيوخ العشائر؟

- لقد كنا صادقين أن أكثر من ٧٠% من شيوخ عشائر أهل السنة بايع الدولة الإسلامية وأميرها، وذلك بعد دخولهم في حلف المطيبين، ونحتفظ بعدد لا بأس به من تلك البيعات مكتوبة ومسجلة، فيوماً ما اجتمع الشيخ الشهيد -نحسبه والله حسيبه-

محارب الجبوري بنحو أربعين شيخًا من شيوخ عشائر الأنبار وبغداد، فبعد أن غمسوا أيديهم في الطيب وتعاقدوا على ما فيه بايعوا أمير المؤمنين أبا عمر وبصيغة جماعية في مشهد مهيب أبكى عين رفيقي محارب الجبوري وكان من جيش المجاهدين الذي قال: (والله ما كنت أحسب أنني سأشهد يوم عز للدين كهذا اليوم)، ولكن للأسف نقض هذه البيعة بعض الخونة وانخرط في صفوف الصحوات بلا أي مبرر إلا بريق دولارات المحتل، كشيخ البو فهد الذي كان من أوائل من بايع، وشيخ الجمولات الهالك في عملية الكرمة المباركة.

٦- هل أجبرتم الناس والجماعات المسلحة على بيعة الدولة الإسلامية؟

- مشروع الدولة الإسلامية جديد على الأمة، وأحكامه تغيب على كثير من طلبة العلم فكيف بعوام الناس؟ فلا نلزم الناس ونجبرهم على أمور لا يفقهونها، ثم أن خيرهم يصب في هذا المشروع، وما ظنك بجندي جاء إلينا مكرهاً هل تثق به وبولائه؟! هذا كذب لا يحتاج إلى رد، كل ما فعلناه أن المناطق التي حررها جنود الدولة بدمائهم أرادوا أن ينظموا العمل فيها، فبعد أن حررنا المناطق كان الكثير يتسابق إليها ونجدهم فجأة فيها، فبعضهم يريد الظهور المسلح والتصوير، وبعضهم يريد أن يطلق الصواريخ على العدو من مناطق بها كثافة سكانية ويمكن من غيرها، وبعضهم يستغل الأمن والحماية لجلب أسرى ومفاداتهم، وبعض أنواع المفاداة نذهب إلى حرمته كالمرتد، فقمنا بتنظيم العمل داخل هذه المناطق مما أغضب البعض واعتبره نوعًا من إجبارهم على البيعة وهو ليس والله كذلك، ومثال على ذلك أن منطقة كنا نسيطر عليها أحضروا بها أسيراً يرونه مرتدًا ولا نراه كذلك، ثم اعترفوا بعدم ردته، وكنا نعلم أن العدو سوف يكثف العمل على هذه المنطقة ويعرض أهلها والجنود فيها إلى حملة نحن غير مستعدين لها، ومع أننا كنا نعلم مكان اعتقاله، ذهبنا نسترضي تلك الجماعة بالحسنى وحتى لا يقولوا إننا نجبرهم، وعرضنا عليهم مبلغاً من المال مساعدة منا لهم رجاء إطلاق سراحه وعدم الدخول في أزمة، لكنهم رفضوا، فكانت النتيجة حملات متتالية على المنطقة قتل فيها

خيرة رجالها من المجاهدين، أكثر من ثلاثين مجاهدًا من المهاجرين والأنصار، وفي النهاية تمت المفاداة، وكان الأسير قد تعرّف على المكان فأحضر العدو إليه واعتقل البقية الباقية من أهل الخير بما فيهم أفراد تلك الجماعة، وبعدها أراد خبثاء العشيرة أن يكونوا صحوة بعدما قتل واعتقل أهل الخير منهم، فهل كنا يا عباد الله آثمين لو تدخلنا بالقوة وأطلقنا سراحه، وكنا قادرين.

أما ادعاء البعض أن الغلبة والقوة كانت لهم في بعض تلك المناطق، فهل يُعقل أن يجبر الضعيف القوي؟ فلا شك أن الغلبة كانت لدولة الإسلام ورجالها مما يعطينا الحق الشرعي في تنظيم شؤونها وعدم العبث بمسيرة الجهاد فيها.

٧- ينتقد البعض التشكيلة الوزارية المعلنة من قبل الدولة الإسلامية ويتندرون على بعضها كوزارة الزراعة والثروة السمكية؟

- سبحان الله، إننا حينما أعلنا هذه الوزارة كنا بحمد الله حريصين على أن تكون حقيقة ولا نكذب على الله ثم على عباد الله، ولذا جاءت محدودة العدد، فمثلًا وزارة الزراعة والثروة السمكية التي يتندر بها القوم كانت الأكثر واقعية وعملًا، فلقد فاء الله علينا من أبناء ابن العلقمي أكثر من مئتي قرية، فيها آلاف الدُنمات الزراعية تتخللها البساتين المثمرة، وغنمنا نحو خمسمئة مزرعة سمكية في جنوب بغداد والمدائن وديالى وصلاح الدين، وهذه تركة ولا شك ضخمة تحتاج إلى من يقوم عليها، وبالفعل تم توزيع هذه الأراضي والبساتين على أهل السنة وبعقود رمزية، وقمنا بتسكين آلاف الأسر المهجرة وإيوائهم، كما إن هذه الوزارة -وبعون الله وفضله- كانت كذلك تشق الأنهار الصغيرة، فمثلاً أوصلت المياه إلى كثير من بساتين الضلوعية وهي التي لم ترَ الماء للسيح طوال حكومات العراق المتعاقبة، وكذلك الحال في جنوب بغداد وغيرها، كما أنيط بها مسؤولية زائدة وهي تعبيد بعض الطرق التي تتأثر بسقوط الأمطار كثيراً وتعيق

الناس أو تمنعهم في أوقات الشدة، وهذا كله والحمد لله لمسه أهلنا، فهل كنا يا عباد الله نكذب على الأمة؟

٨- يزعم البعض أنكم تستهدفون عوام أهل السنة وشيوخ العشائر وأئمة المساجد وضباط الجيش العراقي السابق، فما ردكم؟

- لقد رمانا الناس بأوصاف عظيمة وجرائم كبيرة، فاتهمونا بالغلو والجهل واستحلال الدماء المعصومة وحتى بترك الصلاة وعقوق الوالدين، بل وقالوا إننا غير مختونين، وعلى الجملة عند هؤلاء أو بعضهم لسنا من ملة المسلمين.

وعتابنا وألمنا ليس على الكافر المحتل وأعوانه من مرتزقة الفصائل التي فضحها الله و الحمد لله، وإنما ألمنا وحزننا من الذين نظن أنهم ظهورنا و مددنا وحماة أعراضنا، وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}، وفي قراءة: {فتثبتوا}، {أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات:٦].

فإذا كان الأمر بالتأني وعدم العجلة فيما أنبأ به الفاسق فكيف بالكافر؟ وسبب الآية معروف وقد نزلت في شأن صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم إن طوائف من الناس أرسلت إلينا جزاهم الله خيراً لتتثبت، ولكن قالوا: (أرسلوا إلينا ثقة من عندكم)، والسؤال: هل أهل الثغور والجهاد العيني هم من يخرجون منها ليدفعوا عن أنفسهم التهم أم يؤتى إليهم لبيان الحقيقة من أفواه أصحابها وعلى الأرض؟ ثم إننا بالفعل حاولنا إرسال عدد من الإخوة ولكن كان نصيبهم جميعهم الشهادة قبل السفر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك لضراوة المعركة عندنا ولأمر لا يعلمه إلا الله في هذا الشأن، ونحسب أن الله يدفع عنا، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج:٣٨].

أما كذبة أننا نستهدف عوام أهل السنة، فمن أين رجال جيشنا؟ ومن احتضن جهادنا؟ بل ومن وقف في وجه المحتل أصلاً؟ أليسوا هم عوام أهل السنة؟ أليس من الغباء أن يقال إننا نستهدف الأب والخال والعم والأخ والعشيرة؟ ولماذا نستهدف من شَيّخه

أهله من شيوخ العشائر المخلصين؟ ثم لماذا نستهدف من شيّخه دينه كأئمة المساجد؟ ومن يصلي بالناس ومن يفتيهم ومن يقوم على بيوت الله بعدهم؟ وهل نحن بوذيون أومجوس حتى نستهدف أئمة ديننا مصابيح الهدى ومنائر الخير؟! ألا تتقون الله فينا يا عباد الله!

ثم لماذا يحسن إخواننا الظن بأنفسهم ولا يحسنون بنا الظن؟ ألا تكفي هذه الدماء التي سالت غزيرة من رجالنا حتى تعرفوا صحة المنهج وصدق التوجه؟ إلا إذا كنتم أو غيركم تنكرون علينا -ولا أظن- قتل شيخ عميل من شيوخ الصحوات أو إمام من أئمة الكفر والردة، فإن هؤلاء نتشرف بقطف رؤوسهم، ونفرح كما فرح رسول الله ﷺ برأس أبي جهل، فمن بالله عليكم لا يفرح بقتل أبي ريشة أو المرتد الجبيلي؟

أما فرية استهداف ضباط الجيش العراقي السابق، فكل أهل العراق يعلمون كذب هذه الدعوة، فإن كثيرًا منهم من خيرة رجالنا، بل منهم من صار إمامًا في الدين وقد كان بالأمس ضابطًا في الجيش العراقي، وأؤكد أنه قد لحق بصفوفنا من أول يوم من ضباط الجيش السابق أكثر بكثير ممن لحق بغيرنا، وما أبو البشائر الجبوري إلا ضابطًا من هؤلاء فقد كان عقيد ركن بالجيش السابق، وقائدًا لأركان دولة الإسلام بعد ذلك. ثم من طور الجهاد في العراق وقفز به مسافات بعيدة في كل شيء يخص الأمور العسكرية؟ أليس طائفة صادقة مخلصة موحدة من هؤلاء؟

٩- تتهمون أنكم تسعون لإحداث حرب أهلية في العراق بدليل رسالة الشيخ أبي مصعب -رحمه الله- إلى الشيخ أسامة -حفظه الله- المنشورة من قبل الأمريكان في وسائل الإعلام، فما تقولون؟

- أولاً، على فرض صحة هذه الرسالة فإن تنظيم القاعدة هو مُكوّن من مكونات الدولة الإسلامية، والتنظيم إنما كان يسعى لرد عدوان الرافضة المجوس على أهل السنة والذي بدأ قاسيًا وغاشمًا منذ أول يوم لدخول المحتل، ثم هم كطائفة ظهره وعيونه ومن

ثم جنوده وكلابه المسعورة على أهل السنة، فلم يسلم من إجرامهم طفل رضيع ولا شيخ ضعيف، هدموا مساجدنا وأحرقوا كتابنا وأهانوا كرامتنا، فكان لا بد من رد عدوان هؤلاء المجرمين وإيقاف مدهم، فاستهدفنا رموزهم وكسرنا جيشهم، ولكن عدوان القوم كان عدوان طائفة على طائفة، وردعهم من قبل جماعة مجاهدة أو عدة جماعات غير كافية البتة، فكان لا بد لأهل السنة كطائفة أن يردوا عدوان المجوس الجدد ويدفعوا عن أنفسهم، فوقفنا مع أهل ديننا بكل ما نملك، أعطيناهم السلاح وشجعناهم على الصمود وبينا لهم خطر هؤلاء المجوس، فكان بحمد الله ما خططنا له أن دفعوا عدوان هؤلاء وانكمش شرهم كطائفة على طائفة إلى حد كبير، وخاصة بعدما تمايزت الصفوف بتمايز المناطق، ولكن القوم يقاتلوننا اليوم تحت مسمى الدولة التي يحكمنا فيها الرافضة وهو ما سعينا لإفشاله بإعلان دولة الإسلام بعدما طهرنا ديار أهل السنة من عساكرهم، لكن العلمانيين الجدد في الحزب الإسلامي والجيش الإسلامي، أبوا ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل.

١٠- يقولون: إن أسلوب مسك الأرض أسلوب عسكري فاشل، فما ردكم؟

- هذا كلام العاجز قليل الحيلة ضعيف الهمة عديم الخبرة بعيد عن الساحة، وإلا فيعلم الجميع الأثر العظيم الطيب لأحداث الفلوجة الأولى وما أعقبها من مسك الأرض وكيف أن معظم الجماعات الجهادية أعلنت عن نفسها بعد هذه الأحداث مستفيدة من الأمن الذي حققه بدمائهم حينها رجالُ التوحيد والجهاد مع بعض المخلصين.

ثم لنكن أكثر شفافية: لقد جاءت معظم الحملة على هذا النوع من القتال من فصيل معين على لسان متحدثهم الرسمي، والقوم يعلمون أكثر من غيرهم أنهم كانوا المستفيد الأكبر من هكذا أسلوب، فعلى الرغم أنه لم يكن لهم في أحداث الفلوجة ولا حماية المدينة ناقة ولا جمل إلا أنهم عندما اختطفوا الصحفيين الفرنسيين أين ذهبوا بهما؟

لقد أتوا بهما إلى الفلوجة، ولقد كنا نعلم مكانهم والبيت المحتجزين فيه والقائم على مسؤولية حراستهم وقبضوا الملايين من الدولارات، ولم نجد منهم كلمة شكر واحدة للأسود في خنادق القتال تحت حر الشمس وقذائف العدو يحمون بيضة الإسلام بدمائهم، بل كان الجزاء طعنًا ونقدًا.

ثم هل يظن أحد أن الله أنزل شريعته وترك لنا الخيار يأجرنا إن عملنا بها ولا يعاقبنا إن تركناها؟ أليس إقامة الدين فرض واجب عند القدرة على ذلك؟ وأليس الواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه؟ والقدرة والوسع من يحددهما؟ أليس الرجال في الميدان من أهل الحل والعقد؟ وإن لم يكونوا شورى المجاهدين فحلف المطيبين فمن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فإنَّ قِوام الدِّين بالكتاب الهادي والحديد النَّاصر، كما ذكره الله تعالى. فعلى كلِّ أحدٍ الاجتهاد في اتِّفاق القرآن والحديد لله تعالى)[١].

وإذا كنا قادرين على إقامة حكم الله في أرضه ساعة من نهار بلا مفسدة راجحة بل بمصالح راجحة ألا يكون ذلك واجبًا علينا؟ فكيف إذا أمكن ذلك لأيام وشهور وسنين كما هي الحال في الدولة الإسلامية في العراق؟ فقد كانت تحكم السيطرة على كل مناطق أهل السنة كاملة لمدة عام تقريباً وما زالت تحكم السيطرة على كثير منها إلى يومنا هذا، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلَاثِينَ -أَوْ أَرْبَعِينَ- صَبَاحًا"[٢]، وفي رواية: "حدٌّ بأرضٍ خيرٌ لأهلِها مِنْ مَطَرِ أربعينَ ليلةً"[٣]، فمصالح الدين والدنيا في إقامة حكم الله في أرضه، قال الله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:١٧٩]، ثم إن الخوف من العدو المحيط بنا ليس مانعًا من موانع إقامة حكم الله في أرضه، ومدينة رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك.

---

[١] السياسة الشرعية، ابن تيمية، (ص٢٤٥).

[٢] رواه أحمد والبخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه والنسائي وابن حبان، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف جرير بن يزيد، قال أبو زرعة: شامي منكر الحديث.

[٣] رواه النسائي، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف جرير بن يزيد، وقد اختُلِفَ فيه على إسماعيل.

١١- هل صحيح أنكم تكثرون من العمليات الاستشهادية بلا مبرر عسكري حقيقي؟

- الكثرة من القلة -يا أخي- يحددها القادة في الميدان فهم أعلم الناس بالقتال ومستلزمات الصراع والأحرص على دماء إخوانهم ودماء المسلمين، ثم إن عشرات العمليات التي يعلن عنها أنها استشهادية ليست كذلك.

١٢- هل تدفعون النساء والأطفال إلى القيام بالعمليات الاستشهادية؟

- هذا من الكذب الفاضح، أما عن الأطفال فمحال أن نقبل في صفوف جيشنا من لم يبلغ الحلم. وأما عن النساء فحكم جهاد النساء في جهاد الدفع معلوم، ومع ذلك فقد أعلن أمير المؤمنين مرارًا وتكرارًا أننا لا نجوز أن تقوم المرأة بعملية استشهادية إلا فيما يعجز عنه الرجال، بشرط سلامة دينها وعرضها من أدنى أذى، مع المبالغة في الأخذ بالمحاذير والاحتياطات الأمنية اللازمة لها، وأي تجاوز من أي أمير لهذه الشروط فهو معرض للمحاكمة الشرعية ومعاقبته على تساهله. كما إن الإعلام الخبيث يهول من هذا الموضوع، فمعظم العمليات التي يعلن العدو أن منفذيها نساء هي كذب وافتراء، والقصد منها معلوم: التجرؤ على أعراض أهل السنة.

١٣-يتهمكم البعض أنكم كنتم سبباً في مشروع الصحوات، فما مدى صحة ذلك؟

- سبق وأكدنا أن السبب الحقيقي وراء مشروع الصحوات هو قيام الدولة الإسلامية، وهو ما بدأ يطفو على السطح في هذه الأيام، فبعد إعلان الدولة تضارب المشروع الإسلامي مع المشروع الوطني الذي تتبناه كل ألوان الطيف في العراق تقريباً وهو ما تصرح به مراراً وجهاراً كل جبهات الضرار التي أُعلنت وشُكلت، وليس من

العجب ولا من الغريب أن تتشكل جميع هذه الكتل بعد إعلان الدولة الإسلامية، فإنما تشكلت حقيقة لحربها سرًا وجهرًا، فلقد اشتعل الحقد والحسد في قلب حملة راية ابن سلول بعدما ضاعت من أيديهم الكعكة و تحطم أملهم في الحكم الوطني القومي، وتيقنوا أن دماءنا وأشلاءنا سنقطعها رخيصة ولا تضيع ثمرة الجهاد وتحكم العراق مرة أخرى بغير شريعة الرحمن، ولأن حقيقة جيوشهم الكذب وخاصة بعدما لحق المخلصون في صفوفهم بنا كان خيارهم الوحيد الوقوف مع المحتل ضد الدولة الإسلامية، فإن المشروع الوطني الذي نظّروا له وجمعوا لأجله وتحالفوا عليه هو نفس ما يريد المحتل فقط شرط العمالة وهو ما قدموه مسبقاً ودون مقابل من الكافر المحتل، اللهم إلا دراهم معدودة وأمن بدأ المحتل وأعوانه في حرمانهم منه.

١٤- هل تقبلون توبة الصحوات؟

- بالطبع، فإن باب التوبة مفتوح، وقد أعلن ذلك أمير المؤمنين مراراً وتكراراً، ولكن وفق الضوابط الشرعية المعلومة بتوبة الجماعات المسلحة المرتدة عن شريعة الإسلام، فشروط الصِّدِّيق عليهم معلومة مشهورة. ومرة أخرى أنصح جندي الصحوة بالتوبة إلى الله والندم والرجوع إلى راية الحق و أقول له: أيها السكران سوف تعيش تعيسًا عميلًا وتموت كافرًا مرتدًا وتورث عارًا وشنارًا يحمله ولدك من بعدك، فقل لي بربك إن كنت ما زلت تتذكره من يتزوج بنتك؟ وماذا سيقول ولدك للناس؟ وماذا سيقول أحفادك عنك؟ فاحرص على أن لا يقال لهم يا أبناء الخائن العميل ويا نبت الحرام والسحت، وإياك أن يبصق على قبرك ولدك بعدما يرى الذل من بعدك فإنا حتمًا والله قاتلوك بحول الله إن لم تتب إلى الله تعالى فتب أيها التعيس وإياك وفتاوى أئمة الضلال.

١٥- تتهمون أن لكم علاقة بالنظام الإيراني، ويستشهد بذلك بقضية القنصل الإيراني المفرج عنه أيام التوحيد والجهاد.

-هذه فرية خائبة مردودة في وجه صاحبها، وإلا فقد استهدفنا الدبلوماسيين الإيرانيين الثلاثة قرب مستشفى الكرخ، واستهدفنا السفارة الإيرانية مرات عديدة، واستهدفنا مجموعة من المخابرات الإيرانية على هيئة زوار في كربلاء، وقصة تدمير باصهم معروفة.

ثم من وقف في وجه عملائهم بالعراق وقاتل بضراوة فيلق بدر وجيش المهدي وكسر شوكتهم ورد الصاع صاعين؟

وأما قصة القنصل الإيراني فقد حدثت أيام (التوحيد والجهاد) وهو اجتهاد الإخوة يومها ولا تلزم تبعاته الدولة، ومع ذلك فقد كنت شخصياً طرفاً في بعض الفصول، فلقد علمت بخبره من الأخ أبي عبد الرحمن المصري أو أبي إسلام -رحمه الله- وهو من السابقين إلى الجهاد في أفغانستان ومتهم بتدمير المدمرة كول في اليمن، وعلم بالخبر من الأخ أبي عبير الجنابي -رحمه الله- الذي كان يومها من قادة الجيش الإسلامي وذلك قبل أن يصل الخبر إلى الإعلام، وجاء إلينا أبو عبد الرحمن في الفلوجة يقترح أن نبادل الأسير بالإخوة في إيران أو ببعضهم، وكُلف أبو عبد الرحمن أن يبلغ الخبر للجيش، وبالفعل أوصل هذه الرغبة إلى الأخ أبي عبد القادر -رحمه الله- وكان أيضاً من أمراء الجيش الإسلامي حينها، وسافرت إلى اليوسفية للقاء قادة الجيش لهذا الهدف وبتكليف من الشيخ أبي مصعب -رحمه الله-، ولكن بعد وصولي إلى اليوسفية صعقت حينما رأيت الفضائيات تنقل الخبر الذي يشترط فيه الجيش الإسلامي إطلاق سراح جنود الجيش العراقي السابق في مقابل إطلاق سراح الأسير، وظننت أن خبر المفاداة بالإخوة لم يصلهم، واجتمعت بأبي أيوب المسؤول العسكري للجيش الإسلامي وأمير الجنوب وعضو مجلس الشورى وكان معه أبو المعتصم عرّفوه لي حينها أنه نائب أمير الجيش، وعاتبتهم، فادعى أبو أيوب أنه لا علم له بخبر رغبتنا في مفاداته بالإخوة، وحينها دخل أبو عبد القادر -وكنا في بيته- فسألته: ألم توصل الخبر للمشايخ؟ قال: بلى، قلت لأبي أيوب حينها احمر وجه الرجل وبدأ يلتمس الأعذار، وقلت لهم: إننا الآن لا نستطيع أن نفعل شيئاً ما دام الأمر كما فعلتم، وقد خرج للعلن، وهو ما يعيق المفاوضة، ثم إن إيران

ردت أنها أطلقت بالفعل بعد السقوط كل أسرى الجيش العراقي، وجاء وفد من الجيش الإسلامي إلى الفلوجة وسلموا القنصل إلينا بعد أن احتاروا في كيفية التصرف معه، واشترط عليهم الشيخ أبو مصعب أن نتصرف فيه بما نراه مناسباً حتى لو أطلقنا سراحه، فقالوا: كما تشاؤون، وكان رأي الشيخ والإخوة أننا لا نستطيع قتله لأنهم ربما تصرفوا مع الإخوة أو بعضهم بنفس الأسلوب، كما لا حاجة لنا في فدية مالية ربما يعود ضررها على معاملة الإخوة هناك، وقال لي ساعتها الشيخ أبو مصعب: (لقد ورَّطَنا الجيش)، فكان قرار الإخوة أن يطلق سراحه محملاً برسالة تهديدية للحكومة الإيرانية أن لا يلعبوا بملف الإخوة عندهم ولا يخرجوا أسماءهم إلى الإعلام، وهو ما التزموا به حيناً من الزمن.

ثم إننا هددنا إيران صراحة ولكن منع من التنفيذ ظروف العمل الخارجي ومشاكله المعلومة لكل من مارس أسلوب العمليات النوعية، وكذلك ما شغلنا به داخل العراق من قبل عملاء المحتل.

ثم قولوا لي بربكم: هل هناك أي جماعة قتلت ولو إيرانيًا واحدًا؟ أو هددت إيران صراحة؟ أو قتلت رؤوسهم في العراق مثلنا؟

أليس هذا قلباً للحقائق وكذبًا مفضوحًا؟!

١٦- هذا يقودنا إلى سؤال آخر: هل لكم أعمال عسكرية خارج العراق كالدول الغربية مثلاً؟ وهل عندكم النية لاستهداف المصالح الغربية؟

- أيقاتلنا الصليب في عقر دارنا ولا نقاتله في عقر داره؟ إن كل الدول التي اشتركت في عدوانها على العراق وإجرامها بحق أهلنا هم هدف مشروع لنا وإن طال الزمان، فالحق لا يسقط بالتقادم، ثم إننا بالفعل نفذنا أعمالاً خارج العراق كثيرة ونخص منها بالذكر العملية الأخيرة في بريطانيا والتي نفذ جزء يسير منها على المطار ولم ينفذ الباقي، لخطأ ارتكبه أحد الإخوة قبل العملية بأيام فقد اتصل وأخبر أن العملية على وشك الحدوث.

ولكن نبشر قادة بريطانيا وأمريكا وأستراليا بما هو قادم، فقد منّ الله علينا بما لا طاقة لهم بعون الله برده أو القدرة على كشفه ونسأل الله التوفيق والسداد.

١٧- كيف تقيّمون قوة الدولة الإسلامية بُعيد إعلانها؟

- لن أتكلم عن هذه القوة، وكيف كنا وما زلنا نبسط النفوذ، فهذا أمر أخرجنا دلالة عليه عشرات الأشرطة المرئية والسمعية، ولم يكن حينها يصدقنا من كان في قلبه مرض أو من وقع ضحية الكذب المقنن المخترع ممن لبس مسوح الدين، فقد بدأت الحقائق تتكشف وصرّح قبل أيام مجرم البيت الأبيض أن القاعدة -ويقصد الدولة- كانت تسيطر سيطرة كاملة على الأنبار، وكانت تتدخل في كل شيء، ولئن كان المجرم اعترف فحسب بالأنبار فإليك اعتراف أمير في الجيش الإسلامي ومسؤول كبير في الصحوات وذلك على فضائية العربية وفي برنامج (بالعربي) قال عنا: (لقد أصبحوا دولة حقيقية على الأرض، وسيطروا على معظم مناطق أهل السنة، وتدخلوا في إدارة معظم المحافظات، وبايعهم مئات من شيوخ العشائر) ا.هـ.

هذه هي الدولة التي أفتى البعض بحلها، وادعى أنها كرتونية ودولة الإنترنت، فجرّأ المجرمين عليها فسُكبت بفتاويهم الدماء، وهُتكت الأعراض، والله لقد سمعتُ الكثير من هذه الدماء قبل موتها تشتكي إلى الله وتقول: والله لن نتسامح مع هؤلاء ولن نسامحهم يوم القيامة يوم العرض يوم لا تنفع حجج واهية ولا أدلة ساقطة، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم التي سطروا بها فتاوى هتكوا بها أعراضنا وسفكوا دماءنا، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

١٨-أخيرًا هل من كلمة للمجاهدين خارج العراق؟

- الحمد لله، لقد بدأنا السير مسرعاً، وبدت الصورة تظهر معالمها في أبهى وأجمل ما يكون، فنحن اليوم جيش واحد تحت راية واحدة نقاتل عدونا على جبهات مختلفة في

شمال الأرض بالقوقاز وأفغانستان، وبجنوب الأرض في الصومال والأوغادين، وفي وسط الأرض في العراق والجزائر، قلوبنا مجتمعة، وهدفنا واحد، نستظل بعقيدة واحدة، فشدوا رحمكم الله، فالثور بدأ ينهار، لا تعطوه فرصة النهوض، إياكم أن تدخروا جهداً فقد بدأ الخرق يتسع على الراقع، وأحسب -إن شاء الله- أن الله القوي العزيز أذن بهلاك إمبراطورية الشر والقمار أمريكا.

قلوبنا أيها الأسود معكم نذرف الدمع فرحاً بانتصاراتكم ونكتم الأنفاس حزنًا بمصابكم، وأخص بالذكر مصابي في أخي الحبيب الغالي أبي الليث الليبي في أفغانستان، وآدم عيرو في الصومال. وأقول لشباب الصومال: القرن الأفريقي أمانةٌ في أيديكم، واحذروا طعنات الوطنيين فإنهم حتماً فاعلون، فإن قاتلوا معكم اليوم فإنهم غداً في صف عدوكم، وتكفيكم وتكفينا في العراق آلام التجربة.

وأما سكان بيت المقدس وأكناف بيت المقدس فنقول: اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فلن ندخر جهدًا في التواصل معكم، ومدكم بكل ما نملك، وحدوا صفوفكم في وجه طعنات العلمانيين الجدد، ونكرر قولة أبي مصعب الشهيد -رحمه الله-: (نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس).

جزاكم الله خيراً فضيلة الشيخ على هذا اللقاء الطيب، أسأل الله أن ينفع به.

وإلى لقاء آخر مع دفعة أخرى من الأسئلة تجيبوننا فيه عن أهم ما يردنا من استفسارات.

اللِّقَاءُ الصَّوْتِيُّ الثَّانِي

٢٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ || ٢٠ أبريل ٢٠٠٩م

يسرّ مؤسّسة الفرقان أن تقدّم لكم اللقاء الصّوتي الثّاني مع الشّيخ أبي حمزة المهاجر -حفظه الله-.

بدايةً نشكركم فضيلة الشيخ على إتاحة الفرصة لعرض أهم ما وردنا من أسئلةٍ على فضيلتكم، ونبدأ مع السّؤال الأول:

١- تمرّ علينا هذه الأيّام آلام ذكرى سقوط بغداد واحتلال العراق، فهل من كلمةٍ بهذه المناسبة؟

- الحمد للهِ مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبّر عن الظّلم، المتفرّد بالبقاء، السّامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى، والصّلاة والسّلام على من بُعث بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد:

فالعراقُ بلدٌ مسلمٌ سالت دماءُ الصّحابة لرفع راية التّوحيد عليهِ، وكان فتحهُ بداية الانهيار الكبير لامبراطوريّة المجوسيّة الفارسيّة، ولقد أقدمت أمريكا تقود تحالفًا صليبيًا كبيرًا على احتلال العراقِ مدفوعة بأوهام عقدية يهوديّة صليبيّة، لتحقيق حلم دولة إسرائيل الكبرى من النّيل إلى الفرات، فنهض رجال الإسلام وشباب الأمّة يذودون عن حِمى الدّين عاقدين العزم أن يفتحه الله على أيديهم كما فتحهُ أجدادهم الصّحابة وكان لهم ما عزموا، فأعلن الصّليب هزيمته وخسارته لمعركته و بدلاً من المواجهة لجأ إلى حيل إبليس فكلما انقطع حبلٌ ألقى الشيطان إليه آخر، وفي صفقة خسيسة خبيثة مع مجوس إيران سُلّم العراق مرّةً أخرى إليهم.

فقد أدرك اليهود أن أشدَّ النّاس حقداً على أهل السّنة هم الرّوافض المجوس، كما أنّهم خير الملل عوناً لهم على الإسلام و أهله، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال:٣٠].

وبهذه المناسبة نقول للرّوافض المجوس وأعوانهم من الحزب الإسلامي والصّحوات – خونة الجهاد– لن تُحكم بغداد من قِبل الرّوافض المجوس ما دام فينا عرقٌ ينبض، فبالله وتالله لن يهدأ لنا بال ولن يقرّ لنا قرار حتى نذيق المالكي المجرم وجنوده وأتباعه وأشياعه من كأس الرَّدى الّتي شرب منها الهالك عبد الزّهرة حسين وباقر الحكيم وستار الريشاوي، وسوف نطارد عباد الصليب الأمريكان وعملاءهم حتى نطهّر الأرض كلها من رجسهم، لن تنفع معنا بعون الله خدعهم، ولن تثنينا تحصيناتهم وإنّا على يقين بالنّصر التام للدين وجنده.

٢– هل من كلمة للمجاهدين في الدّولة الإسلاميّة في هذه الذّكرى الأليمة؟

– أقول له: أيّها المجاهد أبشر فإنك على صراط مستقيم؛ لأنّك مسلم سنيّ اصطفاك الله وشرفك بهذا الدين، إنّك على صراط مستقيم لأنك موحّد أشرك النّاس وما أشركت، اتخذ الناس أرباباً ورضيت بالله ربّاً، عمل الناس للبشر وعملتَ لربِّ البشر، فعلمت يوم أن جهل الناس، و اهتديت يوم أن ضلَّ الناس فإنك بحقٍّ عبقريٌّ ذكي زكي، اجتمع عليك الخلق فلجأت إلى ربّ الخلق، لم تزدك المحن والفتن والبلايا إلا ثقةً بوعد الله و اطمئناناً بنصر الله، فكنت بحقّ خير خلف لخير سلف. {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران:١٧٣].

أيّها المجاهد، إنّك على صراطٍ مستقيم؛ لأنك لم تقبل إلا بذروة الخير عملاً فتلبست بأشرف العمل وأعلاه الجهاد في سبيل الله، فأنت الحارس الأمين لهذا الدين بك دخل الناس في دين الله أفواجاً وبك منع الله الناس من الخروج من دين الله أفواجاً، أنت سيف

الله الذي يضربُ بهِ أعداءه، أنت غضب الله الذي ينتقم به من مردة الإنس، ويكفيك شرفاً وفخراً أنّك تقدّم نفسك حمايةً للدّين والعرض، ففي حفظ الله أيّها المجاهد، فواللهِ لوددتُ أني أحفظك بأجفاني وأحميك بأضلاعي فلا يصل إليك مكروه ولكن عزائي أنك إن عشت عشت عزيزاً كريماً، وإن متّ متّ شهيداً تغدو إلى ربٍ كريم قال: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

وأخيراً، أيّها المجاهد انظر من عدوّك تعرف من أنت، عدوّك عبّاد الصليب وخدّام المجوس وعبدة الزهراء والحسين عدوّك كهنة السلطان وعبّاد القطيفة والدرهم والدينار، فهل عرفت الآن من أنت؟

أنت المسلم الموحِّد، أنت قدر الله لتزلزل عروشهم، وتطهّر الأرض من رجسهم. إنهم يسعون لقتلك إرضاءً للطاغوت؛ فاسعَ لقتلهم إرضاءً لله، {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء:٧٦].

٣- هل من كلمة للجماعات المسلَّحة في العراق في هذه المناسبة؟

- كلمتي إلى الذين يظنون أنّنا على الحق، ونقاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ماذا تنتظرون؟ وقد رأيتم كيف تحالف أصحاب كل باطل وتحزّبوا، وناصر بعضهم بعضاً في كل شاردةٍ و واردة، فإن كان يمنعكم من الجماعة ووحدة الصف أخطاءٌ تظنّونها فينا فنحن لم ندّعِ أبداً العصمة، و إننا اليوم وغداً نعترف أن هناك أخطاء بل ولن تنتهي كلّ الأخطاء ولكن والله إننا نحسب أنفسنا لم نتعمَّد أبدًا الأمر بخطأ ولا نرضى عليهِ، وإن حدثَ نسارعُ في إصلاحه وإن علمنا نأخذ على أصحابه ولكم علينا إن جئتم إلينا أن نمكّنكم من إصلاحِ ما نتفقُ على أنّه خطأ على وفق شرع الله، فإن لم نفعل فأنتم في حلّ من أي اتفاق. وإن كان يمنعكم من الوحدة أن الناس رمتنا عن قوس واحدة، وأن رايتنا

هدفٌ لكل طاغوت وجبّار فهذا هو عين ما أمركم بهِ الشّرع وجعله سببًا لنصرتنا والوحدةِ معنا، قال ﷺ في الحديث الذي في الصّحيحين: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". وقد علمتم أننا مظلومون، ثم إن عداء كل طاغية لنا هو سرّ قوتنا وموضع عزّتنا وعلامة لصدق رايتنا وصفاء منهجنا.

ورسالتي الثّانية: إلى الذين يقاتلون لأجل تحرير الوطن وتحت راية الوطنيّة والقوميّة: أقول بالله هل بهذا أمركم نبيكم؟ ألم يأتِ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ كما في الصّحيحين، عن أبي موسى –رضي الله عنه– فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً ويقاتل حميّة، فرفع إليه ﷺ رأسه فقال: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عزّ وجل". قال النوويّ وابن حجر وغيرهما: (الحميّة أن يقاتل أنفة وغيرةً ومحاماة عن العشيرة)، بل وقال الحافظ في الفتح: (ويحتمل أن يُفَسَّرَ القتال لِلْحَمِيَّةِ بدفع الْمَضَرَّةِ، والقتال غضبًا بجلب المنفعة)[1].

فهل خرجَ قتالكم يا قوم عن ما حذّر منهُ ﷺ؟ بل هو غاية مرادكم! و إنما المطلوب في شرع الله كما قال الحافظ في الفتح: (لا يكون في سبيل الله إلّا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط)[2]. وتحرير الوطن وغيره يدخل ضمناً لا قصداً، و قد علمتم مفسدةَ هذا النوع من القتال؛ فإن معظم حكّام العرب اليوم جاؤوا بعد قتالٍ رُفعَ تحتَ راية الوطنية فكيف ترون النّتيجة؟ أليست خسراناً في الدنيا والآخرة؟

ورسالتي الثالثة: إلى الذين كانوا يرفعون راية السلفية وتحكيم الشّريعة قبل أن يستدرجهم الشّيطان إلى غرف المخابرات لتوقيع اتفاقيات الذلّ والعار والخيانة مع المحتلّ وأعوانه، نحن نعلم أننا كلما لنّا لكم رفستمونا في وجوهنا ولكن لا بدّ من النّصح وسنحاول جرّكم إلى الحق، والله لا نريد لكم ولا لغيركم إلا الجنة في الأرض وفي السماء، في الأرض بطاعة الله وفي السماء بالفوز برضى الله، ولن يكون ذلك إلا بصدق التّوبة إلى الله بعد الاعتراف بالذنب و إيّاكم وتبرير الخطأ بأوهام كاذبة.

---

[1] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص٢٨).

[2] المرجع السابق.

فإننا كما تعلمون لم نرفع في وجوهكم سلاحاً إلا بعد أن تعاونتم مع المحتلّ وتحالفتم مع الشيطان، وقد كنّا نلتزم ضبطَ النّفسِ ولا نريد أن تجرّونا عن هدفنا في قتال المحتلّ وأعوانه، حتى تبيّن لنا بما لا يدع مجالاً للشّك بل وتبيّن لكل مخلص في هذه البلاد أنّكم صرتم أهمّ أعوان المحتل وعيونه، وقد اعترف أحلافكم بعمالتكم وأخرجوا لذلك البيانات، أفما آن لكم أن تعودوا إلى رشدكم، فقد أدار الكافر ظهره لكم ونحن نرحّب بكم بعد التوبة بشروطها.

وإلى القِلَّة التي ما زالت متشككةً في عمالة بعض الجماعات للمحتلّ وقتالهم للمجاهدين في صفّ الصّليب وجيش المجوس، نحن نرحّب بلجنة من أهل العلم والرأي نستقبلهم في أرض الواقع، ونؤمّن لهم الحماية اللّازمة ليقفوا على أدلّة اتهامنا من واقع المأساة ويتبيّنون صدق ما قلناه وقاله غيرنا من الصّادقين، ومن ثمَّ تقوم هذه اللجنة بنصيحة تلك الجماعات وتذكيرهم بالله لعلهم يعودون إلى رشدهم، وإن أبوا قامت اللجنة ببيان الحقيقة للأمّة وفضحِ هؤلاء على الملأ لعله يكون أنفع لهم.

٤- هل من توصيفٍ لحال العشائر في ظلّ الأوضاع الراهنة وهل من رسالةٍ إليهم؟

- عشائر العراق أقسام:

قسمٌ وقفوا مع الدّولة الإسلاميّة وساندوها، شيوخاً وشباباً ظاهراً أو باطناً، فهؤلاء لا نستطيع في الدنيا أن نوفي حقهم و نحسن شكرهم، فجزاهم الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

وقسمٌ اشتغل بزرعهِ وحرثهِ وتجارته ولم يعادِ المجاهدين، أو يتعاون مع المحتلّ؛ ومع أنهم تركوا واجباً في حقهم وفرضاً من فروض الدين إلّا أنّنا نحسن بهم الظنّ وهم إن شاء الله إلى الخير أقرب.

وقسمٌ تعاون مع المحتلّ وحارب المجاهدين، وهؤلاء وقعوا ضحيَّةَ فتاوى ضالةٍ وأكاذيب وأراجيف منمّقةٍ من الحزب الإسلامي وخونة الجهاد، و هؤلاء مع أنّنا نقاتلهم إلا أننا نكره ذلك ونتمنّى أن يأتي اليوم الذي يتوبون فيه إلى الله، ويعودون إلى رشدهم و خاصةً بعدما رأوا حقد الرافضة وكيف يريدون أن يستعبدوا أهل السنة و بمعونة و بطش المحتلّ الصليبي.

و أيدينا و قلوبنا مفتوحةٌ لكلّ من يتوب إلى الله منهم، وإلّا فقد جئناهم بالذّبح! و صدق رسول الله القائل كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وأحمد وابن حبّان والحاكم في صحيحيهما: "يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ، عِنْدَ نَهَرٍ، يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَيَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ. -وفي رواية: مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ-، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَا عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فَيَتَفَرَّقُ أَهْلُهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ وَهُمُ الشُّهَدَاءُ"[١].

٥- هل يمكن أن تبيّنوا لنا من هم الذين دعا أمير المؤمنين للتّصالح والتّعاون معهم؟

- كلام أمير المؤمنين واضح، فقال لا نشترط إلا أن يكون مسلماً يسعى لتحكيم شرع الله في أرضه وهم كُثر بحمد لله، فخرج بقوله -حفظه الله-: (مسلمًا)، كلّ من ارتدّ عن الدّين، كالذين تعاونوا مع الصليبيّين في قتالهم ضد المجاهدين، وخرجَ بقوله -حفظه الله-: (يسعى لتحكيم شرع الله)، كلّ من جعل الرابطة الوطنيّة والقوميّة هدفاً لجهاده وغاية مراده وأهم شيء عنده تحقيق العدل وتوزيع الثروة ومساواةُ أبناء الوطن الواحد في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن دينه وعقيدته فهؤلاء يسعون لهدف و نحن

---

[١] قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. سعيد بن جُمهان -وإن وثقه غير واحد من الأئمة- له ما ينكر، وقد وهم في إسناد هذا الحديث وفي متنه كذلك.

نسعى لهدف آخر، فكيف نتفق في الطّريق إليه حتّى لو جمعنا بعض الطريق لا بدَّ أن نفترق، نسأل الله أن يهديهم إلى الصّواب ويُصلح نيّاتهم.

٦- هل من كلمة لجنود الصّحوات في ظل الاعتقالات التي تطال رؤوسهم وأذنابهم، واتهام المالكي وعصابتهِ لهم بالإجرام؟

- أما عن إجرام الصّحوات فنعم، لقد أجرموا في حق دينهم وأجرموا في حقّ أهلهم و أجرموا في حقّ أنفسهم، فهم مجرمون مجرمون؛ ومع ذلك إن عادوا إلى بيوتهم وتركوا ما هم فيه وعليه اليوم تائبين إلى الله، فلهم منا الأمان من أيّ ملاحقةٍ شرط صدق توبتهم، ونخصُّ منهم من كان في جماعةٍ تدّعي الجهاد، فلهم منّا كلّ الأمان شرطَ صدق التوبة وعدم حمل السّلاح مرة أخرى تحت أيّ ذريعةٍ كانت، إلى أن يتبيّن صدق توبتهم، فحينئذ كل حالة تعامل بنفسها، أما من أبى إلَّا الاستمرار في غيّه فلن تفوتنا -بقوّة الله- رأسه، وسنشفي صدورنا من دمه، ونُريح الملّة من شره.

٧- يُمنّي الأمريكان وعملاؤهم أنفسَهم أنكم غادرتم العراق فما تقول لهم؟

- أقولُ لقد قُتل أبو مصعبٍ -رحمه الله- بين جنودهِ في ديالى، و قُتل أبو عزام بين إخوانهِ في بغداد، و قُتل أبو قسورة -رحمه الله- بين أحبابه في الموصل، وقُتل عمر حديد بين رجاله في الفلوجة، وقد كنا نضحك سويًا حينما نسمع الأمريكان وهم ينادون في الفلوجة بمكبّرات الصوت لقد هرب عمر حديد وترككم، وكان قولهم هذا من دواعي ثبات الإخوة من حيث لم يحتسبوا، فوالله لو لم يبقَ في العراق إلا رصاصةٌ واحدة لبقيت حتى أطلقها ثمَّ أفجّر حزامي الناسف في أقرب تجمع لهم، وأسأل الله الثبات.

وكل إخواني خيرٌ مني وإني أتحدّى أيّ إنسان أن يذكر أن أحد أمراء دولة الإسلام غادرها لساعات وهو أمير، فلقد عقدنا العزم أن نطهّر العراق وغير العراقِ من رجس

المحتلّ وعملائه، فإمّا أن نموت شهداء أو يموتوا حقراء ولن يموت آخرنا حتى يرى النّصر بأمّ عينه، وعدُ الله.

٨- مجزرة غزّة الأخيرة هل من قراءةٍ لأسباب حدوثها الحقيقيّة؟

هذا سؤال هامٌّ وكبير، وأقول بعون الله إن ما حدث لغزّة يذكرني بحادثةٍ حدثت في قلب القاهرة وفي ميدان عام حيث أقدم ذئبٌ بشريّ و مجرمٌ نُزع من قلبه الحياء، وذلك في مطلع التسعينات من القرن الماضي على اغتصاب فتاة في وضح النهار وبالقرب من مركز للشرطة الطاغوتية، فما هيج المجرم أحدًا حتى انتهى من جريمته وانصرف آمناً دون أن يتعرّض لأذى، بعدها أخذ النّاس في الصّياح والعويل وبدؤوا يسألون المسكينة عن السبب بدلاً من لملمة جراحها، وما زال السبب مجهولاً على ما أظنّ.

وقد كان للحادثة ضجّة في المجتمع المصريّ، هذا هو ما حدث لغزّة بالضبط، أقدم اليهود على تلك المجزرة الرهيبة وعلى مرأى ومسمع من أمّة المليار ونصف تحوط بهم جيوش العرب (الأشاوس!) من كل جهة، فما كان من الأمّة إلا أن تظاهرت وندّدت وسارعت إلى جمع التبرّعات وتحمّل تكاليف الإعمار تماماً كما سارع الناس في القاهرة بعد حين إلى علاج الفتاة والتبرّع بملابس السّتر!

لكن ما هو السّبب الحقيقي في حالة الفتاة؟ أغلب ظني أن نظام الطّاغوت مبارك أوعزَ إلى كلب من كلابه ليقوم بالفعل الشّنيع حتى يختبر مدى تحمّل الناس، ويعرف أين وصل مقدار الجُبن وهل بقي في القوم من إحساس ونخوة أو جرأة و نجدة وكم. فلمّا اطمأنّ للنتيجة سام النّاس العذاب وساقَ شبابهم و شيوخهم إلى المعتقلات، وحرمهم من كل شيء، وجعلهم في نهاية المطاف يقتتلون لأجل رغيف الخبز في طوابير الذلّ والهوان، بدلاً من الموت في ساحات الوغى.

هذا هو السّبب الحقيقي الذي دفع اليهود لهذا الفعل الإجرامي العنيف بإيعاز من الأمريكان والاتحاد الأوروبي، وسيعلم العرب أن ما حدث في غزّة كان مزحة خفيفة،

وأن طوفان القهر قادم و لم يكن أبدًا السّبب أن حماس تطلق الصواريخ، فالقوم يصرّحون ويلحّون صباح مساء أنهم يوافقون و يوقعون ويلتزمون بهدنة مع المحتلّ شرط أن يحترمها اليهود، ويرسلون لذلك الرسل أمواجًا ويعقدون المؤتمرات أنواعًا و ها هم اليوم ملتزمون بها تقريبًا دون اتّفاقية فكيف إذا وقعت؟

كما أنه من المضحك أن يقال إن السّبب أنفاق حماس التي لا تستطيع مصر مبارك وقف الحركة منها وإليها أو هدمها في بضع كيلومترات هي حدود مصر مع قطاع غزّة، بينما يستطيع نظام ضعيف في الأردن وسوريا ضبط مئات الكيلومترات على نحو لم يشهد أي خرقٍ حقيقي يذكر. والحقيقة التي يعلمها اليهود، أن نظام مبارك أحرص على أمنهم من أنفسهم، وأنه لا يمكن لنظام جبّار عتيق في الإجرام كنظام مبارك أن لا يعلم بتهريب الأغنام والغاز والبنزين.

بل الحقيقة التي صرّح لنا بها سفير مصر بإسرائيل ولسبع سنوات الهالك في العراق: أن مصر تتحكّم بكل جحر فأر على حدودها مع إسرائيل، ويقف على كل نفقٍ طاقمٌ من رجال المخابرات المصرية لضبط كلّ ما يدخل ويخرج وهم يقومون بدور السجّان على سجن كبير، ولكن بدلاً من أن تفتح الأبواب كي يأخذ السّجين طعامه و شرابه قام بتهريبه السجّان عبر حفرة في الحائط فشكره السّجين وأخذ أتعابه السجّان، وأمن الجميع من انفجار الأوضاع فلا سلاح يهرّب ولا غيره إلّا بعلم المخابرات المصرية. والعجب أن يظنّ أحدٌ أن نائبًا برلمانياً كويتياً معارضاً يأتي إلى مصر عبر المطار، ويذهب إلى الحدود، ويدخل عبر الأنفاق ثم يخرج و يعود إلى بلاده، دون أن يدري به أحد في ظلّ نظام يراقب المتسولين في الطرقات، وسكان المقابر الأحياء منهم والأموات.

إن السبب الحقيقي وراء أحداث غزّة هو اختبار مدى تعاطي الأنظمة العربية والشعوب المسلمة وعلماء الأمّة تجاه لكمة قويّة عنيفة قاسية في وجه الجميع، كتلك التي حدثت في غزّة فلمّا اطمأنّوا إلى النّتيجة بدأت الخطوة الثّانية سريعاً ونقداً، و هو ما لم يكن أبداً قبل هذه الأحداث، فعقدوا اتفاقية أمنية مع واشنطن لحماية حدودها البرية

والبحرية وتتضمن هذه الاتفاقية إجراءات عسكرية على أراضي دول الطوق تقوم بها واشنطن وحلفاؤها دون الرجوع أو حتى إعلام هذه الدول، وقاموا بإصدار مذكرة اعتقال بحق حاكم عربي وسوف يفعلون بل واعتدوا عسكرياً وقصفوا أهدافاً على أراضي تلك الدولة بلا نكير.

كما اتخذوا قرار إخلاء القدس من أيّ وجود عربي، فقاموا بإخطار عدد كبير من المستضعفين كي يخلوا منازلهم و إلّا الهدم في سابقة كبيرة، وكلّ ما حدث لا شيء إذا قورن بالقادم وقد هُيّئت لذلك حكومة يهوديّة صهيونيّة غاية في التّطرّف.

٩- إذا كانت أمريكا تنهار اقتصاديًّا و عسكريًّا و متورطةً في حروبٍ لا تعرفُ كيف الخلاصُ منها، فأين يكون الخطر؟

- نعم، إن أمريكا تهوي على كلّ الأصعدة و ليس بقدرتها منفردة الدخول في أيّ حرب مع المسلمين مرةً أخرى، لذا أسلمت الراية لحلفِ شمالِ الأطلسي، وعادت قيادة الحروب الصليبيّة إلى أقطابها القدامى فرنسا ألمانيا إيطاليا بريطانيا، لذا اتخذت فرنسا ساركوزي قرار الرجوع للحلف بعد أكثر من أربعين عاماً من مغادرته، و بدأت بالفعل سفن هذا الحلف تحاصر المنطقة الإسلامية بعد أن تدرّبوا مراراً في مناورات بحرية على كيفية احتلال المنطقة. وللحلف اليوم وجود قويّ في أفغانستان، وفي لبنان لحماية حدود إسرائيل الشماليّة، والتدخل في أيّ تطوّر مفاجئ في بلاد الشام كما حدث في أحداث نهر البارد. فالصراع القادم في ظني سيقوده الاتّحاد الصّليبيّ الأوروبيّ بمشاركة روسيّة فارسيّة مرة أخرى، بعدما صار في حكم المؤكّد امتلاك إيران لسلاح نوويّ.

١٠- هذا يقودنا إلى سؤال هامّ: ما واجب الأمّة تجاه هذا الخطر الدّاهم؟

- **أوّلاً**، لا بدّ أن نعلم ماذا يحاكُ من مكرٍ تجاه شرائح الأمّة حتى نعلم ماذا يجب عليهم، أولاً العلماء هم هدف العدوّ الأوّل فسعوا إلى تكميم أفواه الصّادقين منهم فهم بين سجينٍ و طريد، ومن لا يزالُ حرًّا و به حياة فهو يراقب على مدار السّاعة. والهدف الحقيقي وراء هذه الحملة، أن يقف علماء الأمّة ضدّ الأمّة وأن يهدم حماة الدّين هذا الدين أو يشوّهوه، و أن يتحوّلوا من بناة لعقيدة التوحيد إلى معاول هدم، ولن يقبل الصّليب واليهود بأقلّ مما قام بهِ قُطْبَا الإخوان المسلمين في قطر ولبنان حيث وقف يوسف القرضاوي على منبر رسول الله ﷺ وفي خطبة الجمعة في سابقةٍ لا مثيل لها يطالب الأمّة أن يكون الجنرال ميشيل رئيسًا وأميرًا على ساحل المسلمين وعلى أهمّ ثغر من ثغورهم في بلاد الشام في لبنان وكذلك فعل فتحي يكن. لقد كان الكهنة يرقعون لحكام يتسمّون بأسماء المسلمين. أمّا اليوم فقد تجاوزوها إلى طلبِ تعيين حكّام صليبيّين حاقدين أيديهم ملطّخة بدماء الطّاهرين! ولقد ادّعى الرّجل في خطبته التي نقلتها فضائيّته المشهورة أن الجنرال ميشيل أثبتت التجارب حكمته، قال الله تعالى: {وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً} [البقرة:٢٦٩].

والحكمة كما قال أهل العلم: هي الفقه في الدين والسنة وإصابة الشّرع. أمّا عندما ينحرف العلماء تكون الحكمة أنّه صليبيّ ذبحَ المسلمين في نهر البارد، ومع أن الرّجل خالف الشّرع في هذه الحادثة من وجوهٍ كثيرة أعلاها رده إجماع الأمّة في حكم الإمامة من عالم به، وأدناها ما قاله السّادة الأحناف أنه من سمّى الجور عدلًا كفر، ومن قال للظالم إنه عادل يكفر، ولكن مع الأسف لم أسمع من قام ليضع حدًا لضلالهِ.

واليوم وفي ظلّ المذبحة الرهيبة على المستضعفين في غزّة، أصدر علماء السّعودية فتوى تحرّم على المسلمين التّظاهر نصرةً لإخوانهم، وقال أحدهم وهو ما فتئ يتشدّق أنه يدافع عن قضايا الجهاد: نريد أن نفوّت الفرصة على الذين يريدون أن يثيروا الشّغب، وخوفًا على مراكز شرطة اليهود في بلاد المسلمين فقد خافوا بالفعل على عروشهم في ظلّ

غضب الأمّة على اليهود وحماتهم في بلادنا، وناشد الرّجل وحزبه بجمع التّبرّعات لعلاج المسكينة المغتصبة!

إن الانحراف يبدأ يسيرًا ولكن بسكوت الصّالحين منكم و إيثار السّلامة في موضع الحاجة، يتمادى الظالم في غيّه و العالم في ترقيعه حتى وصل الحدّ إلى أن قال أحدهم لحاكمه: (افعل ما شئت فسوف نجد لك مخرجاً في كتاب الله).

أيّها العلماء، عيبٌ عليكم أن يذكّركم المجاهدون فأنتم من تذكّرونهم، عيبٌ عليكم أن يعرّفوكم واجبكم فأنتم من تعلّمونهم.

أيّها العلماء، لن ندعكم و شأنكم إن قذفتمونا بقذائف الباطل فسالت دماؤنا على وجوهنا مسحنا جراحنا وغفرنا لكم ورجوناكم ألّا تعودوا و سألناكم ألّا تخذلونا، وإن أدبرتم عنّا تعلّقنا بردائكم رجاء أن لا تتركونا، فإن أقبلتم علينا عرفنا قدركم و رفعنا شأنكم وما قطعنا أمرًا دون مشورتكم، ولن تجدوا منّا إلاّ انصياعًا للحقّ وتعظيمًا للشّرع.

يا علماء الأمّة، قفوا بجانب الأمّة في أزمتها الراهنة فوالله لن يقبل منكم اليهود بأقل من انسلاخكم من الدين، وصدق الله القائل: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:٨٨].

وقد اقترح الشّيخ أسامة –حفظه الله– اقتراحاً جيّدًا وجيهًا، نزيد عليه أنه يمكنكم تشكيل لجنة فتوى سريّة –كحدّ أدنى– تصدر الفتاوى في نوازل الأمة يتبنّاها إخوانكم المجاهدون في الإعلام الجهادي إلى حين هجرة بعضكم إلى مكان آمن، وهذا ما لا بدّ منه وفرض عين عليكم جميعاً حتى يقوم بهِ بعضكم.

ورسالتي الثّانية إلى التجّار المسلمين، نقول: لقد خسِر تجّار العرب في الأزمة الماليّة الحاليّة ٢٥٠٠ مليار دولار، فبعض التجّار فقد جميع ما يملك وبعضهم وصلت خسارتُه إلى ٦٠% من أملاكه فماذا تنتظرون؟

هل ستبقون مكتوفي الأيدي حتى يأتي الوحش الأمريكيّ الأوروبي ليبتلع ما بقي من أموالكم فهو يعاني أزمة ضخمة لن يعترف بإفلاسه التامّ و هزيمته فيها حتى ينفق آخر درهمٍ في جيوبكم أنتم، وإيّاكم وبنوكهم الربويّة ففضلاً عن كونها حراماً فلن تستطيعوا استرداد شيء من أموالكم إذا اشتدّت الأزمة، والفرصة أمامكم لدعم أبنائكم المجاهدين للوقوف في وجه هذا الوحش وكسر أنيابه وردّه خائباً أو قتله خاسراً، وبعشر معشار ما فقدتموه في الفترة الماضية، فالحفاظ على رأس المال وتحقيق الأرباح في دعم المجاهدين في سبيل الله، و فوق ذلك هو أمر ربكم ونصرةٌ لدينكم، وأهمُّ هذه الجبهات التي خذلتموها تمامًا منذ أكثر من سنتين هي جبهة العراق، وإلى الله المشتكى.

الرّسالة الثّالثة: إلى المثقّفين والمفكّرين المنادين بالحريّة، و إلى عباقرة المسلمين هل أدركتم أنه ليس مع هؤلاء الحكّام حريّة ولا كرامة ولا وطنيّة؟ وهل ما زلتم تنتظرون منهم الخير؟ وهل هناك حل في نظركم غير ما يقوم به المجاهدون؟ فسخّروا أقلامكم نصرة لقضيتهم.

كما ينبغي على علماء المسلمين بذل كلّ جهدٍ لامتلاك سلاح غير تقليديّ يكون عامل ردع في أيدي المجاهدين، فلا يمكن أن يبقى هذا التّفاوت الهائل في نوع السلاح بيننا وبين عدوّنا على هذا النحو، فالمجاهدون اليوم في أمسّ الحاجة للسّلاح الكيميائي والجرثومي والإلكتروني وحتى النوويّ وما يدور في فلكه التّدميري للحفاظ على المكاسب التي حقّقوها وسيحقِّقونها إن شاء الله.

كما لا بدّ أن يكون للمجاهدين حظٌّ من السّلاح الجويّ، فتصنيع الطّائرة أيسر بكثير من تصنيع السيّارة وخاصة في صورها البدائية، فليجتهد علماء المسلمين في ابتكار وسائل سهلة وبسيطة تفيد المجاهدين في حربهم وإيصالها إليهم، ومن سار وصل بعون الله وتوفيقه.

١١- أيّ المجاهدين تقصد بدعمهم فقد كثر الأدعياء؟

- أعني المجاهدين في سبيل الله، الذين يسعون لتحكيم شرع الله. وقد أثبتت تجارب السّنين الماضية أن البندقيّة والرّصاصة الوحيدة التي ليست للبيع ولا للإيجار هي بندقيّة و رصاصة السّلفيّة الجهاديّة -على حدّ وصفهم-، أذلّوا الصّليب في العراق ومرّغوا أنفه في أفغانستان وجلدوا ظهره في الصّومال و يسجّلون للثّبات آية في الشّيشان، ولكن تعال معي لنرى كيف قتال غيرهم.

أما عن الوطنيّين والقوميّين، فلا يحتاج ضلالهم وعوارهم إلى بيان، و يكفيك (فتح) مثالاً للخيانة. وأمّا عن مشكلة العصر، الإخوان المسلمين، فخياناتهم ظاهرةٌ بالعراق و إجرامهم أوضح في أفغانستان، وهم في البلدين خير مدد وعون للصليب وحزبه، ولحق بالقافلة أفراخهم بالصّومال فهم كما قال صاحب لنا: (إذا دخلوا ساحة جهاد أفسدوها).

فقد مصّوا أموال المسلمين سنيناً، ولمّا قامت أحداث غزّة لم تطلق رصاصة واحدة خارج نطاق غزّة، و حتى في فلسطين نفسها لم تطلق رصاصة واحدة، وهذا يقودنا إلى حساب هؤلاء عن الأموال الضخمة التي أخذوها من تجّار المسلمين زكاة لأموالهم، وهي وعلى حدّ علمي تزيد على ميزانيّة بعض الدول، أين ذهبت ما داموا عاجزين إلى هذا الحد؟

ثمَّ ألم تكفِ نحو عامين من الحريّة والحكم في غزّة لتحضير وتجهيز عشرات المجموعات داخل الضفّة و أراضي ٤٨، فحينما حاصر العدوّ الفلوجة الثّانية أحرقَ الأبطالُ الأرض تحتَ أقدام المحتل، فأسقطوا الموصل وحرّروا الغربية بكاملها أثناء فترة الحصار، وقتلوا الآلاف من جنود المحتلِ وعملائه، بينما في حربِ غزّة شعبٌ صابر صامد وقيادة غير مؤهّلة لم تستعدّ أبداً لهكذا حدث، و ليس كما ادّعى بعضهم فقال لأول مرة تسبق القيادة شعبها! فماذا فعلت هذه القيادة أثناء المعارك غير الاختباء وترك المستضعفين يواجهون موتاً كموت الطّاعون دون رادعٍ عسكري حقيقي يذكر، وخسائر المحتلّ خير برهانٍ على ذلك.

١٢- هل من رسالةٍ إلى المجاهدين تودّون ذكرها؟

- رسالتي رسالة تحيةٍ ومحبةٍ وتقديرٍ إلى من رفعوا رؤوسنا في أرض الصّمودِ والجهاد بأفغانستان وباكستان وإلى الموحّدين الصّادقين في الصّومال، وإلى الصّابرين الصّامدين في فلسطين و الشّام، وإلى شجعان المسلمين في الشّيشان وإلى الجبال الرواسي في مغرب الإسلام، وإلى المظلومين المتربّصين في مصر والسودان، وإلى أهل الإيمان والحكمة وموطن النّصرة في جزيرة العرب، وإلى المجاهدين في كل مكان وأخصُّ الجنود المجهولين في الإعلام الجهادي، فإليكم جميعاً سلامي وسلام إخواني في العراق. والله إني لأحبّكم في الله، وأنقل محبّة إخوانكم لكم ولو رأيتموهم لفرحتم بهم بإذن الله كما فرحنا بصحبتهم، ولن تؤتوا من قبلهم -إن شاء الله- فاكفونا العدوّ من قبلكم و أنتم لذلك سادة وأهل -نحسبكم والله حسيبكم- و الملتقى القدس إن شاء الله وعسى أن يكون قريباً.

- جزاكم الله خيراً شيخنا على هذا اللّقاء الطّيب، ونفعَ الله بما جاءَ فيه وجعلهُ في ميزان حسناتكم متمنّين أن لا تحرمونا من هذه الفرصةِ مرة أخرى.

رَمَضَانُ شَهْرُ الجِهَادِ وَالغُفْرَانِ

٥ رمضان ١٤٣٠ هـ || ٢٦ أغسطس ٢٠٠٩م

الحمدُ لله مالك الملك، المتنزهِ عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى، والصلاةُ والسلام على من بُعِثَ بالسيف بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فلقد قال الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة:١٨٥]، الآية.

فنحمد الله الكريم المنّان أن بلَّغنا هذا الشهر، ونُهنئ أمة الإسلام والمجاهدين في سبيل الله المرابطين في ثغور العز ومواطن الفخر بمشارق الأرض ومغاربها بأفغانستان الحبيبة والصومال الأبيّة وفي الجزائر الشامخة والشيشان العصيّة، كما أهنئ على وجه الخصوص أهلنا في عراق العز والفخر والمجد، وعلى رأسهم الأبرار المخلصين الصادقين الصابرين ليوث الحرب وفرسان النصر رجال الدولة الإسلامية، ففي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتحَتْ أَبْوابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ"[1]، قال القرطبي[2] -رحمه الله- في المُفهم: (ويصح حمله على الحقيقة، ويكون معناه: أن الجنةَ فُتحت وزُخرفت لمن مات في شهر رمضان؛ لفضيلة هذه العبادة الواقعة فيه، وغُلقت عنهم أبواب النَّار؛ فلا يدخلها منهم أحدٌ مات فيه)[3].

ثمّ إن الله سبحانه وتعالى -كما قال المهلب رحمه الله-: (يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم)[4]، وفي

[1] رواه البخاري.
[2] ليس المفسر.
[3] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (ج٣/ص١٣٦).
[4] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٤/ص٢٠).

الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ صامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، وقال: "مَنْ قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

فشهرنا الكريم ركنٌ من أركانِ الإسلام عظيم، ولا قوامَ للدين إلا بأركانه، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإِقامِ الصَّلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضانَ"، قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- في المفهم: (وإنما خَصَّ هذه بالذكر ولم يذكُر معها الجهاد، مع أنه به ظهرَ الدين، وانقمع به عُتَاةُ الكافرين؛ لأنَّ هذه الخمس فرضٌ دائم على الأعيان، ولا تسقطُ عمَّن اتَّصَفَ بشروط ذلك، والجهادُ من فروض الكفايات، وقد يسقُطُ في بعض الأوقات)[1]. فصرح -رحمه الله- أن الجهادَ إذا تعيّن صارَ من مباني الإسلام التي لا قوام ولا عز له إلا به، ولم لا ونفعه عام وضرر تركه عظيم على الدين والعرض والنفس والمال، فالمجاهدون في سبيل الله هم من حققوا معنى الإيمان، الصادقون بنص الكتاب بادعائهم له، قال الله تعالى في سورة الحجرات: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)}، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (بيّن أنَّ الجهادَ واجبٌ وتركُ الارتياب واجبٌ. والجهاد وإن كان فرضًا على الكفاية -أي في حال كونه فرض كفاية- فجميع المؤمنين يُخاطَبون به ابتداءً، فعليهم كلِّهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله إذا تعيَّن)[2]، أي: كما في حالنا في بلاد الرافدين.

فالجهادُ من الإيمان بل هو ذروة الإيمان وأعلاه، فلا يفوتك يا ولي الله حظك منه في هذا الشهر الكريم، ففي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ: لا يُخْرِجُهُ إِلّا إِيمانٌ بِي أَوْ تَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِما نالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ. وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ما قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ،

---

[1] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (ج١/ص١٦٨).
[2] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٧/ص١٥-١٦).

وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحيا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيا ثُمَّ أُقْتَلُ "، قال ابن بطال -رحمه الله-: ("انْتَدَبَ اللَّهُ" يريد أوجب الله وتفضل لمن أخلص النية في جهاده أن ينجزه ما وعده)[١].

أنعم حياةً في الجهاد وفي الهدى *** إن الجهادَ مجامعُ الإيمانِ
فاحمل سلاحَك لا يغيبُ بريقهُ *** إنَّ السلاحَ وسامة الفرسانِ
وارمِ بنفسك في النزال فإنما *** لا تقصر الأعمار بالشجعانِ
شهرٌ كريمٌ قد أطلَّ صباحهُ *** قد يرفسُ الخيرَ العظيمَ جبانِ

قال ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ"، والهيعة كما قال أبو عبيد بن سلام: (الصَّوت الَّذي تفزع منه، وتخافه العدو)[٢]، قال النووي -رحمه الله-: ([أي] من خير أحوال عيشهم رجلٌ ممسكٌ)[٣]، وقال القرطبي -رحمه الله- في المفهم: (أي: مِن أشرفِ طُرُق المعاش الجهاد)[٤]، وتأمل رحمك الله قوله ﷺ: "يَبْتَغِي الْقَتْلَ"، بعد قولِه: "مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ"، فدلّ ذلك على أن الموت في سبيل الله حياةٌ، وإن كذبت نفسك الأمارة بالسوء وأثقلت عليك بالشهوات والشبهات فقد قال الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩].

المرء يأملُ أن يعيش *** وطول عيشٍ قد يضره
تفنى بشاشتهُ ويبقى *** بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى *** لا يرى شيئاً يسره

فاحرص أيها المجاهد على الشهادةِ في هذا الشهر الكريم، وإياكَ إياكَ أن تحسب أن الشهادة لقطة لا قيمة لها، بل هي كنزٌ عظيم لا يناله إلا ذو حظٍ عظيم، ووسام شرف لا

---

[١] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج١/ص٩٥).
[٢] غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، (ج١/ص١٢١).
[٣] شرح مسلم، النووي، (ج١٣/ص٣٥).
[٤] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (ج٣/ص٧٢٣).

يناله إلا من ارتفع إلى درجة عالية، ثم اعلم أن الطريق إلى الجنة لا مكان فيه للعاجزين الخائفين الجبناء وإنما يسلكه الشجعان الشرفاء، شرفاء النفس والدين الذين باعوا أنفسهم لله وفي سبيل الله، فهو طريقُ جدٍ واجتهاد وتعبٍ ونصب، تزهق فيه الأنفس ويتلف فيه المال، ولكن رويدك أيها القاعد الحريص على الذل من العيش فإنك لست مخيرًا في أمرك بين أن تكون وسط الرجال أو مع النساء والصبيان، أم تصنع من الحديد سلاحًا أو تصيغ منه لنفسك أسورة وخلخالًا!

فصغ ما كنت حليت *** به سيفك خلخالاً
وما تصنع بالسيف *** إذا لم تكُ قتّالاً؟

فالجهاد فرض عَين على كل مسلم قادرٍ ليس به عذر، فقد صرَّح العلماء أنه يصير فرض عين في مواطن عديدة، واحدة منها تكفي فكيف إذا أطبقت علينا جميعها كما هو الحال في بلاد الرافدين؟! فهل يترك المسلم أرضه والعدو في داره يهتك عرضه ويسرق ماله ويقتل ولده؟ وهذا فضلاً على أنه لا يجوز في الدين فهو مما تستقذره النفوس السوية، ويدخل فيه عدم السفر عند دفع الصائل كما هو الحال في بلاد الرافدين سواء أكان السفر مباحاً أو مستحباً كالعمرة أو واجباً كالحج، فمن القواعد أنه لو تعارض واجبان قُدم آكدهما وما يضيق به الوقت، فلا شكّ أن دفع الصائل على الدين والعرض لا يتحمل التأجيل بينما الحج واجبٌ موسع وقته فيتقدم ما كان واجباً على الفور أي الجهاد، على الواجب على التراخي أي الحج، بل يُقدم على وفاء الدَّين الذي حلَّ أجله، كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وكذلك من المعلوم أنه إذا تعارضت مصلحتان في مناطٍ واحد تعارضاً كلياً، بحيث كان لا بدّ لتحصيل أحدهما من تفويت الآخر قُدم ما فيه حفظ الدين على ما سواه، وهو هنا الجهاد في سبيل الله، (فلا شيء أوجب بعد الإيمان بالله من دفع الصائل)[١]، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ومواطن تَعيُّن الجهاد هي:

[١] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (ج٥/ص٥٣٨)، والمستدرك على مجموع الفتاوى، (ج٣/ص٢١٥).

- إذا دهم العدو ثغراً أو احتل أرضاً من أراضي المسلمين صغيرةً كانت أم كبيرة ولو شبراً واحدًا.

- وإذا حضر القتال واصطف الرجال للنزال، حَرُمَ على كل مسلمٍ موجود في أرض المعركة ودارِ النزال وهو قادر على الجهاد في سبيل الله أن يدعه ويرحل أو يقعد عنه.

- وثالثاً إذا استنفر الإمام الناس أو جماعةً معينةً منهم فيتعين ويجب عليهم حينئذ كما إذا استنفرَ العلماء أو الأطباء.

ويلحقُ بما سبق وجوب استنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكافرين، وخاصةً إذا كان الأسرى من نساء المسلمين، قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة:٧١] الآية. وأمرَ الله المؤمنين وحرضهم واستنفرهم على السعي في استنقاذ الأسرى ووصفهم بالمستضعفين المظلومين وذلك كما عند الطبري وابن كثير[١] - رحمهما الله- فقال الله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً} [النساء:٧٥]، قال الطبري -رحمه الله-: (ما شأنكم لا تقاتِلون في سبيل الله، وعن مستضعفي أهلِ دينكم وملَّتِكم الذين قد استضعَفَهم الكفار، فاستذَلُّوهم ابتغاء فتنتهم وصَدِّهم عن دينهم من الرجال والنساء والولدان)[٢]، وقال القرطبي -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: (وَتَخْلِيصُ الأسارى واجبٌ على جماعة المسلمين إمَّا بالقتالِ وإمَّا بالأموالِ، وذلك أوجبُ لكونها دون النُّفوس إذ هي أهون منها. قال مالكٌ: واجبٌ على النَّاس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم، وهذا لا خلاف فيه)[٣]، هذا بالطبع في أموال الناس أما المال الذي لا بدّ منه لدفع العدو الصائل على الدين والعرض فلا يجب فيه فإنه بدفعه يضعف الجهاد إن لم يتوقف، ويزداد عدد الأسرى لا يقل، والله تعالى أعلم.

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٣/ص١٦١).
[٢] جامع البيان، الطبري، (ج٧/ص٢٢٤-٢٢٥).
[٣] جامع أحكام القرآن، القرطبي، (ج٥/ص٢٧٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (سُئلتُ عَمَّنْ عليه دَينٌ وله ما يوفيه وقد تَعَيَّنَ الجهاد، فقلت: من الواجبات ما يُقَدَّمُ على وفاء الدَّين كنفقة النَّفسِ وَالزَّوْجَةِ والولد الفقير، ومنها ما يُقَدَّمُ وفاء الدَّيْنِ عليه كالعبادات من الْحَجِّ وَالْكَفَّارَاتِ، ومنها ما يُقَدَّمُ عليه إلَّا إذا طولب به كصدقة الفطر؛ فإن كان الجهاد الْمُتَعَيِّنُ لدفع الضَّرَرِ كما إذا حضره العدو أو حضر الصَّفَّ قُدِّمَ على وفاء الدَّيْنِ)، ثمّ قال -رحمه الله-: (ولذلك قلتُ: لو ضاقَ المال عن إطعام جياعٍ والجهاد الَّذي يتضرَّر بتركه قدَّمنا الجهاد وإن ماتَ الجياع، كما في مسألة التَّترُّسِ وأولى؛ فإنَّ هناك نقتلهم بفعلنا، وهنا يموتون بفعل الله)[1].

وقال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة:٨٤-٨٥] الآية.
قال القرطبي -رحمه الله- في التفسير: (قال عُلَمَاؤُنَا: كان الله تعالى قد أخذ عليهم -أي اليهود- أربعة عُهُودٍ: ترك القتال، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وَفِدَاءُ أساراهم، فأعرضوا عن كلِّ ما أُمروا به إلَّا الفداء، فَوَبَّخَهُمُ الله على ذلك توبيخًا يتلى، فقال {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ} وهو التَّوْرَاةُ {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ})، ثم قال القرطبي -رحمه الله-: (ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتنِ فتظاهر بعضنا على بعض، ليت بالمسلمين، بل بالكافرين. حتى تركنا إخواننا أَذِلَّاءَ صاغرين عليهم حكم المشركين، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ -إلى قوله- قال ابن خويز: تَضَمَّنَتِ الآية وجوب فكِّ الأسرى وبذلك وردت الآثار عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَكَّ الأسرى وأمر بِفَكِّهِمْ، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع)[2].

وهذه منقبةٌ من مناقب أجدادك الكثيرة، يا أخي. فقد طمع يوماً ملك الروم أرمانوس في هزيمة المسلمين على قلةٍ رآها في العدد والعدة، فجاءَ في مئتي ألف من

---

[1] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (ج٥/ص٥٣٧)، والمستدرك على مجموع الفتاوى، (ج٣/ص٢١٤).
[2] جامع الأحكام القرآن، القرطبي، (ج٢/ص٢٢-٢٣).

الكفار لقتال السلطان ألب أرسلان فوصلوا إلى ملاذكرد فبلغ السلطان كثرتهم وما عنده من الجنود سوى خمسة عشر ألف فارس، فصبحهم على الملتقى، فلما التقى الجمعان أرسل السلطان يطلب الهدنة فقال له طاغية الروم المغرور لا هدنة إلا بالري -أي في عقر دار المسلمين- فاحتد السلطان ألب أرسلان وجرى المصاف يوم الجمعة والخطباء على المنابر ونزل السلطان وعفّر وجهه بالتراب وبكى وتضرع لمولاه ومن بيده النصر القادر على كل شيء ثم ركب وحمل، وصدقوا الله فنزل النصر وقتلوا الروم كيف شاؤوا وانهزمت الروم وامتلأت الأرض بقتلاهم وأسر الطاغية طاغية الروم أرمانوس، فأُحضر إلى السلطان فضربه ثلاث مقارع بيده وقال ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت؟ ثم فدى نفسه بألف وخمسمئة ألف دينار وبكل أسير في مملكته.

أيها الأبطال أيها الموحدون المجاهدون، أنتم في شهرٍ مباركٍ كريم لكم من الله فيه المعونة على أنفسكم وعدوكم، شرفكم الله بجهاد المجوس والصليبيين، تحملون همَّ إقامة الدين واستنقاذ المستضعفين المقهورين، فشدوا رحمكم الله، فلقد قال أمير المؤمنين -حفظه الله- كلمة عظيمة حين قال: (فيجب على كل مسلم قدر الله حق قدره وعظم دين الله وشرعه أن يبذل نفسه رخيصة في سبيل الله). وقال عن السجون والأسرى مخاطباً الأمهات: (ولكنَّ علينا أن ترين دماءنا تسيل تحت أسوارها، حتى ترين أهليكنَّ أحراراً).

وعليه وتلبية لنداء أمير المؤمنين: نعلن عن بدء المرحلة الثانية من خطة حصاد الخير المباركة، ونستهل هذه المرحلة بغزوة أسميناها: (**غزوة الأسير**)، والمرحلة والغزوة قد بدأ بحمد الله تطبيقهما قبل ذلك وأخرنا الإعلان عنهما لدواعٍ عسكرية وأمنية، فجزى الله رجالَ الدولة الإسلامية في كل العراق خيرَ الجزاء، وأخصُّ بالذكر فرسانَ بغداد فقد أثبتوا بأعمالهم المباركة الموفقة على المنطقة الخضراء ووكر قاتل أبناء السنة المجرم باقر جبر وعصابته، أنهم نِعمَ الجنود ونِعم الرجال، فالإخلاصَ الإخلاص، والجماعةَ الجماعة، والثباتَ الثبات، والحذرَ الحذر، والدعاءَ الدعاء، والتوكلَ التوكل يا جنود الله، ودونكم

أعداء الله، {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة:٥]، فإنهم ظلمةٌ كفرةٌ معتدون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ويسعون في الأرض فساداً، ويحبون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا، وودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء، فلا حَلَّ لهم إلا أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

قال الشاعر المسلم أبو البقاء –رحمه الله– محرضًا على استنقاذ الأسرى في الأندلس:

يا راكبين عتاقَ الخيلِ ضامرةً *** كأنها في مجال السبقِ عقبانُ
وحاملين سيوفَ الهندِ مرهقةً *** كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ *** لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ *** فقد سرى بحديثِ القومِ ركبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم *** قتلى وأسرى فما يهتز إنسانُ
لماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ *** وأنتمْ يا عباد الله إخوانُ
ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هممٌ *** أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزِّهِمُ *** أحال حالهمْ كفر وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم *** واليومَ هم في بلاد الكُفرِ عبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهمْ *** عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ *** لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ
يا ربّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما *** كما تفرقَ أرواحٌ وأبدانُ
وطفلةٍ مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت *** كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً *** والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ *** إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

والحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

أخوكم:

أبو حمزة المهاجر

رِسَالَةٌ إِلَى فَوَارِسِ بَغْدَادَ

١٧ ذو القعدة ١٤٣٠هـ || ٥ نوفمبر ٢٠٠٩م

الحمدُ لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بُعِث بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسِراجًا منيرًا، أما بعد:

فقد قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:٦٠]، ويعني بالطاغوت سبحانه كما قال الطبري -رحمه الله-: (مَن يُعَظِّمونه ويَصْدُرون عن قولِه، ويَرْضَون بحكمه مِن دونِ حكمِ اللهِ)[١]. فهو إذاً كما قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (إنكارٌ مِن الله [...] أن نتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)[٢]، فإنه من العجب كما قال الشنقيطي -رحمه الله-: (ممن يُحكِّم غير تشريع الله ثم يدّعي الإسلام)[٣].

ونقول وأعجب من ذلك، من يدافع عنهم ويصحح مذهبهم ويترحم على قتلاهم ويواسي جرحاهم، ثم هو يدّعي أنه من علماء المسلمين والعارفين بشريعة رب العالمين، فإنه وكما قيل: إن توضيح الواضِحات من الـمُعضِلات. فلقد كنا نحسب أن ضرب صروح الكفر والطغيان وبيوت الظلم والإجرام مما لن يختلف على مشروعيته مسلمان حتى فُوجئنا بمجموعة من المنهزمين عقديًا ونفسيًا وأخلاقيًا يطعنون في الأطهار المجاهدين واصفينهم بكل أوصاف الجهل والرذيلة لا لشيء، إلا لأنهم -حفظهم الله- قد حطّموا أوثان القانون وقتلوا سدنة الطاغوت، تمامًا كما عابوا على إمارة أفغانستان يوم أن حطّموا بوذا أعظم آلهة الوثنيين المشركين في الأرض، ثم إن بعض هؤلاء الطاعنين يدّعون

[١] جامع البيان، الطبري، (ج٧/ص١٨٩).
[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٣/ص١٥١).
[٣] أضواء البيان، الشنقيطي، (ج٣/ص٥٢٣).

أنهم لنظام الحكم القائِم في البلاد معارضون قائِلين إنه نظام أسسه المحتل النصراني الصليبي، وصدقوا، ولكن لهؤلاء نقول وببساطة مذكرين إن الدولة في تعريف أرباب السياسة: هي شعب مستقر على أرض يخضع لسلطة سياسية معينة، وأن السلطات العامة التي تحكم وتسوس هذا الشعب ثلاث سلطات: تشريعية، وقضائية، وتنفيذية، فالبرلمان يشرع، والقضاء يحكم، والوزارات تنفذ، فالوزارات هي سلطة تنفيذية مهمتها تنفيذ قرارات وسياسات الحكومة الحاكمة للشعب وفي كل مجال، فهي إذن تنفذ السياسة العامة للدولة وترسخ قواعد الحكم وتثبّت أركانه. ومن المعلوم للجميع، أن القانون الذي تحكم به الدولة الرافضية اليوم في العراق، هو من صنع المحتل النصراني وهو بصفته الحالية لا يراعي الضروريات الخمس ولا يخدم أهداف الشرع فيها بل يخدم أهداف النصارى الذين وضعوه، ومعلوم أن في ضياع هذه الضروريات هلاك الناس دينهم ودنياهم، فوزارة المالية، تقوم على قانون جائِر ظالم ينظم حصول الدولة على جميع دخولها وطرق إنفاقها، بما يرسِّخ حكم الرافضة ويخدم أهداف المحتل الذي وضع القانون، فهي تحدد الإيرادات العامة للدولة: من رسوم وضرائِب ظالمة ونهب لأموال النفط والغاز ومعادن الأرض. كما يحدد القروض وكيفية تحصيلها، وطرق الإيداع وما يتعلق بذلك من الربا المحرم، وهي التي تحدد الميزانية العامة للدولة وتشرف على تنفيذها والرقابة عليها؛ فهي بذلك عصب حياة الدولة القائِمة، وسر بقائِها، وخاصة إذا تحكم فيها جماعة مجرمة، كما هو الحال في قاتل أطفال السنة: باقر صولاغ وعصابته.

أما وزارة العدل، فمنوط بها وعليها تنفيذ أحد أركان الحكم الثلاثة وأعظمها خطراً وقدسية في نظر أصحابها: السلطة القضائِية، فهي تقوم على رعاية القانون الوضعي، وتنظيم شؤونه، وتهيئة كوادره، وأماكن تفريخها، فهي للقانون كالسدنة للأصنام وأكثر فإليها يرجع القول الفصل في الدماء والفروج والأموال فتحل الحرام وتحرم الحلال وتعين الظالم ويتبع لإدارتها وتتحمل وزر جميع المعتقلات والسجون التي تعج بأهل السنة ونسائهم وأطفالهم، وما فيها من اغتصاب للأعراض، وضرب للأعناق، وانتهاكٍ للكرامة. كما يتبع لها جميع دور القضاء والمحاكم المنتشرة في بلادنا، وكل ما يجري فيها من ظلم

وكفر، هي له راعية وعليه قائمة. وإن ننسَ، فلن ننسى أبدًا إعدام المجاهدين بقرارات من محاكم الجنايات التي تديرها، وعلى رأسهم الأمير الهمام عمر بزيان وأبو عمر الكردي وملا مهدي. فقام المجاهدون -بارك الله فيهم- بالانتصار للمظلوم والقصاص من الظالم في قلبه الأسود، فضربوا الركن الأول لأركان حكم الروافض الثلاثة، ضربوا مقر شريعة الكفر، شريعة الطاغوت، شريعة الجاهلية والأهواء، شريعة الظلم والطغيان.

يقول الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في كتابه عمدة التفسير: (إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها)[1].

وأما عن باقي وزارات السلطة التنفيذية للعصابة الإجرامية الرافضية الحاكمة ومن سار في دربهم، فليس هذا محله، وإنما قصدنا الإشارة، وإن كان وضعها أظهر كوزارة الخارجية.

الوقفة الثانية: تثبت تلك الأعمال المباركة على معاقل الكفر أموراً منها:

أولًا: نشوء جيل في العراق فريد ذكّرنا بالجيل الفريد الذي فتحه من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، جيل تربى على عقيدة الولاء والبراء وعلى خطى من سبقوه من الصحابة سار، لم يعبأ بكل حملات التشويه والتقبيح التي تهدف إلى حرف المسيرة وضياع الهدف، ولِمَ لا؟ فإن المشركين اليوم وبالأمس يقاتلون بني عمومتهم وإخوانهم وأبناء عشائرهم مدافعين عن معتقداتهم الفاسدة وأهوائهم المنحرفة، فالدم الوطني عند السحرة والكُهان حلال فقط سفكه للمرتدين المجرمين، حرام على المجاهدين الموحدين وإن كان بحقه، ولبيان موقف الكفر الأزلي في قتال إخوانهم ورد الموحدين عليهم روى أحمد وأبو داود بسند صحيح، عن علي -رضي الله عنه- قال: (تَقَدَّمَ، يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،

---

[1] عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر، (ص٦٩٧).

فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ").

ونحن مع أننا على أقل تقدير نعاملهم بالمثل، فإن من ثوابتنا أن جهاد المرتدين مقدم على جهاد الكفار الأصليين، هذا إذا لم يبدؤونا بقتال، فكيف إذا سفكوا دماءنا وتجرؤوا على أعراضنا ونهبوا أموالنا ولم يراعوا حرمة عشيرة ولا وطنية مزعومة، بل وحالوا بيننا وبين قتال من احتل أرضنا.

ثانيًا: تُثبت الأعمال صدق رجال الدولة، وعلى رأسهم دُرة الرأس وقرة العين جنود وأمراء بغداد؛ فإن وراء كل عملية العشرات من الاستشهاديين، يعملون في ظروف بالغة التعقيد، وشديدة الصعوبة، راجين من الله التوفيق والسداد. وكان ولا زال رأينا دوماً في رجال بغداد: أنهم من خيرة إخواننا عقيدة وخلقاً، نسأل الله أن يثبتهم ويرزقهم الإخلاص. وتؤكد الأحداث تماسك صفهم وصفاءه من كل خائِن عميل، على الرغم من طول فترة العمل وكثرة العارفين به. وهي الفرية التي يحاول المجرمون ومن سار للأسف في ركابهم تشويه صفوف المجاهدين بها، لصرف الصادقين عن الجهاد العيني، وعلى خطى الجد بن قيس حين قال للرسول ﷺ معتذرًا عن الجهاد خوف الفتنة، كما عند الطبري رحمه الله: (لا تبتَلِني برؤية نساء بني الأصفر وبناتهم، فإني بالنساء مُغْرَمٌ، فَأَخْرُجَ وَآثَمَ بذلك)[1]، فأنزل الله تعالى قوله: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة:٤٩]، فالفتنة ترك الجهاد المتعين تحت أعذار واهية.

ثالثًا: تؤكد الأحداث أن الأعمال الكبيرة الجريئة والنوعية، ضرورة ملحة في كسر عظم الكفار، مع الاستمرار في حرب استنزاف للعدو بكل وسائل الجهاد الأخرى، فلا غنى عنهم البتة.

---

[1] جامع البيان، الطبري، (ج١١/ص٤٩١).

رابعًا: تؤكد الأحداث ما تعلمناه مرارًا وسمعناه تكرارًا، أن ما من عملٍ قوي ومؤثر في الكفر ودولته إلا وتعتريه صعوبات ومعوقات شديدة وكثيرة يبتلينا الله بها، ليختبر سبحانه وهو العليم مدى حرصنا وعزمنا، وأخذنا لكل أسباب النجاح المادية المتوفرة دون تفريط أو إفراط. وعندما نعجز ونحزن يحب منا الفاقة واللجوء إليه، وطلب النصر منه والبكاء والتوسل والتضرع إليه سبحانه، حينئذ يذلل العقبات ويهون المشقات ويفتح أبواب النصر للصادقين المخلصين الموحدين.

خامسًا: تؤكد الأحداث أنه على المجاهدين أن يطوروا أفكارهم وأهدافهم باستمرار، فإن العمل الروتيني يتكيف العدو معه ويتغلب عليه، وإن الفكرة المبتكرة ولو كانت بسيطة تؤتي أكلها وخاصة في مرتها الأولى. وتؤكد الأحداث ما صار يقيناً عندنا أن الله سبحانه الذي أمرنا بالجهاد حتمًا سيسهل لنا أسبابه، ولكن لا بد من صدق العزم وحسن التفكير والتدبير وعدم التفريط في أسباب النصر المادية والإيمانية، وأنه يحسن بالمجاهد -كل مجاهد- أن يجلس كل يوم يفكر ولو ساعة واحدة في خلوة كيف يتجاوز العقبة الفلانية ويطور السلاح الفلاني ويقتحم الهدف الفلاني، فلا بد له أن يمرن عقله على التعامل مع كل جديد والتأقلم مع كل شديد.

الوقفة الثالثة: أنه يجب علينا بعد هذه النعمة:

أولاً: الشكر لله الموفق المعين الكريم القوي العزيز الحكيم قال سبحانه: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:٧]، فإنه كما قيل: (من لم يشكر النِّعم فقد تعرَّض لزوالها، ومن شكر فقد قيَّدها بِعِقَالِهَا)[١]، قال سبحانه: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام:٥٣]. روى ابن أبي حاتم عن الربيع -رضي الله عنه- في قوله: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:٧]، قال: (أخبرهم موسى -عليه السَّلام- عن ربِّه عزَّ وجل، أنَّهم إنْ شكروا النعمة، زادهم مِنْ فَضْلِهِ وأوسع لهم في الرزق، وأظهرهم على العالمين)[٢]. والشكر كما قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: (يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا،

[١] ذكر ابن عاشور في التحرير (ج١٩/ص٢٤٤)، أنه من كلام ابن عطاء الله.
[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (ج٧/ص٢٢٣٦).

وباللسان ذكرًا وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقياداً لأمره واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة)[١].

ثانياً: الاستمرار في العمل وزيادته، فإن من أعظم ما يثيب الله به عباده الصالحين أن يوفقهم للخير بعد الخير، قال ابن رجب –رحمه الله– في جامع العلوم والحِكم[٢]: (ثوابُ الحسنة الحسنة بعدَها، وقد دلَّ على ذلك قولُه تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم:٧٦]، وقوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد:١٧]).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ عن ربه قال: {إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً}، قال ابن القيم –رحمه الله– في مدارج السالكين: (فكأنّه قيل له: وقِسْ على هذا، فعلى قدر ما تبذلُ منك متقرِّبًا إلى ربِّك يتقرَّبُ إليك بأكثر منه)[٣].

أخوكم المُحِب

أبو حمزة المهاجر

---

[١] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٧٤).
[٢] (ص٧٤٢).
[٣] (ج٤/ص١٨٠).

حوار في إصدار (غزوة الأسير ٢)[١]

رمضان ١٤٣١هـ || سبتمبر ٢٠١٠

المحاور: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المحاور: بدايةً شيخنا الكريم نود شكركم على إتاحة هذه الفرصة لنسألكم بعض الأسئلة، فحياكم الله وبارك فيكم.

- وأنتم حياكم الله وبارك الله فيكم ونفع بكم وسهّل أمركم وجزاكم الله خيرًا.

المحاور: شيخنا الكريم، ما هو واجب المسلمين عمومًا والدولة الإسلامية خصوصًا تجاه مسألة الأسرى في سبيل الله؟

- الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فنحن المسلمون نقرأ كتاب ربنا ونحفظ قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء:٥٧]، ويقول أئمة التفسير في هذه الآية، قال الإمام البغوي -رحمه الله-: (يعاتبهم على ترك الجهاد، {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} أي: عن المستضعفين، وقال ابن شهابٍ: في سبيل المستضعفين لِتَخْلِيصِهِمْ)[٢].

---

[١] المحاور هو المتحدث الرسمي الثاني: أبو عطاء التميمي -تقبله الله-.

[٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (ج٢/ص٢٥٠).

وقال ابن العربي –رحمه الله– عن الأسرى: (فإن الولاية معهم قائمةٌ، وَالنُّصْرَةَ لهم واجبةٌ بالبدن بألَّا يبقى منَّا عينٌ تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم)[1]. ورجّح الإمام النووي –رحمه الله– في روضة الطالبين، أن استنقاذ الأسرى فرض عين على كل مسلم تمامًا كفرضية الجهاد إذا دهم العدو أرض المسلمين، فقال: (لو أسروا مسلمًا، أو مسلمين، هل هو كدخول أرض الإسلام؟ وجهان)، ثم قال رحمه الله: (وأصحُّهما: نعم، لأنَّ حرمته أعظم من حرمة الدَّار)[2]. ثم هل بقي لنا خيار بعد الأمر النبوي الواضح، كما في الحديث الصحيح: "فُكُّوا الْعَانِيَ"[3]، يعني الأسير.

المحاوِر: إذًا شيخنا الكريم نفهم أن الأمر الشرعي باستنقاذ الأسرى هو سبب إعلانكم لغزوة الأسير، فهل حققت أهدافها؟

– نحن ركّزنا جهودنا على قضية الأسرى في سبيل الله خلال هذه الغزوة، وإلا فما غاب عنّا يومًا أمره، ولم نكن بحمد الله نتوقّع هذه النتائج الطيبة، ولكن الغزوة صارت مباركةً تمامًا كبركة أسيرنا الصادق الصابر الثابت على الدرب، وقد وفّقنا الله بتنفيذ خطةٍ طيبة تخدم قضية الأسرى على كل الأصعدة المباشرة وغير المباشرة القريبة والبعيدة الأمد، ومن الأمور التي أتت ثمارها على الأسرى وكانت مباشرة هي تصفية واغتيال قادة الكفر ورؤوس الشرك الذين لهم تماسٌ مباشرٌ مع أسرانا في السجون، ففي بغداد وحدها تم تصفية أكثر من ١٠٠ ضابط بمختلف الرتب والمواقع كعميد مكافحة الإرهاب بالسيدية، كما قطّعنا بعون الله أشلاء عدو الله وعبد الصليب المدعو أحمد الفحل الذي ذلّ أهلنا في صلاح الدين وأذاق إخواننا في سجون المرتدين بصلاح الدين صنوف العذاب، حتى أنه عدو الله كان يقول لهم: (أنا فرعون)، إذا ذكروا الله عند التعذيب، والمعنى مفهوم!

---

[1] أحكام القرآن، ابن العربي، (ج٢/ص٤٤٠).
[2] روضة الطالبين، النووي، (ج١٠/ص٢١٦).
[3] رواه البخاري.

كما أننا -بحمد الله- قطعنا رأس المسؤول الأمني لمحافظة الأنبار مع مجموعةٍ مجرمةٍ من ضباط أمن المحافظة التي ظنّ الصليبيون أننا خرجنا منها إلى الأبد، فإذا بهم يفاجؤون بأننا نقطع بعون الله يد محافظها المجرم ونبتر قدمه التي تسعى لحرب الدين وأهله.

كما لا ننسى أننا بعملنا المبارك في بغداد أجبرنا النظام على تغيير قائد خطّة أمن بغداد، وهرب رئيس جهاز المخابرات العراقي عدو الله الشهواني. فالعدو بحمد الله خسر الكثير بفقده كل هذه الرؤوس خلال فترةٍ وجيزة، وفقد العدو معها معلوماتٍ وخبراتٍ كثيرة عن الإخوة.

أما عن الوثائق التي تدين إخواننا الأسرى في سبيل الله، فقد دمّرنا بعون الله مقراتٍ مهمة أُحرقت فيها آلاف الملفات التي تدين إخواننا كان على رأسها مقر الأدلة الجنائية ببغداد والمسؤول عن كافة مكاتب تحقيق الأدلة الجنائية في عموم العراق. كما دمّرنا محكمة التمييز أو الاستئناف والتي أصدرت الكثير من أحكام الإعدام بحق رجالنا وكانت بصدد إصدار أحكام كثيرة بالإعدام بمناسبة الانتخابات رفعًا لأسهم المالكي عند الرافضية، ولذلك أيضًا كان استهداف وزارة العدل ولأسبابٍ أخرى ذكرناها سابقًا.

كما أننا بتوفيق الله إن ثبت بالأدلة القاطعة أن أحدًا من إخواننا اعتُقل بسبب معلومةٍ من خائنٍ عميل، لا يهدأ لنا بال حتى نقصف عنقه ونقطع رأسه فيضيع الشاهد السرّي، ونجد في تتبعه لذة أعظم من لذة قتل أسياده الصليبيين أنفسهم.

المحاوِر: شيخنا الكريم، تنتشر في الآونة الأخيرة ظاهرةٌ مفادها أنه لا أحد يخرج من السجن بغير فدية مالية وإلا فالقتل مصيره أو الأسر إلى أجلٍ غير مسمى.

- إذا أمكن تخليص الأسير من قبضة المشركين بالمال فهذا واجبٌ على عموم المسلمين بلا خلافٍ عند أهل العلم، قال الإمام السرخسي رحمه الله: (من وقع أسيرًا في يد أهل الحرب من المؤمنين، وقصدوا قتله؛ يُفترضُ على كلِّ مسلمٍ يعلم بحاله أن يفديه

بماله)[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فِكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات)[٢]، فالمجاهد الأسير لو طلبوا واللهِ منّا وزنه ذهبًا وزيادة وكان بقدرتنا لفديناه به، وما وفّينا بيومٍ من أيامه تحت قهر الطاغوت وذل الأسر، وإن نسمة الحرية واللهِ لتُشترى بالدنيا وما عليها. وإنه من فضل الله لا دين للمرتد ولا مبدأ؛ فالذي باع دينه لأجل المال يُطلق الأسير لأجله، ولكننا إذا فعلنا ذلك مع كل أسير مع رغبتنا في ذلك، لم يبق مالٌ للجهاد وتعطّلت فريضة الزمان، وبالتالي يتعطّل كل شيء لأن المال أصلاً ما جاء إلا بالقتال والجهاد. وإذا كان الأسير المسلم إذا تترّس به الكفّار جاز قصد الكفّار بالقتال وإن قُتل الترس حتى لا يتعطّل الجهاد ويتضرر المسلمون بتركه، كما قال الإمام النووي والسرخسي والكساني وغيرهم، فترك الأسير في أيديهم إذا خِيف على الجهاد أولى من قتله.

ومع ذلك فإننا ننفق مئات الآلاف من الدولارات شهريًّا، نعم، مئات الآلاف من الدولارات شهريًّا على فك أسر إخواننا، ولكننا نقدّم من يستلزم الجهاد وجوده فإن كان في الأسر مثلاً مهندس إلكترونيات واحتجنا له قدّمناه في الفداء على غيره وهكذا، وبعض الرجال وجودهم يحيي مناطق بأكملها، لذا فقد دفعنا فديةً لإطلاق سراح رجلٍ من المجاهدين ربع مليون دولار دفعةً واحدة، كونه كان أميرًا لولايةٍ هامة وطالب علمٍ ورجلاً صاحب تجربةٍ عزّ وجود مثله، قال الإمام مالك رحمه الله: (واجبٌ على المسلمين أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم)[٣].

وإننا نعلن أن فكّ أسر أغلب المجاهدين ممكنٌ بالمال إذا توفّر فأين أغنياء المسلمين؟ وأين صدقاتهم؟ وأين واجبهم؟

ولا نقول إلا كما قال ابن العربي رحمه الله: (فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مَا حَلَّ بالخلق، في تركهم إخواهم في أسر الْعَدُوِّ، وبأيديهم خزائن الأموال)[٤].

---

[١] المبسوط، شمس الأئمة السرخسي، (ج٣٠/ص٢٧١).

[٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٦٤٢).

[٣] نقله ابن العربي في أحكام القرآن (ج١/ص٥٨٣).

[٤] أحكام القرآن، ابن العربي، (ج٢/ص٤٤٠).

إلى من حملوا أمانة البلاغ[1]

٨ شوال ١٤٣١ هـ || ١٦ سبتمبر ٢٠١٠ م

الحمد لله مالك الملك، المتنزه عن الجور، والمتكبر عن الظلم، المتفرد بالبقاء، السامع لكل شكوى والكاشف لكل بلوى، والصلاة والسلام على من بُعِث بالسيف بين يدي الساعة بشيراً ونذيرًا وداعياً إلى الله بإذنه وسِراجاً منيرًا، أما بعد:

فهذه رسالةٌ مقتضبة إلى من حُمِّلوا أمانة البلاغ في معركة الذب عن عقيدة التوحيد وأخلاق المرسلين والموحدين، فعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ"[2].

وعن عبد الله بن عمرو، كما في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"[3]، والآية كما قال الحافظ في الفتح: (تُطلق على ثلاثة معانٍ: العلامةُ الفاصلةُ، والأُعجوبةُ الحاصلةُ، والبليَّةُ النَّازلةُ)[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخُدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ..." الحديث. وهل هناك أعظم منكراً من تلك الحملة المسعورة الشرسة على عقيدة التوحيد حتى صار الإسلام يُطعن من كل جانب ولا حِراك على الحقيقة ولا غضبة لله ولدينه! فكانت النتيجة أن بُدِّل الشرع وحُورِب أهله، وزُيِّن الباطل وقُدِّم حزبه.

وكانت البداية من تشويه صورة الجهاد والمجاهدين؛ فإن أردت أن تهدم أي دعوة فاهدم رموزها ودعاتها وحُماتها، فغُيِّر مصطلح الجهاد إلى المقاومة أو الثورة كي لا يترتب

[1] نُشرت بعد استشهاد الشيخ رحمه الله.
[2] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.
[3] رواه البخاري.
[4] فتح الباري، ابن حجر، (ج٦/ص٣٩٨).

عليها أي تبعات وأحكامٍ شرعية كما هو الحال مع الجهاد، وقُصّ الثوب وقُصر إلى مفهوم الدفاع، ثم مَن دافع عن دينه وأرضه وعرضه شُوِّهت صورتهم وأعمالهم فصاروا مصاصي دماء متطرفين إرهابيين مجرمين!

إنّ الجهاد هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في إعلاء كلمة الدين بالسنان واللسان، قال الله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً * فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} [الفرقان:٥١-٥٢]، قال الطبري -رحمه الله-: (جاهِدْهم بهذا القرآنِ جهادًا كبيرًا، حتى ينْقادوا للإقرارِ بما فيه من فرائضِ اللهِ)[١]، أليس هذا هو جهاد الكلمة بنص الكتاب؟

روى أحمد بسند صحيح عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ". وفي المُسند بسندٍ صحيح على شرط الصحيح عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- أنه قال للنبي ﷺ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا أَنْزَلَ، فقال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ")، أي: أنه يؤثر في نفوسهم تأثير النبل في أجسادهم وأسرع، كما في رواية أخرى.

ثم ها هو رسول الله ﷺ يستخدم الصورة والصوت لإيضاح حقائق الدين، ففي الصحيح عن أنس -رضي الله عنه- قال: (خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: "هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ")[٢]. وعن ابن مسعود كما في الصحيح: (خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ...)[٣] الحديث. قال ابن بطال -رحمه الله-: (مثّل النبي ﷺ في حديث ابن مسعود أمل ابن آدم وأجله وأعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط)[٤].

---

[١] جامع البيان، (ج١٧/ص٤٧٠)،
[٢] رواه البخاري.
[٣] رواه البخاري.
[٤] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج١٠/ص١٥٠).

وكتاب الله مليء بالأمثال كما قال الحكيم الترمذي: (ضرب الله الأمثال لنفوس العباد حتَّى يدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم الظَّاهِرَة بما عاينوا)[١]. فضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة والخبيثة، وللمنافق والكافر واليهود، قال الله تعالى: {وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم:٢٥]، وقال سبحانه: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور:٣٥]، وقال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت:٤٣]. يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: (والمعنى الكلي المجرّد يظل حائرًا في التصور البشري ومائعًا حتى يتمثل في صورة محسوسة [...] -ثم قال- لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس، ويقرب إلى حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صورٍ ومشاهد)[٢].

فضرب رسول الله ﷺ مثلًا لقارئ القرآن ومثلًا للرسول والأنبياء قبله، ولهذه الأمة واليهود والنصارى، ومثلًا للمؤمن والصحابة، فإيصال الحق بأبسط وأظهر وأحدث الأساليب وظيفةٌ نبوية وطريقةٌ قرآنية.

إنّ المعركة لم تهدأ ولن تهدأ، قال الله تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} [البقرة:٢١٧]، فالإعلاميون الفجّار اليوم يعملون على محورين هامين:

الأول: محور التشويش على الحق بالتصفير والتصفيق والتخليط، ولكن على طريقتهم الحديثة، فألهوا الناس وصرفوهم عن سماع الحق ومعرفته بكل الطرق، فيسّروا الفجور والخنا، ثم على طريقة القصّاصين وتحت لواء وراية النضر بن الحارث أرادوا صد الناس عن الدين؛ فإنه كان قد قدِم الحيرة وتعلم أحاديث ملوك فارس، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فذكّر فيه بالله وحذّر قومه ما أصاب مَن قبلهم من أمم قام ثم قال: (أنا والله يا معشر قُرَيْشٍ، أحسن حديثًا منه، فَهَلُمَّ إِلَيَّ، فأنا أُحَدِّثُكُمْ أحسن من حديثه، ثم يُحَدِّثُهُمْ عن ملوك فارس ورُستم)، قال ابن إسحاق: (وكان ابن عباس -رضي الله

[١] الأمثال من الكتاب والسنة، الحكيم الترمذي، (ص١٦-١٧).
[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج٤/ص٢٢٩٦).

عنهما- يقول فيما بلغني: نزل فيه قول الله عز وجل: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين:١٣])[1].

فنراهم اليوم يتسابقون في كيفية صد الناس وإلهائهم عن سماع الحق وبكل الوسائل، فنشروا الأفلام الساقطة والمسلسلات الهابطة، وأسسوا لذلك المؤسسات كالحرة والعربية والـBBC والـmbc وغالب فضائيات الدول التي يقطنها المسلمون، وسمّوا الـمُفسِدين المهرجين فيها نجومًا مضاهاةً لسادة الأمة نجومها أصحاب رسول الله ﷺ، كما في صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، أنّ رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السَّمَاءِ، فقال: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ، أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ"، قال أبو العباس القرطبي في الـمُفهِم: (يعني: أنّ أصحابه ما داموا موجودين كان الدِّين قائمًا، والحق ظاهرًا، والنصر على الأعداء حاصلًا)[2]. فهؤلاء هم نجومنا الذين نقتدي بهم، يجب أن نعرِّف أبناءنا بسيرتهم وجهادهم وأسمائهم ونسبهم وكل أمرهم، لا سيرة الفُسّاق الذين يعرف أبناؤنا منهم أكثر مما يعرفون من صحابة رسول الله ﷺ!

المحور الثاني للصد عن سبيل الله: يتولى ما رشح من المحور الأول واستطاع أن يسمع الحق ويصل إليه الذِّكر، فأُنيط بأصحابه تحريف معنى الكتاب ولي أعناق النصوص، فأنشؤوا لذلك المؤسسات والتي لا تقل خطورة عن الأولى وأسموها: (الفضائيات الدينية)، فلُمّعت وأُظهِرت شلة من علماء السوء ودعاة الضلالة، وفتحوا أمامهم الأبواب الموصدة، وحسّنوهم إلى الناس ووصفوهم بكل أوصاف الجلال والوقار، بل وحتى جمّلوا من أشكالهم فحُدِّثتُ أنّ كثيرًا منهم يضع (مكياجًا) قبل ظهوره على الشاشة لتحسين وجوهٍ غضب الله عليها! وهم في المحورين على سُنّة من سبقهم من الكفار كما قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

[1] سيرة ابن هشام، (ج١/ص٣٠٠).
[2] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (ج٦/ص٤٨٥).

تَغْلِبُونَ} [فصلت:٢٦]، قال ابن الجوزي في زاد المسير: ({وَالْغَوْا فِيهِ} أي: عارضوه باللَّغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة. وكان الكفَّار يوصي بعضهم بعضًا: إذا سمعتم القرآن من محمدٍ وأصحابه فارفعوا أصواتكم حتى تُلبِّسوا عليهم قولهم. وقال مجاهد: والغَوْا فيه بالمكاء والصفير والتخليط من القول)[١].

يقول الشيخ سيد قطب -رحمه الله-: (لقد حاول أعداء الدين أن يصرفوا الناس نهائيًّا عن هذا القرآن، فلما عجزوا حوّلوه إلى تراتيل يترنم بها القراء ويطرب لها المستمعون، وحوّلوه إلى تمائم وتعاويذ يضعها الناس في جيوبهم وتحت وسائدهم [...] - ثم قال رحمه الله- لقد صاغ لهم أعداء هذا الدين أبدالًا منه يتلقون منها التوجيه في شؤون الحياة كلها، حتى ليتلقون منها تصوراتهم ومفاهيمهم إلى جانب ما يتلقون منها شرائعهم وقوانينهم [...] -ثم قال رحمه الله- إنها مناورة النضر بن الحارث، ولكن في صورة متطورة معقدة تناسب تطور الزمان وتعقُّد الحياة، ولكنها هي هي في شكلٍ من أشكالها الكثيرة التي عرفها تاريخ الكيد لهذا الدين على مدار القرون)[٢].

لكي نعرف الدواء لا بد أن نعرف الداء، ونشخِّص فيروس المرض؛ حتى نعمل على طريقة مضادة لتطوره، ولقد أوجزنا المحورين الهامين لعملهم، فلا بد أن تكون لكم خطة عمل تسعون لتحقيقها بكل جد وإصرار، وتحت أسلوب ممنهج وبوقتٍ محدد. وعلى الجملة هذه بعض المقترحات التي أود أن تهتموا بها في أعمالكم ومن باب المشورة وإلا فأنتم أعلم وأخبر ونحسبكم أخير.

أولاً: بث الرعب في صفوف عدونا باستخدام كل ما يُبيحه الشرع لهذا الهدف. قال الله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ} [الأنفال:١٢]، يقول الزمخشري في الكشّاف: (ولا معونة أعظم

---

[١] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (ج٤/ص٥٠).
[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج٣/ص١٥٠٤).

من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم؛ واجتماعهما غاية النصرة)[١].

فبث الرعب عملٌ رباني يحسم أحيانًا معارك كثيرة حتى قبل وقوعها، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله ﷺ قال: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ"، وعن جابر بن عبد الله كما في الصحيح: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ"[٢]، قال المهلب -رحمه الله-: (هو شيءٌ خصّه الله وفضّله به، لم يؤته أحدًا غيره ورأينا ذلك عيانًا، أخبرنا أبو محمد الأصيلي قال: افتتحنا برشلونة مع ابن أبي عامر، ثم صح عندنا بعد ذلك عن من أتى من القسطنطينية أنه لما اتصل بأهلها افتتاحنا برشلونة بلغ بهم الرعب أن غلّقوا أبواب القسطنطينية ساعة بلوغهم الخبر نهارًا وصاروا على صورها وهي على أكثر من شهرين)[٣]. فنشر أعمال المجاهدين في مواقع الكفار وإظهار القوة في العزم والعدد والعدة مما يلقي الله به الرعب في نفوس الأعداء.

ثانياً: تشويه صورة الكفار وفضح أخلاقهم ووصفهم بكل نقيصةٍ فيهم، وذلك بالحق لا بالباطل. قال الله تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءِ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: ١٠-١٣]، ففي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} قال: (رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَنَمَةٌ مِثْلُ زَنَمَةِ الشَّاةِ)[٤]، وعند الطبري عنه: (نُعِت فلم يُعْرَفْ حتى قيل: {زَنِيمٍ} [فعُرِف]، وكانت له زَنَمَةٌ في عنقِه يُعْرَفُ بها -أي القطعة التي تتعلق بعنقها-)[٥]، وقيل:

زَنيمٌ ليس يُعْرَفُ مَن أبوه[٦]

---

[١] الكشاف، الزمخشري، (ج٢/ص٢٠٤).
[٢] رواه البخاري.
[٣] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (ج٤/ص١٤٢).
[٤] رواه البخاري.
[٥] جامع البيان، الطبري، (ج٢٣/ص١٦٥-١٦٦).
[٦] المرجع السابق، (ص١٦٤).

وسواءٌ هذه أو تلك فنَصِفُ ما في الكفار من قبيح الخلق والخُلُق نبغِّضهم إلى المسلمين ونهوّن أمرهم على المجاهدين، فقد غيّر رسول الله ﷺ كنية عمرو بن هشام، وكان يُكنى: (أبا الحكم)، فغيّرها إلى أحط الكُنى وأقبح الأوصاف فكنّاه: (أبا جهل) بعدما كان يفخر بكنيته التي توحي بجميل العقل، فينبغي أن يكون هذا منهجًا في التعامل مع رؤوس الكفار، ولكن بدراسة وروية حتى تخرج الكلمات والأوصاف صادقة، فإذا وقعت حلّت ووصمت.

ثالثًا: متابعة ما يصدر عن الغرب من كتبٍ وتقارير وتحاليل، وترجمة ما نحسب أنه يفيد المجاهدين أولًا ثم عموم المسلمين. سواء أكانت معلوماتٍ عسكرية أو ثغرات أمنية أو مشاكل سياسية أو فضائح أخلاقية، وأحسن ما تؤخذ هذه المعلومات من المجلات الشعبية والاجتماعية والنشرات المحلية، ومن ثم عمل إصدارٍ ولو أسبوعيًّا من هذه المادة الدسمة يُنشر على الملأ أو يُرسل إلى من يهمه الأمر من قادة المجاهدين.

رابعًا: متابعة ما يصدر عن فِرق الضلالة وأئمة السوء، وبيان ما يقعون فيه من تناقضات وما يصدر عنهم من مخالفاتٍ وموبِقات، وخاصةً تلك التي ترفع شِعار الثورة والمقاومة.

خامسًا: إعداد الدورات التدريبية لكل فُنون الإعلام عبر الإنترنت، وتقسيمها إلى مستويات لتعم الفائدة، وتشجيع الشباب على الانخراط في برامج علمية مكثفة وهي متوفرة في كل قُطر وتنشط في أماكن رخيصة وسهلة مثل وادي السليكون في الهِند.

سادسًا: الاتصال والحوار مع المتعاطفين والداعمين لقضية الإعلام الإسلامي، ومحاولة كسب أكبر عدد منهم، وخاصةً في الدول التي تتمتع إلى حد ما بنوع من الحرية الصحفية والإعلامية أو التي ليس من السهولة السيطرة على الشبكة العنكبوتية فيها.

سابعًا: إعداد نشرةٍ مرئية يومية تقف على المستجدات وتحلل الأحداث وخاصةً المتعلقة بالمجاهدين، فلا شك في أهمية صياغة الخبر وزاوية التعليق عليه وتحليله، وأقترح أن

تُبث كل صباح مغطيةً كل ما سبق في اليوم الفائِت، على أمل الوصول إلى مرحلة الفضائية، وذلك بالتدرج في عدد ما نُعِدُّه ثم نبثه يوميًا. مع عمل إصدارٍ أُسبوعي لأعمال المجاهدين في كل مكان وما يتعلق بهم، نعلِّق فيه على عملياتهم، نرفع فيهم هممهم، نبث الرعب فيه في صفوف عدوهم، نظهر فيه أننا أمةٌ واحدة نقاتل لهدفٍ واحد على جبهاتٍ متعددة.

ثامنًا: إنشاء منتديات ذات صبغة علمية تقنية، تقف على كل جديد وتنشر كل مفيد وتتبع أماكن وجودها، فلا تترك خيرًا إلا عرّفت به وأماكن وجوده وكيفية الحصول عليه وآمن الطرق لوصوله، وغنيٌّ عن القول أن تكون أعين المشرفين على كل ما يفيد المجاهدين عسكريًّا أو يمكن أن يطورهم عِلميًّا، وإيصال ذلك بالطرق المناسبة إليهم. مع ضرورة أن تكون هذه المنتديات بعيدةً ظاهريًّا عن دعم المجاهدين أو حتى المسلمين.

تاسعًا: إنشاء منتدياتٍ إسلامية معتدلة –على حد قولهم– وأقترح مثلًا أن تهتم بشأن العِلم والعلماء فتنشر محاضراتهم وتتبع أخبارهم ودروسهم، وتُحاول بذكاءٍ أن تُشرِك أكبر عددٍ من طلبة العِلم والدعاة فيها وبكل الوسائِل، ثم إنه لا مانع أن تصير هذه المنتديات –أو بعضها– جهادية إذا لزم ذلك وكانت هناك ضرورة. قال النووي –رحمه الله–: (واتَّفَقَ العلماء على جواز خِداع الْكُفَّارِ في الحرب كيف أمكن الخِداع، إلَّا أن يكون فيه نقض عهدٍ أو أمانٍ فلا يحلُّ)[1].

عاشرًا: الاتصال بالعلماء وطلبة العِلم ودعوتهم إلى القيام بواجبهم في الرد على انحرافات المتميعين والمنحرفين الذين أصبح القِتال معهم اليوم في خندق الثوابت والقواعد الكلية لهذا الدين، وبيان ضلالات النِّحَل المنحرفة كالقومية والديمقراطية، ولا يصح أن تكون الردود والمناقشات جوفاء بل من واقع المأساة، فمثلًا على الرغم من الانحراف الخطير لكثيرٍ ممن يمثلون المقاومة في العراق أو لا يمثلونها ويُحسبون على الإسلام إلا أننا لم نشهد كتابًا واحدًا من أيٍّ من علماء المسلمين أو فتوى شرعية ترد على هؤلاء باطلهم،

[1] شرح مسلم، النووي، (ج١٢/ص٤٥).

بل على العكس قام بعض من كان يُحسب على الدعوة السلفية بتحسين صورة الوطنيين وهم يعلمون منهجهم الفاسد، وهذه هي النتيجة: انحرافٌ يسير يقود إلى الهاوية!

كما لا بد من إثراء المنتديات الجهادية بالمقالات الهامة والحِوارات الجادة والنقد الهادِف؛ حتى لا تفقد بريقها ومِصداقيتها، وينبغي لطلبة العِلم استغلال ما يتوفر من إعلام لدعوة الناس إلى الجهاد ومساعدة أهله وتحريض الشباب على النفير وبذل الوسع في خدمة الدين.

الحادي عشر: الاهتمام بأمر القرصنة، وتشجيع كل من يمتلك هذه الموهبة وإرشاده إلى ما يقوي ملكته ودعمه بكل سبيل؛ فندمر مواقع العدو ونخترق حُصون مؤسساته العسكرية والأمنية والسياسية، وفوق ذلك نميل على أموال الكفار فنخرب مؤسساتهم الاقتصادية، وننزع الرعب في صفوف المساهمين فيها ونُخلخل الثقة، فإنّا نظن أن الحرب الإلكترونية من الحروب المستقبلية الهامة والفعّالة.

الثاني عشر: إصدار مذكرة مقترحات وإرشاد ولو شهرية للمجاهدين وقادتهم وفي كل المجالات وعلى حسب المستجدات، تنقلون فيها مقترحات الأمة وتطلعاتها، وتكون هذه الأعمال بمثابة الجسر بين الأمة وقادتها، فمن المؤكد أنّ هناك بين المسلمين ووسطهم من يمكن أن يُسدي النصيحة للمجاهدين، وربما يكون هذا الشخص محترفًا في فنّه ومنعه مانعٌ من الوصول إلى المجاهدين فتأتي نصيحته كدُرّةٍ في زمانها ومكانها.

الثالث عشر: رصد ما يصدر من ردود أفعال عمّا يقوله ويفعله المجاهدون وقادتهم وخاصةً التي تأتي من أعدائهم، ودراستها بعمق للتعرف على الإيجابيات والسلبيات لتحسين الأداء وتدارك الخطأ، أو لزيادة الخير، وإيصال ذلك بأمانة إلى من يهمه الأمر.

الرابع عشر: تفعيل الدور الجماعي المنظّم الموثّق في العمل الإعلامي الجهادي وعلى حسب الظروف الأمنية والتقنية، فإنه لا يمكن تحقيق الطموحات المرجوة إلا عبر عملٍ

جماعي وقيادةٍ تُدير الدفة الإعلامية، فلن تقوم لنا قائِمة أو يحترمنا الآخرون ونحن نعمل فُرادى مفككين ورُبما متناطِحين متشاكسين.

إن كان الإعلام الغربي قام على أساس الدجل وقلب الحقائِق وصار الكذب والخيانة والجهل والعهر هي أهم سِماته وأركان بُنيانه، فإنّ الإعلام المسلم ينبغي أن يتحلّى بصفاتٍ هامة منها:

أولاً: **الأمانة والصدق**، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:١١٩]، أي الزموا الصدق دائمًا في النية والقول والعمل فـ"إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ"، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. فما أرسل الله رسولًا ولا بعث نبيًّا إلا كان الصدق عنوانه ورسوله إلى الناس، فقد كانت قريش تصف رسول الله ﷺ حتى قبل بِعثته بالصادق الأمين، ولقد أدرك الكفار أهمية الصدق فقال أحد زعماء اليهود عن إعلامهم: (لقد صدقنا الناس في كل شيء حتى إذا كذبنا صدّقونا) -على حد قوله-، ونحن نقول: نعوذ بالله من الكذب على المسلمين فإياكم أن يؤثر عليكم كذبٌ على مسلم؛ فإنه خُسرانٌ في الآخرة وخيبةٌ في الدنيا.

ثانيًا: **العدالة والعدل**. فالمسلم العدل هو الذي انتفت عنه التهم القادحة في الشهادة، فحُسن السيرة واستقامة السريرة من أهم صفات الإعلامي المسلم، فالفاسق الفاجر ليس عدلًا ولا أهلًا لهذا المقام خاصةً فيما يتعلق بنقل الأخبار وترجمة الأقوال.

كما أني أحرِّضكم على العدل حتى مع عدوكم، قال الله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة:٨]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (لا يحملنّكم بُغض قومٍ على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقًا كان أو عدوًّا)[1]، وقال الطبري -رحمه الله-: (لا يَحْمِلَنَّكُم عَداوة قومٍ على ألا تَعْدِلُوا في

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٣/ص٣٥٠).

حُكْمِكم فيهم، وسِيرتِكم بينَهم)[١]. ولِذا قال رسول الله ﷺ -فيما رواه البزّار بسندٍ صحيح- عن عدوه في بدر قبل المعركة عن عتبة بن ربيعة قال: "إِنْ يَكُنْ عَنْدَ أَحَدٍ مِن الْقَوْمِ خَيْرٌ فَهُوَ عِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا"[٢]، وكان يأمرهم بالرجوع وعدم القِتال.

ثالثًا: حُسن الخِطاب وأدب الكلام، وهو مع المسلمين باللين والكلمة الطيبة، قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم:٢٤]، قال ابن القيم: (لأنَّ الكلمة الطيبة تُثمِر العملَ الصالح، والشجرة الطيبة تُثمِر الثمرَ النافع)[٣]، وصح عن نبينا كما في المسند عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ النبي ﷺ قال: "الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ"[٤]. فحريٌّ بنا أن نتأدب بأدب المُرسلين، قال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:١٩٩]، وقال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت:٣٤]، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٥].

وأما الكلام مع الكافر المُحارِب، فبالأدب والإنصاف والبُعد عن الفُحش في الخِطاب، ففي الصحيح عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّ النبي ﷺ لم يكن سبّابًا ولا فحّاشًا ولا لعّانًا، وفي الصحيح أنه قال لعائشة -رضي الله عنها-: "مَتَى عَهِدْتِنِي

---

[١] جامع البيان، الطبري، (ج٨/ص٢٢٣).

[٢] قال البزار: لا نعلم يرويه بهذا اللفظ إلا ابن عباس، ولا له إلا هذا الطريق، ولا أسنده إلا يزيد بن هارون، وحدث به مرة مسندا وحدث به في الكتب مرسلا ويزيد بن حازم لم يسند غير هذا الحديث. قال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات.

[٣] أعلام الموقعين، ابن القيم، (ج١/ص٣٤٤).

[٤] رواه أحمد، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، ومن فوق إبراهيم ثقات من رجال الشيخين.

[٥] رواه الطبري في تفسيره (ج٢٠/ص٤٣٢)، ونقله ابن حجر في التغليق (ج٤/ص٣٠٣) عن ابن أبي حاتم، ورواه البيهقي في سننه.

فَحَّاشًا"[1]، قال الطبري: (الفاحش: البذيء اللسان)[2]، وقال ابن بطّال: (أصل الفُحش عند العرب في كل شيء ما خرج عن مقداره وحدّه حتى يُستقبح)[3].

وأخيرًا: أوصيكم بتقوى الله فإنه خير الزاد، قال الله تعالى: {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة:١٩٧]، ففي الصحيح عن ابن عمر معلقًا قال: (لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ)[4]. وإني لأُدرك ما يعانيه إخواني العاملون في هذا المجال خاصة من كان منهم على اتصال بالإنترنت أو الفضائيات، لذا نصيحتي له بالزواج والعجلة في ذلك، ولا تشترط -أيها الغالي- إلا الدين تجد ما يسرك إن شاء الله. ومن لم يستطع الزواج وكان لا بد له شرعًا من متابعة العمل، "فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" كما في الصحيحين. ثم اعلم أنّ صوم اليوم واليومين لا يُغني شيئًا، ولكن مُتابعة الصوم يومٌ ويوم، ولن تجد أثر ذلك إلا بعد شهرين أو ثلاثة. قال الحافِظ في الفتح: (واستُشكِل -أي الأمر بالصوم- بأنَّ الصَّوم يزيد في تهييج الحرارة وذلك ممَّا يُثير الشَّهوة، لكنَّ ذلك إنَّما يقع في مبدأ الأمر، فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك)[5]. ثم اعلموا أنه من لا يستطيع أن يحمل نفسه على الصوم وهو مُحتاجٌ للزواج، لا يستطيع أن يحملها على غض البصر، ومن لا يتقي الله في سره وجهره لا خير في عمله وجُهده.

الزم ثغرك في هذا الحقل، فإنك تدفع من الشر عن الموحدين ما الله به عليم. الزم ثغرك فنحن نحتاجك في مكانك. إياك أن تحسب أنّ عملك نافلةٌ من القول أو الفِعل، عملك فرضٌ واجبٌ عليك فاجتهد فيما حُمِّلت من أمانة. ثم الحذر الحذر من مكر الأعداء، فخذ من الأسباب كل ما تستطيع، وإياك والتفريط فيها فتُهلِك نفسك وتخسر موقعك، فإن فعلت ما هو متاحٌ بالأسباب إياك والتردد فإن الله هو الحافظ وحده، ولا بد من المخاطرة المحسوبة فلا عمل بلا مخاطر، ففي بلاد الرافِدين سُكِبت دماء الإعلاميين

---

[1] رواه البخاري.

[2] نقله ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج٩/ص٢٢٩).

[3] المرجع السابق.

[4] رواه البخاري.

[5] فتح الباري، ابن حجر، (ج٤/ص١١٩).

رخيصة في سبيل الله، قد قُتِل على سبيل المِثال الحيي الأديب (عقيل) المسؤول عن التسجيلات الصوتية للشيخ أبي مصعب -رحمه الله-، والأخ (عبد الإله الجنوبي)، فجّرا حِزاميهما وسط العدو بما معهما من خامٍ للشريط المرئي للشيخ أبي مصعب -رحمه الله- قبل إصداره.

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال كما عند الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: "أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، ثُمَّ رَجُلٌ قَامَ إلى إمام جَائِرٍ فَأَمَرَهُ ونَهَاهُ فقُتِلَ"، وهو عند الحاكم وصحّحه: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ".

فسيروا على بركة الله، دافعوا عن دين الله، انصروا المجاهدين في سبيل الله. الله يرعاكم ويعينكم ويسددكم. وفي حِفظ الله وأمنه.

أخوكم

أبو حمزة المهاجر

قسم الكتابات

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

بيان من الأمير الجديد لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

١٧ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ || ١٣ يونيو ٢٠٠٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:٤٥]، قالَ تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال:٣٩]. وقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة:٣٢-٣٣].

مِن أبي حَمزَةَ المهاجِر إلى أمّتي الغالية؛ لا يَخفى عَليكِ ضَراوةُ المَعركةِ الّتي تدورُ بينَ جُندِ الحقّ وبين جندِ الباطِلِ مِنَ الصَّليبيينَ والرَّوافضِ والمُرتَدينَ على أَرضِ الرَّافدين. أعوامٌ ثلاثةٌ مضت؛ أذاق فيها أبناؤكِ المجاهدون الأعداءَ مرَّ الهزيمةِ والهوان، وبإذنِ اللهِ وَصَلَ أبناؤك مرحلةَ الحسمِ ولم يبقَ لعدوِّنا إلَّا أن يولينا ظهره إن شاء اللهُ تحقيقاً لا تعليقاً. إنَّ أبناءكِ في بلادِ الرَّافدين بخيرٍ، وهم اليومَ أقوى عزيمةً وأكثرُ ثباتاً وأشدُّ بأساً مِن أيّ وقتٍ مضى، ومهما تحزَّبَ الكفارُ ومهما بلَغَ جمعُهُم فهوَ مخذولٌ مدحورٌ وأنفهُ ينزفُ دماً كما اعترف قادتُهم بذلك.

في كلِّ يومٍ منذ ثلاث سنوات يدَّعون أنَّ المعركةَ على وشكِ أن تنتهي ويؤمّلونَ شعوبَهم بذلك، وتأتي الضَّرباتُ ويشاهدُ العالمُ غزواتِ المجاهدين المظفرة لتؤكِّد لهم أنَّ المجاهدينَ يتقدمونَ في كل يومٍ خطوةً وأنَّ معسكرَ الكفرِ في تقهقرٍ مستمرٍ وانهيارٍ متتابع، {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ:٤٩].

أمَّتي الغَاليةَ؛ لقد رأيتِ كيفَ أنَّ عدوَّكِ الصَّليبي باتَ يتوسلُ بالقواتِ المتحالفةِ معَهُ ألَّا تنسحبَ وتذرَهُ في الميدانِ وحيداً، وأضحى يستغيثُ بالدُّول الأوروبية ويستنجدُ بطواغيتِ الدُّولِ العربيةِ لإخراجهِ ممّا صارَ يُعرَف بـ(المستنقع العراقي).

أمّا دُمَى المُرتدينَ والمنافقينَ فقَد حارَ فيها، يُقدِّمها تارةً ويُؤخرها تارةً أُخرى، فمرَّةً يأتينا بمجلس حكمٍ محكومٍ ومرّةً بحكومةٍ انتقاليةٍ مُعيَّنةٍ، وبعد هذهِ وتلك جاءنا بلعبة الديمقراطية ودَجَلِ الانتخاباتِ التي استقدمت له خدمَةُ الرَّوافض وأدعياء السّنة من الَّذِين خانوا اللهَ ورسولَهُ، مُستنفِذاً بذلكَ كلَّ خياراتِهِ ولَم يبقَ أمامَه غيرُ الاعترافِ بحقيقةِ المأزقِ الذي سيق إليه وأُركسَ فيه بمكرٍ من ربنا عظيم. هي ذي المرحلةُ الأخيرةُ ولن ينفعَهم جمعُهم، ولن تغنيَ عنهم فئتُهُم من اللهِ شيئاً.

أمَّتي الغاليـة؛ إنَّ أبنـاءَكِ اليـوم مستبشـرونَ بنعمـةِ الله وفضلـهِ إذ خصـهم بالجهـاد وأكـرمهم بالنيـل من أعدائـه، {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة:١٤]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ" [رواه البخاري].

أمَّتي الغالية؛ نقولُ لمن خذلكِ من المحسوبين على أهلِ السُّنة وباع نفسه للصَّليبيين ووضع يده بأيدي الروافض الحاقدين محتجاً بذرائعَ واهية وتأويلاتٍ باطلة: سَترونَ بإذنِ اللهِ ماذا أعددنا لكم جرَّاء خيانتِكم وردتكم، فسيوفنا مشرعةٌ على رقابِكم ولن تفرّقَ بين مرتدٍ وآخر، {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر:٤٣]. لقد فَضَحَكُمُ اللهُ يومَ مددتم حبل النّجاة للروافض وأنتم تعلمونَ مدى حقدهم على أهل السُّنة ومقدار جرائمهم اليومية بحقّ عوام أهل السُّنة من النساء والأطفال فضلاً عن الشُّيوخِ والشَّباب، وأتيتم بثالثة الأثافي ونهاية الخِسة يوم رشّحتم جزارَ مدينةِ العز (الفَلوجَة) لمنصب وزير الدِّفاع.

إنَّ يوم القِصاصِ قريبٌ ولن تغني عنكم بروجُكم المشيدة داخل المنطقة الخضراء، {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٧١].

ونقولُ لأحفَادِ ابنِ العَلقَمي؛ يا مَن أشركتم بربِّ العَالمينَ، وطَعنتُم بعِرضِ خيرِ المرسلين، وشَتمتُم الصحابة المكرمين، وتفانيتم في خدمة الصّليبيين.

سَنُنْزِلُ فيكم حكم أبي بكرٍ الصديق في قتاله للمرتدين، وسنواصل ما بدأه معكم شيخُنا أبو مصعبٍ -رحمه الله-، ولنقاتلنّكم حتى تكون كلمةُ التوحيد هي العليا وكلمةُ طواغيتكم هي السُّفلى.

أمّا أنتم أيُّها الصليبيون؛ فإنَّ بيننا وبينكم أياماً تشيبُ لها مفارقُ ولدانِكم، ومعاركَ ستكشفُ عن زيفِ قوَّتِكم وخَوَرِ جنودِكم وتفضحُ كذَّابَكم الأَشِر. فلا تأخذنَّكم نشوةُ الفرح بقتل شيخِنا أبي مصعب رحمه الله، فإنَّه قد تركَ أسوداً، ربّاهم على عينه، وتدربوا في عرينِهِ، هم أصحاب منهجٍ وعقيدةٍ، فلا يقاتلون إلّا للهِ وفي اللهِ وباللهِ، {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} [التوبة: ٥٢]، {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء:٧٦].

أمة الإسلام و جحافل الجهاد؛ ها هم أعداء الله تعالى يعدون العدة و يحثون الخطى لضرب مدينة الإباء و ثغر الرباط مدينة الرمادي الكريمة بأهلها و عشائرها، فأين أنتم مما يُعد لأهلنا هناك؟

لا خير فينا إن خلصوا لهم وفينا عرق ينبض، فحيَّهلا على مقارعة أعداء الله تعالى و رد كيدهم عن إخوتنا و مساجدنا و حرائرنا.

شيخَنا وأميرنا أبا عبد الله أسامة بن لادن؛ لقد مَنَّ اللهُ علينا وأكرمنا بإخوةٍ كرامٍ أشاوس اجتمعوا معنا في (مجلس شورى المجاهدين)، فكانوا خيرَ عونٍ ونصيرٍ، تعاقدنا على النّصر وتعاهدنا على التزام منهج السّلف رضي الله عنهم، فجزاهم ربُنا عنا و عن جميع المسلمين كل خير.

شيخَنا وأميرنا أبا عبد الله أسامة بن لادن؛ نحن رهنُ إشارتِكم وطوع أمرِكم، ونبشّرُكُم بالمعنويات العالية لجندِكم وبالنفوس الكريمة الأبية التي انضوت تحت رايتكم وبطلائع نصرٍ قريبٍ بإذن الله تعالى.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

أبو حمزة المهاجر

أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين

المصدر: (مركز الفجر للإعلام)

الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ

١٣ يونيو/حزيران ٢٠٠٦ م

رسالة من أبي حمزة المهاجر إلى جماعة أنصار السُنّة

جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ || يونيو ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألّف بين قلوب عباده المؤمنين والصلاة والسلام على من بُعِثَ ليتمم مكارم الأخلاق وعلى أصحابه الغُرِّ الميامين وبعد:

لقد وصلني من فضيلتكم رسالتان كريمتان فرحت بهما فرحًا شديدًا. فهكذا ينبغي أن يكون التواصل بين الإخوة في الدين وخاصةً في مثل أوضاعنا الحالية حيث الكفر يدٌ واحدةٌ على عباد الله المتفرقين المتشرذمين المتناحرين. جاؤوا إلينا على اختلاف عقائدهم ومناهجهم وأفكارهم وأهدافهم وجئنا إليهم على اتحاد عقائدنا وأفكارنا ومناهجنا ورسائلنا فاجتمعوا وتفرقنا وتآلفوا وتناحرنا وتصافحوا وتناحرنا وكانوا يداً على من سواهم وصرنا يداً على أنفسنا.

هذه هي حقيقة الحال يا شيوخنا الكرام وإخواننا الأفاضل وأحبابنا في الله. يشهد الله أنا كنا نتمنى منكم قصاصة ورق تأتينا منكم وكنت متلهفًا أشدَّ التلهف للتواصل معكم والجلوس إليكم فإنكم على الأقل من نفس المدرسة التي أنتمي إليها فلقد كنت أسمع كثيرًا عن توجهاتكم وأفكاركم وخاصةً عندما كنا في أفغانستان، أذكر يومًا وفي صبيحة يومٍ مُشرق جاءت إلى الدكتور أيمن الظواهري رسالةٌ من منطقة كردستان تعلن عن تشكيل تجمعٍ جديد اسمه (أنصار الإسلام) ويطلبون العون المادي والمعنوي ففرح -حفظه الله- بذلك وقال: (الحمد لله على ضيق الحال والله ما يسعنا إلا أن نَمُدَّ إخواننا وأن أكون معهم على هؤلاء المرتدين). كان ذلك إبان إمارته -حفظه الله- في جماعة الجهاد المصرية، ثم وردتنا بعد ذلك الأخبار أنكم تتخذون بل وتفتخرون بأن منهجكم هو منهج جماعة الجهاد وليس أدل على ذلك عندنا على الأقل من أنكم كنتم تدرسون

(العُمدة) وتعتبرونه منهجاً لجماعتكم وقد وصلني أن (أبا سيّد قُطُب) هو الذي ترجمه إلى الكرديّة وتعرفون مَن هذا الرجل. هذا وغيره جعلت النفس تحبُّ هذا التشكيل.

لذا، لما جئت قبل السقوط إلى بغداد كنت على اتصالٍ معكم عن طريق طرفٍ وسيط وكنا نقوم بما نستطيع وقد كان أخونا ورفيق دربنا عبد الهادي أميرًا لإخواننا عندكم وقبلها كان أبو عبد الرحمن وهو أيضًا رفيق درب وصاحبٌ لنا كان من ضمن المؤسسين لجماعتكم آنذاك، ثم بعد السقوط ورجوعكم إلى بغداد كنت أول المستقبلين لأعضائكم بل من مجلس شورى الجماعة مثل عبد الحميد وقدس. فالعبد الفقير هو من أجَّر لهم بيتًا يسكنون فيه وكنت أنا سائقاً لهما بسيارتي الشخصية.

فوجئت بعد ذلك كله أن هناك من يظن أنّا نكنُّ لكم كرهًا أو بغضًا (...) ولا أدري لماذا فقد كانت النفس مشحونةً بالمحبة ولا زالت، ولما آل الأمر بعد مقتل أسد الإسلام أبي مصعب -رحمه الله وأعلى الله قدره- أقول لما مات وآل إلينا الأمر توقعت منكم أن تُرسلوا إلينا رسالةً تواسونَ فيها وتساعدون على تجاوز المحنة على الرغم من الوسائل الكثيرة التي تعرفونها أنتم بهذا الأمر ولكن للأسف لم يحدث هذا بل سعيت بكل الطرق والوسائل للاتصال بكم وقد أرسلت رسالةً إلى أميركم -حفظه الله- شرحت فيها معاناتي في هذا الأمر.

المهم، عجبت وأنتم أهل علمٍ وقضاء أن تلقوا علينا تهمًا جزافًا فأرسلتم وللأسف الشديد رسالة تهديد بأنكم سوف تفعلون وتفعلون إن لم نَرُد خلال أسبوع، لن أرد على كلامكم هذا فأعتقد بأن هناك من شَحنَ صدوركم تجاه أخيكم وملأها إلى هذا الحد وقد كانت هذه أول رسالةٍ منكم ثم جاء فيها اتهامنا بقلة الدين والعلم وذلك لما ذكرتم نصوص الوعيد في قتل النفس وقلتم: (إن المشكلة ليست في حفظ الدولة بل في فهمها وتطبيقها). ثم كانت المقدمة مفاجئة حيث كان الخطاب إلى أمير تنظيم القاعدة وكذلك في الرسالة الثانية كتبتم: (إلى تنظيم القاعدة – دولة العراق الإسلامية).

أحبائي؛ كنتم تحت شعار (أنصار الإسلام) وغَيَّرتم إلى (أنصار السُنّة)، فهل تحبون منا أن نناديكم باسمكم الأول هذه وأنتم قد انتقلتم من جماعةٍ إلى جماعة بلا زيادةٍ في تشكيلات معروفة انضمَّت إليكم.

والحال ليست هكذا معنا، فأنتم تعلمون علم اليقين أن الدولة هي مجموعةٌ من الجماعات والتجمعات والأفراد ومع ذلك تُصرون على ما يُصر به الأعداء وتلتقون في نفس النقطة، فلماذا؟ إن قلتم إنكم بالفعل القاعدة وليس الدولة، أقول والله ما كنا نكذب عليكم ولا نكذب على الناس ومن قبل لا نكذب على الله وما كنا يا عباد الله كذابين ولا عُرِفَ علينا ولا عنا الحمد لله الكذب فوالله ما نبت الشعر في وجهي إلا وأنا ابن الإسلام وصاحب حركةٍ جهادية ولنا في هذا الطريق قرابة عشرين عامًا ثم بعد ذلك نكذب والموت أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، أما تتقون الله فينا شيوخنا الأكارم؟

ثم ذكرتم: (وكانت حجة القتل في وقتها: لماذا لم تنضموا إلى مجلس الشورى وقبل المجلس كانت الجماعة الشرعية في العراق هي تنظيم القاعدة فقط وقبل التنظيم يجب أن تكون البيعة للمهاجرين في جماعة التوحيد والجهاد ونحن صابرون طوال هذه المدة).

أولًا: أحبائي في الله مَن قتلنا منكم وكم نفسا معصومة قتلناها يوم كنا في (التوحيد والجهاد) -طبعاً لا نقيلكم من هذا الادعاء- ثم كم نفسًا معصومة قتلناها يوم أن كنا تحت مُسمَّى: (القاعدة) -أدام الله عزّها- وعلى أنكم، أو كثيرٌ منكم على الأقل وإن أردتم أن آتي بشهداء على ما أقول كنتم تقولون إنكم قاعدة وكان كثيرٌ من أفرادكم وحتى أمرائكم يقولون. هذا اليوم صرنا نقتلكم لأجل الدخول.

وذكرتم أدلةً شرعية على جواز وجود إمامين للناس في بلدين مختلفين هذا وإن كان الرأي مخالفًا لرأي الجمهور فإنه يجب أن يكون للناس خليفةٌ واحد، كنا في محل النزاع اليوم معكم فإن كنتم بحق وأنا أظن ذلك تريدون أن تعرفوا أو نقف سويةً على أرضيةٍ شرعيةٍ مشتركة ونجعل الشرع هو الحكم والفصل بيننا فحبًا وكرامة. فقالوا واجلسوا مع إخوانكم في وزارة الهيئات الشرعية وأنا مسبقًا أقولها ويشهد الله شخصيًا مع الشرع

حيث دار وإلا فأنا لا أملك إلا نفسي، فقد بايعت أميرًا وجعلت جنودي تحته وإن كنت اليوم وزيراً للحرب في هذه الدولة المباركة.

وقلتم في رسالتكم المباركة: (وكنا نرى تزويرًا للحقائق -مثلًا- إذا جلسنا لحل مشكلة تنشرون الخبر عند المجاهدين بأننا جالسون لوحدة الجماعتين وتوجد بعض العراقيل النفسية والشخصية تقف أمامنا). مع علمي أن مثل هكذا إشاعات كانت تصدر من طرفكم وأيضاً بالشهود لكن من كان يُشيع الخبر فلا ضير عندي على الأقل. أيسوؤكم أن يقال إننا نريد أن نتحد ولا يسوؤكم أن يقال أننا نتقاتل؟! أليس إشاعة روح الجماعة لدى الجنود هو الأصل، أوليس شيخكم وشيخي صاحب (العمدة) وعالم المجاهدين في هذا العصر هو من أفتى بحرمة تعدد الجماعات الجهادية في البلد الواحد وأفتى بوجوب الانضمام إلى الجماعة الأقدَم وأعتقد أنكم لستم تدّعون أنكم لستم أنكم أقدم من القاعدة أو جماعة الجهاد.

أحبابنا في الله، إنني اليوم أكررها مرةً أخرى ومرات: تعالوا لنكون يدًا واحدةً على من سوانا واشترطوا لدينكم ما شئتم ولسنا نرد لكم شرطًا إلا شرطًا يخالف الكتاب والسُنّة. ويشهد الله أنا ندين الله أنكم أقرب الناس إلينا قلبًا وقالبًا، جنودًا وأمراء، وإنا لا نُخفي هذا قط لا على جنودنا ولا على غيرهم، فلماذا نفترق ونبتعد؟

أحبابنا؛ نقولها من أعماق قلوبنا فلسنا اليوم في حاجةٍ إلى التزلف إليكم وتنميق الكلام، لكن هذا دين، وما ساءنا يشهد الله رسائلكم إلينا إلا ما ظننا إنه سوء الظن بنا.

وأمّا عن المشاكل التي ذكرتموها في رسائلكم الأولى والثانية؛ فأمّا عن الأولى فلقد وقفنا على الأمر وتَبَيَّنَ لنا أن الأمر ليس كما ذكرتم تماماً، أمّا عن الثانية فلم أقف بعد على حيثياتها فإن كان الأمر كما ذكرتم فوالله لآخُذَنَّ الحق لكم فإن لم أستطع ربطت نفسي في عمود وأسلمت دمي إليكم حتى يقضي الله في ولا أدخل النار بقطرة دمٍ سفكت حراما. فطيبوا نفسًا وقروا عينًا فما وقعتم إلا على مُحبٍ لكم يرجو الخير فيكم.

ملاحظة:

الرسالة بخط يد وليست طباعة تكريمًا لإخواننا وتعظيمًا لشأنهم أن تخاطبهم برسالةٍ مطبوعة.

ونعتذر عن أيِّ خطأ في الرسالة لأنها جاءت عفوية وسريعة للأهمّيّة.

وسبحانك اللهم وبحمدك، والسلام عليكم.

أخوكم

أبو حمزة المهاجر

الرسالة خطية

١

subject

date

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألف بين قلوب عباده المؤمنين والصلاة والسلام على
من بعث ليتمم مكارم الأخلاق وعلى أصحابه الغر الميامين وبعد.
فإلى إخواني وأحبابي وشيوخنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
لقد وصلني من فضيلتكم رسالتين كريمتين فرحت بهما فرحاً شديداً.
فهكذا ينبغي أن يكون التواصل بين الإخوة في الدين وخاصة في مثل
أوضاعنا الحالية حيث الكفر يداً واحدة على عباد الله المتقين غير المترددين
المتأخرين. جاءوا إلينا على اختلاف عقائدهم ومناهجهم وأفكارهم وأهدافهم
وجئنا إليهم على اتحاد عقائدنا وأفكارنا ومنهجنا ووسائلنا فاجتمعوا وتفرقنا وتآلفوا
وتناحرنا واتحدوا وتناحرنا وكانوا يداً على من سواهم وصرنا يداً على أنفسنا
هذه هي حقيقة الحال يا شيوخنا الكرام وإخواننا الأفاضل وأحبابنا في الله.
يشهد الله أنا كنا نتمنى منكم مصالحة وردود تأتينا منكم ولكني كنت متلهفاً أشد التلهف
للتواصل معكم والجلوس إليكم فإنكم على الأقل من نفس المدرسة التي أنتمي إليها
فلقد كنت أسمع كثيراً عن توجهاتكم وأفكاركم وخاصة عندما كنا في أفغانستان
أذكر يوماً وفي صبيحة يوم مشرق جاءت إلى الدكتور أيمن الظواهري رسالة
من منطقة كردستان تتكلم عن تشكيل تجمع جديد باسم أنصار الإسلام ويطلبون
العون المادي والمعنوي ففرح حفظه الله بذلك وقال الحمد لله على كل حال والله
ما يسعنا إلا أن نمد إخواننا وأن نكون معهم على هؤلاء المرتدين كان ذلك أيام إمارته
حفظه الله في جماعة الجهاد المصرية ثم وردتنا بعد ذلك الأخبار أنكم تتخذون بل وتفتخرون
بأن شيخكم هو شيخ جماعة الجهاد وليس أدل على ذلك عندنا على الأقل من أنكم
كنتم تسمون العمدة وتعتبرونه منتمياً لجماعتكم وقد وصلني أن (أبو سيد قطب)
هو الذي ترجمه إلى الكردية وتعرفون من هذا الرجل.
هذا وغيره جعلت النفس تحب هذا التشكيل.
لذا لما جئت قبل السقوط إلى بغداد كنت على اتصال معكم عن طريق أخ وسيط
وكنا نقوم بما نستطيع وقد كان أخونا ورفيقه وربما عبد الهادي أميراً لإخواننا عندكم
وقبلها كان أبو عبد الرحمن وهو أيضاً رفيق درب وصاحب لنا كان من جملة المؤسسين
لجماعتكم آنذاك ثم بعد السقوط ورجوعكم إلى بغداد كنت أول المستقبلين.

Future

9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

subject ٤

date

لهم عندكم بل دفت مجلس شورى الجماعة مثل عبد المجيد وقدس .
في لواء الفقير خوف أجر لهم بيتاً ليسكنوا فيه وكنت أنا سائقاً لهما ليباري
الحصيبة .
٢ فوجئت بعد ذلك كله أن هناك من يظن أننا نحمل لكم كرهاً أو بغضاً .
والله يا إخوة ولا أدري لماذا فقد كانت النفس مشحونة بالمحبة ولا زالت .
ولما آل إلينا الأمر بعد مقتل أمير الإسلام أبو مصعب رحمه الله وأعلى الله قدره
مقولة لما مات وآل إلينا الأمر توقعت منكم أن ترسلوا إلينا رسالة تواسوننا
فيها ونحن نعودون على تجاوز المحنة على الرغم من الوسائل الكثيرة التي تعرفونها
أنتم بهذا الأمر ولكن للأسف لم يحدث هذا بل سعيت بكل الطرق والوسائل
للوصول لكم وقد أرسلت رسالة إلى أميركم حفظه الله شرحت فيها معاناتي
في هذا الأمر .
المهم عجيب وأنتم أهل علم وقضاء أن تلقوا علينا تهماً جزافاً فأرسلتم وللأسف
الشديد رسالة تهديد بأنكم سوف تفضحوننا وتقتلوننا إن لم نرد فعلاً إسرع
لن أرد على الأمر هذا فأعتقد بأن هناك مبيت شحن صدوركم تجاه أخيكم وأوصلها
إلى هذا الحد وقد كانت هذه أول رسالة منكم ثم جاء فيها اتهامنا بقلة الدين
والفهم وذلك لما ذكرتم نصوص الوعيد في قتل النفس وقلتم ((إن المشكلة
ليس في حفظ الأدلة بل في فهمها وتطبيقها))
ثم كانت المفاجأة حيث كان الخطاب إلى أمير تنظيم القاعدة وكذلك في الرسالة
الثانية أشرتم إلى تنظيم القاعدة — دولة العراق الإسلامية
أحبابي لكنتم تحت شعار أنصار الإسلام وغيرتم إلى أنصار السنة هل تحبون
منا أن نناديكم باسمكم الأول هذا وأنتم قد انتقلتم من جماعة إلى جماعة
بدون زيادة في تشكيلات معروفة اعلنت اليكم .
والحال ليست هكذا معنا فأنتم تعلمون علم اليقين أن الدولة هي مجموعة من
الجماعات والتجمعات والأفراد ومع ذلك تصرون على ما يجري به الأعداء وتلتقون
في نفس النقطة فلماذا ؟
إن قلتم إنكم بالفضل للقاعدة وليس للدولة أقول والله ما لنا نكذب عليكم
ولم نكذب على الناس ومن قبل لم نكذب على الله وما كنا يا عباد الله كذابين ولم نخرق
علينا وإلا عنا الحمد لله الكذب نرى الله ما نثبت الشر في وجهه

Future

9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

subject
date
٢

الا وانا ابن الاسلام وصاحب حركة جهادية ولنا في هذا الطريق قرابة عشرين عاماً لم نعد ذلك نكذب والموت أقرب الى احدنا من شراك نعله أما تتقوا الله فينا شيوخنا الاكارم.

ثم ذكرتم (وكانت جبهة القتال في وقتها ب. لماذا لم تنضموا (التحقوا) الى مجلس الشورى وقبل المجلس كانت الجماعة الشرعية في العراق هي تنظيم القاعدة فقط وكان التنظيم يجب ان تكون البيعة للمهاجرين في جماعة التوحيد والجهاد وعن جابرونه طوال هذه المدة)

أولاً: اشهد في الله من قتلنا منكم ولكم نفس معصومة قتلناها يوم أن كنا في التوحيد والجهاد طلبنا لو تقتيلكم من هذا الادعاء ثم لكم نفساً معصومة قتلناها يوم أن كنا تحت مسمى القاعدة ادام الله عزها (وعلى أنكم أو كثير منكم كان الاول) وإن أردتم أن آتي بشهداء على ما أقول لكنتم تقولون إنكم قاعدة وكانت لكثير من افرادكم ومن أمرائكم يقولون.

هذا السير هو ما نقتلكم لأجل الدخول.

وذكرتم ادلة شرعية على جواز وجود أو قيام للناس في بلدين مختلفين هذا وإن كان الرأي مخالفاً لرأي الجمهور فإنه يجب أن يكون للناس خليفة واحد سلطاناً في حل النزاع اليوم معكم فان كنتم تحبه وانا أظن ذلك تريدون أن تعرفوا أو تقفوا موقفاً على أرضية شرعية مشتركة ونجعل الشرع هو الحكم والفيصل بيننا فحياً وكرامة. فتعالوا واجلسوا مع اخوانكم في وزارة الهيئات الشرعية وانا مسبقاً أقولها وأشهد الله شيئاً من الشرع حيث دار، والا فانا لا املك الا نفسي فقد بايعت أميراً وصرت جندياً عنده وإن كنت (السير) وزيراً للحرب في هذه الدولة المباركة.

وقلتم في رسالتكم المباركة (وكنا نرى تزويراً للحقائق. فمثلاً إذا علمنا لحل مشكلة تنشر الخبر عند المجاهدين بأننا جالسين لوحدة الجماعتين ونوجد بعض العراقيل (النفسية والشخصية) تقف امامنا!؟)

مع علمي أن مثل هكذا اشاعات كانت تصدر من طرفكم والعياذ بالله لكن من كان يشيع الخبر فلا ضير عندي على الاقل.

أيسوؤكم أن يقال أننا نريد أن نتحد ولا يسوؤكم أن يقال ـــ

Future

subject
date
٤

أسنا نتقاتل أليس الشائعة روح الجاهلية لدى الجنود هو الأهل أوليس شيخكم
وشيخي صاحب العقيدة وعالم المجاهدين في هذا العصر هو من أفتى بحرمة
تعدد الجماعات الجهادية في البلد الواحد وأفتى بوجوب الانضمام إلى الجماعة الأكبر
والمعتقد أنكم لستم تدعون أنكم أكبر من القاعدة أو جماعة الجهاد.
أحبابنا في الله إنني اليوم أكرر مبادرة أخرى وقرات تعالوا لنكون يداً واحدة
على من سوانا واشترطوا لدينكم ما شئتم ولسنا نرد لكم شرطاً إلا شرطاً يخالف
الكتاب والسنة
ويشهد الله أنا نريد الله إنكم أقرب الناس إلينا قلباً وقالباً جنوداً وأمراء
وأنا لا نخفي هذا حظ للأعلاء جنودنا ولا غيرهم فلماذا نفترق ونتبعثر.
أحبابنا نقولها من أعماق قلوبنا فنحن اليوم في حاجة إلى التآلف والتلاحم
وتنحية الكلام لكن هذا ديننا وما سادتنا يشهد الله رسائلكم إلينا إلا ما ظننا
إنه سوء الظن بنا. وأما عن المسائل التي ذكرتموها في رسائلكم الأولى والثانية
أما عن الأولى فلقد وقفنا على الأمر وتبين لنا أن الأمر ليس كما ذكرتم تماماً؟
أما عن الثانية فلم أقف بعد على حيثياتها فإن كان الأمر كما ذكرتم فوالله
لآخذن الحق لكم فإن لم أستطع ربطت نفسي في عمود وأسلمت رقبتي لكم
حتى يقضي الله فيّ ولا أدخل النار بقطرة دم سفكت حرام
فطيبوا نفساً وقروا عيناً منا وعمتم الأعمال محب لكم يرجو الخير فيكم.

ملاحظة :. الرسالة بخط اليد وليس طباعة تكريماً لإخواننا وتعظيماً لشأنهم
أن نخاطبهم برسالة مطبوعة
ونعتذر عن أي خطأ في إملاء لأنها جاءت عفوية وسريعة للذهاب :

سبحانك اللهم وبحمدك
والسلام عليكم

أخوكم
أبو حمزة المهاجر

Future

الوصيَّةُ الثَّلاثينِيَّة لأمَراءِ وجُنُودِ الدَّولةِ الإسلامِيَّة

١ رمضان ١٤٢٨هـ || ١٣ سبتمبر ٢٠٠٧م

الناشر: مكتبة الهمة، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله ومن والاه، أما بعد:

فيا أخي المجاهد:

هذه بعض النصائح، جمعتُها لكَ من أفواهِ الرجالِ وبطونِ الكتبِ، ولستُ أَدَّعي حِكمَةً، وأسأل الله أن ينفِّعَني وإياكم بها، والله من وراء القصد.

أبو حمزة المهاجر

الأول من رمضان ١٤٢٨ للهجرة

وصية الأُمراء

الوصية –١–

الإخلاصُ لله؛ ففيه النجاةُ في الدنيا والآخرة؛ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ منه مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[١].

– واقْصِدْ بعملك أنْ تكونَ كلمةُ الله هي العليا؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى –رضي الله عنه– قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٢].

الوصية –٢–

العدلُ والنُّصحُ لرعيَّتك؛ فـ "مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ"[٣]، و"مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ"[٤]، و"لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ عَبْدًا رَعِيَّةً يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"[٥].

الوصية –٣–

المشورةُ والمناظرةُ؛ فالمناظرة صِنوُ المشاورة أي: الجلوسُ لطرح الأفكار في مجلس، وتعليقُ كلِّ شخصٍ على رأي الآخر أو استحداثُ رأيٍ جديد، ثم يتبلورُ في النهاية الرأي الصواب، قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} [آل عمران:١٥٩]؛ فقد وجَّه اللهُ نبيَّه ليشاورَ مَن هو دونَهُ مع رجاحةِ عقلِ النبي ﷺ فكيف بكم؟

---

[١] متفق عليه.
[٢] متفق عليه.
[٣] أخرجه أحمد وغيرُه مرفوعاً، وقال المنذري: (إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح).
[٤] أخرجه مسلم.
[٥] متفق عليه.

وكما قيل: (ما ندم من استشار، وما خاب من استخار)، وقيل: (من استغنى بعقله ضلَّ، ومن اكتفى برأيه زَلّ، ومَن استشارَ ذوي الألبابِ سَلَكَ سبيلَ الصواب، ومن استعان بذي العقول فاز بِدَرك المأمول).

فلْيكن لكلِّ أميرٍ مجلسُ شورى حقيقي، بَدءاً من الأمير العامِّ وانتهاءً بأمراء السرايا.

ولكن لا تشاور صاحبَ حاجة يريد قضاءَها، ولا مَن تتلمَّس أنَّه يَطْمَع فيها، ولا مَن لا يُقَلِّبُ الفكرَ في الرأي؛ فقد قيل: (دع الرأي حتى يَختَمِر)، وقد ورد عن علي -رضي الله عنه-: (رأيُ الشيخ خيرٌ من مَشْهَد الغلام)[١]؛ أي في القتال.

ولا تَسْتَشِرْ إلا خالياً: أي على انفرادٍ؛ فإنَّه أحفظُ للسر، وأضبطُ لمن قد يُفْشِيْه.

حقاً! (إنَّ المشورة والمناظرة بَابَا رحمة ومفتاحا بركة لا يَضِلُّ معهما رأي)[٢].

الوصية -٤-

إياك وأن تُقَدِّمَ مَنْ يُوافِقُكَ الرأيَ فحسب، واحذَرْ من بِطانة السوء، وعَوِّدْ نفسك الصبرَ على من خالفَك الرأيَ من ذوي النصح، وتَجَرَّعْ مرارةَ قولِهم وعَذْلِهم، ولا تنبَسِطْ في ذلك إلا لأهلِ الفضل والعقل والسنِّ والمروءة والستر.

الوصية -٥-

ليس أَضْيَعَ للدين والدنيا مِنْ أنْ تَضِيعَ من الأمير أخبارُ رعيَّته على حقيقتِها؛ فلا تَحْتَجِبْ عنهم؛ فإنَّما أنت بشر لا تعلم ما يُوارِيْه الناس عنك، وإياكَ والتذرُّعَ بالأمنِ؛ فتَأْمَنَ وتُضِيْعَ مَنْ تَحْتَك؛ فبِئْسَ الأميرُ أنت إذنْ.

وقِفْ على كل شيء بنفسك بعد توليةِ الأمناء النصحاء؛ فقد يخون الأمين ويَغُشُّ الناصح فتثبتوا من الأمور؛ قال تعالى: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ

[١] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.
[٢] ورد عن عمر بن عبد العزيز في (أدب الدنيا والدين) للماوردي، وغيره.

النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص:٢٦]، (فلم يقتصر تعالى على التعريضِ دونَ المباشَرة، ولا عَذَرَ في التشاغل اكتفاءً بالاستنابة حتى قرَنَهُ بالضلالة)[١].

ولا تَعْجَلَنَّ إلى تصديقِ ساعٍ يريدُ الإفساد، فإنَّ مِثْلَه غاشٌّ وإنْ تَشَبَّه بالناصحين، ولا تُهْمِلْ قولَه؛ فقد يكون صادقاً، وأحسن الظَّنّ بإخوانك؛ فإنَّ إحسانَ الظن يَقْطَعُ عنك نَصَباً طويلاً.

الوصية –٦–

ينبغي للأمير أنْ يأخذَ نفسه وجندَه بما أوجبه اللهُ تعالى من حقوقٍ، وأمرَ به من حدود؛ (فإنَّ مَن جاهد عن الدين كان أحقَّ الناس بالتزام أحكامِه)[٢]، ولكنك لن تُصْلِحَ وأنت فاسد، ولن تُرشِد وأنت غاوٍ، ولن تهديَ وأنت ضال، فكيف يَقْدِرُ الأعمى على الهدى والذليلُ على العِزِّ؟ ولا أَذَلَّ مِنْ ذُلِّ المعصيةِ، ولا أَعَزّ مِن عِزِّ الطاعةِ، فتَرَفَّعْ عن سَفاسِفِ الأخلاقِ وصُحبةِ الفسّاق.

الوصية –٧–

إياكَ وأنْ يَدْعُوَكَ ضيقُ أمركَ في شيءٍ إلى طلبه بغير الحق؛ فإنَّ صبرَك على ضيقٍ ترجو انفراجَه وفضلَ عاقبتِه خيرٌ من معصيةٍ تخاف تَبِعَتَها؛ ومدارُ الدِّين على الصبر.

الوصية –٨–

إياك وأنْ تُمَيِّزَ نفسَكَ بمركَبٍ أو مَلْبَس؛ فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنهما–: (...وقد بَلَغَني أنَّه فَشَا لك ولأهلِ بيتِك هيئةٌ في لباسِك ومطعَمِك ومركَبِك، ليس للمسلمين مثلُها، فإيَّاك يا عبد الله أنْ تكونَ بمنزلة البهيمة مَرَّتْ بوادٍ خِصْب، فلم يكن لها هَمٌّ إلا التسمُّن، وإنما حَتْفُها في السِّمَن، واعلم أنَّ العامل إذا زاغ زاغت رعيتُه، وأشقى الناس من شَقِيَتْ به رعيتُه)[٣].

---

[١] الماوَردي نقلاً عن (بدائع السلك في طبائع الملك).
[٢] من كلام العلامة الماوردي في (الأحكام السلطانية).
[٣] عزاه في (كنز العمال) للدينوري، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه.

الوصية –٩–

اعلموا أنَّ الحرب –كما قالوا–: ثِقالُها الصبر، وقُطْبُها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثِقافُها[١] الأَناة، وزِمامُها الحذر، ولكلِّ شيءٍ مِن هذه ثمرة: فثمرةُ الصبرِ التأييد، وثمرةُ المكر الظَّفَر، وثمرةُ الاجتهاد التوفيق، وثمرة الأناة اليُمْن، وثمرةُ الحذر السلامة، وقد سُئل عمرو بن مَعْدِيْكَرِبَ[٢] عن الحرب فقال: (من صبر فيها عُرِف، ومن نَكَلَ عنها تَلِفَ)[٣]؛ فإيّاكم والعجلةَ، فرُبَّ عَجَلةٍ تُعْقِبُ نَدَماً.

الوصية –١٠–

قَدِّمْ أهلَ البلاءِ والشِّدةِ على الأعداءِ حالَ اصطلامِ القتالِ، ووزِّعْهم على السرايا ليتقوَّى بهم الضعيفُ، ويتجرأَ بشجاعتهم الجبانُ، وإيَّاك وأن يَصْحَبَ إخوانَكَ مُخَذِّلٌ أو مُرْجِفٌ.

والحذرَ الحذرَ من العيونِ والجواسيسِ، فكم من فئة قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، ولكن لا تنتَقِ في الغزو الأقوياءَ وتترُكَ الضعفاءَ الراغبين بما عند الله؛ فإن النبي ﷺ قال: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!"[٤]، وإنَّ الله يَنصر القومَ بأضعفِهم.

الوصية –١١–

لا تُهْمِلْ من العُدَّة ما يمكن أن يُتَّخَذَ كالدروع والخُوَذ، وليس ذلك من الجبن، فقد كان أشجعُ الناس رسولُ الله ﷺ له درعٌ، ولا يمنع هذا من المقاتلة حاسراً في وقتِه المناسب، قال حبيب بن المهلب[٥]: (ما رأيتُ رجلاً في الحرب مُسْتَلْئِماً إلَّا كان عندي رجلين، ولا رأيتُ حاسرَيْن إلا كانا عندي واحداً).

---

[١] ما تُسَوَّى به الرماح أو الأقواس؛ حديدة، أو خشبة. تاج العروس.
[٢] أحد أبطال الصحابة رضي الله عنه.
[٣] أسنده عنه البَلاذُري في فتوح البلدان.
[٤] أخرجه البخاري.
[٥] حبيب بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني، كما في الأعلام للزِّرِكلي.

فسمع هذا الحديثَ بعضُ أهلِ المعرفة فقال: (صدق! إنَّ للسلاح فضيلة؛ أما تراهم ينادون عند الصريخ: السلاحَ السلاحَ، ولا ينادون: الرجالَ الرجالَ)[٦].

الوصية –١٢–

إنَّه لَأميرٌ حكيم من يُزَوِّدُ إخوانَه من المُؤَنِ ما تَقْوَى به نفوسُهم طُوالَ يومِهم من طعامٍ وشراب؛ فقد كان بعض قادةِ الحرب في أفغانستان إذا فَتَّشْنا جيوبَهم وَجَدْنا فيها الزبيبَ.

الوصية –١٣–

ينبغي على الأمير أنْ يُجَدِّدَ لكلِّ مفرزةٍ أميرَها، وأنْ يتفقد سياراتِ وأسلحةَ إخوانِه ومُؤَنَها، وخاصةً قبل الغزوات، فلا يُدْخِلَ فيها ما تَعْجَزُ عنه حالَ الجِدِّ والشدة، ولا يُخْلِ منها ما تحتاجُه حالَ العطبِ وطولِ المسافة، وخاصةً إذا تَوقَّع طولَ المعركة.

الوصية –١٤–

ينبغي ألّا يزيدَ عددُ المقاتلين في السيَّارة الواحدة عن الثلاثة، إلَّا ما ترَجَّحَتْ مصلحتُه، وأنْ يُؤَمِّنَ اتصالاً أمنياً مدروساً بين السرايا، ويضعَ لهم شِفْرةً لكلامِهم، وشعاراً لقتالِهم.

الوصية –١٥–

على الأمير أن يُسْمِعَ رعيَّتَه وجندَه ما يقوِّي نفوسَهم، ويُشْعِرُهم بالظَّفَر على عدوهم، ويَسْرُدَ عليهم من أسباب النصر ما يحتقرون به عدوَّهم، قال الله تعالى: {إِذْ يُرِيْكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} [الأنفال: ٤٣].

الوصية –١٦–

---

[٦] عيون الأخبار.

ينبغي للأمير أنْ يدرسَ موقعَ القتال جيداً، فلا يقاتلَ مِن موقعٍ يَسْهُل الالتفافُ عليه دون أن يَسُدَّ الثغرة، ولا يَبْعُدَ بجنودهِ بعداً يستحيل عليه أنْ يعود بهم آمنًا.

الوصية -١٧-

قال ﷺ: "الحَربُ خَدْعَة"[١].

وقال المُهَلَّب[٢]: (عليكم بالمكيدة في الحرب؛ فإنَّها أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَة)؛ ومِن المكيدة:

أ- إفشاء العيون.

ب- استطلاع الأخبار.

ج- والتورية في الغزوات؛ فقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها:

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسِه *** فَصَدْرُ الذي يُستَوْدَعُ السرَّ أَضْيَقُ

واحذرْ عدوَّكَ على كلِّ حالٍ لئلا:

أ- يَثِبَ عن قُرب.

ب- أو يُغِيرُ من بُعْد.

ج- أو يَكْمُنَ عن غِرَّة.

د- أو يَتَبَعَ بعد رجوع.

الوصية -١٨-

من علامات خبرة الأمير وحِنكته انتهازُ الفرص؛ (فإنَّها تمرُّ مَرَّ السحاب، ولا تَطْلُبُوا أثراً بعد عين)[٣]، وثِبْ عند رأسِ الأمر ولا تَثِبْ عند ذَنَبِه.

إذا هبَّتْ رياحك فاغتنمها *** فإنَّ لكلِّ خافقةٍ سكونُ

---

[١] متفق عليه.

[٢] المُهَلَّب ابن أبي صُفْرَة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال: (.... أقام واليًا على خراسان من قِبَل الحجاج تسع سنين، وقال ابن صبية: كان أشجع الناس)، راجع تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.

[٣] عزاها ابنُ عبد ربه الأندلسي لعلي رضي الله عنه في العِقْد الفريد، وكذلك ابنُ الأزرق في بدائع السلك، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب.

الوصية –١٩–

يجوز لأمير الجيشِ أن يُعَرِّضَ للشهادةِ مِنَ الراغبينَ فيها مَنْ يعلمُ أنَّ في قتلِهِ في المعركة تحريضاً للمسلمين على القتال حَمِيَّةً له، والعكس صحيح؛ أنْ يَحْفَظَ مِنْ بقتلِه كسرٌ لشوكة إخوانه؛ كالقائد المتميِّز؛ لذا كان موقعُ القلبِ أحصنَ الأماكن وأبعدَها عن العدو.

الوصية –٢٠–

لا تَأْذَنْ لإخوانك أن يَقْتُلوا أو يَأْسِروا ما قد يُفَرِّقُ صفَّهم وتختلفُ بسببه كلمتُهم، حتى وإنْ كان جائزاً من وجهٍ من الوجوه؛ فوَحْدةُ الكلمةِ حالَ القتالِ مصلحةٌ راجحةٌ لا يَعْدِلُها شيء.

الوصية –٢١–

إيَّاكم والدِّماءَ، إياكم والدماءَ وسفكَها بغير حقها؛ فلا شيءَ أسرعُ لجلب نقمةٍ وزوالِ نِعْمةٍ من سفكِ الدماءِ بغير حقِّها، وإياكَ وأنْ تُقَوِّيَ أمرَكَ وجندَك بدمٍ حرام؛ فإنَّ هذا عاجلٌ آجلُه ضَعْفٌ ووهَن، فلا عذرَ لك عند الله ولا عندنا، ووالله لا يُرْفَعُ إلينا دمٌ سُفِكَ من معصومٍ من أهل السنة بغير بيِّنةٍ على ارتكابه ما يَهْدُر دمه ولا شُبْهةٍ؛ إلا انْتَصَفْنا له.

الوصية –٢٢–

لا تغُرَّنَّكَ سهولةُ عمليةٍ ما؛ فقد يكونُ المنحدَرُ بعدها وعْراً؛ وعليه فليكن فِكْرُكَ ليومِك وغدِك؛ فليس أضرَّ على الناس من أميرٍ يُفَكِّرُ فقط ليومه.

الوصية –٢٣–

كافِئِ المحسنَ على إحسانِه، وأَكْرِمِ السرية بعدَ الظفَرِ، وشَرِّفِ الشجاع على رؤوس الناس، وبالمقابل؛ وعاقِبِ المسيءَ على إساءتِه ولو بالهَجْرِ؛ إذ يجوزُ للأمير أنْ يؤدِّبَ العاصيَ لأمره، فإنْ لم تفْعلْ؛ تَهاونَ المحسنُ واجْترَأَ المسيءُ وفسدَ الأمرُ وضاعَ العمل.

وليكنْ إحسانُك إلى المحسن على الملأ، وعقابُك للمسيءِ سراً؛ وخاصةً لأهل الفضل منهم، أما أهلُ الفساد فعلى رؤوسِ الناس، وبه جاءتْ الشريعة.

وإياك إياكَ والإسرافَ في عقوبةٍ، أو النَّدم على عَفْو، وإياك والغلظةَ المنفِّرة؛ فإنَّ الشريعةَ تعاقِبُ لتُصْلِح لا لتَتَشَفَّى.

واحترسْ ساعةَ الغضب من كلمةٍ لا ترْجع؛ فرُبَّ كلمةٍ قالتْ لصاحبها: "دَعْني".

ولا تَجْعَلْ قولَك -أيها الأمير- لَغْواً في عقوبةٍ ولا عَفْوٍ، ولا تتجاوز في عقوبتِك -بِتَعَدٍّ وهَوى- ما حَدَّه اللهُ لك؛ فـ"الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[١]، فعليك يا أخي بالرِّفْقِ في أمرك كلِّه حتى في العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال ﷺ: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ"[٢]، وقال ﷺ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ"[٣].

الوصية -٢٤-

اعلم أن إخوانَكَ يَسْمَعُون ويُطيعون رغبةً فيما عند الله؛ فالتزامُهم شرعيٌّ أخلاقيٌّ أكثرَ منه رهبةً من سلطان؛ فلا تؤَدِّبْ إلا من تَظُنُّ أن له دِيناً يتَقَبَّلُه، أمّا من تَظنُّ أن دينَه لا يَردعُه فإياك وأنْ تعاقبَه بل تَلَطَّفْ به وتَأَلَّفْهُ؛ فأحقُّ الناس بالعفوِ أقدرُهم على العقوبةِ، وأنقصُ الناسِ عقلاً وقَدْراً مَن ظَلَمَ مَن هو دونَه، فأَنْصِفِ اللهَ وأنصفِ الناسَ من نفسك وأهلك وممَّن تُحِبُّ من إخوانِك ورعيتِك، وإنْ لم تفعل تَظْلِم، ومَن ظَلَمَ عبادَ الله

[١] أخرجه مسلم.
[٢] أخرجه الترمذي، وقال: (حديثٌ حَسَنٌ صحيح).
[٣] أخرجه أحمد في مسنده.

كان اللهُ خصمَه، ومن كان اللهُ خصمه كان حرباً عليه حتى يتوبَ وينْزِعَ، فاتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليسَ بينَها وبين اللهِ حجاب، وإنَّ أبوابَ السماءِ مفتَّحَةٌ لها، ولتكنْ من وَقْتِكَ ساعةٌ في النهار تُفَكِّرِ فيها هل ظلمتَ أحداً، أو أن هناك مظلوماً عليك أن تنتصرَ له؟ وَمَنْ شاءَ تعجُّلَ غضبِ الله فلْيَظْلم!

الوصية –٢٥–

امْلِكْ إخوانَك والناسَ بالإحسانِ تَظْفَرْ بقلوبِهِم؛ فإنَّ دوامَ المحبةِ بالإحسان، وزوالَها بالتَّعَسُّف، وتَوَدَّدْ إلى عامة الناس تَخْلُصْ لك محبتُهم، وتَنَلِ الكرامةَ منهم؛ فإنّ التودُّدَ من القويّ تواضعٌ.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يَرْفُق بالناس أيَّما رِفْقٍ؛ فكانَ إذا أراد الأمرَ مِنْ أمر الله يظنُّ أنَّ الناس تكرهُه انتظر حتى يأتِيَ ما يُحِبُّه الناسُ فيُخْرِجُه معه، وقد ورد عنه: (إنَّ الله ذمَّ الخمرَ في القرآن مرتينِ وحرَّمَها في الثالثة، وأنا أخافُ أنْ أَحْمِلَ الناس على الحق جُملةً فيَدَعُوه، وتكونُ فتنةٌ)[١].

الوصية –٢٦–

اعْرِفوا قَدْرَ الناسِ واعلَمُوا أصنافَهم، وقَدِّمُوا الرجلَ لكونه:

أ– مِنْ أهل العلم والفضل؛ والنصوصُ في فضلهم كثيرة.

ب– مِنْ أهل السِّنّ: فـ "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ"[٢].

ج– مِنْ آل بيْتِ شَرَفٍ وسُؤْدَد؛ وعلى رأسهم آلُ بيت النبوة.

الوصية –٢٧–

[١] ذكره عنه صاحب العِقد الفريد.

[٢] أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم والطبراني، قال المنذري والهيثمي: (إسناده حسن).

تَفَقَّدْ أُسَرَ الشُّهداءِ والأسارى وقَدِّمْهُم على مَن سواهم، وعُدِ المريضَ.

وكنْ مع إخوانِك كالخادم لهم؛ فإنما أنت رجلٌ منهم غيرَ أنَّك أثقلُهم حِمْلاً، وأكثرُهم عند الله حساباً؛ فاعمَلْ لغَدٍ.

الوصية -٢٨-

أَحْسِنِ اختيارَ رسولِكَ إلى العشائرِ والجماعاتِ المسلحةِ، وكذلك مَن يقومُ بأمرِ "السّيْطراتِ" ومساءَلةِ الناس؛ فإنهم وُجُوْهُ الدولةِ لدى الناسِ، إنْ أَحْسَنوا أحسنَّا، وإن أساؤوا أَسَأْنا، وعلى الجُمْلَة: (أَرْسِلْ حكيماً ولا توْصِه).

الوصية -٢٩-

إياكَ أيُّها الأمير والعصبياتِ الجاهليةَ؛ فإنَّ المُلْكَ الراسخَ البناءِ لا يَهدِمُه إلا العصبيةُ الغاليةُ، واستعمِلِ الذكاء والحيلةَ في تفكيكِها وليسَ القوةَ فحَسْبُ؛ فإنَّ أهل العراق خرجوا على عبد الملك بن مروان مع ابن الأشعث وفيهم جملةٌ من خيار التابعين، كسعيد بن جبير وأمثالِه، فهزمهم الحجاج في (دَيْر الجماجم)[1] بالحيلة أكثرَ منه بالقوة، واعلم أنَّ مِنَ السياسةِ الحكيمةِ التعجيلَ بالأخذ على هؤلاء، وخاصةً الرؤوس.

الوصية -٣٠-

عليكم بالجدِّ والاجتهاد وعلوِّ الهمة، وإياكم والعجزَ؛ فإنَّه -واللهِ- أَذَلُّ مركَب، ومهما تَعَثَّرتَ فأَعِدِ المحاولة، فقد عُلِمَ من التَّجربة أنَّه ما مِن عمل يَفْتَحُ الله فيه إلا وتَعْتَرِيْهِ العَثَرَاتُ والعَثَرَات.

***

[1] معركة (دَيْر الجماجم) المعركة الفاصلة بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وحُسمت لصالح الحجاج، و(ديرُ الجماجم) بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها.

وصية الجنود

الوصية –١–

الإخلاصُ لله في القول والعمل؛ فإنَّ الله لا يَقْبَل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً، قال الرسول ﷺ: "إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى"[١]، وقال: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ[٢] يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ"[٣].

وفي ذلك الفوز بالدارين؛ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ منه مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[٤].

واقصِدوا بجهادكم أنْ تكونَ كلمةُ الله هي العليا؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى –رضي الله عنه– قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٥].

الوصية –٢–

اسألوا أهلَ العلم عمَّا يَلْزَمُكُم في كلِّ ما يَطْرَأُ عليكم في فريضة الجهاد في سبيل الله؛ فإنَّ الإجماع منعقدٌ على أنَّ العلمَ قبل العملِ، قال رسول الله ﷺ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[٦]، فلا تَقْتُلْ ولا تَغْنَمْ إلَّا وأنت تعلمُ لماذا تفعل؟ وحَدُّه الأدنى أن يُفْتِيَكَ من تَثِقُ به في علمِه ودينِه.

---

[١] متفق عليه.
[٢] الكَلْمُ: الجُرْح.
[٣] أخرجه مسلم.
[٤] متفق عليه.
[٥] متفق عليه.
[٦] حديثٌ حسن أخرجه ابنُ ماجة في سننه وابنُ عبد البر في جامع العلم.

الوصية –٣–

إياك وأنْ تحابيَ في نصرة الله ذا قُرْبى أو ذا مودة، وإنّا لنعلم أنَّ ذلك يَشُقُّ على النَّفس لكنْ تَذَكَّرْ قولَه تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ} [الممتحنة:١]، فإنَّ حقَّ الله أوجبُ ونُصْرَةَ دين الله ألْزَم.

الوصية –٤–

والله إنِّي لأُحِبُّك وأحبُّ ما يُنْجِيْك؛ فاسمعْ نصيحتي في مسألةٍ مهمة، مسألةِ (التكفير).

قال ﷺ: "مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ"[1]؛ فاعلم يا أخي أنَّ اسمَ وحكمَ الكفر حقٌّ لله تعالى[2] لا يجوز إنزالُه إلا على من يستحقُّه شرعًا، وأنَّ له شروطًا وموانع، فلا نُكَفِّرُ إلا بعدَ استيفاءِ الشروط وانتفاءِ الموانع، وقد يَصْدُر مِن المرءِ قولُ الكفرِ أو عملُه ولا يَكْفُرُ لقيامِ مانعٍ من موانعِ التكفير، ومَنْ ثبتَ إسلامُه بيقينٍ فلا يَخْرُج منه إلا بيقين؛ فإياك والظنَّ، وكُنْ على بينةٍ مما اختلَف فيه أهلُ العلمِ العاملون.

الوصية –٥–

الوفاءُ بالعهدِ والأمانِ الصحيحينِ شرعاً، والحذرَ الحذرَ من تسويلات الشيطان؛ قال تعالى: {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ} [الفتح:١٠]، وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِم عَلَى قَاعِدِهِمْ"[3].

[1] حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم والطبراني.

[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على البكري: (من كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزنيَ بأهله؛ لأنَّ الكذب والزنى حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يُكَفَّر إلا من كفَّره الله ورسوله)، وقال في مجموع الفتاوى: (مَسَائِلَ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ هِيَ مِنْ مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ).

[3] حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

واعلمْ أنَّا لم نُجِزْ لأحدٍ من الجنود عقدَ العهود أو أخذَ الأمانِ، وأنَّ ذلك لأميرِ المؤمنين أو من ينوب عنه، فنِظْرَتُه -غالباً- أشملُ وأقْدَرُ على معرفة مصالح الدولة.

الوصية -٦-

الاجتهادُ في الطاعة، والحذرُ من شُؤْمِ المعصية وشرِّ نفسِك والشيطانِ؛ فقد أوصى الفاروقُ عمرُ بنُ الخطّاب سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما-: (...فإني آمرُك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله، وآمرُك ومَن معك أنْ تكونوا أشدَّ احتراسًا مِن المعاصي منكم مِن عدوكم؛ فإنَّ ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم، واسألوا الله العونَ على أنفسكم كما تسألوه النصرَ على عدوكم)[1].

الوصية -٧-

الصلاةَ الصلاةَ يا جنودَ الله، فإنها تُقَوِّي القلوب وتنشِّطُ الجوارح وتَنْهى عن الفحشاء والمنكر، وهي محلُّ مناجاة الربّ وطلبِ النصر، وأقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد، فهي عِمادُ الدين وشِعار المسلمين، فلا تؤخِّرْها إلَّا لِعذرٍ، يعلم الله صِدْقَه مِن عَدمِه.

الوصية -٨-

إياكم والعُجْبَ بالنفسِ وحُبَّ الإطراء؛ وخاصةً بعد الظفَر على الأعداء؛ فإنَّ ذلك من أوثَقِ فُرَصِ الشيطان، ليُضَيِّعَ ثمرة جهادِكم وطولَ رباطِكم في الدنيا والآخرة.

الوصية -٩-

اثنتان عاقبتهما الخِزْيُ والخسران:

جاء في (عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق آبادي): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُشِدّ الْمُقَوِّي الَّذِي دَوَابّه شَدِيدَة قَوِيَّة وَالْمُضْعِف مَنْ كَانَتْ دَوَابّه ضِعَافًا اِنْتَهَى، وَفِي النِّهَايَة: يُرِيد أَنَّ الْقَوِيّ مِنَ الْغُزَاة يُسَاهِم الضَّعِيف فِيمَا يَكْسِبهُ مِنْ الْغَنِيمَة اِنْتَهَى. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُتَسَرِّي هُوَ الَّذِي يَخْرُج فِي السَّرِيَّة، وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْإِمَام أَوْ أَمِير الْجَيْش يَبْعَثهُمْ وَهُوَ خَارِج إِلَى بِلَاد الْعَدُوّ فَإِذَا غَنِمُوا شَيْئًا كَانَ بَيْنهمْ وَبَيْن الْجَيْش عَامَّة لِأَنَّهُمْ رِدْء لَهُمْ وَفِئَة، فَإِذَا بَعَثَهُمْ وَهُوَ مُقِيم فَإِنَّ الْقَاعِدِينَ مَعَهُ لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِي الْمَغْنَم، = فَإِنْ كَانَ جَعَلَ لَهُمْ نَفْلًا مِنْ الْغَنِيمَة لَمْ يَشْرَكهُمْ غَيْرهمْ فِي شَيْء مِنْهُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعًا، وهذا لقاعدهم بشرط كونه في الجيش.

[1] ورد في العقد الفريد، وبدائع السلك، ونهاية الأرب.

- البَغْي؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [يونس:٢٣]؛ فلا ظَفَرَ مع بَغْي.

- والمكر؛ قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر:٤٣]؛ فلا صداقةَ مع خِبّ.

الوصية -١٠-

اكسِر نَفسَك عند الشهوات، فليس كلُّ ما يُشتهى يُطلب {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف:٥٣]، وعليك بالصيام تُرْزَقِ العفافَ، وعلى الجملة: (امْلِكْ هواك، وشُحَّ بنفسِك عمَّا لا يَحِلُّ لك؛ فإنَّ الشُّحَّ بالنفس الإنصافُ منها فيما أحبَّتْ أو كَرِهَتْ).

الوصية -١١-

اصدُقِ الله فيما وُلِّيتَ من عَمَلٍ ولا تَتَكَلَّفْ ما كُفِيتَه؛ فإنَّ الله ليس بسائِلِك عنه، بل تَحَرَّ الصدقَ في أمرك كلِّه؛ فإنَّ الصدق مَنْجاةٌ والكذِبَ مَهْواة، و"كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ"[١].

الوصية -١٢-

كُن لإخوتك موافقاً في كلِّ شيء يُقَرِّبُك إلى الله ويُباعِدُك عن معصيته، وأَكْثِرِ التَّبَسُّم في وجوهِهم، واسمع لمن هو أكبرُ منك، وإذا رأَيْتَهم يَعملون فاعمل معهم؛ فإن قعودَك يُوْغِرِ الصُّدور، وإنْ عَزَّ أخوك فَهُنْ، واعلمْ أنَّه: (ليس من العَدْلِ سُرْعَةُ العَذْلِ).

الوصية -١٣-

لا تَطْلُبْ عيوبَ الناس، وخاصةً أميرَك وإخوانك فاسْتُرْ عيوبَهم ما استطعت يَسْتُرِ اللهُ عَيبَك، ولا تحاول كشفَ ما غابَ عنك منها، قال ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ

---

[١] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، وصحَّحه ابنُ حجر في الفتح.

أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"[١].

وقد ورد عن مالك -رَحِمَهُ اللهُ- قوله: (أَدْرَكْتُ بالمدينةِ أقواماً ليس لهم عيوبٌ فبحثوا عن عيوبِ الناس فَذَكَرَ الناسُ لهم عيوبًا، وأدركْتُ بها قوماً كانتْ لهم عيوبٌ سَكَتوا عن عيوبِ الناس فسكت الناس عن عيوبهم)[٢].

الوصية -١٤-

اعلموا يا جنودَ الله أنَّنا وإياكم نتشرَّفُ بإقامة وحمايةِ دولة الإسلام في بلاد الرافدين، ولكن اعلموا أنها ليستْ دولةَ (هارون الرشيد) لِنخاطبَ السحابةَ في السَّماء كما كان، وإنما هي دولةُ المستضعفين؛ نخاف من العدوِّ ونُـزْعِبُهم، كما كان الصحابة في دولة الإسلام الأولى بالمدينة لا يتركون السِّلاح مِن الخوف، وَلَرُبَّما تسلَّل يهوديٌّ حتى يطوف بحصنٍ فيه النساء والذريَّة لا يجد من يقتله إلَّا امرأة.

وعليه فترَفَّقُوا بالناس وأَشْعِرُوهم حلاوةَ الإسلامِ وعِزَّته، وإياكُم أن تُشْعِرُوهم الخوفَ من الإسلامِ وأحكامِه، وإنْ كانَ ثَمَّةَ أَمْرٌ مُرٌّ على أهلنا، فاعملوا له من الحُلْوِ والطَّيِّب من القول والفعلِ ما يَتَقَبَّلُ الناسُ مُرَّه، وعلى الجملة: حَبِّبُوا للناس دينَه وأحكامَه ودولة الإسلام؛ فخيارُ عبادِ الله "الذين يُحَبِّبُونَ عبادَ اللهِ إلى اللهِ، ويُحَبِّبُون اللهَ إلى عبادِه، وهم يَمْشُون على الأرض نُصَحاء"[٣].

الوصية -١٥-

---

[١] متفق عليه.

[٢] نقله الباجي في شرحه على الموطأ، وأبو الشيخ ابن حيان في النكت والنوادر، وأخرجه الجرجاني في تاريخه عن غير مالك.

[٣] رواه البيهقي في شعب الإيمان.

قال الصاحبُ بنُ عبّاد[١]: (تهَيُّبُ السلطانِ فرضٌ أكيد، وحَتْمٌ على من ألقى السمع وهو شهيد)[٢]، فأشْعِر نفسك إجلالَ أميرِ المؤمنين؛ فـ"إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ .... وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ"[٣]، وطاعتُه في غير معصيةٍ واجبةٌ عادلاً كان أو جائراً، وإياكم والطعنَ فيه بغير حق؛ فقد يكون كبيرةً من كبائرِ الذنوب توبقُ العبدَ، ومِن وصيةِ أَكْثَمَ بن صَيْفِيّ[٤]: (أَقِلُّوا الخلافَ على أُمرائكم ... فإنَّه لا جماعةَ لمن اختُلِفَ عليه)[٥].

الوصية -١٦-

سَلِّمْ لأميرك، وانزلْ عند رأيه وتدبيرِه، حتى لا تَخْتَلفَ الكلمةُ ويَتَفَرَّق الصفُّ، ما دام الأمرُ رأياً أو مسألةً اجتهاديةً، أو له وجهٌ مِن الشريعة وليس معصيةً بَحْتَةً، وما دُمْتَ تطلبُ الأجرَ فإنَّ الأجرَ في السمعِ والطاعةِ ما لم يُخالفِ الشرعَ.

لا تَكْتُمْ عن أميرِكَ أمراً ترى في ذكره مصلحة شرعية كفساد على المجموع؛ فإنَّ إخبارَه مِن النُّصحِ وعكسُه من الغِشّ، وليسَ هذا من الغيبةِ المُحرمةِ ولا النميمةِ المذمومةِ شَرْطَ أن يكونَ ما ترْفعُه قد ثبَتَ عندَكَ بيقينٍ أو غلبةِ ظَنّ، قال النووي: (فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةٌ إِلَيْهَا فَلَا مَنْع مِنْهَا؛ وَذَلِكَ كَمَا إِذَا .... أَخْبَرَ الْإِمَام، أَوْ مَنْ لَهُ وِلَايَةٌ بِـ«أَنَّ إِنْسَانًا يَفْعَل كَذَا، وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَة»، وَيَجِب عَلَى صَاحِب الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَته؛ فَكُلّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَقَدْ يَكُون بَعْضُه وَاجِبًا، وَبَعْضه مُسْتَحَبًّا عَلَى حَسَب الْمَوَاطِن)[٦].

---

[١] قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (الوزير الكبير العلامة الصاحب ... الأديب الكاتب ......وكان فصيحا متقعرا)، وفي ميزان الاعتدال: (أديب بارع شيعي معتزلي ... و شعره حسن جداً و بتشبيهاته يضرب المثل)؛ لذا يَستشهد به أهل الأدب رغم انحرافاته العقدية.

[٢] نقله في (بدائع السلك في طبائع الملك).

[٣] أخرجه أبو داود والبيهقي وابن أبي شيبة والبخاري بإسناد حسن.

[٤] حكيم العرب المشهور، اختُلف في إسلامه، ولم يَلْقَ النبي ﷺ مع أنَّه كان في عصره، ويرى ابن عبد البر أنَّه لم يسلم.

[٥] أخرجه أبو الشيخ في أمثال الحديث، وأورده ابن قتيبة في عيون الأخبار.

[٦] شرح النووي على مسلم (ج٢/ص١١٣).

وإياك وأن تكونَ خائناً أو أميناً للخونة؛ فقد كان يُقال: (كفى بالمرءِ خيانةً أنْ يكون أميناً للخونة)[١]؛ قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣].

الوصية -١٧-

اصبرْ على أميرك ولو جَار؛ فإنَّ هذا من فروض الدين؛ قال رسولُ الله ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ"[٢].

وهذا ما حَدَّث به عبدُ الله بن عمر عبدَ الله بن مطيع بن الأسود لَمّا خلعوا طاعة أميرِ وقتِهم (يزيد)، مع أنَّه كان فيه من الظلم ما كان، ففي صحيح مسلم: ...جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (وأرى الجهادَ ماضيًا مع كلِّ إمامٍ؛ بَرًّا كان أو فاجراً... وأرى وجوبَ السَّمع والطَّاعة لأئمَّةِ المسلمين؛ بَرِّهِم وفاجرِهم ما لم يَأْمُروا بمعصية الله)[٤].

---

[١] أسنده أحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن دينار.
[٢] متفق عليه.
[٣] راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية.
[٤] ذكره في كتابه (الكبائر، وأصول الإيمان).

الوصية –١٨–

أينما كنتُم في أرض الجهاد فعليكم بالحراسةِ ليلاً، ولا أُحِلُّ لثلاثةٍ يَنامُون وليس لهم أميرٌ ولا عليهم حارسٌ، وكان من وصيةِ أبي بكرٍ –رضي الله عنه– لأحدِ قواده: (احترِسْ من البَيَات؛ فإنَّ في العربِ غِرَّةً)[1]، ولا تَنْشَغلْ عن نَوْبَتِكَ في الحراسةِ بشيء؛ فأنتَ على ثغْرٍ، فاللهَ اللهَ في إخوانِك.

الوصية –١٩–

الإعدادَ الإعدادَ أخي المسلم؛ فإنَّ الله قال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال:٦٠]، ومِن الإعدادِ التمريناتُ الرياضيةُ التي تَسْتَجْلِبُ القوة البدنيَّة، والحركاتِ القتالية، وقد قيل: (كلُّ شيء طلبتَه حين احتياجه فقد فات وقتُه، فأَعِدَّ لغَدٍ قبل دخولِك في غَدٍ).

الوصية –٢٠–

الرباطَ الرباطَ؛ أي اربِطْ نفسَكَ للجهادِ في سبيل الله؛ لحفظِ الثغور وتكثيرِ السواد وإرهاب العدوِّ، ولو طال بك المُقامُ؛ فإنْ كنتَ في مكانٍ تَخافُ العدوَّ ويخافُك، فذاك الرباط؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠]، وقال ﷺ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"[2].

الوصية –٢١–

أخي لا تَتَمَنَّ لقاءَ العدو –إنْ كان تَمَنِّيكَ عن إعجابٍ أو فخرٍ أو اتكالٍ على النفوس أو نَحوِ هذا–؛ قال رسول الله ﷺ: "لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"[3]، وعليك بالدعاء عند التقاءِ

---

[1] عزاه في كنز العمال إلى الدِيْنَوَري، وأخرجه ابنُ عساكر في تاريخه.
[2] أخرجه البخاري.
[3] متفق عليه.

الصفين؛ فهو مجاب، وقد دعا النبي ﷺ يومَ الأحزاب: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنا عَلَيْهِمْ"[١]، وكان من دعائه "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ"[٢].

الوصية –٢٢–

جَرِّئُوا قلوبَكم؛ فإنَّه من أسباب النصر والظفَر، واعلمْ أن أشدَّ الأمور تدريباً لجندِ الله تعَوُّدُ القتالِ وكثرتُه، وأكثِرُوا ذِكْرَ الضغائنِ على العدو؛ لأنَّها تبعث على الإقدام؛ فتَذَكَّروا أنَّ العدو اغتصبَ أمهاتِكم وأخواتِكم وصَدَّكم عن الجمعة والجماعاتِ وقطعَكم عن الزرع والتجارة، وبالجملة: (لم يَتْرُكْ لكم شيئاً من أمور الدين والدنيا).

الوصية –٢٣–

إذا سِرْتُم إلى عدو فعليكم بالأَدِلّاء إنْ لم تستطيعوا دراسةَ أرضِكم وأرضِ العدو، وخذوا الكفاية مِن الزّاد (سلاحاً، وطعاماً، ودواءً)، ولا تُفارقْ ما يُعِيْنُكَ على جهادِك، فتَحَرَّكْ بسلاحِكَ وإبرتِك وخيطِك وكَشَّافِك[٣]، واحمِلْ من الدواء ما يُسْعِفُ الجريحَ ويُقَلِّلُ الآلامَ، وتَخَفَّفْ مِن الثياب.

الوصية –٢٤–

(اعْمَلْ عملاً صالحاً قبلَ الغزو؛ فإنما تقاتلون الناس بأعمالكم)[٤]، وخيرُ الأعمال وَحْدةُ الصفِّ، وجَمْعُ الكلمة؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف:٤]، وإياكم واختلافَ النّيات؛ لأنَّ الكلمةَ إذا اجتمعَتْ واختلفتِ النياتُ كان ذريعةً إلى اختلافِ ذاتِ البَيْنِ، واعلمْ أنَّ المرءَ بإخوانه، وكما قيل في المثل: (المَهِيْن من نَزَلَ وَحْده).

---

[١] متفق عليه.

[٢] أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن غريب.

[٣] الكشاف: أداة تُسْتَخدم لتضيء في الظلام.

[٤] بوب البخاري في صحيحه: (بَاب عَمَل صَالِح قَبْلَ الْقِتَال)، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاء: (إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ).

الوصية -٢٥-

لا يهُوْلَنَّكُم عدُوٌّ؛ قال تعالى: {قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، واعلموا أنَّ النَّصر والتمكين بيدِ الله وحدَه: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠]، قال الطبري في تفسيره: ({فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} مِن الناسِ. يقولُ: فلن يَغْلِبَكم -مع نصرِه إياكم- أحدٌ، ولو اجْتَمَعَ عليكم مَن بينَ أَقْطارِها مِن خلقِه، فلا تَهابُوا أعداءَ اللهِ لقلةِ عددِكم وكثرةِ عددِهم، ماكنتم على أمرِه، واسْتَقَمْتُم على طاعتِه وطاعةِ رسولِه؛ فإنَّ الغلبةَ لكم والظفَرَ دونَهم)[1].

فاستَنْزِلوا النصرَ من الله بدعائِكم، واستغيثُوا به؛ فلِعبادةِ الدعاءِ أثرٌ عجيبٌ في النصر وتصحيحِ النيّاتِ، قال الله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل:٦٢].

الوصية -٢٦-

ابذُلُوا غايةَ الجهدِ في قتالِ العدوِ الصائلِ، وإيَّاكم والكسلَ والعجزَ، فهما داءان خطيران استعاذ منهما النبي ﷺ؛ فاستعيذوا منهما، واعلموا أنَّ الأجرَ - في مثل عبادَتِنا- على قَدْرِ المشقَّة؛ قال تعالى: {وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التوبة:١٢١]، وقال ﷺ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ"[2].

الوصية -٢٧-

[1] جامع البيان، الطبري، (ج٦/ص١٩٢).
[2] أخرجه مسلم.

(يا أهل الإسلام! إنَّ الصبرَ عِز، وإنَّ الفشلَ عَجْز، وإنَّ النصر مع الصبر)[١]، وإنَّ الجُبن مَقْتَلَةٌ والحِرصَ مَحْرَمَةٌ، ومَن قُتِلَ في الحروب مُدْبِراً أكثرُ بكثيرٍ ممن قُتل مُقْبِلاً، وقد كان الفرضُ في أول الإسلام ألّا يَفِرَّ المسلمُ عن عشَرةٍ؛ فما أحوَجَنا لذلك اليوم، قال تعالى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال:١٦]؛ فصابِرْ مع أميرك وصَبِّرْهُ في القتال وعند التحام الصفين، فالمصابرةُ مِن لوازم النصر، وعواقبُ الصبرِ محمودةٌ، وعاقبةُ الصبرِ النصر، ولا تُبْلَغُ الغاياتُ بالأماني.

الوصية -٢٨-

يُستحب التكبير عند مشاهدة العدو[٢]؛ لقول رسول الله ﷺ حينما رأى (خيبر خرجوا بالمَساحِي[٣]: "اللَّهُ أَكْبَرُ -ثلاث مرات-، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ"[٤]. قال النووي[٥]: (فيه اسْتِحْباب التَّكْبِير عِنْد اللِّقَاء)، والتكبيرُ مندرج في عموم ذكر الله المستحب عند اللقاء.

ولكن عن أبي موسى الأشعري أنَّ رسول الله ﷺ كان يكره رفع الصوت عند القتال[٦]، وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ الصَّوْتَ عِنْدَ الْقِتَالِ)[٧]، وقال عتبة بن ربيعةَ لأصحابِه يومَ بدر لما رأى عسكرَ رسول الله: (ألا تروهم ... يَتَلَمَّظون تَلَمُّظَ الحيَّات)[٨]، ولَمّا سَمِعَتْ عائشةُ -رضي الله عنها- أصحابَها

---

[١] جاء في عيون الأخبار والعِقد الفريد عن خالد بن الوليد بلا سند.
[٢] راجع: فتح الباري ومشارع الأشواق لابن النَّحاس.
[٣] جمع مِسحاة وهي: المِجرفة.
[٤] متفق عليه.
[٥] في شرحه على مسلم، (ج١٢/ص١٦٤)،
[٦] حسنه ابنُ حجر في تخريج أذكار النووي.
[٧] أخرجه أبو داود والحاكم، وقال الطبري: (في هذا الحديث من الفقه: كراهيةُ رفع الصوت بالدعاء، وهو قول عامة السلف من الصحابة والتابعين).
[٨] أي لا أصوات لهم، أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وأورده في عيون الأخبار والعِقد الفريد بلا سند.

يومَ الجملِ يُكَبِّرون قالت: (لا تُكْثِرُوا الصياحَ؛ فإنَّ كثرةَ التكبيرِ عند اللقاءِ مِن الفشل)[١]، فالإسرار هو المستحب أثناء الالتحام إلَّا ما كان في الكرّات والحَمْلات[٢].

الوصية –٢٩–

إياكَ وأنْ تَغُلَّ شيئاً من المَغْنَم؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران:١٦١]، ويُروى عن ابن عباس: (ما ظَهَرَ الغُلولُ في قوم قطُّ إلا أُلْقِيَ في قلوبهم الرُّعْبُ)[٣].

الوصية –٣٠–

وصيةٌ من الله جَمَعَ لنا فيها أدبَ الحرب فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦:٤٥].

ووصيةٌ من رسول الله ﷺ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا..."[٤].

الوصية –٣١–

الدعاءَ الدعاءَ بظهر الغيبِ لأمير المؤمنين ثم لأخيكم المسكينَ؛ فمَنْ كان على أخيه ودينه مشفقاً فلا يَحْرِمْه من دعوةٍ في السَّحَر، وفي السجود، وعند الأذان، وأهمُّها عند التقاءِ الصَّفّين، قال الفضيل بن عِياض: (لو كان عندي دعوةٌ مستجابةٌ لم أجعلها إلَّا في الإمام؛ فإنه إذا صَلَحَ أَخْصَبَت البلادُ وأَمِنَت العباد)، فقبَّلَ ابن المبارك رأسَه وقال: (لا يُحْسِنُ هذا غيرُك)[٥].

---

[١] أورده عنها في عيون الأخبار، والعِقد الفريد.
[٢] صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي..
[٣] أخرجه الإمام مالك في الموطّأ عن يحيى بن سعيد موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنه.
[٤] أخرجه مسلم.
[٥] أخرجها ابن عساكر في تاريخه، وأبو نعيم في الحلية، والبربهاري في شرح السنة، واللالِكائي في أصول الاعتقاد.

***

خَاتِمَةٌ وَدُعَاء

وإني داعٍ فأمِّنُوا:

اللهم ارزقني الإخلاصَ في القول والعمل، اللهم ثبِّتْني على الحقِّ وسَدِّدْ رأيي، اللهم لَيِّن قلبي لأهلِ طاعتِك بموافقة الحق وارزقني الغِلظةَ والشدَّة على أعدائك، اللَّهم إني ضعيفٌ عند العمل بطاعتك؛ فارزقني النشاطَ فيها والقوةَ عليها، ولا تجعلني من الغافلين، اللَّهم اجعلْني عندَك عظيماً وفي نفسي وَضِيْعاً وعند إخواني محبوباً مُهاباً.

اللهم أَعِذْني من الأسر، وارزقني شهادةً في سبيِلك، ولا تأخذني على غِرَّة، وأحسِن خاتمتي في الأمورِ كلِّها يا مُقَلِّبَ القلوب.

أخوكم

أبو حمزةَ المهاجر

الأوَّل من رمضان ١٤٢٨ للهجرة

سير أعلام الشهداء

مقدمة سير أعلام الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب العاقبة للمتقين، وجعل الخذْلان حظّا للكافرين والمرجفين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

زارني شيخ عزيز فاضل في داري، ولما علم أنني كنتُ تشرّفتُ بصحبة عدد من شهداء بلاد الرافدين طلب إليّ أن أسطّر بعض ما يمكن عنهم، وعلى قلّة بضاعتي وعَجْزِ بياني كان لِزاماً عليَّ أن أجيبه لأن مثله لا يرَد.

وسرد قصص الأبطال وتراجمهم، مَدعاة لرفع الهمّة وتسلية القلوب، ودفع الشباب والتأسّي بكريم صفاتِهم ونبيل فعالهم، من باب:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

وليعلم الناسُ أن رحِم النساء لا يزال وَلوداً، وأن الأمهات يَلِدنَ أبطالاً يُذَكّروننا بخالدٍ وموسى والمثنى.

وبادئ ذي بَدْءٍ أُحِبُّ أن أقول: إنه خلال عِشرتي لكثير من الشهداء، سواءٌ أولئك الذين قضَوا نَحْبَهم في سوح الوغى، أو ذاك الصنف العجيب من البشر أعني (الاستشهاديين)...

أقول: تبيّن لي أنهم لا يخرجون عن هذه الصفات، فقد تجتمع في أحدهم أو يتميّز بواحدة منها وهو الغالب.

١- اجتهاد عجيب في الطاعات، من كثرةِ صلاة وصيام، وخاصة قيام الليل، وخدمة الإخوان وذلّة لهم {أذِلّةٍ على المؤمِنينَ} وغير ذلك من جميل المحامد ولطيف الصنائع.

٢- سلامَةُ الصدر وسَجِيَّةُ الطبع، وهذا الصنف من الشهداء عجيب إذا رأيته تظنه أنه ولد لتوِّه من صفاء روحه وخِفّة ظله، وجميل عشرته وسهولة صحبته.

وغالب صفات هؤلاء خمول الذكر، إذا سئلوا لم يُعطَوا، وإذا حضروا لم يُعلم بهم، وإذا غابوا لا يُسأل عنهم وعلى الجملة لا يُؤْبه بهم.

٣- عقيدةٌ صافية وعزيمة فولاذية، شعارهم ومبدؤهم في الحياة (أوثق عُرَى الإيمان الحبُ في الله والبغض في الله)، قال لي أستاذهم يوماً: (ينبغي يا أخي أنه كما نتعلم أن نَذِلّ للمؤمنين ونحبَّهم ونقرأ في ذلك الكتب، ونطيل في سِيَر أولئك كالشهب؛ ينبغي أن نتعلم أيضاً كيف نكرَه الكافر وكيف نَحقد عليه، وكيف تَهون علينا حياتنا ما دامت ستخلص الدنيا من نَتْنِ هؤلاء، لأن ذلك هو الركن الثاني من أوثق عرى الإيمان).

٤- رجل أسرفَ على نفسه فتداركتْه رحمة ربه ببعض ما كان منه من عمل صالح، فجعل شعاره {فَفِرّوا إلى الله}، ولم يعلم إلا أن الله مُنْجٍ، فأقبل على الله يطلب الموت مظانَّه.

هذه أربع صفات، حسب ظنّي والله وليُّ التوفيق، وإليك باكورة هؤلاء...

القسم الإعلامي في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

أبو أسامة المغربي (١)

ذاك الجبل الصامت، والقلب الدافئ والإيمان الصادق، والجَرد الواضح، كان حبيبي أبو أسامة قليلَ الكلام دائم الصمت، قليل الخلطة حُبّبت إليه العزلة، أنيسُه القرآن، كأنّ بينه وبين الله سرا.

من بلاد المغرب، من أقصى الشمال، من مدينة طنجة، شابٌّ في مستهَلّ عمر الزهور، في السادسة والعشرين من العمر -عذراً كان في السادسة والعشرين-، يمتلك مع أبيه مطعماً فخماً يدُرّ دخْلاً لا يقلُّ عن ثلاثة آلاف دولار شهرياً، اشترى قطعة أرض وتزوّج قبل مجيئه إلى أرض الجهاد بست سنوات، لكنه لم يرزق بولد.

سئم القراءة عن الجهاد وعِزّه، وهو بعدُ لم يفعل شيئاً، قرر الحبيب أن يذهب إلى ساحة من ساحات العز، لكنه لا يعرف أحداً يوصلُه، ولا رفيقاً يساعده ويكونُ معه، باع قطعة الأرض، وحجز تذكرة سفر لدولة عربية، وعزم على السفر وشعاره {عسى ربّي أن يهديَني سواءَ السّبيل}.

وفجأة؛ جاءت إليه أمه وزوجه تزُفّ إليه خبراً طالما حَلُمَ بعزفه وأنشودته، وتمنى سنين أن يسمعه: (زوجتك حامل)، ذُرِفَت دموع الفرح، ثم اختلى بنفسه يحدثُها: (يا ويحك هذا أول البلاء، فامضِ إلى ما عَزَمْت، وإياك من النقمة بعد النعمة)، ومضى في عزمه يعدّ الراحلة ويتزود لسفره، وسافر إلى تلك الدولة، ولا يَعْرِف أحداً وليس معه أحد، وأخذ يدورُ من مسجدٍ إلى مسجد، ويُطيل الجلوسَ فيها يكثِرُ الدعاء ويذْرُف الدموع إلى الله، عساه يهديه إلى من يوصله إلى طريق من طرق الجهاد، وفي إحدى المرات سمع شباباً يتكلمون بلهجته، فتعارفوا وفاتحهم بعد أن ظن منهم ومن سَمْتِهم أنهم مجاهدون، أو في طريقهم إلى ذلك، وصدقَت فِراسته، واحتملوه معهم إلى بلاد الرافدين،

وكان أمير المجموعة (أبا خبّاب الفلسطيني) رحمه الله، الشهيد البطل لعلنا نعود إلى سيرته لاحقاً.

أقول وصلت المجموعة إلى بيتي، وفي ليلة من أجمل ليالي العمر، جلسنا جميعاً وتذاكرنا البيعات، وتذكرنا الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل، لما بايع أصحابه في معركة اليرموك على الموت فمدَدْنا أيديَنا وتبايعْنا على الموت والجهاد في سبيل الله.

وجاء وقت الوفاء، وطُلب منا عمل ضد مبنى الأمم المتحدة، وإن كان قد ضُرب قبلَها بشهر، إلا أنه ما زال العمل فيه مستمراً، وتَبقّى من موظفيه ما يقارب مائة شخص، يخدمُهم عدد ضخم من مرتدّي الشرطة حديثة التكوين.

وتمَّت مراجعة المكان وكيفيةُ ضربه، ونوعية السيارة الممكن استخدامها، وكمية المتفجرات اللازمة والطرق البعيدة عن السيطرات وإلى غير ذلك.

وكان -أبو أسامة- أصدق المتابعين، وأكثرهم إلحاحاً على سرعة التنفيذ، وكان قد كلّفَنا الاتصال بأهله، وإذا بأمه تبشّرنا أن ابنها رُزِق بولدٍ وأسمته (أسامة)، على رمز أهل السنة والجماعة أعني (ابن لادن).

وذهبْتُ إلى البيت الذي فيه أبو أسامة، أحمل في ذهني هَمَّ العملية وأسلوب تنفيذها، واختليت بأخي وأخبرته أنه قد تم اختياره ليكون هو المنفذَ لها، ففرح وطار وضحك، وأوصاني أن يبقى الأمر سرًا بيني وبينه ولا يعلمه أحد من الشباب، حتى يتمَّ فوعدته بذلك، ودخلنا وجلسنا مع الشباب، وإذ بي أتذكر بشرى ولادة ابنه أسامة، قلت؛ سبحان الله كيف أقول له ومنذ دقائقَ كلمتُه عن الاستشهاد، فاستخرتُ واستعنتُ بالله ثم بشّرته، ففرح ثم خلا بي وقال بالحرف الواحد: (كنت منذ أن استيقظت مسروراً، فعلمت أن خبراً مفرحاً سيأتي، ووالله ثم والله للأول أحبُ إليّ من الثاني).

وجاء يوم التنفيذ، فأحضرْتُه إلى بيتي حتى يختليَ بنفسه ليلة التنفيذ بعيداً عن الشباب، وأقبل على ربه يصلي ويدعو ويبكي، وجلستُ خلفَه أَملأ العين منه، ثم قلت له وذلك

في حوالي الثانية ليلاً: (أبا أسامة استرح قليلاً -نام شوية-)، فنام ولم أنم، ونظرت إلى وجهه فكأنه والله أجمل من القمر يتهلّل فرحاً فأمسكت قلمي، وجلست أكتب وأنا أنظر إليه تلك الأبيات، التي أسعفتني بها نفسي ومعرفتي باللّغة:

- علّمني يا شهيد -

علمني كيف أكون شهيداً *** علمني كيف أموت حميداً
علمني كيف أَدِينُ لربي *** أدع الدنيا هناك عيداً
علمني كيف أودع أهلي *** جلداً صبوراً كالجبال صموداً
علمني كيف أعوف بنيَّ *** غضاً طرياً في الحياة جديداً
أذر الأحبة للرحيم يقيناً *** غير الرحيم من يعين وليداً
فقل لي بربك يا شهيد معلماً *** أكنتَ يوماً للحياة مريداً
وقل لي بربك يا حبيب مبشراً *** ماذا رأيت للشهيد حصيداً
وجهُك نورٌ لا يَمَلُّ ناظره *** قولُك حقٌّ والدليل شهيداً
صمتك فكرٌ لا تحب سفاسفاً *** هَزْلُك جِدٌّ في الأمور بعيداً
فارقد أُخَيَّ قريرةً أجفانك *** لا خوف عليك بعدُ أكيداً

وفي الصباح، كان من المفروض أن أذهب معه، حتى نستطلع الهدف للمرة الأخيرة قبل التنفيذ، وهل جدَّ عليه شيء.

فقلت له يا أبا أسامة خذ هذا القميص، أحسنُ لك واخلع قميصك، وكان هدفي أن آخذه لي لأسباب -ليس لي فيها بدعة إن شاء الله-، وانطلقنا سويّاً، ولما رأى الهدفَ وجدْنا العدو فعلاً زاد حاجزاً مهماً، فقلت: هل يعيقك للدخول قال: (لا أنا -الحمد لله- أتجاوزه بسهولة)، فظلَلْتُ أذكره بالله، وأن الموضعَ موضعُ نُصْرة، وأُلمّح له أن يتماسكَ، فعَلم مُرادي، وأني أريد أن أسمع منه كلمة تطمئنني فقال لي كلمة ينبغي أن تُشَكّلَ بالذهب.

قال: (اعلم يا شيخُ لو أن الموت ها هنا -وأشار إلى حجرٍ أمامنا-، ولا أستطيع أن أذهب إليه إلا زاحفاً لَزَحفت إليه فاطمئِن).

ثم رجع واستلم عروسه (سيارته)، وطار بها أمامي، وأنا أمشي خلفه بسيارتي، وكان يوماً مزدحماً فأخذ يناورُ بين السيارات كأنه في حلْبة مسابقة، يريد أن يكون الفائز الأول، فلم أستطع أن أتمالك نفسي فخارَت قواي وهطلت دموعي، وأوقفت سيارتي ورأيته يبتعد عني ويقترب من هدفه، وإذا به يستقر في قلبه لِيَنْتزع قلوباً مجرمة، فينعمُ ويشقون، ويصعد ويهبطون، ورأيت عمود النار يرتفع في السماء عشرين متراً تقريباً، مع صوت يصِمُّ الآذان، وإذا به يحصد خمسين كافراً يحادُّون الله ورسوله، فرحمةُ الله عليك يا أبا أسامة.

بقي أن أقول: إن أبا أسامة كان قد جَهَّزَ نفسَه، أي دفَع ثمن السيارة التي نفذ بها من ماله الخاص. فخرج بنفسه وماله، ولم يرجع من ذلك بشيء وهذه أسمى أنواع الشهادة.

وعلى إثْر هذه العملية، قرَّرتِ الأمم المتحدة أن تغادر بلاد الرافدين نهائياً، وتعزم على عدم العودة إليها إلا إذا توافرت لها الدواعي الأمنية المناسبة، ونقول بدون قسم لئن عادوا لنَعُودَنّ ولن نزيد، والله الموفق.

أسأل الله أن يجمعنا به ولا يحرمنا أجره ولا يَفْتِننا بعده آمين... والحمد لله ربّ العالمين.

أبو هريرة الحجازي (٢)

إمام هُدى ومعلم رشد، صاحبُ عَقيدة صافية لا يداهن عليها و لو كَلفه ذلك فراقَ الأهل والمال والأرض، فهو أَرْسَخُ من الجبال عقيدةً وأنْقى من اللبن صفاءً جاء مُبكراً مع رِفْقةٍ صالحين من إخوانه كانوا حديثي عهدٍ باستقامة، جلسَ بينهم معلماً وخادماً، غرس في قلوبهم من طُهْر عقيدته، وأخذ يرعى حقله ويتعهده حتى أثمر في نفوس أصحابه.

كان من أقواله: (إن قتال الأسوَد مُقدّمٌ على قتالِ الأبيض)؛ ويعني بذلك المرتدين الخونة من الجواسيس والشرط وعملاء الأمريكان على كافة الأشكال، شعاره {قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً}، وكان من أقواله: (إن قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي) قائلاً إن الشريعة استقرت على ذلك.

وكان دائم الاستشهاد بقصة خير الخلق بعد الأنبياء، وأعلمهم أعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأنه لما ارتدَّتِ العرب بدأ بقتالهم قبل الكفار الأصليين، وعارضه في ذلك الصحابة فما زال بهم حتى شرح الله صدورهم، وكان يقول: (فما بالنا لا نَقف موقف صِدْق كالصِدّيق لعل الله يشرح صدور قومنا كما شرح صدورَ الصحابة).

وكان يقول: (لو أني رأيت المرتدَّ متعلقًا بأستار الكعبة لقتلتُه، والكافر لو رأيته خارجاً من زاوية مَزْوِيَّة، تستخدم مسجداً لَحَرُمَ علي دمه).

لله درك يا أبا هريرة! فلطالما كررتَ أن الشرطة والجيش ومجلس الحكم كفرهم من أكثر من عشرين وجهاً؛ فمتى تنشرح صدور المسلمين بقتالهم. ولطالما زَأَرْتَ بذلك ورأيتُ الحسرة تتقطّر من ثناياك حينما كنت تقول: (يا ليتَ قومي يعلمون).

التحق صاحبي بجماعة سُنيّة تعمل في منطقة الشمال، وقرّر أن يقوم بعملية استشهادية ضد حَفْنَة من كبار المرتدين، وجُهّزَت له سيارة لذلك، وسبحان الله كان

كلما ذهب للتنفيذ تتعسّر العملية لأسباب كثيرة، فيذهب حتى إذا كان بالقرب من الهدف يرجع، ثلاث مرات على هذا الحال، حتى قال لي بعد ذلك: (لقد اعتدت الذهاب فما عدتُ أشعر برهبة الموقف)، ثم بدا لصاحبنا أن يترُكَ تلك المجموعة التي كان يجاهد معها من شمال العراق لأسبابٍ رآها.

وكان صاحبنا دائم البحث عنا ولا يعلم أين نحن نظراً للتَكَتُّم الأمني الذي أحيطت به الجماعة لظروفٍ معلومة للجميع، كان يسمع أن هناك تجمعاً ما بدا يتبلور انصهر فيه جلُّ العرب الوافدين لبلاد الرافدين إن لم نَقُلْ كلهم، وأخيرًا وصل إلينا، مع ما كان معه من إخوة ثم أخذ الحبيب دوره بين إخوانه نصحًا وإرشاداً.

و ما هو إلا قليل حتى فاتحني برغبته الشديدة في تنفيذ عملية استشهادية، فقلت له: أبشر! لكن صبراً لأن أمامك إخوة سبقوك في الطلب. ثم أعاد الطلب مرة أخرى، و اشترط علي شيئاً كان بالنسبة إلي جديداً، وما كنت أظن أن من بين الإخوة الشباب من يمكن أن يصل نضوجُ فكره ورسوخُ وثبات عقيدته إلى ذلك الحَدِّ، قال: (أريد عملية استشهادية ضد المرتدين، لا أريد ضد الأمريكان، هناك من يتمنى القيام بعمل استشهادي ضدهم، أما هؤلاء الأنجاس فعندي أولى وأرى الآخرين يتقاعسون في الثأر منهم).

فقلت له: أبشر، وكان أحد إخوانه قد رأى له قبل ذلك رؤيا خلاصتها أنه رآه في صورة حسنة، ورأى أنه قد دمّر مبنًى مُكونًا من طابقين، وأصاب مبنًى صغيراً بجانبه. ولم يكن بعدُ قد تقرّر ما هو العمل الذي سيقوم به أبو هريرة، فالأهداف ما زالت في طور المراقبة والاستطلاع، وفي يوم قال لي أحد الإخوة المراقبين إن هناك هدفاً دسماً يجتمع فيه عدد ضخمٌ من المرتدين في محافظة مجاورة لنا، أصاب المجاهدين منهم أذًى كبيرٌ، حتى تعدّى ذلك إلى نساء المسلمين، وتأثرت العمليات ضد الصليبيين بسبب نشاط هؤلاء...

فقلت: صفه لي، فقال: مبنى مديرية الأمن العام في محافظة كذا، وبجانبه مبنى المجلس البلدي يجتمع فيه الأمريكان يوم كذا ساعة كذا، وعرضت العمل على أبي هريرة

ووصفتُ له المكان، ففرح وهلّل وكبّر وقال: (أُبَشِّرُك يا شيخ)، قلت: ما زلنا نرى منك البشرى، بَشِّر، فحكى لي الرؤيا، ففرحت أيضاً لأني عرفتُ أن مَظنّة التوفيق عالية.

وفي يوم التنفيذ فاتحني بما لم ولن أنساه قط... قال: (يا شيخ أنا ذاهب إلى ما ترى، وعلم الله ليس من باب الفضول فليس هذا محلّه، لكنه دين، قال رسول الله ﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعة..."، وقال: أعلم أن هذا في البيعة الكبرى، لكنني أحتسب أن يكون لي أجرها ما دمتُ لم أدركها في بيعة الجهاد... مَن أميري؟).

قلت: أميرك أبو مصعب. قال: (أُشهدك أني بايعت أبا مصعب على السمع والطاعة في المنْشَط والمكره وأثَرة عليَّ، وألا أنازعَ الأمرَ أهلَهُ، إلا أن أرى كفراً بواحاً، عندي من الله فيه برهان)، ثم ركب سيارته وانطلق لهدفه.

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً، كان الحبيبُ في جوار حبيبه رسول الله ﷺ نحسبه كذلك، وشِلَّة المرتدين في جوار فرعون وهامان، لا نشك في ذلك، ومعهم حفنة من رعاة البقر... والحمد لله على التوفيق والسداد.

عودة إلى أمر البيعة، قد يستغرب القارئ من السؤال، نعم أخي، لما اجتمعنا كان الإخوة يأتون إلينا ولا يعرفون من أميرهم أو كثير منهم على الأقل، لا يعرفون إلا أميرهم المباشر لهم كحالتنا هذه، كان صاحبنا لا يعرف إلا العبد الفقير على عجزه وقلة بضاعته، لكنني كنت أقول لهم: إن لنا أميراً عاماً ليس من الضرورة معرفته، لأننا اجتمعنا تحت راية لا إله إلا الله، فقد كَرِهنا منذ زمنٍ العصبية للجماعات والأسماء، على الرغم من مشروعيتها فأنا ابن جماعة من هؤلاء معروفة، لكن في العراق أردناها لله خالصة، وعزمنا على ذلك وخوفاً من الرياء الذي يهبط معه الفضل كالسيل الجارف، ومشاكل الكِبْر والفخرِ، وَمضينا على ذلك نقاتل ونفجر، حتى مرّت علينا أيام كانت لنا ست عمليات استشهادية في يوم واحد في ساعة واحدة.

وكان العزم أن تكون لله دعوة خالصة، قال: والمال لا بد منه، قلنا: خزائن السماوات لا تنفد، لكنه بعد ذلك نسبت جماعاتٌ بعض هذه العمليات إليها لجَمْعِ المال

على مَسْمَعٍ منا ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فخشينا والله على الدماء أن يتبناها من لا عقيدة ولا خلق له، فتضيع ثمرة الجهاد، فتم تشكيل الجماعة، والله الموفق وعليه التكلان.

أبو عُمَيْرٍ السّوري (٣)

هُوَ العابدُ الزاهدُ، التقيُّ النقيُّ العارفُ باللهِ أبو عُمَيْرٍ السوريُّ الحَلَبِيُّ، وُلِدَ الشَّهيدُ -نَحْسَبُهُ واللهُ حَسِيبهُ- لأُسرةٍ ثريَّةٍ تَمْتَلِكُ مَصْنَعاً للنسيجِ، حيثُ فَقَدَ والِدَهُ مُنْذُ صِغَرِهِ، فقامت أُمُّهُ بتربيته.

كان رحمه الله بارًّا بأُمِّهِ، مُحِبًّا لها، شغوفاً لخدْمَتِها، غير أَنَّ ذلك لم يمنعْهُ مِنْ أن يُجيبَ داعيَ اللهِ لَمَّا قَرَأَ قولَهُ تعالى: {انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}، فتَرَكَ دِراسَتَهُ وهوَ الشابُ الوسيمُ المتفوقُ، حيثُ كان طالباً بِكُلِيَّةِ الهندسةِ (قسم الكهرباءِ - المرحلة الثالثة).

كان يُرَدِّدُ دائمًا قوْلَه تَعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

جاءَ -رَحمهُ اللَّهُ- إلى ساحةِ الجهادِ وحيداً، حيثُ التقى بالشَّهيدِ البطلِ أبي خطّابٍ اليمنِيّ الهنديّ الحجازيّ -وسوفَ نعودُ إليهِ إنْ شاءَ اللَّهُ-، جاءوا إلى مدينةِ الفلوجةِ، مدينةِ العزِّ والجهادِ، نزلوا في بادئ الأَمْرِ عِنْدَ أحدِ الشيوخ الذين كانوا يساعدُونَ المجاهدينَ العربَ، ويقدّر الله أن ألتقي بالشهيدِ فحدثَني عَنْ رَغْبَتِهِ بالالتِحاقِ بنا، فقلتُ لهما: نحنُ تبايعنا على الموت ولا نقبلُ إلا مَنْ كان مُستعداً للشهادةِ، فَضَحِكَ يوْمَهَا وقالَ: (عَنْها أَبْحَثُ، ولها أَجِدُّ وأَطلُبُ، وهلْ يُريدُ غيرها أَحدٌ؟!)، فَواعدتُهُما ونَقلتُهُما إلى بيتِ أبي عبدِ اللَّهِ الشاميّ.

وفي هذا البيتِ اجتمع عصبةٌ مِنَ الأبطالِ الأشاوس، ممن كانت تشعُ وجُوهُهُم نوراً، وتسيلُ أفئِدَتُهُم صفاءً، ينتقون أطايب الكلامِ كما يُنْتَقى أطايبُ الثَّمَرِ، كانوا إِخْوَةً في اللهِ إِذَا جَلَسْتَ مَعَهُم ازْدَدتَ إيمانًا، يُذَكِّرُونكَ باللَّهِ وتَصْغرُ نَفْسُكَ أَمَامَهُم، القرآنُ بأيدِيهم، والبَسْمَةُ عَلى وُجوهِهِمْ، والصلاةُ وسيلةٌ إلى ربهِم، كانتْ أمُّ عبدِ اللهِ تَحْتَسِبُ في

خدمَتِهُم الأجرَ والثوابَ -على الرَغمِ مِنْ كثرةِ الوَلَدِ وضَعْفِ الحالِ وضغط المرض- كان يدبُ النشاطُ فيها عندَ خدمَتِهِمُ.

وقد حَدَّثني أبو عبدِ اللهِ الشاميُّ وهو جالسٌ بجانبي يوماً فقال:

كُنْتُ إذا نِمْتُ مع الإخوة في الطّابقِ العلويّ لا يفوتني نصيبي مِنْ قِيامِ الليلِ، وأحمدُ اللهَ إذا حَظَيْتُ بصلاة الوتر عند نومي معَ أهلي، وكنتُ كُلما دخلتُ على زَوجَتي ذَكَّرَتْني بأبي عمير وإخوانِهِ قائلةً: (أستحلفُكَ باللهِ ألا تحرِمَني الأجْرَ في أن أُنفِّذَ عمليةً استشهادية في مكانٍ لا تدخلهُ إلَّا النساءُ)، لأنها كانت كُلَّما أيقظها صغيرُها سِمِعَتْ صوتًا كأنّه نحيب امرئٍ فَقَدَ وَحِيدَهُ، وتقولُ: لم أسمعْ قطُّ صوتَ أحدِهم مرتفعًا إلى الحد الذي أستبينُ فيه كلامه، وأَما الضِّحكةُ العاليةُ فحاشاها أن تَعْرِفَ طريقًا إليهم، كانوا يأكلونَ ليعيشوا لا لِيَبْنُوا كُرُوشًا...

وأعودُ إلى الحبيبِ الشهيدِ أبي عمير الذي ما رأيتُ ولا سمعتُ بِمِثْلِهِ في العبادة، فقد كان الشهيدُ أبو خبابٍ الفلسطينيُّ البطلُ الصنديدُ العزيزُ باللهِ -وسأعودُ إليهِ لاحقاً- يقول: (إنَّهُ لا يستطيعُ النومَ عند أبي عبد الله الشامي لأنه يستحي من أبي عمير، فإنّه ما استيقظَ ليلاً إلَّا وَوَجَدَهُ قائمًا يصلي).

لله درك يا أبا عمير، قال رسول الله ﷺ: "وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاةِ"، وواللهِ ما زال في هذه الأمة مَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عينه في الصلاة، وأحلفُ باللهِ أَنَّ أبا عميرٍ كان منهم، وكذا أبو عبدِ الرحمنِ الليبيُّ -أسألُ اللهَ أن يفكَ أسرهُ-.

كان أبو عمير إذا صَلَّى العشاءَ أخذَ حظهُ مِنَ الصلاةِ، ثُم تحدَّث مع إخوانهِ قليلاً، ثم نامَ ساعةً أو ساعتينِ مِنْ الليل، ثم يجفي جنبهُ عن مضجعهِ إلى أن يصليَ الضحى (اثنتي عشرة ركعةً)، وبعدها ينامُ ساعةً ويستيقظُ ليتناولَ الإفطارَ، ثم يصلي حتى الظهر ويصلي الظهرَ، وبعدها يصلي حتى العصر، وهكذا.

يقولُ إخوانهُ: واللهِ ما رأيناهُ إلا وهو يُصلي أو ممسكٌ بكتابِ اللهِ، وأما صيامُهُ فكان رحمه اللَّهُ يصومُ يوماً ويفطرُ يوماً، فأشفقَ عليهِ أبو عبد اللهِ وطلبَ منهُ أنْ يرفقَ بنفسهِ، فأجابهُ أبو عمير قائلاً: (لولا أَنَّ صيامَ الدهرِ حرامٌ لصمتهُ، وما هي إلا أيامٌ معدودةٌ وألقى الأحبةَ إن شاءَ اللّهُ).

وبينما كان البطلُ ينتظرُ لحظةً يشفي اللَّهُ بها صدورَ قومٍ مؤمنينَ، رصدتْ كتيبة الاستطلاعِ هدفاً مهمًا، وهو المقرُ العامُ للقواتِ البولنديةِ في مدينةِ كربلاء، حيثُ طافَ الأبطالُ حولَهُ فرأوا ثَغْرَةً في حمايةِ المقرِ تقعُ بالقربِ مِنْ شارعٍ فرعيّ لقريةٍ عشوائيةٍ بُنيتْ لِيَسْكُنَهَا مَنْ يخدمُ الكفارَ، وقد ترك الكفار تلك الثَّغرة بعدَ أن أصبحَ بينهم وبينَ خَدَمِهِم رحمةٌ ومودةٌ.

فانطلقَ أبو عُمَير السّوري وأخوهُ أبو الزبيرِ الكويتيُّ، ومعهما أسدٌ ثالثٌ طافَ قبلَ التنفيذِ حولَ الهدفِ فحددَ أُسلوب التنفيذِ، حيث تقدمَ أبو عُميرٍ فاقتلعَ الأبوابَ وأسقطَ الأبراجَ مِنْ عليائِها مُخْتَلِطَةً بدماءِ الأنجاسِ، ثم اقتحمَ الليثُ الآخرُ (أبو الزبير) بشاحنةٍ محملةٍ بخمسةِ أطنانٍ مِنَ المتفجراتِ حيثُ استقرَ في سويداءِ القاعدةِ فجعلها كأنها لم تغن بالأمسِ، وقد قُدرتْ ضحايا العدوِ بالمئاتِ، إلا أن التعتيمَ كان شعارَ العدوِ كعادتهِ.

ولا أنسى في النهايةِ أنْ أذكرَ لكم أبياتاً كَتَبْتُهَا للحبيبِ أبي عميرٍ قبلَ أن أُودعهُ أحُثهُ فيها على ما كان يتمناهُ، فقلت له مخاطباً:

أَبَا عُمَيْرٍ لا تُبَالي *** فالسَّعْدُ في طَلَبِ المَعَالي
عَجِّلْ خُطَاكَ لِرَبِّكَ *** فالحُوْرُ في شَوْقِ الوِصَالِ
نَشَرَتْ جَدَائِلَها تقولُ *** هَلُمَّ يا فَخْرَ المَنَالِ

الحجّي ثامر مبارك (٤)

هو الشجاعُ المغوارُ والأسد الهصور (حجّي) ثامر مبارك عطروز، ذلولٌ مع إخوته جبارٌ باطش على أعداء الله ورسوله، صاحبُ غيرة متميزة و مروءة نادرة، كان ذا همّة عالية وتواضع جم، أنباريُّ المولدِ والنشأة؛ ولهذا كانت شخصيتهُ مزيجاً من الأنفةِ ورفضِ الذلِّ مع حبّ إكرام الضّيف وإجارة الطريد.

كنتَ أهلاً للفضيلةِ حاملاً *** وبرزتَ في تاجِ الوَقارِ الأنبلِ
في صدْرك الصّافي حملت سماحةً *** تجتثّ كفراً في العُلوجِ النذّلِ
ومضيتَ في دربِ الجهادِ مجاهداً *** يوم الشدائد إذ تنوء بكلكلِ

كانت المنطقة التي نشأ فيها الحاجّ ثامر بالتحديد (الخالدية)، تلك المدينة الصغيرة أو القرية الكبيرة، التي تقع على مرمى حجرٍ من أكبر قاعدة أمريكية في الشرق الأوسط، تلك هي قاعدة (الحبانية).

كان الأنصاريّ الهُمام ضابطاً في الجيش العراقيّ السابق، لكنه فَقِه التوحيد مبكراً و أيقن بكفر البعث وسيّده، فراحَ يدعو لذلك سراً وجهراً، ولما قَرُب منه الخطر، سافر إلى بلاد الحرمين وقبل سقوط النظام بمدّة عاد إلى بلده، بعدما سكَنَ الطلبُ وعاود نشاطه، لكنه في هذه المرة كان يعمل بشكل أكثر تنظيماً، فأخذ يُعدّ العدّة ليومٍ ظنّه قريباً، و هو نِزال اليهود والأمريكان، وبالطبع لم يطلق رصاصة لأجل البعث، عندما كان يواجه نهاية عصرِه على أتباعه ومؤيديه من الغرب الصليبي.

الحاجّ ثامر ينحدر من أسرةٍ طيبةٍ، فهو نبتةٌ طيبةٌ صالحةٌ في وسط بستانٍ مثمر، أخوه (أبو عبيدة) مطلوب بقوة لقوات المارينز الأمريكي، وأخوه الآخر (ياسر) بقي معتقلاً إلى أن أطلق سراحه قبل موت الحاج بسبعة أيام، ثم عاود الأمريكان البحث عنه، وقد استشهد إخوته كلهم في سبيل الله تعالى، واعتقلت القواتُ الأمريكية إحدى أخواته للضغط عليه، ومساومته على تسليم نفسه مقابل إطلاق سراحها، فخرجت مدينة

الرّمادي عن آخرها وحاصرت القاعدة الأمريكية، وتصاعدت العمليات ضد الأمريكان وعندها شعر الصليبيون بأنهم ورّطوا أنفسهم بهذا الاعتقال فأطلقوا سراحها، ثم بعد ذلك بمدة طارد الأمريكان جميع أقرباء الحاجّ من أهله وأبناء عُمومته.

أذكر منهم (باسمًا) ذلك الشابّ الصالح الهادئ الرقيق، كان يعمل (سمكرياً) للسيارات، وكان صاحبنا الحاج ثامر ماهراً جداً في قيادة السيارات!!، فكلّما ركب سيارةً ضربها بأخرى فإن لم يجد فبحائط، وكان المسكين باسم ابنُ عمه مشغولاً دائماً – والعمل عنده مزدحم– بسبب الحاج ثامر، ذهبت أسأل عن (باسم) فقد كان حبيباً إليّ فصعقت بالخبر، ألم تعلم؟ قلت ماذا؟! قالوا: استشهد بالأمس هو ورفيق له عندما كانا يضعان عبوة ناسفة لدورية أمريكية فرحمة الله عليه.

وعودة إلى الرفيق والحبيب الصّديق الحاجّ ثامر، أقول: بعدما عرَف التوحيد مبكراً، كان من أوائل الأنصار الذين سارعوا إلى العمل مع المهاجرين.

وحسبُك أن تعلم أن الحاج ثامر كان المسؤول المباشر، والأمير المناوب لاثنتين من أكبر العمليات في العراق في تلك السنة:

الأولى مقتل عدوّ الله و صنيعةِ اليهود ورأس الرّافضة محمد باقر الحكيم. والثانية عملية مقر الأمم المتحدة الأولى والتي حصدت رؤوساً للكفر، وعلى رأسهم (سيرجيو ديملّو) والذي كان وجه أمريكا المفضل في حرب المسلمين في العالم، ومنها عملية فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا وتحويلها إلى دويلة نصرانية، ومسألة المسلمين في كوسوفو؛ ثم جاؤوا به ليتمّ المهمة في العراق.

وقتلت في تلك العملية المباركة (نادية يونس) نائبة الأمين العام للأمم الملحدة، وثُلة من جنرالات الأمريكان ولله الحمد.

كان الحاج رحمه الله لا يعرف الرّاحة، ولا يحبّها ولا يكلُّ عن العمل، كان يترك أهله وأولاده مدّة طويلة ثم يتذكرهم فجأة، وعندما يذهب إليهم يجدهم قد شارفوا على

الجوع؛ لأنه كان يسكن بيتاً لا يعرفُ أحدٌ طريقه، وزوجته امرأة حَيِيَّةٌ لا تخرج من بيتها.

وعلى ذكر أهله فإني كنت قد سكنت معه مدة في الأيام الأولى لانطلاق الجهاد في بلاد الرافدين، وتحدثني زوجتي أنها لم ترَ مثلها في النساء ديناً وطيبةً، و أنها لا تترك صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكان قيام الليل عندها فرضاً واجباً لا تتخلف عنه، كانت قليلة الحديث كثيرة الأدب، وانعكس ذلك على تربية بنتيها، ليعلم الناس من هنّ أزواج الشهداء وكيف اجتهد أخونا الحاج ثامر على بيته حتى ترك أثراً طيباً عليهم.

لقد كان الحاج رحمه الله لا يعرف للخجل طريقاً في أمور العقيدة، ولا يداهن عليها، فتراه دائم النّصح لكل من يلقاه في الشارع مع الكبير والصغير، ومن المحال أن يركب سيارة أجرة ويترك سائقها دون أن يدعوه إلى طاعة الله تعالى، وإذا كان السائق يستمع للموسيقى والأغاني فإنه ينصحه، فإن أبى دفع له الأجرة كاملة ونزل، ومع هذا كان باسماً ضحوكاً يدلي بما يريد إيصاله من حق دون تعنّت ولا تعنيف، ويعرض النّصيحة في ثياب برّاقة وأسلوب جذابٍ تميل معه القلوب وتقبله العقول.

وأما عن كيفية استشهاده؛ فبعد أحداث الفلوجة الأولى التي بدأت بعد مقتل الأمريكان الأربعة وإحراق جثثهم، كان الحاج ثامر على رأس مجموعة من المهاجرين والأنصار يرحلون في الصحراء والطرق الخارجية يلتمسون المأوى ويُغِيرون على العدو.

ولما لاحت نذُر الهجوم على الفلوجة، نزلوا لحمايتها وعند بدء الحصار كان الحاج موجوداً مع إخوانه في المنطقة الصناعية وما جاورها، وبسبب قلّة عدد المجاهدين مع اتساع المنطقة وكثرة المنافذ، تمكن الأمريكان من دخول الحيّ، وفي منتصف الليل دار اشتباك عنيف بين الإخوة المجاهدين وجنود (المارينز) المتسلّلين فاخترقت رصاصة صدر أحد الإخوة، ورجع الحاج لينقذ أخاه فأصابه قناص في رأسه فسقط شهيداً رحمه الله، وفي تلك الليلة نفسها استشهد الأخ خطاب وأبو فارس بعد ذلك فرحمة الله على

الجميع، وبعدها بعدة أيام أصيب العبد الفقير فجلست أبكي نفسي في البيت، ولأن الشهادة تخلفتني عن هؤلاء الأحبة فقلت هذه الأبيات:

رجل على الشوك يسير باكياً *** في ظلمة الليل البهيم مناديا
أين الرفيق يعالج المحتاج *** من للضعيف معيناً وهاديا
كواكب النور مضت تترنم *** من باع مثلنا يطير عاليا
نحن الذين تاجروا لربهم *** الصادقون الرابحون بناديا
قوافل الشهداء برق خاطف *** ريح العبير تحفهم فحنانيا
أين الصديق والرفيق بمحنة *** دامت علي فلا حبيبا حاديا
وحدي وحيداً أكابد الحسرات *** هيا خذوني فلا أريد معزيا
حسبي أخي بأني أحبكم *** هل يفيد الحب قعيداً جانيا

علماً أني أسميتها (قصة مسرف) أسأل الله أن يتوب علي برحمته ومنّه وفضله، آميـن.

أبو حمزة الأردني (٥)

أعني البطلَ المجاهدَ، والجبل الأشمّ (نضال عربيّات)، أو (أبا محمّد)، أستاذَ علم التّشريك ببلاد الرافدين، وأوّلَ من أرسى دعائمه وثبّت أركانه، ويرجِع إليه الفضلُ بعد الله في علم تشريك السيارات، فهذا الأستاذ له الفضلُ بعد الله في معظم العمليات الاستشهادية التي سبَقت مقتلهُ، بدءاً بالحكيم ومروراً بـ(ديملّو) في الأمم المتحدة، والقوّات الإيطالية وأوكار الكفر في فندق شاهين ومطعم نبيل، وسائر كُبريات العمليّات الاستشهادية؛ فمن هو عن قرْب؟

شابٌّ هادئُ الطّبع ليّن الجانبِ، حسَنُ العِشرة لا تفارقُ البسمة وجهه، لا يخلو حديثه من دُعابة لطيفةٍ أو تعليقةٍ ظريفة، إن جالسته ظننته يعرفك أو تعرفه منذ سنين، يطوي عنك الغُربة، ويرفع حجاب البعد ليستقر في سُويداء قلبك، وكثيراً ما يتبدرهُ السّائل: أظنّنا التقينا سابقاً -وما كان-، إلا أنّ الأرواح جنودٌ مجندةٌ، فما تَعارف منها ائتلف وما تَناكر منها اختلف.

من أسرةٍ عريقةٍ ميسورة الحال، أبوه -كما يقال وكما يظهر من سمْته- صاحبُ خلُق ودين ومن أهل المساجد، إذ لـمّا سمع بقتله، احتسب واسترجع وقال: (الحمد لله الذي رزقه ما كان يتمنى).

سافر الشهيد إلى أفغانستانَ ثم إلى كردستان العراق، وكان حاضراً مع مجموعةٍ من العرب جلّهم شاميّون، وكان كما عهدناه، لا يعرف الخوفُ طريقاً إليه وظلّ جندياً مجهولا، حتى انسحب الإخوة من الجبال لضراوة القصف، ثم عاد الشّهيد إلى بغداد وانضمّ إلى ركْب المجاهدين، لا، بل كان من أوائل السائرين في الركب.

تزوّج أبو حمزة (نضال) من صاحب المكانةِ الرفيعةِ، وقدم الصّدق والسّبق في التوحيد والجهاد، (الحاج ثامر) رحمه الله، فرُزق بولدٍ أسماه محمَّدًا؛ لذا كان يكنّى بأبي محمّد؛ ولكيفيّة مقتله قصةٌ هي بيتُ القصيد وعُنوان الشخصية وبرهانُ الشجاعة.

كان قد أُوكل إليّ وإليه عملٌ مهمّ، فجلست وإياه في غرفةٍ على انفراد، نعدّ الخطّة ونرتب ما أحضرناه من مواد، وأجلَسْنا أحد الإخوة حراسةً أمام البيت، وحتى لا يدخل علينا أحد. وكان البيت في جزيرة الرّمادي، وهو بيت الشُجاع الهُمام اللّيث الشهيد (أبي فارس)، أسأل الله أن يخلُفَنا فيه خيرا، فقد كان وكان، ولكن الحمد لله، ولعلّي أعود إلى سيرته هو الآخر قريباً ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فقد كان نعم السّند وخير الرفيق.

أقول؛ جلسنا سوياً وإذا بالظّهر قد حان موعده، فقلت له: لا بارك الله في عملٍ يُلهي عن الصلاة. فذهبت للوضوء، ومن عادةِ بيوت العرب، أن تكون محلّات الوضوء والغسل بعيدة عن البيت، وكان البيت يقعُ بالقرب من السّدة (وهي شارع مرتفع عن الأرض بُني لكي يكون سداً لنهر الفرات).

أقولُ: ذهبت للوضوء؛ وأنا بداخل أحد المرافق، طرَق علي أحد الإخوة الباب طرقاً شديدا مفزعاً يقول بصوت عالٍ (الأمريكان... الأمريكان)؛ خرجتُ مسرعاً ونظرت إلى طريق السدّة، حيث لا يوجدُ طريقٌ للبيت غيرُه، فلم أرَ شيئا، فقلت له: أذَهبوا يا أخي؟. فأشار إليّ أنْ خلْفَك.

وإذا بالبيت محاصراً من جميع الجهات بعجلاتِ (الهمر) تحيط به؛ اثنتان في الأقلّ منها وجهت الرشاشات مباشرةً إلينا؛ فقلت في نفسي: الآن لو تحركنا يجعل جسدي كالغربال، إذ ليس بيننا وبينه سوى خمسة عشرَ متراً، لكنّ الله سبحانه وتعالى وفّقَنا للجري في اتجاه الطريق (السدة)، وجاء جنديٌ أمريكيّ يعدو خلفنا حتى يأسرنا، إذ ليسَ معنا سلاح، وإذا بالأسدِ الهصورِ أبي حمزة يخرج من البيت، وكان ماهراً جداً في استخدام المسدس الذي كان لا يفارقه في يقظةٍ أو نوم، ووجّه مسدسهُ نحو الجندي الأمريكيّ، وفي خفة ومهارة أصابه برأسه، فما شعرنا إلا وهو يسقُطُ على وجهه، فانشغلَ الجنود به، وشاغلهم هو حتى هرب جميع من في المنزل من المجاهدين.

حتى أنه قبل إطلاقِ النارِ من مسدّسه، دخل إلى المنزل وأخرج النساء وأراد أن يخرج من المؤخرة، إلا أن الأمريكان كانوا قد حاصروا المنزل من كلّ جهاته بواسطة الجاسوس العارفِ بدُروب المنطقة، ولذا لم نشعر بهم ولم يشعر بهمُ الحارس.

وعودة إلى البطل، بعدما نفَدَت ذخيرته، أخرَجَ رمّانة يدويّة كانت معه، ورماها على الصليبيين فاستقرت بداخل (همر) فأحرقتها، وأحرَقت معها أربعةً من القُلوب السوداء، حتى أنّي رأيتُ المروحيّة تهبط إلى البيت، لتحملَ قتلاهم وجرحاهم في معركة مع مجاهد واحد فقط، حمى إخوانه بنفسه فرحمة الله عليك أيها الحبيب.

وبعد انتهاء المعركة، وبعد يومٍ منها، ذهب والدُ أحد الإخوة إلى المنزل، وكان يعرف أبا حمزة، فأقسَمَ بالله أنّ رائحة المسكِ كانت ملأتِ البيتَ الذي صيّره الأمريكان خرابا، بعدما سرقوا كل ما ادّخرته هذه الأسرة من مال، وأذكُرُ أنّي قابلتُ الشهيد أبا فارس رحمه الله صاحبَ المنزل، فقال عن البيت والمال والشّتات الذي أصابهم: (فدوة، كلّنا فداءٌ لهذا الدين وليس المال فقط)، فرحمة الله على الجميع وأسأل الله أن يجمعنا بهم ولا يحرمنا أجرَهم.

الله حسبي حينما تترجلُ *** والصبرُ أجبرُ للفؤادِ وأجملُ
والله حسبي حينما يجتالني *** أسفٌ عليك وحرقةٌ و تململُ
والله حسبي حين أجترع الأسى *** غصصا، ودمعي في ركابك يهملُ
والله حسبي كلما صالت بنا *** برحى المنية صولةٌ لا تمهلُ
ذهب الذين أحبهم في جحفلٍ *** يتلوه في عين المصيبة جحفلُ

بقي أن أذكر، بأنّ الشهيدَ أبا حمزة كان قد أخذ جثتهُ الأمريكان، ثمّ سلّموها لمستشفى الرّمادي فتمكنّا من إخراجها بعد عشرين يوماً ودفنّاها فللّه الحمد.

ملحوظة: لم يكن معي سلاحٌ لأنني ذهبت للوضوء، إذ إنني كنتُ قبلها أحمل حزاما ناسفاً وبندقية، تركتهما جميعاً لما ذهبت للوضوء، فعاهدتُ نفسي ألا أترك سلاحي حتى وأنا ذاهبٌ للوضوء، والله الحافظ.

سيفُ الأمّة (٦)

هو الشّجاعُ المغوار، والبطلُ الفاتك، والجريءُ المقدام، من بلاد الحرمين، علم الله أنّي للكتابة عن هذا الجبل الأشمّ لستُ بأهل، فسَلوا عنه جبال (الهندكوش) بأفغانستان، وقرى وأودية الشيشانِ، ثم دجلة والفرات تعرفوا من الرّجل...

سيفُ الأمّة، أسدٌ غنيّ عن التعريف، خاصةً لقُدامى المجاهدين، فلقد عرفوه أمامهم في الصفوف، يقتحمُ الموت ويصارعُ الأهوال، يندفعُ حيث يُحجم الأبطال، يضحك عندما تنخلع قلوبُ الرّجال، ويتبختر على أعداء الله تعالى عندما تلتف الأقدام على بعضها فزعاً، كثرة العدو تزيدهم عنده ضعفاً، يراهم أحقر من الذّباب، وبناؤهم أهون عليه من بيت العنكبوت، ما فزع القوم إلا وجدوه أمامهم، رآه العالم في شريط فلم جحيم الروس وهو يمسك باثنين من سلاح (البي كي سي)، يضرب بهما معاً في لقطة ستبقى ذكراها عالقة في الذاكرة ما دام سوقُ الجهاد ماضيا.

قال لنا هنا ببلاد الرافدين محرضاً لنا: (ما لكم؟ والله كنّا نهجُم بالشّيشان على معسكر كامل للعدوّ في ثلاثين مجاهداً، فندمّر ما شئنا من المدرّعات، ونقتل ونأسر ثم نحمل جرحانا وننسحب!)، وقال لي مرة: (أعطوني من خمسين إلى مائة مجاهد، أُخرج لكم سجناء أبي غريب، والله إنّهم جبناء أتظنّون أنّهم يقاتلون ويصمدون؟).

وإلى جانب شجاعته، كان عزيز النّفس، متعففاً إلى حدٍّ كبير، جاء مع زوجته الشيشانية وأولاده إلى أحد الدّول العربية، ولم يستطع الذهاب لبلاده –ببساطة– لأنّه مطلوبٌ ومعروف.

ولأنّه ظنّ أنه مُراقبٌ ومعروف، لم يتصل بأحد من إخوانه، ونَفِدَ ما عنده من مال، حتى قيل لي إنَّ صبيانه كانوا ينامون في أيام كثيرة يبكون من الجوع، وهو ابن الأكرمين، ومع هذا لم يطلب من أحدٍ مالاً، وكان يُظهِر دائماً لمن يُقابله أنه حسنُ الحال، وأظنّه من الذين قال الله تعالى فيهم: {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم

بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}، بقي على هذا الحال حتى رزقه الله من غير استشراف نفسٍ .

سُئل الإمام أحمد: الرّجل لا يجد ما يأكل، يسأل الناس قال: لا، قالوا: إذا يموت جوعًا، قال: لا .. يرزقه الله.

سفّرَ الشهيد زوجتهُ وأولاده، وبقي يتربّصُ الفرصة للذّهاب إلى العراق، ليقوم بواجب النُّصرة والدّفاع عن الدّين والعِرْض، وحينما حلّ فوجئ بحجم النّكاية التي تحدثها العملياتُ الاستشهادية قال: (سبحان الله كلّ عمليّة غزوة في ذاتها)، وقال: (أحسنُ ما يُفيد ويدوّخ العدوّ هنا؛ العمليات الاستشهاديّة صوتها يصمّ الآذان، وشظاياها لا يمكن لأي قوةٍ تفاديها، ويسمعُ الدّنيا خبرُها).

وكان يستشهدُ دائماً بمقولةٍ لـ(رابين) عليه لعنة الله، حينما كان يتحدّث عن العمليات الاستشهادية في فلسطين حيث يقول: (إنك لا تستطيع أن تمنع رجلاً يريد أن يموت)، يحدثني أحدُ الإخوة، أنّهم جلسوا معه يوماً وقالوا له: إنّك صاحبُ خِبرة وتجربة، هيا تعال نشكّل مجموعة ونقوم بكذا وكذا، قال: (أنا قررت أمراً لن أحيد عنه)، فكانت فكرةُ العمليّة الاستشهادية قد ملأت عليه حياته.

بقي أن أقولَ أمراً ترددت فيه كثيراً وهو: أنّ سيفَ الأمّة قد علمني بصدقٍ، وأفهمني بحق معنى قوله تعالى {فَفِرّوا إلى الله}.

كانت عنده بعضُ الهنّات والصّغائر، فكان يراها كأنها جبل يوشكُ أن يطبق عليه، فيذهب بدينه ودُنياه، وذلك مصداقٌ لقول ابن مسعود رضي الله عنه، فيما خرّجه الترمذي:بأنّ المؤمنَ إذا أذنبَ، فكأنه تحت صخرةٍ يخافُ أن تقع عليه فتقتله؛ ولِذا كان الرّجُل يفِرّ إلى الله و يقول: (لا يُطهّرني إلا الاستشهاد في سبيل الله، أرجوكم لا تحرموني وعجّلوا لي في طلب لقاء ربي).

طلبته بعضُ شهَوات الدّنيا، ففرّ إلى الله بأقصى ما يملك من قوّة، ولسانُ حاله يقول: يا ربّ أدركني اقبلني، لا تترُكني، رجائي فيك ألّا أكونَ قد حُرمتُ رحمتك.

فتقبّله ربّه بقَبول حسنٍ -نحسبه كذلك- ورزقه رزقاً طيباً، حيثُ حَصَد في لحظةٍ واحدة المئاتِ من جنود الكفر والردّة، بين قتيلٍ وجريح، وكانت عمليّتهُ جدُّ مباركة، ومن أكثر العمليات التي أوقَعت خسائر في صفوف العدوّ، فقد نفّذ هجوماً استشهادياً على مركز شرطة (الإسكندرية) جنوب بغداد، بسيارة (بيك آب) على ظهرها قُرابة الطّنّ من المتفجرات العجينية C٤، ولأنّ المركز كان محاطاً بحائطٍ من الأكياس التّرابية، تمّ وضع المادّة في سيارةٍ مرتفعة، بحيث إذا جاء الأخُ بجوار السّور، تكون المادّة بكاملها أعلى من الأكياس، وفي السّاعة الثّامنة صباحاً بالضبط، وحالَ تجمّع أعداءِ الله المرتدين، وبعضُ مجاميع الأمريكان، وقبل انطلاقهم لتنفيذ هجماتهم المسعورةِ على أهل السنّة، فجّر سيفُ الأمّة سيارته، وليعترف العدو بسقوط ستّين قتيلاً، وأكثر من مائة جريحٍ، أسأل الله أن يتقبّل منه هذا العمل، وألا يحرمنا أجره آمين ...

وفي نفسي، وفي مثل خوف سيف قلت:

يا ربّ إنْ أخطأتُ أو نسيت *** فالعفو منْك مؤمّل وقريبُ
يا ربّ منْ يملِكُ ستر عيوبه *** وأنتَ لا يخفى عليك دبيبُ
يا ربّ معترفا بسالِفِ ذنبه *** أنت الرّحيمُ فمن سواك يتوبُ
يا ربّ من لمقاليدِ أموري *** والخطبُ زاحفٌ عليّ رهيبُ
هذه البلايا أرهقتني لا تدع *** قلبي يهلك ساعةً ويطيبُ
عِقدٌ تداعى نثْرُه وتناثر *** أينما حللت حلّ عصيبُ
يا كاشفَ الضُّرّ رميت حملي *** عن كاهلي فاللّطف منك مجيبُ

أبو طارق اليمنيّ (٧)

ليثٌ هادئٌ، قويُّ الشّكيمة، حازمُ الطّبع، لا يعرف الهزْل الرّديء، ذو عقيدةٍ صافيةٍ لا يداهنُ فيها، جريءٌ في الله، مُهابُ الطّابع، لا يتجرّأ جليسُه عليه، سهلٌ لا ينثني، صلبٌ لا ينكسر، وعلى الجُملة رقيقٌ في غير ضَعف، قويٌ بلا جَلافة.

جاء الشّهيدُ -رحمه الله- مبكراً إلى ساحة العزّ ببلاد الرّافدين، حيث دخل إليها مع المجاهد البطل أبي محمّد اللّبناني -تقبّله الله في الشّهداء-، والتحق مع إخوانه بمعسكر (راوة) الشّهير، وأخذ موضعهُ مع إخوانه، حيث راحوا يُعدّون العُدّة، تدريباً و إرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله...

غيرَ أنّ اليهود زرعوا لهم جاسوساً يهودياً يمنيّ الأصلِ، يدّعي السّلفية، ذا لحيةٍ مُهندَسة، وسُلوكٍ وكلام سلفيٍّ ظاهر، يحفَظُ خمسة عشر جزءاً من القرآن كما ادّعى، فما ترك هذا الخِنزير المعسكر حتى أتى على آخِره، وتمّ قصفهُ بوحشيّة عجيبة، فقُتل فيه أكثرُ من ثمانينَ مُجاهداً عربياً، وفي مقدمتهم ابنُ المجاهد البطل (أبي محمّد اللّبناني)؛

فما هدَأ لأبي طارقٍ ولا لصاحبه أبي محمّد بالٌ، فنقبوا الأرض على هذا الخِنزير ودعوا الله أن يمكّنهم منه، حتى طالتهُ أيديهم ووقع في قبضتهم؛ فما ظنّكم بما فعلوا به؟

وقبل أن يموتَ هذا المجرمُ، أخذ يَهذي بكلامٍ عِبْري، فلمّا أفاقَ أنكر أنّه يعرِف العِبْرية، فضُرب لكنّه أصرّ ثم عادت إليه نفسُ الحالة، فهذى بكلامٍ عِبْري وأيضاً أنكر، ثم قُضِي فيه بما يستَحقّه أمثالُه والحمد لله.

وهذا ولم أكُنْ بعدُ تعرّفتُ على الشّهيد البَطل، نحسبُه كذلك والله حسيبه، ثم تشرّفت بلقائه، وجلس في بيتي فترةً لا بأسَ بها، كان نِعْم الرّفيق والأخ، ثمّ ذهب إلى معسكرٍ آخرَ لكي يأخذ دورة مهمّة هو ومجموعةٌ من المجاهدين، حيث عُيّن أميراً عليهم، فكان كما قالوا لي لاحقاً، نِعْم الأخ الأمير، وبعد الانتهاء عاد إليّ مدّة أخرى.

لكن، كان جسدُ الشّهيد في العراقِ وقلبُه بأفغانستان، وكان دائمَ الإلحاحِ للذّهاب إلى هناك هو ومجموعةٌ من الإخوة.

فتمّ ترتيبُ الأمور، وتهيئة الإمكانات، وبدأت الرّحلة الشاقّة، وعلى الحدودِ الإيرانية الكرديّة، وأثناء العبورِ ليلاً، كانت هناك مرحلةٌ لا بدَّ فيها من الجري، فعَدَت المجموعة بسرعة إلا أخاً كويتياً بدينَ الجسم، رجع إليه صاحبُنا لعلّه يساعدُه ويحثّه على الجري، لكن قدّر الله فوقع الاثنان في قبضةِ قوّات (البيشمركة) الأنجاس، فضربوا الإخوة ضرباً مبرحاً، ثم وضعوهما في سيّارة وأرسلوهما إلى السّجن.

وفي الطّريق، أشار البطلُ أبو طارق إلى المجاهد البطل الآخر؛ صحيح أنّه كان بديناً، لكنه كان قويّ الجسم، جريء الطّابع، فانقضّا على الحارسين والسّائق، فقتلا واحداً وأمسك كلّ واحدٍ منهما بآخَر، وكانت البُندقيّة مربوطةً بجوار السّائق، فلم يستطع أحدٌ منهما فكّها...

أما أبو طارق رحمه الله، فأخَذ حجراً غليظاً، ودقّ بها رأسَ النّجس، حتى جعلها خُبزةً ولله الحمد؛ وكذلك فعل بالآخر.

ركب الإخوة السّيارة، لكن ولأنّهم لا يعرفونَ الطّريق، وقعا في كمينٍ لنقطة تفتيشٍ للـ(بيشمركة) مرّة أخرى، فأمروهما بالتّوقف وأدركتهُما سيارتان من نوع (لاندكروز)، سريعتان ومحمّلتان بالجنود، وتمّ الاشتباك بين الإخوة والـ(بيشمركة)، وكان الإخوة أثناء السّير قد استطاعوا فكّ (الكلاشن) من قيدِه، ولكن كان به مخزنٌ واحدٌ للذّخيرة، حرِصَ البطلُ أبو طارقٍ أثناء رمايته على السّيارتين، على كل طلقةٍ فيها، لكنّ الذّخيرة نفدَتْ، والسّيارة توقّفت، فأحاطَ المُجرمون بهما وأُسِرا مرّة أخرى، ولَكَ أن تعرفَ بدون حكاية ماذا فعَلَ الأنْجاسُ بالأطهارِ، والله المستعان.

وبعدما انتهت الـ(بيشمركة) من التّحقيق، أحالَت الإخوةَ إلى الأمريكانِ، وهناك أنكَرَ المُجاهدان اعترافاتهما، وتمسّك أبو طارق بكونِه عراقيّا، وثَبَت عليه ذلك بتوفيق

الله، فحُبِس ستّة أشهرٍ تقريباً، ثمّ أُفرِجَ عنه! ففوجئت به يوماً وقدْ دخَل عليّ، فلم أكنْ لأُصدّق عينيّ، كيف تمّ ذلك؟ وماذا حَدَث؟ وهل ما أنا فيه حقيقة؟.

المهمّ أنّها حقيقة، والْتَحق المجاهدُ برَكبِ المجاهدين مرّةً أُخرى، وتمّ تعزيزُ رجالات (التوحيد والجهاد) في مدينة بعقوبة، وكان على رأسِ منْ ذَهَب إليهم (أبو طارق)؛ وهناك، وفي اليومِ الّذي رأى العالمُ فيه المجاهدينَ يجوبونَ شوارعَ بعقوبة، ويُسقطونها في أيديهِم، أبْدَع الشّهيدُ جرأةً وشَجاعةً ونِكاية، وأخذَ يطلُب الموتَ مظانّه، لكن لم يُقَدَّر ذلك، ورَجَعَ مع إخوته المجاهدينَ إلى قواعدهم، وفي الطّريق قصفت الطّائرةُ مكاناً كانت قد استمكَنَته، لأن مدفعَ الهاون رمى منه، فسقطت القذيفةُ بالقرب من أبي طارق، فترجّل الفارسُ رحمه الله، ولسانُ حالِه يقول: لا نامَتْ أعيُن الجُبناء...

لكنه أبقى لنا فارساً آخر، لا يقلّ شدّة نكايةٍ في العدوّ منهُ، وذلك هوَ البطلُ الـمُجاهدُ والفارسُ المغوارُ، والذي تحدّثك عنه شوارعُ وطُرُقات وثغور حي نزّال والعسكري في الفلّوجة، ألا وهو أخوه المجاهد (أبو مرْضّية).

أسألُ الله أنْ يشفيَه، فقد أُصيبَ البطلُ إصابةً متوسطةً في عملية رائعةٍ على مركبتين للـ(CIA) بطريقِ المطار، وهو الآن في طورِ الشّفاء، ولسانُ حاله يقول: متى أدُبّ الأرضَ بقدميّ حتى أتجرّع دماء اليهود؛ الله يخلفُه ويخلفُنا في أبي طارق خيراً؛ آمين.

مجموعة الفرسان (٨)

أبو خبّاب الفلسطيني، أبو عُمر المصري، أبو سُليمان الفلسطيني؛ وإنّما جمعتُ الثّلاثة في الحديث، مع أنَّ كلّ واحد منهم أمّة من النّاس، وذلك لأنّهم قَضَوا نَحبهم جميعاً في معركة واحدة، سآتي على ذكْرها.

أمّا الأول أعني الجبلَ الأشمّ، والقائد الهُمام رجلَ المواقفِ والمهمّات، المعدَن المدفون، واللّؤلؤ المكنون؛ (أبا خبّاب) فلسطيني الأصل، أردنيّ المولد والنّشأة، أكبر الثلاثة سنّاً، وأجلّهم قدراً -في الأقل عندي-، متزوّجٌ من تُركيّة، وله منها ثلاثةُ أولاد، ولِذا كان يُجيد التُّركية، سافر مبكراً أيام الجهاد الأولى إلى أفغانستان، فترك بَصَمات واضحةً على كلّ جبهةٍ ذهَبَ إليها، لكن (جلال أباد) هي المدينة التي أخذَت منهُ وأعطاها من زهرة شبابه، وأفنى على جِبالها وفرةَ قوّته، كان يتنقّل من جبهة إلى أخرى ومن معركةٍ إلى ثانية، فسَلْ عنه خيبر وجُليبيب .

ثم رجَع إلى الأردن، وهناك طاردهُ عملاءُ اليهود، وزبانيّةُ الهالك (حُسين)، ففرَّ إلى تركيا من قِبَل الخليج، وفي تركيا تزوج و دبّر أموره الحياتية بكدٍّ وعناء، ثم سافر إلى أذربيجان ليلتحقَ بأحبابه في الشّيشان، لكن الرّجُل وقع في قبضة الأمن الصهيوني الأذريّ، فغيّبته سجونهم عاماً، ثمّ التحق بالرّكبِ في دولة الإسلام أفغانستانَ مرّة أخرى، ثمَّ غادَرَها مع من غادَرَ، وأخيراً فُتِحَ باب العزّ في العراق، فأسرَعَ يستحثُّ الخُطى إليها مودعاً أهله، بعد أن أرسَلَهم إلى والده في الأردن، جاءَ الشهيدُ -نحسبه كذلك والله حسيبه- على رأس كوكبةٍ من الأبطال، ولعلّكم تتذكّرون البطلَ الأوّل أبا أسامةَ، حيث ذكرتُ أنّه كان من تلامذته، وهنا تعرّفتُ على الرّجل عن كثب، وتبيّن لي أنه أديبٌ متواضع، فعلى الرّغم من كِبَر سنّه، ورسوخ قدمه في الجهاد، كان يسمع لإخوانه ولو كانوا أصغرَ منه، كما أنني تعلمتُ منه بحقٍ معنى "الدّينُ النّصيحة"، كنتُ أقرأ الحديث وشرحه، وما عِشتُ معناه حتى قابلتُ أبا خبّاب، الذي كان نَصُوحاً لإخوانه في حُبٍ

وتواضعٍ وأدبٍ جمّ، كان لا يعرف المداهنة، ولا يسكت على خطأ، والحقّ أنيّ كنتُ لا أقدّر هذه الصّفة حتى رَحَل أبو خبّاب، وابتُليتُ بمن لا ينصح ويكتم في نفسه حتى تتعاظمَ في نفسهِ الصّغيرة، فتصيرُ جبلاً لا يُطاق حَمله، ثم ما يلبثُ أن يلقى ما به، فيتطايرُ شرَرُه وجمرُه حتى يصعب تداركُ بلائه ولو نصَحَ وألقى عن نفسه ما ظنّه لاستراح وأراحَ، وصفا له ودّ إخوانه؛ وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

ثمَّ إنَّ أبا خبّاب كان صاحبَ المهمّات الجِسام، والأمور التي ليس لها إلَّا مثلُه، ففي بغداد تجمّع عدد من المجاهدين أو هكذا، كان جلّهم ضبَّاطًا سابقين، ووضعوا خطّة لاقتحامِ سجن أبي غريب، لكنّهم قالوا ينقُصنا قائدٌ ميداني، يقودُ الشباب ويزرع فيهم الثّقة، ويُلهب في نفوسهم الحميَّة؛ حميّة الإسلام، فلما سمِع القائد أبو خبّاب بالأمر، قال -وهو الصادق- أنا لها، أنا مستعد، ومن جميل أخلاق وطِباع الشّهيد، حبّه الشّديد لإخوانه وحرصه عليهم، وتلذّذه بالإنفاق عليهم، فيُعرف عنه أنه كلّما جاءَ إلى إخوانه كان يحملُ دائماً كيسه المعبّأ بالمكسّرات والحلوى ولذيذِ الأطعمة، فكان يُنفق على إطعام إخوانهِ الكثير، وكان دائماً يقول لي: القائدُ إذا لم يكن كريماً جداً، قلَّ حظُّه من حُبِّ إخوانه، وصدَقَ والله، كادَ الكرم أن يكون سيّد الأخلاق فلقد رأيتُ النّاس أكثر ما يحمدون من الشيوخ أسامة حفظه الله، وأبي مصعب وأبي السّمح، كرَمهُم الشديد، وأنَّ الذي بأيديهم ليس لهم.

وكان من أجلّ صفات أبي خبّاب -رحمه الله- حبُّه للأطفال واهتمامه بهم، وكثرة الإغداق عليهم، وأحسن ما يُعجبه من الأطفال النظيف الذّكي، كان أبو خبّاب يقول: (أحبّ النّاس إلي ثلاثة، الشيخ أسامة والدكتور أيمن وأبو مصعب الزرقاوي)، وكان يقولُ لأبي مصعب: (اجعلني وزيرك)، ووالله كان لها أهلاً وزيادة، وأصدقكم القول يا إخواني ما عرفتُ قيمة الرجُل، ولا كُنوز أخلاقه وباهرَ صفاته، إلَّا بعد مماته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإليكَ آخرَ يومين من حياة الشّهيد: سمِعَ بزوجةٍ لأحد إخوانه الشهداء في الموصل، فذهبَ إليهم ليتفقد أحوالهم، مع خطورةِ السّفر عبر الحواجز الأمريكية ونقاط التفتيش العراقية، إلّا أنّه غامَرَ وذهب، وبعدما قامَ بالواجب نحوهم رجَع، وزارَ إخوانه في بغداد ثم أبدى تعجُّلاً ملحوظاً –حسبما ذكر أحدُ إخوانه– في المجيءِ إليّ في البيت حيثُ كان يسكنُ معي أبو عمر.

وإلى هنا أتوقّف عند أبي خبّاب، ونعود إليه لاحقاً، ونعرُجُ على أبي عمر –أبو عمر المصري–، هادئ الطّبع ليّن الجناح، سهلُ العِشرة، دمث الخُلُق، كريمٌ متواضع، سافرَ الشهيد –رحمه الله– في مطلعِ التسعينات إلى أفغانستان، حيث طافَ بين مُعسكراتها وتنقّلَ بين جبهاتها مشاركاً في الحربِ ضدَّ نظام (نجيب الله) الشّيوعي، وهناك انتهى إلى جماعةِ الجهاد المصريّة، وانخرَطَ في معسكراتِ تدريباتها، ثمَّ انتقل إلى اليمن بعد انتهاء الحُكم الشيوعي، وسيطرة المرتزقة على أفغانستان، وإبّان حروبهم الطّاحنة للسيطرة على السُلطة، وهناك– أعني باليمن– تزوّجَ من أختٍ يمانية من (الحدا)، إحدى قبائل محافظة (ذمار)، لكنه تعرّضَ للاعتقال أكثرَ من مرة، كانت أوّلها بعد نحو شهرٍ من زواجِه، فتمَّ تسفيره من قِبل الإخوة إلى ألبانيا، وظلَّ هناك تحت إمرة الشهيد البطل والشيخ المجاهد والعالم الرباني الشيخ أشرف (أحمد النّجار)، وظلَّ هناك حتى جاءت أحداثُ (كوسوفو) أو بدأت تدبُّ بأرجلها، واستعدَّ لها الإخوة هناك جمعاً للسلاح، وإعداداً لمعسكر التدريب، ورصّاً للصفوف، ولكنّ الحكومةَ الألبانية العميلة طاردتْهُم جميعاً، فقُبِضَ على الشيخ أحمد النّجار ورُحِّل إلى مصر، وكذلك أُلقي القبضُ على الشجاع الهمام البطل المقدام الحييّ الخلوق، القارئ أحمد إسماعيل صالح، والمعروف بين المجاهدين الأفغان باسم (أنس خيبر)، فهو أشهرُ من نارٍ على علم، حيث كان أحد القوّاد المبرّزين، والقادة المؤثرين، وأميراً لأسخن قطاعات جبهة جلال أباد، وأخيراً تمَّ أسرُ الشّيخين الأحمدين لمدةِ عامين تقريباً، وفي يوم قدوم بابا الفاتيكان (يوحنا بولس الثاني) إلى مصر، وفي نفس الساعة وبدونِ مقدمات، وفي خبرٍ عاجل تعجَّب له الجميع، تم إعدام الشيخين أنس خيبر والشيخ أشرف (أحمد إسماعيل أحمد النّجار)، وذلك ليكونا قرباناً وبرهاناً من

حُسني اللّعين إلى بابا الفاتيكان، وعلامةً على تمام الولاء وبرهان الطّاعة، فهل للشيوخ من نصير ولثأرهم من مطالب؟.

وعودةٌ إلى الشّهيد أبي عمر، فقد أفلتَ من القبضِ عليه بأعجوبة بعد حصارِ بيته، وبعدها هربَ إلى إيطاليا في رحلةٍ مثيرة كثيرة المخاطر، وهناك أُلقي القبض عليه وتمَّ اتهامه بالإرهاب والتخطيط لتفجيرات وغير ذلك، فبقي في السّجن سنتين، بعدها أُفرج عنه لكن تحت المراقبة، فهرب إلى ألمانيا، ومنها زوِّر له جواز سفر ثمَّ سافر إلى دولةٍ ما ثمَّ إلى أفغانستان، ثمَّ شهِدَ مع إخوانه حرب الأمريكان وسقوط دولةِ الإسلام فبكى عليها من سويداءِ قلبه لأنّ من مِثله يعرفُ معناها فقد شعرَ فيها بالعزّ والأمان ولأول مرةٍ مُنذ سنين، وها هو الآن مطلوب منه أن يبدأ من جديد رحلة المطاردة.

وبالفعل بدأ الشهيدُ تلك الرّحلة، وفي هذه المرّة كنتُ معه، فبعد أن استمرَ بنا نحن العرب الانحيازُ من مدينة إلى أخرى، استقرَّ بنا المقام في مدينة (زرمت) الحدودية، عند القائد الهُمام ابن القائد السّلفي سيفِ الله بن نصر الله منصور، والذي قُتلَ أبوه قديماً على يدِ بعض عصابات الإجرام التي تُسمّي نفسها بالمجاهدين، ثم شغَلَ الابنُ بعده منصبَ نائب وزير الدفاع، وقائداً لجبهة كابُل في حكومة الطّالبان، وعُذراً أخي؛ فللحديث عن تلك المنطقة شجونٌ يطولُ مقامها لكن ليس هذا موضعها، المهم أنَّ أهل تلك المنطقة أعني (زرمت)، جاءوا إلى (سيف الله)، وقالوا له أخرِج العرب من هُنا نُقاتل مَعَك الأمريكان، فإن لم تُخرجهم تركناك وساعدنا الأمريكان، وتحت الضغط تمَّ إخراجُ العرب، وتهريبهم عبر الجبال والأودية وفي ظلامِ الليل وتحت رشَقات السّلاح ونِباح الكلاب.

بدأ (سيف) أبو عمر الشّهيد، -حيثُ كان هناك يُدعى سيف- هذه الرّحلة وباختصار حطَّت بنا الرّحال في إيران، وهناك بدأت رحلةٌ أخرى من المطاردة، حيث زوَّر جوازاً سعوديا فراحَ ورُحت معه نعدّ للسفر، وكانت هناك مراجعةٌ في مقرّ وزارة الخارجية الإيرانية، فراجَعَها، وهناك تمَّ اكتشاف أمره أو الشّك فيما يحمل من جواز

وصحّته، فقُبض عليه، ولكن الله تعالى سلَّمه فنَجا، و تمَّ تسفيره إلى سوريا هو وأخٌ سعوديّ آخر، واستقلَّ الاثنان نفس الطّائرة، وكان كلّ واحدٍ منهما يحملُ جواز سفر سعوديّ، لكنّ الفرق أنَّ الأول مصريّ والآخر سعوديٌّ أصليّ، وعند التقدّم لبوّابة المرور، تمَّ القبض على الأخ السعوديّ، واقتيد مباشرةً إلى السّجن، فتقدّم الشّهيد أبو عمر إلى البوابة يجرُّ رِجلَه ويخطُّ بها الأرض، يكادُ بل يقول يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا، إلَّا أنَّ الله ألهَمَه أن يتوجه إلى بوّابة أخرى، ولما أمسَك الضّابط جوازه لوّح به إلى أحد زملائه يقول سعوديّ قال: (خليه يمشي).

وبالفعلِ ختموا له جوازه، وخرَج والفرحةُ بالنّجاة لا تكاد تصدّق وتوصَف، ومن ثمَّ جاء مباشرةً إلى العراق ودخل بشكل رسميّ قبل سقوط نظام صدّام، واتّصل بزوجته كي تأتي إليه، فمنذُ أن هرب من ألبانيا لم يرها ولا أولاده، فقد وُلِدَ له محمّد وأصبح عمره ثلاث سنوات ولم يَرهُ قطّ، وتقريباً حُرِمَ من أولاده قرابة أربع سنوات -والله المستعان-، وجاءت الحرب العراقيّة، وشاهدْنا ذلك المنظرَ الرّهيب والكابوسَ المُرعب، منظرَ السيّارات وهي تخرُج من بغداد تحملُ العوائل، فالرجل يمشي وأولاده على الأقدام لقلّة السّيارات، وأخرى تحملُ عوائل تضمُّ عدداً كبيراً من الأطفال والنّساء، الكلُّ يجري ولا يعلمُ أحدٌ إلى أين يذهب، وماذا سيحدث، وذكّرني هذا بنفس الموقف يوم خروجنا من كابُل.

أعود فأقول اتخذَّ الإخوة الموجودون في العراق قراراً بعدم المشاركة في الحرب إلى جانب نظام صدام حتى الانتهاء من الحربِ وزوال ذلك النظام لأسبابٍ كثيرة، ليس هذا موضعَ ذكرها، لكنّ الحال قد ضاقت بعد زوال النّظام، وأصبح الرّافضة يتاجرون بالعرب بيعاً وشراءً، فقرّرنا المغادرة إلى دولةٍ أخرى، وبِعْنا أغراضَنا، لكن إلى أين، وكيف وماذا نفعل بالنّساء والصّبيان وهل سيُقبض علينا مرةً أخرى؟

وحلَّت بنا الهموم، وكرهنا الحياة بلا جهاد ومُنازلة، وفي هذا قلتُ قصيدة بعنوان (هموم مسافر) قلت فيها على مكّنني الله من البلاغة:

إلى متى نتيهُ في البلدان *** كسفينةٍ غَدت بلا رُبّان
أنّ اتجهت لدارٍ وجدتها *** مُقطبة عبوسة الأركان
بحرُ الحياة مظلمُ الأعماق *** لا خيرَ في بحرٍ كئيب فان
إذا أضاءَ بريقٌ فمصيرهُ *** موجٌ مريعٌ يحجبُ الشطآن
يا بانيَ الأحلام هلّا يقظة *** فالحلم حتماً ساقطُ الجدران
ليست لحيٍّ دارنا وطنا *** كُتب الفناء لزمرة الثقلان
ملعونةٌ على لسانِ نبينا *** إلّا ذكرُ الله يا إخواني
شَرّق وغرّب يا أخي فلن تجد *** دنيا تسرُّ فجهز الأكفان
إمّا مفارق وإمّا مبتلى *** فالموت يا صاح قريباً دان
يا رب قتلاً لا أكون أسيراً *** فالأسرُ أسوأ حالة الإنسان
قهر الرجال مصيبةُ الأحرار *** والحرُّ تقتلهُ بنت لسان

ومع الاختصار، قرّرنا البقاء والتخفّي لعلّ الله يمنُّ علينا بنعمة الجهاد، وبدأنا بجمعِ السلاح من المعسكرات وكذلك الشّراء، ومن ثمَّ التخزين حتى يأتي اليوم الذي يزغردُ فيه (الكلاشن).

وبعد ذلك التقينا الأسد الشّيخ أبا مصعب، وبدأت قافلةُ الجهاد تتحركُ رويداً رويداً، حتى ملأت الدّنيا ضياءً، بنور الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وكان نصيبُ الشّهيد أبي عمر في ذلك موفوراً، حيث شارك إعداداً وإرصاداً لكثيرٍ من العمليات الاستشهادية.

وأهمّ شيء وأكبر شيء قام به الشّهيد البطل، أنّه فتَحَ بيته للإخوة، فصارَ كأنه مَضافةٌ لهم مع صِغَر حجمه، فكان أهلُه وأولاده في غُرفة، والإخوة في غرفة بينهما (بردة) ساترة، ولا يوجد في البيت إلّا مرافق مُشتركة، وظلَّ الحالُ على هذا نحو ستّة أشهر يحتسبُ الرجل الأجر والثّواب، وأرى له راحةً وبشاشة عجيبتين، وكان دائم التّكرار لهذه المقولة: (كنّا نتمنّى حُلول هذا اليوم فإذا جاء نقصّر... لا والله)، فعلِم الله لقد رأيتُ منه ومن أهله تفانياً عجيباً إلى حدّ لا يكاد يوصف.

وعلى الرغم من أنَّ أبا عمر كان حافظاً لكتاب الله، كبيراً في السّن مقارنةً مع الشّباب (عمره كان تقريبا ٣٧ سنة)، إلّا أنّه كان يرى نفسه أصغَرَهُم وخادِمهم، مع طلاقة وجهٍ وحسن عِشْرة عجيبة، وفي أحد أيّام هذا البيت حصَلت النّهاية السّعيدة، لتُثبت أنّنا أمام بطلٍ من طرازٍ فريد -سأعود إلى ذلك- أبو سُليمان الفلسطينيّ الأردنيّ الكويتيّ- أو هكذا كان يقولُ عن نفسه، رجلٌ يملأ العين مهابة، ذكيّ نصوح، صاحبُ نُصحٍ ومشورة، بئرٌ عميقةٌ للأسرار.

يومَ المداهمة جئتُ إلى البيت كعادتي -تقريباً- مع أذان المغرب، دخلتُ بيتي أُطمئنهم على وصولي، ثم صعدتُ إلى الإخوة في الطابق العلوي، حيث بيتُ أبي عمر، فوجدتُ الحبيبين أبا خبّاب، وأبا سُليمان، وأبلغني الإخوة بعد ذلك أنَّ أبا خبّاب كان متلهفاً للمجيء إلى البيت، مع أنه كان من المفروض ألّا يكون هناك.

أقولُ في هذه اللّيلة جلستُ أتسامرُ مع بعض الإخوة، حتى بعد الثانية عشرة ليلاً نتذكر ما سلَفَ ونضحكُ لبعض المواقف. حتى قال لي أبو خبّاب: (روح أنت عندك أولاد)، ثم استلقى على فراشِه وبدأ يستعدّ للنّوم، فتبسّمتُ وودعتهم ونزلتُ إلى بيتي.

وفي الساعة الثالثة فجراً، دوّى انفجارٌ ضخمٌ ببيتي، فاستيقظتُ فزِعاً أنا وأهلي، فإذا بالدّخان يملأ الغرفة، وزجاجُ الغرفة متهشم، فللوهلة الأولى ظننتُ أنَّ عبوة انفجرت داخل البيت، حيث كنّا نعدُّ عبوات ناسفة نزرعها لقوّات الصّليب، لكني لم أفِق من الصّدمة إلّا على صدمةٍ أخرى.

إذا بالميكروفون يذيع: (نحن قوات التحالف، سلّموا أنفسكم خلال ثلاثين ثانية)، فكّرتُ بالأمر سريعاً، ونظرتُ إلى من حولي فلم أرَ إلّا بندقيةً واحدةً بمخزنٍ واحد، ولا أستطيع أن ألحق بالإخوة في أعلى الدار -الطابق العلوي-، إذ كنّا مفصولين تماماً عن بعض، ولا طريق للصّعودِ إليهم إلّا بالخروج إلى الحديقة ثم الصّعود، وكان الأمريكان قد ملؤوا باحةَ المنزل، ولم يكن أمامي مكانٌ للمقاومة، فأخذتُ أهلي وذهبتُ بهم وبولدي إلى (المنور) أو المسقط الخلفي للبيت، حتى آخذهم وأضعهم في البيت الخلفي، ثم أحاول

الهروب بهم أو بنفسي بعد الاطمئنان عليهم، فلمّا صعدتُ سور (المنور)، نظرتُ فلم أجد أهلي، وظللتُ أُنادي أهلي باسمها وكُنيتها فلم أسمع أو أرَ لها أثراً، وإذا بصوت ينادي باسمي فرددت عليه: نعم يا أبا عمر، ثمّ انقطع الصوت فلم أدرِ لماذا، فهمت أنّ أهلي ذهبت في مكانٍ ما داخل البيت المجاور مع أبي عمر، وكأنه ناداني لذلك لكن لم أهتدِ إليه لظروف الظّلام الدّامس.

فأخذتُ سلاحي وقفزتُ إلى البيت المجاور، ثم أردتُ أن ألحَقَ بالشّارع الخلفي فإذا بالأمريكان يملؤون هذا الشّارع، ورأوني، لكنّهم ظنّوا أنّي من أصحاب المنزل، حيثُ كان جميعُ أهالي المنطقة قد استيقظوا على صوتِ الانفجارِ والمكبّرات.

فلمّا رجعْتُ إلى البيت، إذا بصاحبة المنزِل تراني، فأطلقَتْ صاروخاً من الصّياح، جعلَتِ الطّلقات تكاد تُطير رأسي لكن: سلّم الله.

كان سِلاحي ليس له حمّالة - وهذا لا شكّ كان نقصاً - فجهّزتُ طلقةً للرّمي وأبقيتُ عتلة الأمان مفتوحةً، وظلَلْتُ أنتقلُ من بيت إلى آخر، من الطّابق الثالث فالثّاني فالأول وهكذا دوالَيْك، كنت أتسلّقُ الجدران وأقفز ولا أريد أن أُشعر أحداً.

وفي تلك الأثناء دَوّتْ في بيتي عدّةُ انفجاراتٍ خُتمت بانفجارٍ ضخْمٍ، تبِعَته رشقةٌ بسيطةٌ من سلاح أمريكي ثمّ توقف الرمي تماماً.

وسأعود إلى تفصيل ذلك، أقولُ في تلك الأثناء جاءت المِروحيات الأمريكية تطوفُ حول المنزل، وكنت على سطح منزلٍ يُجاور بيتنا بحوالي خمسينَ مِتراً تقريباً، فاختبأت بالسّطح ووضعتُ ملابسي فوقي حتى لا تكشفني، ولما هدأت الأصوات كان أهالي المِنطقة لا يزالونَ في الشّارع، فلمّا دخل كلٌّ إلى بيته حاولت النّزول إلى شارعٍ في مؤخرة المنطقة، وكان همّي الرّئيسي هو إخراجَ جميع الإخوة الذين لهم علاقةٌ ببيتي، وبالفعل تمّ ذلك بحمد الله وحصل بالفعل ما توقّعته من مداهمةِ هذه البيوت، لكنْ كان الإخوة تركوها ولله الحمد.

عودةٌ إلى البيت، فقد بَلَغَنا بعد ذلك أنّ جميع من في المنزلِ استُشهِد في معركة سآتي على أهمِّها، وفي مفاجأةٍ ترَك الأمريكان النّساء في البيت، إلّا أنّهم أخذوا أختاً من الأخوات، هي أمّ الأولاد (أمّ عمر)، وقد شاهَد العالمُ مَنظر البيت على قناتي الجزيرة والعربيّة، حيث كانت في مدخلِه سيارة أجرة (برازيلي)، ورأى الجميع كيف كان وقْعُ الصّدمة على الأطفال الثلاثة، وهم يطوفون حول السّيارة، والصّغير محمّد يقفُ مذهولاً أمام بقعةٍ من الدم، وجثةٍ ملقاة إلى جانب السيارة، هي دماء وجسدُ أبيه الشهيد (أبي عمر) رحمه الله، لكن منظرُ الأطفال وهُم يشاهدون بقايا جثةِ والدهم على الجُدرانِ والأرض، لم يمنع عشرات الرّوافض من الهجوم على البيت، وسرقةِ مُحتوياته بما فيه مِنْ سيّارةٍ وغيره، ولم يقفِ الأمرُ عندَ هذا الحدّ، بل منعوا النّساء من مغادرة المنزل، حتى إنّهم هدّدوهن بالقتل، وأشهروا أسلحتهم في وجوههنّ، إلّا أنّهم ولله الحمد كانوا يخافون جدّاً من النّساء خَشْيَةَ أن يكنَّ يحملْنَ أحزمةً ناسفة، ومنعهم الله من الاقتراب منهنّ.

أقول لما بلَغَنا وجود المرأتين والأولاد في البيت، لكن الأختُ الثالثةُ غيرُ موجودة، اجتمعتُ مع بعضِ الإخوة النّشامى، والذين أبْدوا استعداداً عجيباً للموت في سبيلِ إنقاذ الأعراض، أقولُ؛ دارَ الحديثُ بيننا، هل ننتظر حتى ترجِع الأختُ الثالثة أم نهجُم على البيت ونُخرِجُ من فيه من النساء.

تمَّ الاتفاقُ على الانتظار نهارَ ذاك اليوم، ثمَّ الذهابُ في اللّيل فلربّما تعودُ الأخت قبل هذا، وحتى لا نخسر الجميع. وتمَّ ترتيب أمر اقتحامِ المنطقة وليس البيت فحسبُ، إذ أنَّ البيت موجودٌ في منطقةٍ رافضيّة تشتهر بكُرهِ أهل السّنة، وبانَ حِقدُهم في تعاملهم مع النّساء في البيت.

وتمَّ تدبير عدد كبير من المجاهدين، واستقلَّ كل أربعةٍ سيّارة مع سلاحٍ جيد، بدءاً بالرشّاشات وانتهاءً بقاذفات الصّواريخ، وتمّ تأمينُ وسيلة اتصالٍ تربط الجميع، وفي ساعة الصّفر، تمَّ تطويقُ المنطقة وإغلاق المنافذ المؤدّية إليها، وانتشر المجاهدونَ في المنطقة التي تحيطُ بالمنزل، ودخلْتُ وأخٌ آخر البيت، وكانت مفاجأة للأهل حيث كانت

متأكدةً من مقتلي، وكانت مفاجأةُ الجميع أنَّ أمّ عُمر أرجَعها الأمريكان سليمة معافاة، بعدما تظاهرَت بالمرض الشّديد على أن يأتوا لتكملة التحقيق معها في اليوم التّالي، لكن الحمد لله على إنقاذِ الجميع.

نسيتُ أن أقول إننا وأثناءَ ذهابنا إلى المنطقة، ألهَبَ أحدُ الإخوة مشاعرَ المشاركين حين قال: (تذكّروا أنَّ الـمُعتصم سيّر جيشاً لإنقاذ امرأةٍ واحدة، وأنتم اليوم ذاهبون لإنقاذ ثلاث أخوات). حينئذٍ تمنّى جميع المجاهدين أن يُرزقوا الشهادة في تلك الغزوة، والتي تمّت بحمد الله ولم تُطلق علينا طلقةٌ واحدة.

وفي اليوم التالي انتشرَ الرّعبُ والهلع بين سكّان المنطقة من الرّوافض، لأنهم يعلمون كيف عاملوا النّساء، ولـمّا رَأوا قوّة المجاهدين وجَرأتهم. وفي الصّباح ترَك غالبُ أهل المنطقة منازلهم ورحلوا بأمتعتهم قائلين: (إنَّ الوهابية سيفجرون المنطقة)، فالحمدُ لله على نصره ومنّه، وكان إخراجُ النّساء البلسم الذي هدّأ من ألم فِراق الأحباب، الذين أصلاً لم نفقدهم فقد أدركوا أمراً طالما طلبوه.

وكانت صورةُ المعركة كما علمت وشاهدت، أقصد سمعتُ بعضها، أنَّ الإخوة في الطّابق العِلْوي لم يكن عندهم غير بندقيّة (كلاشنكوف) واحدة بمخزنين، وليس هذا – علم الله– من سوءِ التّدبير، فقد كانت عندنا رشاشة (بيكي سي) قبل المداهمة بيومين، و لكنْ ألحَّ صاحبها عليها، فقلْت له دعها فإنَّ عندي إخوة، وأخشى من حدوث مكروهٍ، وذلك ريثَما أرتّب السّلاحَ في البيت، فأرسَلَ مع أخٍ آخر يقول إنّي أخذتها بسيف الحياء، فقلتُ ما دامَ الأمر هكذا فخُذها.

أقول لـمّا بدأت المداهمة، بدأ الإخوة خاصةً الشيخ الشهيد أبو خبّاب، بإطلاق النّار من البندقية الوحيدة، ويبدو أنّ أبا عمر تذكّر أنَّ عندنا كمية لا بأس بها من القنابل اليدويّة، غير أن صواعقها ما زالت في العُلبة المعدنية، ففتحوها أو فتحوا بعضها بسرعةٍ وفي الظّلام، وبدأ الإخوة يُرسلون القنبلة تلو الأخرى على المجرمين، فأُصيبوا بالرعب

والخوف، وبدأت الجروح تدبُّ إليهم، ثمّ سقط أول قتيلٍ في وسطهم، في تلك الأثناء تابع أبو خبّاب رميَهُ من شُرفة المنزل.

لكن وفي الظلام صعَدَت مجموعةٌ من المجرمين الأمريكان إلى سطح البيت المقابل، ودون أن يراهم الأخُ، فأصابوه في مقتلٍ، سقَط على إثرها من الطّابق العلوي إلى أسفل، ثمَّ تابع البطل أبو سُليمان قذْفَ الرّمانات، لكنّه كان قد أُصيب أيضاً إصابة قاتلة، فحاول الخروج عن طريق البيت المجاور من الخلفِ، لكنّ جراحه أثخنته، فنَزِفَ حتى ماتَ على سطح البيت المجاور رحمه الله.

وبقيَ أبو عمر فقالتْ له زوجته: (اهرُبْ ما في أحد غيرك)، فخرَج من عندها وأضْمرَ ما لم يكن بحُسبان زوجته، والتي ظنّت أنّ صاحبها قد تمكن من الهرب، ولمّا هدأت النّيران، بل لمّا توقفت، دخلَ المجرمون في رعبٍ شديد إلى المنزل، وأخرجوا النّساء، واللاتي كُنَّ في غرفة بعيدة عن الرّمي هنَّ والأطفال، وبعد إخراجهم فوجئ الأمريكان بالشيخِ المجاهد اللّيث أبي عمر، يخرُج إليهم من مكان قد اختبأ فيه، يحمل بين يديه قذيفة هاون (١٢٠ملم)، كنّا قد أعددْناها لهذا اليوم، حيث استبدَل صاعِقَها الأصليّ بصاعقٍ رمّانة. فنَزع البطلُ الحلقة ودوى انفجارٌ هائلٌ أُلقي على إثْره أربعةٌ من المجرمين إلى جحيم جهنّم، بينما صعد هو إلى جنّة صدْقٍ عند مليكٍ مقتدر، فرحِم الله أبا عمر رحمةً واسعةً، هو وسائرَ إخوانه، فقلت بعد هذا بعض أبيات أواسي بها نفسي وأبناءه، وخاصّة عمر، ذلك الصّغيرُ المؤدّب، والذي يحمل نِصْفَ القرآن وعمره ثماني سنوات. أقول فيها:

أم حبيبة لا تراعي *** فأبوكِ سيدُ السّباع
طعنَ العدو ولم يولِّ *** حاشا بُنيّة أن تُضاعي
تسنيم يا بنت الشّهيد *** لا تُصغى لصوت ناعِ
فأبوك حيٌ في الجنان *** طوبى لهُ من راعي
عُمَرُ الحبيب هلمَّ *** للثأرِ باعاً بذراعي
احمل كتابك دوما *** إياك من سقط المتاع

محمّد كن فارساً *** في الطّعن ليس بمستطاع

دينك لحمك والدّم *** سنامه ركبُ الكِراع

فعلى نهج أبيك كنْ *** للنّاس خير شعاع

رحم الله أبا عُمَر *** نِعم الرّفيق بلا نزاع

سلامةُ الصّدر طبعاً *** في الخير أسرع داع

حبّ السّماحة دينه *** في الله ليس يُراع

ليّن الجناح شعاره *** لله درك يا ساع

الهزبر النّهدي (٩)

(حتى أطأ بعُرجتي الجنة)

هو الصّادق الصّدوق، القويّ بالله، المُبتلى المُعافى، أصدَقُ من رأيت سريرةً وأصفى مَنْ وقعَت عليه عيني فيما أظنُّ فؤاداً، كان صادقاً مع مولاه -نحسبه-، فجازاهُ خيرَ الجزاء وبشّره خيرُ البُشرى في الحياة، وقبْل الممات، ولهُ عنده الحُسْنى ومزيدٌ...

فمن هو؟

شابٌ ثريّ من بلاد الحرمين، نهديُّ الأصْلِ، عاشَ حياة التّرف، وعَرِفَ معنى النّعيم، لكنّه لفَظَ الجميع وسعى ملبّياً يُنادي (حيّ على الجهاد)، لما قرأ قول مولاه: {انْفِروا خِفافاً وثِقالاً}، وقرأ وعلِمَ قولَ أبي أيّوب الأنصاري، وعلِمَ أقوال العُلماء أنها لم تترك لأحد عُذراً، فهمَّ بالرحيل، وأخذَ يودّع أهله ويجهّزُ نفسه، لكنّ شيطانه همَسَ في أذنه: كيف تذهب وأنتَ معذور؟ ألستَ مصاباً بشلل الأطفال؟ رِجلُك لا تحملُك على المشي البطيء، فضْلاً عن الجَرْي، و يدُك اليُسْرى شِبهُ معطّلة، كيفَ تستطيع حمل السلاح؟

بكى الحبيبُ وذَرَفَ الدّموع، ثمّ وجَدَ ضالّته في قصّة الصّحابي الجليل عمرو بن الجموح رضي الله عنه لمّا قال: (إني لأرجو أن أطأ بعُرجتي هذه الجنة)، فقال: (والله إنّي لأرجو كما رجَوْت)، فجاءَ إلى ساحة العزّة، عَذَرهُ الله ولم يعذُرْ نفسه، فالقِتالُ قتالُ دفعٍ، والعدو لم يبْق لأحدٍ دُنيا ولا ديناً، لم يمنعه ثراؤه ولم يُقعده عُذره عن النّهوض إلى ساحات الوغى.

قابلْتُ الرّجل وعَجِبْتُ لمجيئه، لكنّ الشّاب الظّريف البسّام، لا يَدَع لدهشتك فرصةً، يُقبِل عليك بوجهٍ كشِقّ القمر، مهلّلاً ومرحباً وخادماً كأنّما قد صادقتَه قبل سِنين، ثم فارقْتَه وحانَ وقت اللّقاء، يرحّب ويخدم كل من قابلَه.

اشترى سلاحاً خفيفاً حتى يستطيع حمْلَه واستعماله، وكان يجدُ نفسه في حراسة إخوانه، ولسانُ حاله يقول: إن لَم أدفع عنْكم صِحتُ بِكُم منبّهاً، وتخلّفْتُ عنكم مدافعاً. وكان صاحِبَ دُعابةٍ لطيفة وخِفّة عَجيبة.

قصّةٌ مثيرةٌ وعجيبة: استيقظَ الشّهيد قبل يوم من ترجّله إلى مثواه، فلمّا قام من نومه قال لصاحبه: (غداً أستشهد)، فضَحِك الشّباب وانهالوا عليه بسيلٍ من النّكات والتّعليقات الظّريفة، وبادَلَهُم الحبيبُ كعادته المُزاحَ بالمُزاحِ، حتى إنَّ أميره قال: يا هَزبر ما عاد إلّا أنت، مُمازِحاً كعادة الشّباب، وفي صبيحة يومِ استشهاده، وبعدما استيقظَ من نومة القَيْلولة التي أيْقَظهُ منها، مزاح أخيه أبي الحسن له وتلطيشه إياه، قال: (ولَد، أنا اليوم أستشهِد السّاعة السّادسة).

ضحِك أبو الحسن وقال له مازحاً: (قُمْ وإلّا كَسَّرتُ رأسَكَ فوق من نومك، عدش إلّا أنت!).

وتجهّز مجموعة من الإخوة رُماة الهاون للرّمْي، وكان مَعَهُم أبو الحسن فقال لهم الهزبر: أخرُج معهم، فخرجوا.

نصَبَ الأسودُ مِدْفعَهم، وأمطروا رتلاً بقذائف (الهاون)، فأحرَقوا سيّارتين ثمَّ ذهبوا وأحضروا قذائف أخْرى، والتفَّ الإخوة حولَ (الهاون)، وأخذَ أبو أحمد يضبِطُ مِنظاره ورمى بقذيفة.

وفجأةً وقف أبو الحسن مشدوهاً، رأى دبّابة على جسرٍ بعيد، قد سلّطَت مدفعها باتجاه الإخوة، وانطلَقَتْ منها قذيفة، رأى وميضَ إطلاقها، وقبل أن يتكلّم؛ كانت شظيّة منها قُرْبَ عين أبي الحسن، وأُخرى في رَقَبة أبي أحمد، وأخرياتٌ على صدر آخر، لكن الشّظايا جميعها كانت سطحية، وكان أبْعَدَ واحدٍ من (الهاون) مسافةً هو الهزبر، هربَ الجميع من مكان (الهاون) لتجنّب شظايا القصْف، لكنّ الهزبر لم يهرب، إذ أصابته شظيَّةٌ في مقتل في صدْره ورأسه فنامَ مكانه، وترجّل من حَصَانه ولسان حاله: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

رَبِّ لِتَرْضَى}، وكان ذلكَ في تمام السّاعة السّادسة بالضّبط. وصَدَق رسول الله ﷺ: "أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً".

بقِيَ أن أُذكّر: بأنّ ما بين مجيء الشّهيد لساحة الجهاد ورحيله ما يقرُب من شهر، من الذين عملوا قليلاً وأُجروا كثيراً، وأسأل الله أن يخلفنا فيه خيراً.

الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق

أبو عبد الله التُركي -آزاد أكنجي- (١٠)

عزيمةٌ صادقةٌ وهمّةٌ عاليةٌ، عاملٌ بلا كللٍ، وصابرٌ بلا مللٍ، مُخلص صادقٌ نحسبه كذلك والله حسيبُه، تركيٌ من أصلٍ طيّب يُذكّرك بأولئك النّفر، الّذين أذاقوا أوروبّا الذلَّ والهوانَ إبّان (الإمبراطورية) العُثمانية، عفواً الخلافة العُثمانية.

تعلَّم ليعمل، ذهب إلى باكستان، والتحقَ بالجامعة الإسلامية في إسلام آباد، وبقيَ فيها سنتين، ثمَّ دفعَه دينُه ورغبته في الجهاد ورفعِ الذلّ عن الأمّة، للذّهاب إلى أفغانستان وهناك التحق بمعسكراتها، وعَلِم إخوانُه منه صدْق النّية، من خلال دوامِ الخِدْمة وكَثرة الحراسة، ثمّ رجع إلى تُركيا، فتاقَت نفسُه الصّادقة لنُصرة إخوانه في الشّيشان، فذهبَ إلى جورجيا (طريق العُبور إلى الشّيشان)، وظلَّ هناك مرابطاً سبعةَ أشهر، ينْتظر فُرصة الدّخول دون كللٍ أو ملل؛ كلّ يوم يحدُوه الأمل، ولم يفتّ من عضُدِه رجوعُ من مَعَه من الشّباب بعد الشّهر والشّهريْن، وفي نهاية المطاف لم يوفّق الشّهيد للدّخُول، رجَع إلى بلدِه تعلوهُ حَسْرة، ويستبدُّ به الهمّ،حيث آلمهُ أن يسكُنَ الشّيشان إخوةُ الكفْر، ويعشّش فيها المرتدّون ويُرى اليهود يجوبون أزقّتها وضواحيها.

عادَ إلى بلَده حيثُ العَلمانية حارسٌ أمين، وسدٌ منيع أمامَ كلّ دُعاة الدّين وطُلّاب العزّة، كفروا وأجْرَموا وفَعلوا كلّ خِسّة حتى ينضمّوا للاتحاد الأوروبي، والنتيجةُ معلومة.

ومع إفساد الشّياطين الدّين والدّنيا، كرِهَ الحبيبُ حياة الخُنوع والذلّ، كرِهَ أن يقف مكتوفَ اليدين أمام هذا الواقع المأساويّ، فسجّلَ مع مجموعةٍ من إخوانه دورةً في عمليَّة استشهادية ضدَّ هدفٍ يهوديّ، وكان عبارةً عنْ قافلةٍ سياحيّة يهوديّة تأتي في شهر معيّن

في السّنة، تضمُّ قُرابَة الثّلاثة آلاف يهوديّ، لكنّ العمليّة لم تتم لظُروفٍ معيّنة ليس هذا موضِعَ سردِها، واتّخذَ إخوانه قرارَ ضرْب هدفٍ آخرَ يهوديّ وبريطانيّ.

ولأنَّ قائمةَ الاستشهاديين طويلة، لم يأتِ عليه الدّور، وأصبَح اسمُه على قائمةِ المطلوبينَ في تفجيرِ المعابدِ اليهوديّة في تُركيا، فبحَث عن مكان آخرَ، وساحةٍ ثالثةٍ لعلَّ الله يرزُقه فيها الشّهادة، فلقد كرهَ الحبيبُ ذُلَّ الدّنيا، وأحبَّ لقاءَ مولاه، نعم، أحبَّ لقاء مولاه فلقَد رأيتُ ذلك في صديقٍ له عربيّ الأرومة، أخذني جانباً وقال: (أخي، أرجوك اشتقتُ للقاء ربّي، فِدْوه عجّلوا لي في الأمر، أُحبّ لقاءَ إخواني، فوالله كرِهتْ بعدهم نفسي).

وتقازمْتُ حتى صِرتُ مثل الذُرّ تحت نَعله، فأنّى لي بهذه الرّوحِ، وكيف الوصول إلى هذه الدّرجة؟ وماذا أفعل؟ وهل يمكن في يومٍ من الأيام أن أمتلك قلباً كهذا؟ أبيضَ صافياً يشع نوراً وإيماناً؟

عودةً إلى الحبيب الّذي جاء إلى بلاد الرّافدين ليشْهدَ أكبر مُنازلة بين أبناءِ العقيدة والتوحيد، وبين إخْوةِ القِرَدة والخنازير، معركةَ تكسير العِظام، كما يحلو لأبي مصعب أن يُسمّيها أو يصِفِها.

جاءَ وعلى الفور، سجّلَ نفسه في قائمةِ الشّرف قائمة الاستشهاديين، وفي البيتِ الذي كان جالساً به، يتحدّثُ صاحبُ البيت فيقول: أخي ما استيقظتُ في ساعةٍ من الليل، إلّا ورأيتُ الرّجُل يصلي، وكأنَّ هناكَ هالةً من الضّياء والنّور تُحيط به، في تعامُلِه يحبّه كلّ من يراه، يملأ العيْن مهابةً، فقد كان ـ رحمه الله ـ جَسيماً، آتاه الله بسْطةً في الجسم.

ذهبَ أحدُ إخوانه يوماً ما لعملية، فاستيقظَ صباحاً يُبشّرنا أنَّ العمل قد تمَّ، ويصفُ لنا بالحركات ماذا تمَّ، إذ إنَّ الحَبيب كان لا يعرِفُ العربيّة، يا أهلَ لغةِ الضّاد، يا مَنْ قرأتم القُرآن وفهِمْتموه، لكنّكم لم تُدركوا قطّ معناه، لم تشعُروا بتلك القَشْعريرة التي كان يشعرُ بها أبو عبد الله العجميّ، ولا بكَتْ عيونُكم رغَبًا ورهَباً ولا ولا...

المهمّ، جاء دورُ صاحبنا، وذهبَ مع أخٍ له إلى موقع الحادث مع اثنينِ آخرَين، كان منهم أبو هُريرَة سابقُ الذّكر، وفي الصّباح تعانق الشّهداء، وذَرَفوا الدّموع، ثمَّ قَطع أبو هريرة السّكوت، وهتَف مكبّراً ومبشراً: (أحبابي، ساعةٌ أو أقلّ ونلتقي عند مليكٍ مُقتدرِ، فأبشِروا وأمّلوا)، وركب كلّ واحد سيّارته، وركب أبو عبد الله سيارته مع أخٍ له يدلّه على الطّريق، وقبل أن ينزل الدّليل قبْل الهدف بمئة متر، حاوَل تقبيلَ يديْه، ولكنّ الحبيب أبى وودّع صاحبهُ، وانْطلق كالسّهم ليستقرّ بداخلِ مركزِ شُرطة (خان بني سعد) في ديالى، وقتَ مجيء دوريّة أمريكية، فأرسله بمن فيه من الأمريكان وعُملائهم إلى حيثُ قدّر الله لهم، عِلماً بأنّ جميع العاملين في المركز من حُقَراءِ الروافض ولله الحمد.

أبو خالد السوري (١١)

هـادئٌ أديبٌ، وقـورٌ حصـيف، إذا علِمَ عمِـل، سمّاع مِطْـواع، رحمه الله أبا خالـدٍ الفلسطينيّ، نعم فلسطينيٌّ فهو من سُكان مخيمِ حطّين بدمشق من أصلٍ فلسطيني، لكنه وكأبناء جيلِه وُلِدوا في الشّتات وعاشوا على حُلم العِزّة والتّحرير، لكن أبا خالد كان من أولئك النّفرِ القليل الذين تربّوا على منهج السّلف، وعلى سنَّة رسول الله عقيدةً ومنهجاً.

أقْبلَ أبو خالد مع ذلك الرّكب المَيمون، ركْبِ أبي خبّاب، ومع الفارسِ المقدامِ والبطل الصّنديد، والمقاتل المجرّب أبي حسن؛ ومع أنّ أبا حسن أكبرُ سناً من أبي خالد، إلَّا أنّه حسنةٌ من حسناته، فلمّا استُشْهد أبو خالد، رأيتُ أبا حسن كأنّه فَقدَ الدّنيا وما عليها، كان أستاذهُ وشيخَهُ وصديقَهُ، وموضِعَ سرّه ونصحِه، ولذا سَكبَ عليه الدّموع، وغمَسَ نفسه في العدوّ مراراً، رجاءَ أن يلحق بصاحِبه لكن حِكمة الله غالبة.

جاءَ أبو خالد وجلَس في بيت الشّهيد أبي عمر، وأقْبل على إخوانه نصحاً وإرشاداً، ثم أخذَ دورةً مقتضبةً في المتفجرات والتّشريك، وكان أبو خالد قَدِم لعملٍ إداريّ ما، لكنّه فاتحني برغبتِه الشّديدة في عملٍ استشهاديّ، وذلك بعدما استقرَّ في قلبه وعقْله أنَّ النّكاية به كبيرة، وأنَّ الميدان يُثبت أنّها الصّوت المسموع الذي يصمُّ آذان العدوّ، فلا يستطيعونَ لها كِتماناً، ولا لآثارها محواً، لكنّ أبا خالد حمّلني حِملاً تنوءُ الجبال بحَمْله، قال: (أنا أضَعُ هذا الأمر في رقَبتك، بحيث يكونُ الهدفُ فيه نكايةً للعدوّ، لا يمكنُ تنفيذها بغير ذلك).

ومضى أبو خالد يُعدّ الرّاحلة ويتجهّز للسّفر، أقْبلَ على ربّه وتغيّرت ملامِحُ الرّجُل، فصار وجهُه يُضيء كأنّه قِطْعة قَمر أو بريق فِضّة، وعيناه تُشعُّ بريقاً دافئاً وضياءً، تُقسِم لو رأيته أنّ للرّجل سراً مع ربّه أو عبادةً خاصة، أو أنَه يُقبِلُ على أمرٍ هيّأه له مَولاه،

وكيف لا والرّجُل جعل أنيسَهُ وجليسهُ كتابَ الله، يناجي مولاه، يطلُب منه التّوفيق والسّداد، ويرجو منهُ الثّبات عند اللّقاء.

وكان البيتُ مشحونًا بالشّباب المهاجرين، فطلب منّي رجاءً أن يذهب إلى بيتٍ يستطيع فيه الاختلاءَ بنفسه، فالوقتُ قصيرٌ والعِبءُ ثقيل، فوعدْته إن تيسّر لي ذلك، ثمَّ عُدْت بعدما اجتهدتُ فاعتذرتُ له قائلاً: (يا أخي، هذه طاقتُنا وطلبُك حقّ لكن اعذُرني)، وعذَرَنا الرّجل ومضى يُمهّد الطّريق لرحلته إلى مولاه، ويا لها من رِحلة، ويا لها من أوقاتٍ، جاءنا أمرُ التنفيذ على هدفٍ مهمّ وطاغوت مجرم.

كان الهدفُ بيتاً يأتي إليه جنرالٌ كبير من الـ(سي آي أي)، ويكونُ فيه عددٌ من الجواسيس، وحينما يأتي تكونُ معه حراسةٌ مشدّدة، وتمَّ رصدُ البيت وتحديدُ أسلوب العمل.

وكان اجتهادُ الإخوة نسْف البيتِ بمن فيه من أمريكانَ وعملاءَ ومعدات ومستندات، وجهّز الإخوة لذلك سيّارة مفخّخة، وكان الهدف وحسْب الاستطلاع يأتي إلى البيت تقريباً يومياً ويجلس ساعةً واحدة في البيت وينصرف، ويكون ذلك حسْبَ مِزاجه فليس له ميعادٌ معين على الأرجح.

فتهيّأ أبو خالدٍ، وتهيّأ معه إخوانُه مجموعة الرّصد، وذهبْنا في اليوم المحدّد، وانتظرنا الهدف من السّاعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، آخرُ موعدٍ لمجيئه ولكنّه لم يأت. ذهبنا في اليوم الثاني ونفسُ الأمر لم يأتِ، فقررْتُ توقيف العمليّة حتى حين، لكن جاءت الأوامرُ بالاستمرار في المتابعة والتربّص بالهدف، وفي حالة جاهزيّة كاملة، بمعنى أن يبقى الأخُ الاستشهاديّ ومجموعةُ الرّصد والسيّارة في مِنْطقة الهدَف من الساعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، وبالفِعْل ذهبنا في اليوم الثالث وانتظرنا ولم يأتِ الهدف، ورأيتُ أبا خالد قدْ بدا عليه التّعب، وكنتُ أتألَّم جداً وأتعجّب من صبْره وجلَده.

فالرجُل ينتظرُ في أيةِ لحظة تأتي مجموعةُ الرّصد وتقول له: بسم الله انطلقْ، فهو في كل لحظة يعيشُ مع الموت وهذا شديد. حتى نحنُ مجموعة التّرصّد تعِبْنا من الانتظار، لا

لشيء إلّا لأننا في حالة جاهزيةٍ قُصْوى وشدّ أعصابٍ وانتباهٍ كامل، نسألُ الله الأجْرَ والثّواب. وفي نهاية اليوم الثّالث تذكّرت قوْلَ النّبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، قال رسول الله ﷺ: "رباطُ يومٍ وليلة خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِه، وإنْ مات جَرى عليه عَملُه الذي يعمله، وأُجْري عليه رزْقه، وأمِنَ الفتّان".

فذهبتُ إلى أبي خالدٍ قائلاً: يا أبا خالد؛ أبْشِر، أبى الله إلّا أن يرزُقك أجْر الرّباط وأجْر الشّهادة، قال رسول الله ﷺ ...، وذكرْتُ له الحديث، فوالله لقَد رأيتُ البِشر يطيرُ من وجه الرّجُل ويتهلّل كأنما سُقْت إليه كنزاً مفقوداً، وفرِح بالحديث جداً، مع أنّ الرّجل كان يُعلّمه ويحفّظه، لكنّني ذكّرته به في موضعٍ هو في أمسّ الحاجة إليه. ولهذا شرّع الله النّصيحة للعالِم والمتعلّم قال تعالى: {وذكِّر فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين}، فذكّر غيرُ علّم.

وبعد أسبوعٍ من المراقبة علِمْنا أنّ الهدف لم يعُد يأتي، وغيَّر مكانه إلى موضعٍ مجهول ولله الحمدُ المنَّة على كل حال.

تمَّ تغييرُ الهدف، وقد تمّ رصدُ أول مركز شُرطة يُضرَب في العراق، وكان بؤرةَ فسادٍ وإفساد، حيثُ يوجد في منطقةٍ تشتهرُ بسَبِّ أمّنا عائشة رضي الله عنها جهارًا نهاراً، ناهيك عن الشّيخين أبي بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما.

وكان ذلك مركزَ شُرطة مدينة الصّدر، والموجود بحي جميلة فتمَّ رصدُ أكثرَ مِن مائة وخمسين حقيراً، ينتظمونَ في طوابير في ساحة المرْكز السّاعة الثّامنة صباحاً، وتمَّ تحديد يوم الخميس للتنفيذ، فجاء لي أحدُ الإخوة يقول أَجِّل الموضوع ليوم السبت، لأنَّ يوم الخميس يكون العددُ قليلاً، وكانَ ذلك بِحُضُور أبي خالد فقلتُ للأخ: لقد عزَمنا على أمرٍ والله يرزقنا، ثمَّ إنّ الغزو يوم الخميس جاء به أثرٌ. وبالفعل ذهبْنا للهدف، وقبْل اقتراب السّيارة من الهدف، ذهبْت لأتأكد من عدد الموجودين منه، فوجدتُ العدوّ ضِعْفَ ما كان عليه، وأنّهم اجتمعوا في هذا اليوم لقبْضِ الرّواتب، وكُنت قلتُ لأبي خالد: إذا وصلْتَ انتظِر حتى آتي إليك وأقول ادخل، فكأنّه لم يفْهم عليّ، وبينما أنا أمام

مركزِ الرّدة، إذ بمُرافقي من الإخوة يشيرُ إلي ويجري نحوي: (تعال تعال)، حتى لقد لفَت إلينا الانتباه.

فجئت إليه أقول: ما لَكَ فضَحْتنا فقال: (الأخُ أمامك ذاهبٌ إلى المركز أُنْظر)، فوجدتُ أبا خالد انطلق نحو المركز بهدوئه المُعتاد، وكأنّه في نزهةٍ مع أهله وأولاده، فلمّا رآني أمام المركز ذهَبَ ودارَ دورةً كبيرة ثم عاد إليه، وكنتُ قد رأيته متجهاً نحو الباب بادئ الأمر، فلمّا ذهبْتُ بعيداً لم أسمع الصّوت، فأصابني همٌ وغمٌ كبيران لا يعلمُ بهما إلّا الله، وكان يقودُ السّيارة، الفارسُ المجهول والبطلُ الصّنديد سابقُ الذّكر، فخشِينا، أن تكونَ السّيارة لم تنفجر، أو أنَّ الأخ قُتِل قبل التنفيذ أو قُبِضَ عليه أو ...

فقلت للأخِ: ارجِع إلى المركز؛ فقال: (انتظر شويّة)، ومن فرطِ توتري قلتُ: ارجع وليكُنْ ما يكون، وحتّى نتدارك الأمر، فالأخُ يعرِفُ عدّة بُيوت لا بُدَّ من إخلائها إذا حصل مكروه، وبينما نحن في الطّريق إلى المركز، رأيْتُ كلّ شيءٍ حولي يرقُص إثْر انفجارٍ ضخم هزَّ وانتزع كلّ ما حولَه، فجَعل تلك السّاحة المشؤومة بمن فيها كأنها تنّور أو كأنها فوهة بركان.

وعلِمْت من مصادرنا الخاصّة بعد ذلك، أنّ عدد القتلى من الشّرطة بلغ مائةً وستين قتيلاً غير الجرحى، ولم يُصَبْ أحدٌ من المدنيين، لأنَّ الأخ بارك الله فيه فجّر سيارته داخل الساحة تماماً في وسَطِهم، وعلى الرّغم أنَّ الحراسة أمطرتْه بوابلٍ من الرّصاص، إلّا أنها كانت عليه برداً وسلاماً، فتابَع سيْره ونفّذَ هدفه، فرَحْمة الله على أبي خالد، وأسألُ الله أن يجمعنا به في جنّة صدْقٍ عند مليكٍ مُقتدر، وأسألُ الله أن يخلُفَه خيراً في زوجته وأولاده الثّلاثة، فالله لا يُضيّع أبداً أهل الشّهيد وهذا مُلامَسٌ ومجرّب ومؤكد، فهُم بعدَه في الغالب أحسَنُ حالاً في الدّنيا من أيام عائِلِهم، فما ظنّك بربٍّ ضحّى لدينه مولاه.

وكان الشّهيد قد تَرك معي رسالة لأهلِه، وأوصاني أن تكتُبَ أهلي أيضاً رسالة لزوجته تذكّرها فيه بالله، وأنّ الله لن يضيّعها، وأنّ مقاليدَ العباد بيده، قائلاً: (زوجتي صاحِبة فضْلٍ ودينٍ، لكنّ الزّوج له مكانٌ، وقدْ كان لي عنْدها مكانةٌ أخافُ على دينها

أن تقولَ ما يُحْبط به عملُها لشدّة حبّها لي)؛ فوعدْتُه ذلك، والله يحفَظ أعراضَنا وأوْلادنا من كلّ مكروه وسوء .

عُمر حديد (١٢)

علمُ أعلامِ الفلّوجة، وسيّدُ الشّهداء فيها -نحسبه كذلك-؛ ابنُها البار، وسيّدُها المُطاع، وقائدُها المغوار، مَنْ أمسَك بتلابيبِ المجْد، فَلانَ لهُ وانصاعَ، رغِبَت نفسُه بالعُلا، فلمْ يرْضَ بغيرِ عدْن، مهاب الجانبِ وليّنُ الجناح، اسمه على الأعداء سيفٌ صلتٌ، وعلى الإخوان سلسبيلٌ زلال، هو في النّاس شامةٌ، وعلى الجبينِ تاجٌ، إذا رأيتَه ذكرْتَ الله، واطمأنّت النّفس وارتاحَت؛ أسرعُ النّاسِ للنّاس خيراً، و أبعدُ النّاس طَلَبا.

هو (عمرُ حديد)، أو عُمر حُسين حَديد المُحمّدي، أسدُ الفلّوجة الّذي أخَذ بمجامِع البُطولة، واكتَسى بسِربال الهيبَة، هذا الجبلُ الأشمّ الذي جَعل من المدينة الصّغيرة للنّاس علماً، وبيْن الفخْر آية، وفي المجْد شرفاً، لم يسْعَ لشيءٍ من الذّكر ولا أرادَ الشّهرةَ يوما، ولا كان لها يلتفِتُ أو عليْها يبْكي، ولأجْلها يجِدّ ويسْعى كما يفعلُ الكَثير، لكن عِزّ الدّنيا والآخرة -نحسبُه والله حسيبُه- كان نصيبَه، وكيفَ لا وهو ابنُ العقيدةِ البارّ، وتلميذُها النّجيبُ، وداعيتُها الموفّق الصّادِع بالحقّ، المُبتلى في الله، الموحّدُ في زمانِ الظّلمة، والسّاعي لمسْح رُكام الغفلة، وذلك زمن الطّاغوت الهالكِ (إن شاء الله) سيّدُ البعْث صدّام حُسين.

حيث تعرّف حبيبُنا على الأخِ الدّاعية (محمّد شيشاني)، و بمسجد الفيّاض شكّلا أوّل مجموعةٍ للأمْر بالمعروفِ والنّهي عن المُنكر في عاصمةِ البِدَع ومهْدِ الخِرافة في تلْك الفترة (الفلّوجة)، حيثُ تمكّنت هذه المجموعة منْ تحطيم محلّات (الفيديو) الماجنة، وحِلاقة النّساء (والتي تُستخدمُ في الباطن لأعمالٍ أُخرى)، و أماكِن الخمور، ثمّ زحَفوا إلى القُرى المجاورة حتّى وصلوا إلى (الكرْمة)، لكن أبى الله إلّا أن يمهّد له فيبتليَه، واعتُقِل أحدُ أفراد المجموعة حيثُ اعترف بدورِ الشّيخ البارز وصاحِبه، فدوهما في أحد الدّور لكنّ الشّهيد البطل وصاحبَه تمكّنا مِن فكّ الحصار، بعد أن قَتلا أحد أزلام الطاغوت وجَرَحا آخرين؛

وهنا بدأت أوّل رحلات التّشرّد ودُروس الغُربة، فتنقّل بين مُدن العراق يطلُب الأمانَ، ويدْعو إلى الله.

وفي يومٍ من الأيّام جاءَ أحدُ أقاربِه وكان مسؤولا في الاستخبارات ذلك الوقْت، و قال له: (تعالَ معيَ ساعةً واحدةً وأنا أتعهّد أن ترجِعَ ولا تُطالَب أبداً، لكن شيئاً صوريّاً فقط، تُعلن التّوبة وأنّك بريءٌ من قتْل الجُندي وبعدها تنْجو). فنظر عُمَرُ إليه وقال: (بل انْجُ أنت بنفسكَ منْ عذابِ الله، إذا سألك على عمالَتك لهذا الطّاغوت، وأمّا أنا فمُرتاحٌ وناجٍ بحولِ الله والله غالبٌ على أمره).

وسقَط نظامُ البعْث، وبدأ القائد يبحثُ عن دَوره، لطُموح العقيدة بين جنْبيه، فذَهب إلى (راوة)، وهناكَ أسّس أولَ معسكرٍ للإخوةِ العرَب المهاجرين، مع الأخِ الشّهيد أبي محمّد اللّبناني وغيرهم.

ثمّ جاء إلى الفلّوجة، وقادَ أوّل معركةٍ ضدّ آلياتٍ أمريكية، استُشْهد فيها ثلاثةٌ من الإخوة ونجا هو وآخرُ من الموتِ بأعجُوبة، وعلِم الرّجُل ما هو مطلوبٌ منه، فبدأ بجمْع السّلاح بكافّة أشكاله وأنواعه.

ثمّ بدأ بأهْل بيته يعِظُهم ويُذكّرهم ويدْعوهم إلى الله، فلانَتْ له قُلوبهم ودانُوا له بالإمْرة والسّمْع والطّاعة، كبيرُهم وصغيرهم، ولَقد رأيتُ عمّه كابنِ عمّه صغيرَهم وكبيرَهم، الكلّ يقول: جاءَ الشّيخُ عُمر وراح الشّيخ عُمر، وإذا جلَس قاموا على خدمته -مع إباء منه-، وإذا تكلّم أسرَعوا في طلَبه وهذه منْ نِعَم الله عليه.

فما استُشهِد الرّجل حتى دَفن بنفسه أخاه الأكْبر (عبد الستير)، وابن عمّه الوفيّ (جاسمًا) طالبَ الشّريعة وغيرَهم. فللّه درّكم آل حَديد، وشرّفكم في الآخرةِ، كما تشرّفْتم بالدّين في الدّنيا.

أوّل مرّة رأيتُه كان يلبَس عباءةً، وعلى رأسِه (شماغ) وعقال، يتكلّم بأدبٍ ويبْتسم بحياء، فظننْت أنّه شيخٌ من شُيوخ العشائِر، فُذكر الشّعر وإذا به يقول منهُ الكثير، لكنّي

للأسف لا أحفَظُ منه حالياً شيئاً، ولعلّي أجمَع منه بعضاً بعد ذلك. فزادَ في عيني؛ أدبٌ وعلمٌ وجهادٌ وهيبة، فمِلْت على مَن بِجانبي وسألْته من الشّيخ؟، قال: ألا تعرِفُه..؟ قلت: لا، قال: هذا عمرُ حَديد من الفلّوجة. وهذه كانتْ بدايَتي معه، ثم بدأَت أحداثُ الفلّوجة الأولى، تلْك الأحداثُ التي شكّلت مُنْعطفاً جديداً في تاريخِ سيرَته وسيرةِ غيرِه الجهادية، بلْ في سيرة المدينة نفسها، حتى أنّه إذا ذُكرَت الفلّوجةُ ذُكِر عُمر، وإذا ذُكِر عُمر ذُكرت الفلّوجة، فهما وجهانِ لِشرفٍ واحد، كلاهُما أثّر على الآخر، بدءاً من أحداثِ مُديرية الأمْن و(القائمقامية)، وانتهاءً برحيلِ البطَل.

لكنّي أبدأ من الفلّوجة الأولى، حيث أُحبّ هنا أن أسجّل ما أظنّ أنه كان سبباً –والعلم عند الله– لعلوّ شأن الرّجل ورِفْعة منزلته في الدّنيا، وأسأل الله أن يرفعَ منْزِلته في الآخرة؛ وهو أنّه عندما اقتَحم الأمريكانُ الفلّوجة أوّل الأمْر، اختبأ أكثرُ النّاس في بُيوتهم، وبَدأ الوَجلُ يدبّ في أوصالهم، وخافوا على أهلِهم وأولادِهم وأموالهم.

لكنّ عُمر ما خافَ إلا الله، فذَهب إلى بيتِه، وأخذ يُحرّض أهْله وأبناءَ عُمومته ومَنْ معه، ثمّ حمَل رشّاشه وجَرى خلْفه أخوهُ عبد السّتير وأبناءُ عُمومته وعلى رأسِهم الشّاب جاسم.

فأسْرع النّاس إليهم: (ما لَكُم، مجانين؟، غطّوا وجوهَكم، الأمريكان–الجواسيس–!!)؛ والرّجُل يجأرُ بأعلى صوْته: (اخرُجوا يا ناس، دافِعوا عنْ أعراضِكم، لن يترُكوكم، اصدُقوا مع الله ساعة)؛ وأحسنُ النّاس من يأتي له بـ(شماغ) يغطّي به وجْهه أو شربةِ ماءٍ يروي بها ظمأه.

ورأيتُ والله الحُرقةَ على الدّين تملأُ عُيونه، والخوفَ على العِرْض يملأُ قلْبه، والجرأةُ في أمرِ الله سمْته. فقُلت؛ سبحان الله، صدَق ابنُ عبّاس لما تكلّم عنْ أبي بكر، فقال: (ما سَبَقكُم أبو بكرٍ بكثيرِ صلاةٍ ولا صيام، ولكن بشيءٍ وقَر في قلْبه). ولعل عُمر حديد وقَرَ في قلبِه حبُّ الدّين والغَيْرة على أهلِه، فلِذا ضحّى بنَفسه وأهله ولم يلْتفت.

ولكن سبحان الله القائل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}. فعلى قدْرِ البلاغِ تكونُ العِصْمة، كما قال الشّيخ سيّد قطب رحمه الله.

وعلى الرّغم من أنّ كثيراً من بُيوت الفلّوجة قُصِفَت ودمّرت برغم خلوّها حيثُ هجَرَها أهلُها وفرّوا، إلا أنّ بيتَ عُمَر والّذي كان مأوًى للمُجاهدين من المهاجرين والأنْصار ومقراً لطعامِهم ودوائِهم، فلمْ يُصَب بسُوء، بل إنَّهم قصَفوه أكثر مِن مرّة ولم يُصَب بِسوء بلْ دُمِّر ما حوله؛ فسُبحان الله.

بدأتِ المعركةُ؛ وشكّل عُمر مع الشّيخ أبي أنسٍ الشّاميّ وأبي عزّام وغيرهم القيادةَ العامّة للمعركة. وكان من نصيبِ عُمر، الإشرافُ العامّ أو الإمارة العامّة على أثْخن أماكِن الصّراع وأشدّها وطأة؛ (الجولان)، حيثُ حاول العدوّ مرّات ومرّات أنْ يدْخُل المدينة من جهتها، لأسبابٍ كثيرة أهمها:

- قِصَرُ المسافة بين مواقع العدوّ ومقرّ الجولان.

- طولُ خطّ الجبْهة من هذه الجهة، ممّا يصعُب على المجاهدين حمايته.

فوالله لقد كنْتُ في هذه الجبْهة، فلصوتُ عُمرَ في المعْركة بألفِ فارس، ورؤيتُه ترفعُ الرّوح المعْنوية وتزرعُ الثّقة في النّفوس.

أذْكُر مرّة أنّ مجموعةً من الإخوة ذهبت لمهاجمةِ أحدِ مواقع الأمريكان، وبلَغ الخبَرُ إلى الشّيخ عمر حديد، أنّ الإخوة محاصَرون، فجاءَ كأنّه الرّيح المرسلة يحمِل رشّاشه، وكان من نوع (ناتو– أبو الأخمص الحديدي)، وبدَأ ينشُر الإخوة ويزْأر فيهم: (لا بدَّ أن نخلِّص الإخوة، هيّا يا شباب)، وتقدّم بنفسه من أحدِ الجهات، وبدأ بتنسيق الجهات الأخرى حتى يسّرَ الله وخرَج الإخوة مُنتصرين بعد أنْ كانوا مُحاصرين.

وكانت نُقْطة الشّيخ عُمر دائماً محَلاً لِقصْفٍ دائِم ومستمر، فلم يتركوا فيها أرضاً ولا بيتاً، آخِرُهم كان البيتَ الذي يُستخدَمُ مخزناً للذّخيرة، وكان ذلك قبل انتهاء المعركة

بأيام، وكانت هذه الذّخيرة آخِرَ ما كان عنْدنا من عَتاد، فحزِنَ عُمر حُزناً شديداً، واشتكى إلى الشّيخ أبي أنس، فقال له: (يفرّجُ اللهُ يا عُمر)، وبعدَها جاءَ النّصْر والظّفر، وذلك بعد استِفْراغ الوِسْع في بذْل السّبب، فلمّا ذهَبَت أسبابُ الأرضِ، نزَل سببُ السّماء بفتحٍ مُبين.

ثمّ بدأ الشّيخ عُمر بعد الفلّوجة الأولى أهمّ مراحِل حياته، حيثُ بدأ يؤسّس لِبداية عصْرٍ من الخيرِ والبَركة، فشكّل مع مجموعةٍ من إخوانه (مجلس شورى المجاهدين)، والذي كان يأملُ أن يكونَ نواةَ حكمٍ إسلاميّ لمدينة الفلوجة، بل بدَأ عُمر وإخوانه يقومون بواجبِ الأمْر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقامَ بتنْحية شُيوخ التّصوف المذموم، الذين فرّوا من المدينة مع بداية الهُجوم الأمريكي، وقامَ بتعيين مجموعةٍ من الشّباب الموحّد، ممّا جعل عُمر عَرَضاً لسِهام هؤلاء الجبناء، فبدأوا يُلصقون به كلّ تُهمة، ويبرّئونه من كلّ حسنة، لكنِ الشّرفاء من أهل المدينة عرَفوه ناصحاً للناس حاكماً بينهُم بالعدْل، وإذا عُرِضت عليه مُشْكلة يأخُذ الحقّ من الظّالم مهْما كانَ حجْمُه وقدْره.

ومن مآثر عُمر المعروفة أنّه لمّا شَعَر بأنّ فيْلق الفلّوجة مِن الحرْس الوثني، بدأتْ تظهرُ منه رائحةُ الغدْر و الخيانة، هجَم على مقرّاته، وقبَض على رؤوسهم، ثمّ أعدَمهم واسْتولى على مقرّاتهم بما فيها مِن سِلاحٍ وعتادٍ ولباس، وطهّر المدينة من دَنَسهم؛ ولِحُزن الأمريكان عليهم، قامَ هؤلاء الغُزاة بعمَل لوحةٍ ضخْمة أمامَ أحَد أهمّ قواعدهم، عليها صورةُ آمِر الحرْس الوثنيّ بالفلّوجة. ثمّ استمرَّ عُمر يُعدّ ويُجهّز لِغزْو مُحتمل من الأمريكان، بدْءاً مِن تجهيز وشِراء السّلاح، وسدّ الثّغرات، وأُسنِدت إليه مرّة أُخرى قيادةُ الجولان.

وجاءت أحداثُ الفلّوجة الثانية، وكان موْقِعه كما أسلفْنا بالجولان، وكنْتُ بحي نزّال مع الشَّيخ أبي عزّام، وعبد الهادي وأبي رَبيع، وآخرينَ مِن المهاجرين والأنصار، و بدأتْ أخْبار الجولان تأتي إلينا غيرَ سارّة البتّة، وكان آخرُها ألماً أنّ عُمر حديد قد قُتِل، فتألَّم الجميع وصارُ الحُزن سيّد الموقف.

وفي صبيحةِ يومٍ مُشْرق، أطلّ علينا عُمر وقد أُصيبَ في ظهْره وكتِفه الأيمن، يحمِلُ رشّاشه، و في هذه المرّة (إم ١٦) الأمريكي فكبّرنا جميعاً، وسجدْنا لله شُكرا، ثمّ حكى لنا قصّة إصابته وكيف استطاع مع إخوانه فكّ طوقِ الحِصار المفروض عليه، وجاء إلى حي نزّال، ومن هذا الحيّ بدأ عُمر يُمارس دورَه القياديّ، فعلى الرّغم من إصابته وصُعوبة حركته، كانت إذا استعصَت مِنطقةٌ أرسلناهُ إليها لسبب هامّ؛ أنّ الإخوة إذا رأوه يتحمّسون ويتشجّعون ويكونُ الإقدام شِعارَهم ومنهُم منْ يستحي منه، ثمّ إن عُمر كان صاحِب سرٍّ في هذا الأمر واللهُ بهِ عليم. واقتحم الأمريكان حي نزّال، وقاتَل عمرُ قِتال الأبطال، وتفرّق الإخوَة مجموعاتٍ، فذهبْتُ مع مجموعةٍ وذهبَ هوَ مع أُخرى، ثمّ جاءَ مع محمّد جاسم العيساوي (أبي الحارث)، وآخرينَ والبَسْمة تعلو وجهه قائلاً: (إنْ شاء الله النّصر لنا، نهزمُهم إن شاء الله، إنّا نطْمعُ فيما عند الله)، وكُنْت أعلم أنّه يعني الجنّة، ثمّ بدأ القتال يتم في أنحاء حي نزّال فبدأنا ننحازُ منْ بيتٍ لِبيْت.

وفي هذِه الأيّام انْحازَ الإخوة ولمْ أستطع أنا وثلاثةٌ منَ الإخوةِ أنْ ننْحاز لأسبابٍ كثيرة؛ ونَظَر عُمر إلى البيْت الذي كُنْت فيه، فجُنّ جُنونه، لأنّه رأى القنّاصة فوق سطْح البيْت وخافَ عليْنا خوفاً شديداً، فأخَذ سِلاحه الـ (إم ١٦)، وبدَأ يقنُص عليهم، فقَنَص الأوّل ثمّ قنَص الثّاني، و على إثرِها فرّ الجُبناءُ منْ سطْح البيت، ممّا سهّل خُروجنا بحَوْل الله من المنزل.

ثمّ جاءَ (نداءُ المرأة) كما يعرِفُه منْ كانَ في حيّ نزّال، والذي أمَروا فيهِ بخُروج كلّ حيّ منَ المدينة إلى أماكِن حدودها. فعَلِم الجميعُ أنّ الموْت قادِمٌ لا محالة، وأنّ الجُبَناء سوْف يستخدمونَ أساليبَ قذِرة.

وبالفِعْل، استُخْدمت الغازاتُ السّامّة والحارقة، وما كَشفوهُ مؤخّراً مِنْ مَوضوعِ الفُسْفور الأبيضِ غَيْضٌ من فَيض.

وبدأ عُمر ينْحازُ من مكانٍ لآخر، حتّى استقرَّ به المَقامُ في أحدِ البُيوت معَ أكثرَ مِن عشرةٍ مِنَ الإخوة. وإذا به يشعُر بالأمريكانِ يحاولون اقتِحامَ المنْزل، فصَعِد على السّطح

وبدأ في الاشتباك مَعهم، لكنّ طلقةَ قنّاصٍ كانَ مختبئًا في بيتٍ مُقابلٍ أصابتْه في رأسه، فترجّل الفارِس، وإنْ صحّ التّعبيرُ، فركِب الفارسُ جَوادَه ليصُولَ بِه ويجول في عَلياءِ المجْد والشّرف و يمرَح به في جنات عدنٍ عند مليكٍ مقْتدر، نحسبُه والله حسيبه.

وأصابَ الإخوة بعدَه ما أصابهُم، لكنّ الجميعَ احتسبَه عنْد الله، فقدِ ارتاحَ منْ هذه الدّنيا وتعبِها. ومِنْ جَميل الأشياءِ أنّ الأمريكانَ استخْدَموا في حربِهم هذه كلّ وسيلةٍ كعادتهم، ومنها الحرْبُ النّفسية.

وموْضِعُ الجَمال في القصّة: أنّه كثيراً ما كانوا يُنادونَ في مكبّرات الصّوت: (اخرُجوا، سلّموا أنفُسكم، إنّكم مُحاصَرون، سنُبيدُكم، لقدْ فرّ قادتُكم، لقدْ ترَكوكم، عُمر حديدُ الجَبان فرّ وترَككُم، طلَب الحياة وترككم تموتون...).

فيسْمعُها عُمر ويضْحكُ، والإخوةُ منْ حولِه يضْحكون، ويزْدادونَ ثباتاً ويَقيناً فيما عنْد الله، {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

وأذكُر مرّة أنّهم قالوا فيما قالوا: لقدْ جِئناكُم بأسْلِحة مُدمّرة، سوفَ تَحرِق الأرضَ عليْكم و تُمطِر السّماءُ ناراً، عِندنا قوّة جبّارة لا طاقةَ لأحدٍ بها، فضَحِكْتُ والله ساعَتَها مِن صميم قلْبي، وقلْت لإخواني: (أبْشِروا، فوالله هذا الكلام بعده الفرجُ القريب). فما تأخّر والحمد لله، وفي الخِتام أسألُ الله ألّا يحرِمَنا منْ عُمر وإخوانه في الجنّة، وأن يرزُقني بحبّه وحبّ أمثالِه ما أطمعُ به فيه، والله المُستَعانُ وعليهِ التُّكْلان.

أبو فارس الأنصاري (١٣)

هو القائد الهُمام والبطلُ المِقدام، الجريءُ الشّجاع، رجلُ المواقف الصّعبة والبطولات النّادرة، أعني أبا فارس (عبد الستّير محمّد فرّاس)، من جزيرةِ الرّمادي من البوعبيد، والكلامُ عن هذا الجبَل يطولُ ذِكرُه مع أنّه يصعُب وصفُه، لكنّي مع أبي فارسٍ ازددْتُ يقيناً أنَّ السّبْق سبْقُ صِفة، لا سبْقُ زمان، فأبو فارسٍ مهْنتهُ قبل الالتزام نقيبٌ بالاستخبارات، استقامَ بعد سُقوط نظام الطّاغوت صدّام، وحقاً صَدَق فيه قولُ النّبي ﷺ: "خيارُكم في الجاهليةِ خيارُكم في الإسلام، إذا فَقِهوا"، عرفَ أبو فارس التّوحيد وشربهُ وتعلَّم دُروسه في ساحة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ففهِم الدّرس ووَعاهُ، وبدأ يُطبّق حُروفه ومعانيه، ثمَّ استقامَ مع قول الله تعالى: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}.

ورأيتُ أبا فارس أوّل ما رأيتُه في بيتِهِ بالجَزيرة، لأوّل وهلةٍ ظننْتُ أنّه فلّاحٌ ليس لهُ حظٌّ من الدّراسة والتّعليم، إنْ جلَس النّاس على الأريكةِ جلَسَ على الأرض، خادِمُ القوم إذا أكلوا، رأيتُه يسْعى بين يَدَي إخوانه وفي خِدْمتهم، وكأنّه مَوْلى لهم، هذا وكنت أظنُّ أنّه كبيرٌ في السّن نظراً لصلَعِ أكل مُقدّمة شعرِ رأسه، فلمّا سألْته عن سِنّه، قال إنّه مواليد عام ١٩٧٠، ثمَّ علِمْت من أخيه الشّجاع الجريء سعد، أنَّ أخاهُ الأكبر أبا فارس كان نَقيباً بالاستخبارات، فقلت: سُبحان الله، والله كأنَّ هذا الرّجل لم يُدرك جاهليةً قطّ، يا سُبحان الله! هلْ هذا كانَ في الاستخبارات؟ ومنْ أربعةِ أشهُرٍ التزَمَ، سُبحان الله فهوَ يقسّم الأخلاقَ كما يُقسّم الأرزاق، وأشْهدُ أنَّ أبا فارس كان غنياً، ثمَّ رأيتُ أبا فارسٍ الشّجاع الجريء والقائدَ الذي لا يُشقّ له غُبار، حيثُ كان يقولُ عنه أحدُ إخوانه: أبا فارسٍ تخافُ الطّلّقةُ ولا يخافُ.

أشْرَف الشّهيد القائدُ بنفسه على كثيرٍ من العملياتِ الهجوميّة، ويرْجِع الفضْلُ لله ثمّ لرجالٍ من أمثالِ أبي فارس في تحويلِ مَسارِ الجهاد في العراق، حيث عَطَف به عطْفة

ولَوى عنُقه إلى حيث لا توقّف ولا نهايةَ في العراق وغيره، فكان أبو فارس قائداً ومُخطّطاً لأهمّ عمليّة غيّرت مجرى الجهادِ في العراق عامّةً وفي الفلّوجةِ خاصّة، حيثُ إنّه كان المخطِّط والقائدَ لعمليّة اقْتحام الفلّوجة الأولى، والتي تُسمّى هنا عمليّة مُديريّة الأمْن والقائمّقامية، حيثُ تمَّ سدُّ منافذِ الفلّوجة واقتحَم مع إخوانه مديريّة الأمن، وقال لي إنه عند اقتحامِها وعلى مدْخلها وجَدَ ضابط شُرطة من فرْطِ خوفِه وجُبْنه نائمًا على الأرض يبكي ويصرُخُ قبل أن يُطلق عليهِ رصاصَة واحدةً في رأسه، وليسَ المقامُ مَقام وصْف هذه العمليّة، لكن المقصودُ هنا أنَّ هذه العمليّة جرَّأت الإخوةَ على احتلال المُدن، وكانتْ تجربةً مهمّة في اختبار الذّاتِ ومعرفةِ مواضع الخلل والتّقصير، كما أنها أدَّبت جِهاز الشّرطة بالفلّوجة، بحيث أنّه أصبح يؤرَّخ لها؛ يقولُ النّاس: هذا العملُ قبْل أحداثِ الشّرطة وهذا بعْدَه، حتى إنَّ مجْلس الأمن الأمريكي اجْتمع ليدرُس آثارَ هذه المعركة ونتائجَها، وللعلْم فقدْ أُصيب بَطلُنا في هذه العملية بطلقةٍ في فَخِذه، ما جلس لها يوماً واحداً على فِراشه، فكنْتُ أراه يسعى في خدمة إخوانه ويجرّ رِجْله، فأقول: استرِح يا أبا فارس، فيقول: (هي بسيطة وأنا مو تعبان).

ثمَّ شارك البطلُ؛ أقصِدُ قادَ البطل عدّة عملياتٍ بعْدَها، وأذكُر أنّه كان في عمليّة فُنْدق شاهين، وكانت السّيارة المُفخخة سيّارةَ إسعاف، وكان هو الذي يقودُها بعد تفْخِيخها إلى منطقة الهَدف، ولعدة مراتٍ يذهبُ بها ويرجِع، ولم ألْحَظ عليه أبداً أدْنى ارتباكٍ أو خوف، وأذْكرُ أنّه في إحدى المرّات حَدَث اختناقٌ مروريّ، فما كان مِن البطل إلَّا أن شغّل بوقَ الإسعاف وفتَح لنفسه الطّريق، وهو يضحكُ رحمه الله.

عمليةُ فنْدق شاهين، تلك العمليّة الجريئة الموفّقة، والّتي حَصَدت العشراتِ مِنْ ضُباط ومحقّقي الاستخبارات الأمريكيّة، وجاءَ على رأسهِم المسؤولُ عن استخبارات الشّرق الأوسط، ولكنْ كالعادة أُحيطت نتائجُ العمليّة بالتّكتيم. ثمَّ قادَ البطلُ مجموعةً من المهاجرينَ والأنْصار، واختارَ لهم مكاناً في الصّحراء جيّدَ التّمويه، وأذكُرُ أنّي جلَسْت مع هذه المجموعة أسبوعينِ في الصّحراء، فوالله لم أرَ قطّ أشْجع ولا أكثر أُلفة ومحبّة وترابطاً منهم.

رأيتُ بعيني حِرصَ القائدِ أبي فارس على إخوانه، حيثُ شارَكْتُ معه مرةً في غزوةٍ لقَطْع الطّريق السّريع على دورية، حيثُ كانت هذه مهمَّتهم، قطعُ السّريع وإصابَتِه بالشّلل، والسَّريع أقْصدُ به الطّريق السّريع الذي يربُط بغدادَ بالحُدود السّورية والأردنيّة.

فرأيتُ الرَجُل يذهبُ بنفسِه أولاً، يستطْلِع ويحدّدُ المكان الأنْسَب للكمين، ويرْسُم بدقّة ويعْلَم مكان كلّ مجموعةٍ وأميرهم، وخطَّةَ هُجومهم وانْسِحابهم، وطريقَةَ الاتّصال بين المجموعة، وشَفْرة الهُجوم، وإذْن الانْسحاب وترتيبَ السّلاح منْ حيثُ بدأ الإطلاقُ، ولونَ الملابسِ والأحذية المستعملة، وحتّى تمويهَ السّيارات، ابتداءً بلونِها وانتهاءً بإزالةِ الأضْواء الدّاخلية والخلْفية، وحيث أنَّ العمليّة كانت ليلاً ولم ينسَ أبو فارس علامات الطّريق والدّليل والمسافة بينَ كلّ فردٍ وآخر، وبين كلّ مجموعة وأخرى وإلى غير ذلك؛ ما يدلُّ على ذكائه وخبْرته وحُسْن ترتيبه، وقد كان كذلك.

ثمَّ تطوّرت أحداثُ الفلّوجة، واتّخذ الإخوة قراراً بمنْع دُخول الأمريكانِ إلى الفلّوجة، وذلك بعد عمليّة تغيير القُوّات في منْطَقة الأنبار، واستبدالِهم بقوّات (المارينز). وصدَرت الأوامر إلى المجموعاتِ، ومنْ ضمنهم مجموعة أبي فارس، بمُغادرة الصّحراء والمجيء إلى المدينةِ والبَدْء مع إخوانهم في حراسةِ المدينة ليلاً والكمينِ نهاراً، وظلَّ هذا الوَضْع هكذا حتى حدَثت العمليّة التي هزّت العالم، عمليةُ مقْتل ضبّاط التّخطيط الأمْريكي الأرْبعة، والمسمّين زوراً بالمقاولين. ورأيْتُ بعيني كيف يجُرّهم حمارٌ في شوارِع الفلّوجة، ذلك بعد أن عُلّقوا في إشارةٍ ذكيّة على الجِسْر الحديديّ، والذي بناهُ الإنكليز وهو أهَمُّ وأقدم معالم المدينة.

وأذْكرُ يومها أنّي كنتُ جالساً في إحدى المحلّات بالصّناعة، فرأيت البَطَل الشّهيد الحاج ثامر -سابِقَ الذّكر- يدخلُ عليّ والبسمةُ تملأُ وجْهه والفرْحة تعبّر عن نفسها، ثمّ قال: انظُر... ورمى لي برُزمةٍ منَ الأوراق، فتصفّحتُها بسرعة، وإذا بها جوازاتٌ أمريكية وبطاقاتُ ائتمانٍ لبُنوك أمريكيّة بدوْلة الكويت ورأيت ختْم دخول الكوَيت لأحدهم منذُ خمسة أيام وأظهرت الترجمة أنَّ القتلى الأرْبعة ضبّاطُ تخطيط وتدْريب، جاؤوا في صُورة

مقاولينَ ليَضَعوا الخطّة العبْقريّة، لكيفيّة اقتِحام الفلّوجة، فكان في انتظارِهم بائعُ خُضار سَحَلهم بحِماره الذي يجرُّ به زُبالة السّوق بعد انتهاء العمل.

وتسارَعتْ وتيرةُ الأحداث، وهجمَ الأمريكان على الفلّوجة، وبدؤوا الهُجوم من جِهَة الصّناعة ولأنها المكانُ الأضعفُ للمُجاهدين لصعوبة السّيطرة عليها من قِبَل المجاهدين، حيثُ إنّها حيٌ صناعيٌ كبيرٌ مكشُوف جداً للطّيران وليس به سكّان، يسهُلُ ضربُ أيِّ هدفٍ متحرك فيه. و باللّيل وفي السّاعة الثّانية، اشتبكَتْ كتائبُ المجاهدين مع الأمريكان، وحمي الوطيس، وثبَتَ المجاهدونَ وفدَوا الدّين بأجسادهم، وتقدّم الأبْطالُ وليس لهم دروعٌ إلّا صُدورهم الممتلئة باليقين والإيمان، ولسان حالهم (فلا نامتْ أعيُن الجبناء) وأمْطَر الخنازيرُ المجاهدينَ بوابلٍ من الطّلقات والقنابلِ العُنقودية، وأُصيب بَطلُنا القائد إصابةً قاتِلة فقادَ سيّارته بنفسه، واتّجه إلى المستشفى وفي الطريق قابَلَه الشّهيد البطلُ والأسدُ الكبيرُ جمال من الخالدية، فقادَ السيّارة مكانه وأجْلَسه في صندوق السيّارة حيْثُ اشتدّت آلامُه، وأمامَ باب الـمُستشفى جاء الأمريكان من كلّ حدَب وصوْب ونيران أسلحتهم تحرق كل شيء، واختَرَقَت جسدَ القائد البطل عدّة رصاصات لتُعلِن له بدْءَ حياةٍ جديدة خاليةٍ من كل كد ونصب. وليبْقى أبو فارس مَثَلاً يُحتذى وجبلاً أشم وكانت المفاجأة في الوصية التي ترَكها فبعدَ نصحه لزوْجه وأولاده، أوصى ألا يسيرَ أخٌ له يعْمَل شرطياً في جنازته ويقول هو بريء من كلّ مَنْ يسمح له، ولتعلم الدنيا أن أبا فارس معلّم خيرٍ وإمامُ هُدى ومِصباح عقيدة حيّاً وميتّاً فرحمك الله يا أبا فارس، فلَقد فُجِعنا فيك والله كثيراً، فلمْ تَر عيْنٌ مثلك وما زال مكانك شاغراً، أسأل الله أن يعوِّضنا فيكَ خيراً وأن يرْفَع درجتَك ويُعْلي منْزلِتك كما رَفعْتَ راية الجهاد والتوحيد عالية، آمين.

(كراج) الشهداء (١٤-١٥-١٦)

(الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٤)

جليبيب المهاجر (١٤-١)

الحمدُ لله على كلّ حال، فلا يُحمَد على مكروهٍ سواه، فقدْ يأتي الخيرُ مِن جِهة المكروه، وقد يهبِطُ الشّر معَ عيْن المحبوب، {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}، أكتُبُ هذه الكلماتِ وقدْ عُدت لتوّي من كراجِ الشّهداء، كما سمّاه لي أبو مُصعبٍ المُهاجر، وبعْدَما لاحَ الصّباح وتكشّفت معه جريمةُ المُحتلّ، أكتُب وبينَ يديّ ملابسُ الأبْطال الشّهداء المُمزّقة، وقدِ اختلَطَ كثيرٌ منها بالدّماء، فها هيَ سوداءُ في بيضاءَ (شماغ)، قدْ رُسِمت عليه بُقعٌ من الدّماء كأنّها زهورٌ في أرضٍ جرْداء. وها هوَ قميصٌ أبْيضُ علَتْه بُقْعةٌ حمْراءُ، بُقْعة دمٍ طاهرٍ مِنْ شهيدٍ، وبنطلون وغياراتٌ داخليّة وأحذية...

جمعْتُ هذه الملابسَ حتى أغسِلَها وأُعيدَها إلى بقيّة المرابطين كي يَنْتفعوا بها، والحقّ أنّ نفْسي تُراودني أن أدَعَها ذكرى (كراج) الشّهداء، ولكي أنْظُر إلى هذهِ الكومة منَ الملابس كلّما قَسا قلْبي، أو لانَتْ عزيمتي، المُهم أنّني لمْ أحْزِم أمْري بعْد.

أكتُبُ هذه الكلِمات، ومنظرُ تَطايُر (الكراج)، أحْجارِه؛ حديدِه؛ حيطانِه وسقْفِه أمامَ عينيّ، منظرٌ مُريعٌ ومُهيب، ففي وسَطِ هذا الرّكام أشارَ إليّ أبو ناصر البَطَل قائلاً: هُنا كان أبو مُصعبٍ الشّهيد، وبِجواره هذا الجُزْء من الحائِط، سَقط على رِجل أبي تُراب، لكنّ الله سلَّم، وخرج أبو تراب بخير؛ أميرُ المجموعةِ المُرابِطَة حِذاءَ العدوّ.

وأصْلُ الحادثةِ، أنّه في حوالي السّاعة السّابعة مساءً جاءَ رتْلٌ أمريكيّ مُسْرعاً، وتقدّم جِهة نُقطةِ النُّعيميّة حيثُ توجد للإخوةِ نُقطةُ تفتيشٍ هناك، ثمّ صَبّوا جامَ غَضبِهم على مكان السّيطرة، ولكنّ اللهَ سلّم، ولمَ يُصَب أحد، وانتَشر الإخوة حِذاء العدوّ، واستعدّوا لصدّه ودحْرِه، كما دَحَروه من نفسِ المكان بالأمس.

وبَدأ الإخوةُ ينتَشرون في جميع أنحاءِ المدينة، ويأخُذُون استعدادَهم، وعلى رأْسِ مَنْ أخَذَ استعداده؛ مجموعةُ الصّناعة، وهيَ بإمرَة القائد عبدِ العزيز مِن بلادِ الحَرمين، حيثُ تكفّلَت هذه المجموعة البَطَلة بحماية أهمّ ثُغور المدينة وأخطَرِها من الجهة الشّرقية، حيثُ يبْعُد مكان الإخوة عن العدوّ حوالي مائةٍ وخمسينَ مِتراً تقريباً، وواضحٌ من كثرةِ الاشتباكِ مع العدو أنّه كان مرصوداً تماماً منْ قِبَل الأمريكان، فلا يوجَدُ خِرم إبرةٍ فيه آمنًا، والموتُ يُلحّ على كلّ فردٍ فيها صباحَ مساء، فاليوم أبو زُرْعةَ جريحٌ، وبالأمْس أبو محمّد شهيدٌ، وهكذا دَواليْكَ منْذ تحمُّل الأبطال هذا العِبْءَ، هذا والعدوّ يقصِفُ المكان بصُورةٍ مُستمرّة ومتقطّعة، وفي بعضِ الأيام يجْعلُ المكانَ كلّه كأنّه جمرةٌ مُلْتهبةٌ تتطايرُ فيه الشّظايا في كلّ مكان.

منْذُ مدّة حكى لي أبو عُبيدة اللّيبي يقولُ لي: بينَما القَصْف يأتينا من كلّ مكانٍ، وصواريخُ الطّائرات الحرْبيّة والقاذِفة (سي١٣٠) تُدمّر كلّ شيْء حوْلَنا، جريْتُ أنا وبعضُ الإخوة واختبأنا بجوارِ حائطٍ، فإذا بِصاروخٍ ضَخْم ينْزل في البيْت الذي احتَمينا بجِواره، حتّى إنّ صوْتَه كادَ يخْلَع قُلوبَنا، هذا بالطّبع بعدَ أنْ أصمّ آذاننا.

قال: وفي لحْظة الانفِجار طارَ الحائِطُ الذي اختبأنا بجانِبه، قال: كأنّه شريطٌ تلفزيونيّ، عَلانا الحائطُ حتى إذا تَشَهّدْنا واستَعدّ كلّ واحدٍ منّا للموْت، إذا بالحائطِ ينْزِلُ بَعْدنا، ولمْ يُصَبْ أحدٌ منّا بخَدْشٍ واحِد.

وفي نَفْس اليوْم حدّثَني أبو ناصر، قالَ: وبيْنَما كُنْت أُصلّي وأحَدُ الإخوة الأبطال، إذا بقذيفةِ دبّابة تُدوّي جانِبَنا، فاختَرَقَتْ شظيّة مُلتهبةٌ يدَ صاحبي، وخَرَجت من الجهة الأُخرى، وقدْ رأيتُ أنا الأخ بعْدَ رُبع ساعةٍ منَ الحادِثة يُضمّد جُرْحه ببيْت الجرحى، وهو يقوْل: (بسرعة...)؛ فما أنْ أنْهى الأخُ تَضميدَه حتى حَمل سِلاحه وعاد إلى أرضِ المعركة.

وحادثةٌ أُخرى يحكيها ليْ أبو ناصر، وأراني مكانَها، وهذا قبْل يومٍ واحدٍ مِنْ حادث (كراج) الشّهداء، يقول: (بيْنَما نحنُ نصلّي المغرِب أمامَ هذا المنْزل، ومجموعةُ –فلان–

في هذا المنْزل)، وأشارَ لي لِعدّة منازل تحيطُ بساحةٍ صغيرة. قال: (بينما نحنُ نُصلّي إذ بصاروخٍ موجّه ضَخْم يُدوّي في المِنطقة، حتى كادَت تنْفجرُ طبَلة أُذني. فذَهبْتُ ورأيتُ المكان، مكانَ الانْفِجار، والله يا إخواني لا يُصَدّق أنّ انفجاراً كهذا ينْجو مِنْه أحدٌ على بُعْد كيلومترات، فضلاً عنْ أنْ يكونَ على بُعْد أمْتار. رأيتُ حُفْرة عميقةً بقُطْر عَشْرة أمتار، وعُمْق ثلاثةِ أمتار، قدْ خَرَج مِنْها الماء، وكانَ الصّاروخ سَقَط في وسط مجموعةٍ مِنَ الأشْجار، فرأيتُ نَخْلة قدْ رماها الانْفجارُ بعيداً، كأنّما خُلِعَت من أُصولها بِعنايةٍ فائقة، ورأيْتُ أبْعدَ مِنْها شجرةَ كافورٍ قد اجتُثَّت مِنْ أُصولها، هذا ولمْ يُصَب أحدٌ بأذى).

وفي ليلةِ كراجِ الشّهداء، وبعْد المَغْرب بِساعة، مَرّ عليّ القائِدُ الشّيخُ أبو مُصْعب، فوجَدَني مُتأهّباً للخُروج، فقال: (عندَكَ شيء؟) قُلْت له: (إلّا أنْ أذْهَب مع الإخوة، فذَهبْنا جِهَة سيْطرة النُّعيميّة، واقتَرَبْنا حتى كنّا على بُعد مائتي مِترٍ منَ الأمريكان، فقُلْت له: الآن يضْرِبوننا، نَدْخل من أمامِهم إلى هذا الشّارع أحسَنُ، فنحْنُ على مرْمى حجَرٍ مِنْهم)، وبالفِعْل دَخلْنا، وبينَما نحْنُ ننْتَقل من مكانٍ إلى آخر، رأيْنا لهباً ضَخْماً أضاءَ المدينةَ كلّها، ثمّ سمِعْنا صوْتاً مُدوّياً يأتي مِنْ جِهَة الصّناعة، وفيْ نفْس اللّحظة سمِعْنا صوْتَ طائرةٍ حرْبيّة في سماءِ المدينة، فعرَفْنا أنّه قصْفُ طائرة، فاتّجَهْنا للْمَكان حيثُ قابَلَنا أحدُ الأبْطال، وأخبرَنا أنّ الصّناعة قُصِفَت بالفِعل، وقُصِف أحدُ مقرّات الإخوة، فقُلنا: إنّا لله وإنّا إليه راجِعون، ووجّه القائِدُ الإخوة لإنقاذِ إخوانِهم، وتمّ إرسالُ رافعةٍ لإنقاذِهِمْ مِنْ تحت الأنْقاض، واتّجه الإخوة مِنْ كلّ مكان لمُساعدةِ إخوانهم في رَفْع الأنْقاض.

وحَكى أبُو ذَرّ الفِلسطينيّ، وهو كانَ مِنْ نفسِ المجموعةِ المُرابِطة في المكانِ، قال: (جاءَ صاروخٌ فسَقَط في هذا المصْنع)، وأشارَ إلى مصنعٍ أمامَ (الكراج) فأحْرَقه وسَقطَ بجانب السّاتر التّرابي صاروخٌ آخرُ، ثمّ جاءَ إطلاقُ نارٍ كثيف.

وفي تِلْك الأثْناء كانَ الإخوةُ مُنْتشرين، ولكِنْ بالسّلاح الخَفيف، فقال قائدُ المجْموعة أبو تُراب: (يا شَباب خُذوا كامِلَ أسلحتكُم واسْتعدّوا)، فذَهب أكثرُ منْ عَشْرةٍ مِنَ

الإخـوةِ إلى مخْزن السّـلاح، وهـوَ عِبـارةٌ عَنْ مخزنٍ في (كـراج)، وبينْـما هُمْ في المخْـزن، أحَـدُهم يحمِـلُ قاذِفَتـه، والآخَـر يهُمّ بالخُروج حامِلاً (البيكاسـي)، وثالثٌ يحمِـلُ صـواريخَ قاذفَة ورابعٌ بقذائِفِ الهاون.

بينْـما هُمْ على هـذا النّحـو، جاءَ صـاروخٌ ضـخْمٌ على نَفْس المكـان، فسَـقَط السّـقْفُ عليْهم جميعاً، استُشْهِد في الحالِ سبْعةٌ، وتمّ إنْقاذُ أرْبعةٍ بأعجُوبة كبيرةٍ، على رأْسِهم أميرُ المجْموعة أبو تُراب، والحَمْد لله على كلّ حال.

هذا؛ والإخوةُ ما زالوا مُرابِطين في المكان، وفي نفْسِ النّقْطة، وذَهبْنا جميعاً، فالثّغور لا قَدّر الله لو استَوْلى عليها الأعداء، نفَذوا إلى الحيّ الصّناعي بأكْمَله، ومِنْه إلى الفلّوجة، لكنّ شَباب المهاجرين والأنْصار للأمريكان بالمِرْصاد، والقوّة بالله العزيز الحكيم، ولنْ تَموتَ نفسٌ حتّى تَستكمِل أجلَها... وإليْكَ سِيرَة هؤلاءِ الشّهداء:

الدّاعية الشّهيد (١٤-٢)

أعْـني بـه الأديبَ الحَبيبَ الدّاعيـة الموفّـق، الـمُجاهد الـمُسدّد، الهيّن اللّين، السّـهْل المُبْتسم، البخيت مُحمّد الكويتيّ، والذي تسمّى في أرضِ الجهاد بجُلَيْبيب.

هذا الرّجُل الفَذّ الذي تَرك الجاهَ والسّلطان، أعْني سُلطانَ العِلْم وجاهَهُ، فقدْ تحرّر مِنْ قُيوده وانْخَلَع مِنْ أغْلال السّمعة والصّيت، وارْتَضى أنْ يصيرَ جُنْدياً مجهولاً في ثغرٍ مِنَ الثّغور، وبيْنَ سريّة منَ السّرايا. كـان شَـهيدُنا يسـكُن أقْصـى جَنـوب بِلاد الحَرمَين في مِنْطقة الرّبْع الخالي، في مدينةٍ اسْمُها الوَديعة.

طالبُ عِلْم جيّد، كما إنّه داعيةٌ مُوفّق مُسدّد، الْتزَم واستَقام على يَديه في فترةٍ وجيزةٍ أكثرُ مِنْ سَبْعين رجُلاً.

يقـولُ لي أبـو تُـراب وهـوَ منْ نفْسِ منطَقتِـه: (يا أخي أنا حَسنةٌ مِنْ حسناتِه، وعلى يَديْه عَرَفْتُ الاستقامةَ والالتزامَ، وبيْنَ يديهِ تعلّمت دُروسَ التّوحيد، وبِكلماته وأفْعالِه غَرس فيَّ حُبّ الجهادِ والاسْتشهاد)، يقول: (كانَ يتعهّدُنا في كلّ شيْءٍ، كانَ يعْملُ لنا رَحلاتٍ؛ ليْسَ إلى المصايفِ والمتَنزّهات، ولكنْ إلى مكّة والمدينة، ونَعْتكف هُناك بعْضَ الأيام ويُجلسُنا مع الدّعاة والمشايخ، ممّنْ توسّم فيهم حبّ الجهاد والاستشهاد.

مُتزوّجٌ حديثاً، ورُزِقَ قبْل سَفرِه بستّة أشهُرٍ بطِفْلةٍ أسماها سُميّة، راجياً مِنَ المَوْلى أنْ تَكون على درْبِ سيّدتها سُميّة الأولى، أرادَ السّفر دُون أنْ يعلم به أحدٌ مِنْ طواغيتِ آل سعود، فسافَر إلى اليمن تهريباً، وهُناك حلَق لِحيته وغيّر مِن شَكْله بعضَ الشّيء، وبينما هوَ يسيرُ في أحد شوارعِ صنْعاء، قابَله أحدُ تلاميذه فعرَفه، فما كانَ مِنْ صاحِبنا إلّا أنْ عَرّفه وِجْهته ودعاهُ إلى القُدومِ معه إلى أرضِ العزّة والجهاد. وباليَمن رتّب أوْراق السّفر، وجهّـز نفسـه وبـدأ الرّحلة لأرضِ الجهـاد، يحلُم أنْ يُمسـك البُنْدقيّة، ويُصـوّب بها، وتارةً يحلُم أنّه يحمِلُ صاروخاً يدمّر كلّ شيء حولَ الكفّار.

وأخيراً وصَل إلى بلاد الرّافدين، وبَقي مع مجموعةٍ أنصاريّة جِهادية قُرابَة الأسبوعين، ثمّ التَحقَ بإخوانه منَ المهاجرين والمرابطين في الصّف الأوّل. التَحقَ بمجموعةِ القائِد عبد العزيز مباشرةً، وأخذَ يُلحّ للذّهاب إلى الخطّ الأوّل، وتَحت ضغْطِه وإلحاحه تمّ له ما أراد.

ويوْمَ قُدومِه، دَخل المطْبخ، وعمِل غداءً للشّباب، ولأنّه لمْ يكُن صاحِبَ خبْرة في الطّهي، أدْرك أنّ الطّعام كانَ أيّ شيءٍ إلا أنّه طعامٌ صالحٌ للأكل، قُلْ مثلاً حجراً، شجراً أو عجينة، المهم قال: (يا شباب، أنا أرى أنّ الأكْل ما عَجبكُم، خَلاصْ أنا أعـزِمْكم اليوم على كَباب)، ثمّ أعْطى لأبي ذرّ مبلغاً مِنَ المال، وقال: (ترُوح وتجيب للشّباب كباب ومشاريب وكلّ ما يُحبوه خلاص). لكنّ القَصْف بدأ مُباشَرةً، وأسْرَع جُليبيب ليأخُذَ رَشّاشه من المخْزن، معَ منْ أسرعَ، لكنّ الله اصْطَفاه فسَقط ذلكَ الصّاروخ ليلحَق جُليبيب بحبيبِه الصّحابي الجليلِ جُليبيب، والذي كان يحبّه داعيتُنا).

استُشْهد جُليبيب، ولم يضْرب في الخطّ الأوّلِ طلْقةً واحدة، لكنّ الله أبى أنْ يموتَ إلا وأجْرُ الرّباط قدِ انْعقَد له والحمْد لله، أسألُ الله أنْ يُثبّت أهلَهُ ويُنْبت بُنيّته نَباتاً حَسناً إنّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه آمين...

أبو بَصير الإماراتيّ (١٥)

ما زِلْنا معَ أبطالِ (كراج) الشّهداء، والبَطلُ الأغرّ هذِه المرّة، الحَييّ الضّحوك، الموحّدُ الشّديدُ بالله: منصُور الفلاشيّ، شابٌ هادئٌ وسيم، لا تُفارِق البَسْمة وجْهَه، فهُو طلْقُ الوجْه، قلْبُه كأنّه قلْبُ طِفْل، لا يعْرِف اللّؤمَ وطُرُقَه ولا يُجيدُ أساليبَ الخِداع وحِيَلَها، لذا كان يَتعجّبُ منْها كثيراً إذا سَمع بها، أو تَعرّض لها، فعِندما كانَ في الطّريق لِبلاد الرّافدين، جَلس في محطّةٍ وسيطة، واستأجَر هو وصَديقُه شَقّةً، ثمّ اكتَشَف بعد ذلك أنّ إيجارَ الشّقة كان عَشْرة أضْعاف ما تستحقّ حسْب سوقِ العقارات في هذه البلْدة، فقالَ سُبْحان الله كنتُ أسمَع أنّ هناكَ نَصْبًا لكن لم أكُن أتوقّعه إلى هذا الحدّ.

كما أنّه صريحٌ إلى حدٍّ شَديد، صراحةً تتّفقُ مع طِيبة قلْبه وطهارةِ نفْسه وصَفاءِ رُوحه ونقاءِ عقيدَته التي كانَ لا يُراهِنُ عليها قطّ.

جاءَ إلى أرضِ الجهاد هُنا شابٌ من الجزيرةِ اسْمُه نايف، وكانَ نايف لا يرى كُفْر الدّولةِ السّعودية، فكانَ كلّما مرّ على نايف يلْعنُ فهداً وعبدَ الله وأقطابَ آل سعود، وكانَ نايف يغضبُ ويقول: اتّقِ الله لا تسُبّهم.

فقال له الشّهيد -نحسبه كذلك-: (يا نايف، إذا والله ما تكفُر بالطّواغيت كما تؤمنُ بالله أحسَنْ لَك ترجِع، إيش جابك)؛ وبالفِعْل رجِعَ نايف بعْدَ عدّة أيامٍ مِنْ دُخول ساحة العزّ وما انْتفع بشيءٍ والله المُستعان.

ومعَ ولائِه وبرائِه هذا، كانَ مصْدر مُتْعة لأصحابِه وإخوانه، فكما يقُول أبو حَمْزَة، كان مُنْشد المجموعةِ طالما أمتَعَهم بصوتِه الرّقيق، وكانت الكلِمات تنْساب هادئةً جميلةً كأنّه جدْولُ ماءٍ يسيرُ على حبّات لؤلؤٍ رقّةً وصَفاءً.

كانَ الشّهيدُ رحِمه الله مِنْ حمائِم مسْجِد سلمان الفارسيّ، والموجودِ بالقُرب مِن دوّار السّمكةِ في مدينة دُبي.

ويَكْفي أبا بصيرٍ فخراً أنّه تَخَلّص مِنْ سَلاسِل الثّروة إلى جِنان الكُهوف، فصوْت الرّصاصِ أحلى وأجْملُ وأمتعُ من عَزْف القِيان، والنّوم بالقُرب من الجُدْران والحوائِط يستَظلّ بها من حرّ الشّمْس أمتَعُ وألذُّ مِنْ بـرْد المكيّفاتِ وهَفيفِ المراوحِ، وضِيقُ الكُهوف أرْحَب مِنْ سعة القُصور، حتى إنّ صاحِبَنا عنْدما جاءَ لمْ يكُ قطُّ يسْتطيع غسْلَ ملابِسه حتى درّبَه الجهادُ والتقشّفُ والرّغْبة فيما عِنْد الله، فقَد طلّقَها ثلاثاً، وخَرج مِنْ بيْته بجِيلة، حيثُ لا يُمكِن له إلا بِذلك، كانَ بالقُرْب مِنْهم مركزٌ لِتَحفيظ القُرآن يَدخُل إليه الطّالبُ شَهْرين ولا يَخْرج حتى يخْتِم كذا سورةً منَ القُرآن وبه إقامةٌ داخليّة، وكانَ أهلُه على عِلمٍ بذلك، فادّعى أنّه ذاهبٌ لهذا المكان، ومِنْ ثَمّ لحِق بِركْب طيّب مَيمونٍ وقَدِم إلى أرضِ العِراق، إلى ساحةِ الجِهاد.

اتّصلَ يوماً ما بأُمّه، فرجَع حزيناً وقال: لنْ أتّصِل مرّة أُخرى، فسألَه إخوانُه فقال: لقَدْ أغرَتْني أُمّي بِقَولها: لقد اشتريتُ لكَ السّيارة الفُلانيّة لنوعٍ فارِهٍ منَ السّيارات كانَ يُحبُّ أنْ يقْتنيه، فلمّا لمْ يبْدِ اهتمامَه، انْخرَطَتْ أمّه بالبُكاء وتَوسّلت إليه بالرّجوع فِتْنَة لهُ، وحاشاهُ لأنْ يُطيعَ أمّه في مَعْصية الله، فالجِهادُ جِهادُ دَفْع واستِئْذانُ الوالِدَين لا مَحَلَّ لَه.

وأخيراً مِسْكُ الختِام، كانَ أبو بَصيرٍ ومِنْ حيثُ لا يَعْلم أحَدٌ مِنَ المحيطينَ به، كانَ قَدْ سَجّل اسمَه في قائِمَة الشّرفِ، سجّل اسمَه ضِمْن طابورِ العمَليّات الاسْتِشْهادية راجياً النّكاية في عدوّ الله.

وكانَ مِنْ حُسْن خاتِمَته أنّه في نَهارِ ليلَة استِشْهاده جلَس مَع أخٍ كُرْديّ في المَجموعةِ وقال له: (طوّلْنا في الحياة، ربّ ارزُقْنا الشّهادة)، وكأنّها كانَتْ ساعةَ إجابة، فما أنْ أذّن المَغْرِب وأَسْدل اللّيلُ سِتاره حتى طَوى كراجُ الشّهداءِ صَفْحة أبي بَصير ودَرَس مَعالِمَها مِنْ دار الشّقاءِ ليُسجّل اسْمَه في دار السّعادة والبقاء؛ نَحْسبه والله حسيبُه، بَقيَ أنْ تَعلَم أنّ شَهيدَنا بَقيَ في أرْضِ الجِهاد وحتّى يومِ استِشْهاده قُرابَةَ الشّهر، نَحْسَبه صَدَق الله فصدَقَهُ وأدْرَك في مُدّة وجيزةٍ ما لمْ يُدْركه غيرُه بِسنوات.

نَسألُ الله أنْ يَجْمعنا به في جَنّة عَدْن عِنْد مَليكٍ مُقْتدر آمين...

أبو الحور الأنصاريّ (١٦-١)

شُجاعٌ مِقدامٌ، خَدومٌ مُتواضعٌ، هِمّة عاليةٌ، وعَزيمة لا تلين، أنْصاريٌ من الرّضوانية، له أحَد عَشر أخاً لا يوجدُ فيهم مجاهدٌ، كما حَكى لأحدِ إخوانه، نَظر وهو البَسيطُ فرأى كُفْراً سائداً واحتلالاً مَريراً وبيضةً مُستباحة، سَمع ورأى كما سَمع ملايينُ البَشر كيف تُنْتهكُ أعراضُ بناتِ قَومه، وكيفَ تُداس كرامةُ الرّجال، شاهدَ الرّجالَ عَرايا وهُم يُساقون كقَطيعٍ منَ الأغنامِ، بكى لكنّه أدْرك أنّ البُكاء لا يُعيد العِرْض المُغتصَب، ولا يرفعُ الذّل عن شبابِ وشُيوخ أمّته، فَتح كتابَ الله عزّ وجلّ فوَجد آيات الجهادِ تكادُ لا تخلو منْها سُورة، توقّف كثيراً عنْدَ قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا}.

فَتح عليه أبو الوَليد الكويتيّ يوماً بابَ السيّارة فوجَده يسْتمع إلى القُرآن وينْتحبُ كأنّما هُموم الدّنيا أُلقيَت على عاتقِه والدّموع تهطُل على وَجْنَتيْهِ. سارَع أبو الحورِ أثْناء حِصار الفلّوجة مع مُجاهدي الرّضْوانية في قطْع الطّريق السّريع، فلَطالما سدّد قاذِفَته نحو أفئِدَة أعداءِ الله. نعَم فلقد كان صاحبُنا رامياً ماهراً بقاذفة RPG٧.

كانَ أبو الحُور شُجاعاً لا يكادُ يعرِف الخَوف، فمِنْ طريف المواقفِ كانَ يوماً نائماً في الغُرفة وكان أبو عائشة يُعلّم أبا الحارثِ على (البازوكة)، وقال له: (شايفْ يا أبا الحارث، الزّر الأحْمر لا تَدُس عليه)، لكن داسَ عليه أبو عائشةَ نفسُه وانْطلقت القَذيفةُ مِن فوقِ رِجْل أبي الحُور فما اهتزّ ولا غَضِب، ثمّ تابَع نوْمه.

استثْقل صاحِبُنا الدّنيا واشتاقَ إلى لِقاء ربّه، فجاءَ إلى الإخْوة وسجّل نفْسهُ لعَملية اسْتشهاديّة، وأخَذ يُعدّ الأيامَ ويحسِبُ اللّحَظات، ويَعيشُ على حُلم أنْ يأتيَ المسْؤولُ إليه قائلاً: حانَ دورُك.

أذْكُر أنّه كان يقولُ لي كثيراً: (أنا يا أخي أعرفُ أنْ أسوقَ السّيارات الصّغيرة والكبيرة، ثمّ إنّه تُوجد مواقِعُ لا بُدّ فيها مِنْ عِراقيين). كلّ ذلِك ليُغْري المسؤولَ ليُقدّم دوْرَه في العمليّة الاسْتشهاديّة. جاءَ يوماً لأميرِ مفْرَزته أبي أحمَد فرِحاً مسروراً كأنّما سيُزفّ غداً يقول: (أُبشّرك يا أبا أحمد، واحد تَبرّع لي بسيّارة لكي تُفَخّخ وأكونَ أنا قائدَها)، غيرَ أنّه استرجَع وقال: (ليتَها كانت دِينا، ليتَها كانَت شاحِنة).

كان الرّجُل آيةً في الخِدْمة والتّواضُع، وصاحِبَ همّة عاليةٍ لا تراهُ إلا خادماً لإخوانه في مأكلِهم ومشربِهم، أما عن الحِراسة والرّباط فحَدّث ولا حَرج، لم أرَهُ إلا ويلبَسُ الجُعْبَة وكأنّها وِسامُ شرَفٍ وشجاعةٍ على صدْره، وهي والله كذلك.

كان عِنْده مِنَ العزيمة للجهاد ما يَعْجَبُ له المرء، جاء إليه أحدُ إخوَته مرّة لزِيارته فتهرّب منهُ وقال: (أرْجِعوه لا أُريد أنْ أراهُ، هوَ لا يُحبّ الجهادَ والمُجاهدين، لماذا جاءَ؟ جاءَ لكيْ أرجِع أكيد، قولوا له مِشْ موجود هنا). لله درّك يا أبا الحور!! في أيّ مدْرسةٍ تعلّمت الوَلاء والبراء؟ وعلى يدَيْ من تعلّمْت كيفَ تُحبّ وتبْغضُ في الله؟ ومن أيّ قِسْم من أقسامِ كليّات الشّريعة تخرّجت؟ أم أنّه الجهاد، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}.

وعنْدما آنَ للفارس أنْ يترجّل نَزل عنْ فرَسِه وراحَ ليأخُذَ قاذفته من المخْزن -في (كراج) الشّهداء-، فكانت الإرادةُ الإلهية في انْتظاره، وجائزةُ العقيدةِ والشّجاعة والخِدْمة أمامَ عَيْنه في جنّة صدْق عند مليكٍ مُقْتدر، نَحْسبه والله حَسيبُه.

أبو تُراب النجديّ (١٦-٢)

الأميرُ الخادِم، والدّاعيةُ الـمُوفّق، الهيّنُ اللّين والزّاهِدُ الورِع، الحييّ المؤدّب، كانَ أميراً للإخْوة في الصّناعة من جِهة (السّكراب)، و بِموازاة سيْطرة الفلّوجة على الطّريق السّريع.

وكُنْت مَع أبي تُراب منْذ أوّل يومٍ أُسّست فيهِ هذه الجبْهة، فَقد اتّخذ أميرُ جماعةِ التّوحيد والجِهاد في ذلكَ الوقْت قراراً بالسّيطرةِ على خمْسِ مدنٍ وفي ساعةٍ واحدة لا في يومٍ واحد. والمدُن هيَ الموْصل وبعقوبة وسامرّاء والرّمادي والفلّوجة الّتي كانَتْ بيدِ المجاهدين لكنّ الطّريق السّريع المحاذي كانتْ تمُرّ عليه أرتالُ اليهود، فتلقّينا الأوامر بقَطعِه.

وتمّ ذلك، وأذْكُر مِنْ تلْك المواقِف أنّه بَعد عدّة أيامٍ سيْطَرنا على بيتٍ مُواجِه للسّيطَرة سابِقَة الذّكر، وتمّ عَملُ فتحةٍ صَغيرة في جِدارٍ يُطلّ على الأمريكان، نَراهُم ولا يَروننا، ومِنْ تلك الفَتحة أذْكُر أنّنا أهلَكناهُم بالقَنْص، وأيضاً كانَت تَسْمحُ هذه الفتحةُ لِرماية القاذِفة، فضَربْنا منها مرّة أو مرّتين بالقاذفة، وكانَ هو عينَ الخَطأ لعدّة أسبابٍ؛ منْها أنّ الفتْحة التي تَسْمحُ لِرماية القاذِفة تكونُ كبيرةً جِدّا بالمقارنة بِفَتْحة القنْص، ولأنّ صَوْت القاذفةِ مُرتفعٌ جِدّا ممّا يُحدّد مَكان الرّماية، وكذلك للقاذِفة هَبّة خَلْفيّة، ويُصاحِب خُروج القَذيفة غُبارٌ، وهذا أيْضا يُحدّد المكان.

الـمُهم خرَجْت أرْمي بالقَنّاصة من الفتْحة فلَمْ أُصِب هدَفي، إلّا أنّ العِلج رمى بِنفْسه على الأرض، ولا أدْري لِيَوْمي هلْ منْ إصابةٍ أم خوْف.

وبَدا بَعدها لأبي تُرابٍ أنْ يرْمي بالقاذفة، وبيْنما كانَ يُسدّد قلتُ له: انتبه، أخْرِج القاذفة كِفاية إلى الأمام وحتى لا تَصْطدم مِرْوحةُ القَذيفةِ بالحائطِ حالَ انطلاقها. ونَفّذ الرّجُل ما قُلْت وكانَ هذا مِنْ تمامِ معرفة العدوّ بنا وتَحْديد مكانِنا. وبيْنما كانَ يُسدّدُ دَوى انْفجارٌ ضَخْمٌ أمامَ عَيْنه فَلَق الحائِط وفَتح به فتْحة ضَخمة، ظَنَنْتُ أنا لأوّل وهْلةٍ

أنّ المقْذوف انفَجر على صاحِبي، ولأنّ الغُبارَ والدّخانَ مَلأ المكان، لمْ أتَبيّن ما حَدثَ لأخي وما هيَ إلا لَحظات إلا و أبو تُراب في يَده القاذفةُ يبْتسمُ ويقولُ لنا بَسيطة سلّم الله.

فقَد رأتْهُ الدّبابةُ الـمُواجهة لهُ وكانَت على بُعد ثلاثمائة مترٍ تَقريباً وسَدّدت للفَتْحة قذيفتين، لكنِ الأولى والأقْربُ جاءَتْ على بُعْد مِتر مِنْ أبي تُراب، وفَتحَت فيه فتْحةً كَبيرةً ثمّ واصَلَتِ القذيفةُ مَسارَ مَسافةِ أربعينَ مِتراً لتَخْترق جِداراً آخَر، وكانَت لِغُرفة المبيت ولتنفَجر هُناك، لكنَ الله سلّم، فَقدْ جُرِحَ أَخَوَانِ بجِراح مُتوسّطة، جُرح أبو بِلال الجَزائريّ في رِجْله اليمين وأبي زُرْعَة في كَتِفه.

وتمّ تَعيين أبي تُرابٍ أميراً لهذا الموقع الحسّاس، وقَد كانَ نِعْم الأمير، فما زالَ منْظرُه أمامَ عينيّ بِنظّارته يتَدلّى مِنْها خَيطان يَحمِلانها كأنّه كبيرٌ في السّن، على الرّغم أنّه لمْ يتَجاوز السّابعة والعِشْرين، ولم يكُن أبو تُراب أبداً أميراً على إخوانه بلْ خادماً لهُم.

فقَدْ كانَ يتَعهّدُهم بالماءِ البارِد ويدُور عليْهم يَسْقيهم، ويَذْهبُ يأتي بالطّعام ويَهْتمّ به، وفي الحِراسةِ يأخُذ أشدّ السّاعات خطراً، وقدْ كانتِ السّاعةُ الّتي تَكونُ معَ الفَجْر حيثُ يَعْتاد المجرِمون التّسلّل والهُجوم.

وأذْكُر يوماً حادثَةً لمْ أكُنْ فيها -أي بداخلها- وإنْ كنْتُ بجانِبهم، حدَث أنّ العدوّ قَصف هذه النّقطة بِكثافةٍ عَنيفةٍ مُنْذ الصّباح الباكر، وانْتَشر الإخْوةُ في خَطٍّ قتاليّ مُواجهٍ للخَصْم، واسْتمرّ القَصْفُ عَنيفاً مِن الصّباح إلى قُرابةِ العصْرِ معَ رِمايةٍ كَثيفة للرّمان الـمُتشظّي وصوتُ (البكّتا) الأمريكيّ سيّدُ الموْقف، فكأنّهم أوْصَلُوها بِترْعة ماءٍ فلا تهدأُ الرّماية ولا ينْتهي الإطلاق، وكانَ الجوّ حاراً جداً مع ارتفاعٍ رهيبٍ للرّطُوبة في الجوّ، وأصابَ الإخوةَ في مرابِضهم عطشٌ شَديد، واستمرّوا على ذلِك إلى الظُّهر تقريباً، ولا يستطيعُ أحدٌ أنْ يرْفع رأسهُ مِن شِدّة القَصْف والرّماية، فقَطْ تربُّصٌ حتّى إذا حاولَ العدوّ التّقدّم يتمّ تَدْميره.

لكنّ العطَش اشتَدّ ولمْ يعُدْ بالإخوة طاقة، فتَسلّل أميرُهم ووفّقَه الله وخَرج مِنَ مَوضعِ الخطر، ثُمّ جاءَ بماءٍ باردٍ وأخَذ يطُوفُ على الإخْوة وكُلّما جاءَ إلى مجموعةٍ ليَسْقيهم، آثَروا الّتي بجانبهم، ولأنّ ما حمَلَه الأخُ كانَ قليلاً نَظراً لصُعوبة الطّريق مِنْ زحْف وغيرِه، فظلّ يطُوف على الإخوة وهكذا دَوالَيك، كلّ واحدةٍ تؤثرُ الأُخْرى بالماء، وامتنعَ أميرهم رغمَ عطَشه أنْ يشْرب حتّى شرِب إخوانه.

ولما أُصيبَ الأخُ في (كراج) الشّهداء سابِق الذّكر مع إخْوانه، نُقِلَ إلى مُسْتشفى الفلّوجة، وهُناك تَكفّل به أبو ياسر الأنْصاريّ، حتى لا يُكثِر الأخْوةُ العَربُ منَ الذّهاب إلى الـمُستشْفى، والّذي كانَ وضْعُه أصْلاً حسّاساً، ودَخل أبوْ تُراب في غيبوبةٍ عدّة مرّاتٍ ثمّ يُفيقُ، وفي كلّ مرّة كانَ يُبْكي مَنْ حَوْله، فكُلّما فاقَ مِنْ غيْبوبته سأَل مَنْ بجواره: (الإخوةُ هلْ تَغدّوا؟ مَنْ أرْسَل لهم الطّعام؟ ماذا أرْسلْتُم لهُم)، ثمّ يدخُل في غيْبوبتِه ويُفِيقُ بعد فترة يقول: (الإخوةُ ما عنْدهم ماء بارد، بالله عليكُم أرْسِلوا إليهم الثّلج، الحرّ شديدٌ لا تَنْسوهُم بالله علَيْكُم)؛ هكَذا مَنْ عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه، حتى أرادَهُ الله إلى جِوار منِ اختارهُم قبْله، أفاقَ في هذا اليَوم أحْسَن ما يكون، حتى ظَنّ الجَميعُ أنّه بَرِئَ مِنْ جُرْحه، ثمّ رَفع سبَابته وقال: (أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنّ مُحمّداً رَسُول الله).

فنَحسبُ أنَّ أبا تُراب صَدَق فيه حديثُ النّبي ﷺ: "مَنْ كانَ آخرُ كلامِه مِن الدّنيا لا إلـهَ إلاّ الله دَخلَ الجنة"، فرَحْمةُ الله على أبي تُراب رحْمةً واسِعةً، ووالله لـولا خَشْية الإطالة لوَقفْتُ على حياةِ هذا الدّاعية، وكيفَ كانَ يجْمعُ إخوانَهُ في الجَبْهة ويُعْطِي أو يقرأ عليْهم مِنْ فِقْه الجِهاد، على تواضع الرّجل وقِصَصه الكثيرة في ذلك، ولكِنْ نحسَبُ أنّ الرّجُل قَدْ سُجّل لهُ كُلّ ذلك عِنْد من لا يَضيعُ عنْده شيء، ولكنّ البائسَ الكاتبُ، أسألُ اللّه أنْ يعفُوَ عنّا وأنْ يَغفر لنا إنّه هو الغَفُور الرّحيم...

الشّيخ المُجاهد (١٧)

هو الشّيخُ المُجرّب، والأسَد المحنّك، والأبُ الحَنون، والصّديقُ الرّفيق، والسّهلُ الهيّن المُتواضع، أبو حمزةَ الشّاميّ.

من مدينة حلَب، هاجَر أبوهُ من تُركيا إبّان الاضطِهاد الدّيني أيام الهالك (كمال أتاتورك)، ولذا كانَ يُتْقن التّركيّة لُغَة أبيه، ذاكَ الجَبل الذي غَرس في نفس ابْنه - كما حدثني هو - حُبّ الدّين وأهله، وقِيَم الإباء والشّموخ، وأهمّ شيْء عَشِقه؛ السّلاحَ والقَنْص.

حدّثني أنّ أباه لـمّا بَلغَ به الكِبَر عِتيّاً، أراد أبناؤه أنْ يروّحوا عنهُ بعْض الشّيء، فأخَذوه في نُزهةِ صيْد لِما علموا عنهُ من سابِق عهْده بهذا الأمر، فلمّا رأى الشّبابَ يتبارَون أمامَ الهدف، قال لأحدِهم أعطني بُندقيتك، فضحِك الشّاب من الشّيخ، وحتّى ابنُه ما أحْسَن الظّن بأبيه، فظنّهُ قد نَسيَ ما شاخَ عليه، وكانَ أمامَ الشّيخ عُلبةٌ معدنيّة، فقال لابنِه ألْقِها في الهواء، وإذا بالشّيخ وكأنّه عاد ابنَ العِشْرين رَبيعاً يُسدّد بِخفّة ورشاقة على العُلبة ليُصِيبَ كَبِدها، ويُسلّم البُنْدقية لولدِه تاركاً الشّباب في دَهْشة لما رأوا، فعِنْد هذا الوالد وبَيْن يَديْه نَشَأ شيخُنا، وعلى يَديْه تَدرّب على السّلاح بكافّة أصْنافه وخاصّة الخفيفَ منهُ، والّذي ما خَلا قطّ منهُ بيتهم، وعلى حدّ تَعبير أبي حمزة حتّى في أحْلَك المِحَن أيّام أحداث حَماة وحَلب، تِلْك الأحداثُ الأليمةُ، والّتي شاءَ طواغيتُ العَرَب أنْ يسْكُبوا عليها النّسيان، نِسْيان الحِقْد الباطني العَلَويّ ضدّ أهل السّنة، نِسيانَ الذّل والمهانة، وفقْد الأهلِ والولد.

هذا وما زال أبطالُ القصّة يَعيشُون بيْننا أمثالُ أبي حَمزة وغيرهم في سُجون الطّاغية المُتجبّر الهالك (حافِظِ النّعجة)، ومِنْ بَعدِه عدوّ الله ابنُه (بشّار).

وعلى ذِكْر الإخوةِ في سُجون الطّاغية الباطنيّ النُّصيري، أجِدُ من الأمانةِ أنْ أذكُرَ قِصّةً حدَثتْ مع أخي أبي مُحمّد المِصْري، شهيدِ عَيْن الحُلْوة، ومعَ أخي أبي صالح الأسير

فكّ اللهُ أسْره؛ وخُلاصَة الأمر أنّه لما سُجِن الأخَوان ومَعهُما مجموعةٌ من الإخْوة في قَضيّةٍ تتعلّقُ بعملٍ جِهاديّ ضِدّ قِطْعان اليهود بالأردن، أَدْخَلوا أبا صالح خطأً على مجْموعةٍ مِنَ الأشْباح، في مكانٍ ما يصعُبُ وصْفه من هَول الصّدمة، المُهم مكانٌ ما وجَد فيه أشْباهَ بَشَر، وأناساً يجلسونَ القُرفُصاء ليسَ عليْهم إلا ما يَستُر سَوْءتهم، شُعورٌ طويلةٌ جداً، وأظافرُ كأنّها مخالبُ وحْش، ورائِحةُ الجِيَف تفُوح من كلّ شيْء، وصَمْتٌ مُطبِق، ورجُلٌ بِسلاحٍ وبِيَده سَوْط يجْلسُ أمامَهم لكنّه بعيدٌ عنهُم، وحتّى لا يتأذّى بالرّائحة، وأدْخَلوا صاحِبي على هذا المكان.

قال: (فلمّا رأيتُهم، سَقَط فُؤادي في قدَميّ، وشَعرتُ بِخَوفٍ خَلَع أطْرافي منْ مَكانها وأجْلَسوني بجانب أحَدِهم).

فاسْتَرقْتُ الطّرفَ وحاولْتُ أن أُكلّم أحَدَهُم، فما مِنْ مُجيب، وحاولْتُ أُخْرى فما مِنْ مُجيب، اللّهم إلا دُموعٌ تَحجّرتْ تماماً كَتحجُّر أطْرافِهم، كلّ شَيْء ساكنٌ صامِتٌ.

وبعْدَ عدّة ساعات نادَوا عَليه وأخْرَجُوه، وفَهِم بَعْدها أنّه دَخَل بالخطأ، وأنّ ما رآهُ ليْسَ مَنْظراً مِنْ أهوالِ يوم القيامة، وأنّه حقاً لم يَكُن بِغَيبوبةٍ أو كابوسٍ مُؤلِمٍ مُزعِج، ولكِنْ من رآهم كانوا إخوةٌ لَهُ يوماً ما مِنَ الدّهْر مُنْذ أكثرَ مِنْ عِشْرين سَنةً قالوا (لا إله إلا الله) في حَماة وغيرِها، ومِنْ ساعَتِها إلى يَومِنا هذا، وهُم في وَضْعهم الذي رآه، لا كَلامَ لا شَيْءَ، لا شَمْس لا لا لا...

والثّانيةُ أنّ أخي أبا مُحمّد حدّثني: قال (لـمّا دَخَلْت السّجن كُنْت ما زِلْتُ غَبيّاً!، وحقّاً أحْمقَ جاهلاً)، قال (أذّن للفَجْر، فانْتَظرْت حتى كادَتِ الشّمْس أنْ تَخْرُج فطَرقْتُ الباب)، وأخَذَ صاحِبي نَفساً طَويلاً أيْ شَهْقة مؤلمةً قائلاً: (لا أدْري أطَرَقْتُ بابَ السّجْن أمْ بابَ الجحيم، وعلى الفَوْر جاءَت كِلابُهم مِنْ كُلّ حَدَب وصَوْب يتعجّبون مِنْ ذاكَ الكائِن الغَريب والمَخلوقِ الفَريد الذي استطاعَ أنْ يَطْرُق بابَ السّجن دونَ أنْ يُفتَح له وقَبْل ميعاده)، قالوا له: (ما لَكْ؟ وقبل أن يُعطوه الجزاء)، قالَ المِسكين: (صلاةُ الفجْر)، فَضحكُوا وضَحكُوا ثم أمسَك بِه جبّارُهم العَنيد ورَفع صَوتَه النّشاز قائلاً له -

وعُذراً-: (يا ابْنَ الكَلْب، صَلاة الفجْر آيه إخْنا كُفّار كُفّار فاهِم يَعني إيه إحنا كُفّار)، طبْعا بلهجَتهم العامّية.

ثُمّ أخَذ عدوّ الله يَضْرب أخي رحِمَه الله على أُذنه حتّى سالَ الدّم غزيراً مِنْها، ومِن كثيرٍ من جِسْمه ثمّ تَركوه جُثّة هامدةً وانْصَرَفوا يَضْحكون. هذا هُوَ نِظامُ (البعْث)، وإلى يومِنا هذا وحتى لا يَظنّ أحدٌ خَيراً بِعدوّ الله (بَشّار) فهُو طاغيةٌ ابنُ طاغية.

وعَودةٌ إلى شَيخِنا أبي حمزةَ، فَقدْ ساقَني ذِكْرُ أنّه شارَك في أحداثِ حماة، مأساةَ إخوانِه وإلى يومِنا هذا في سجون الطّواغيت. وأبو حَمْزة نَفسُه خَبِر هذا العَذاب لكنْ في قضيّة بَسيطَة جِداً مَكثَ عليها في سُجونِهم حيناً مِنَ الدّهر.

وكُنْت أجْلِس في أثناءِ حرْبِنا في الفلّوجة الثّانية معَ الشّيخ، وأطْلُب مِنْه أن يُحدّثني عن الأحداثِ في حلَب وحَماة، والحمْدُ لله سَردَها لي مِنْ أوّلها إلى قبْل نِهايتِها، ثُمّ في الأخير قال لي: (قرأْتَ كتابَ التّجربة السّورية لأبي مُصْعب السّوري؟)، قُلت (تقريباً نعَم الطّبعة القديمة المُختصرةَ قرأتُها، والجديدةُ ليسَ كلّها)، قال: (عُموماً، الرّجُل أنْصَف في هذا الكتاب، وخَيرُ مَنْ كَتب في هذا الموضوع، وهذِه شَهادةُ شاهِدٍ على عَصْر الكِتاب).

ولمّا جاءَتْ دَوْلة الطّالبان هاجَر شَيخُنا إليها بِحَيَلٍ وحِيَل، حيثُ أنّه مَمْنوعٌ مِنَ السّفر، وهُناكَ قاتَل إلى جِوار إخوانِه كلاً مِنَ التّحالُف الشّمالي والشّيعة المَلاعين في (باميان) وغيرها. وهُوَ الشّيخُ الكبير، فسَكَب بِعطْفه الحَنان على الشّباب فأحبّوه، ورَأَوا فِيْه الأبَ والأخَ الكَبيْر والصّديق الوَفيّ، ولمّا انْهارَتْ دَوْلةُ الإسلام على أيدي الخَوَنة في حكومة باكستان لا على أيْدي الأمريكان فَحسْب، رَفَض وهُو العاشِقُ للجهاد وأهْلِه العَوْدَة إلى سُوريا ولو بِجَواز سَفرٍ مزوّر كما عَرضَ عليهِ أحدُ أقارِبه، بلْ رَحل شَيخُنا إلى ساحَة أُخرى منْ ساحاتِ الجِهاد، ذَهبَ إلى مِنْطقة شَمال العراق (كردستان) يُقاتل عَدوّ الله (الطالباني) وحِزْبه الإلحاديّ المُجْرم، واستمَرّ مَعهُم حتّى دُخول الأمْريكان.

ومِنْ ثَمّ عاوَد جِهادَ الأمْريكان، ولكن في الفلّوجة، والتي بها تَعرّفت على شَيْخنا، فَرأيْتُ شيَخاً عَجيباً، لا يَكِلّ عن العَمل، لا في حَرّ الشّمْس ولا تَحْت وابِل القَصْف.

فاقْتَرَبْتُ مِنه أكْثَر، فإذا به عسكريٌّ عَبْقري مُحنّك، فعَجِبْت كيفَ لأمثالي أن يكونُ لهُم رأيٌ في الحرْب وهذا الكنزُ ليس فيها، فتم إلحاقه بِمجْلس الشّورى العَسْكريّ.

وكانَ شيخُنا صِفَتُه الصّمت إلا إذا سُئِل، فإذا تَكلّم تقطّرت خِبرَتُه مِنْ بَيْن ثناياه، وعَلِمْت حقاً أنّ الرّجُل يَعشَق البارود طَيّبا. ثُمّ دارَت رَحَى الحَرْب في الفلّوجة الثانية، وكانَ نَصيبُ شَيخِنا إلى جِواري مَع زُمرة مِن الأشاوِس في حيّ (نزّال)، وهُناك كانَ عاشِقَ القَنّاصة لا يُفارِق مَحْبوبَته، فَهي (دراغانوف) روسية الصّنع، مِنْظارُها مُصفَّر جَيّدا، يتنقّل بها مِنْ سَطْح إلى آخرَ لعلّه يَصْطادُ جُرذوناً مِنَ الأمريكان.

ثمّ اشْتَدّت رَحى الحرْب أكْثَر وأكثَر وتمّ اقْتِحام نَزّال مِنْ قِبَل العَدوّ، وأيْضاً انْحَزْتُ معَ أبي حمزةَ وعلى الرّغم أنَ الرّجُل كانَ في الخامِسَة والخَمْسين مِنَ العُمْر، إلّا أنّه كانَ يَقْفز مِنْ فَوْق الجُدْران مِنْ سُورٍ إلى سُور، ورأيْتُ رَشاقَتهُ وخِفّته، قُلْت: صَدَق القائل: (جَوارِحُ حَفِظْناها في الصّغَر فحَفِظَتنا في الكِبَر)؛ وإليكَ يا أخي لَقْطةً مِنْ لَقطاتِ العِزّ والجهاد مع شَيْخنا.

فَقدِ انْحاز هُوَ ومجموعَةٌ مِنَ الإخوة إلى أحَد البُيوتِ عَلى حَسْب الخُطّة المَرْسُومة لذلك وكانوا بالطّابق الثّاني، واتفق هوَ و أبو جَعْفر على أمْر؛ أنّه إذا دَخل الأمريكان يُفتّشونَ البيْت لا يَرمي كلّ الإخوة حتّى لا تُسْتَهلك كمّيةٌ كَبِيرةٌ مِنَ الذّخيرة في غَيْرِ مَوْضِعها المُناسب، وحتّى لا يَرْمي الإخْوةُ بَعضَهُم البَعْض، وخاصّة إذا تقدّم المُجاهدون نَحو العدوّ.

ولمْ يَنْتهوا بعدُ مِنْ كلامهم، حتىّ جاءَ الأمريكانُ إلى هذا البَيت وصَعَد جُنْديّ إلى الطّابق العُلْويّ لِتفْتيشه يَتْبعُه قِطعانُ الجرذان، فما أنْ رأى أبو حمزةَ عَدوّ الله حتّى أمْطَره بوابِلٍ سَقطَ إثْرها أمامَه كأنّه عُذْرة سَقطَت في بِئْر.

ثمّ تَقدّم هُو وأبو جَعْفر وأمْطروا قَطيع الجُرذان خَلفَه بِوابلٍ مِن الرّصاص ففَرّوا بِجراحهم، ولكنّ عَدوّ الله المقْتول بَقيَ عِنْد الإخوة.

غَنِم أبو حمزةَ والإخوة سِلاحَهُ وجُعْبَته، لكنّ الشّيخَ آثَر أبا جَعْفر بالسّلاح، ومَضَتِ المَعْركةُ في هذا اليَوْم حامِيَةً مِنْ بيْت إلى بيْت، حتّى عَلا شَيْخُنا أبو حمزةَ سَطْح أحَدِ البُيوت ليَعْبُر مِنْه إلى بيتٍ آخَر، فكان لقاؤه مع قدر الله، حيثُ التقطه قنّاصٌ أمريكيّ يحتلّ سَطْح بيتٍ مُجاور أعلى مِنه فترجّل الشّيخُ في الحال.

وحزِن الجَميعُ لِفقْده، فقدْ كانَ أبو حَمْزةَ وكان، لكِنّ الظّرْفَ والوَقْت لا مجال فيه للبُكاء ولا الأحزان، فالحَرْبُ تَطحنُ الشّبابَ طَحْنا، ومَضى الشّبابُ تارِكينَ خَلْفهُم الشَيخَ والغُصّة في حُلوقِهم، لكنّ هذا كانَ هيّناً إذ قُورِن بما الذي نَكتَ في قَلْبي حُرْقةً وحَسْرة وإلى يومِنا هذا، وأكيدٌ سَتمُوت مَعي وحَتى أُحاجِجَ أمّتي بعُلمائِها يَومَ القِيامة.

فقَد استقرّ بِنا الحالُ في بيتٍ آخَر مَع مجمُوعةٍ مِنْ أفاضِل الإخوةِ وأرْسلْنا المُجاهدَ أبا الزّبير اللّيبي إلى جسد الشّيخ ليُحاولَ دَفْنها لكنّ الرّجُل وبِشقّ الأنْفس اسْتَطاعَ فَقطْ أنْ يَتأكّد مِنْ وفاةِ الشّيخ ويأتِينا بِبَعْض أغراضِه الشّخصيّة التي كانَتْ في جَيْبيه. على أمَلِ أنْ نَعود إليه مرّة أُخْرى رَيْثَما تتحسّنُ الأحوال، لكنّها ساءَتْ ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فَقدْ جاءَ القنّاصَة إلى رأسِ الفَرْع الذي يَفْصِلُ بيْنَ بَيتَيْنا، مع دبّابة تحصّنتْ في نَفْس المِنْطقة أيضاً فما استَطعْنا إليه سبيلا؛ وبقي هكذا عدّة أيّام ونَحْنُ نَنْظر إليْهِ لا نَسْتَطيعُ أنْ نُوارِيَ أخانا، تأكُلنا الحَسْرةُ ويَقْطَع أكبادَنا الألم، ونَبْكي على ما آلتْ إليه الأحوالُ بخُذْلان الأمّة.

وحينئذٍ كَتبْتُ قَصيدتي (المِحْنة)، أشَرْتُ في بَعْض أبياتها إلى قِصّة الجُثّة، ثُمّ أرْدَفْتُها بِقصيدةٍ عنْ أخي وشَيخي أبي حَمْزةَ وكانَتْ كُنْيتهُ الحقيقيَة (أبا عبدو):

لهَفي عَليْك أبا عَبدو *** بَطلٌ مُجرّبٌ يَعْدو
عِنْد الشّدائِد ألفٌ *** لله دَرّك ... جَدُّ
قَعَد الشّبابُ و قُمْتَ *** بِواجِب الدّين تَجِدُّ
كُنْت المُعلّم والمُربّي *** أباً حَنُوناً.. لا يَشُدّ
يَرْقى الشّريفُ لِحَتْفه *** والعَبْدُ للحَضيض يَعْدو

النّاسُ تبْعثُ جِيفَةً *** والمِسْكُ طِيبُك تَغْدو

الله يَرفعُ قَدْرَك *** كَما رَفعْت الدّين جدُّ

أبو نصر (١٨)

عودٌ زادَهُ الإحراق طيباً، وأَسَدٌ سُمِعَ زئيرُهُ في ساحاتِ الوغى، وتقيٌّ عُرِفَ ثباتُهُ عندَ تلاطُم المحن، يبتسمُ عند البلايا ويضحكُ إذا وطئتهُ بأظفارها، عابدٌ عارفٌ بربّه، شُجاعٌ مغوارٌ لا يعرفُ الخوفَ ولا الخوف يعرفُهُ، لبيبٌ عبقريٌّ حكيمٌ، قياديٌّ إداريٌّ منظّم.

وما زلتُ أذكرُ تلكَ الابتسامة السّاحرة الّتي تعلو وجههُ وهو يدخلُ عليّ يرتدي طاقيةً بيضاءَ وعليهِ معطفٌ طويلٌ يحتضنُ رشّاشه، تنسابُ الكلماتُ من فمهِ كالماء البارد من فم السّقّاء في يوم حارّ، فتقعُ على نفسي وقلبي وَقْعَ السِّحْر، فينتابني العجب: أينَ كانَ؟ ومتى ظهرَ نجمهُ؟ ومن هو؟.

هو صيدليّ مصريّ، مِنْ إحدى قرى صعيد مصر، أنهى دراسته في كليّة طبّ الصّيدلة، وكان قبلها وبعدها يجلسُ القرفصاء أمامَ العلماء يشربُ بشغفٍ من عيونِ التّوحيد، فيزدادُ نقاوةً ونضارةً وترتسمُ على وجههِ الحيرةُ والأسى على حالِهِ قائلاً: إذن لا بُدّ من الجهادِ ولا طريق غيرُهُ، فطواغيتُ الأرضِ تجبّرت وعنادهُم فاقَ فرعون وهامان، وكُفْرهُم يبرأُ منه إبليس، وكثيراً ما كانت العيونُ تدمعُ والنّحيب يعلو على نفسهِ: أينَ أنا؟ وماذا قدّمتُ؟ وماذا يمكنني أن أفعل؟.

سافرَ إلى أرضِ الجزيرة وهناكَ عملَ طبيباً صيدليّاً ثمّ تزوّج من ابنة أَحَد رموز الحركة الجهاديّة قديماً ورُزِقَ منها بطفلين، وهو طوالَ هذه الفترة يبحثُ عن الجهادِ وأهلِهِ، فقد سئمَ جلساتِ الحوار السّاخنة الّتي كانت تُقامُ في بيتِ عمّه عن الجهادِ وعيوبِ الجماعات، وكرهَ علم الجرح والتّعديل في رموز الأمّة كما ادّعى هؤلاء، وكلّما جَلَسُوا بدؤوا وانتهوا في نفسِ الموضوع، جدالٌ عقيمٌ وعقولٌ عشعشَ فيها الضّعف وصارَ شعارُ المرحلة: تكلّم ولا تعمل.

أخذَ إجازة عمل وتركَ زوجتَهُ مع والدها بعدما ودّعته والبكاءُ يملأُ عينها فهو كلّ ما لها، فقد ملأَ فؤادها وهي كذلك، لكنّهما اتّفقا على الجهادِ طريقاً وعَرَفا أن التّضحية لا بُدّ أن تكونَ شعاراً.

فالزّوجُ الوفيّ والولدُ البارّ والوظيفةُ الجيّدة والمسكنُ الجميلُ ما كانوا أبداً من وسائل العُلَى في الجنان، ولن يقيموا للدّينِ أركاناً، كتمَ صاحبي الزّفرة في قلبهِ، وجفّفَ الدّمعة في مُقلته، وودّعَ زوجتهُ ووَلَدَيْهِ متجلداً وشعاره: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: من الآية ٨٤].

وحطّ الحبيبُ رِحَالَهُ في منطقة (الجبيل)، وعرفَ المرادَ منه لأوّل وهلة فأخذ يطوفُ على مجاميعِ المهاجرينَ والأنصار، يُرتّلُ عليهم القرآن ويُلقي دروسَ التّوحيْد مُستخدماً ما أنعمَ اللهُ عليه من حُسْنِ العبارة ولطيفِ الإشارة.

وفي صبيحة يومٍ مُشرقٍ طُرِقَ باب بيتي طَرْقاً خفيفاً، فقمتُ وفتحتُ الباب فإذا بشابٍّ بالثلاثين من العُمُر، مُعتدلِ الطّول والجسم، سلّمَ عليّ وقال: كيف حالك يا أخي؟ فقلتُ: أهلاً ومرحبًا تفضّل بالدخول، نعم وجدتني أقول له تفضّل بالدخول كأني أعرفهُ منذُ سنين، قال: سمعتُ بكَ فأردتُ لقاءك، فأجبتُهُ: تسمعُ بالمرء خيرٌ منْ أنْ تَراه.

وبدأَ الرّجلُ بالكلام ووثقَ كلٌّ منّا بصاحبِهِ ففاتحني بالعمل في مصر وأنّه مستعِدٌ لأي شيءٍ يُكَلّف به، وطلبَ دورةً في المتفجرات والتّشريك، فوعدتُهُ بالتّشريك ثمّ قلتُ له سأُرتّبُ لك إن شاء الله دورةً في التّصنيع، ففرحَ وقال أنا صيدليّ ولي خبرةٌ مختبريّةٌ جيّدةٌ وأرجو أن أنتفعَ بهذه الدّورة وبدأ فيها ومضت الأيّام واشتدّت رحى الحرب.

ودَخَلَتْ معركة الفلوجة الثانية وكان موقع قيادة المعركة في نزّال أمام جامع الفردوس، فجاء طلحة الخير -سأعود إليه إن شاء الله- يقولُ ماذا تأمرُ يا شيخي هذه مجموعتي جاهزة -وكان هو مدرّب التّصنيع-، قلتُ ائتني بهم، فجاؤوا والله كأنّهم ملائكةٌ من السّماء يكبّرون ويُهلّلون والفرحة تعلوهُم، فعجبتُ من هذا الرّكب الطيّب

ومن هذه النّفسيّة والهمّة العالية في هذا الوقت العصيْب وبدأتُ بتوزيعهم، ثلاثةٌ عند هذا التّقاطع وثلاثةٌ في أوّل هذا الشّارع واثنان عند هذا المدخل.

وبقيَ أبو نصر مع اثنين من رفاقه، فقفز قائلاً لبّيك يا شيخ، قلتُ يا عزيزي تعرف تضرب على الـ RBG؟، قال: لا، ولكن قل لي كيف يضرب، فعلّمتُهُ على عَجَلٍ وخرجَ مُسرعاً إلى نقطته، وما مرّ مغرب ذلكَ اليوم إلا وثلاثةٌ على الأقلّ من رفاقه شهداء.

واشتدّت رحى الحرب وحدثَ اقتحام الجهةِ الجنوبيّة، وتمّ تقطيع هذا الجزء إلى أجزاء وانتشر الإخوة في المدينة، كلُّ مجموعةٍ على حِدَة، ولم أعد أرى أبا نَصْر وبدأتُ أحاول الاتّصال بالإخوة في الأجزاء الأخرى من المدينة وفجأةً رأيتُ أبا نصر قادماً وهو يقول: الحمدُ لله يا شيْخ معي حوالي خمسيْن أخًا أمّروني عليهم ماذا تأمرونَ وما هي الخطط في المرحلة المُقبلة؟؟؟.

فذهبتُ إلى مكانهم فوجدتُ الإخوة يلتفّونَ وهو معهم كالأب مع أبنائه شفقةً ومحبّةً وحرصاً، فإن كانت المحنُ هي الّتي تصنعُ الرّجال والحرب تُبرِزُ الأبطال فأشهدُ أنّ أبا نَصْرٍ من هؤلاء، ومن هنا تجلّت مقدرةُ أبي نَصْر القياديّة والإداريّة وبدأ الإخوة يتوافدون إليه ويكونون تحت إمْرَتِه، وكلّما مرّ الوقتُ يزداد الجميعُ ثقةً في حُسْنِ تدبير هذا القائد ويتعجّبون من شجاعتِهِ ورباطةِ جَأْشِه.

وقد رأيتُهُ مراراً يُقْحِمُ نفسه المهالك لأجلِ أن يُؤمّن طريقاً لإخوانه، فكان لا يريد إخوانه عبور طريقٍ إلا عَبَرهُ أمامهم مخافة أن يكون هنالك قنّاصٌ يقطع الطريق، ثمّ رأيتُهُ -والله- لا يأكل إلا بعد أن يأكلَ جميع الإخوة، ولا يشربُ إلا بعدهم، فكان كثيراً لا يأكلُ ولا يشربُ لشدّة الحال والضّيق الشّديد الّذي ألمّ بنا، بل والله قد خلع معطفهُ أمام عيني مع شدّة البرد وأعطاهُ أحد الإخوة، ثم خلع حذاءه وأعطاهُ لآخر، وهو يفعلُ كلّ ذلك متذرّعاً بأعذارٍ حتّى لا يحرج أو يتحرّج الإخوة.

وهو في كلّ أحواله يبتسمُ ويضحكُ ويحمدُ الله ويشكرُهُ على منّته أن وفّقهُ لهذا الطّريق ولهذا اليوم.

وكان الرّجل يحوطُ إخوانه كما تحوط الدّجاجة فراخها حرصاً ومحبّةً يأخذهم إلى حيث يأمنون فيه من عيون العدوّ، ويعبرُ الأسوار والطّرقات ويذهبُ إلى المناطق البعيدة يستكشفُ هل تصلح لمجيء الإخوة إليها، وهو مع كل ذلك من أشدّ النّاس طاعةً لله، فلو اختلى بنفسهِ لحظةً لا تراهُ إلا فاتحاً لكتابِ الله أو مصلِّيًا أو مع كتابٍ من كُتُب العقيدة والّتي كنّا نعثرُ عليها في بعض البيوت.

ثمّ دارت المعركةُ واشتدّت رحاها وانحازَ الإخوة إلى أحدِ البيوتِ وجاءَ الأمريكان وداهموا هذا البيتَ وكانَ في هذا البيت إخوة القائد عمر حديد مع نخبة من المهاجرين والأنصار، فصعدَ عمر حديد ليُدافعَ عن إخوانه حتّى ينحازوا فضربهُ قنّاص، ثمّ صعد أبو نَصْر لكنّه أيضاً أُصيب ولم يُعْلَم أكان شهيداً أم لا، ثمّ عُرِفَ خَبَرُهُ بعد ذلك بعدما وجدَ الإخوة هويّته ونظّارته عندَ مَنْ دَفَنَه فبكينا وبكينا، لكنّ البُكاء لا يُرجعُ ميّتاً، ولو طلبنا منه الرّجوع ما قَبِلَ لأنّه حيّ، اللهمّ إلا ليفعلَ ما فعلَ ويعود إلى قتاله لما يجد من كرامة الشّهداء.

اللهمّ احفظ زوجته وولديه من كلّ مكروه وسوء، وبلّغهم أنّه استُشهد فالرّجلُ لا يعرفهُ أحد، ومن هنا هذه دعوةٌ لإخواني بجزيرة العرب إن كانَ أحدٌ منهم يعرفُ أخاً مِصْريّاً صيدليّاً متزوجًا من ابنة أحد قدماء المجاهدين المصريين وتركها قبل أحداث الفلّوجة بثلاثة أشهر، أن بلّغوها أنّ زوجها اسْتُشهد وحتّى لا يكون الرّجل في عُرْف المفقود، والله في عون الجميع.

أَسَدُ الجولان أبو ناصر الليبيّ (١٩)

هو البطلُ الهمام، والقائدُ المغوار، أَسَدُ المعارك، ورَجُلُ المواقف، مَنْ ترمقُهُ العيون في الشَّدائد، وتَسْتتِرِ به الأبطال في المصائب، حاتمٌ في الكَرَم، حمزةٌ في الشَّدائد، عُمَرٌ في أمر الله، أبو ذرٍّ مع إخوانه، يملأ العين مهابةً، والقلب محبةً، والنّفوس شجاعةً، أَسَدُ الفلّوجتين وبطلُ الجولان، فمن هو هذا الرجل؟.

لحياة صاحبي (محطات) بدأها بالصَّبر وخَتَمَهَا بالشَّجاعة، والصَّبر والشَّجاعة صِنْوان فلا شجاعةَ بلا صَبْر.

وقصّة الصَّبر تبدأ عندما تعرفتُ على الحبيبِ الشَّهيد وقد حَطَّ رِحَالَهُ بالفلّوجة قبل المعركة الأولى بستّة أَشهرٍ تقريباً، غير أَنّ الشَّهيد كان في ذاك الوقت قد أخطأ المكان، أعني من لجأ إليه مِنْ أهل تلك المدينة فجاء إليَّ وقد جُرِّد من جميع ماله لسبب أو لآخر.

نَعَم مَالُه، فقد كان الشَّهيد وحيد أُمِّه، فلقد مات أبوه وتَرَكه مع بنات يعولُهُم الخال، ولكنّ الرَّجُل عمل بالتّجارة وفتحَ محلًّا لبيع الملابس وبعد رحلات مكوكيَّة بين تركيا وفرنسا وإيطاليا أَسَّس عملاً تجاريّاً جيّداً مع خاله، لكن الخال والابن أعني أبا ناصر (فالخال والد) قرَّرا الجهاد بالنَّفس والنّفيس، فباع أبو ناصر وخاله ما لهما من تجارة وشَدّا الرِّحال إلى العراق، بعدما استأذن البطل أُمّه والتي امتُلِئَ وجهها بِشْراً وسروراً قائلة له:

لكن سَلِّم لي على والدك في الجنّة عسى أن ألحق بكما وتكون لي شفيعاً، ألستُ أول من تشفع له يا ولدي؟.

تعانقا والبكاء –لغة المُحِب– كان سيّد الموقف ومَنْ حولهما أخواته يبْكَيْنَهُ ويَدعونَه.

التحقَ أبو ناصر ببيت أبي عبد الله الشامي مع إخوةٍ له صالحين ينتظرون اليوم الذي يخرجون فيه يُزَغردون بسلاحِهِم غير أنَّ ذلك اليوم تأخّر، عذراً نسيت أن أقول وما أنسانيَ إلا الشّيطان، أن أبا ناصر قبل أن يُودِّع الفلّوجة إلى بغداد كان قد وَدَّعَ خاله إلى جنّات عدنٍ عند مليكٍ مقتدرٍ نحسبُه والله حسيبُه، حيث خرجا في معركةٍ مع الأمريكان بالقرمة استشهد فيها خاله ونجا الشّهيد، لكنّه تعلم الدَّرس الأول: (أن التّعجل وسوء التّخطيط عواقِبُه غير محمودةٍ وأَنّ القيادةَ لها مَا لها في المعارِك).

وببغدادَ سئِم أبو ناصر من الانتظار فقد طال ثلاثة أشهر، غير أَنّي كنت أتفرّسُ فيه النّجابة، فقلتُ له يا أخي اسمع مني لعلَّ الله يُوَفّقك لعمل يرضيه عنك فاصبر، لأنّك لو خرجت من هنا هل تستطيع أن تقاتل في غيرها.

وكنتُ أقولُ لهُ ولغيرِه وبعد تجارب مريرة كثيرة: والله لو أعلمُ أنّي سأضربُ طلقة في نحر عدوٍ بعد عام لانتظرت حتى أضربها لأنّي أعلم أني لا أستطيعها في مكانٍ آخر، ولو استطعتُ ففي مدّة أكثر من هنا.

وانتظر الشَّهيد وجاءت الفلّوجة الأولى ولحقَ مع مَنْ لحقَ بها من المقاتلين وبدون ترتيبٍ مُسْبَق وجدتُ نفسي وإيّاه في الجولان والقصّة طويلة.

غير أَنّي هنا أحبُّ أن أقول شهادة لله ثم للتاريخ قد يظن القارئ أنه ليس لها علاقة بالموضوع، وهي كيفية التحاقنا بالجولان، وليعلم النّاس شرف القائد وعلى الخصوص (عمر حديد) لما دَخَلَ الأمريكان أطراف الفلّوجة بعد حادثةِ المدربين الأربعة وكنتُ حاضراً على قصّتهم.

أقولُ جاء الأمريكان فجأةً إلى أطراف الجولان فلجأت إلى بيتِ الشَّهيد القائد عمر حديد فإذا به يزأر في إخوانه وأولاد عمّهِ هيا اخرجوا بسرعة كل واحد يأخذ سلاحه فتنازعتُ أَنا وأَخُوه سلاح كلاشنكوف بلا جُعبة، فقط السّلاح وشاجور وحيد، مرة أَحملُه ومرّة يحملُه، حتى فتح الله عليَّ في أول يوم بسلاحٍ غنيمةً من الحرس الوثني.

أقول خرج عمر وإخوانه مكشوفي الوجوه والنّاس في عَجَب يقولون لهم غطّوا وجوهكم والرّجل يقولُ وبصوتٍ عالٍ اخرجوا دافعوا عن دينِكُم عن عِرْضِكُم عن أَرضِكُم ولا حراك لأحدٍ فأشفقتُ على عمر، ماذا لو سيطر الأمريكان؟!، ماذا لو دخلوا ووشى به الواشون؟ لكنّ الرجل كان يريدُ الله أَحسبُه والله حسيبُه لذلك رَفعَهُ الله في الدُّنيا وإنّه إن شاء الله في الآخرة أرفع.

أقول لجَأنا إلى الجولان وبدأتِ المعركةُ حاميةُ الوطيس وبدأت حِمَمُ النّار تُصبّ على المدينة واستطاع أبطال الجولان وعلى رأسهم أبو ناصر وأبو عمّار السُّوري الأمير أن يحقّقوا أوّل مكسبٍ في أوّل تجربةٍ كانت الفصل.

تمَّ تحييز الطّيران الهليكوبتر (السّمتية) فحال دخولها مجال المجاهدين أمطروها بوابلٍ من رصاص البيكا والكلاشن فهوت أوّلها.

وفرَّ بقيتهم، فكبّرنا وكبّرنا وحَمِدْنَا الله، وبعدها تجرَّأنا على العدوّ وتمَّ انسحاب السّمتيات من المعركة، ودارت الحربُ وكان لأبي ناصر السَّبق حيثُ أُسْنِد إليه إمْرة سريّة من سرايا الجهاد المرابطة حذاء العدوّ والتي يتنزلُ فيها الموت كالسَّيل الجارف، وحينئذ وفي صباحِ أَحدِ الأيام جاء أحدُ الإخوة يقول سمعت في الحراسة دقًّا خفيفاً منتظماً يصدر من هذا البيت أظنُّ أنهم قناصة تقدموا في الظلال وسيطروا على البيت لأن المنطقة حينها كانت خالية من السكّان، فأرسلتُ من يتحقق من ذلك من جهة الإخوة الأكراد فأَكّدُوا الخبر، فاجتمعنا وعلى رأسنا أبو عمّار السّوري الأمير وأبو ناصر وأمير الأكراد جُنْد الله وبعد الاستشارة اجتمع الرّأي أنه لا بد من مهاجمة البيت لأسباب كثيرة أهمّها: أنَّ القناصة إذا سيطروا عليه شلّوا حركتنا واقترب العدوّ أكثر، ولا بُدّ من التضحية، فتمَّ ترشيح أبي ناصر ليكون أميراً على سريّة الاقتحام وتمّ تحديد كيفية الهجوم وأفراد المجموعة وودَّعتهم على بركة الله وكان من المنتظر أن تبدأ العملية بعد ساعة فجاء من يقول إن أبا ناصر حُوصِرَ هو ومن مَعَه، وسرى الخبر في الجولان وانتشر انتشار النّار

في الهشيم ففزعَ النَّاس إلينا وكان ممَّن فزع عمر حديد والشيخ أبو أنس -تقبلهما الله- وغيرهم من أفاضل وأكابر الإخوة المجاهدين.

وبالفعل رأينا السَّمتية تنادي بالمكبّرات أنّكم محاصرونَ وأننا سوف نُبيدكُم خلال نصف دقيقة، فزحفت المجموعات باتّجاه الإخوة وجاءَ إلينا المجاهدون من كل صوبٍ وتمّ توزيع النَّاس لفكّ حصار الإخوة.

وبينما نحن كذلك إذا بالتّكبير ينطلق من الداخل وقذائف الـ RBG تهدّ حصون العدوّ علامة أنَّ هجوم أبي ناصر بدأ وليُبشّر أنّ القوم غير محاصرين، وبعد نصف ساعة من الاشتباك سيطرَ أبو ناصر على بيت القنّاصة، وكان هناك بيت آخر مجاور لم يكن يعلمُ الإخوة وجودَ أمريكان فيه، حيث قاموا بفتح النّار على أبي ناصر ومجموعته إلَّا أنّ الله سَلَّمَ وغَنَمَ الإخوة أسلحة القناصة وقتَلوا من داخل البيت ورجع أبو ناصر بشهيدٍ وجريحٍ فوجد النَّاس في انتظارهم، فقال ما لكم؟ قالوا ظنّناك حوصرت، قال: الحمد الله؛ لا، وهذا البيت تنَاقلتْهُ وسائل الإعلام تصويراً.

وفي تلك الأثناء بدأت أكبر معارك الجولان وأشدُّها ضراوةً وأطولها مُدّة، لكن لأن المشيئة الإلهية هي التي تُدَبّر وتُوفّق، ونظراً لأن النَّاس قد اجتمعوا لأجل فكّ الحصار وسدّوا الثغرات تمَّ صدّ الهجوم وتكبيد العدوّ خسائرَ فادحة في الأرواحِ والمعدات، حيث تمَّ تدمير دبّابتين ومُدرعة وأُسْقِطَت طائرةٌ والحمد لله وهذا من تدبير الله لنا، إذ لو جاء العدوّ بهذه القوّة قبل قضيّة الحصار بدقائق لدخلوا الجولان بكل سهولة، لكن الله هو الموفق والمسدِّد والمدبِّر فمعركة الفلّوجة كان لها ما لها.

ثم مضت الفلّوجة الأولى، وبين المعركتين أعني الفلّوجة الأولى والثّانية انشغلَ أبو ناصر بأمرٍ آخر، حيث قام بتدريبِ عددٍ كبيرٍ من الإخوة على تصنيع المتفجرات وتشكيل سرايا للقتال خارج العراق وتمَّ له ما أراد.

فلعلَّ الله يسمعنا عنهم خيراً قريباً إن شاء الله.

ومَضَت المعارك ضارية وخاصّة قبل موعد الفلّوجة الثّانية بشهرٍ أو شهرين فتم تنظيم الحماية للمدينة وتوزيْع الكتائب لحمايةِ مداخلها فأُسْنِدت الصّناعة للقائد عبد العزيز، وجبيل للقائد أبي ياسر، والعسكريّ للقائد أبي عُبيدة رحمه الله، والشّهداء للقائد أبي عبد الله التونسي، وأخيراً وأهم النّقاط الجولان للقائد الشّهيد أبي ناصر، وحتى لا أُطيل قام الشّهيد بترتيبِ مجموعتِه على قدر المستطاع إلا أَنّ هذه الكتيبة كانت أحدث الكتائب تشكيلاً والتحق بها معظم الإخوة الجُدُد من قليلي الخبرة، وفجأة دَقَّ ناقوس الخطر واشتعلت نيرانُ الحرب وبدأت الفلّوجة الثانية، وحَدَثَ الاختراق المعروف للجبهة من جهة (الجغيف) النّقطة الوحيدة من الجبهة التي تركناها لغيرنا، والحقُّ يُقَال إنَّهم أيضاً ما قَصَّروا ولكن هذا جُهدهم والله يعفو عنّا وعنهم.

دَخَلَ العدوّ وحاصرَ الجولان وانتشر القناصة فجأةً خلف ظهور الإخوة وسَيْطروا على كافّة الطّرق والتّقاطعات، وحتّى مآذن المساجد، وتقدّموا من جهة الشّط وقاتلَ أبو ناصر قتال الأبطال وبدأت اللّيوث تتساقط، فهذا أبو العيناء أمير نقطة الشّاطي شهيداً يتبعُهُ جاسم ابن عم عمر حديد ثم عبد الستار أخوه وغيرُهُم وغيرُهُم وازدادت الجراحُ في الإخوة وبدأت الدّماءُ تنزف ولم يبقَ مكانٌ آمنٌ في ذلك الوقت إلا القسم الجنوبي من المدينة.

فقام أبو ناصر وأبو همام الليبيّ –رحمة الله عليهما– بعمليّة بطولية أدهشت الجميع.

وضعَ أبو ناصر الجرحى في سيّارته البيك أب وقال لأبي همام تَوَلَّ أنت أمرَ القيادة وسنحاول تجاوز الشّوارع والتّقاطعات والتي ملأتها الدّبّابات والقنّاصة وكانت الخطّة أن يتقدمَ أبو ناصر ويفتح خطّاً كثيفاً من النّار باتّجاه الدبّابة من خلال الـB.K.C وفي تلك اللحظة يعبر أبو همام بالسيارة وبالفعلِ تمَّ تنفيذ الخطّة وتجاوزَ الأخوان أكثر من عشرة شوارع وتقاطعات.

ووصَلَ إليّ أبو ناصر في حي نزّال ففرحتُ بنجاتِه ومن معه، وفي تلك الليلة بِتُّ وإيّاه وأبو همام في بيتٍ واحدٍ مُظلم لا ماء فيه، فأشعلتُ ضوء كشافي لأرى أبا ناصر

وأبا همام كأنهما قمران طلعا وسط هذا الظلام وتعجبتُ لسِرّ هذا الجمال المفاجئ، وقد تعلمتُ وخبرتُ أن الأخ إذا حانَ وقت استشهاده جَمُلَ خُلُقُه ونضر وَجْهُه وصار في النَّاس شامه، فبدا لي الأَخَوان في تلك الليلة كذلك فاقشعرّ جسدي وقلت في نفسي: الله غالب.

ورمى حبيبي جَسَدَهُ على الفراش واستلقيتُ حذاءه وكان متعباً جدّاً وهنا قال لي، أمي قالت لي مثلاً: قالت أم لابنها الفقير يا بنيّ لا تأكُل إلا العَسَل ولا تَنَمْ إلا على الحرير، فقال لها: يا أمّي كيف ذلك وأنا فقير، قالت له: لا تأكل إلا وأنتَ جوعان ولا تَنَمْ إلا وأنتَ متعب.

وأصبَح الصّباح وتمّ تشكيل سريّة اقتحام من النّصف الجَنوبي للنّصف الشمالي وعيّنتُ عليها أبا ناصر أميراً، وقال له أبو عزام -تقبله الله- أرجو من الله أن تصلي الظّهر في جامع أبي عبيدة والعَصْر في الفاروق -يعني تفتح الجزء الشمالي حتى تلك النّقاط-، وكان ذلك ضرباً من الخيال، وسُبْحان الله صلّى أبو ناصر الظّهر في أبي عبيدة والعصر في الفاروق، إلا أنّ جريحاً جُرِحَ عنده فوضَعَهُ في سيّارته وعاد لكي يضعه عندنا في مأمن وكان الحاجز بيننا شارع الحاج حسين أو الشَّارع الذي يربطُ بين الجسر الجديد وجسر السّريع.

فوقف على الحاجز الآخر وقال أريدُ أن أعبرَ إليكم فقال له الأخ عبد الهادي لقد عبرتَ عدّة مرات هذا اليوم والدبّابات انتبهت إليك وأخاف عليك فلا تعبر، قال عندي جريح سيموت والله الموفق، فتقدّمَ أبو همّام يقودُ السّيارة وفتح أبو ناصر نار الـB.K.C على الدّبابة كالعادة، وقبل أن يصل إلى الجهة الأخرى بمترين استقرّت قذيفة دبّابة في السّيارة فاستشهد أبو همام في الحال وقُطِعَت قدم أبو ناصر فأخذ يكبّر ثم تَشهّدَ وانتقل إلى رحمة الله أمام عين عمّه أبي عبد الله الشّامي، ومن العجائب التي تُحكى وليعلم النّاس أن الله هو الحافظ، نجا الجريح وقُتِلَ حاملوه حيث نزلَ من السّيارة بسرعة وزحفَ إلينا، ونجا من الموت بأعجوبة والله قادر غالبٌ حكيم فأصاب الجميع همّ وغمّ لا يعلمُ به إلا

الله حيث فقدت المدينة في أحلك المواقف أهمّ وأجرأ قادتها أسأل الله أن يُلحِقنا به ولا يحرمنا أجره وأن يجمعني به في جنّات صِدْقٍ عند مليكٍ مقتدر.

ولا أظنّك يا أخي الكريم نُسّيتَ أختيك: أهل أبي عبد الله وابنته زوجة أبي ناصر، وكيف كان وقع الحال على المرأة وابنتها.

فالأم فَقَدَت زوجها في بلاد لا عَمّ ولا خال، ولا أخ ولا حتى مأوى يأمنون فيه، فَقَد تفضّلَ عليهم وعلى زوجتي أخ كريم وأجلسهم في بيته إلّا أنّه لفرط خوفه عليهم دهنَ الزّجاج باللّون الأسود وأغلق عليهم جميع المنافذ حتى لا يخرج أي صوت إلى الخارج.

وكان الخبر قد خرج مع من خرج من الفلّوجة أن أبا عبد الله حيٌّ يُرْزق وأنه خرج جريحاً إلى منطقة الصقلاوية وأن عبد لله قُتِلَ شهيداً أو أنّي ما زلت مفقوداً وجلست أم عبد الله وابنتها تُصبِّرانِ أهلي.

وفجأة خرجتُ من الفلّوجة بعد حرب السّبعين يوماً وفوجئ الجميع بأبي حيٍّ وباستشهاد أبي عبد الله وزوج ابنته، بقيَ عليّ وأنا مجروحٌ في صاحبي أن أُخْبر زوجته الغريبة المختبئة وابنتها بنبأ الشّهيدين وفعلتُ، وما أردتُ، وحَدَثَ ما توقّعتُ، فقد بَكَت البنتُ على حداثة سنِّها على زوجِها حتّى قطعت أكبادي فهي ابنتي وأعرفها جيّدا قبل الحجاب، ولم أستطع معها حلاً إلا أن أدعو الله لها ولأمّها وكافة أخواتها أن يحفظهن من كل مكروهٍ وسُوْءٍ وأن يُبْعِدَ عنهم مكرَ الأعداء ومكرَ الجواسيس، وللعلم فهما الآن في مأمنٍ والحمدُ لله قد ذَهَبَ عنهم بعض ما وَجَدوا والحمد لله على النّسيان ولُطْف الله بعباده.

أبو عبد الله الشَّامي (٢٠)

عَلَمٌ من أعلام الفلّوجة، ورمزٌ من رموزها، وأَسَدٌ خبيرٌ من أُسْدِهَا، طيّبُ القلب، سليم الصَّدْر، نَقِيُّ السَّريرة، تقيٌّ زاهدٌ ورعٌ، يَأْلَفُ ويُؤلَف، ومهما وصفتُ أخي وحبيبي فلن أستطيعَ أنْ أُحيط بجميل خُلُقه ومحاسن أوصافه إلا كما يُوصَف المغبون.

ولأخي وصديق دِرْبي وفلذة فؤادي، معَ الجهادِ قصّة ونشيدٌ، مُوجَزُهَا أنَّ الشّهيد -نحسبه كذلك- كان سليمَ الصَّدر إلى حدٍّ بعيد، وكانَ لا يعرِف الكذبَ ولا يظنّ أنَّ أحداً يحترفه، فبعدما عرفَ الجهادَ فريضةً لازمةً سافرَ إلى الجزيرة (السّعودية) -دولة الإسلام كما أقنعوه- وهناكَ عَرَفَ كُفْرَ آل سعود على حقيقته وكَرِهَهُم من أعماق أعماقِ نفسِه، وخاصّة بعدما التحقَ والتقى بـ(إخوان منْ أطاعَ الله)، وعادَ إلى بلدِهِ سوريا مدينة حلب، هناك سمِعَ أنّ الشيخ أبا عبد الله أسامة بن لادن موجودٌ في السّودان وبالفعل سافرَ إلى هناكَ ولكنّ أَمَلَهُ خاب، لأنَّ الشيخ كان لِتوّه قد طُرِدَ بعدما سُرِق من الدجّالين (الترابي والبشير)، ثم سافرَ إلى اليمنِ بعدما باعَ بيتَهُ ومَحَلَّهُ ورَحَلَ بأهله بعدما أخبروهُ أنّه من هناك يُسَهّلُ عليه الهجرة إلى أفغانستان، وبعد شهور من الضّيق والضَّنَك وقلّةِ الحيلة والمال عادَ والحزْن يملأُ قلبَه، ثم سافرَ أخيراً إلى أفغانستان، وهناك بدأَ أبو عبد الله أوّل خطواتِ الجهاد، قاتلَ في صفوفِ الطّالبان ضدّ التّحالف الشمالي، ثم حُبِّبَ إليه قتالُ الرّافضة، فَشَكَّلَ هو ومجموعة من الإخوةِ العرب والعجم سريّة لقتال الرّافضة الإيرانيّين وكان أميرُهم صلاح الدِّيْن الإيرانيّ فكانوا يُغِيرُونَ على معسكراتِ الرّافضة فيقتلُوْن ويأْسِرون ثم ينسحبون آمنين بحول الله وقوّته، ثم قوَت دولة الإسلام فأسرع إلى كبح جماح الرافضة في (باميان) بعدما غَدَرُوا بالسُّنّة هناك ونَقَضُوا كلَّ العهود والمواثيق واتّصلوا بالغربِ وعلى رأسهم اليابان وكوريا وتايلاند وغيرهم ليبيعُوا لهم (بوذا) وليُبَرْهِنُوا لهم على محبّتهم وولائهم قتلوا السُّنّة ومَثَّلوا بهم فوقعوا في شرِّ أعمالهم وأتاهم الموت من حيثُ لم يَحْتَسِبُوا، وكان من السّابقين إلى ذلك شهيدنا الحبيب، وفي أفغانسْتَان تَعَلَّمَ أُصُوْل عِلْم المتفجرات وعِلْم التّشريك، ثمَّ تتابعت الأحداثُ كما هو مَعْلُوم،

وانهارتْ دولة الطّالبان تحت مكرٍ وكيدِ باكستان وعملائِهم وانسحبنَا إلى الجبال، بعضُنا إلى جبال تورا بورا وعلى رأسهم الشّيخان، وبعضُهُم إلى جبال كرديز وكنتُ والشّهيد منهم، وهناك برزَ دورٌ آخر للشّهيد البطل فكان خادمَ الإخوة الذي لا يَمِلّ وسائقهم الذي لا يَكِلّ، هذا وأهلُهُ وأولادُهُ تحت ضنكٍ شديد فَرَّجَهُ الله بعد ذهابهم إلى باكستان، وبقب الشّهيد مع إخوانه، خادِمُهُم إذا نَزَلوا وفَارِسُهُم إذا رَكِبُوا، وأخيراً انطوت صفحة أفغانستان في حياة الشّهيد وبدأت صفحة العراق، جاء إليها قبل سقوط بغداد بعدّة أشهر، وفي بغداد اجتمعَ نفرٌ يسيرٌ كان العبد الفقير خادِمهُم، واتّفقنا على جمع السِّلاح إذا سقطَ النّظام كما وبعد السّؤال اتّفقنا على عدمِ مُسَاعدة هذا الطّاغية بطلقةٍ واحدة، وسقطَ الطّاغية وبدأَ الفتح الإسلامي الثّاني للعراق، فَتْح الصّحابة ثمَّ فَتْح المجاهدين، فبدأت والشّهيد وسابقاً شهيدنا أبو عمر وغيرهم نضع العبوات ونضع أوّل لمسات علم التّفخيخ والتّشريك بالعراق، وكان أبو عبد الله الشّامي من أساتذة هذا الفنّ ففتحَ الله عليه خيراً كثيراً، وباركَ في جهودِهِ ومسعَاه، ولما جاءَ القائدُ المباركُ أبو مصعب الزّرقاويّ -رحمه الله- لَحق ولحقنا بِرَكْبِه فكانت صفحةً جديدةً وقصّةً أخرى وليدة من حياة أبي عبد الله سَخَّرَ نفسهُ وأهلَهُ وبيتَهُ وحياتهُ لخدمة المجاهدين والاستشهاديّين، ولأنّ البيوتَ كانت موصدةً أمامنا.. فتحَ بيتَهُ، وفي بيته بدأت أوّل فصول العمليات الاستشهادية وعلى يديه سارت أوائل فصول قصّة الجهاد والاستشهاد في العراق.

وفي هذه القصة فصلٌ جميل لطيف أحبُّ أن أُوجِزَهُ، وهو أنه تم رصد هدفٍ مهم في حيّ الجامعة ببغداد، جنرال أمريكي كبير من الـ(CIA) يأتي لبيتٍ من البيوت يمتلأ ردّة وكُفْراً ونفاقاً، وعند لحظة التّنفيذ تردّدَ الأخ الاستشهادي، فما كان من أبي عبد الله إلا أن ركبَ السيارة وقال أذهبُ مكانَه، والله لا يضيعُ الهدف ولا ترجع العروسة بلا عريس -يعني السيارة-، وحاولتُ وحاولتُ لكنّه أصرّ وقال لي: وصيتك أهلي وأولادي وانطلقَ الرّجلُ باتّجاه هدفه إلا أنّ الهدفَ كان قد خرج لِتوّه وأبقى اللهُ لنا أبا عبد الله.

وبعدما فتحَ الله علينا الفلوجة وأَعَزَّ الدِّين وأهله وأَذَلَّ الشِّرك وحزبه قدم أبو عبد الله وواصل الليل والنّهار جمعاً للشّمل وتقوية للصّف ورأباً للصّدع، تارة باللِّين وأخرى بالشّدة، النُّصح شعارُهُ والمحبة سبيله، ولما اكتملَ البنيانُ واستوى الرُّكبان، جَهَّزَ حقيبةً صغيرةً بعدّة التفخيخ وأخذ يطوفُ على كتائبِ المجاهديْن من دورةٍ إلى أخرى يُرْسِي دعائمَ هذا العلم، فلا ترى أبا عبد الله إلا بين أحضان عروس، عفواً سيارة يجهزها، أو إخوة يدربهم، دَوِيُّ المتفجرات عَزْفُهُ وغبار البارود طِيبُهُ وتجارب المتفجرات لَهْوُهُ وأنيسه، نسي أهله وولده وعشق فَنَّه وإخوته، يمُرُّ عليه الليل ثقيلاً حتى إذا لاحَ الفجرُ بضيائه ترى أبا عبد الله فوق رؤوس إخوانه والبسمة تعلوه، هيّا كفاية نوم، نمنا كثيراً كثيراً.

وهو في كل ذلك نِعْمَ المُعِيْن، وخيرُ صديق، كان لي إن نِمْتُ أو تكاسلتُ أخذ على يديَّ، وإن زُغْت أو تهاونت أقامني فلم يكن مساعدي بل أستاذي وصاحبي. ولما أحسَّ أبو عبد الله بِقُرْب الأجل ودنوّ الأمل، فاتحني أنه يريد أن يُزوّج ابنته من رجل صالح ويطمئن عليها في حياته فاخترتُ له القائدَ الهمامَ والبطلَ المغوار سيّد الجولان، أبا ناصر الليبيّ وحضرَ الشّيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله- وكيلاً عن العريس وعقدتُ لأبي ناصر وأصدقَ الشّيخ ابنته ألف دولار، بالطّبع رفضَ أبو عبد الله إلا أنه ضُغِطَ عليه، ولم يدخلْ أبو ناصر بالعروْس لأنّها صغيرةٌ بعضَ الشّيء.

ثم جاءت الفلوجة الثّانية، وأدركَ الجميع أَنَّ النهاية قد اقتربت وأن رحى العمر أوشكت على التّوقف، وأن طاحونة الاستشهاد لا بد أن تمرّ على ما تَبَقّى من الأُسُوْد في الفلوجة، واشتعلت الحرب، وصَبَّ الحقدُ الصليبيّ نيرانَ الحقدِ والحسدِ والبغضاءِ وتَبَسَّمَت السَّماء للشّهداء، وبدأ الإخوةُ يرحلونَ واحداً واحداً، كلٌ يُودِّ عُ رغماً عن الجميع، واستمرّت مواكبُ الاستشهاد تتدفق كالسَّيل الجارف، وبينما الأمور كذلك كان أبو عبد الله واقفاً على حافّة الطريْق من جهةِ مطعم الحجّي حسين وزوج ابنته (أبو ناصر اللّيبيّ) على الجهةِ الأخرى، يناديْه عمّي سأعبر، ويردّ أبو عبد الله لا يا أبا ناصر

الدبّابة تراكم، وعبرَ أبو ناصر قَدَمَهُ في اتّجاه عمّه، وفاضتْ روحُهُ أمام عينه وهو يقولُ اللهُ أكبر اللهُ أكبر.

وكنتُ على بعد مائة متر من الموقع، ومن بعيْد رأيتُ أبا عبد الله قادماً عليَّ يحملُ قاذفته ويخطّ برجله الأرض.

وفي اليوم الثاني كَثَّفَ العدوُّ من رمايته ورَكَّزَها فَأُصِيب غالب إن لم يكن كل من في الخط الأول، ولم يكن هناك طبيب أو مُمَرِّضٌ وبَيْنَ يَدَيَّ نَزَفَ أَخٌ حتى الموت ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وعلى عَجَلٍ وقِلَّة عِلْم وحيلة تمَّ تجهيز مكان خلفيّ للجرحى، وطلبَ الإخوة من يقوم على رعايتهم، فطلب أبو عبد الله أن يذهبَ عندهم فقلتُ له ابقَ معي لكي تساعدني فليس معي أحد يفهمُ في التّشريك، قال: دعني أذهب، قلت له توكّل على الله ولكن تأتي عند الصّباح، قال إن شاء الله.

وذهبَ أمام عيني وأنا أرمقُهُ عند مغيبِ الشّمس وغابتِ الشّمس، ولم تَعُد إلى يومنا هذا يا عزيزي، رحلَ أبو عبد الله مع أبي طارق الليبيّ تحتَ جدارٍ بعد قصفٍ مدفعيٍ عنيف، كما أودّ أن أسكبَ أيضاً دمعةً على أبي ربيْع الليبيّ حيث ذهبَ مع أبي عبد الله مع الشّمس وعندما ذهبَ أبو ربيع وكان جريحاً في ظهرهِ جاءَ يُقبّلني بحرارةٍ ويحضنني ويُقَبِّل رأسي فقلت: عزيزي هي مائة متر بُعْد بيتِكَ عن بيتنا، قال: الله أعلمُ أنلتقي أم لا، ولم نلتقِ، ولعلّنا نلتقي في مكان آخر في جنّات عدنٍ برحمة مِنه وفَضْلٍ ولعلّي أعودُ بشيءٍ من التفصيل عن أبي ربيْع وأبي طارق في وقتٍ آخر.

بقيَ يا أخي أنّي نسيتُ صفحةً مهمّةً من حياة الشّهيد، فإنَّه وفي يوم من أيام الفلّوجة الطّاحنة قصف الأمريكان بِعُنْف حي الصناعة، فَأُصِيْب على إثر ذلك القصف أحد الإخوة العرب في رأسه وتمَّ نقله إلى مستشفى الفلوجة لكن المستشفى قالت إنها لا حيلة لها به، ويجب نقله إلى مستشفى الحملة العصبية ببغداد -وهو مستشفى يسيطر عليه الرّافضة ويقع بالقُرْب من وزارة الداخلية-، فَتَمَّ نقل الأخ وتبرّع بالذهاب معه أحد

أفاضل الإخوة الأنصار وأكثرهم حباً وخدمة للمجاهدين وهو الأخ إبراهيم العيساوي (كان ضابط شرطة تابَ الله عليه وبقي مع الإخوة) وفي المستشفى وتحت تأثير البنج تكلّم الأخ فبانَ من لهجته أنّه من الجزيرة وعلى الفور طار الخبر في المستشفى.

وفي تلك الأثناء قال لي الأخ الشّهيد: إنَّه يريد أن يذهب ليطمئنَّ عليه، فقلتُ له: يا أخي، المستشفى خَطر وبغدادُ وَضعُها خَطر، قال: لا بدّ من الاطمئنان على الأخ وإذا ما كانَ يحتاجُ لشيءٍ، المهمّ أنّه أصرّ على الذّهاب.

وذهبَ إلى المستشفى حاملاً معه أكياس الطّعام والشّراب يحثُّ الخطى لرؤية أخيه، لكنه وجدَ الرّوافض في انتظاره، وعلى وجه السُّرعة جاءت الشُّرطة، والمنتشرين أصلاً في جوانب المستشفى كميناً لمن يأتي من الإخوة.

وتم نقله إلى مسلخةِ وزارة الدّاخلية وهناك صبّوا عليه العذاب صبّاً - كهرباء، جَلْد، ضَرْب، ماءٌ قَذِر، حبسُ البول- كل أصنافِ العذاب وما تركوهُ إلا جثّةً هامدةً لا حول ولا قوّة له إلا بالله، ثم جاء الأمريكان لينقذوه من أيديهم وليكتشف الرّجل الميت أصلاً أنه وقع فريسة لرجلٍ آخر، وعلى الفورِ تمّ نقله إلى دولة مجاورة وبطائرة حربيّة وهناك خضعَ لاستجواب دقيقٍ وطويل، فلما لم يجدوا عنده شيئاً، عرضوا عليه مجموعة من الصّور لعلّهُ يعرفُ أَحَدَهُم وحينئذٍ صُعِقَ الرَّجل وظَنَّ أَنَّه الهلاك حيث كانت صورته بالصَّف الأول، وظن في أوّل الأمر أن عملية العرض ما هي إلا خدعة لكنهم والحمد لله لم يعرفوه، وكان عنده أوراق هي كأوراق الخريف سُرْعان ما تهوي إذا لامستها أيادٍ هَشَّة وكذلك كانت هويّات الشَّهيد، وفي السّاعة العاشرة صباحاً وبعد عشرة أيام من الاعتقال طُرِقَ بابي فخرجت وإذا بحبيبي وصديقي وعيني أبي عبد الله واقف أمام عيني يتبسم وإن كان الإعياء واضحاً عليه، فلم أُكَلِّمه كلمة واحدة حتى خررت لله ساجداً على النّعمة والتي ما ظنّ أحدٌ قط أن تكون، حيث أعلنَ العدوّ وقت اعتقاله أنه اعتقل أحد مساعدي الزرقاوي، ولكنّ الله كتب له النَجّاة. ثم بعد السَّلام والكلام قال لي:

عذراً، ممكن أذهب أرى أهلي فزادتْ محبّة الرّجل في قلبي إذ أنّه أرادَ أن يُطَمْئِنَ إخوانه قبل زوجته وأولاده.

وبعد فترةٍ قال لي أبو عبد الله: تعرف يا أخي والله لقد هممتُ أنْ أدعو عليكَ وأنا بالسِّجن، فجزعتُ من قوله ثمّ قلتُ: ولم؟.

قال: لأنَّك منعتني مراراً من تنفيذ عمليّة استشهاديّة، قلت: والله يا أخي ما أردتُ إلّا الخير والصَّالح العام.

ثم أردفَ قائلاً: لا تمنعْ أحداً من خيرٍ عندَ الله، ثم الله يُخْلِف علينا فالدِّيْن لا يتوقفُ على شَخْص كائناً ما كان ذلك الشَّخْص.

لكنّي وللأسف ما تَعَلَّمْت الدّرس ومنعتُ أحد الإخوة المقاتلين من عمليّة استشهاديّة، وهو الآن وديعُ السّجنِ أسألُ الله أن يعفوَ عنّي بفضلِه ومَنِّه وأنا تائبٌ إن شاء الله.

أبو محمّد الجزائري (٢١)

هو التّقيّ النّقيّ، والعسكريّ الشّجاع، بل والجريء الـمُتهوّر، طاهرُ السّريرة (كتابٌ مفتوح)، متى شئتَ قرأْتَهُ، لا لَبْسَ في حروفِهِ ولا معانيه.

وصلَ إلى بلادِ الرّافدين قبل الفلّوجة الأولى، ونزلَ على الشّيخ عثمان المعاضيدي، ولأن الشيخ رحمه الله وأسكنهُ فسيحَ جنّاته، كانَ مجاهداً صوفيّاً، وصاحبي سلفيٌّ متشدّد طلبَ أَن يَسكُنَ هو وعبد الهادي اليمني مع بعضهما في شقّة لحالهما وقد كان، ودارت الفلوجة الأولى، واشتدّت رحاها.

وبينما نحنُ في الجولان رأيتُ شابّاً نحيفاً طويلاً، به صَلَعٌ خفيفٌ يحملُ البكتا الروسي (جرينوف ثقيل). وقد حوّرها عسكريُّو العراق لتستخدم مثل الـB.K.C وجاءَ مع المِدَد الذين هبّوا لـمُساعدةِ إخوانهم في الجولان.

ولما جاءت السّمتية، تقدّم أسدُ الجولان (سابق الذكر) أبو ناصر الليبي إلى ساحة مفتوحة وبدأَ يُمطِرها بوابلٍ من رشّاشة البيكا.

وقد كانت عادتي أن أرفعَ من همّة الأبطال حتّى يلحقوا به ولتكون هناك غزارةٌ ناريّة، ولكنِّي فوجئتُ بهذا الشّاب يخرج من غمار الناس مكبّراً ثمّ اتّخذَ مَكَانَهُ وبدأَ يُمْطِر السمتية (الطائرة الهليكوبتر) بوابلٍ من الإطلاقات وهو يُكبّر ويُكبّر. وفجأةً كَبرّ الجميع ثمّ شاهدت دخاناً أبيضَ انبعث من مؤخرة الطائرة وبَدَأَتْ تهوي إلى الجحيم.

فتقدمتُ من الرّجل الأسد، وقلتُ له جزاكَ اللهُ خيراً، فوالله ما قَصَّرْتَ ولا خذلتَ، فما كان منهُ إلا أنْ قال بتواضعٍ وحياءٍ: (الحمدُ لله) ولم يَزِدْ، ثمّ طلبتُ منه أنْ يبقى معنا في الجولان فوافقَ الرّجل، بل ورَحَّبَ بذلك، واستمرّت المعركة، وفي كلّ مرّة يُثْبِتُ الرّجل أنّه رجلُ المواقِف، ومع ذلكَ قال لي يوماً وبالحرفِ الواحد: (سبحان الله يا أخي لما أرى أبا ناصر جانبي في الضّرب أو الصّف والله أطمئن).

فحملتُ الكلمة إلى أبي ناصر، تشجيعاً، وثانياً، ليعلمَ الرّجل أنّ أبا محمّد يُحبّه، فقال: سبحان الله إنّي والله في نفسي ما في نفسِه، ولستُ أشكّ أنّه أشجعُ مني. ثم فاتحتُ أبا محمّد في الانضمام والبيعة، فقال أنا جنديٌّ مطيعٌ بلا بيعة، والبيعةُ شرفٌ ودينٌ فمرحباً بها ومن لا يتشرّف بذلك، ومن لا يحبّ البيعة على الموت. فوالله لقد فرحتُ به فرحاً شديداً وقلتُ في نفسي: هذا والله هو الكنز.

وانتهت الفلّوجة الأولى بالنّصر والظّفر وبدأنا مرحلة هي أصعبُ من الأولى، مرحلةُ البناء، بناءُ المدينة عسكريّاً ومن قبل إيمانيّاً، لكن أبا محمّد والحقّ يُقَال كان غيرَ مقتنعٍ أنّ النّاس هنا جادُّون في أنّ الجهاد بالنّسبة لهم ديْن، لا وطنيّة ولا قوميّة، وقد كان على حقّ بالنّسبة لعددٍ من ضعافِ النّفوس الّذين جاءوا بعدَ المعركةِ وأرادوا أن يقطفوا الثّمرة على دماء الشّهداء وأطرافِ المعوّقين، فإنّا نعلم أنّا وجدنا من الخير في هذه البلادِ ما لم نَجِدْهُ في كثيرٍ واختارها الله لرفعة دينه وإقامة عَلَم الجهاد في أرضِهِ.

وفي يومٍ من الأيّام صدرتِ الأوامر بتجهيزِ المجموعاتِ والخروج إلى السّريع لقطع الطّريق على قوافلِ الأمريْكان، وكان أبو محمّد أميراً لإحدى هذه المجموعات، وكان ذلك خطأ فإنّ الرّجل شجاعٌ إلى حدّ التّهور لكنّه كان أيضاً حكيماً. وبالفعل استطلعَ مكانَ مجموعتِهِ وذهبَ بهم إلى أقرب مكان ممكن من العدوّ وقال للإخوة سوف نبدأ الضّرب من هذا المكان وعلى طريقة رأس السّهم تقدّمٌ وانبطاحٌ وحتى الوصول إلى الهدف. وإن جاءت الأوامر بالانحياز لسببٍ ما، سواء أكان عطلٌ في السّلاح أو كثافةٌ في رماية العدوّ، أو عدم فعاليّة سلاحنا مع الدبّابات، فهذه حفرةٌ كبيرةٌ وعميقةٌ انسحبوا إليها، فإذا دخلنا فيها لا يرانا العدوّ وبعدها نأخذ الخطوة الثّانية وهكذا حتى يؤمِّنَهُمْ.

وبالفعل تمّ التقدّم وتقدّمَ أبو محمّد حتى أرهقَ العدو، وفي زحمةِ مشاغلته وإطلاقه عليهم التفّت عليهم الدبّابات فأمر بالانحياز وانحازَ هو ومن معهُ إلى الحفرة، وحَمِدُوا اللهَ على السّلامة، فلما عملَ تعداداً لإخوانه، وجدَ أن اثنينِ منهما لم يعودا، فرجعَ ليبحثَ عنهُم وحاولَ الإخوة إقناعه بِعَدَمِ الذّهاب فالعدوّ أمامه، لكنّه رفضَ بشدّة وأبى إلا أن

يذهبَ ليبحثَ عن إخوانهِ، غير أنّ أبا محمّد ذهبَ ولم يَعُد، نعم لم يَعُد إلى يومِنا هذا ولم ألتق به، ولعلّي ألتقي به في دارٍ خيرٍ من دارِنا وفي أَمنٍ بعد خوف، فالله أرحمُ الراحمين.

وبعد انتهاء المعركة، بدأنا بالبحث عن الإخوة فوجدنا الأَخَويْن اللَّذَيْن ذهبَ يبحث عنهما أبو محمّد شهيدين- نحسبهم كذلك -، ولكن أبا محمّد لم نرَه، وبحثنا وبحثنا، ولم نعثرْ له على أَثَر، فغلبَ على ظنّي أنّه أُسِر لكنه وبعد خمسة أيّام وجدنا أبا محمّد تحت أبراج العدوّ المنسحب، فعرفنا أنّ الرّجل تقدّمَ حتى اقتحم على العدوّ لما لم يرَ إخوانه، ثم استشهد رحمهُ الله فوالله ما تغيّر جسمهُ ولا لونهُ ولا رائحتهُ قيد أنملة على الرّغم من طول المُدّة وشدّة الحر.

أبو الغادية (٢٢)

جميلُ الخُلُقِ والخِلْقَة، طيّبُ الصُّحْبة والعِشْرَة، ذكيًّا زكيًّا نَحْسَبُه، متواضعٌ في غير ذِلَّة، ليّنٌ إلَّا في دِيْنِه، صَلْبٌ إلاّ معَ إخوانِه، خَدُوْمٌ مِنْ غير أَنَفَه، كان صاحِبَ سِرّ أسدِ الرّافديْن الأمين، وأوّل أصحابه المُقْدِمِين الأقْدَمِين -تقبلهما الله وغفر لهما-.

من بلادِ الشّام من سوريا الحبيبة، طبيبُ أسنانٍ ماهر، هاجرَ إلى الله إبانَ فترة الدّولة الإسْلاميّة في أفغانستان، وهناك تعلَّمَ أوّل دروس العسكريّة، وتفجَّرَت في نفسِهِ ينابيعُ العبقريّة الإداريّة، فقد كانَ يعشق النِّظامَ والتّرتيب، يكره العشوائيّة والهمجيّة، يؤلِمُهُ كلّ شيءٍ في غير موضِعِه ولو كانَ كأس ماء، وكأنّ ذلك منبثق من طبيعة عمله كطبيب، لحقَ بركبِ أبي مصعب -تقبّلهُ الله وغفرَ له- مبكّراً واتّفقا على إحياءِ الجهادِ في بلادِ الشّام، وبدأ معهُ يرتّب أوّل لبنات البناء فكان معسكر هراة، والتي ما تركَهَا إلا بعد الهجوم الرافضيّ عليها مستخدمين كلبهم (إسماعيل خان) وذلك إبان الهجمة التّتريّة الأمريكيّة على الإمارة الإسلاميّة الحبيبة.

وفي آخرِ لقطاتِ حياته في تلكَ المدِيْنة كنتُ أراهُ أمام عيني (أبا الغادية) مُحَاصراً مع مجموعةٍ من رفاقِهِ في بيْتٍ بقلبِ هراة بالقُرْب من الجامع الكبيْر، وكأنّي الآن أسمعُ الحبيبَ وهو يتّصل بجهازه اللاسلكي ويُخبر أميره أبا مصعب أنَّ مجموعةً من المرتزقة أحاطوا بمنزلِهم وطلبوا منهم الاستسلام، فيجيبُهُ القائد لا تفعلْ وسوف آتي لفكِّ الحصار مع الإخوة الطَّلَبة.

وبدأَ الحصار يشتدُّ ويتضايقُ الإخوة أشدّ الضّيق، وينشرُ أبو الغادية إخوانه في مواقع قتاليّة من السَّطْح وبالقرب من النّوافذ، وفجأةً تنهالُ عليهم الإطلاقات والرّمّانات اليدويّة من كلّ مكانٍ ويستبسل الإخوة في الدّفاعِ والقتالِ، وبعد يَأْسٍ من عدوٍّ جبانٍ يأتي الإخوة من الخارِجِ -الذين أرسلهم الشيخ أبو مصعب- فيفكُّون الحصار وينطلقُ الجميع سالمين آمنين.

ثم يتّخذ الطالبان قرار مغادرة المدينة، فيستجيبُ أبو مصعب لقرارِ أولِيْ الأَمْر ويغادر المديْنة إلى قندهار.

المهمّ، غادرَ أبو الغادية الإمارة كجلّ من غادرها بعد إصرارِ أولي الأمر فيها بتقليلِ العددِ إلى أقصى حدٍّ مُمْكِنٍ وانتقل إلى موضع رأسه إلى بلاد الشّام، وهناك بدأت مرحلةٌ مهمّةٌ وخطيرةٌ من مراحل الشّاب الهادئ الوسيم.

وذلك بعدما ودّعَ -سابقاً- عيادَتَهُ والتي كان يعالجُ فيها النّاس مجّاناً حتّى لا يذهبَ أهل قريته إلى طبيْبٍ نصرانيّ كان يأخذ أجراً زهيداً جدّاً طَمَعاً منه في تنصيْرِهِم.

بالشَام بدأَ يضعُ لمسات التّنظيم العمليّة، فشاركَ مشاركةً فعّالةً في كلِّ مراحله، وفجأةً ظهر اسمُهُ وصورَتُهُ إلى العالَم بعد اتهامه بالضّلوع في محاولةِ تدميْر مقرّ الاستخبارات الأردنيّة الصهيونية، وحُكِمَ عليه بالإعدام غيابيّاً، لكنّ الرَّجُلَ ما جلسَ في غرفةٍ مُصْمَتَةٍ وأحاطَ نفسه بهالةٍ من التّكتيم والحراسة، على الرّغم من اشتهار وانتشار صورته، بل استمرّ في العمل وبلا كَلَل، فقادَ بتكليفٍ من الشّيخ أبي مصعب تنظيم بلاد الرافدين بأحد البلدان، وأخذَ الرَّجُلُ يحوطُهُ ترتيباً وتنظيماً حتى اشتدَّ عودُهُ وقَوِيَ أمْرُهُ وأصبحَ رافداً مهمّاً من روافدِ جهادِ العراق، ولما ضُيِّقَ عليه انتقل إلى العراق وبالتّحديد إلى الفلوجة، حيث حضرَ إليها قُبَيْل اقتحامها بشهر تقريباً، ففي إحدى أيّام العزّ كنتُ في زيارةٍ إلى ناحِيَةِ الشّهداء فاعترضني شابٌ وسيمٌ ممتلئ الجسم أبيضُ البشرة، أسودُ الشّعر ناعم، ببسمةٍ ملءِ عيونه، وفرحةٍ باديةٍ على وجنتيه، قائلاً لي: خانتني كالعادة، فقلت: وجهك ليس غريباً عليّ لكن اسمك ما حضرني، ولا حتّى زمان اللقاء.

قال: يا رجل كنتُ آتيكم باستمرارٍ في مضافة الجماعة بكابُل، فتذكّرْتُهُ واحتضنْتُهُ وجلستُ مَعَهُ نتذكرُ أيّامنا الخوالي، ونعيش أيّام عزّ الإمارة ولو لبضع دقائق، ثم انصرفتُ لسبيلي، وبعد ذلك أسند إليه القائد أبو مصعب -رحمه الله- إمْرَةَ شؤون المهاجرين بالفلوجة. وكعادته بدأ يُرَتّب شؤون الإخوة أحسنَ ما يكون، فأحدث ولأوّل مرّة

ديواناً للمهاجرين ورقماً سرياً لكلّ مهاجر وأعطاهُ له، على أن يسجل اسمه وعنوانه وأهم ما يمكن عنه في ملفٍ سرّيٍ جدّاً في مكانٍ سِرّيّ.

فعملَ إحصاءً دقيقاً لعددِ المهاجرين لكل كتيبة، وتاريخ دخولهم، وأماكن تواجدهم، وأمرائهم، وغير ذلك من الدّواوين، فأجاد رحمه الله أيّما إجادة.

ثم بدأت رَحَى الحرب أعني حرب الفلوجة الثّانية، وبدأت تزحف فيُرَى دخانها ويُسْمَع أزيزها. واتّفقنا كما أسلفتُ على أنْ يكونَ مقرّ قيادة الأزمة في القلبِ أمام جامعِ الفردوس.وهنا أُحِبّ أن أقفَ وقفةً عسكريّةً مهمّةً، لماذا مقرُّ القيادة في القَلْبِ وليس في المقدمة؟، حيث كُنْتُ منذ دقائق من كتابة هذه الأسْطُر في نقاشٍ مع بعضِ الإخوة بشأنِ هذا الموضوع، وأرى من الفائدةِ أن أنقلَ وجهةَ نظري إلى أحبّتي وإخواني، اعلموا حفظكم الله أنّه من الخطورةِ أيّها الإخوة أن يكونَ قائد المعركة في المقدّمة، وخاصّةً إذا كانت المعركةُ مُتعدّدة الجوانبِ والأجنحةِ والفصائِل، فلقد جربتُ ذلك بنفسي ففي مرّة من مرّات هجوم العدوّ، حيث تقدمتُ إلى الأمام وصارَ القصفُ خلفي بحيث لا أستطيعُ الرّجوع، فأصبحتُ لا أرى إلا ذلك الحيّز الذي أنا فيه من الجبهة، ولا أستطيعُ متابعةَ شيءٍ سواه، وانقلبَ الأمر معي إلى جنديٍّ عاديّ وتحت العادي، إذ في الإخوة من هو أحسنُ وأشجعُ مني.

بينما ثبتَ إليّ بالتّجربةِ ما كنتُ أَقْرَأُهُ في القِدَم أنّ القائد لا بُدّ أن يكونَ في القلبِ أو في المؤخرةِ في مكانٍ يُشْرِف على المعركة.

المهِمّ أن يكونَ في مكانٍ يرى فيه جميعَ جوانبَ الجبهةِ ومحاورَها فيستطيع أن يُقَدِّمَ فصيلاً إلى محورٍ مَسَّهُ الضُّعْف أو يستجيب لنداءِ نقصِ العتادِ في محورٍ آخَر، أو يرى ثغرةً حدثت في نقطةٍ فيقدّم من يسدّها أو يسحبَ من قطّاعٍ جزءاً من قوّة لا يحتاجها أو يهتمّ بأمورٍ أُخرى فيراها رأيَ العَيْن من الجرحى والطعام وغيره. وهذا هو سرُّ بناء الصّحابة لعريشِ النّبي ﷺ في غزوةِ بدر، حيث كان في موضعٍ يتحكمُ ويُشرفُ على المعركةِ

فيقدّم حمزةَ وعليّاً ويُؤخّرُ غيرهم، ويسدّ الميمنة ويُجْبِرُ الميسرة وغير ذلكَ من مهامِ القائد في المعركة.

المهمّ أنّ الشّهيد قد أخذَ مكانَهُ في حي نزّال أمام جامع الفردوس، وفي هذا المكان تجلّت شجاعةُ الأمير الشّهيد، حيثُ كان يتقدّم إلى المقدمة ويأخذ يحفّزُ الإخوة ويرتّب شؤونَهُم ويقوّي من عزيمتِهِم، وما زالَ في ذلك على النّحو المعروف حتّى تمّ اقتحام نزّال وفي تلكَ الليلة المظلمة كنتُ جالساً وإيّاه مع أبي جعفر وعددٍ آخر من الإخوة ثم انحزت وإيّاه الى مكانٍ آخر، وأصبحَ الصّباحُ على معاركَ ضارية تكبّدَ فيها العدوّ الكثيرَ والكثير.

وما زلتُ أتقلّبُ معَ أخي وحبيبي من مكانٍ إلى آخر حتّى آخر ساعةٍ من ساعاتِ الفلّوجة، فما افترقنا قطّ في تلكَ الأزمة، وهنا أحبّ أن أُسَجّل بحصرِ الأشياء المهمّة التي حَدَثَتْ معهُ ومعنا والّتي كانت في بعض الأحيان ظريفةً ومضحكةً، ومن ذلك

أنّنا لما اشتدَّ الخطبُ وأحاطَ بنا العدوّ من كل مكانٍ اجتمعنا ليلاً في بيتٍ من بيوت الجهاد، وفي إحدى غرف هذا البيْت الواقعة في مؤخّرة المنزل يُضيءُ مصباح (الكيروسيْن) والمجاهدوْن حوله يقولون يا الله.

وبدا لي حينها أنْ أقترح اقتراحاً، فقلتُ: إخواني، أرى واللهُ أعلم، حالَنا أشدُّ ضيقاً وضنكاً من أصحاب الصّخرة الذين دَعَوا بصالحِ أعمالهم، فهيّا ندعُ بصالحِ أعمالِنا لعلّ الله أن يُفرّج عنّا، وقلتُ: كأني يا إخواني أفهمُ من الحديث أن يكون الدّعاء علانية، أي أن يجهرَ كلّ واحدٍ منّا بأرجى أعماله عند الله، وذكرتُ أنّ المجالسَ بالأمانات، وتعاهدنا أن ينسى كلُّ واحدٍ منّا ما قاله أخوهُ أو يتناساهُ بعد الدّعاء.

وبالفعلِ بدأَ الإخوة يجتهدونَ في التّقرب إلى الله بأرجى أعمالهم إلا أَخَوَيْن اثنين استحيا أن يذكرا شيئاً. وتمرّ الأيام والليالي، وإذا بجميع من دعا في تلك الليلة المباركة يخرج سالماً آمناً من أحداث الفلّوجة، والعجب العجيب أن الأخوين سالفا الذكر كُتِبَ لهما الشَّهادة ولم يخرجا، فالحمد لله على شهادة الإخوة وعلى سلامة الباقين. وكان مما

دعا به حبيبي عبد الهادي (أبو الغادية) أمرٌ يتعلق بموضوع خدمة الإخوان ولولا ما تعاهدنا عليهِ لذَكَرْتُهُ الآن فالعذر منكم يا أحبابي.

وفي هذه الأزمة تنَقَّلْتُ والرَّجُل من بيتٍ إلى آخر واختبأنا من مكان لمكان حتى اضطرتنا ظروف الحرب أن جلسنا في جُحْرٍ صغير، والذي صارَ بصحبة عبد الهادي (أبي الغادية) قصراً كبيراً، فكانَ يخدِمُنا خدمةً عجيبةً إلا أنّه كان مقتنعاً أنّه طباخٌ وليس بذلك. ففي بعضِ الأيامِ صارتْ لنا فسحة الطّهي، فطهى لنا أرزاً تبيّن عند الأكل أنه وصلته النّار من الوسط ولم يكتمل طبخُهُ من الجوانب، فَأَوَّلَها أنّ النّار كانت صغيرةً تركّزت في الوسط، وفي المرّة الثانية جاء الأرز قد اكتمل طبخه من الوسط وغير جيّد من الجوانب، فادَّعى أنّ النّار كانت كبيرةً فلم تصل إلى الوسط. وفي المرّة الأخيرة كانت المفاجأة، حبّة أرز مطبوخة وأخرى لم تكتمل، فادّعى أنّه خلط نوعين من الأرز، المهمّ لا يمكن أن تأكلَ أرزاً مطبوخاً بصورةٍ جيدةٍ أبداً والعذر دائماً موجود، فأخبرتُهُ أنّي سأشهرُ به في العالمين، وها أنا ذا أوفي ما قلتُ وأعلم أنّه سيُسامحني لأنّه حبيبي.

كانَ لوجودِ عبد الهادي في الأحداثِ دورٌ مهمٌّ، حيث كانَ الطَّبيبَ الوحيدَ معنا في تلك الأحداث، أعني في حي نزال، فكانَ على الرّغم من كونه صيدليّاً، إلا أنّه كان يُضمّدُ الجراحَ ويعطي العلاجَ ويقومُ بعملٍ جبّار في هذا الأمر، غير أنّه كانَ حريصاً ألا يعلمَ أحدٌ أنّه طبيب، فكان رحمه الله يجوبُ المنازلَ بحثاً عن بقايا دواء أو مُطَهّر أو عَسَل أو أي شيء يمكنُ أن يُفِيْد في تطبيبِ الإخوة والذين نزفَ أحدهم حتى الموت ولمدة ساعتين كاملتين، وأذكُرُ كل هذا ليَعْلَمَ المسلمون حاجة الجهاد للأطباء وكافّة التّخصصات الأخرى.

خرجَ أبو الغادية من الفلّوجة الثانية مُحمّلاً بالهمومِ وبالأفكار وأخذَ موضعه المعتاد بجانبِ صاحبه أبي مصعب الزّرقاوي فكان رسوله إلى النّاس وموضع سرِّه الأمين، وكالمعتاد، وفي إحدى المرّات أرسله الشّيخ إلى الحدود، أعني حدود الجزيرة (السّعودية) لاستقبال الشَّيخ عبد الله الرشود مع الشيخ أبي اللَّيث النّجدي رحمهُ الله، وفي تلك اللّيلة

جاءت مداهمة إلى تلك المنطقة، واستعدّ لها الإخوة ثمّ بدأوا بالاشتباكِ مع العدوّ، وبعد فترةٍ وجيزةٍ قصفَ العدوّ الجبان البيت بصاروخٍ مُوَجّه من طائرةٍ حربيّة ليجعلَ البيْتَ رُكَاماً ويبني للثلاثة قصوراً في جنانِ عَدْنٍ عند مليكٍ مقتدر.

هذا وأُحِبّ أن أُنوّه أنّي أعلم جيداً أنّي لم أقف على شيءٍ من سيرةِ الرّجل إلا مواقف بسيطة ما زالت بالذّاكرة، لكنْ ما لا يُدْرَكُ كلُّه لا يُتْرَكُ جلُّهُ، والله يعفو عن خَطَأي وتقْصِيري، أسألُ اللهَ أنْ يرْحَمَنَا برحمتِهِ التي وسعتْ كل شيء، اللهمّ آمين.

كما وأُحِبّ أنْ أُرَوّح عن نفسي وإخواني بنكتةٍ بسيطةٍ حكاها لي الدكتور أبو الغادية (عبد الهادي) حدثت له مع الشّيخ الدكتور أيمن الظواهري إبان وجوده في أفغانستان، مفادها: أن الأخ (ذا الهمّة) أو (اللّوح) كما كان يُدْعَى من ضخامة جسمه وسُرْعة غضبه وقوّة بأسه لمن يبطش به، حتى أنّه ضرب عموداً للإنارة فأوقعه. المهم أن ذا الهمّة أرادَ أن يعمل عمليّة بواسير، وكان الذي سيتولّى عملها لهُ الدُّكتور أيمن -حفظه الله-، فجاء أبو الغادية مع ذي الهمّة، وقال للدّكتور: أُساعدك يا دكتور في العمليّة (لعدم وجوْد مُسَاعد)، فقال له الدّكتور أيمن: وحضرتك ماذا تعمل؟ قال: طبيْب. قالَ لهُ: أي تخصص؟، قال: أسنان، قال له الدُّكتور أَيْمن: (إحنا شغلتنا النّاحية الثّانية خالص).

وفي الختام: هذهِ قصيدةٌ في رثاء أبي الغادية -رحمه الله-، كَتَبَهَا صديقه ورفيق دَرْبِهِ وأحد أحبّ الناس إليه، وهو الأخ أبو أحمد:

فؤادُكَ مكلومٌ وصُبْحُكَ غيهبُ *** وحُزْنُكَ من بحرِ النَّوائبِ يشربُ
مُصَابُكَ يا قلبي عظيمٌ فهل *** سَيُسْعِفُهُ دَمْعٌ من الشّعر يُسْلَبُ
وغاية آلام وجفن مسهد *** وبيداء أحزان بها العيس تنصبُ
نُمَسّكُ بالآمال وهي بعيدةٌ *** وتُدْرِكُنا آجالنا وهيَ أقربُ
أبا خالد هَبْ لي بياناً فإنّني *** لفقدِكَ موتورُ القريحةِ مُتعبُ
أَعِرْ قلبيَ المحزون بعضَ فصاحةٍ *** فقد كنتَ في كل الميادين تخطبُ
ورشّاشك الهدّار أبلغُ خطبةٍ *** تُرَتّلها يمناك زهواً وتسهبُ

أتتكَ علوجُ الرُّوم تنفثُ سمّها *** لها من ثعابيْن الرّوافض تسربُ
وقد كان صدّ الرّوم سهلاً فمن لنا *** بجرذان ليْلٍ وهي بالصّبح ثعلبُ
إذا صدقت ابدتك محض خيانة *** فكيفَ وفي كلِّ المحافلِ تكذبُ
قضى اللهُ أمراً ما له غير عزمة *** يفجّرها ليثٌ سديدٌ مُجرّبُ
قَذَفتْهُم ناراً فكانوا وقودها *** وصُبَّ عليهم من حتوفك أشهبُ
كأنّك في كفِّ المنيّة سيفها *** تطيح رؤوس الكفر أيّان تضربُ
أبا خالد هذي البطولة تزدهي *** على ذِكْرِكَ الميمون تيهاً وتطربُ
بعثتَ بروحِ الصِّدْق صَحْب محمّدٍ *** فحمزة والفاروق حيٌّ ومصعبُ
ستشهد هِرَاةٌ بأنّك ليثها *** وتشهدُ بغداد بذاك وتكتبُ
وأنّك في ساح البطولاتِ ماجدٌ *** وأنّك في ليلِ الكريهة كوكبُ
وأنّك في تيهِ الشّدائدِ فرقدٌ *** وأنّك في جدبِ السباسب صيّبُ
ستذكُرُكَ الأنبار مِسْعَرَ حربها *** إذا انسلّ من صفّ الخميسين مُذْأَبُ
ستبكيكَ شام العزّ نسرًا محلّقاً *** جناحاك إيمانٌ وعزمُكَ مخلبُ
أبا خالد عذرًا فما لي سوى الّذي *** كتبتَ وهل بحر المآثر يُكتبُ
رثاؤك فرضٌ ما قضينا أقلّه *** وهل يجبر الأركان شعر مهذّبُ

الأُخوّة الصَّالحة: أبو دجانة وأبو ناصر (٢٣)

عاشا معاً منذ الصِّغَر، يجمعُ العائلتين حُسْن الجوار، كانا لا يفترقان، زَلَّتْ أقدامهما في التّيه فترةً من الزَّمن، ثم عادا إلى الله معاً وصَدَقا في توبتِهما -نحسبهما كذلك ولا نُزَكّي على الله أحداً-، حَفِظَا القرآن معاً، ثم بدأ التّفكير في الجهاد يُرَاوِدُهُمَا، ثمَّ يَسَّرَ الله لهما سلوك الطّريق فَخَرَجَا معاً مُهَاجرين إلى الله، وفي أرضِ الجهاد ما زال حادي الشَّهادة يدعوهما، ويَترَنَّمَان بها، ويجدّان في طَلَبِهَا، فاختارا العمليّة الاستشهادية وبلا تردّد، وما كان أحدٌ منّا يستغربُ أنْ يطلبا ذلك لشدَّة عبادتِهما، صيامُ يوم وإفطارُ يوم، قيامُ اللّيل، تلاوةُ القرآن آناءَ الليل وأطراف النّهار بلا انقطاع، تجلِسُ معهم فإذا الْتَفَتَّ حولكَ وجدتهم بين راكعٍ وساجد.

ومن أبرز ما وجدتُ فيهما أنّهما يطلبان من الله ما يريدان قبل النّاس، مهما كان الأمرُ صغيراً، ففي إحدى المرات ونحنُ جلوسٌ دخلَ الأمير ثم أعطاهم مبلغاً من المال، فكبّرا وفَرِحَا جدّاً وقال أحدهما للآخر: ألم أقل لك؟. فسألناهما عن الخبر. فقال أحدهم: كنّا محتاجين إلى مبلغٍ من المال لنشتري به مصاحف لتوزيعها على النّاس، فقال أبو ناصر دعنا نطلبها من الله وحده، فما فرِغَا من دعائهما حتّى دخلَ الأميرُ يحملُ لهما المال، وأعجبُ من هذا حرصهما على توزيعِ المصاحف أكثرَ من قضاءِ احتياجاتهما الشّخصية، وقد أثّروا في النّاس فلا تكاد ترى الإخوة قبيل غروب الشّمس إلا وهم منتشرون ممسكٌ كلٌّ منهم بكتاب الأذكار (حصن المسلم) ويذكرون الله أنصاراً ومهاجرين.

جلسَ معهم أحدُ الإخوة ذاتَ يوم، فقال: الحاجة إلى الاستشهاديين شديدةٌ والانتخابات على الأبواب وقد عزمتُ على تنفيذِ عمليّة فما تقولان؟، فقام أبو دجانة وبَسَطَ يده للأخ وقال: أنا معك، أبايعك على الموت، ولم يقم أبو ناصر، وفي المساء بَسَطَ يده مبايعاً على العمليّة الاستشهادية، مَكَثَا في بيت الاستشهاديين، يختمون القرآن كل ثلاث، ووقع عليهما الاختيار للتنفيذ مع اثنين آخرين وخرجوا بعد صلاة الفجر

وتواعدوا على اللقاء في التّاسعة صباحاً في الجنة، وفعلاً ما أتت التّاسعة إلا وقد رُزِقُوا الشّهادة -نحسبهم كذلك ولا نزكّي على الله أحداً- إلا أبا دجانة لم يُدْرِك هَدَفَه، فظلّ يبكي بكاءً شديداً لفواتِه إلى صلاةِ الظهر وقالَ لمن معه: إنْ كنتَ تحبّني فابحث لي عن هَدَفٍ لا أرجع اليوم، ثمّ وصلَ إليه خبر تنفيذ إخوانه فازداد حزنه وبكاؤه، وبقيَ إلى صلاة المغرب ثم عادَ إلى البيتِ يبكي فحاولَ إخوانُهُ تصبيرَهُ وتهدئتَهُ وهو يبكي، فحاولَ أخونا أبو معاذ وقال: أخشى أن يكون بكاؤك لفراق أخيك أبي ناصر وليس شوقاً للقاءِ الله فراجِعْ نيّتك، فنظرَ إليه أبو دجانة وقال: لا أقول إلا شيئاً واحداً: (اللهم قضيتَ حوائجَ المحتاجين وحاجتي لم تُقْضَ)، وظلّ ثلاثة أيّام يخرجُ فجراً ويعودُ مساءً لا يدرك هدفه حتى تغيّرَ لَوْنُهُ واصْفَرَّ وجهه ولا يُجالس أحداً، يخلو بنفسه يقرأُ القرآن ويذكرُ الله ويبكي، وفي صباح اليوم التّالي، تهيأ للخروجِ فنظرتُ إليه وقلتُ لأبي معاذ، وجهه ليس من وجوه أهل الدّنيا، ولمستُ وجهَهُ بيدي متأمّلاً فيه، وأذّنَ لصلاة الفجر أذانا تلذّ الآذان بسماعه ثمّ خَرَج، وبعد صلاة المغرب كان موعِدُهُ مع الشّهادة لِيَلْقَى ربّهُ بعد طول اشتياق وقد قتلَ أكثر من ثمانين مرتدّاً وأكثر من مائة جريْح.

أما أبو ناصر فكانَ يقولُ لإخوانه:

أيعجزُ اللهُ أن يجعلني في الفردوس الأعلى، ليس ذلكَ على الله بعزيْز، حُسْنُ الظنّ بالله لا بِعَمَلي، فاللهُ أكرمُ الأكرمين ولن ينقص من ملكه شيءٌ، وإذا خرجتُ للتّنفيذ سأقولُ يا جوادُ يا كريمُ إلى أن ألقى الله، وقتلَ في ضربته أكثر من خمسيْنَ مُرتدّاً سوى الجرحى، فرحمهما الله وأسكنهما الفردوس الأعلى.

مُعَلِّمُ الفُرْسَانِ: أبو جعفر المقدسي (٢٤)

غايـةٌ في الأخلاقِ وعَلَمٌ في الجهـادِ، فهـوَ مِنْ أجملِ النَّـاسِ خُلُقًـا، وأنـداهُم صـوتاً، وأشجعِهِم قلباً، وأقواهُم شكيمةً، وأحسنِهم فراسةً، وأوسعِهِم صَدْرًا، وأجودِهِم يداً، وأحلمِهِم طَبْعَاً.

صـاحبُ الهمَّـةِ العاليـةِ، والنفسِ الأبيَّـةِ، مُسَدَّدُ القـولِ والعمـلِ الطَّيبِ المحبـوبِ، لا يُعْجِبُكَ شيءٌ مِنْ أمورِ الدِّينِ والدُّنيا إلا وهو فِيهِ رأسٌ، -فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ-، ذلكَ هو الأخُ الحبيبُ (أبو جعفرٍ المقدسيُّ).

والعـالمُ لا يُعلَّمُ، والعـارِفُ لا يُعـرَّفُ، فمن عجـائبِ الأمـورِ أنْ يَتحـدّثَ النَّكـرةُ عن المعـارفِ، وأنْ ينـبريَ لوصـفِ قممِ الجبـالِ قيعـانُ الأرضِ، وأنى لها هـذا وهي تسـمعُ بالشُّموخِ سَمعاً، فلا هي يوماً صعدتْ إليهِ وحاشا للقممِ أنْ تهبطَ أو تهوي.

ما ظننتُ يوماً -أيُّها الأحبةُ- أنِّي سَأَتَكَلَّمُ عن هذا الأسدِ، أو أنِّي سأَصِفُهُ قطُّ، غيرَ أنَّ جميلَ سِترِ اللهِ يفيضُ عليَّ، فَلَو أنَّ للذّنُوبِ رائحة لزكمتِ الأنوفُ، فيا ربّ ستركَ وجميلَ عفوك.

أقولُ كنتُ دائماً وأبداً مقتنعٌ أنّي لن أودّع هذا الرّجل إنما هو من يودّعني، أولُ يومٍ رأيتُ هـذا الأسدَ، كـان في مخيَّم عينِ الحلوةِ بجنوبِ لبنـانَ حيثُ أتى مع صـديقٍ لنا، ولمْ يتكلمْ تقريبـاً، فـرأيتُ صـمتاً لَطالما حلمتُ أنْ يكـونَ خُلقي، ولما تكلَّمَ تحدرتْ مِنْهُ همومُ أُمةٍ تُشْعِرُ بأنَّ بركاناً يوشكُ أنْ ينفجرَ، وكـان ساعتها يطلبُ طريقاً إلى أفغانستانَ غيرَ أنَّ اللهَ لمْ ييسرْ لهُ ذلكَ، فعادَ الرّجل إلى مكانهِ.

ومـرتِ الأيامُ وتقلّبتُ بعـدها في البلـدانِ، وبعـد حادثـةِ الفلوجـةِ الأولى وبينمـا أنا في زيارةٍ للشهداءِ -أعني حيَّ الشُّهداءِ- فإذا بشابٍ جسيمٍ وسيمٍ يُقبِلُ عليَّ متهللاً والبسمةُ ملءُ وجهِهِ يحضنُني ويُقبِّلُني، ثُمَّ ذكَّرَني بنفسهِ وعلى الفورِ تذكرتُهُ، وأقبلَ علينا الأخُ

الحبيبُ والأريبُ أبو محمد اللبنانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- قائلاً: (أتعرفانِ بعضاً؟) قلنا: نعم، مُنذ زمنٍ.

كان البطلُ يُكَلَّفُ بالمهامِ الخاصةِ جداً فشاركَ في عمليةٍ استهدفتِ الـ(CIA) في شارعِ المطارِ-أعني مطارَ بغدادَ-، ثُمَّ كُلِّفَ بالبَحْثِ عن هدفٍ أجنبيٍ لاصطيادهِ أسيراً، وما زالَ يجدُ في هذا ويجتهدُ حتى كلَّفَهُ أبو محمدٍ اللبنانيُّ بإمرةِ سريّةِ العملياتِ الخاصةِ، والتي قامتْ فيما بعدُ بالهجومِ على بيتٍ في حي المنصورِ بعد الفجرِ مباشرةً، حيثُ تمكّنَ الأبطالُ من أَسْرِ بريطانيٍ واحدٍ وأمريكيينِ اثنينِ، وقد حَكى لي أبو جعفرٍ فيما بعدُ تفاصيلَ تلكَ الغزوةِ، وكيفَ استغلوا انقطاعَ التيار الكهربائي وخروج أحدهم من البيت لتشغيل المولد الكهربائي الذي كان أبو جعفر اتخذَ منهُ ساتراً فما إن وصلَ إليهِ عدوّ اللهِ حتى عالجَهُ أبو جعفرٍ وأوثقهُ قيداً دون أنْ يشعرَ بهِ أحدٌ مِمّنْ كانوا داخلَ المنزلِ ثُمَّ انطلق أفرادُ المجموعةِ بخفّةٍ عجيبةٍ وتدريبٍ راقٍ، كلٌ يعرفُ مكانَ اقتحامِهِ والغرفةَ المحددةَ لهُ كي يُطهرَها، وفي أقلَّ مِنْ خمسِ دقائق انطلقتِ المجموعةُ بصيدِها تاركةً الحسرةَ في قلوبِ أسيادِهم، أما سببُ اختيارِ وقت انقطاع التيار الكهربائي فلهُ أسبابٌ كثيرةٌ، لكنَّ أهمَ شيءٍ هو أنَّ أعداءَ اللهِ كانوا لا يخرجونَ قط من المنزلِ وكانتْ أبوابُهُ غايةً في الإحكامِ وقد زادوها أبواباً حديديةً أُخرى، والعمليةُ لا بُدَّ أن تتمَ بهدوءٍ؛ لأنَّ المنطقةَ مليئةٌ بالجماعاتِ الخاصةِ.

ثم مضتِ الأيامُ وبدأَ أبو جعفرٍ بتشكيلِ (قوةِ التدخلِ السريعِ) وذلك بأمرٍ مِنَ القائدِ الشّهيدِ والسّيدِ الحبيبِ أبي مُصعب الزرقاوي -تقبّله الله وغفر له-، حيثُ كانَ ذلكَ قَبْلَ أحداثِ الفلوجةِ الثانيةِ، وكانت لهذهِ القوةِ أهدافٌ كثيرةٌ أهمّها:

- سدُّ أيِّ ثغرةٍ قد تنشأُ في نقاطِ الحمايةِ التي تحيطُ بالمدينةِ.

- دعمُ نقاط الضّعفِ حالَ المعاركِ وفقدانِ الرّجالِ.

- حمايةُ المدينةِ من أي إنزال يتم خلف الخطوط، بحيث يكونُ مكانُ القوةِ في القلبِ.

فواصلَ هو وأخوهُ القائدُ الشَّهيدُ (أبو حُبيبٍ التركيُّ) العملَ ليلاً ونهاراً من أجلِ تشكيلِ هذهِ القوةِ، وقدْ تمَ ذلكَ في ظَرفٍ حسّاسٍ جدّاً، حيثُ كانَ القصفُ يطالُ أدنى تجمعٍ، فكانَ التَّدريبُ فَردياً (يُدرّبونَ واحداً واحداً)، ثم يتمُ جمعُ كلّ مجموعةٍ مع بعضٍ في بيتٍ من بيوتِ المدينةِ والتي أُعِدّتْ سلفاً في قلبِها.

ثم بَدأَ التناغمُ بينَ تلكَ البيوتِ بحيث تَشكلَ فريقُ عملٍ مترابطٍ على الرغمِ من تباعدِ الدِّيارِ، وكما قلتُ لصدّ أي إنزالٍ قد تتعرَّضُ إليهِ المدينة، وقدْ نفعَ اللهُ بهذهِ القوةِ نفعاً كبيراً إبانَ معارك الفلوجةِ الثانيةِ، حيثُ احتلَّ أعداءُ اللهِ مُستشفى الفلوجةِ العامَ، فقلتُ لأبي جعفرٍ: أشعرُ أنَّ نقطةَ (الجُغَيفِيّ) ضعيفةٌ -وهو حيٌّ من أحياءِ الفلوجةِ- فادفعْ بمجموعةٍ إليهِ، وبالفعلِ انطلقَ أُسُودُ التَّوحيدِ إلى الجبهةِ وبينما هُم أثناءَ الطريقِ إذا بالعدو يندفعُ بقوةٍ من هذهِ النقطةِ وعلى طريقةِ رأسِ السَّهمِ، فانتشروا أمامهُ وقد أخذوا من بعضِ البيوتِ ساتراً، ثم شرعوا في فتحِ البيوتِ على بعضٍ فثقبوا الجدرانَ حتى أصبحَ أعضاءُ الفريقِ يتحرّكونَ من أولِ الخطِ إلى آخرهِ بحريةٍ، وبدؤوا يتقدمونَ للنزالِ ثلاثةً ثلاثة.

وكان أبو جعفرٍ في ذلك الوقتِ قد حُوصِرَ في حيّ الأندلسِ مع أسد اللهِ القائدِ أبي صُهيبٍ اللبنانيّ، والأسدِ المغوارِ أبي حفصٍ المقدسيّ والذي كان شِبهَ مُعاقٍ؛ لأنَّهُ كان مُصاباً في رجْلِه. وبدأَ أبو جعفرٍ وأصحابُهُ بحيّ الأندلسِ معركةً من أشرسِ المعاركِ حتى أَنَّ أبا صهيبٍ أوشكَ أنْ يأسرَ طاقمَ دبّابةٍ أمريكيةٍ لوحدهِ غيرَ أنَّ الظرفَ والحالَ لمْ يشجعاهُ على ذلكَ.

ومن عجائبِ الأمورِ أنَّ الفريقَ الثلاثيَّ (أبا جعفرٍ - أبا صهيبٍ - أبا حفصٍ) اشتبكوا مع إحدى الهمراتِ من منزلٍ كانوا فيهِ فدمّروها بالكاملِ وقتلوا مَنْ فيها ثم أصابَ أبو صهيبٍ بقاذفتهِ كبدَ مدرعةٍ كانتْ بالقربِ مِنْها، وفي ذلكَ الحين جاءتِ الدبّاباتُ إلى إخوانِهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ وحاصرتِ الفرعَ الذي كانَ فيهِ الإخوة

واقتربتْ دبّابةٌ من البيتِ الذي هم فيهِ ثم وجهتْ مدفعَها ناحيةَ البيتِ واستعدَّ الإخوة للموت.

وإذا بديكٍ على سطحِ البيتِ يرفعُ رجلَهُ ويقفُ على الثانيةِ، ثم أخذَ يصيحُ، فواللهِ -والقولُ لأبي جعفرٍ-: (ما وقفَ عن صِيَاحِهِ حتى لكأنّ الأمريكانَ يسوقُهم ملكُ الموتِ! أخذوا يفرّونَ مِنَ الفرعِ بما فيهم الدبّابةُ التي كانتْ أمامَ بيتِنا حاملينَ قتلاهُم وجرحاهُم، فسجدنا للهِ شكراً).

وبدأتْ بعضُ المعاركِ الجانبيةِ إلا أنَّ حيَّ الأندلسِ يكادُ أن يكونَ الآنَ مسيطرٌ عليهِ من قبلِ الأمريكانِ؛ ولأنَّه أولُ الأحياءِ من جهةِ الجسرِ، وكذلكَ فهو الحيُّ الذي يوجدُ فيهِ السّوقُ، فهو من الأهميةِ بمكان بالنسبةِ لمنْ يريدُ السّيطرةَ على المدينةِ، وفي تلكَ الأثناءِ كانتْ بالجهةِ المقابلةِ في حيّ نزّال، وقدْ فقدَ الجميعُ القائِدَ أبا ناصرٍ الليبيَّ، فقلتُ: اللَّهُمَ أجرني في مصيبتي واخلفْ لي خيراً منها.

وأرادَ أبو جعفرٍ وأخواهُ العبورَ إلينا إلا أنَّ أبا حفصٍ المقدسيَّ رفضَ ذلكَ وقالَ: لا بُدَّ من عبورِ الشَّارعِ العامِ وهو ملغمٌ بالدبّاباتِ، وكانتْ نقطة عبورنا أمامَ الدبّابةِ لا تتجاوزُ مئةَ مترٍ.

وبينما هُمْ في صمتٍ يفكرونَ، فإذا بأبي جعفرٍ يقولُ لأبي حفصٍ: أتسمع!؟ قالَ: نعم، ولكن قلْ لي باللهِ عليكَ أنتَ ماذا تسمعُ؟، قال أبو جعفرٍ: أسمعُ صهيلَ خيولٍ، فقالَ أبو حفصٍ: واللهِ إني لأسمعُ وقعَ أقدامها على الأرضِ، وقطعوا الطريقَ ولم يطلِقِ العدو عليهم طلقةً واحدةً، فسبحانَ مَنْ أعمى عنْهُم العيونَ وسَتَرَهُم بسترهِ بعدما أسمعَهُم كرامتَهُ.

وفجأةً رأيتُ القائدَ أبا حفصٍ والقائدَ أبا صهيبٍ أمامي فسجدتُ للهِ شكراً، وقلت: سبحانَ الله فقدنا واحداً ورُزِقْنَا باثنينِ، وعلى الفور أُسْنِدَ إلى أبي جعفرٍ قيادةُ الجبهةِ الشَّرقيةِ، وأُسْنِدَ إلى أبي صهيبٍ قيادةُ الجبهةِ الغربيةِ، وأُسْنِدَ قبْلَ ذلكَ قيادةُ المقدمةَ إلى أبي أحمدَ الأنصاريّ.

وبعدَ طولِ معاركَ وقَصفٍ عنيفٍ بكلِّ أنواع الأسلحة طالَ كلَّ شبرٍ من نقاطِ الجبهةِ اقتحمَ العدو الخطوطَ الأمامية في ليلةٍ سوداءَ مستخدماً المناظيرَ الليلية، وتسنِدُهُ في كلّ ذلك القاصفةُ (C١٣٠) جوّاً، حيث كانت تقصفُ كلَّ من يحاولُ التصدي، فكانوا يرونَنا ولا نَراهُم؛ لأنَّ طائراتِ الاستطلاعِ كانتْ تطيرُ بسمائِنا بكثافةٍ إلى درجةِ أنَّهُ كانَتْ تُوجدُ لكلِّ دبّابةٍ طائرةُ استطلاعٍ صغيرةٍ جداً أمامها نسميها نحنُ (النسر) لشبَهِها بهِ.

اقتحم العدوُّ الجبهةَ وفي صباحِ اليومِ الثاني بَدأنا حربَ شوارعَ ضروساً، وفي لحظةٍ مِنْ تلكَ اللحظاتِ حملَ القائدُ البطلُ أبو جعفرٍ قاذفةً وتقدمَ إلى وسطِ أحدِ الأفرعِ وبينما هو يسددُ إلى العدوِّ القاذفةَ، أمطرهُ عدوُّ اللهِ بوابلٍ مِنْ مدفعِ دبّابةٍ (عيار ٣٢ ملم).

فأُصيبَ عَضُدُ أبي جعفرٍ، فجاءَ إلينا متبسماً قائلاً: لم أتمكنْ للأسف من ضربِ القذيفة، وواللهِ ما تأوّهَ، وكشفنا ثيابهُ (عفواً مزّقناها)، وهالني منظرُ الضربةِ، كنتُ أستطيعُ أنْ أضعَ قبضةَ يدي في حفرةِ الجُرحِ!، فأغمضتُ عيني وتنحيتُ جانباً تاركاً لإخواني القيامَ بمعالجتهِ.

وأسدلَ الليلُ ستارَهُ، وأَطبقَ صمتٌ رهيبٌ على أماكنِ تجمّعاتِ الشّبابِ وتحجمتِ الحركةُ إلا ما شذَّ ونَدَرَ، وبدأَ الإخوة يضعونَ الحراساتِ، وبالطبعِ لم يضعوا اسمَ أبي جعفرٍ، فقالَ: واللهِ لا أشكو شيئاً، أستطيعُ أنْ أحملَ السلاحَ بيدٍ واحدةٍ، ثم قالَ: انظروا وكذلكَ أُسَدِدُ. وكانَ أبو جعفرٍ مفتولَ العضلاتِ وحَبَاهُ اللهُ بوافرٍ من الصّحةِ تماماً كوفرةِ أخلاقهِ وشجاعتهِ.

فتعجبتُ -يعلمُ اللهُ- من عزيمتهِ وقوّةِ بأسهِ وشكيمتهِ لنفسهِ وعدوّهِ ومصابرتِهِ الآلامَ كما هي الأحزان، وفي تلكَ الليلةِ كانتْ حراستي معهُ، وأشهدُ باللهِ أنَّه كانَ لا يدعني أخرجُ إلى الطريقِ لأتحسسَ أيَّ صوتٍ غريبٍ أو إنارةٍ شاردةٍ، بل كان يحميني بنفسه ويَعزُ عليَّ ذلكَ، على الرّغمِ من مرورِ ساعاتٍ قليلةٍ على جرحٍ ثقيلٍ، وسبحانَ اللهِ، لم

يكنْ عندنا بالطبعِ دواءٌ ولا غيرهُ إلا أننا وجدْنَا في بعضِ البيوتِ بقايا عسلِ نحلٍ، فجعلَ أحدُ الإخوة (وهو الأخُ الدكتورُ أبو الغاديةِ) ينظّفُ جرحَهُ ويضعُ عليهِ قليلاً جداً من العسلِ، واستمرَ العلاجُ لمدةِ أسبوعينِ، بعدها فوجئَ الجميعُ أن أبا جعفرٍ برئَ من جرحِهِ!، بل واللهِ رأيتُ لحمَ عضدهِ ينمو مكانَ الجرحِ بصفةٍ يوميةٍ ملحوظةٍ، حتى ليُخَيَّلُ إليكَ كأنَّ أحداً يأتي بقطعِ اللحمِ ويضعها في الجرحِ الغائرِ، والذي يحتاجُ إلى أشهرٍ طويلةٍ، ولكن التأمَ في أيامٍ قليلةٍ -فسبحانَ اللهِ-.

ومضتِ المعركةُ وبدأتِ الأحزانُ تهبطُ علينا وكان أبو جعفرٍ لا يعرفُ الحزنَ وليس له بصاحبٍ، بل هو المبتسمُ دائماً، يزيلُ الهمّ بمجردِ رؤيتهِ. ومضتِ المعاركُ قويَّةً ضروسًا وانتشرَ الإخوة في مجموعاتٍ قتاليةٍ، وانحازَ أبو جعفرٍ مع مجموعةٍ ولكنهم حوصروا من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، وتفرقَ الإخوة في البيوتِ وأرادَ أبو جعفرٍ أن يلحقَ ببعضِ إخوانهِ، بينما هو أفلتَ بأعجوبةٍ من قصفِ بيتٍ خرجَ منهُ كأنَّهُ لتوهِ خرجَ من القبرِ، وقد وجدَ أمامهُ ممرّاً صغيراً بين بيتينِ، فاندفعَ فيهِ ولما توسطَ الممرَ إذا بجنديٍ أمريكيٍ يُصَوّبُ رشاشهُ من سطحِ البيتِ (STOP) قفْ- قفْ، فتوقفَ الأسدُ ونظرَ فوقهُ فإذا بعدوّ اللهِ يُصَوّبُ عليهِ رشاشهُ، وبخفةِ البرقِ استلقى على ظهرهِ ثم أمطرَ عدوَّ اللهِ بوابلٍ مِنْ رشاشهِ فوقع على ظهرهِ، ثم اندفعَ أبو جعفر بسرعةِ البرقِ إلى داخلِ البيتِ ولا يدري أبو جعفر إن كان قُتِلَ عدوُ اللهِ أم لا. وفي داخلِ البيتِ وجدَ مجموعةً من الإخوة بينهم الأخُ محمد جاسم العيساويُّ، وإذا بالبيتِ يُحاصرُ من كلِّ مكانٍ، وتنطلقُ مكبراتُ الصَّوتِ أنْ سلّموا أنفسَكم أنتم محاصرونَ من كلِّ مكانٍ لا مفرَ، هيا اخرجوا.

ولم يخرجِ الإخوة، وبعد ثواني معدودةٍ أُمْطِر البيتُ بوابلٍ من مِدفعِ (البكتا)، ثم قذائف الدبّابةِ حتى لم يبقَ على ظنّهم ذو نفسٍ إلا وقَضَى، واقتحمَ عُبّادُ الصَّليبِ البيتَ ثم دخلوا إلى إحدى الغرفِ فوجدوا الأبطالَ بانتظارهم، حيث أمطروهم بوابلِ رشاشاتهم، فخرجَ عُبَّادُ الصَّليبِ يهرعونَ تاركينَ وراءهم ثلاثةً من القتلى غيرَ ما سحبوهُ من الجرحى، وعندها بدأتِ المدفعيةُ تدكُّ البيتَ من كلِّ جانبٍ واستمروا على ذلكَ فترةً يرمونَ البيتَ بكلِّ ما يستطيعونَ، ولما اطمأنّوا أنَّهُ لا يمكنُ يقيناً أن يَبقى أحدٌ حيّاً دخلوا

إلى البيتِ على وجلٍ، وإذا بليوثِ الجهادِ يمطرونهم بوابلٍ من الرصاصِ، لكن هذه المرة مِنْ سائرِ الغرفِ ومن الطابق العلويّ (عفواً بقايا الطّابق العلوي). وهرولَ عُبَّادُ الصَّليبِ تاركينَ عدداً من القتلى مع ما بِهِم من الجرحى، ثم أخذوا يقصفونَ البيتَ مرةً أخرى من كلِّ حدبٍ وصوبٍ ولما اطمأنّوا أيضاً إلى النتيجةِ الحتميةِ لهذا الركامِ من الترابِ وأنَّهُ حتماً لا أحياءَ احتاطوا في هذه المرة فجاؤوا من الأعلى (أي من السّطحِ)، وبدؤوا بإلقاءِ القنابل بكثرةٍ داخلَ سطحِ البيتِ وفي الغرفِ، فوقعتْ إحدى القنابل بين يدي محمد جاسم، ففقدَ بصرهُ في الحالِ، ووقعتْ أخرى بين قدمي الشهيد الأسد (سامي الشرجيّ) فقطعتْ قدماهُ، ورأى أبو جعفر المنظرَ فخرجَ إلى عُبَّادِ الصَّليبِ يصليهِم برشاشهِ، ولكنَّهُ ولمزيدِ البلاءِ توقفَ رشاشهُ فجأةً وحشرتْ فيه إطلاقةٌ، وكان أبو جعفر على خلافِ الإخوة يحملُ (M١٦ أمريكي) بينما عامّة المجاهدينَ سلاحهُم (الكلاشنكوف الرّوسي)، وسَمِعَ محمد جاسم أنّ سلاحَ أبي جعفر قدْ توقفَ، فتحسسَ سلاحهُ ونادى أبا جعفرٍ أن خُذْ سلاحي ولا تجعلهم يقتربونَ منّا فإني لا أرى شيئاً، فتناولَ الأسدُ سلاحَ أخيهِ وبدأَ يسطرُ ملحمةَ البطولةِ وما زالَ بهم حتى ردّهم عن البيتِ!، ثم رفعَ أبو جعفر قَدَمَيْ سامي الشّرجي إلى بعض الرّكامِ.

وبدأتِ الدماءُ تنهارُ غزيرةً من الأَخَوَيْنِ وبدأتِ الدّموعُ معهم أغزرُ وأشدُ، فلمْ يطقْ الأسدُ المنظرَ فأخذَ رشاشهُ واقتحمَ على العدوِ خارجَ المنزلِ وبينما هو ينقضُ عليهم كالأسدِ إذا برصاصِ العدوِ ينهالُ عليهِ، فألقى بنفسهِ بخفةٍ شديدةٍ وكأنَّ ملكاً رفعهُ إلى الجانبِ الآخرِ من الطريقِ! ودخلَ أحدَ البيوتِ، إلا أنَّ أعداءَ اللهِ تركوهُ ولم يدخلوا عليه واكتفوا بعدةِ قذائف أصابتِ البيتَ ودمرتْ واجهتهُ وحطتْ ما فيهِ إلا أنها كانتْ برداً وسلاماً على أبي جعفر.

استمرتْ معركةُ البيتِ سابقِ الذكرِ من التاسعةِ صباحاً إلى الرابعةِ عصراً، وقد كنتُ على مقربةٍ من البيتِ على بعد نحو خمسينَ متراً أسمعُ هذا الاشتباكَ ومعي بعضُ الإخوة، إلا أني لا أفهمُ ما يدورُ حتى عرفتُ ذلكَ بعد من أخي؛ وذلك لظروفِ القتالِ والاشتباكِ والذي كان يدورُ من بيتٍ لبيتٍ ومع كلِّ مجموعةٍ على حدة.

نامَ أبو جعفرٍ في تلكَ الليلةِ مع أخٍ آخرَ كانَ معهُ، كلاهما أقعدتهما الجروحُ، فقد أُصيبَ أبو جعفرٍ في أكثرَ من عشرةِ مواضع بالقدمِ والكتفِ وبالقربِ من أماكنَ خطيرةٍ منها القلب و...، وقد عالجتهُ بنفسي من هذه الجروحِ، عفواً كنت فحسب أمسحُ ما يخرجُ منها من صديدٍ، ونضعُ عليها بعضَ الملابسِ النظيفةِ يومياً، وهذا كان تضميده!.

يقولُ الشَّهيدُ -نحسبه كذلك-: أردتُ في منتصفِ الليلِ أنْ أذهبَ إلى الخلاءِ وبينما أنا أَهِمُّ بالجلوسِ لحاجتي سقطتُ وقد أُغميَ عليَّ وما يشعرُ بيْ صاحبي لشدةِ آلامهِ أيضاً، ثم فُقْتُ بعدَ نحو ساعتينِ، وما هو إلا قليلٌ حتى أغميَ عليَّ أيضاً ثم فقتُ وزحفتُ إلى صاحبي وبينما نحنُ في شدةِ الآلامِ وضراوةِ الجروحِ، قلت لهُ: لا بُدَّ أنْ نغادرَ هذا البيتَ وهذا الفرعَ إلى الفرعِ المقابلِ، قال: فتحملنا حتى دخلنا إلى بيتٍ آخرَ.

وبدأنا نشعرُ بعطشٍ شديدٍ أنا وصاحبي، وعبثاً فتّشنا عن ماءٍ لنشربهُ فلم نجدْ، فنمتُ وصاحبي ننتظرُ الموتَ وما شككنا في رحمةِ ربِّ العالمينَ، وفجأة استيقظنا من النومِ فإذا (بقربةِ ماءٍ!) ليستْ معلومةً لنا كما إنَّها لا تستخدمُ للشربِ (في هذهِ المنطقةِ) فأسرعنا إليها وشربْنَا منها، فما شككنا أنَّها من اللهِ وأنَّها من السّماءِ.

قال: ونظرنا غيرَ بعيدٍ فإذا ببطيخةٍ طازجةٍ كأنَّها لتوّها قد جيءَ بها من الزّرعِ تلمعُ بخضارها ونضارتِها!، فأسرعنا إليها حبواً وفتحناها، يقول أبو جعفر: فواللهِ ما ذقتُ قط أطيبَ ولا أجملَ، ولا يمكنُ أنْ أصفَ حلاوتَها وطيبَ مذاقِها، وكذلك ما شككنا أنها من الله. إذ أنّ الوقتَ ليس وقتَ حصادِ البطيخِ وأنى للبطيخِ الآنَ؟، وحتى لو كان ذلك متى جاءتْ إلى هنا وقد مضى شهرٌ ونصف على خروجِ كلِّ العوائلِ وهذه خضراءُ يانعةٌ!؟، فحمدوا اللهَ وسجدوا لهُ شكراً وبقوا على رعايةِ الله المنّانِ.

وفي تلك الأثناءِ كان الأخُ أبو الربيعِ -فكَ اللهُ أسرهُ- قد جمعَ ثلاثةً من الشّبابِ على رأسهم الشَّهيدُ أبو الزبيرِ وقال: هيا نبحثْ عن إخوتنا، هيا نفتش المدينة بيتاً بيتاً، نجمعُ الإخوة ونساعدُ الجرحى ولعل اللهَ يجمعنا بأبي الغادية وأبي جعفرٍ وفلان (يعني العبدَ الفقيرَ).

وبدؤوا رحلةَ البحثِ ومضى اليومُ الأولُ بتعبهِ وكثرةِ مخاطرهِ، ولم يعثروا على أحدٍ، ثم استأنفوا البحثَ في صباحِ اليوم الثاني، وبينما هم دلفوا إلى ساحة أحدِ المنازلِ وكعادتِهم إذا دخلوا أيَّ منزلٍ سلّموا على من فيهِ بسرعةٍ ثم صاحوا بأسماءِ الثّلاثةِ المعنيينَ؛ ولأنَّ الجميعَ يعرفُهم فهو أجدى لخروجِ الإخوة إذا سمعوا من يذكرُ أسماءهم. وبالفعلِ عثروا على أبي جعفر في كنفِ اللهِ يأكلُ البطيخَ ويشربُ من فضلِ اللهِ، وفي نفسِ اليومِ عثروا عليَّ وعلى باقي الإخوة؛ إذ كنا قد اجتمعنا جميعاً في منطقةٍ واحدةٍ -أعني نحنُ أصحابُ (حي نزال)-، وبالفعل تمَّ تقسيمُ الإخوة إلى مجموعاتٍ مرةً أخرى وكان نصيبُ أبي جعفرٍ معي وفي مكانٍ ما (اللهُ به عليمٌ) بدأَ أبو جعفر رحلةً أخرى، بدأ يحفظُ كتابَ اللهِ فتعجبتُ من سرعةِ حفظهِ؛ إذ كان يحفظُ بسهولةٍ نصفَ جزءٍ في اليومِ! وفي وقتٍ قصيرٍ! وكانَ يسمِّعني يومياً، وأحياناً يزيد ربعاً أو ربعينِ.

ولا أُطيلُ عليكم فقدْ مضتْ أيامُ الفلوجةِ بحلوِها ومرِّها، واستقرَ المقامُ بأبي جعفرٍ في المنطقةِ الغربيةِ التي يسيطرُ عليها مجاهدو القاعدةِ حيثُ حرّروها مدينةً مدينةً، وكانتْ منها القائمُ (محطةُ العبورِ) كما كانَ يحلو للأمريكانِ تسميتها، فشنَ العدوُ هُجوماً عليها أسماهُ عمليةَ (قرنِ الثورِ) وأراد أن يخرق بالقرنِ سياجاً من صلابة الإيمانِ بمكان، فردَّ اللهُ كيدَهُ في نحرهِ، وكان أبو جعفر آنذاك مَسْؤُولَ الإخوة العسكري، فأمرَ بإخراجِ الإخوة من منافذَ أُعِدتْ سلفاً لذلك، وبقي هو في قلّةٍ قليلةٍ يقاتلُ حتى الموت؛ حتى لا يأخذَ أعداءُ اللهِ المدينةَ لقمةً سائغةً، ومرتْ أيامُ الحربِ وفي كلِّ يومٍ يزدادُ العدوُّ خسارةً وانكساراً، ويزدادُ الإخوة في أسبابِ السَّماءِ، وفي لحظةٍ من لحظاتِ الضِّيقِ وقسوتهِ، اجتمعَ جندُ الإيمانِ واستشاروا أبا جعفرٍ في تركِ المدينة، فكان قولـه: (والله ثم والله ساعاتٌ ويولي العدو الدُّبُر)، وكان ذلك يومَ الجمعةِ، وبالفعلِ أرادَ العدوُ أن يقتحمَ نقطةً مهمةً فانفجرتْ دبّابةٌ لهُ، بفعل لغمينِ وضعا على نغمةٍ واحدةٍ في نفسِ المكانِ إلا أنَّ عبوةً واحدةً فقطِ انفجرتْ وأصابتْ هدفها وظنَّ الإخوة أن العبوتينِ انفجرَتا، ولما جاءتِ الدبّابةُ الثانيةُ؛ لحملِ جثثِ وأشلاءِ أُخْتِها المتناثرةِ الخائبةِ الخاسرةِ، عبثَ أحدُ الإخوة بجهازِ التفجيرِ مازحاً مع من بجوارهِ، فقال: أضغطُ؟، (يمكن يا ولد عندي

كرامة)، فضَحِكَ الجميعُ، وضغط فإذا بالكرامةِ تنطلقُ لتفجيرِ العبوةِ الثانيةِ بدقّةٍ في قلبِ الدبّابةِ!، فهللَ الإخوة وكبّروا، وتركَ العدوُ أشلاءهُ وانصرفَ، وظن الإخوة أنَّه سيعاودُ الدخولَ مِنْ مكانٍ آخرَ، وباتوا ليلتهم وهم راغبونَ إلى اللهِ وطامعونَ في فضلهِ، وفي الصَّباحِ نَظَرَ الإخوة فإذا بالعدوّ ينسحبُ تاركاً بعضَ أغراضهِ وأشلائهِ، معلناً للعالمِ أنَّ عمليةَ رأسِ الثَّورِ أو قرنِ الثَّور (نجحتْ وحققتْ أهدافَها!).

فعَجِبَ القائدُ وجنودهُ من لطفِ اللهِ ورحمتهِ وتوفيقهِ بالنَّصرِ، وكيفَ يأتي اللهُ بهِ لأسبابٍ لا يعرفُها البشرُ ورأوا كرامةَ ذلكَ، وهل تعجبُ أكثرُ يا أخي؟ عندما تعرفُ أنَّ عددَ من قاتلَ مع أبي جعفرٍ لا يزيدُ على (خمسةَ عشرَ نفراً!)، بقوا فقطْ ليموتوا وطلباً للشهادةِ ونكايةً في العدوّ، فأرادوا أمراً وأرادَ اللهُ لهذهِ القلوبِ والنُّفوسِ أمراً آخرَ، أرادَ لهُم العزةَ وفرحةَ النَّصرِ، وواللهِ ما أخطأتِ الشهادةُ أحدَهم بعد ذلك فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، ومضتِ القافلةُ.

وفي يوم من الأيامِ وصلتْ إلى القائدِ أبي جعفر رسالةٌ من أخيهِ الإمام أبي مصعبٍ الزرقاوي -تقبّله الله وغفرَ له- يأمرهُ فيها بإعدادِ وتدريبِ عددٍ من الإخوة إعداداً شاقاً وأنْ يختارَ من الإخوة خيرَهُمْ خُلُقاً وديناً وجسماً وذلك لمهمةٍ خاصةٍ، يقومُ بتقسيمها لمجموعاتٍ صغيرةٍ كل مجموعةٍ مكونةٍ من خمسةِ أشخاصٍ عليهم أميرٌ، وأَمَرَهُ بأنواعٍ معينةٍ من التدريباتِ كتسلقِ الجدرانِ وعبورِ الحواجزِ المائيةِ وغير ذلكَ، فانخرطَ الأخُ في إعدادٍ للإخوةِ متواصلٍ بلا كللٍ أو مللٍ، وفي سريةٍ تامةٍ، وكانتْ هذه هي مجاميعَ اقتحامِ سجنِ أبي غريب -فرضي اللهُ عن أبي جعفر وإخوانهِ-، ثم أُنيطَ للقائدِ تشكيلُ قوّةٍ خاصةٍ مهمّتها عملياتُ الخطفِ للأجانبِ وخاصةً أعداءِ اللهِ المحتلينَ منهم.

ثم بدا لأسدِ الرافدينِ أنْ يؤثرَ نفسَهُ بالقائدِ أبي جعفر؛ ليكونَ رفيقهُ في حلّهِ وترحالهِ ونومهِ وقيامهِ، ورسولهُ إلى المناطقِ ومستشارهُ العسكريَّ وحتى الإعلامي، وبدأتْ مع القائدِ رحلةٌ شاقةٌ لا يعرفُ صعوبتَها إلا من يعرفُ كيف كان يعيشُ أسدُ الرافدينِ أبو مصعبٍ.

وبدأتِ الأيامُ تمرُ، وفي مرةٍ قابلتُ أبا جعفر فوجدتُ الإجهادَ واضحاً عليهِ، قلتُ: ما لكَ؟ قالَ: واللهَ لو كلّفني الشيخُ بهدِّ جيشٍ من الأعداءِ ما تعاجزتُ بحولِ اللهِ، أما مسؤوليةُ حمايتِهِ ومرافقتِهِ، فهي واللهِ المسؤوليةُ، وتلك واللهِ الأعباءُ التي تنوءُ منها الجبالُ، يا أخي، الشيخُ رجلُ أُمّةٍ لو حدثَ لهُ مكروهٌ ماذا أقولُ لربي؟.

ومضتِ القافلةُ، ومضى أبو جعفر يتقدّمها بجوارِ أخيه أبي مصعبٍ، وفي كلِّ يومٍ تنزلُ عليهم الأتراحُ والأفراحُ، هنا خبرُ استشهادِ أخٍ، وهناكَ تدميرُ دبّابةٍ، وهكذا كانت حياةُ الرجلينِ لا يعرفانِ النّومَ، فقد كان أبو مصعبٍ لا يعرفُ النّومَ تقريباً؛ مذاكرةً لرسائلِ الإخوة وشؤونِهم، حتى إذا أصبحَ الصَّباحُ جاءتْ تعليماتهُ للأُسُودِ في أنحاءِ البلادِ.

ولقدْ شاهدَ العالمُ بأسرهِ ذلك الشَّابَ المتينَ وهو يجلسُ بجوارِ الشَّيخِ (الثاني من جهةِ اليمينِ)، في شريطِ الشَّيخِ المصوَّرِ الأخيرِ، وعلَّقَ الأمريكانُ كثيراً لما بادرَ أبو جعفر بشدِ أجزاءِ سلاحِ الشَّيخِ، كعادتهِ في مساعدةِ الشَّيخِ في كلِّ شيءٍ: طعامهُ، وشرابهُ، ولباسهُ، ونومه، وقد كان الشَّيخُ -رحمهُ اللهُ- ينوي تزويجهُ ابنتهُ وصرَّحَ بذلك لأحدِ الإخوة، وأنا بنفسي كنتُ قد طلبتُها منهُ لأبي جعفرٍ، فقالَ: (واللهِ ما أعرفُ بأبي جعفر عيباً ولم أرَ لابنتي مثلَهُ أو شبيهاً، لكن صبراً قليلاً حتى أطمئنّ أنها تصلحُ للزّواجِ، ثم هي لهُ إن وافقتْ بحولِ اللهِ وقوّتهِ، وما أظنها إلا لهُ).

ومضتِ القافلةُ، ولكنَّها هذه المرّةُ مضتْ إلى رحلةِ السَّعادةِ والطَّهارةِ والنّقاءِ والبهاءِ، مضت إلى الدَّارِ التي لا أتراحَ فيها ولا هموم ولا آلام، مضت إلى رضًى من اللهِ ورضوانٍ -نحسبهُم-، مضت إلى النعيمِ المقيمِ والعزِّ الأبديّ إلى الجاهِ والسلطانِ الحقيقيّ، مضتْ فجأةً بِلا سابقِ إنذارٍ، وهكذا تلك الرِّحلةُ على وجهِ الخصوصِ، مضت وما صدَّقَ أحدٌ أنَّهم مضوا، مضتِ القافلة وهي في أمسِ الشَّوقِ للرّاحةِ من العناءِ، لكنَّها يعلمُ اللهُ مضتْ بعدما أرستْ قواعدَ وأعلنتْ بنياناً وسطّرتْ عِزًّا ورسمتْ بسمةً، مضتْ بعدما قَسَّمَتِ

الناسَ فريقينِ: فريقُ إيمانٍ لا نفاقَ فيهِ، وفريقُ كُفْرٍ لا إيمانَ فيهِ، مضتْ بعدما أماطتْ لثاماً وسطّرتْ بدمائِها تاريخاً.

رجلٌ بألف: طارق الوحش (٢٥)

هو أَسدُ الله، وأَسدُ المجاهدين، مَنْ يَطْمَئِنُّ الشّجعان بجوارهِ ويتجرّأُ الجبان برؤيته، لا يعرفُ الخوفُ طريقَه، ولا التّردد والخور فؤادَه، ينهضُ إذا قعدَ الشّجاع، ويتقدّم إذا تبارى الفرسان.

هو أبو أحمد (طارقُ الوحش) كما كانَ يُسَمّيه أقرانُهُ، من مدينة الرمادي رمزُ الإباء والثّورة على الظّلم والطّغيان الأمريكي.

كانَ من أوائلِ من انضمَّ إلى ركبِ التّوحيد والجهاد، بل من مُؤسّسيه وكانَ الشيخُ أبو مصعب –رحمه الله– يثقُ فيه ثقةً مطلقةً وكان أهلاً لذلك، كان بطلُنا عسكريًّا مُتمرّسًا، فهو على خبرةٍ عاليةٍ في جميع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وكذلك عِلْم التّشريك والمتفجرات.

فهو من أوائلِ من صنعَ الأحزمة النّاسفة، وطَوَّرَ تشريكَ السّيارات وأدخلَ الفتائل المتفجرة في التّشريك وأحسنَ استخدامها، كذلك كان له السّبقُ في تحطيمِ أوكارِ الكُفْرِ والرِدّة في بغداد وغيرها.

ومِمّا أَذكُرُهُ جيّداً أنّه هو الذي رَصَدَ ونفّذَ مع مجموعة من إخوانه فندق شاهين.

وطارقُ هو من قامَ بعمليّة محافظ الرمادي وأكرهه على الاستقالة بعد أن أعتقلَ أولادَهُ الثّلاثة، ولم يُرْجِعْهُم إلا بعد أنْ أعلنَ المحافظ التوبة من الذّنب والتّعهد بعدم العودة إلى عملِهِ ومساعدة المحتل، فرأيتُهُ فرحاً جدّاً يقول: (الحمدُ لله الذي جعلني سبباً في إنقاذِهِ من النّار). لكن كل ما مضى لم يكن شيئاً إلى جانب ما رأيتُهُ من أبي أحمد في الفلوجة. فلما اشتدَّ الخطبُ وعرفَ الجميعُ قُرْبَ الاقتحام العام للفلوجة عرضتُ على الشيخ أبي مصعب –تقبّله الله وغفرَ له– أنْ يكونَ الرّجل المسؤول العسكري للمدينة، فوافقَ الشّيخُ

على تعيينه مستشارًا عسكريّاً ورئيساً للجنة المساءلة والمتابعة، فقد كان طارقٌ جريئاً جدّاً يقتحمُ المهالك ولذا رفضَ الشّيخ تعيينه مسؤولاً واكتفى أن يكون مستشاراً فقط .

وفي هذه الفترة عرفتُ طارقًا الإداريّ والعسكريّ، فقد اجتمعَ مع القادة الميدانيّين للفلوجة وعرضَ خطّته، كانت الفلوجة تقريباً لا يوجد بها كتيبة دفاع جويّ منظمة ومرتّبة لهذا الهدف، بل سلاحٌ مع هذه الكتيبة وآخر مع أخرى.

فاقترح تشكيل سريّة الدفاع الجوي وبدأ الرجل:

أ- اختارَ نخبةً من الأبطال أوّلاً ثمّ أَدْخَلَهُم دوراتٍ تدريبيةً مكثفةً وسريعةً كل مجموعةٍ على سلاح بعينه، فهذه على الدوشكا وأخرى على (٣٧) والثالثة على (٥٧).

ب- سعى في جلب ضابط سابق يقوم بإدارة هذه السريّة ويتولى هو بنفسه -أيِ الضَّابط- تحديد أماكن توزيْع الأسلحة ومربّعات السّيطرة ويأْمُرُ بإطلاق النّار ونقل القطاعات، وإلى غير هذا من الأمور المهمة.

ج- جمعَ كل ما لدينا من سلاح جويّ وأدخله للصّيانة وبحضور الطّاقم المختص بكل سلاح وحتى يتعوّد على تصليحه وصيانته بنفسه.

د- تمّ تحديد نقاط كثيرة في الفلّوجة لتكون محلاً لإشعال النّفط فيها لتكون كثافة دخانيّة تمنع الرؤيا، وحتى يضطرّ طيران العدو إلى النّزول كثيراً ممّا يدخله في مرمى نيراننا.

وفي تلكَ الأثناء ذهبتُ مع طارق إلى الصّناعة، أثخن نقاط الجبهة، وزُرْنا نقطة الإخوة الأكراد فرسانِ الصّناعة، فأَخَذَنَا أحد أهمّ أبطالها وهو الأخ (شامل) إلى منطقة الرّصد والقنص، وأثناء رَصْدِنا للسّريع ونقاط العدو رأيتُ غباراً كثيفاً ومفاجئاً في منطقة المعارض، ونظرَ طارق فإذا هي دبّابات العدوّ كانت تسيرُ على السّريع ثم دخلت مسرعة في اتجاه خطّ الإخوة بالشهداء.

وكنّا في مساء العاشر من رمضان تقريباً، فأسرعنا بالعودة إلى الإخوة في الشّهداء، وذهبَ طارق إلى مجموعة خلفيّة أعدَّها لهذا الأمر، يعني المعونة والمسَاعدة دون الاشتراك المباشر في جبهةٍ من الجبهات، وكانت هذه هي مجموعته التي يعتمد عليها منذ كان محلّ عمله بالرّمادي.

وأَخَذْنَا عدداً من الإخوة وانطلقنا باتجاه العدو وكان المغرب على الأبواب وهنا رأيتُ طارق الوحش على حقيقتِه، لبس جعبة الـ RBG وحملَ قاذفه وقال لي لا بُدّ أنْ تبقى في الخلف وحتى إذا احتجنا إلى مددٍ تقوم بالأمر ثم دوّى زئير الأسد، اللهُ أكبر اللهُ أكبر خربت أمريكا، ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، الصّبر الصّبر يا عباد الله.

وتقدّمَ إلى أقرب نقطة للعدوّ وبدأ الإخوة يلتفّونَ حَوْلَهُ ويتشجّعون برؤيتِهِ بينهم فقد كانوا يَسْمعونَ عن شجاعتِهِ وإقدامِه. واستمرّ الاشتباك طويلاً، وفي هذه الأثناء أصاب الإخوة جوعٌ وعطشٌ شديدان فقد كانوا أصلاً صياماً والعدوّ لم يَأْتِ إلا السّاعة الرّابعة قرب المغرب فلم يشاءوا أنْ يفطروا.

فأرسلتُ في إحضار ما يُمكِن إحضارُهُ من ماءٍ وطعامٍ على شدّة وخوف شديد ألمَّ بالإخوة، إذ أنَّ القاصفة كانت فوقنا وتضربُ كل ما يدبُّ على الأرض أو لا يدبّ من بنيان ومآذن، وكذلك طائراتُ الاستطلاع المتوسطة والميدانيّة مثل (النّسر والصّقر) والتي يُطْلقها العدو للاستطلاع القريْب وعلى ارتفاع منخفض جدّاً وحتى يُشْغِلَ الخصم بالسّيطرة عليها وهي بدورها تنقلُ صورةَ المقاتل الذي يضرِبُها وأماكن وجودِه، فعلِمَ أنّه من الخطأ الانشغال بها على الرّغم من خطورتها.

أقول زوّدْنا الإخوة بماء قليل وطعام، وأعطاني هذا درساً في ضرورة أن يكون كل مجاهد يتجهّزُ بقليلٍ من الطّعام (كالزّبيب والتّمر) وكذلك الماء ولا يُفَارِقْه ذلك أبداً.

وقُتِل في هذه الأثناء أحدُ الإخوة وتمَّ سحبه إلى الخلف وأثناء إحضاره رأيتُ الإخوة يُكَبّرون فتعجبتُ فلما قربوا مني زال عجبي، فوالله ثمّ والله ما زالتْ رائحةُ مِسْك أخي هذا – والذي أصلاً لا أعرف اسمه إلى يومنا –، أقول ما زالتْ في أنفي ولقد انتشرتْ

رائحةُ المسك منه إلى مسافةِ مائة متر، وهذا ما لم يسبق له مثيلٌ قَطُّ، فقد صارَ مشهوراً والحمدُ لله في قتلانا رائحةُ المسك ولكن ذلك يكون إذا اقتربتَ من الشّهيد وشممت مباشرة دمه أو ملابسه، أما على مائة متر فلا.

وبقيتُ إلى جانبِ الشّهيد خوفاً عليه من السِّباع المنتشرة في المنطقة، ثمّ وَضَعْتُهُ في سيّارة وانطلقت به ليُدْفَن، وما دَفَنَهُ غيري من الإخوة.

سبحانَ الله رجلٌ هذا حالُهُ لا يُعْرَفُ اسمُهُ ولم يَدْفِنْهُ إلا واحد، وكلابُ أهل النّار تُقَامُ الدّنيا ولا تقعدُ إذا ماتوا، هُمْ عندَ النّاس والله أحقرُ من الجيف، لكنْ حسب أخي أنَّ الله يَعْرِفُه.

وعودة إلى طارق الوحش فقد عدتُ إلى الجبهةِ وسألتُ عنه فقالوا ما زال في المقدّمة وحوالي السّاعة الثّانية ليلاً سمعتُ تكبير أبي أحمد يدوّي ثمّ سمعتُ صوت آليات وما هو إلا قليل حتّى جاءَ البطل وقال انسحب العدوّ والحمدُ لله.

ومضتِ الأيّامُ واقتحمَ العدوّ مستشفى الفلوجة عند صلاة العشاء في الخامسِ والعشرينَ من رمضان على ما أذكر. وبتُّ تلك الليلة أنا وأبو عبد الله الشّامي مرابطين حذاء الجسر الجديد وفي نقطة حدّدت سلفاً لتكونَ محل الإدارة إذا تمّ ما حدث، وأصبح الصّباح وكان الجوّ بارداً جدّاً فاستعرتُ معطفاً من الأخ عمر حديد، ثم قابلتُ الوحش وقلتُ له ما العمل، ثمّ أردفت قائلاً: أشعر أنَّ أضعفَ نقاط الجبهة من جهة (الجغيف) فمع أنه لا وقتَ لكن يا ليتَ تذهب أنت ومجموعتُكَ تسدّ هذه الثّغرة (وقد كانت من نصيب الشيخ عبد الله الجنابي وإخوانه جزاهم الله كل خير) وأثناء حديثنا قطع القنّاصة شارع الحضرة المحمدية.

ومَضَى الرّجل لعمله لكنّه وفي منتصف اللّيل بل قبل ذلك حَدَثَ ما توقعتُ وللأسف بعد فوات الأوان، دخل الأمريكان من جهة الجغيف واخترقوا المنطقة بطريقةِ رأس السَّهْم ثم انتشروا في الدّاخل.

وحُوْصِرَ الإخوة في العسكريّ والجولان، بل فوجئ الإخوة في العسكريّ بالأمريكان معهم في الأفرع وبدأتِ المطحنة والملحمة.

وأمّا طارق الوحش فقد انحاز بحمد الله إلى نزّال مقر القيادة في ذلك الوقت وقالَ ما العمل: قلتُ العملُ أن نقسمَ المدينة نصفين جنوبي وشمالي ثمّ ندافعَ عن القسم الجنوبي ونغيرَ على القسم الشمالي حتى نستردَ ما فقدْنَاهُ منه ونعاونَ من حُوصِرَ من إخوانِنا.

وتمّ تكليف أبي أحمد طارق بمهمّةِ إنشاء خط جبهة يحمي القسْم الجنوبيّ وقد فعل الرّجل وسدَّ الثغرة. ومراراً حاولَ الأمريكان اختراق الخطّ لكن أبا أحمد كان لهم بالمرصاد يسدّ هذه، ويُجْبِر هذه واستمرَّ به الحال هكذا أيامًا والعدوّ لا يستطيع التّقدم، وكلما احتاج إلى إخوةٍ أو سلاحٍ أرسلَ إلي وزوّدته بذلك وكان الإخوة في هذا الوقت يتساقطون تساقُطَ أوراق الخريْف لكنّها غضّة طريَّة خضراء.

وفوجئ أبو أحمد أن قنّاصاً تسلّلَ إلى عمارة مهمّة مُطِلَة على أحد التّقاطعات (وهو تقاطع الطّريق القديم مع طريق شارع الفردوس) فقال أبو أحمد لأحد الإخوة –أظنّه أبي جعفر رحمه الله– غطِّ علي بواسطة البيكا وأنا أخرج أضرِبُ مكانَ القنّاص بصاروخ مهداد RBG. وفعل الاثنان لكن أبا أحمد جاءته طلقة في كِلَتِهِ أسقطتْهُ أرضاً.

ولما سُحِبَ إلى بيتٍ مجاورٍ ظلّ يبكي ويقول يا ربّ شهادة لا جُرْحاً، يا رب أنت أرحم الراحمين، يا ربّ إخواني، ولما أرادوا أنْ يَسْحَبُوهُ من المعركة رفضَ ركوب السّيارة وقالَ والله لا أخرجُ لا أُخَذّل إخواني اتركوني، فقال له أحد الإخوة اتّق الله إنك مجروحٌ، يشْفيكَ الله وترْجِع، فرجعَ والبكاءُ هو حالُهُ، لا جزعاً عَلِمَ اللهُ ولكن حُبًّا للجهاد، ثمّ سُحِب من الجبهة وانسحب معه كثير من الإخوة المثخنين بالجراح وحاولتُ أنْ أَسدّ مكان طارق لكن كل جهودي ذهبتْ سُدًى وبفقدي لأبي أحمد في الجبهة، كُسِرَ الخطّ وتقدّم العدوّ إلى نزّال. فقد كان طارق واللهِ (أمّة) كأنّه ألفُ مقاتل، فلم يستطع أحدٌ قطّ أنْ يقومَ مقامه.

وأثناءَ نقله إلى الخلف لاحظَ أبو جعفر رحمه الله شيئاً على وَسَطِهِ، حاولَ فَكَّهُ لكن طارق صرخَ فيه اتركه، وقد كان هذا الشيء هو حزامٌ ناسفٌ يُتَوّج به جسمه ويثيره في عدوّه إذا أضطرّ لذلك. فهو الأبيّ الذي لا يقبل الضّيم وهو الشّجاع الذي لا يحتملُ ذُلَّ العدوّ.

ولما اقْتُحِمَ حي نزّال دخلَ الأمريكان بيت أبي أحمد والذي كان جريحاً فيه وعندما رآه الأمريكي جريحاً ظنّه أنّه عصفور كسيْر تقدّمَ ليأخذه وحتى يلهو ويضحكَ به، وفجأةً ثارَ البرْكانُ على هذا الجَمْع.

فَجَّرَ أبو أحمد طارق الوحش حزامَهُ فقتل عدداً من علوج الأمريكان ولبّى نداء ربّه بالخلود إلى جوار الصّديقين والشّهداء -نحسبُهُ كذلك-، فنسألُ الله أن يُخْلِفَنَا في الرّجل خيراً وأنْ يُعَوّضَنَا عنه وأن يُلْحِقَنَا به في جنّات عدن عند مليكٍ مقتدرٍ، فقد كسرَ والله قلبي والّذي لن ينجبر إلا برؤيته هناكَ في الجنّة إن شاء الله.

أبو رضوان التونسي (٢٦)

ها قد رجعتُ لتوّي أخطُّ بِرِجْلي الأرضَ والعَبرَةُ تملأُ عينيَّ والحيرةُ تملأُ قلبي، أعودُ بعدما وقفتُ على سيّارة كيّا بيك آب يمتدُّ بطولِها شابٌّ وسيْم في نومٍ أَبَديّ هادئ وأحاطَ به عددٌ من إخواني وإخوانه وقوفاً، إلا أبا زياد جالسٌ بجانبِه يضحكُ ثم يبْكي، يُمْسِكُ بوجه أخيه وحبيبِه ورفيقِ دَرْبه حتّى الممات أبي رضوان قائلاً: (مع السّلامة، فُزْتَ يا حبيبي) ثمّ تدخله حاله أشبهُ بالهستيريا قائلاً: (هيه.. هيه مع السّلامة) ويضحك ثم يبكي حتى أبكى جميعَ من حولَه.

وقال أبو أسامة وهو واقفٌ على رأْسِه: كان وجهه قبل الذّهاب للعمليّة كالقمر وأشهدُ أنّه كانَ أشجعَ من رأيت، فقلتُ في نفسي: وأنا أشهد، ثم قال أبو سمير –صاحبه–:(أشهدُ أنك كُنْتَ تقاتل لتموتَ وتُرْزَق الشّهادة وقد نِلْتَهَا يا حبيبي).

ثمّ قالَ ثالث: (والله ما كان فينا أشجعُ منك ففي يوم كذا فعلتَ كذا وكذا. ...).

وقال رابع: (أشهدُ أنّك ما أردتَ يوماً ما إمرةً ولا سمعةً وكنتَ دوماً محباً لإخوانك مخلصاً صادقاً...).

كلُّ هذا وأنا أسمع.. لا أستطيع أن أنظرَ إلى حبيبي، وفجأةً انفجرتُ بالبكاء محاولاً التّجلّد وما استطعتُ، ثم أشرتُ بإصبعي إلى أبي رضوان: هؤلاء هم شهداءُ الله في الأرض، وأشهدُ أنّك كُنْتَ كما قالوا، وإني لأرجو يا حبيبي أن تَجِدَ هذه الشهادة أمامك وأن يرفعك الله في أعلى عليّين.

و هنا بكى من لم يكن بكى، ثم أطبقَ صمتٌ على المكان ثم حاولتُ التّجلد قائلا: ما لكم يا شباب، هذا هو ديننا، إننا أمّة لا تموت على الفراش، والشهادة أسمى أمانينا، وإنّا لنرجو من الله أن نلحق به مقبلين غير مدبرين كما كان. ثم قلت هيّا يا شباب انصرفوا

واتركوا عددًا قليلاً من الإخوة يدفنوه ولا يبقى في المكان إلا الإخوة الأنصار، ليذهب كل المهاجرين وحتى لا يكون تجمعنا سبباً في هلاكنا جميعاً، وبسرعة امتثل الشباب لنصائحي، ثم خلا بي (أبو زياد–أبو سمير– الفاروق) قائلين:(اسمح لنا أن ندفن أخانا فقد كان وكان)، فسمحت لهم وانصرف الجميع والحسرة ملء عيونهم وقلوبهم.

اسمه حمزة وكنيته (أبو رضوان) والاسم والكنية على مسمّى، من تونس من مدينة بنزرت. ولمجيئه إلى العراق وجهاده فيه قصّة ونشيد، وإليك يا أخي مختصر هذا المشوار.

جمعَ حمزة ما يمكن أن يجمعه من مالٍ حتّى استكملَ تذاكرَ السّفر ثم سافر إلى ليبيا ثم منها إلى مصر ثم ركبَ من ميناء نويبع المصري إلى العقبة عن طريق العبّارة، وفي العبّارة سلّم جواز سَفَرِه وحتى يُختم للدّخول كما هي العادة، لكن الجميع رجعت إليهم أوراقهم إلا صاحبنا، نودي عليه ثم أدخل إلى غرفة بها أشخاص ملتحون ويتظاهرون بالصّراخ، وصلت الفكرة إلى أخينا، ثمّ أُخرج وأدخل إلى سرداب تحت الأرض ووجدَ نفسه في وسطِ جمعٍ غفيرٍ من الجنود المدجّجين بالسّلاح، كلٌّ قد وجّه إليه سلاحه، ثمّ أُخِذَ على الفور إلى غرفة التّحقيق، فلمّا لم يصلوا معه إلى شيء، حيث كان أهمّ سؤال يدندنون عليه، أنت تريد أن تذهب إلى العراق، وصاحبنا ينكر.

ثم رفعوه إلى غرفة التّعذيب وضَرَبُوْه حتّى سقطَ أرضاً ثم أخذوهُ إلى غرفةٍ بها كراسي متراصّة في صورةٍ دائريّةٍ وعبارة عن مجموعة من الدوائر، وفي وسط هذه الكراسي الدائرية يوجد كرسي في الوسط هو مركزها، أدخلوه إلى ذلك الكرسي وأجلسوه عليه ثم ربطوه به وهو الجثةُ المنهكةُ من التعذيب.

أسندَ المسكينُ ظهره إلى الكرسي فإذا بسكّين بارز من الخلف، حتّى إذا حاول أن يسند ظهره يدخل فيه، بالطبع صاحبنا معصوب العينين، ثم وضعَ يده على جانب الكرسي ليعدّل من نفسه ويستريح، فإذا بالدّم ينزف منها، فقد هُيّئت حافة الكرسي، وصنعت على شكل سيف يقطع عند لمسه، وظل هكذا على هذا الكرسي يومين بلا

طعام ولا شراب، فقط الضرب والتعذيب هو كل شيء وليس لهم سؤال إلا لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟.

ثم اتّصلوا على تونس، ففرحت الحكومة التّونسية، قائلة إنه مطلوب بقوّة إلينا، أرجعوه لنا.

فأرجعوه بنفس خط السّير الذي جاء فيه، فلما وصل إلى مصر اعتقلوه وعذّبوه أياماً، (لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟)، ثم سُلّم إلى ليبيا وهناك اعتقلوه وعذّبوه عذاباً تَرَحَّمَ فيه على عذاب الأردن ومصر، والسؤال ما زال هو السؤال: (لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟).

ثمّ سُلّم إلى تونس، وفي سيّارة وزارة الداخلية كانت المعاملة كما هو معتاد لمثله من أهل الصّلاح فهو معروفٌ عندهم.. مُشاكسٌ شديدٌ وإرهابيٌّ عنيد؛ لطالما سُجِنَ بسبب لحيته وأفكاره ثم يحلقونها له ويعود إليها ويعتقلونه وهكذا مراراً.

وفي هذه المرّة ولأنه كان عبارةً عن كومة من اللّحم والعظم، لم يفعلوا معه شيئًا حتى يصلوا به إلى تونس العاصمة، وفي الطريق استراح الرّكب بمطعم على الطريق لأجل وجبة الغداء وذهبوا جميعاً لإحضار الطّعام، ثم جاء عمّال المطعم بالطعام إلى مكان الجلوس الموجود فيه الشهيد، فتوسّم الخير في هذا الرجل الذي أحضر الطعام، فقال له: خذ هذا الجواز وانصرف، احتفظ به أو أحرقه، المهم افعل شيئاً فإني توسمت فيك الخير.

فأخذه ذلك الرّجلُ وانصرف، ثم جاء لصوص الترحيل وأخذوه وانصرفوا به إلى وزارة الداخلية، ولما وصلوا سألوه عن الجواز (جواز السفر)، قال: ما عندي، ضربوه شهراً كاملاً عليه، وهو يقول ألقيته من السّيّارة، ثم أُفرج عنه للعلاج ولشدّة حالته.

وبعد أيّام قلائل ذهب حمزة (أبو رضوان) إلى مدينة (مانز) المجاورة، وبينما هو يسير في الشّارع إذا بذاك الرّجل صاحب المطعم يلتقي به صدفةً، فتعانقا وحمدا الله على السّلامة، وقال له هذا الرّجل: لقد جئتُ أبحثُ عنك لأعطيك الأمانة وسألتُ الله أن

يُفرّج عنك، فالحمد لله. وبعدما استلم أبو رضوان جواز سفره وعلى الرغم من أنه مختوم بختمٍ أحمر وبجواره عبارات: (أنّه مطلوب) أو إرهابي وغير ذلك.

ذهب أبو رضوان إلى أبي زياد وأبي سمير وعددٍ من الإخوة بلغ ستّةً من أصحابه واتفقوا على السّفر مرة أخرى، وسافر الجميع ومعهم أبو رضوان وبنفس جواز السّفر الذي اعتُقِلَ به وعُذّب حتى الممات وبنفس الهمّ.. وإلى ليبيا نفس الدولة التي عذّبته، فلما وضع جوازه أمام شبّاك التذاكر وضع الضّابط يده على رأسه متعجباً ناظراً إلى أخينا، ومن غير أن ينطق بكلمة أعطاهُ الجوازَ بلا ختم، ثم قال: (اتفضل ادخل). دخلَ أبو رضوان ليبيا وهو لا يُصدّق، ثم سافر إلى دولة أخرى ثم بحث عن منسّق له وفي رحلة طويلة شديدة العذاب وصل إلى العراق.

وإنّما ذكرت القصّة لأسباب كثيرة أهمّها:

- ليعلم كل أخ أن للأسباب حدودًا.

- أن من يتوكّل على الله يجعل له من أمره يُسْراً.

- ليعلم كل قاعد مهيأ له السَّفر للجهاد أن الله لن يُسامحه، فهذه حالة الرّجل وسافر، فكيف بكم.

- أن من يَصْدُق الله يَصْدُقْهُ.

وبالعراق كان أبو رضوان الفارس الذي لا يُبَارَى والأسد الذي لا يهدأ ولا يعرف الرّاحة، يُلقي بنفسه بين أحضان الموت لعلّه يُرْزَقُ الشهادة، وفي كلّ مرّة كان يعود سالماً باكياً أنه بعدُ حيٌّ، وقد شارك في أهمّ عمليات الإخوة في العراق، شارك في عملية السجن أبي غريب الثالثة (غزوة أبي أنس الشامي)، وكان أبو رضوان أوّل من وصل إلى سور السّجن هو وأبو عبد الرحمن اليمني وصعدا السّور وكبّرا عليه، وفجّرا باباً فرعياً كان مقرّراً الدّخول منه، إلا أنهما فُوجِئَا بساتر ترابي خلف الباب.

و شارك في عملية سجن مكافحة الإرهاب، وكان أحد الشّخصين الوحيدين اللّذين نفّذا المرحلة الأخيرة من العملية، حيث دخل إلى باحة السِّجن وحاول أن يفكّ أسر إخوانه، وشارك في عمليّة حيّ الرسالة ضد مركز الشّرطة وكان له اليد الطولى فيها.

و ما زال يتقلّب مع إخوانه من معركةٍ إلى أخرى حتى جاء ميعاد آخر غزوة في بغداد في الخامس من شهر رمضان، ثم تمّ تأجيل الغزوة لسبب أمنيّ على أن نعود إليها في اليوم الثاني، وذهب الجميع ضاحكين إلا أبا رضوان خلا بنفسه في ناحية البيت وأخذ يبكي بكاءً حاراً، جاء إليه أحد إخوانه قائلاً: ما بك؟، قال: والله ما رجعنا اليوم إلا لذنوبنا، الذّنوب هي السّبب، لا الأمن ولا الطّريق، مَنْ لزوجة الشّيخ أبي عزام؟... إذا لم نأخذ أسرى.. لن يُطْلِقُوها.. مَنْ للنّساء..؟ مَنْ..مَنْ؟ ثم انخرط في بكاءٍ حار.

وبعد أن هدأ جئتُ إليه وقد عرفتُ بالأمر، إلا أنّه كان قد ذهب ما به وبدا طبيعيا ثم استقبلني بابتسامةٍ ساحرةٍ وأخذني بالأحضان وحاول تقبيل رأسي وحاولت منعه، ثم ودّعتُهُ وانصرفت، وأنا في حيرة من أمري، أحقّاً اقترب موعد أبي رضوان، فقد بدا عليه سيما الشّهداء، وليس هذا دَجَلًا وسِحْرًا، فقد عرفنا هذا الأمر بالتّمرس وكما سبق أن قلت، يبدو الأخ جميلاً أكثر من المعتاد، نفسه طيبة، وعلى الجملة يبدو مختباً..، و في نفس اليوم رأى فيه أبو زياد رؤيا:

رأى أنّ أبا رضوان يلبس ثياباً بيضاء جميلة جداً، ورآه يُقبل عليه والنّور يشعّ من كل شيء فيه، ثم نادى على أبي زياد قائلاً: (تعال.. الشّجر هنا تخرج منه رائحة المسك)، وكان أبو أسامة أيضاً في نفس اليوم قد رأى رؤيا، قال أبو أسامة: (رأيت كأنّي أنظر إلى السّماء، فإذا بها مفتوحة، فقال أبو رضوان: (ممكن نفوت -أي نمرّ إلى السماء-؟). قال أبو أسامة: (لا ذنوبي كثيرة). قال أبو رضوان: (لا، نقدر نفوت، بإذن الله الأمر سهلٌ).

وفي اليوم التّالي المقرّر للغزوة، وبينما كان الإخوة يهمّون بالرّحيل جاء الإخوة يُودّعون بعضهم قبل الغزوة، فعانق أبو سمير صاحبه أبا رضوان، فنزع أبو رضوان ساعته

وأعطاها لأبي سمير قائلاً.. خذ هذه تذكرني بها فإني لن أعود في يومي هذا، فضحك أبو أسامة وقال: يا رجل إن شاء الله تعود سالما آمناً..

قال أبو رضوان: صَدّق.. لن أعود، والله لن أعود، واستغرب صاحبه إصرار الرّجل فهو الذي لا يعرف المزاح والكذب، ومضى الرّجل إلى غزوته، وعلى إحدى سيطرات مغاوير الداخلية والمكونة في معظم أفرادها من (فيلق الغدر بدر) سدّد أبو رضوان قاذفته إلى سيّارة من سيّارات الدّورية ثم رمى بقذيفتين على بُعْد مئة متر. ثم رمى بالقاذفة في السّيّارة وأخذ الكلاشنكوف وانطلقَ يعدو تجاه الهدف وسط استغراب الجميع، حتى وصل إلى سيّارة المغاوير وأخذ يُطلق في الرّأس لكل طاغية ثم أخذ يَصْلي (طلقات سريعة) مَنْ تبقّى بالسّيّارة المجاورة، فلما انتهى عتاده، عاد مسرعاً إلى إخوانه وأخذ من أحدهم الـB.K.C وراح يعدو مرّة أخرى تجاه الهدف.

وهنا جاءته رصاصة في رأسه سقطَ مباشرة على إثرها شهيداً، فحمله أخوه أبو زياد وضمّه إلى صدرهِ وانطلق يعدو به نحو سيّارة الإخوة وعاونه أصحابه، ثم انصرفوا بعدما قضوا على عدوّهم ومعهم عريس قد زُفّ إلى عروسه.

تُرى يا إخواني ماذا رأى أبو رضوان حتى يُصِرّ أنّه لن يعود؟، وتُرى ماذا فعلَ لكي يراه اثنان من إخوانه في هذه الحالة الحسنة؟.. هل هو الجهاد فحسب؟ .. أم أنّه الإخلاص؟.. أم أنّه حبّ الله ورسوله والدّفاع عن أعراض المسلمين؟.. أم أنّه شيء آخر؟، المهمّ أن الله يعلمُ لماذا ذلك، وهو وحده القادر على أنه يجزيه خير الجزاء..

أسألُ الله أن لا يحرمنا أَجْره ولا يَفْتننَا بعده.. آمين.

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي

أبو المرضيّة اليمنيّ (٢٧)

هو أسد الله القائد المغوار، والمقاتل البار، أشجع من رأيتُ من شباب اليمن، ومن أعذبهم صوتاً، وأصدقهم وفاءً، وأجلدهم في أمر الله، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا عذل عاذل، من أصل طيب ونطفة صالحة.

أتذكرون أحبتي القائد البطل سابق الذكر (أبا طارق اليمني)؟ هو الشقيق الأكبر لأبي المرضية والسابق إلى الله في الجهاد والشهادة.

وإن أنسَ فلا أنسَ أبداً يوم أن خرج أبو طارق من السجن وقيل إن أخاه قد حلّ مجاهداً ببلاد الرافدين وكان ذلك بعد معركة الفلوجة الأولى والتي كان أبو المرضية أحد قادتها وفرسانها وكان قد أصيب فيها.

فجاء على عكّازين له يجرّ رجله بينهما، ووقفت على بُعْد أرقب لقاء الأخوين، لقاء الحبيبين في أرض الجهاد، وبعد فترة غياب طويلة رأيت كيف عدى أبو طارق نحو أخاه وكيف سالت الدموع على الوجنتين وكيف كانت القبلات على الرأس والجبين تقول الكثير، فهذا ابْتُلِيَ بالأسر وهذا ابْتُلِيَ بالإصابة، وعجزت كلمات الأخوين عن الكلام، فكان الصمت أصدق تعبير وأكثر وفاءاً وأبلغ فصاحة.

لبّى أبو طارق نداء ربّه وسبق أخاه إلى الشهادة على النّحو سابق الذّكر، وأبقى الله لنا أخاه ليترك بصمات رائعة في أرض الجهاد ملخصها (لا نامت أعين الجبناء).

قدم أبو المرضية بلاد الرافدين قبل أحداث الفلوجة الأولى بقليل وجاء التعليمات إلى أسود التوحيد بالنزول إلى المدينة وحراسة مداخلها، ولأنّ الوضع قد أخذ في التصاعد وبدأ العدو يصعد من لهجته وحِدّة كلماته فأرغد وأزبد وهدّد وتوعد، فما وجدتْ كلماتُهُ إلا أبطالًا لا تهاب الموت وتعشق الحرية، لا يرضون بالعبودية لغير الله في الدنيا،

رايتهم لا إله إلا الله وقدوتهم محمد رسول الله، وأشهد بأن أبا المرضية كان منهم، بل من ساداتهم.

حلّ أبو المرضية بحي الضباط ونزال، ولم يكن حتى ذاك الوقت يُؤبَهُ به فهو رجل كثير الصمت قليل الذكر، تزدريه العيون إذا نظرت إليه لصغر قامته ونحافة جسمه حتى قال فيه الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله: (تكاد تحمله على كفّك).

ترى الرجل النحيل فتزدريه *** وفي أثوابه أسد هصور

فإن كانت المحن هي التي تبرز الرجال وتصنع القادة وتطيش بالأكاذيب، وترسخ الحقائق، فإن أبا المرضية وضع في معركة الفلوجة الأولى قدمه في سربال العزّ وارتدى رداء المجد فصنع من الفخر تاجاً، ولم لا وقد كانت الأسود تختبئ وراءه، ويحجم الأبطال أن يقتحموا بعده، فقد تقدمت يوماً ما دبابة من أحد الفروع الجانبية فبرز لها أبو المرضية بقاذف RBG وعلى مسافة عشرين متراً تقريباً ووقف أمامها وبدأ يُصَوّب عليها، فتسمر عدو الله مكانه وما تحرك الجبان حتى تحركت قذيفته لتستقر في سويداء هدفه، في منظر روع الجميع وأرسى فيهم دعائم الشجاعة والجرأة على أعداء الله وما كان أحوج القوم لمثل أبي المرضية في أول نزال حقيقي بين أسود التوحيد والأمريكان رعاة البقر، وترك أبو المرضية قاذفة وحمل قناصة وأخذ يترقب ويتربص بغرمائه، ولم لا وشباب اليمن معروف عنهم دقة الإصابة وحُسْن الرماية لشهرة السلاح عندهم والتصاقهم به، أسأل الله أن يرفعوه في وجه عدوهم -عدو الله صالح اليمني-.

و ما زال أبو المرضية هكذا حتى فتح الله عليه الكثير وأثلج الصدر بقتال تعجب له الجميع وأهم ما قام به هذا الأسد زرع الثقة في نفوس إخوانه. رآه العالم أجمع في لقاء صحفي قامت به قناة (LBC) مع بعض مجاهدي الفلوجة فما زال الجميع يذكر هذا الشاب النحيف القصير وقد التف حوله مجموعة من إخوانه يقول: (سننتقم لإخواننا الذين قتلوا في الشيشان وأفغانستان وفي فلسطين، لن ننسى هذا، والله الذي لا إله إلا هو ما دمنا أحياء على هذه الأرض فإنا سننتقم منهم حتى لو خرجوا من أرض العراق

وخرجوا من أرض فلسطين سنلحقهم ونقطع دابرهم بقوة الله ليس بقوتنا وسترون هذا بإذن الله تعالى)، وأشهد أن الرجل قد برّ بيمينه وصدق ما وعد الله ورسوله فما ترك سلاحه حتى مات وهو يحضنه ملبياً نداء ربه.

أعود فأقول إن أبا المرضية أصابته طلقة قناص أقعدته في آخر المعركة من المشاركة، ثم شفاه الله منها بعد الفلوجة الأولى وأُسند إليه بعد ذلك حراسة مدخل المدينة من جهة النعيمية، ثم أُسند إليه حراسة كافة المداخل الواقعة في الجزء الجنوبي من المدينة، فكان بحق نعم القائد بهذه المهمة الصعبة فكان يدور عليهم يتفقد أحوال السيطرات من حيث القوة والضعف والاستعدادات اللازمة لقرب معركة تدق في الأفق القريب، وبدأت طبول الحرب تدق بعنف وبعنف وبدأ القصف مستعراً على المدينة واستمر القصف عنيفاً لا يكاد يتوقف قرابة الشهر وكذلك أخذ العدو في حرب استنزاف استمرت شهرين، فقد جرب جميع نقاط الجبهة من ذلك جهة السيطرات والتي شهدت معارك ضارية وخاصة من جهة الشهداء وسيطرة النعيمية والتي كان أبو المرضية مسؤولاً عنها.

بدأت معركة الفلوجة الثانية وكان موقع أبي المرضية من أخطر المواقع وأشدها ضراوة، حيث كان عند أول مدخل نزال من جهة الصناعة وبالتحديد فوق العمارة الموازية لجامع الخلفاء، وهناك تقدم الأمريكان حتى وصلوا أمامهم من جهة الضباط وغيره، ودارت في نقطة أبي المرضية معارك ضارية أكلت الكثير والكثير من الشباب، وبدأ القصف عنيفاً على الخطوط الأولى فذهبت إلى تلك النقطة ووجدت الحالة صعبة جداً وحاولت قدر المستطاع سد الثغرة وتقوية الهمة وواعدت أبا المرضية مكانِ ما إذا أرادني أن يأتي إليّ فيه فكان لا يكاد يتوقف عن الحركة بين جنوده وإخوانه لا يعرف الكلل ولا الملل على الرغم من بقايا إصابته القديمة فكان لا يزال به قليل عرج يعوق سرعة حركته.

وانتشر القناصة في الجهة المقابلة لأبي المرضية فترك الإخوة البناية التي تقابلهم فلما جاء أبو المرضية ورأى ذلك غضب غضباً شديداً وأصر على الذهاب إلى البناية مرة

أخرى وحده وألح عليه الإخوة قائلين له إن الشارع الذي ستسلكه للبناية يسيطر عليه قناص ولكنه أصرّ على الذهاب وسد الثغرة فما إن يكدْ يقترب من هدفه حتى أصابه قناص في قدمه وفي نفس موضع إصابته القديمة، فسقط على وجهه وأخذ يزحف حتى رجع إلى الإخوة قائلاً: (الآن قد أعذرت إلى الله) فما تأوه ولا اشتكى بل أخذ يربط عالي قلوب إخوانه تماماً كما يربط ساقه ويضمد هذه وهذه، وأخيراً اقتحم الأعداء حي نزال وكان نصيب أبي المرضية معي في الحركة فأخذنا نتنقل من بيت إلى بيت ومن سور إلى سور ولا أظنك يا أخي تجهل تلك الآلام التي كان يشعر بها الجرحى حال الحركة.

وأخيراً استقرّ بنا المقام في بيت مع مجموعة من الجرحى، وبينما نحن كذلك إذ بدأت الجرافات تمسح البيوت ووصلت إلى البيت الذي كان أمامي فأسرعت إلى الجرحى وأخذت وإخواني نساعده على العبور إلى بيت أكثر أمناً، وبالفعل تم ذلك مع واحدٍ آخر إلا أننا لم نستطع العبور وبدأت الجرافات تهدم البيت علينا ولكن الله سلم في آخر لحظة ونجونا بحمد الله وفضله. واستقر أبو المرضية مع مجموعة أخرى وكذلك الحال بدأت رحلة المطاردة. وبينما هم كذلك عبرت مجموعة من الإخوة من أحد البيوت وإذا بطائرة إف F١٦ تقصف ما تبقى من الإخوة في البيت المستهدف وكان من ضمنهم البطل القائد والشهيد المغوار أبو المرضية.

و أشهد بالله أني ما رأيت منه تأففاً ولا توجعاً بل جلداً وصبراً وثباتاً عجيباً بل ما زالت البسمة والضحكة ملءَ جبينه وصوته العذب ينشد لإخوانه بين الفينة والأخرى ولم لا وهو من أندى شباب المهاجرين صوتاً ولقد أنشد أكثر شريط (رياح النصر) الصوتي.

عذراً أخي، نسيت أن أذكر شيئين هامين في حياة الرجل الغنية بالأحداث العظام والمواقف النبيلة، وهي أنه وعند مجيئه إلى أرض الرافدين عن طريق الشام أُسر في سوريا فترة طويلة ثم أطلق سراحه على أن يغادر البلاد، فما ادّعى أنه أُعْذِرَ إلى الله، بل احتال في كسر المراقبة ومنّ الله عليه بدخول بلاد الرافدين. والشيء الثاني المفرح في حياة أبي المرضية أنه كان قد تزوج قبل المعركة بقليل من ابنة أحد المجاهدين والذي استُشْهِدَ بعد

ذلك وقد رزقه الله ولداً منها بعد مماته، وهو أشبه الناس بأبيه ولعل الله يعوضنا به خيراً ويكون خير خلف لخير سلف.

أَبو تُرابٍ الليبيّ (٢٨)

هو طالبُ العلم، الحافظُ لكتاب الله، ابنُ الشرف والنّسب، من عائلةٍ ثريةٍ مترفةٍ، يمتلك والِدُه مصنعاً للألمنيوم، وقد حاول معه وأخوه الأكبر كثيراً ليثنياه عن الهجرة للجهاد فما استطاعوا لذلك سبيلاً، فقد حزم أمره وكره القعود والخذلان وعرف ماذا يريدُ اللهُ من العبد وما ينبغي عليه، فتوجّه إلى القاهرة ومنها إلى الأردن، والتي اعتقلته بمجرد وصوله للاشتباه في كونه يريد التوجّه إلى العراق، وبعد ساعات من التحقيق أُفْرِجَ عنه، ثم توجه بعدها إلى العراق والتحق بمعسكر للتدريب الخاص، ثم دخل دورةً أخرى خاصة أعدّها الإخوة الأمراء تمهيداً لاقتحام سجن أبي غريب، وكان صاحبنا متميزاً فيها، ثم أقدمَ مع الفرسان الذين اختارهم الأمير لشرف المشاركة في اقتحام السِّجن.

كما شارك في معركة غزوة الثأر حيث كان أميراً لإحدى المجموعات، وشارك في الهجوم على سيطرة الحصوة وفي اقتحام ما يُعْرَفُ بـ(مركز مكافحة الإرهاب)، وعلى الجملة شارك في كافة المعارك التي خاضتها كتيبته منذ أن دخل فيها، ثم أُسْنِدَت إليه إمارة كتيبة الدفاع الجوي، أو بالأحرى أُسْنِدَ إليه تأسيس هذه الكتيبة، فجدّ واجتهد وأخذ يُدرّب الإخوة ويجمع السّلاح اللازم لها ويجهز الأحاديات والأنسفات وغير ذلك من الأسلحة التي تصلح للدّفاع الجوي.

وفي إحدى المرات كان يقود سيارته، وعنده بالخلف (أنسفا) بها طلقة وعند مطبّة ترابيّة اهتزّت السّيارة بشدّة فخرجت الطلقة باتّجاه السّائق، وإذا بها تنفذ في فخذ أبي تراب، فنُقِلَ على الفور للعلاج وبقيت الكتيبة بلا أمير، وفي فترة العلاج كان يتحامل على نفسه ويخرج ليتفقد إخوانه، وما زال كذلك حتى برئ من جرحه وعاود نشاطه.

وقد جلس مع إخوانه يوما بحضور الأخ المسؤول الدعوي فقال: (ها هو المسؤول الشرعي عندكم، فمن عنده مظلمة عليّ يقولها ويقتصّ مني الآن، لا أُحِلّ لأحد أن يحمل في نفسه عليّ شيئاً، الآن تكلموا قبل أن أقع فيها).

وفي ليلةٍ ظلماء كالحة السّواد، وبعد أذان العشاء تحديداً، كنتُ مع مجموعة من الإخوة وقد أوينا لتوّنا من يوم شاق، وإذا بأزير طائرات الأباتشي في الأفق، ثم أخذ يدور غير بعيد فخرجت أنظر مكانه، وإذا به في مكان يفترض أنه بالقرب منه مجموعة أخرى من الإخوة، وما هي إلا ثوانٍ حتى انطلق صاروخ من السمتية فقطع انفجاره سكونَ الليل، ورأيتُ احمرار الصاروخ الثاني (اللهبة الخلفية) تنطلق من السمتية ليدوّي انفجار ثانٍ، ثم انفجار ثالث.

فركبني الهمّ وعلمتُ أن الأمر يتعلق بإخواني وأن الطيّارات لم ترمِ إلا على شيء، وأصبح الصباح وكان الجو يسودُهُ عاصفةٌ من الريح والمطر لم يسبق لها مثيل منذ زمن بعيد بالعراق، وكأن الرياح تتألم لفقد حبيب ما، فبكت عليه السّماء.

ثم خرج أحد الليوث إلى موقع القصف فلم يستطع الدخول إذ أن الأعداء قد منعوا الناس من الدخول والخروج من موقع المعركة.

نعم معركة، ففي يوم القصف خَرَجَت كتيبة الدفاع الجوي كعادتها إلى الرباط وانتشر ليوثها في بقعة جغرافية كبيرة، واستعدوا لأي غريب يحاول أن يخترق السّماء، وعند الظهر لمع شيء في السّماء -رآه أحد الإخوة بالمنظار عن بُعْد-، وبدأ القائد يرسل رسائل تحذيرية إلى أبطاله: (شباب، أظن أن أعداءنا قد أتوا، استعدّوا).

وما لبث غير قليل حتى بدأ أزير الأباتشي في الأفق، تلك الطيّارة التي حكى عنها العدوّ الأساطير: تضرب في كل اتجاه، وتتعامل مع عشرات الأهداف في وقت واحد، ويستطيع جهاز الإنذار والتحكم فيها أن يُرسلَ صواريخه على العدوّ بالحرارة والصوت والضوء، وغير ذلك من الكذب المحض أو الصّدق الذي يبطل سحره إذا التقى مع جُنْد الإيمان.

كبّر القائد تكبيرته الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، وبدأ الشّباب بالهجوم على الطيّارات في تناغم شديد، كُلٌّ حَسْب مهامّه ومسؤولياته، وكلما دخلت الطيارات سريعاً يتولى أمير المربع الضّرب، حتى إذا انتقلت إلى مربع آخر كان بانتظاره ليوث آخرون ينقضّون

عليه، فما يجد عدوّ الله إلا أن يرتفع ويرتفع حتى يكاد يكون نقطة في السّماء، فلا تصل إليه نيران الأبطال، وكذلك لا يستطيع هو أن يحدث من الأمر شيئاً، فانسحبت الطيّارات تُولّي الأدبار، وعند العصر تقريباً عاد أعداء الله وعاد الأبطال إلى التصدّي لها، وحاول الأعداء شيئاً لكنّ قدرة الله غالبة، فطلقة الـ(BKC) عليها أشدّ من صواريخ صدّام وعملاء الغرب، فولّت الأدبار ثانية، وبعد ساعة تقريباً، جاء أعداء الله الأمريكان راجلة من طريقٍ خلفي عبر الأراضي الزراعية والمسالك الضيقة محاولين أن يتفادوا الألغام الأرضية، جاءوا بالعدد والعدّة، وطار الخبر إلى سريّة التدخل السريع والتي تجوب المنطقة وتتربص بالأعداء، فما هي إلا لحظات حتى أقبل الأُسُود كالسّيل الجارف، وعلى رأس هؤلاء البطل المقدام والأمير الهمام وأسد الله (أبو تراب الليبي)، وهو أمير المنطقة وقائد قوة التدخل السريع فيها، وبالسيارة الأخرى جاء أُسُود التوحيد وجنود الله، وعلى رأسهم (أبو هاجر اللبناني) الـمُدرِّب المحنك والقائد المغوار والاستشهادي البطل، وإلى جانبه الاستشهادي (أبو حزم اليماني) صاحب الهدوء والسكينة والوقار، وفي المجموعة الثالثة (أبو محجن المكي) –حفظه الله– وأبقاه ذخراً للدِّيْن وأهله ونفع به وأعلى درجته في عليّين.

جاءوا، وعلى عجل بدؤوا في توزيع صفوفهم وأخذ مواقعهم القتالية وإذا بـ(أبي حزم) يخرج إلى الشارع بالبيكا غير مستتر ولا مترس. يواجه الأمريكان بصدره ويكبّر، فسقط على الفور ثلاثة منهم صرعى، ثم سقط –رحمه الله– شهيداً، وفي هذه اللحظات كان أبو هاجر اللبناني يضع صاروخ القاذفة فيها وينشد (الحور تنادي)، وتقدّمَ وصوّبَ صاروخه في وسطهم، ثم رجع وحمل البيكا، وكما فعل أخوه (أبو حزم) استقبل الموت بصدره حيثُ عَلِمَ ما يُضْحِكُ الربَّ من عَبْده، كما في حديث معاذ بن عفراء قال: يا رسول الله ما يُضحك الربّ من عبده؟، قال: "غَمْسه يَدَه في العدوّ حاسراً".

فما برح حتى سقط شهيداً –رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته–، ثم أمر القائد أبو تراب أخاه (أبا محجن) بالانسحاب حاملاً معه أحد الجرحى، فرفض أبو محجن، فأصرَّ عليه أميره وقال له اذهب واركب السيارة وانطلق بأخيك وسأغطّي عليك عندما تعبر

من أمامهم، وانطلق الليث (أبو تراب) بالبيكا صَوْب العدوّ، وصبّ عليهم حمم العذاب حتى انسحب أبو محجن بالجريح سالماً.

ثم هدأ القتال أو توقف عن تسعة قتلى من الأمريكان وشهيدين من الإخوة أعلى الله درجتهم، ثم انحاز الشباب إلى أحد البيوت، وظنّ كمين الطيران أن الأمر قد انتهى فانحازوا هم كذلك. وما لبث أعداء الله أن أحاطوا بالبيت الذي انحاز إليه الشباب وبدءوا في إلقاء القنابل عليهم طالبين منهم الاستسلام بالمكبّرات الصوتية.

وكان ردّ الإخوة حاسماً وسريعاً، زخّات من الكلاشنكوف والبيكا صَوْب أحد جنودهم الذين تقدموا تحت ستار رمايتهم فخرّ على إثرها صريعاً إلى الجحيم، فاستمر الأعداء في إلقاء القنابل حتى إذا ظنوا أن الإخوة قد انتهوا تقدم اثنان أو ثلاثة، وإذ بليثٍ من ليوث الله يخرج إليهم ويلحقهم بمن سبقهم إلى الجحيم. فما استطاع أعداء الله شيئاً حتى جاء الطيران وقصف البيت بثلاثة صواريخ، مع استمرار إلقاء القنابل عن بُعْد، فدمّر البيت تدميراً شديداً. ولحق الأمير الهمام أبو تراب ومن معه إلى رحمة الله ورضوانه.

أسأل الله أن يتقبلهم عنده في عداد الشهداء، وأن يجمعنا بهم ولا يحرمنا أجرهم ولا يفتنّا بعدهم.

أبو طارق التّونسي (٢٩)

هو القارئُ الحافظُ لكتابِ الله، المحافظُ على السُّنَن، البشوش الضحّاك، والفارسُ المغوار، والمهاجرُ إلى الله والدّار الآخرة، البائعُ نفسه لله، والصّابر المصابر للهِ وبالله، والقابضُ على دينه في زمان الفتن، أعني به (زياد المحرزي) من تونس الخضراء.

كان الشّهيدُ الحبيبُ يَدرسُ في كليّة التّجارة حيث الفساد يتقطّر من هذا الصّرح الجامعي، ويندر أن ترى شابّاً أو فتاةً إلا وله خليلةٌ أو خليلٌ ويتفاخرون في ذلك وكأنّه ميدانٌ للفروسيّة، بل وهم يعتقدون ذلك، فقد أفهمَ عدوّ الله وزبانيته من شيوخ السّوء وأساتذة الجامعات أنّ الحياة بلا حبٍّ كحمار يأكل التّبن، لكن هذا الشّاب خَالَطَتْ بشاشةُ الإيمان قلبه واطمأنّت إليه نفسه وعرف الحقّ وطريقه، وكَرِهَ الباطل وحِيلَه، ففرّ من الفساد، ونادى بالإيمان، فكان داعيةً إلى الله في هذه الكليّة ولا يعرف أصحابه له مكانًا إلا المسجد، حيث التصق به وكأنّه حصن النّجاة وبرُّ الأمان، وراحةُ البال، وهو والله كذلك.

وفي المسجد تحصّنَ بالقرآن فأكبّ على كلام ربّه قراءةً وحفظاً حتى رَفَعَهُ الله ومَنَّ عليه بحفظ كتابِ الله، وكما كان يقول: (أصبح البيت عامراً)، لأنّ القلب الّذي ليس فيه شيء من القرآن قلبٌ خَرِبٌ.

بكى أبو طارق لما قرأَ آياتِ الجهاد وذاقَ من خلالها معاني العزّة، فالتفتَ يميناً ويساراً فلم يرَ غير الذُّلِّ والخنوع، وكانت أخبار بلاد الرافدين وأُسْدُها تأتي إليه، فيتطاول بعنقه إلى تلك الدّيار، وظلَّ هكذا يُعِدُّ ويُرتّب أوراقه وماله حتى حانَ وقت السَّفر، وعلى الحدود أخبرهُ ضابط الجوازات أنّك طالب والقانون يَمْنَعُ ذلك ثم أَمَرَهُ بالرّجوع، لكنّ الرّجل رفضَ الرّجوع وألحّ عليه وعلى غيره، وأخذ يطوف من مسؤولٍ لآخر حتّى عَلِمَ الله منه صِدْقَ النّيّة والعزيمة فألانَ قلوبهم وسمحوا له بالسّفر، وبعد هذه الرِّحلة الشّاقة وصلَ الرّهط الطيّب إلى سوريا، وهناك كانت المفاجأة، وهي أنّ الإخوة ببلاد الرافدين

لا يستقبلون حالياً إلا الاستشهاديين وأصحاب الكفاءات العالية، أما المقاتلون العاديُّون فلا حالياً، وأخبروهم بأنّ الرّجوع خيرٌ لهم، لكن أبا طارق رفضَ الرّجوع وبَقِيَ في البلد وقال: لا أرجع حتى يأذنَ الله لي، وظلّ يدعو ويتضرّع إلى الله أن يفتح الله له باباً للجهاد ويناجيه بِصِدْق النّيّة ويُلِحّ على ربّه حتى سَهَّلَ الله له طريقاً للدّخول كمقاتل، ولما دخلَ وجلسَ فترةً وجيزةً مقاتلاً ومجاهداً في سبيل الله، عَلِمَ لماذا كان يطلب الإخوة الاستشهاديين ورأى بعينه النّكاية العجيبة للعمليات الاستشهادية وقُصْر طريقها إلى جوار الحبيب، فَحَوَّلَ إلى عملية استشهادية وطلب ذلك وأخذ يُلِحُّ، ولم يَكُنْ يُحْسِن قيادة السّيارات، فَدَرَّبَهُ بعض الإخوة تدريباً بسيطاً، ثمّ سهّلَ الله له الأمر، وفي بيت الاستشهاديين بدأت تعلو زيادًا صفاتٌ أخرى، أو بدأ يتحلّى ويتجمّل استعداداً للقاء الله، فكان يجتهد في كثرة الصّلاة والقيام والصّيام فكان يكاد يصوم يوماً ويفطر يوماً، وإذا استيقظ قام بتنظيف المكان وترتيب البيت وجعلَ من نفسهِ خادماً لإخوانه وكان شعاره (سيّدُ القوم خادمهم).

ولأنّ انتظار العملية الاستشهادية بدأت تطول بهم بعض الشّيء لأسبابٍ كثيرة ليس هذا محلّها، أخذ يُدْخِل السّرور على إخوانه بشاشةً ومزاحاً وبطريقة تميت القلب ضحكاً حتى ارتقى إلى درجة (نائب أمير المنسّمين)، فقد كان هناك أمير لا يمكن منازعته وهو شابٌّ من شباب جزيرة العرب هداه الله إلى الإيمان وحُسْن الدِّيْن والخُلُق على الرّغم أنّه كان في الجاهلية لا يُفيق من المخدّرات وادّعى أنّه المهدي لفترة.

وكان أبو طارق إمامَ القوم في كل شيء، في الخدمة وقراءة القرآن وحُسْن الخلق، تماماً كما كان إمامهم في الصّلاة. وكان ينتظر لقاء ربّه بفارغ الصَّبْر ويجتهدُ في الدُّعاء بذلك ويُكثر من ذلك وكان يُحِبّ أن يرزقه الله ذلك يوم الجمعة في السّاعة الأخيرة، ومن العجب العجيب، أن الأمريكان احتلّوا بيتاً وتَكَدَّسَ فيه نحو خمس عشرة آليةً من نوع همر -وذلك في صباح يوم الجمعة-، وبدأ الإخوة يعدّون سيَّارة لهم ووقعَ الاختيار على أبي طارق وذهبَ إلى هَدَفِهِ وكان ذلك قبل مغرب يوم الجمعة بساعة تماماً كما سأل مولاه مجيب الدّعوات، فأسرعَ إلى الله واقتحم على عَدُوّه في موقفٍ يضحكُ فيه

الرَّب، واستقرَّ وسطهم ليحصدهم حَصْداً ويجعل من تبَقّى يُولّي الدُّبُر يضربُ رأسَهُ بجدران المكان (بقايا الجدران) نادماً على ذلك اليوم الأسْود الذي جاء فيه لتلك (الدّيار الملعونة) كما يُسَمّونها، وليرتفع أخونا إلى جوار ربّه وأصحابه الكرام.

الابْنُ البَارّ (٣٠)

ليس أصعبَ على المرء من أن يبتليه الله بفَقْد ولده، وأصعبُ من ذلك أن يطلب منه الحديث عنه وإنصافه. وهذا هو حالي مع الحبيب الشهيد (عقيل).

الأبُ حينما يتكلم عن ابنه يقول: (جيد ومؤدّب وطيب)، وإلى غير ذلك من الألفاظ، وإذا طلبت منه شرح هذه الألفاظ سكت واسترجع: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون). ولكني سأستعين بالله وأحاول الكلام.

(عقيل)، مؤدّبٌ، حنون، هذا هو باختصار هاني أو عقيل، من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من روائع جمال مصر، من (الفيّوم)، حيث الماء والخضرة والنّيل والبساتين.

تربّى الشّهيد في مدرسة الشيخ الأسير عمر عبد الرحمن، ونشأ على ظُلْم طاغية مصر (اللا مبارك)، ولأنّ الرّجل لم يعرف غير المسجد طريقاً ولا غير القرآن أنيساً، هداهُ الله مبكّراً لفِكْر الجهاد والاستشهاد، وعلى الرّغم من عناية والديه به عناية شديدة نظراً للنّبوغ الملحوظ عنده، فقد حصل على ما يُؤهّله بسهولةٍ لدخول كلية الهندسة قسم الحاسبات، إلا أن عقيلًا كان عقله مع الجهاد، وتردد على نوادي الإنترنت وأخذ يرسل معلوماته الشخصية إلى كل صديق يتعرف عليه عبر الشبكة العنكبوتية، طالباً من الجميع أن يجدوا له طريقاً إلى العراق، وذلك عقب السّقوط بشهرٍ واحدٍ فقط، حيث لم يكن هنالك أخبار عن الجهاد والاستشهاد لكي نقول إنّ دافع الحماس كان وراء الفتى، بل كان دافع الدِّيْن والعقيدة والنّصرة والشّهادة، إلى أن اتصل برجل من أهل الجهاد وكلّم عقيلًا أن كُفّ عن إرسال بياناتك عبر الشبكة فهذا يا أخي يوصلك إلى أقرب سجن عندك، وإن شاء الله يجعل الله لك فرجاً. وبالفعل تم له ما دعا الله به واجتهد في رحلة طويلة مليئة بالمغامرات إلى أن دخل الحبيب إلى الموصل، وذلك بعد نحو شهرين من

السّقوط، فكان من أقدم المهاجرين الأحبّاء، إن لم يكن ثالث أقدم مهاجر إلى أرض الرافدين، ومن أوّل من حمل السلاح من المهاجرين والأنصار.

انخرط الشهيد -رحمه الله- في مجموعة الأسد (أبي طلحة الموصلي)، وعرف العبوات مبكّراً وفتح الله عليه الشيء الكثير، وظلّ حُبّ الموصل وأهلها -وخاصة تلعفر- في قلب الشهيد إلى أن رزقه الله الشهادة، حيث كان دائماً يردد أن مجاهدي تلعفر أنصار بحق.

قَدِمَ الشهيد إلى الفلوجة بعد أحداث الفلوجة الأولى، وعمل مع مجموعة من إخوانه على تشكيل القسم الإعلامي لجماعة التوحيد والجهاد آنذاك، وقد ساهم مساهمة طيبة في الإصدار الأول لجماعة التوحيد والجهاد (رياح النصر)، ثم صار مقرّباً جدّاً من شيخ التّوحيد أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-، حتى كان بالنّسبة له كالولد، وكان الشيخ يحبّه حبّاً جمّاً ويعامله كما يعامل أبناءه تماماً، ويهتمّ بأموره دقّها وجِلّها، حتى أنه قال لي يوماً أريد أن أزوج عقيلًا فأخشى أن يموت وليس له ولد، فأسأل الله ألا يحرمني منه، وبالفعل تم اختيار المرأة التي نحسبها صالحة له، إلا أن زواجه تأخر بعض الشيء لظروف العمل وصُغْر الزّوجة حتى تمّ له ذلك.

بقي الشّهيد الحبيب في الفلوجة إلى أن جاءت معارك الفلوجة الثانية، حيث حط معها البلاءُ حطّاً على عقيل ومن معه، حتى أنهم آووا إلى بيت فإذا بالقناصة تصعد على سطح المنزل، وإذا بأعداء الله يتخذونه مقراً لهم وقد علموا هذا من خلال أخٍ معهم كان يجيد الإنجليزية ويترجم لهم كلّ ما يقولون، فأصابهم ضيق شديد واستمر الحال إلى أن بلغ بهم العطش كلّ مبلغ واجتهدوا في الدعاء، فصرف الله عنهم أعداء الله وتحوّلوا من هذا البيت إلى آخر، وخرجوا يبحثون عن الماء من منزل إلى آخر حتى رزقهم الله به بعد شدّة شديدة وقَحْطٍ أسألُ الله أن يكتبه لهم في ميزان حسناتهم.

واستمرت محنة الفلوجة الثانية بهم حتى خرج هو وزميله ورفيقه في القسم الإعلامي إلى الشهادة (عبد الإله، وسأعود إليه إن شاء الله)، خرجوا إلى القائم وهناك بدأوا مرّة أخرى في إنشاء القسم الإعلامي لقناعتهم بأهمية هذا الجانب وعلمهم أنه ليس غيرهم

يقوم مقامهم، فقد كان عقيل لا يحب هذا العمل ويتكلم ويلح باستمرار طالباً عملية استشهادية، حتى بعدما عقدَ عَقْد زواجه كان يُلحّ على هذا المطلب، ولقد كلمته في أوّل أسبوع لزواجه ما رأيك تذهب عملية استشهادية؟ فأجاب: والله هذه أمنيتي، قلت الآن، قال: الآن.

نشط عقيل في القسم الإعلامي فأخرج بعض الأشياء المهمة منها (غزوة الشيخ الأسير)، حيث كان هو المكلف بها أسأل الله أن يجعل كلّ عمله في ميزان حسناته.

من أكثر ما يميز الحبيب الشهيد هو حرصه على إخوانه وحبّه لهم وحنانه عليهم، حتى إذا رآه الرائي لأول وَهْلَةٍ يظن فيه التّكلف، فإذا خالَطَهُ عرف أنّ الرّجل كأنّه أُمٌّ تُهَدْهِدُ وليدها، إنْ مَرِضَ أخٌ قامَ على خدمته طوال اللّيل، وإنْ حَزِنَ آخر من أي شي سواء أكانَ السّبب من عقيل -ولا أذكرُ أنّه أساء لأحد قط- أو من غيره أسرع إلى تهدئة الخواطر وجمع الشّمل وتحبيب كل طرف في الآخر إلى حدّ أنّه قد يبكي إذا رأى بين اثنين شيئاً.

كان عقيلٌ بالنّسبة لي ولدًا بمعنى الكلمة، أطلب منه وآمره تماماً كما يفعل الأب مع ابنه، لا أتحرج في شيء قط، كما أنه كان يناديني بالأب ويقبل رأسي إذا رآني. كنتُ أُحِبّه حبّاً عجيباً وأخاف أن أفقده يوماً، وكذلك حدثني شيخ الرافدين المعتز بالله أبو مصعب -رحمه الله- أنه يخاف أن يفقد عقيلًا ويتمنى من الله أن يُرزق الشهادة قبل عقيل، ولما وصل الخبر إليه حدثني هو قائلاً: أتعرف يا صاحبي أنه من كثرة الشّهداء أصبح المرء لا يشعر بالمرارة إلا أن استشهاد عقيل أدمى قلبي وعيني وأبكاني من جِدٍّ، والحقّ أن ذهاب عقيل أبكى جميع من يعرفه، وكيف لا وهو الأب والأخ والابنُ، فأنت حتماً معه أحد هؤلاء.

كان عقيل وافرَ العقل، صاحب رأيٍ وحِكْمة، لم يُعهد عليه قط غضبة على إخوانه، ويستشيره الصغير والكبير وفي كل شيء، في الإعلام وفي الإدارة وفي العسكرية، كان قريباً من الجميع حبيباً حنوناً بكل المقاييس.

لم يمكث مع زوجته العروس أكثر من عشرين يوماً ثم استدعي لعمل إعلامي مهم، فجاء كعادته يركض والفرحة ملءُ عيونه، وانخرط مع أخيه الشهيد (عبد الإله) في هذا العمل واتّخذوا من بيتٍ آمنٍ مقراً مؤقتاً لعملهم هذا، وجلسوا فيه يومين وفي اليوم الثالث حدث إنـزال مفاجئ عليهم، إلا أنّ البطلين أخذوا بسرعةٍ ما معهم من مادة إعلامية مهمة ووضعوها على أحزمتهم النّاسفة ثمّ أسرع عقيل إلى سطح المنزل وعبد الإله إلى البستان، وقبل أن يهبط أعداء الله من طائراتهم أمطروهم بوابل من الرصاص حتى أن عقيلًا أفرغ جميع ما معه من طلقات حيث كان يحمل بندقية أمريكية M١٦، وقد وُجِدَت جميع مخازنه التي كانت بحوزته فارغة، وعددها اثنا عشر مخزناً، وكذلك فعل عبد الإله.

ثمّ تقدّم عبد الإله وكان يحمل حزاماً ناسفاً كبيراً واقتحم على العدوّ وفجّر نفسه في وَسَطِهِم. بينما انتظر عقيل واختبأ داخل المنزل إلى أن دخل عليه أعداء الله ففجّر نفسه في وَسَطِهِم.

فجمعَ العدوّ أشلاءَهُ وانسحب مسرعاً بعدما قَصَفَ المنزل، وقد اعترف بخمسة من القتلى في صفوفه وجرح نحو عشرين علجاً أمريكياً، فالحمد لله على النّكاية فيهم، والحمد لله على شهادة الحبيبين، أسأل الله أن يخلفنا في عقيل خيراً وألا يحرمنا أجره ولا يَفْتِنَنا بعده وأن يجمعنا به في جنات عدنٍ عند مليك مقتدر، آمين.

حصاد الأجور وباكورة الخير (٣١)

قال ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء" الحديث.

والكلام عن حصاد الأُجور كلام عن الجبال شموخا وعن التوحيد صفاءً، وعن السبق طريقاً، وعن التضحية شعارا، وعن الغربة دينا وعن الأخوة رابطة، وعلى الجملة، عن الجنة هدفاً والنبي قائداً والله رباً، والإسلام ديناً، فمن هم؟.

هم وفد الخير الأول وباكورة الثمر الأوحد، هم رهط الله إلى الجهاد، وقوّاد الدين إلى العزة، ومعلمو العراق الخير، أو سواق الخير إليه، هم سر جهادنا، وفخر رجالنا، وطليعة أمتنا، وأشرف من مشى فينا، ولم يأت بعدهم مثلهم {والسابقون السابقون أولئك المقربون} هم (أبو تراب، أبو فريدة، أبو حفص، أبو طارق) أول وفود الاستشهاديين إلى العراق، وحقا كانوا أوائل في كل شيء.

جاءوا من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من مركز محافظة الشرقية مدينة الزقازيق، حي الجهاد.

أبو تراب (٣١-١)

جليس لا يمل، أنيس لا يضجر، وجهه قطعة من القمر، إذا رأيته ذكرك بالله، القرآن أنيسه، والملائكة جليسه، عابد، زاهد، قارئ، موحد، مؤدب، أدبه ربه، وصقلته عقيدته، وهو أمير المجموعة وكوكبها الدري الذي ما زال نجمه يلمع، فمثله لا يخفت، وهو مؤدبها ومربيها وسائقها إلى الخير.

هو أول المقدمين فيها بل في العراق، هو أول استشهادي في العراق، مهندس بترول، متزوج وله طفلان، يحب زوجته وأولاده كما نحب، يعشق أرضه وداره كما نعشق، يحلم بالجاه كما نحلم وهو لها أهل، لكن أخي جعل الدنيا تحت قدمه ومضى، نادته فما التفت، وتوسلت فما لان ولا حن، شدته وجذبته فما قدرت، وأخيرا جلست تولول ومضى يضحك ويجري. توقف مع رهطه في الأنبار بالرمادي وانخرط الجميع في عمل دؤوب يتزودون ليوم قريب يوم يعرضون على رب العالمين.

بكى أبو تراب وبكى وأثّر البكاء على وجنتيه وانتحب خلفه أصحابه في الثلث الأخير من الليل بل والأول، فقد كان الحبيب حافظا متقنا لكتاب الله. خرجت الآيات منه، كأنها لتوها نزلت من السماء غضة طرية وكأنها فيهم ولهم نزلت، وهي كذلك، شعروا أنهم هم المخاطبون بها دون الناس وأن التكاليف حملت على عاتقهم فتحملوا الأمانة ومضوا.

وتقدم الأمير والأسد أبو تراب ليضع أول لبنة في البناء راجيا من الله التوفيق والسداد وأن يكون قد أصاب الموضع وأحسن المكان، راجياً أن يأتيَ بعده من يكمل البنيان.

وكانت أول عملية على وكر من أوكار الفساد والإفساد والعمالة والخيانة، على وفد من وفود الشر ووكر من أوكار الردة. ولما استقر عند الشهيد أن عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكافر الأصلي، علم أن الواجب تقديمهم على غيرهم وخاصة إذا كانوا للكفار عيوناً ولهم خدمًا وأعوانًا ولأجلهم جاءوا ولمجدهم شمروا، كما هو حال السفارة

الأردنية. فتم مراقبة الهدف وكانت تقع بالقرب من ساحة (يوم اللقاء) وإلى جوارها وفد المجرم شين العابدين حاكم تونس. وعُلِمَ أن النكاية الأكبر في السفارة الأردنية تكون من الخلف حيث الطريق إليها سالك والهدف من الخلف أسهل والعيون غائبة.

لكن عين الرقيب كانت معنا، حيث أنه يوجد على حافتي المدخل الخلفي بيوت للسنة، والكمية كانت كبيرة (أي كمية المتفجرات) والشارع ضيق، فقرر الإخوة أن يكون هجوم البطل من الأمام حيث لا بيوت تتأذى من الانفجار، اللهم إلا سفارات الشر وأركان الخيانة وهو المطلوب.

وفي تلك الليلة وكما هي عادته قام الشهيد يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله: بت معه تلك الليلة أشد أزره وأرفع همته أذكره، فإذا به يرفع همة أُمة، ويذكر من لا يتذكر بإقباله على الله وحسن الظن به يقول: كان المصباح مطفئا وأقسم أبو مصعب أنه رأى النور يشع من وجه كأنه البدر في الليلة المظلمة يقول: (فانتابتني قشعريرة وشفقة على الرجل ووالله لولا الدين ما تركته قط ولقد هممت).

وأصبح الصبح وركب الحبيب سيارته ومضى يمخرها نحو عز أمته راجيا أن يحقق الهدف ويجرئ إخوانه على عدو ماكر جبان، وبالفعل دمر الله السفارة الأردنية فقتل وجرح وأرعب أعداء الله، وجاء الشهداء بعده كالسيل الجارف يأخذ في طريقه كل خبيث وينبت حوله الزرع ويروي عطش أمة إلى الجهاد والعزة أسأل الله أن يجمعنا بالحبيب ولا يحرمنا أجره ولا يفتننا بعده وأن نلتقي في جنات عدن عند مليك مقتدر.

أبو فريدة (٣١-٢)

أخو يوسف وشبيه الأنبياء والمرسلين، وسيد الصفوة من الصالحين، وبقية السلف من الأخيار الطاهرين. شاب في مستهل عمر الربيع، فارع الطول، أبيض الوجه والقلب، ومن أحسن ما ترى جمالا وبهاءً.

كان بطل مصر في إحدى اللعبات الرياضية، فتحت إليه الشهرة ذراعيها وبين أحضانها جهنم الحمراء، لكن المسكين رآها جنانًا خضراء أماني ومنونًا وأحلامًا تطير به في مجال رحب مال وإعلام وتوقيعات و.... وأسرع بتوقيع عقد احتراف في إيطاليا.

نعم رأس النصرانية إيطاليا، جاء إلى أمه يزف إليها خبره السار وأمله العريض، يريد أن يطير في الهواء ليعلم الدنيا أنه سيكون نجمها اللامع بعد فترة وجيزة، أماه سأحترف في إيطاليا. لم تصدق الأم ما سمعت، تسمرت قدماها في الأرض، علت وجهها كآبة واسودت الدنيا في عينها، رأت ابنها في الحال بين أحضان العاهرات، وربما على صدره صليبٌ كبيرٌ ككبر أحلام ذلك الطائش، ذرفت دمعة الحسرة من مقلتيها، قالت: ولدي أرجوك لا تذهب أرجوك، أرجوك.

لكن رجاء ست الحبايب ذهب سدى فأصر الابن على السفر، وسافر إلى دولة الكفر. وسافرت الأم إلى بلاد الحرمين ذهبت إلى الحج وهناك بكت وذرفت الدموع رجاء أن يرد الرحيم الغفور ولدها من تلك الديار.

وفي تلك الأثناء حط صاحبي رحاله حيث أراد فوجد السيارة الفارهة في انتظاره والبيت الواسع والمؤسس على أحدث ما ابتكرته يد الفنان الإيطالي والمعروف أصلا بذاك وما هي إلا أيام قليلة حتى بدأت الشهرة تدب في أوصاله وصار اسمه يلمع يوما بعد يوم، وجاءته الفتيات الجميلات، كل تريد أن تحظى بشرف توقيع لطيف أو عبارة بسيطة على دفتر صغير في حقيبة تحوي مع ذلك الكثير من الإثارة.

ومن بين الكثير من الفاتنات المعجبات، وقعت عينه على واحدة ملأت قلبه شغفا وحبا وملكت بجمالها فؤاده، ولم يعد من أسرها يستطيع فكاكا وبدأت هي تحوطه بسيل من الكلمات يذوب أمامها الصخر الأصم.

وفي لحظة من لحظات العشق الجارف، أدرك الرجل أصله ومنبته الطيب، ما امتنعت منه فهذا دينهم لأن المرأة عندهم تسلم نفسها لمن تحب ما دام عليها قاصراً، وهذا غاية الشرف عندهم ولكن صاحبنا قال لها: أريد الزواج أريد الحلال منك، فأنا مسلم وليس لي طريق إليك إلا النكاح.

احمرَّ وجه المرأة ورجعت القهقرى، ثم ضحكت ضحكة تخلع القلب من مكانه وأردفت قائلة: عزيزي مثلك لا يرد فإنك من أجمل الناس صورة وشهرة مع البيت والمركب ولكن هناك شيء واحد فقط بسيط يعوق دون زواجنا قال متلهفا متعجبا: ما هو؟ قالت: إنك مسلم، لو تتنصر أتزوجك، هنا بهت الصالح وانتابه غضب كثورة البركان قائلاً يا حقيرة الآن والآن فقط كنت على استعداد أن تفعلي معي ما أشاء في الحرام ولأني أريد الزواج خشيت أن تعيري بزواجك من مسلم، وأردف قائلاً: حقيرة، حقيرة، ثم فتح باب بيته مسرعا ثم أخذ بيدها ورمى بها خارج منزله، قائلاً: ديني أغلى وأعز وأعظم منكم جميعا يا كلاب.

ولم ينتظر الصالح أن ينهي عقده أو يرتب أموره من بقايا أموال وتصفية حسابات، بل حزم أمتعته وركب أول طائرة متوجهة إلى دياره، نادماً على اللحظة التي عصى فيها أمه، شاكراً حامداً رب البرية على العصمة من الفتنة.

ولست في حاجة أن أذكرك يا أخي القارئ أن حبيبنا عصمه الله من حيث وقع الكثير الكثير من العباد والزهاد ولكن الله لا ينظر إلى صورنا بل إلى قلوبنا ويعلم بعلمه التقي النقي من الكذاب الأشر، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من الفتن. رجع الحبيب إلى أمه راجياً منها الصفح والعفو مقبلاً قدميها قبل يديها فهي ست الحبايب،

وحمدت الأم الصالحة وشكرت ربها على استجابة دعائها وسعت فزوجت ولدها من امرأة صالحة، ورزق منها بفريدة بنية كأنها الشمس في كبد السماء.

لم يطل والدها المقام عندها، بل حزم حقائبه ومضى وفي هذه المرة مضى إلى وجهة معاكسة تماماً مضى إلى الله وحث الخطى، والتسبيح والاستغفار زاده، وخدمة الإخوان والذلة والتواضع لهم سمته وشعاره.

وجاء مع أبي تراب مع ركب الفضيلة يتسابقون إلى الله، فلما طلب الإخوة استشهاديا للسفارة الأردنية، قفز هو يترجى إخوانه أن يكون أولهم فهو لا يستطيع أن يفقد أحدا منهم قبله، كما أنه ادعى أنه صاحب ذنب يريد أن يتوب منه، وما درى أن ذنبه هو سر رفعته وشموخه فما زال الخوف من الله على أنه عصى أمه يوما يهز أركانه.

لكن أبا تراب، استسمح إخوانه، قال رجائي أن تدعوني فإني لست رياضيًا مثلكم ولا أستطيع ما تستطيعون فرجائي اتركوني وتوسل إليهم فتركوه.

وجاء دور أبي فريدة، هدف ما زال الكفر يبكي دماً من يومه وما زال الصليب في حسرة على فقد كبار مجرميه في تلك الأرض الملعونة، على حد قولهم.

وكان هذه المرة ومن تدبير الله العجيب هدفا صليبيا، ليرد الصاع صاعين كان عدو الله المجرم المسؤول عن اقتطاع جزء من بلاد مسلمة هي إندونيسيا حيث كان عدو الله هو مسؤول الأمم المتحدة الذي ضغط لأجل فصل تيمور الشرقية وتحويلها دويلة نصرانية، ثم هو الذي أنهى مسألة كوسوفا على هذا النحو المخزي، وهو مع كل هذا المندوب السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، وهذا المجرم هو سيرجيو ديملو وقد تم استعارته فترة ستة أشهر فقط حتى ينهي مسألة العراق ثم يعود بعدها لعمله في حقوق الإنسان.

فتم رصد مبنى الأمم المتحدة وتحديد طريقة الدخول إليه واختيار التوقيت المناسب، فكان هذا التوقيت الساعة الحادية عشرة صباحا.

وبالفعل ركب أبو فريدة شاحنته وتوجه إلى هدفه، وفي الطريق تعطلت به، وبدأ الحاج ثامر ومن معه يحاولون إصلاح الخلل وبالفعل تم لهم ما أرادوا لكن الساعة اقتربت من الثانية، فتشاوروا بينهم، هل نرجع أو نمضي على بركة الله، فقرر أبو فريدة المضي وعدم الرجوع قائلا: إن الله هو الرزاق: قالوا له لكن الآن العمل انتهى بالمبنى ولا أحد فيه إلا قليل، قال الله يرزقني ولن أرجع.

وفي تلك الأثناء وصل الخبر إلى الشيخ أبي مصعب بالتأخير فأمر بالرجوع ولما عاد الرسول إلى موقع الشاحنة بالخبر وجد أبا فريدة قد توجه إلى هدفه ووصل إلى مبنى الشرك والردة ومحل الخيانة والعمالة ومن يصبغ الشرعية الدولية على الاحتلال وعملائه، واقتحم المبنى بشاحنته، وكانت المفاجأة التي هزت العالم، ديملو تحت الأنقاض، ونائب الأمين العام للأمم المتحدة السيدة: نادية يونس، وعدد كبير من جنرالات الحرب في اجتماع ووقعوا في تخبط شديد، اختراق كبي، عمالة داخلية، اعتقلوا كل عراقي يعمل بالمبنى وحققوا معهم، لكن لا أحد يدري أن مدبر الأمر هو رب البرية الذي يعلم السر وأخفى وأن أبا فريدة كان صاحب سر مع مولاه فرزقه من فضله الكريم ورفع قدره في أعلى عليين نحسبه كذلك، والله أسأل أن يجمعنا به في جنات صدق عند مليك مقتدر- آمين-.

أبو حفص وأبو طارق (٣١-٣)

والآن نصل إلى هذين الأسدين اللذين فقدا حبيبهما، ومضى كل واحد يصبر أخاه ويستعد ليوم الرحيل، لا تراهما إلا والدمعة ملاء مقلتيهما، لا تستبين لهما قراءة لشدة البكاء، ومع هذا فالكرم الشرقاوي سيمة الرجلين، يحدثني أبو عمر وأبو عبد الله أنهما ما زاراهما يوما، إلا وتركا عبادتهما ومضيا يحتفيان بالضيوف وكأنهما ما رأوهما منذ عهد بعيد، لا يوم بعد يوم تكون الزيارة.

وجهز أبو عبد الله الرجلين بسلاح وعتاد كاف لفتح جبهة إذا ما اضطرا إلى ذلك، لأنهما في ذلك الوقت كانا يقطنان -مدينة الرمادي-، حيث ملأ آل (بو علي سليمان) الدنيا رذيلة وتجسسا.

وسار على دربهم كل من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، وفي يوم زارهما الحاج ثامر -رحمه الله- فهمسا في أذنه أنا نشعر أن الوضع في البيت يعني حوله صار خطراً، فبشرهما الرجل أنه يعلم ذلك أو يشعر بذلك وغداً أنقلكم بإذن الله إلى بيت أستأجر جديدا.

وفي اليوم التالي جاء ومعه آخر لنقلهما فوجدا المنطقة مطوقة بالأمريكان وما هو إلا قليل حتى سمعا اشتباكًا عنيفًا فانتابهما وجل شديد أن يكون الاشتباك مع أخويهما -وقد كان- دار اشتباك عنيف استمر أكثر من أربع ساعات، لقي الأخوان بعدها ما أمّلاه من رب العالمين، لحقا بالأحبة في موقف شرف وعز وإباء أن يسلما أنفسهما لكافر حقود، وفي اليوم التالي اتصل أبو عبد الله بزوجة الشهيد أبي حفص وكانت كنيته الحقيقية على اسم ابنه (عمر) وبعدما عرف أنها زوجته بشرها أن زوجها الآن مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. وكانت وما زالت المرأة صاحبة عقل فسكتت المرأة زمنا سمع فيه البكاء، ثم أمسكت بالسماعة وقالت للمتصل متى تم ذلك قال يوم كذا قالت: (اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها)، ثم قالت عذرا يا أخي ممكن تخبر أمه

لأني لا أستطيع إخبارها وبالفعل اتصل الرجل على أمه والتي سقطت سماعة التليفون من يدها ولم تتكلم بعد، ولا يدري أبو عبد الله ما حل بالأم والتي يبدو أنها كانت تموت حبا في ولدها، الله يجعله لها ذخرا في الآخرة وأن يرحمها به وأن يلحقنا بهم جميعا في جنات عدن -آمين-.

الشيخ المجاهد (٣١-٤)[١]

هو الشّيخُ الـمُجرّب، والأسَد المحنّك، والأبُ الحَنون، والصّديقُ الرّفيق، والسّهلُ الهيّن الـمُتواضع، أبو حمزةَ الشّاميّ.

من مدينة حلَب، هاجَر أبوهُ من تُركيا إبّان الاضطِهاد الدّيني أيام الهالك (كمال أتاتورك)، ولذا كانَ يُتْقن التّركيّة لُغَة أبيه، ذاكَ الجَبل الذي غَرس في نفس ابْنه – كما حدثني هو – حُبّ الدّين وأهله، وقِيَم الإباء والشّموخ، وأهمّ شيْء عَشِقه؛ السّلاحَ والقَنْص.

حدّثني أنّ أباه لـمّا بَلغَ به الكِبَر عِتيّاً، أراد أبناؤه أنْ يروِّحوا عنهُ بعْض الشّيء، فأخَذوه في نُزهةِ صيْد لِما علموا عنهُ من سابِق عهْده بهذا الأمر، فلمّا رأى الشّبابَ يتبارَون أمامَ الهدف، قال لأحدِهم أعطِني بُندقيتك، فضحِك الشّاب من الشّيخ، وحتّى ابنُه ما أحْسَن الظّن بأبيه، فظنّه قد نَسيَ ما شاخَ عليه، وكانَ أمامَ الشّيخ عُلبةٌ معدنيّة، فقال لابنِه ألْقِها في الهواء، وإذا بالشّيخ وكأنّه عاد ابنَ العِشْرين رَبيعاً يُسدّد بِخفّة ورشاقة على العُلبة ليُصِيبَ كَبِدها، ويُسلّم البُنْدقية لولدِه تاركاً الشّباب في دَهْشة لما رأوا، فعِنْد هذا الوالد وبيْن يَديْه نَشَأ شَيخُنا، وعلى يَديْه تَدرّب على السّلاح بكافّة أصْنافه وخاصّة الخفيفَ منهُ، والّذي ما خَلا قطّ منهُ بيتهم، وعلى حدّ تَعبير أبي حمزة حتّى في أحْلَك المِحَن أيّامَ أحداث حَماة وحَلب، تِلْك الأحداثُ الأليمةُ، والّتي شاءَ طواغيتُ العَرَب أنْ يسْكُبوا عليها النّسيان، نِسْيان الحِقْد الباطني العَلَويّ ضدّ أهل السّنة، نِسيانَ الذّل والمهانة، وفقْد الأهلِ والولد.

هذا وما زال أبطالُ القصّة يَعيشُون بيْننا أمثالُ أبي حَمزة وغيرهم في سُجون الطّاغية الـمُتجبّر الهالك (حافِظِ النّعجة)، ومِنْ بَعدِه عدوّ الله ابنُه (بشّار).

---

[١] كرر القصة مع تغيير يسير.

وعلى ذِكْر الإخوةِ في سُجون الطّاغية الباطنيّ النُّصيري، أجِدُ من الأمانةِ أنْ أذكُرَ قِصّةً حدَثتْ مع أخي أبي مُحمّد المِصْري، شهيدِ عَيْن الحُلْوة، ومعَ أخي أبي صالح الأسير فكّ اللهُ أسْره؛ وخُلاصَة الأمر أنّه لما سُجِن الأخَوان ومَعهُما مجموعةٌ من الإخْوة في قَضيّةٍ تتعلّقُ بعملٍ جِهاديّ ضِدّ قِطْعان اليهود بالأردن، أَدْخَلوا أبا صالح خطأً على مجْموعةٍ مِنَ الأشْباح، في مكانٍ ما يصعُبُ وصْفه من هَول الصّدمة، المُهم مكانٌ ما وجَد فيه أشْباهَ بَشَر، وأناساً يجلسونَ القُرفُصاء ليسَ عليْهم إلا ما يَستُر سَوْءتهم، شُعورٌ طويلةٌ جداً، وأظافرُ كأنّها مخالبُ وحْش، ورائِحةُ الجِيَف تفُوح من كلّ شيْء، وصَمْتٌ مُطبِق، ورجُلٌ بِسلاحٍ وبِيَده سَوْط يجْلسُ أمامَهم لكنّه بعيدٌ عنْهُم، وحتّى لا يتأذّى بالرّائحة، وأدْخَلوا صاحِبي على هذا المكان.

قال: (فلمّا رأيتُهم، سَقَط فُؤادي في قدَميّ، وشَعرتُ بِخَوفٍ خَلَع أطْرافي منْ مَكانها وأجْلَسوني بجانب أحَدِهم).

فاسْتَرقْتُ الطّرفَ وحاولْتُ أن أُكلّم أحَدَهُم، فما مِنْ مُجيب، وحاولْتُ أُخْرى فما مِنْ مُجيب، اللّهم إلا دُموعٌ تَحجّرتْ تماماً كَتحجُّر أطْرافِهم، كلّ شَيْء ساكنٌ صامِتٌ.

وبعْدَ عدّة ساعات نادَوا عَليه وأخْرَجُوه، وفَهِم بَعْدها أنّه دَخَل بالخطأ، وأنّ ما رآهُ لَيْسَ مَنْظراً مِنْ أهوالِ يوم القيامة، وأنّه حقاً لم يَكُن بِغَيبوبةٍ أو كابوسٍ مُؤلِمٍ مُزعج، ولكِنْ من رآهم كانوا إخوةٌ لَهُ يوماً ما مِنَ الدّهْر مُنْذ أكثرَ مِنْ عِشْرين سَنةً قالوا: (لا إله إلا الله) في حَماة وغيرها، ومِنْ ساعَتِها إلى يَومِنا هذا، وهُم في وَضْعهم الذي رآه، لا كَلامَ لا شَيْءَ، لا شَمْس لا لا لا...

والثّانيةُ أنّ أخي أبا مُحمّد حدّثني: قال (لـمّا دَخَلْت السّجن كُنْت ما زِلْتُ غَبيّاً!، وحقّاً أحْمقَ جاهلاً)، قال (أذّن للفَجْر، فانْتَظرْت حتى كادَتِ الشّمْس أنْ تَخْرُج فطَرقْتُ البـاب)، وأخَـذَ صـاحبي نفساً طَـويلاً أيْ شَـهْقة مؤلمةً قـائلاً: (لا أدْري أطَـرَقْتُ باب السّجْن أمْ بابَ الجحيم، وعلى الفَوْر جاءَت كِلابُهم مِنْ كُلّ حَدَب وصَوْب يتَعجّبون مِنْ ذاكَ الكائِنِ الغَريب والمَخلوقِ الفَريد الذي استطاعَ أنْ يَطْرُق بابَ السّجن دونَ أنْ

يُفتَح له وقَبْل ميعاده)، قالوا له: (ما لَكْ؟ وقبل أن يُعطوه الجَزاء)، قالَ المِسكين: (صلاةُ الفجْر)، فَضحكُوا وضَحكوا ثم أمسَك بِه جبّارُهم العَنيد ورَفع صَوتَه النّشاز قائلاً له –وعُذراً–: (يا ابْنَ الكَلْب، صَلاة الفجْر آيه إحْنا كُفّار كُفّار فاهِم يَعني إيه إحنا كُفّار)، طبْعا بلهجَتهم العامّية.

ثُمّ أخَذ عدوّ الله يَضْرب أخي رحِمَه الله على أُذنه حتّى سالَ الدّم غَزيراً مِنْها، ومِن كثيرٍ من جِسْمه ثمّ تَركوه جُثّة هامدةً وانْصَرَفوا يَضْحكون. هذا هُوَ نِظامُ (البعْث)، وإلى يومِنا هذا وحتى لا يَظنّ أحدٌ خَيراً بِعدوّ الله (بَشّار) فهُو طاغيةٌ ابنُ طاغية.

وعَودةٌ إلى شَيخِنا أبي حمزةَ، فَقدْ ساقَني ذِكْرُ أنّه شارَك في أحداثِ حماة، مأساةَ إخوانِه وإلى يومِنا هذا في سجون الطّواغيت. وأبو حَمْزة نَفسُه خَبِر هذا العَذاب لكنْ في قضيّة بَسيطَة جِداً مَكثَ عليها في سُجونِهم حيناً مِنَ الدّهر.

وكُنْت أجْلِس في أثناءِ حرْبِنا في الفلّوجة الثّانية معَ الشّيخ، وأطْلُب مِنْه أن يُحدّثني عن الأحداثِ في حلَب وحَماة، والحمْدُ لله سَردَها لي مِنْ أوّلها إلى قبْل نِهايتِها، ثُمّ في الأخير قال لي: (قرأْتَ كتابَ التّجربة السّورية لأبي مُصْعب السّوري؟)، قُلت (تقريباً نعَم الطّبعة القديمة المُختصرةَ قرأتُها، والجديدةُ ليسَ كلّها)، قال: (عُموماً، الرّجُل أنْصَف في هذا الكتاب، وخَيرُ مَنْ كَتب في هذا الموضوع، وهذِه شَهادةُ شاهِدٍ على عَصْر الكِتاب).

ولمّا جاءَتْ دَوْلة الطّالبان هاجَر شَيخُنا إليها بِحِيَلٍ وحِيَل، حيثُ أنّه مَمْنوعٌ مِنَ السّفر، وهُناكَ قاتَل إلى جِوار إخوانِه كلاً مِنَ التّحالُف الشّمالي والشّيعة المَلاعين في (باميان) وغيرها. وهُوَ الشّيخُ الكبير، فسَكَب بِعطْفه الحَنان على الشّباب فأحبّوه، ورَأَوا فِيْه الأبَ والأخَ الكَبيْر والصّديق الوَفيّ، ولمّا انْهارَتْ دَوْلةُ الإسلام على أيدي الخوَنة في حكومة باكستان لا على أيْدي الأمريكان فَحسْب، رَفَض وهُو العاشِقُ للجهاد وأهْلِه العَوْدَة إلى سُوريا ولو بِجَواز سَفرٍ مزوّر كما عَرَضَ عليهِ أحدُ أقارِبه، بلْ رَحل شَيخُنا إلى ساحَة أُخرى مِنْ ساحاتِ الجِهاد، ذَهبَ إلى مِنْطقة شَمال العراق (كردستان) يُقاتل عَدوّ الله (الطالباني) وحِزْبه الإلحاديّ المُجْرم، واستمَرّ مَعهُم حتّى دُخول الأمْريكان.

ومِنْ ثَمّ عاوَد جِهادَ الأمْريكان، ولكن في الفلّوجة، والتي بها تَعرّفت على شَيْخنا، فَرأيْتُ شيَخاً عَجيباً، لا يَكِلّ عن العَمل، لا في حَرّ الشّمْس ولا تَحْت وابِل القَصْف.

فاقْتَربْتُ مِنه أكْثَر، فإذا به عسكريٌّ عَبْقري مُحنّك، فعَجِبْت كيفَ لأمثالي أن يكونُ لهُم رأيٌ في الحرْب وهذا الكنزُ ليس فيها، فتم إلحاقه بمجْلس الشّورى العَسْكريّ.

وكانَ شيخُنا صِفَتُه الصّمت إلا إذا سُئِل، فإذا تَكلّم تقطّرت خِبْرتُه مِنْ بَيْن ثَناياه، وعَلِمْت حقاً أنّ الرّجُل يَعشَق البارود طَيّبا. ثُمّ دارَت رَحَى الحَرْب في الفلّوجة الثانية، وكانَ نَصيبُ شَيخِنا إلى جِواري مَع زُمرة مِن الأشاوِس في حيّ (نزّال)، وهُناك كانَ عاشِقَ القَنّاصة لا يُفارِق مَحْبوبَته، فَهي (دراغانوف) روسية الصّنع، مِنْظارُها مُصغّر جيّدا، يتنقّل بها مِنْ سَطْح إلى آخرَ لعلّه يَصْطادُ جُرذوناً مِنَ الأمريكان.

ثمّ اشْتَدّت رَحى الحرْب أكْثَر وأكثَر وتمّ اقْتِحام نَزّال مِنْ قِبَل العَدوّ، وأيْضاً انْحَزْتُ معَ أبي حمزةَ وعلى الرّغم أنَ الرّجُل كانَ في الخامِسَة والخَمْسين مِنَ العُمْر، إلّا أنّه كانَ يَقْفز مِنْ فَوْق الجُدْران مِنْ سُورٍ إلى سُور، ورأيْتُ رَشاقَتهُ وخِفّته، قُلْت: صَدَق القائل: (جَوارِحُ حَفِظْناها في الصّغَر فحَفِظَتنا في الكِبَر)؛ وإليكَ يا أخي لَقْطةً مِنْ لَقطاتِ العِزّ والجهاد مع شَيْخنا.

فَقدِ انْحاز هُوَ ومجموعةٌ مِنَ الإخوة إلى أحَد البُيوتِ عَلى حَسْب الخُطّة المرْسُومة لذلك وكانوا بالطّابق الثّاني، واتفق هوَ و أبو جَعْفر على أمْر؛ أنّه إذا دَخل الأمريكان يُفتّشونَ البيْت لا يَرمي كلّ الإخوة لسببين:

١- حتّى لا تُسْتَهلك كمّيةٌ كَبيرةٌ مِنَ الذّخيرة في غَيْرِ مَوْضِعها المُناسب.

٢- وحتّى لا يَرْمي الإخْوةُ بَعضَهُم البَعْض، وخاصّة إذا تقدّم المُجاهدون نَحو العدوّ.

ولمْ يَنْتهوا بعدُ مِنْ كلامهم، حتّ جاءَ الأمريكانُ إلى هذا البَيت وصَعَد جُنْديّ إلى الطّابق العُلْويّ لِتفْتيشه يَتْبعُه قِطعانُ الجرذان، فما أنْ رأى أبو حمزةَ عَدوّ الله حتّى أمْطَره بوابِلٍ سَقطَ إثْرها أمامَه كأنّه عُذْرة سَقطَت في بِئْر.

ثمّ تَقدّم هُو وأبو جَعْفر وأمْطروا قَطيع الجُرذان خَلفَه بِوابلٍ مِن الرّصاص فَفرّوا بِجِراحهم، ولكنّ عَدوّ الله المَقْتول بَقيَ عِنْد الإخوة.

غَنِم أبو حمزةَ والإخوة سِلاحَهُ وجُعْبَته، لكنّ الشّيخَ آثَر أبا جَعْفر بالسّلاح، ومَضَتِ المَعْركةُ في هذا اليَوْم حامِيَةً مِنْ بيْت إلى بيْت، حتّى عَلا شَيْخُنا أبو حمزةَ سَطْح أحَدِ البُيوت ليَعْبُر مِنْه إلى بيتٍ آخَر، فكان لقاؤه مع قدر الله، حيثُ التقطه قنّاصٌ أمريكيّ يحتلّ سَطْح بيتٍ مُجاور أعلى مِنه فترجّل الشّيخُ في الحال.

وحزِن الجَميعُ لِفَقْده، فَقدْ كانَ أبو حَمْزةَ وكان، لكِنّ الظّرْفَ والوَقْت لا مجال فيه للبُكاء ولا الأحزان، فالحَرْبُ تَطْحنُ الشّبابَ طَحْنا، ومَضى الشّبابُ تارِكينَ خَلْفهُم الشَيخَ والغُصّة في حُلوقِهم، لكنّ هذا كانَ هيّناً إذ قُورِن بما الذي نَكتَ في قَلْبي حُرْقةً وحَسْرة وإلى يومِنا هذا، وأكيدٌ ستَموت مَعي وحَتى أُحاجِجَ أمّتي بعُلمائِها يَومَ القِيامة.

فقَد استَقرّ بِنا الحالُ في بيتٍ آخَر مَع مجمُوعةٍ مِنْ أفاضِل الإخوةِ وأرْسلْنا المُجاهدَ أبا الزّبير اللّيبي إلى جسد الشّيخ ليُحاولَ دَفْنها لكنّ الرّجُل وبِشقّ الأنْفُس اسْتطاعَ فَقطْ أنْ يَتأكّد مِنْ وفاةِ الشّيخ ويأتِينا بِبَعْض أغراضِه الشّخصيّة التي كانَتْ في جَيْبيه. على أمَلِ أنْ نَعود إليه مرّة أُخْرى رَيْثَما تَتحسّنُ الأحوال، لكنّها ساءَتْ ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فَقدْ جاءَ القنّاصَة إلى رأسِ الفَرْع الذي يَفْصِلُ بيْنَ بَيتَيْنا، مع دبّابة تحصّنتْ في نَفْس المِنْطقة أيضاً فما استَطعْنا إليه سبيلا.

ومضت الأيام وبدأ اليهود بجمع الجثث فرموا بجثة أبي حمزة من أعلى إلى أسفل ثم تركوه عدة أيام في الشارع ونحن ننظر إليه لا نستطيع أن نواري أخانا، تأكلنا الحسرة ويقطع أكبادنا الألم، ونبكي على ما آلت إليه الأحوال بخذلان الأمة.

القوي بالله أبو دجانة (٣٢-١)

(القويّ بالله)، ليس هذا لقبًا تلقّبَ به شهيدنا في حياته، لكن وجدتُ أنه أصدق وصف لعبد الله التقي النقي الطاهر الظافر (أبي دجانة اليمني).

قُتِلَ الرَّجل ولحق بمن سبقه من رفقة الدّرب ضاحكاً مستبشراً، ولو قيل له قبل رحيله إنك غداً ميت، فتزوّد، ما طاق وربّي أكثر ممّا كان يعمل، فمن هو؟!

لا أكاد وربّي أصدّق رحيل الرَّجُل، قلبي لا يستطيع تصديق الخبر، فؤادي حقّاً ينكر ذلك، أكتب الآن عن أخي وقلمي يضطرب ويهتزّ كأنّه ينكر عليّ، (أنا القاسي القلب) تلك الكتابة.!! وكأنّه يقول: ما أقساك من قلب، هل تستطيع أن تتخيل أن أبا دجانة ميّت؟ هل تستطيع أن تكتب عن هذا الجبل؟ أحقاً تظن يا مسكين نفسك أديباً؟! أحقّاً تستحق أن تسطّر عن مثل هكذا شخص؟!، هل خُدعت أو خدعك أحد فتنظر أن لك القدرة على وصف الرجال وعمالقة الجهاد وتلاميذ النبوة وحماة العقيدة وطلاب الشريعة والسابقين إلى رب العالمين. فأجبتُ قلمي: والله إنك لصادق وإني وربّي أعلمُ أني كاذب، ووالله يا هذا ما وقفت قط أمام أبي دجانة إلا وشعرت نفسي مثل الذر، وما غبط أحد ما غبطه على عمله، لكن عذراً يا صاحبي فإنما هي مشاعر أسطرها وكلمات أكتبها، لا عليك، فربما يشعر بمصابي أحد فيدعو الله أن يصلح حالي ويتغمدني برحمته التي وسعت كل شيء. أما أنت يا عيني فكفكاك دمعاً وتحجري يا دمعة كما عهدتك أقسى من الصخر، ما لك اليوم تتساقطين وعن البكاء لا تكفين، هل لأن حبيبي لم يجف دمه بعد. أم لأن الشهيد كان عمودي الفقري ويدي الضاربة، فأشعر بعده بشيء من العجز وقلة الحيلة. أم أنه الحب، الحبُ الّذي أَشعر به يتساقط من أطرافي تجاه هذه العصبة. نعم هو هو! هو الحب أشهد الله، ووالله وهو فوق العرش ويعلم صدق قلبي أني لهؤلاء الإخوة مُحِبّ، لا بل عاشق، وما أحببت مثلهم قط، كما أنهم وكما أظن وأشعر أني لم أر حبّاً كحبّهم لي وأدباً كتأدبهم. فإن كان هؤلاء الشباب يحبّون العبد الضعيف فإني والله

أعشقهم، وإن كانوا يجلّوني فإني أكبرهم وأقدرهم، أشعر أمامهم أني صغير صغير، وإن كانوا يعتبروني أخاً كبيراً وأباً لهم، فإني أشعر أني لهم خادم. ووالله ما رأت عيني الرجال قبلهم، ولا رأيت مثلهم ولا شبههم، أعني أحبابي في كتيبتي وفلذة فؤادي (كتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها).

فإن هذه الكتيبة مباركة تماماً كبركة من سُمّيت باسمها أمّنا عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها–، فالله يحفظهم ويزيدهم ولا ينقصهم ويبارك في أعمالهم ويرفع قدرهم، إنه على كل شيء قدير.

(أبو دجانة)، نحيل الجسم جداً، شاحب اللون، بل أصفر الوجه، رثّ الثياب. لكنه أسد يزأر، وسهم يعرف عينه، وكنز مفقود، وصف نفسه يوما و كان يحمل قذيفة لمدفع النمساوي فقال يا شباب هذه القذيفة أثقل مني بثلاث كيلوات، وزنها ٤٥ كجم ووزني اثنين وأربعون.

دخل يوماً ما مضافة الشباب وبحث عن مكان ينام فيه فما وجد، فاستيقظ صاحبه وأخوه الشهيد البطل أبو أنس اليمني، فوجده يبحث عن مكان له، فقال: أقول لك، أين تنام؟ فقال الحبيب: إي والله وين؟ قال أسحب طلقة من مخزن الكلاشن ونَمْ مكانها. فضحك الجميع ومن ثم حشر نفسه بينهم.

أبو دجانة صاحب عقيدة فولاذية، من أسود اليمن، من جنوبه، اسمه الحقيقي (شفيع) –نسألُ الله أن يُشفّعه فينا يوم القيامة–، وقد التحق بعصبة من إخوانه يريدون القيام على طاغية اليمن الغبي الحقير (علي عدوّ الله صالح) إلا أن أميرهم ترك الجبل وباع إخوانه بدراهم معدودة وبمنصب حقير، ففر أبو دجانة بدينه، وقد لقي من ذلك شدة كبيرة. قال لي يوماً من الأيام وقد ضاق بنا الحال؟ قال: والله لما هربنا في اليمن كنت أنام فوق شجرة من الأشجار، أربط نفسي عليها حتى لا أسقط.

عشق الشهيد –تقبله الله– ومنذ كان باليمن المتفجرات، فكان له معها صولات وتجارب، ولما لحق بإخوانه في بلاد الرافدين، التحق بالأخ (الباشق) وكتيبته أيضاً أبو

دجانة وأخذ منه علم التصنيع ثم تعلم التشريك والتفخيخ ومهر في ذلك حتى سبق الجميع فإلى أن مات لا يوجد عندنا مثله ولا حتى من يقترب منه.

فيرجع الفضل بعد الله إلى أبي دجانة في تفخيخ الكثير الكثير من السيارات المفخخة للاستشهاديين وغيرها، وأهم أعماله وأكبرها هي (الخباطة) المباركة التي دمرت بقوة الله فندق شيراتون بغداد وميرديان فلسطين، وكذلك عملية فندق الحمراء، أي غزوتا بدر بغداد والشيخ الأسير. ثم إن أبا دجانة ملأ الدنيا عبوات، فقد قطع جميع الطرق في المنطقة التي كان يعيش فيها على الأمريكان فكان يواصل الليل بالنهار لا يفتر عن عمل قط، يستيقظ من الصباح ولا يجلس، ولا ينام إلا بعد العشاء وقد أكله التعب وشرب، فكان يُتعب إخوانه في العمل ولا يهتم بطعام ولا شراب، مررت يوما وهو يزرع عبوة، فنظرت إلى وجهه، فرأيته أصفر كالليمون وقد كان ذلك عصراً، فقلت له كالمستنكر: أنت صائم؟ قال: لا، قلت: كُلْ يا بنيّ بالأمر، كُلْ واتَّقِ الله.

كما أنه برع في التفخيخ والتشريك، برع كمقاتل لا يعرف الخوف وليس له بخُلُق. فقد كان من أعمدة اقتحام سجن أبي غريب الأخيرة وأبلى فيها بلاءً حسنا، بل لأجلها جاء من الغربية ثم كان من أعمدة الإخوة في غزوة الثأر، وكان الشهيد رامياً محترفاً لقاذف الـ (آر بي جي)، والتوفيق والسداد من الله. بل إن أبطال الإخوة كـ(أبي أنس الشامي وأبي رضوان التونسي رحمهما الله) كانوا يطمئنون إذا وجدوا أبا دجانة في الصف جانبهم.

أحبه الإخوة جميعاً من أعماق أعماق قلوبهم، لِما وجدوا فيه طيّب الخلق وقلة الشكوى، بل عدمها وكثرة العمل والحرص على الدِّيْن والنّصح للمسلمين، ونكران الذّات. ففي ليلة استشهاده جاء إليَّ أبو عبيدة المكي -والذي سأعود إليه بعد قليل- وقال: أبو دجانة يريد الزواج فضحكتُ، ثم جاء أبو دجانة بعد أن اغتسل ولبس ثيابه وتطيّب، ففاتحته على جمع من الإخوة وكنت أقصد أن أمازحه، فاستحى جداً كأنه عذراء في خدرها حتى أني استحييت لحيائه فأخذ مجموعته مجموعة الزرع وانصرف،

فقلت لجليس لي: والله لو أن عندي مائة مثل الرجل النحيف هذا لفتحت العراق بعون الله، ثم قلت: والله إني أخاف عليه أن أفقده، وقد كان هذا الشعور يلازمني قبل نحو عشرة أيام من استشهاده، فأحضرت مجموعة من الإخوة إليه كي يعلمهم مما علّمه الله – أعني يعلمهم التفخيخ والتشريك–، ثم إني خفت عليه أن يموت من شدة حاله فكنت آمره بالطعام.

و في يوم مقتله كنت أنظر إليه بخوف شديد، وقلت لجاري وكان هو الأخ أبا جعفر: والله إني أخاف على أبي دجانة، أشعر أني أريد أن أضعه في عيني أو في قلبي حتى لا أفقده، أحتاج إليه من لي بمثله.

و إذا بالرجل يذهب كعادته لزرع عبوة على الطريق مع مجموعته، إلا أنه ذهب هذا اليوم متأخراً بعض الشيء وذلك لظروف المنطقة، فوقع في كمين للأمريكان كان لتوّه قد نُصِب، فكشف أمر مجموعةٍ سبقته من الإخوة، ونجوا من الكمين بأعجوبة، إلا أن أبا دجانة رأى سيارة الأخوة متوقفة على الطريق، فوقف ينظر الخبر، وعندها إذا بسيلٍ من الطلقات في صدره وأبي عبيدة بطلقة في رأسه وجرح آخر، وردّ الأخوة على النار بالمثل وقتلوا منهم أكثر مما قتل أعداء الله منا، وانسحبوا يجرّون قتلاهم وجرحاهم مع الخزي في الدّنيا والنّار في الآخرة.

أما صاحبنا أبو دجانة فقد دُفِن في اليوم الثاني ظهراً، ومع أنه مات في حاله، إلا أنه ولساعة دفنه كان جرحه ما يزال ينزف دماً، مما أثار تعب الكثيرين، وقد دفن هو وأخوه أبو عبيدة في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة، ولضيق الحال والوقت لحفر مكانين للإخوة، فنسألُ الله أن يخلفنا فيهم خيراً، ولا نقول إلا ما يرضي ربّنا.

أبو عبيدة المكّي (٣٢-٢)

هو عبد الله الصالح (رياض الحربي) من بلاد الحرمين ومن أشرف البقعتين (مكة المكرمة)، من تلك القبيلة الأبية التي فجَّر ابنها البار مجمع المحيا الصليبي.

صاحب عقيدة لا يداهن عليها، يكره الطواغيت العرب وخاصة طواغيت آل سلول أشدّ من كُرهه للنّار وعذابها. كان يهش ويطرب مع كل طلقة في أعناقهم أو مصيبة حلت بهم، وكان يومه المشهود في فرحه يوم إعلان موت الدمية الهالك (فهد بن عبد العزيز)، حيث كاد أن يطير فرحاً ويسكر نشوة.

هو أيضاً المبتلى في الله وصاحب الكرامات المشهودة في معركة الفلوجة الثانية، هو (صاحب البلم) أو (صاحب القارب).

فقد كان ضمن مجموعة من إخوانه في حي الأندلس ثم فرقهم إطلاق النار إلا أنّ أبا عبيدة أصيب في فخذه بطلقة ثم تحامل وركض وأثناء ركضه أصيب بطلقة أخرى في جنبه، إلى أن لجأ إلى أحد المنازل وكان أمامه (بلم) أي مركب صغير، فرفعه ثم نام تحته، وأخذ جرحه ينزف إلى أن أغمي عليه ثم فاق ولم يشعر بأحد، فخرج ليلاً يبحث عن شيء يربط به جراحه ويضمدها فلم يجد إلا أوراق الشجر فكان يأخذ منها ويضع على جرحه، ولم يكن عنده شيء من الطعام قط إلا بعض (النارنج)، وهو فاكهة أشبه بطعم الليمون وشَكل البرتقال، وأوراق الشجر وعليها أقتات.

فكان كل ليلة يتحامل على نفسه ويخرج ليأتي ببعض الأوراق والنارنج ثم يدخل تحت البلم، إلى أن تعفنت جراحه ووجد من ذلك شدّة.

إضافة إلى أن أعداء الله قد اتخذوا موقعاً لهم بالقرب من مكانه وهم لا يشعرون به، فكانوا يسكرون ويغنّون ويتناكحون بالقرب منه كالبهائم، فزاد ذلك من بلائه، يقول

الشهيد فلم أجد شيئا أدعو الله به إلا كلمة التوحيد، فكان يقول: (اللهم إن كنت تعلم أني أقول أشهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبي ففرّج عني). فبرئ جرحه وتعافى سنّه.

ثم إن أعداء الله فتشوا مكانه مرات عديدة وفي إحدى هذه المرات رفع جندي البلم من مكانه ثم نظر إلى أبي عبيدة تحته وأنزل البلم مرة أخرى قائلاً لصاحبه لا شيء تحته. على الرغم أن عيونه كانت في عيون شهيدنا، أعماهم الله، ثم تكرر هذا الأمر مرة أخرى وبعد فترة، ونفس الموضوع، إلا أن هذه المرة كان الجندي من الحرس الوثني -الوطني- العراقي، وكذلك قال لا شيء هنا.

و قد مكث الشهيد على هذه الحالة قرابة الأربعين يوماً وبعد ذلك لحق الشهيد رحمه الله بكتيبة أم المؤمنين عائشة فكان أحد دعائمها وأهم فرسانها، فأسند إليه مسؤولية المالية، لأمانته وحرصه الشديد على مال الله أن يوضع في حقّه ومستحقه. ثم أسند إليه بعد ذلك إمارة سرية القناصة فاجتهد في تأسيسها غاية الاجتهاد حتى أثمرت بحول الله، ثم أُسند إليه رعاية الإخوة الاستشهاديين والقيام بشؤونهم لما يعرف من أبي عبيدة من حرصه على إخوانه وشدّة حبّه واهتمامه بهم وحسن أدبه وظرافة طبعه وخفّة ظله، كما أنه مُسعّر حرب يوقظ الهمم.

كما أنه وقبل استشهاده بنحو أسبوع طلب الالتحاق بسرية التفخيخ مع أخيه وصديقه وحبيبه أبي دجانة، وقد رأيته معه ليلة استشهادهما، وكنت قد علمت أن هناك امرأة لما سمعت بحسن خلقه وجميل صفاته طلبت الزواج منه، ففاتَحْتُهُ وقلتُ له: إني موافق فتوكل على الله، فقال: (أخاف يا حجّي أن تفتر همّتي، قلت لا عليك الله يقوّيك).

فأردنا أمراً وأراد الله أمراً، أردنا زواجه من الدُّنيا وأراد الله زواجه من الحور، وإني لأرجو ألا تُحرَم هذه المرأة من زواج شهيدنا لها في الآخرة.

نسيت أن أقول إن الشهيد الحبيب كانت له أيادٍ بيضاء في الدعوة إلى الله وخاصة في أوساط النساء. فقد لاحظ قلة الحجاب الشرعي (النقاب) في أماكن تواجده، فاشترى

كمية من الحجاب وأخذ يوزعها على الإخوة المتزوجين، ثم هم بدورهم أخذوا يوزعونها على أهل المنطقة بالمجّان، حتى صار الحجاب سمة غالبة لنساء هذه المنطقة، وقد استشهد رحمه الله وما زال في جيبه تسعمائة دولار أعدها لهذا المشروع، أسأل الله أن يَكْسُوَهُ من حلل الجنان كما كسا أخواته في الدنيا وأن يجمعنا وإيّاه في جنّات عَدْن، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو الشهيد: أبو عمار (٣٣-١)

هو صاحب الهمّة العالية، والنّفس الأبيّة، والذي إذا اقتنع أبدع، وإذا كره أوقع، يحسده النّشاط على خفّته ويختبئ الكسل عند رؤيته، صاحب القدم والسّبق في الجهاد والرباط، المهاجر إلى الله بأهله وولده، والبائع نفسه وماله لله وبالله، أعني (أبا بكر السوري الحلبي)، والمتسمى بأرض الرافدين بـ (أبي عمار السوري).

أيقن الشّهيد -رحمه الله- مبكراً صدق منهج المجاهدين وعلو منزلتهم، وبالمقابل أدرك وعاين سفالة منهج العلمانيين وانحطاط مذاهبهم ومشاربهم وسوء طويتهم وخبث مقصدهم، وعاين كما عاين أمثاله من أولي البصائر عمالة طواغيت العرب وانبطاح عقولهم أمام التكبر والتجبر الصهيوني الصليبي، فالتحق مبكراً مع جماعة أبي عائشة بلبنان بل كان من مؤسسيها وحاول معهم فعل شيء يرفع الهمّة ببلاد الشام ولكن مشيئة الله غالبة، فقد اكتُشِفَ أمرهم مبكراً فهرب بأهله إلى الأردن ثم التحق بأفغانستان، وهناك عمل مع منظمة (وفاء) الخيرية -هي منظمة أسسها بعض شيوخ الجزيرة لغرض العمل الخيري-.

ثم رحل من أفغانستان إلى باكستان ومنها إلى سوريا ثم قدم بأهله إلى العراق. وفي العراق بدأت تتكشف حقيقة القائد وقدراته الفذة وطموحه العالي وذهنه الوقاد.

فما إن وضعت الحرب أوزارها مع البعثية حتى بدأ يدب الأرض بأقدام أرسخ من الجبال نحو العزّة والفداء، فاتصل بالقائد الحبيب أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- وبدأ معه أول رحلات الجهاد، وكان ذلك في مدينة الفلوجة وقبل أن تبرز كرمز للجهاد، إلا أن عيون عملاء وجواسيس الأمريكان رصدته، وقبل الإيقاع به كان الشهيد قد حط ببغداد وهناك عملتُ معه، أدبٌ وتواضعٌ وهمةٌ وخدمةٌ وكل ما يمكن أن تحبه في أخ، فشارك في التحضير لعدة عمليات استشهادية كان منها أول عملية ضد عملاء الأمريكان من الشرطة في منطقة الراشدية وبمشاركة الأخ الشهيد الحبيب الملا ثامر -

رحمه الله-، وكان الأخ الاستشهادي هو عبد الرحمن المغربي، ولهذا الأخ قصة عجيبة فلا تسل عن التواضع والعبادة والدين، وأعجب ما في الموضوع أن الأخ كان لا يحسن أبداً قيادة السيارة وكان يبكي يريد أن ينفذ عملية استشهادية ويدعو ويتضرع إلى الله، ولما أردنا أن نختبره في القيادة، كان الحائط هو أول أهدافه، فتم استبعاده. فبكى وبكى حتى حزنا جميعاً، ولما جاء الملا ثامر لزيارة أبي عمار عرف السبب، قال: قم معي الآن وأخذه يعلمه القيادة وخلال ثلاثة أيام وبمعدل ساعة إلى ساعتين في اليوم أحسن الحبيب القيادة وكأنه يقود منذ سنين، ونفذ عملية من أصعب العمليات والتي تطلب مهارة عالية في القيادة وليعلمنا درساً مبكراً، أن تقوى الله وصدق العزيمة والدعاء والابتهال إلى من بيده مقاليد الأمور هي خير معين على بلوغ المراد.

عودة إلى الشهيد الحبيب أبي عمار، ولما اضطررنا إلى مغادرة بغداد نظراً لأمور كثيرة، غادرت وغادر معي إلى نواحي الفلوجة ثم دخلنا إليها تقريباً سوياً، ثم شاءت الأقدار أن أكون معه في بيت عمر حديد وقت اقتحام الفلوجة الأول، وخرج كما خرجت بلا سلاح، وغنم كما غنمت. ثم تقدم الشهيد البطل باتجاه الجولان على غير تخطيط مسبق ووجدنا أنفسنا في حي الأكراد عند المدرسة، وهناك حاولت عدّة دبابات التقدم لكن الأخ البطل (سالم) تقدم فدمر أولها ثم تابعوا التقدم فدمّر الثانية الأخ (محمد)، وفي تلك الأثناء جاء الطيران السمتي فأول من بدأ أو كان من أوائل من بدأ إطلاق النار تجاهها الشهيد أبو عمار بسلاحه الآر بي جي الذي كان معه، وبعدها أمطر جميع الإخوة السمتية بما تيسر معهم من سلاح، وشوهد على إثره دخان كثيف ينبعث من مؤخرة الطائرة فكبّر أبو عمار وكبّر كل من حوله وأخذتُ أعانقه ونتعانق جميعاً، فها هو العدو الأكبر يتهاوى أمام أعيننا، الآن حيّد أخطر سلاح ضدنا الطيران السمتي، تجرأنا عليه وكانت هذه أول مرة في العراق يتجرأ المجاهدون على الطيران ولتصبح بعد ذلك عادة الأبطال في العراق لدرجة أنهم في بعض الأحيان كانوا يتمنون قدومها وعرف العدو ذلك بعد عدة مروحيات سقطت فما عاد يرسل غربانه لتقع في شبكة الصيّاد.

ثم تقدم الشهيد وتقدمت معه باتجاه (علوة المخضر) بالجولان وهناك قال لي هو والإخوة: (أنت أميرنا)، قلت له: لا، أنا لا أعرف المدينة جيداً ولا أين يمكن الدفاع والهجوم، لكن أنت يا أبا عمار سكنتَ بها وأنت الأمير وأنا معك أخ وخادم، فرفض، وأصررت فوافق، ومضينا نرتب المجموعات ونرفع المعنويات وكان لأبي عمار في ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فكان حقاً صاحب همة عالية وتكبيرة تزرع الثقة في نفس الجبان.

فكان إذا هجم العدو من مكان يدفع في الإخوة دفعاً، (تقدم يا بطل- من هناك يا أسد- الله أكبر أصبت الهدف - هكذا قتال الشهداء). ونحو ذلك من التشجيع ورفع الهمة مع حرص على إخوانه وعدم وجود أي معصية في وسطنا. وفي إحدى الليالي الحالكة صبّ العدو نيران حقده وحسده على الجميع، فأُصِبْتُ وأُصِيْبَ الكثير من الإخوة وتقدم العدو إلى مداخل المدينة واحتل حي الأكراد، لكن أبا عمار كان نعم الرجل في وقت الشدائد، فما وهن وما ضعف بل شد وكبّر -وإلى جانبه ابنه عمار- يجر سلاحه ويقاتل بجانب أبيه يرفض الذهاب إلى أمه، حيث كانت المرأة من القلائل اللاتي ترفض ترك المدينة، فصبرت ووقفت مع المجاهدين، تخبز وتطهي وتغسل الملابس لهم، وذلك في بيت القائد عمر حديد مع أمه وإخوانه، أسأل الله أن يحفظهم جميعاً.

ثم رأى أبو عمار أن يطهر حي الجولان من المعاصي والذنوب فمنع أن يجاهد فيه كل شارب سجائر أو يدخله، وكل غريب يدخل الحي ليلتحق بنا يسأله من أين أتى؟ ومن أرسلك؟ ومن تعرف؟ ولماذا جئت؟ وإلى غير ذلك حتى طهر الحي تماماً من الجواسيس فصار يُضرب به المثل في التنظيم والشجاعة والنكاية في العدو. وشاءت الأقدار أن يحاول العدو اقتحام المدينة من جهة السكة، أي من جهة حي الجولان، لكن أبا عمار وإخوانه كانوا له بالمرصاد فصدوهم وأرهقوهم. وأذكر أنه في آخر حملات هذا العدو بدأ هجومه عند أذان الفجر فتقدم القناصة ثم الدبابات وتم صد أول هجماته وتدمير دبابة له، فتوقفوا ساعة ثم أعادوا الكرة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة، ثم أعادوا الكرّة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة ثم تقدموا ثالثة وكان

الإعياء قد بلغ بنا كل مبلغ وقاربت الساعة من الثالثة عصراً وأوشك سلاحنا على النفاد وكثرت الجراح بلا شهداء والحمد لله. فتم دحره وتدمير بيت كان به القناصة، وأذكر ساعتها أن أبا عمار قال: قم شجّع الإخوة فما عدت أستطيع القيام، فقلت قم أنت والله ما أستطيع، وهكذا كان حالنا من التعب والإرهاق واندحر العدو في هذا اليوم، وما عاد لمثلها والحمد لله. وصار حي الجولان مضرب المثل في الشجاعة وحتى الترتيب وكان لأبي عمار بعد الله الفضل الكبير في ذلك.

ثم انقضت الفلوجة الأولى وبدأ أبو عمار ترتيب أوضاع المدينة مع إخوانه إلا أنه التفت لأمر آخر وهو أمر العمل الخارجي، وهكذا كان حاله مع الإخوة، وشارك أثناء ذلك في عدة عمليات كان منها ضد الـ C.I.A على طريق المطار ببغداد وعدة عمليات ضد الشرطة.

و في أثناء ذلك اتخذ الإخوة قرار اقتحام سجن أبي غريب، فأعد الإخوة العدة لذلك وتمت العملية بقيادة الشهيد أبي محمد اللبناني وذهب الإخوة إلى الهدف وأحاطوا به، إلا أن تأخر السيارات الاستشهادية وعدم قيام جماعة الصواريخ بالواجب أدى إلى إلغاء العملية بعد أن حاصر الإخوة الهدف لمدة ربع ساعة وعاد الشباب، وفي أثناء ذلك اتخذ الإخوة قرار العودة مرة ثانية إلى الهدف وذلك بعد خمسة أيام من المرة الأولى وذلك لأسباب منها:

١. الخوف من أن يزيد العدو تحصيناته على الهدف.

٢. مفاجأة العدو والصديق على حد سواء إذ أنه من الصعب تصور أن الإخوة يعيدون الكرة خلال هذه الفترة البسيطة.

و أخيراً وُجِدَ أبو عمار بعد ثلاثة أيام على بُعد مترين في الأرض من أثر الهدف ولم يتغير منه شيء، بل كان كأنّه مات من لحظات ونُقِلَ ليُدْفَن بالقرب من إخوانه في مقبرة الشّهداء، وليشهدهم أنه ما تخلف بعدهم، ففقدت المدينة بفقده أحد أهم أبطالها ورجالها، وليترك بعده شبلًا وأسدًا ليتم الطريق بعده هو ابنه عمار.

ابن الشهيد عمار (٣٣-٢)

انتقل الشهيد إلى جوار إخوانه في جنات النعيم – نحسبهم والله حسيبهم – وترك خمسة أبناء، أربعة ذكور وبُنَيَّةً، كبيرهم عمار، له من العمر أربعة عشر عاماً، فرحت به أمه لأنه مضى على نهج أبيه، فالولد ابن الوالد يعشق البارود عوداً والغبار عبيقاً وذكت أمه هذه الروح فيه، ومضى مع أعمامه يحرس ويتدرب وخاصة على الهاون مع عمه أبي عمر.

ومضت أحداث الفلوجة الثانية تقترب وبدأت العوائل تخرج من الفلوجة، الرجال والنساء على حد سواء، لكن عمار وأمه رفضا ذلك بإصرار عجيب، وكانت أم عمار قد رأت رؤيا قبل مقتل زوجها، رأت أن زوجها يرزق الشهادة في الشهر التاسع وتلد ولداً وبالفعل وفي منتصف الشهر التاسع بالضبط قُتل أبو عمار مع إخوانه شهيداً نحسبه والله حسيبه، وحان وقت ولادة الصغير، وعلى الرغم من ضيق الوضع في الفلوجة وشدة القصف وعنف المواجهات والتي بلغت ذروتها من قبل رمضان بأسبوعين، إلا أن أم عمار رفضت الخروج وقالت أموت هنا في أرض الجهاد بين إخواني ولا أخرج، ولما ذهبت إلى الطبيبة تبين أنها لا بد من فحوصات معينة وقد تضع بعملية قيسرية ومع الإلحاح والضغط وافقت على الذهاب إلى بغداد ولكن كانت المفاجأة أنها وبعدما وضعت بثلاثة أيام وفي أثناء نفاسها رجعت المرأة إلى الفلوجة لتُقبر كما قالت في الأرض التي عشقها زوجها ومات فيها مع إخوانه المجاهدين، وتطورت الأوضاع إلى حد كبير وصار القصف يطال الأُسَر الآمنة، وبدأت ملامح جريمة المحتل تظهر لكل أعمى وبدأ منظر الأطفال تحت الجدران مألوفاً، ومع ذلك أصرت المرأة على البقاء ومع شدة الأزمة خرج الإخوة إلى الجبهة، وكانت الأخت تعيش مع أسرة عراقية مجاهدة، لكن هذه الأسرة أيضاً قررت المغادرة، فقلنا لها يا أم عمار لم يبق أحد يقوم على شؤونك وأولادك هنا ووجودك يشكل عبئاً علينا، والله يكتب لك الأجر ويهديك، فقالت: الأمر لله .. أخرج، لكن يبقى عمار يقاتل معكم.

وبالفعل بقي عمار مع أعمامه يخدمهم ويحرس ويقاتل معهم، ثم دخلت أحداث الفلوجة الثانية، وحينما كنت في حي نزال أمام جامع الفردوس حيث انتقل إلى الفردوس عدد كبير من الشهداء - نحسبهم كذلك - مرّ عليّ عمار يركب سيارة بيك أب فسلّم، فقلت عمار حبيبي أين أنت الآن؟، قال: أنا يا عمي مع الهاون عند عمي أبي عمر، وانطلقت السيارة وهو يبتسم ويلوح بيده إليّ، وكانت آخر ابتسامة أراها من الفتى.

فبعد يومين توقفت بالقرب من سيارة كيا بيك أب ثم قال صاحبها عمار هنا في السيارة، قلت أين؟ وأسقط فؤادي قال استشهد. ها هو في نهاية السيارة، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأصابني حزن وألم قطّع كبدي، ثم ابتعدت عن السيارة فلم أستطع أن أنظر إليه، وعلم الله أني حزنت عليه حزناً لا يوصف، بل إني لا أبالغ أني حزنت عليه أكثر من أبيه بكثير، ولا أدري ما السبب!، هل هي شفقتي على الصبي، أم على أم الصبي والتي احتسبت ولدها وزوجها في سبيل الله مع غربة شديدة، وزاد عليها أنها لا تستطيع أن ترجع إلى أهلها في سوريا لأن العلويين المجرمين وضعوا أمراً بالقبض عليها وسجنوا أخاها عاماً لأنها خرجت مع زوجها في العراق بعد تعهدها بعدم السفر، فجمعت من المآسي ما الله بها عليم.

هذا على ضيق المأوى هنا في العراق، وتقلّب المسكينة من بيت إلى بيت، فلا تكاد تقيم في بيت أكثر من شهر لأسباب أهمها خوف أصحاب البيوت على أنفسهم أن يعلم أن عندهم أسرة عربية. أسأل الله أن يحفظها وسائر أولادها وأن يخلفنا في عمار وأبيه خيراً، والله المستعان.

دكتور أيوب (٣٤)

سأدعُ بعد قليل من هو أكثر منّي حباً له -على الرغم من سطوته عندي- وأكثر دراية به يتكلم عنه إلا أنّي سأذكر عنه بعض ما أعرفه عن هذا الجبل من الآداب والأخلاق.

عرفتُ الرّجل بعد أحداث الفلوجة الأولى بنحو شهر تقريباً، إذ أتى إلى بيتي مع أخ قديم حبيب، وعرّفه لي باسم (أبي أيوب)، ثم طلب مني أبو أيوب أن يقوم بعملية استشهادية، وأردف طلبه بالرجاء ألا يطول عليه الوقت، فوعدته خيراً، ولما همّ بالانصراف همس في أذني رفيق ثالث كان معهما: إن الرّجل طبيب ويمكن الاستفادة منه، ووالله حق، وعندها رجعت عن رأيي في موافقته في أن ينفذ، ثم اتفقت مع دكتور (أبي أيوب) أن يعمل للإخوة دورات إسعافات أولية، واتفقتُ معه على الوقت، وبالفعل صوّر كتاباً خاصاً بهذا الأمر وأحضر جميع الأدوات اللازمة لذلك وبدأ عمله.

وفي أثناء ذلك كان الرّجل ناشطاً جداً في إحضار تبرعات الدواء وكل ما يمت إلى الطب بصلة. ثم إنه لم يكتف بذلك بل بدأ بشراء السلاح للإخوة وكان له في ذلك المغامرات المشهورة نظراً لقلة خبرته بالطرق وبأخلاق أصحاب سوق السّلاح.

فإن من المفترض أن يكون الدكتور أبو أيوب في الفلوجة أثناء أحداثها الثانية لكنه ذهب يحضر بعض الأشياء وحُرِم من الدّخول.

ثم التقيت به بعد خروجنا وبدأ في نشاطه المعتاد، إلا أنه بدأ أكثر إلحاحاً على عملية استشهادية، ولكني كنت أمنعه نظراً لفائدته الكبيرة للإخوة سواء أكان في مجاله الطبي أم خبرته الواسعة في الكمبيوتر والإنترنت.

غير أن الرّجل بدأ يشتد حبّه وشوقه للعمل الاستشهادي، ولم يعد له صَبْر، حتى أنه قال إذا لم تأذن لي قد أذهب ولا آتي إليك، ولعلي أُنَفّذ في مكان آخر فلا يكونوا أمناء

عليّ فلا تحرمني من الأجر. وكنت أحاول تأجيله إلى أن لنتُ له على الرّغم من حاجتي إليه، وذلك عقب أحداث ملاجئ الجادرية حيث ازداد غيظه واشتدّ طلبه فضحكت وقلت أبشر بما يسرك إن شاء الله تضرب رؤوسهم في نفس المكان، اذهب مع فلان واستطلع فندقي الحمراء وأرض الزهور ففيهما ما تحب وإليهم تجد، ولعل الله يرزقك من رؤوسهم العفنة ما يرفع به درجتك ويشفي غيظك، وذهبَ واستطلع الهدف، ثم بشّرني برؤيا رآها للنبي ﷺ: كان هو يحفر فيها قبره، وكان داخله من فضة، وكان النبي ﷺ يوجهه في الحفر.

فقلت الحمد لله أمرٌ يوجه فيه النبي ﷺ لهو خير، والفضة خير من الذهب. ثم رآني في رؤيا أخرى وأنا أقول له أبشر فإن فيلق غدر (بدر) قد انتهى ولم يبق منه إلا الاسم، وفي نفس الليلة رأى عزيز عليه هاتف يقول له إن حكم الشيعة في العراق انتهى.

فقلت تحصد إن شاء الله من رؤوسهم الكثير الكثير، وهو ما تمّ والحمد لله رب العالمين.

وتعطلت العملية عدة مرات حتى أنه ركب السيارة وذهب ورجع لعوائق الطريق وغيره عدة مرات. لكن في ليلة التنفيذ كان أكثر انشراحا للصدر، وقال لي: إني اليوم منشرح الصدر وأشعر أني غداً سأذهب إن شاء الله، فذكّرته بالله والإخلاص وما ينبغي له فعله، ثم سألته السّلام على من سبق من الأحباب وخاصة رسول الله ﷺ وصحبه الكرام، ثم قال لي: (والله إني أحبك)، ففرحت بهذه الكلمة جداً وكأنما حزتُ الدنيا بحذافيرها فمثل أبي أيوب يحب مثلي إنه لخير كثير.

ثم استيقظنا مبكراً وودّعته ومما قال لي: (علم الله أني لم أذهب لوطنية ولا قومية ولكن دفاعاً عن ديني وإرضاءً لربي ولولا هذا ما ذهبت، إنه الواجب، إنه الواجب). ثم أوصى إخوانه الأنصار بالمهاجرين وودّع الجميع وانصرف يمخر إلى هدفه وقد رآه العالم وهو يقترب من حاجز على بعد ١٠ أمتار من فندق هو امتداد لفندق الحمراء وليطيره ويفتح ثغره لإخوة من بعده، أسأل الله أن يتقبل منه ويعلي شأنه ويرفع درجته. آمين.

وهذه رسالة من قريبة له:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فإنّ أخي محمدًا -رحمه الله- كان يحمل صفات الرجال منذ أن كان صغيراً، كان مصاباً بالربو وهو ابن عامين ولم يكن يتغفر قط من مرضه ... كان صبوراً هادئاً، من لا يعرفه يظن أنه ثقيل الدّم، ومن يعاشره يجده حلو المعشر خفيف الظل، بسيطاً رغم أن والديّ أعطياه من الاهتمام والعناية الشيء الكثير، أحبّه الجميع من الأقرباء والأصدقاء، لم أعرف له أعداء غير أعداء الله، كان -رحمه الله- والداً لنا رغم صغر سنّه، طيباً وحنوناً، عفّ اللسان واليد والنظر، أجرى عملية تصحيح لبصره لإصابته بقصر النظر، وعندما نسأله عن السبب يقول: كي أصيب الهدف بدقة، كان أعظم ما يكون سعادة عندما يتواجد مع إخوانه في الله ويعود بعدها والفرح يغمره، ولا يستقر له قدم ولا يهدأ له بال في البيت .. يقضي جميع حوائجنا بدون كلل أو ملل، ويسألنا أن ندعو الله له بالشهادة ويقول: أتمنى أن أستشهد وأتزوج من الحور العين، لا رغبة لي في نساء الدّنيا، أذكر أنه عندما كان طالباً في الثانوية .. يسألني عن صفات الحور العين وحسنهن وجمالهن فأقول له: والله لقد دعوت الله أن يزوجك لعبة، يقول: وما لعبة؟ فأقول: سيدة الحور العين مكتوب على جبينها (طوبى لمن كنتُ له)، أُصيب قبل خمسة أشهر بدمل في خاصرته فأجريت له عملية جراحية وأخبرني أنه عندما بدأ المخدر بالعمل: قال: (أحسست أن قلبي ينشد:

النور في عيوني *** والحور في يميني

ولازمني هذا الإحساس حتى أفقت من التخدير)، كان -رحمه الله- كتوماً فيما يخص عمله، لا يحب الرياء والتصنع ويكره الكذب وكان يخشى أن تفوته الشهادة لأنها فاتته عندما أجبر على ترك الفلوجة قبل الهجوم بليلة لسبب قهري، وطوال فترة العيد كان

يعاود الذهاب إلى عامرية الفلوجة ويحاول العبور ولم يفلح، وبقي حزيناً يتحين كل فرصة تأخذه إلى طريق الشهادة، كان يقول لي: يبدو أنني غير مقبول عند الله لأنني لم أستشهد لحد الآن، وخلال هذه السنة أتته -سبحان الله- فرص عمل ثمينة في إنكلترا والأردن وماليزيا وكانت فرص العمل والدراسة أمامه كثيرة والكل يعرض عليه الزواج ويلح الوالد عليه ويأبى إلَّا أن يقدم نفسه للإسلام.. كان يحب الحديث عن قصص الشهداء ويصبرني قائلاً: يا أختاه للشهداء كرامة تظهر بركتها على أهلهم وسيعوضهم الله خيراً عني، رأى بعد الاحتلال النبي ﷺ يلتجئ إلى دارنا ويطلب منه أن يحميه عنده، فأولتها له أنك ستصبح حامياً لدين الله ورسوله، توافقت رؤية لي ولأختي في العيد وقد رأينا والدتنا المتوفاة وهي بأجمل صورة وأبهى حلة وبوجه يضيء كالشمس وهي فرحة مسرورة وكانت آخر رؤيا له بعد أن رأى النبي ﷺ وهو يوجهه في حفر قبر لأيوب، وأخبرني أن داخل القبر من فضة ثم بات آخر ليلة قبل توجهه إلى إخوانه - في بيتي -، وبعد صلاة الفجر قال حلمت بأن ساعة يدي قطعت فأولتها له: لقد نفذ أجلك يا عزيزي والله أعلم.

وودعته ضاحكة وقبّلته وقلت له: لا تعد هذه المرة أبداً، ثم اتصل بي هاتفياً وصوته يضحك من السعادة ويقول لي: ألم تري رؤيا؟ قلت: لا، قال أنا أيضاً وشكا لي أن الأمر تأخر فقلت له لعل في ذلك صالحًا لك وودّعني.

كتب في وصيته لي: موعدنا في الجنة إن شاء الله يا أختاه واثبتي فإنك على الحق وأوصى بحربة لديه لابني المقبل وكتب لأختي: لا أستطيع أن أصف لك شعوري ومدى سعادتي بأن يختارني الله عز وجل لمثل هذا العمل .. هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

وأوصانا بتقوى الله عز وجل والصبر وعدم الحزن.

كان يردد آخر أيامه نشيد (اعذروني يا رفاقه -رفاك-)، وأنشدت معه نشيده المفضل: (ومجاهداً في الله ودع أهله).

قمنا آخر ليلة وصلّيناً معاً وأوصاني أن أرسل ملابسه وأغراضه إلى إخوته في الله.

كان يقول لي: (ليس لدي أفضل من هذا الجسد أقدمه فداءً للإسلام).

حزن لفراقه كل من عرفه لحسن خلقه وجميل طبعه.

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليك يا أيوب لمحزونون، ولكنا لا نقول ما يغضب الرّبّ، والحمد لله الذي شرّفنا ورفعنا بشهادة أخي الحبيب، نسأل الله عز وجل أن يغفر لك ويرحمك ويتقبلك وأن يرزقنا نهاية سعيدة كنهايتك يا أخي الحبيب) ا.هـ.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

العريس الشّهيد (٣٥)

شيخي العزيز الفاضل، حفظكم الله ورعاكم، وسدّد على دروب الخير خطاكم، أجمل ما في الدّنيا لقياكم، وأصعب ما فيها فراقكم، فهنيئاً لمن يلقاكم، أنا بانتظارك:

يا شيخنا لو زرتنا لوجدتنا *** نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل
يا شيخنا ما أجمل الدنيا بكمْ *** لا تقبح الدّنيا وفيها أنتمُ
ولئن سألت عن الأحبة من همُ *** فاعلم بأن جوابنا هو أنتمُ

أخوك الصغير: أبو الحسن

آخر رسالة من أبي الحسن إليّ.

تلك هي القصاصة التي أسرعتُ بجمعها لما سمعت هدير صوت الطائرات في الأفق القريب، وقد دخل عليّ أحد الإخوة والهم يملؤه قائلاً: (أباتشي، بلاك هوك، زنابير تقترب منّا)، فخرجتُ معه فإذا بإنزال بعيد بعض الشيء عنا، فقلت لصاحبي، وقد رجعت مسرعاً وأنا أجمع قصاصة من الورق كنت لتوّي قطعتها: بس لا أبكي اليوم على أبي الحسن. قال: (إن شاء الله، لا يكون)، قلت: الطيران في منطقته والله أعلم، يا شباب ادعوا لإخوانكم واسألوا الله العافية.

ثم اقتربت الطائرات من بيتنا، بل أخذ حوله دورة غريبة ملفتة للنظر، فوزعت الإخوة مجموعتين للقتال إن حدث مكروه، وكانت عين الخيانة من نصيبنا هذا اليوم. لم أستطع أن أخفي ما في نفسي من أن يكون الإنزال على بيت حبيبي ونور عيني (أبي الحسن) فأرسلت من يستطلع الأمر، فإذا بصبيان المدارس يقولون هناك قصف لمنزل. فزادت حرارة المصيبة في قلبي، ففي ظني ليس في المنطقة المرادة إلا إخواني، وبعض عصابات التسليب لا حاجة للمحتل في القضاء عليها، بل الحاجة الماسة في بقائها لتشويه صورة المجاهدين.

ثمّ جاء الناعي ليُلقي عليّ صاعقة طار لها فؤادي من مكانها، الإنزال والقصف على بيت أبي الحسن، فهدّني الخبر وتحجّرت الدّمعة في عيني أو هكذا أردت أمام إخواني، ثم سألت عن باقي الإخوة أكانوا عنده في المنزل، فقالوا في الغالب نعم.

قمتُ من مكاني وأردت أن أخلو بنفسي فإذا بأقدامي لا تقوى على الوقوف، ومشيتُ أترنح إلى غرفتي كأنني سكران أو به مس، ووالله لفقدي لأبي الحسن شديد شديد، (اللهم اجبرني في مصيبتي وأخلفني خيراً منها).

من هو الحبيب؟

هو الداعية الموفق المُسدّد، والمجاهد البطل المغوار، والأخ الناصح الرحيم، والأمير الهمام الإمام، الصادع بالحق القائم به، والمبتلى في ذات الإله. هو الأخ الشهيد أبو الحسن الشرعي (علي..).

قَدِمَ الشهيد نحسبه والله حسيبه إبان معركة الفلوجة الثانية تاركاً وراءه من يلهث إلى جاه العلم ويتكسب به، غير آبه بتلك الدعوات الرخيصة والتي عرضوها عليه من عمل في الهيئات الخيرية وقيادة بعض المؤسسات الانبطاحية، ومستعيناً بالله وبما أنعم الله به عليه من علم شرعي، غير آبه بشُبه المخذلين والمرجفين والقاعدين القائلين: نُحَصّل مزيداً من العلم ثم نلحق بالركب، وكلما حصل العالم وكما هو معروف يشعر بالجهل، فلا حدود للتحصيل، والشيطان من ورائهم يزين فكرتهم ويسوقهم للهلاك.

ولكن أبا الحسن عرف انطلاق إبليس وأعوانه، فشمّر واستعان بالله ومضى غير آبه بدعوات المخذلين، وكيف لا وهو من يعرف هؤلاء المرجفين فقد كان يدعوهم إلى مدينة جدة ويقوم على شؤونهم في معسكراتهم الدعوية.

فقد عرف حرصهم الشديد على الجاه والسلطان، أعني سلطان العلم، ومما قال لي، قال: اتصلت على أحد هؤلاء فاشترط أن أحجز له في الطائرة حتى يأتي هو ومن معه، ثم اشترط أن تستقبله سيارة فارهة من نوع كذا، وآخر يشترط أن يكون عدد الحضور في

المسجد يزيد على كذا شخصا، وآخر يشترط أن يكون الطعام من مكان ما، وأن يجهزوا له رحلة بحرية، وهلم جرّاً من هذه المخازي، فقال الرجل: هل هؤلاء حقاً يريدون أن يُحَصّلوا مزيداً من العلم ثم يلحقوا بركب الجهاد، أم هي خدعة إبليس أوحى بها إليهم ليثبّطوا الشّباب عن اللحاق بركب الجهاد.

وما أن وصل حتى سجّل اسمه في قائمة الاستشهاديين وسجّل وصيته ثم قدم مع من قدم من الإخوة الاستشهاديين للمشاركة في عملية أبي غريب المباركة، ولما علم الأخ المسؤول بأن هذا الرجل من أهل العلم الشرعي ومن حفّاظ كتاب الله والمهَرَة فيه تم استبعاده من العمل الاستشهادي على كُرْه منه. ثم أخذ الشهيد دوره كداعية بين إخوانه فطاف قرى المنطقة صادعاً بالحق وناصحاً ومذكراً، وهو مع ذلك لا يترك الحراسة والرباط ويتنقل مع إخوانه يخفّف عنهم الآلام ويرسم البسمة على وجوههم، وكانت حريصاً على محبة إخوانه له، فما ترك منطقة إلا حلّ عليها داعية، وكلما أرادت مجموعة أن يلحقوا بركب القاعدة المبارك، كان يُكَلّف أبو الحسن بأن يعطي دورة شرعية لهم ثمّ يعطي رأيه بعدها في مدى صلاحية المجموعة أو بعضهم وكان تواصله مستمرًّا مع أئمة المساجد في المنطقة يحثهم على الخير ويذكرهم بالواجب الذي كتبه الله عليهم من قول الحق وتعليمه للناس وعدم الخوف إلا من الله.

ثم هو مع ذلك مجاهد صنديد أذكر أن العدو داهم المنطقة التي كان بها وحوّلها إلى معسكر، فما ترك المنطقة بل شكَّل مع مجموعة مع إخوانه مجموعة فأرعبوا الأمريكان وقعدوا لهم بحق كما قال الله كلّ مرصد، فكانوا يتربصون بهم ويزرعون العبوات خلفهم حتى فتح الله عليهم في زمن يسير، فقد قتل الله على أيديهم خلال شهر واحدٍ ما يقارب المائة مرتد وكافر، حتى زُرِعَ الرعب في قلوبهم فلم يقتربوا بعد من طريق الموت وهو في كل يوم يخرج باسم الثغر، فأقول له إلى أين؟ يقول إلى الأمريكان، والبسمة تعلوه، فأقول حافظ على نفسك وإخوانك ودائماً يردد الحافظ الله.

شارك الحبيب في عملية اقتحام مركز مكافحة الإرهاب وصوّر بعض وقائعها بكاميرا كانت معه. ومما يدل على شجاعة الرّجل ورباطة جأشه وحُسْن تدبيره أن العدو الأمريكي داهم يوماً منطقة صدر اليوسفية وطار الخبر إليه وإلى إخوانه فأسرع إلى مكان الحادث وبدأ يرتب الإخوة ويُنظّم أمورهم فوضع مجموعة جهة الناظم وأخرى في البساتين وهكذا حتى أحسن الطوق حول الأمريكان ثم كبّر وأمر بالضّرب، فما شعر العدوّ إلا ونيران المجاهدين تحصدهم من كل جانب وبدأت دماؤهم تسيل غزيرة. وأخذ أبو الحسن يضحك لما رأى ذلك المنظر الغريب أعني به منظر أبي رضوان وهو يصوب الأحادية على الهمر وقد ركبها على سيارة بيك أب وبدا المنظر غريباً، هيَّا تواجه همر، هذا يضرب والأخ يضرب فما سكتَ أبو رضوان حتى حول الهمر إلى بركة من الدّماء.

ثم بدأ أبو الحسن يسحب المجموعة ويضع مكانها مجموعة أخرى حتى استبدل جميع المجموعات بأخرى جديدة فلما سُئِلَ قال، فرصة يتدرب الإخوة على دماء الأمريكان. وثانياً حتى تستريح المجموعات القديمة، وثالثاً لأن عتاد المجموعة الأولى أوشك على النفاد، ورابعاً همة ومعنويات المجموعات الجديدة تكون بعد في أوجهها، وظل يدير المعركة حتى كبّد العدوّ خسائر كبيرة، وانسحب يجر الخذلان والهزيمة تاركاً بقع الدماء، وساحبًا عشرة من الجيف معه.

و قد عُرف عن أبي الحسن قدرة على الإقناع عجيبة وخاصة عند شيوخ العشائر، فقد كان يزورهم ليحل مشاكل المجاهدين معهم بل ومشاكلهم العشائرية. وطار اسم أبي الحسن في المنطقة فأصبح كأنه نار على علم، ففرح الصديق واغتاظ المنافق. وتم تعيينه مسؤولاً شرعياً لكتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونائباً لأميرها ثمّ عُين مسؤولاً شرعياً لحزام جنوب بغداد ثم تم أخيراً تعيينه أميراً لكتيبة أم المؤمنين عائشة في بغداد وهذا قبل استشهاده بأيام إلا أنه لم يزاول مهامه.

طلب مني الشهيد يوماً الزواج، فقلت أجتهد لك في الصالحة إن شاء الله، وبالفعل تم ذلك وعقدتُ له على امرأة صالحة من بيت صالح، فلقد وافقت مباشرة لما علمت أنه

حافظ لكتاب الله وأنه مجاهد وعنده طلب للعلم الشرعي، فقالت الحمد لله هذا ما كنت أودّ وأطلب رجلاً يعلمني أمر ديني ويعينني عليه. وزُفّت العروس إليه واجتمع شمل العروسين في بيت قريب مني، فأرسلت بعد يومين رسالة له، أطمئن عليه وأعرف هل صح ما كنت آمل من المرأة، فإن أبا الحسن تزوجها ولم يكن قد رآها وإنَّما طلب الدين على نصيحة مني، (أُطْلُب الدّين ترزق الجميع) شرط صدق النية، فأرسل إليّ حامداً الله وشاكراً لي تلك الهدية قائلاً: (الحمد لله لقد رُزقت ما يقرُّ العين ويريح القلب)، ثم قال ممازحاً لقد آن الأوان أن أكتب كتاب: (المباح في الليالي الملاح)، ثم بدأ يحكي لي بعض فصوله في دعابة ظريفة وأدب جم عرفت ساعتها أن نفسية الرجل في أحسن أحوالها وأن المرأة قد وقعت منه كل موقع، فحمدت الله وشكرته على التوفيق والسّداد.

وبعد نحو من خمسة أيام زارنا في البيت الذي كنت فيه وطلب أن آتي عنده فوعدته في اليوم الثاني، ثم حكى لي موقفاً سرّني وأظنه يسرُ كل مسلم. قال: تعلم يا أخي أن الإخوة الاستشهاديين عندي في البيت (وكان عددهم سبعة، تقوم العروس على خدمتهم من طهي وغسل للملابس، فمن مثلها، بنت الأكرمين وفي أول أيام عرسها تطهي وتخدم المجاهدين، وتحتسب الأجر والفرحة ملءُ عيونها)، قال: (جاء الخبر أن الأمريكان يريدون أن يفتشوا المنطقة، فقلت لزوجتي: اخرجي إلى بيت الجيران، فإن جاءوا فسوف نشتبك معهم، فلا مجال للخروج من البيت، فقالت: والله لا أخرج أعطني حزامك الناسف ألبسه، فإن جاءوا، قمت بما يرضي الله)، قال: (فألبستها إياه فضحكت وأخذت في الغسل والطهي وكأن شيئاً لم يكن). وفي اليوم التالي لم أستطع الذهاب، ثم أرسل إلي في اليوم الثالث هذه الرسالة سابقة الذكر والتي صدرت بها الكلام عن الرجل، إلا أني استخرت الله ولم أذهب لعارضٍ يتعلق بأمور العمل.

جاء الطيران التابع لـ CIA طبقاً لمعلومة أو قرص من جاسوس أو عين باع دينه بدراهم معدودة فحسبنا الله ونعم الوكيل، وقبل نزوله أسرع الإخوة واشتبكوا معه إلا أن عدوّ الله أمطرهم بوابل من الصواريخ والرمانات والبكتا عيار ٣٠ ملم، ثم حولوا

البيت ركاماً، فانكشفت الجريمة على استشهاد العروسين وعشرة من الإخوة، سبعة استشهاديين وثلاثة كانوا في زيارة لهم من الإخوة الأنصار.

تبقى هناك بعض المحطات في حياة أبي الحسن أحبُّ أن أشيرَ إليها إشارة:

أولاً: أن الشهيد العريس، رزقه الله حبَّ إخوانه بما آتاه الله من حسن خلق وأدب جم وتواضع غريب وشجاعة فائقة، فلقد أسر بدماثة أخلاقه وحسن عباراته كل من رآه من المهاجرين والأنصار.

وإني أُشهِدُ الله أني ما أحببت فيما أعلم ما أحببت أبا الحسن، وما أظن أن أحداً أحبني مثله أيضاً فقبل مقتله بيوم قال لي مداعباً والله لو شققت قلبي لوجدت محفوراً فيه (فلان) يعني العبد الفقير، وإني لأرجو من الله الخير وصلاح الحال بحبه لي وعسى ربي ألا يخيب ظنه فيّ فألحق به على صلاح في الحال وشهادة في سبيله.

غير أن هذه المحبة التي رزقه الله إياها، لم تكن هدفاً له مع كل أحد بل كان الشهيد الداعية حرباً وسيفاً على كل منافق زنديق وشديداً مراً مع كلّ مراوغ يتاجر بالجهاد وأهله. فطار اسمه في آفاق المنطقة حتى زرع الرعب في نفوس قطاع الطرق إلى الله والناس، فكرهوه من أعماق قلوبهم، وبدؤوا يُعِدُّونَ له العدة ليستريحوا منه حتى حلف بعضهم جهاراً نهاراً أنه لن يهدأ له بال حتى يقتل أبو الحسن. ثم حمل راية هذا العداء بعض المنافقين المنتسبين إلى الجهاد، والذين ما عرفوا الجهاد إلا تكسّباً للمال ووجاهة في الناس وهذا بالعراق كثير، بل غالب.

فلقد قدمت هذه البلاد مبكراً وقبل السقوط بستة أشهر وأعرف نفراً من هؤلاء بأعيانهم حفاة عراة يأكل الجوع بطونهم وهم اليوم يركبون أرقى السيارات ويلبسون أحسن الثياب بل ويمتلكون قطعاً من الأراضي وتجارات سريّة، وبعضهم علنيّة باسم تحصيل مكاسبها للجهاد، واضعاً في حسابه إن مات أن تذهب لورثته بحكم القانون وقد حدث مثل ذلك كثير.

أقول أخذ قطاع الطريق يثيرون الغبار حول أبي الحسن خصوصاً والمهاجرين عموماً فأصاب الشهيد من ذلك أذًى كثيرٌ وهمٌّ عظيمٌ، فجلس في البيت والحسرة ملءُ فؤاده والدمعة ملءُ عيونه، وكان يردد آخر أيامه إن متّ أموت وفي قلبي حسرة وألم.

و لعل هذه البلبلة وهذا البلاء كانا سبباً في صفاء نفس صاحبنا وتهيئة قدرية للقاء رحمن رحيم، وقد برزت نفسية أبي الحسن واضحة في كلمته المفعمة بالمشاعر والآلام والتي ألقاها عقب سقوط طائرة الأباتشي في اليوسفية.

المحطة الثالثة: أن أبا الحسن كان محطّ ثقة أمرائه في تنظيم قاعدة الجهاد بل كان له من ذلك النصيب الأكبر. إذ قال لي يوماً أسد الرافدين، أود أن أُحضر أبا الحسن ليبقى معي يعينني وأستشيره وحتى إن حدث مكروه لفلان يكون هناك خلفاً له. ولقد عيّنه أميراً لبغداد في الفترة الأخيرة ثقةً منه أنه الرجل المناسب في المكان المناسب وحتى يصلح أمور بغداد بما فتح الله عليه وجمع له دون غيره من دراية شرعية وعسكرية وإدارية ومحبة الخلق. وكنت دائماً أحلف لأسد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- أن أحق الناس بإمارة بغداد وأحزمتها هو أبو الحسن، فقط عيبه صِغَرُ سِنّه إذ أنه يبلغ من العمر خمساً وعشرين عاماً فقط، لكن السّبق سبق صفة لا سنّ ولا زمان. وصلّى الله على نبيّنا مُحمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أبو عزام (٣٦)

هو أمير الأمراء، وسيّد الشّهداء، صاحب الخُلُق الرفيع، والأدب البديع، من جواهر العراق النبيلة، ومعادن الأنبار الأصيلة، من يملأ العين مهابة، والقلب محبة، هو للتوحيد علَم، وللجهاد راية، وللأعداء نكاية، طارت بذكره الرُّكْبان، وانقاد له الشجعان، هو الإداري المحنك والخطيب المفوّه، فمن هو ذاك الأسد.

هو الشيخ عبد الله، من أبناء مدينة الفلوجة الأشاوس، وصاحب الكلمة المسموعة، كان إماماً وخطيباً لجامع (المهاجرين)، وسبحان من جعل للأسماء من مدلولاتها حظًّا ونصيباً، فإن الله الذي خلق الخلائق قدّر الأسماء على مسمياتها، وقد ألّف علماء البيان –كابن فارس– في دلالة المبنى على المعنى حتى غدا أخيراً علماً مستقلاً تحت اسم (علم الدَّلالة)؛ فالطاغوت مثلاً ترى في مبناه حروف التفخيم والاستعلاء ظاهرة، كما أن (الزهرة) فيها حروف الترقيق واضحة، ووالله إنّ ذلك في لغة الضّاد أوضح من الشمس في كبد السّماء.

لكن –وسبحان الله– فباستقراء أحوال كثير من الأسماء وجدتُ أن الإنسان له حظٌّ كبير من اسمه، مما يظهر بجلاء أن ذلك مُقَدّر ولو كنا نجهل ذلك،

كما قيل:

وقلما أبْصَرَتْ عيناك من رجل *** إلا ومعناه إن فتَّشْتَ في لقبه

ولذا كان جامع (المهاجرين) له من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وكان إمامه الشيخ (أبا عزام) من أولئك النفر القليل الذين كفّروا البعث ونقموا عليه وأعدّوا له العُدّة؛ فقد انتظم مع مجموعة من طلبة العلم سرّاً وتعاهدوا على نشر عقيدة التوحيد ومحاربة البدع والخرافات والشرك والضلالات، فالدروس والمحاضرات والكتيبات والمطويات والأدب الرفيع والنصيحة الرقيقة والبسمة الحنونة كانت من وسائل أبي عزام في الدعوة إلى الله.

كما أن الرَّجُل لم يُهْمِل نفسه فاجتهد عليها غاية الاجتهاد؛ فحفظ كتاب الله وصار صاحب باع في الحديث، حيث درس الكتب الستة ودرّس إخوانه الصحيحين: للبخاري ومسلم، وأخذ ما يغنيه من فنون اللغة وآدابها.

ثم جاء المحتل إلى أرض الرافدين يختال الهُوَيْنى، بين طيّاته غزو الروم، يحمل مزمارهم أبناء فارس وحقد المجوس.

وحانت لحظة الصدق والوفاء، فوقف أبو عزام مع نفسه قائلاً: (هذا الجهاد الذي كنت تتَمَنَّيْنَه قد جاء إليكِ في دارك، والعدوّ عَبَرَ المحيطات ليقف أمامك، فهل أنتِ مجيبة داعي الله: {انفروا خفافاً وثقالاً}، أم أحملكِ على هذا مجبرة مكرهة؟ فأجابته هينة لينة قائلة: وهل أعصي مثلك وأنا العارفة بحزمك وعزمك؛ فامضِ بي حيثُ شئتَ).

وكلّ ذلك والعبد الفقير يُعِدُّ العُدة ويتلفت وراءه وأمامه ليرى إخوة الدعوة والبيان، فإذا بجهلهم في أحضان الذلة والخذلان، فحاول واجتهد، فأجابه من لم يكن قد طمر الطين بعد أذنيه وطمس عينيه، وراح الجميع ينفضون عن أنفسهم ركام الغفلة وينظفون أوساخ المعاصي، وتعاهدوا على أن يكون بارود المدافع طِيبُهم وزَخَّات الكلاش بيانهم، وأصوات المدافع صهيلهم، وعلى الجملة الجهاد في سبيل الله سياحتَهم.

فجمعوا السلاح وخزّنوا المتفجرات وكدّسوا العبوات، وأخذ جمع السلاح بأصنافه منهم الكثير، ثم وقف أبو عزام يوماً مع نفسه قائلاً: إلى متى جمع السلاح وهل هناك نهاية لهذا الأمر، ألا يمكن الجمع بين هذا ونزال العدوّ فقد بدأ طغيانه يفوح مع بوادر تشمير المجاهدين، والتفت فلم يجد حوله من يقود الجهاد ويسير به إلى بر الأمان ففنون الحرب ليسوا أهلاً لها، كما وأن حزب البعث أبعد الناس عنهم مسلكاً.

و في تلك الفترة التأملية والرحلة البحثية نزل عليهم أسد الرافدين ضيفاً وداعية إلى الجهاد في سبيل الله، بعد أن مهّد له إخوة أفاضل كرامٌ أشاوس وعلى رأسهم الداعية الموفق والمجاهد المسدد الأخ (أبو يوسف) فك الله أسره من سجون طواغيت الأردن، حيث أسلما إليهم أسيادهم الأمريكان ليجد حكماً بالإعدام أمامه.

فجلس الجميع يوماً مجالسَ صدق وأرادوا أن يضعوا الحروف على النقاط والطلقات في السلاح.

جلس أبو عزام وإخوانه وعلى رأس مجموعته أحد شيوخه وجلس الشيخ أبو مصعب وأبناؤه، وقال لهم: اليوم نريد العمل، وقد مضى عهد الكلام، وما جئنا هنا إلا للنزال ولكم عليّ أن أستعين الله في جلب رجال الحرب وأبطالها وأبناء الشهادة وعشاقها، فكونوا لي ظهراً أكن لكم يداً، وما نحن إلا جنود جئنا لخدمة الدين وإقامة شِرْعَة رب العالمين، فكان رد الحاضرين -أو جُلُّهم- أنك أنت الأمير ونحن لك جند فامضِ بنا على بركة الله، لكن أسد الرافدين امتنع من ذلك وأبى أشد الإباء، فما زال القوم به حتى حملوه على ما أرادوا حملاً وأكرهوه عليها كرهاً فاسترجع وحوقل وقَبِلَ البلاء على مضض.

ثم أطلق فيهم زئيره، وأوقد فيهم الحماسة في نفوسهم واستنهض الهمم الأبية بين طياتهم فأجابوه جميعاً إلا شيخ الشيخ أبي عزام أكله الحسد وتمنى أن يكون الملأ اجتمعوا عليه على الرغم أنه رفض ذلك أول الأمر متظاهراً بالنسك ومتورعاً عن قيادة الركب، فلما سار بالركب غيره أنفت نفسه وانحرف ليسير في اتجاه آخر.

واستمسك أبو عزام بما اجتمع عليه القوم وسار مع أسد الرافدين أخاً وناصحاً وصديقاً وفياً وجندياً مخلصاً فما وَهَن وما بدّل إلى أن لحق بربّه واستراح من دنيا العبيد.

و إليك أخي ما أعرفه أنا وما كنت عليه شاهداً في رحلة الأسد الطويلة في غابة الأمريكان.

نسيت أن أقول: إن عدة من اتفق مع شيخ المجاهدين وأسد الرافدين على الجهاد في سبيل الله كانوا اثني عشر رجلاً ليس منهم اليوم في بلاد الرافدين فيما أعلم إلا اثنان.

وسبحان الله، كان عدد من بايع النبي ﷺ في العقبة الثانية من الرجال اثني عشر رجلاً وكان نقباء بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، وسبحان من عَقَدَ الأمور على هذا النحو العجيب من التوافق، وهذا وربّي مَظِنَّة التوفيق.

لن أتكلم عن حياة أبي عزام الجهادية وعن دوره في تلك العمليات الصغيرة والكبيرة بدءاً من اغتيال (باقر الحكيم) ومروراً بالأمم المتحدة وغيرها، ولكنّ أبا عزام في أرض الرافدين علَم وأسد، فلم يتوقف صهيله ولم نجهل زئيره في أي موضع من المواضع وخاصة في ملاحم الإسلام ببلاد الرافدين، بل لم يكن فيها قط إلا رأساً ولا لها إلا قائداً وشيخاً.

وأول تلك الملاحم الكبرى والعمليات العظمى، معركة الفلوجة الأولى، أعني بها أول مرة نزل جنود محمد ﷺ إلى الفلوجة وسيطروا عليها سيطرة تامة وأسقطوا مديرية الأمن و(القائممقامية) وانسحبوا تاركين وراءهم العدو في دمائه وحيرته بعدها اجتمعوا صفاً ليدرسوا آثار هذه الغزوة المباركة والتي كان قائدها وبطلها الأسد المحنك الأخ (أبا فارس الأنصاري).

كان الشيخ أبو عزام هو المشرف الرئيس على تلك العملية المباركة، وأول ما أراد الفتى أن يتعود الإخوة النزال ويكسروا هيبة الأعداء وتنغمس أيديهم في الدماء أعني دماء العدو فتطيب قلوبهم وتقوى نفوسهم ويستهينوا بعدوّهم ويغرسوا في قلبه شوكة وبين ضلوعه رمحاً لا يزول إلا بروحه وقد كان؛ فقد كانت هذه الغزوة كما أسلفنا لها ما بعدها من الأثر في المعارك التالية، ثم جاءت معركة الفلوجة الأولى -وقد سبق أن نوهنا بعض الشيء على ملابسات قيامها وبعض معاركها وقد ألف الشيخ الفاضل أبو أنس الشامي فيها كتاباً أسماه (معركة الأحزاب) بيّنَ فيه بعض أيام الفلوجة وشيئاً من سيرة رجالها وكان أبو عزام أحد هؤلاء الرجال، بل كان سيّد الرجال وشيخهم حيث كان أمير الحرب في تلك المعركة- وكان أبو عزام الأمير العام للفلوجة، وقد حمل الرجل العبء الثقيل واستعان بالله ومضى.

مضى يشد العزم ويسد الثغر، ويرفع الهمة ويقوي الشوكة، ويهدد العدو ويُمَنِّي الصديق، ويتنقل بين الجبهات مُرَبِّتاً على أكتاف الرجال يبث فيهم روح الإباء والفداء ويذكرهم بالصدر الأول والجيل الأوحد أصحاب رسول الله ﷺ قائلاً: (والله لست أشك أنكم تقفون اليوم موقف الأنبياء والمرسلين وتسيرون على خطى الصحابة والصادقين، وهذا إمامكم عبد الله بن رواحة يقول يوم مؤتة: والله إن الذي ترهبون للذي تطلبون، فسيروا على الدرب وشدوا العزم والهمة وإنما النصر صبر ساعة، والله يا قوم إن الله علينا مطلع ولدينه حافظ ولعباده ناصر ولعدوه قاهر فاتقوا الله وسيروا على بركة الله).

وجاءت مسألة المفاوضات وكَرِهها الأسد كرهاً شديداً ورفضها رفضاً مبرماً وبعد أيام اتصل بالإخوة خارج الفلوجة، فإذا بهم يخبرونه أن ما يسمى بـ(الحزب الإسلامي) أخبرهم أن الإخوة في الفلوجة قبلوا المفاوضات وأن الشباب اقتنع برأيهم وألقى السلاح وبدأت أرتال العدوّ يدبّ فيها النشاط بعدما طاردها المجاهدون في الطرقات حتى أشرفوا على الاستسلام، وبدأ حراس سجن (أبي غريب) يُعِدُّون العدة للهروب بالاتفاق مع السجناء على ألا يقتلوهم ويؤمّنوهم، فجاءت بادرة الحزب الاستسلامي خيرَ منقذ فسدّت فوهات مدافع البسطاء من المجاهدين وخذلت وأَرْجَفَت نفوس ضعفاء الناس والمساكين الذين ظنوا أن ذلك في مصلحة المجاهدين.

وما دَرَوا أن العدو بدأ بنشاط من جديد وأخذ يصب جام غضبه علينا في الفلوجة، فاسترجع الجميع وبدأنا من جديد نملأ المخازن والتي لم يبق لملئها إلا القليل حتى جاء نصر الله ومنّه.

وقد كان الشيخ أبو عزام يراسل أسد الرافدين وشيخه أبا مصعب بتقريرٍ مفصل يومياً عن أحوال الجبهات والمعارك والسلاح والإخوة، قتلاهم وجرحاهم وما لا بدَّ منه، ويتلقى التعليمات والنصائح كذلك يومياً عن طريق أخٍ كريم بذل في ذلك مهجته.

ومن النكات التي تحضرني في هذا الأمر أن الأخ الذي كان يحمل الرسائل جاء ليأخذها من أبي عزام وكان أبو عزام لم ينته بعدُ من كتابة تقريره اليومي وبدأت ملامح الظلام تدخل ولا بد أن يغادر الرجل وهناك بصيص ضوء. وأخذ الشيخ أبو أنس يحث أبا عزام على سرعة الانتهاء فلما لم يجد لذلك أملاً، قال له: (مشكلتك يا أبا عزام أن عندك سمعاً وطاعة أكثر من اللازم)، فضحك الرجل وضحكنا وانطلق البريد.

وانتهت معركة الفلوجة الأولى، وبدأت معركة أخرى، معركة مع أهل الزيغ والضلال معركة مع خفافيش الظلام وكما يسميهم العراقيون (كلاب الطق) أي إذا انطلقت الرصاص طارت الأفئدة وطاروا معها خارج نطاق النزال.

بدأ الفتح وحطّ معه سيل جارف من أولئك المنتفعين وأشهروا سلاحهم في الطرقات وبدؤوا يحتفلون بالنصر وأنهم فرسان الميدان وأبطال النزال، يدفعهم في هذا الاتجاه، طغاة الحزب الاستسلامي ورؤوس أهل التصوف العفنة أعني بهم أهل الشرك والدروشة.

وكان مكسب هذه المعركة لا يقل أهمية عن رحى الحرب فثار أبو عزام مهدداً ومحذراً أن المدينة لن يحكمها إلا من جاد فيها بالنفس والنفيس ولن يكون لمن خرج منها يحمل الخزي والعار إبان القتال نصيب من الرأي والحكم، ولن نقبل أن تضيع وتسرق ثمرة الجهاد ونصب الجياد.

واتفق الجميع على ذلك؛ فتم تشكيل (مجلس شورى مجاهدي الفلوجة) من شباب التوحيد وممن شارك الجهاد من غيرهم، وكان حتماً أن يكون أبو عزام عضواً لهذا المجلس فتم تعيينه (عضو مجلس شورى المجاهدين)، والحق يقال: إنه كان صاحب الكلمة الفصل في هذا المجلس نظراً لأنه يقود كتلة التوحيد ومن انضم إليهم في المجلس فكانت لهم الغلبة والكلمة.

ومضت القافلة وبدأت مرحلة البناء، بناء المدينة نفسياً وعمرانياً وعسكرياً، وبدأ أبو عزام رحلة شاقة أخرى واصل فيها الليل بالنهار، كما بدأت في الأفق مراحل بناء أخرى

حيث بدأت تتوافد إلى الفلوجة فرسان الجهاد وأمراء المجاميع يريدون اللحاق بركب التوحيد والجهاد.

وبدأ معهم أبو عزام بالإضافة إلى الشيخ أبي أنس هذه الرحلة فطافوا البلاد ليجمعوا الناس على كلمة الجهاد، فأحكموا سامراء وأسّسوا الموصل وكتّلوا بعقوبة ورتّبوا الأنبار وغرسوا في كركوك وزرعوا الأمل في البصرة. رحلات مكوكية كانت لها كبير الأثر في بناء جيش الجهاد والتوحيد في هذه البلاد.

ومضت القافلة وبدأ العدو يستخدم تكتيكاً جديداً في الحرب بقصف الخطوط ثم البيوت ثم بيوت العائلات، واقترح الإخوة وعلى رأسهم أبو عزام الشيخ أن يُؤْوِي كل بيت من الأنصار رجلاً من المهاجرين حتى نتلافى قصف تجمعات المهاجرين. ولكن هذا الاقتراح لم يجد له أثراً أو نصيبَ قبول، ولذلك انتشر الشباب في الطرقات يفترشون الأرض ويلتحفون حر السماء وكان منظرهم يقطع الأكباد، وكان أبو عزام الرحيم الرقيق يموت ألماً ويهرم خجلاً لما يرى من هذه المواقف.

ومضت القافلة وبدأت ريح مسمومة تهب من قبل الأمريكان تنذر بحرب طاحنة أخرى وبدا العدو لها هذه المرة أكثر استعداداً وأكثر حقداً وغيظًا.

و على العكس بدا الصديق لنا مخذلاً والمحب مبسطاً إلى حد كبير جداً، حتى قال أحد أمراء هذه الجيوش الإسلامية للشيخ (أبي الليث) عندما سمعوا خبر بدء معركة الفلوجة الثانية حيث رآه الشيخ أبو الليث غير آبه ولا مهتم يضحك وينشد، قال: (كأن الفلوجة لم تبدأ بها الإبادة أو ما تسمع)، فكان الرد كالصاعقة والحقد كالسم، قال: (اسمع يا أخي، الفلوجة انتصرت مشكلة، وانهزمت مشكلة)، فقال له أبو الليث: (انتصرت مشكلة، والله لا أجلس معك في بيت ولا يظلنا سقف واحد، ووجهي من وجهك حرام، يا أيها الشيخ السلفي)، وخرج من بيته الساعة الحادية عشرة ليلاً.

و هذا حال أمراء الحرب المزعومين ولك أن تعرف أحوال عامة الأمة.

واتخذ أبناء (قاعدة الجهاد) قرارهم النهائي أن (نموت شرفاء خير من أن نعيش أذلاء) ولا نكسر قلوب أمتنا في أبنائهم وحبذا الموت دفاعاً عن الدِّيْن وحمى العقيدة ولتكن الحرب فلها فرسانها نصراً أو شهادة.

وكالعادة تمّ تعيين الشيخ أبي عزام أميراً عاماً على الفلوجة وقائداً للمهاجرين والأنصار.

وبدأت الحرب، ونزل معها البلاء كالسيل الجارف ولاحت فتنٌ كقطع الليل المظلم وبدأ الحصار يشتد على فرسان الجهاد فقُطِعَت المياه ونَفِدَ الطعام وقُصِفَت المستشفيات، وبدأت الدماء تسير أنهاراً ودموعنا تسيل معها دماءً، وبدأ الفرسان يرحلون عنا الواحد تلو الآخر.

وبدأ منظر الجرحى يقطع الأكباد، فلا دواء ولا ماء ولا أطباء ولا شيء على الإطلاق.

أذكر أن أحد الأحباب أقدم شاكيَ السلاح على عدوه فرجع بطلقة في رأسه واحتضنته وبدأ ينزف بين يدي ساعتين يشتكي إلى الله ظلم الأمة وخذلان الصديق، ودموعه تختلط بدمائه وآهاته تُبْكي الكفور، ولا يجدي بكائي له شيئاً حتى مات بين يدي شاهداً على ظلم الأمة وخذلان بني الجلدة، وإلى الله المشتكى.

فلم يهن أبو عزام ولم يلن بل بدا صلباً جلداً على الرغم من رقّة قلبه المعروفة وحبّه المفرط لإخوانه وكان يقول: (الموت في سبيل الله غاية).

وكان من كراماته أنه لما قُسمت المدينة قسمين شمالي وجنوبي وانحزنا في الجزء الجنوبي بدأنا نعد العدة للكرّة مرة أخرى على القسم الشمالي وتمّ تعيين الأخ القائد أبي ناصر الليبي لهذه المهمة فقال له أبو عزام: (إن شاء الله يا أبا ناصر تُصَلّي الظهر في جامع أبي عبيدة والعصر في الفاروق)، فضحكت في نفسي وقلت: (الرجل يحلم، هل نستطيع

أن نوغل في العدو إلى هذا الحد)، ثم حتى إذا وصلنا إلى تلك الأماكن هل يتوفر الأمن للصلاة في هذه المساجد؟

وبدأ أبو ناصر كالأسد يهدّ الصفوف هدّاً مع إخوانه، وسبحان الله مع تكبيرة الظهر وصل إلى جامع أبي عبيدة ودخل مع بعض جنوده وصلّى فيه الظهر. ثم بدأ مستعيناً بالله الكرّة مرة أخرى يهدّ صفوف العدو ويُفرّق جمعهم ويشتت صفوفهم حتى وصل مع تكبيرة أذان العصر إلى جامع الفاروق. ودخل مع بعض جنوده وصلّى فيه العصر، ثم مال عليهم العدوّ بعنف وقوة فانحاز مع إخوانه إلى الموضع الذي خرج منه مستغرباً من فضل الله وبرّه بكلمة الشيخ أبي عزام.

واستمرت المعركة، وبدأ انحياز آخر لكن هذه المرة في القسم الجنوبي، فانحاز أبو عزام مع رفقة صالحة تعدادهم ثلاثة منهم عبد الرحمن البصراوي سائق الشيخ أبي مصعب وموضع سره.

ودخل العدوّ عليهم البيت وأمطروهم بوابل من الرصاص ودخل جندي وأطلق رصاصة واحدة في رأس كل واحد منهم ليتأكد من وفاته، وكان من بينهم الشيخ أبو عزام رحمه الله، وبعد ساعات بدا لأبي عزام أنه حيّ فظنّ أنّه في الجنة، ولكن لا حور ولا أنهار، وشعر برأسه كأنها جبل أو أثقل ورأى نفسه وإخوانه يسبحون في بحر من الدماء، وإذا بالجميع بين يديه صرعى وركامُ البيت فوق رؤوسهم. فأراد أن يقوم فهوى إلى الأرض صريعاً مغمياً عليه ثم أفاق مرة أخرى وأراد أن يدعو الله بدعوة صالحة وبعمل صالح ينقذه مما هو فيه من البلاء فقال: (اللهم إنك تعلم أن أبا سعيد -محمد حردان- كان من أحبّ الناس إليّ، فإن كنت تعلم أني تركته واتبعتُ أبا مصعب لك، ففرِّج عنّي ما أنا فيه)، ثم أُغمي عليه فما شعر إلا وشخص يحمله بين ضلوعه ويهرب به من بين طلقات العدوّ إلى أن وضعه عند إخوانه وبدؤوا يضمدونه حتى عافاه الله بعض الشيء. ثم أوى إلى جحر أليم وضيق مع بعض الإخوة، وبه من التعب والعنت ما الله به عليم. حتى أن الأمريكان شعروا أن في هذا البيت أحداً ففتشوه وفتشوه ولم يجدوا أحداً فأرادوا

أن يريحوا أنفسهم فأضرموا فيه النار ثم انسحبوا وأطلقوا عليه عدة قذائف من دباباتهم، فاشتعلت النار حولهم وأصابت قذيفة جدار مخبئهم لكن الله سَلَّم؛ فما كان الذي أنقذه من طلقة في الرأس ليضيّعه اليوم، فهو أهل الكرم والجود يحفظ عباده من كل مكروه وسوء.

وانتهت الحرب، وخرج أبو عزام منها أصلب عوداً وأصفى سريرة وأكثر عزماً وأمضى سيفاً وأعقد عزماً على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

و فرح بمخرجه شيخ المجاهدين أبو مصعب فرحاً شديداً حتى أنه لما وصله خبر خروجه معافى سجد لله شكراً وأخذ يبكي حتى أشفق عليه من حوله.

واستمرت المسيرة، وأُسند إلى أبي عزام مهمة أكثر تعقيداً وصعوبة حيث أسندت إليه إمارة بغداد بعد معارك الفلوجة الثانية، وكانت الأمور في بغداد من الصعوبة بمكان حيث أن خطوط المجموعات كانت قد قُطعت إبان معارك الفلوجة الثانية، وسلاح الإخوة قَلّ وأحوال الشباب في بغداد في أسوأ حال.

فاستعان بالله وبدأ برحلة البناء فضمّ الشارد وقوّى الصف ووحّد الكلمة ورفع الجدران، وأنشأ الحصون، حصون الإيمان والمعارك، وغرس في الإخوة من جديد روح الثقة والأمل واستعان بالله على أمرهم، فوُفِّقَ أشد ما يكون وما هي إلا فترة وجيزة حتى بدأت معارك بغداد الواحدة تلو الأخرى؛ بدءاً بغزوة الثأر وانتهاءً باقتحام سجن أبي غريب، ثم كانت الخاتمة حيث عرف العدوّ مكان إقامته من أخٍ آخر اعتقله، وأرادوا أن يذلوه وأراد الله أن يصطفيه، فاشتبك مع العدوّ ولحق بالأحبة محمد ﷺ وصحبه، وكان من أمره قبل استشهاده بأيام أنه جاء إلى أميره أبي مصعب يطلب عملية استشهادية فرفض الشيخ، فقال: (والله يا شيخ لقد رأيت البارحة، أن مناديا ينادي: يا أبا عزام أقبِلْ فإن أبواب الجنة فُتِحَت). فرحمك الله يا شيخنا رحمة واسعة وتغمدك وأسكنك فسيح جناته.

ويجدر بي أن أنوه إلى صفتين مهمتين في الرّجال قبل أن أختم المقال عن هذا الجبل الأشمّ.

الأولى: أنه كان من أعفّ الناس عن مال الله، ففي بغداد وعلى الرّغم أنه كان يتصرف في الآلاف بل الملايين من الدولارات، كان لا يستحل لنفسه أن يشتري أي شيء.

فلقد أراد أن يبرّ أمه يوما في صيف بغداد الحار، فأرسل إلى الشيخ يستأذنه في أن يشتري لأمه ثلاجة (براد).

الثانية: أنه كان من أشفق الناس على إخوانه وأسرع الناس دمعة عند تلاوة القرآن وفي الصلاة.

أذكر أنه سمع مرة أني اعتقلت وتأكد له ذلك لأنه كان بيني وبينه ميعاد ولم أذهب لشيء تعلّق بالطريق عندي، وتواتر إليه الخبر فهدّهُ المرض وجلس في فراشه حتى عاده إخوانه وطفح الحبُّ على وجهه وشفتيه ولمِاّ علم بعدم صدق الخبر حمد الله ورجعت إليه نفسه.

وأخيراً أسأل الله أن يخلفنا في أبي عزام خيراً وأن يحشرنا وإيّاه في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر. اللهم آمين.

الشّيخ أبو أنس الشّامي (٣٧)

عَلَمٌ من أعلام الإسلام، لا تحويه السّطور، ولا لشرفه وفضله تُسعفني الكلمات، ولقد تردّدت كثيراً قبل الكتابة عن هذا الأسد وأخّرت الكتابة عنه لعل غيري يكون أصدق تعبيراً وأسعف بياناً، وعلم الله أنّ تأخري لسببٍ واحد، أنّي خشيت ألا أُوَفّي الرَّجُل حقّه في بيان فضله وشرفه وعلوّ منزلته ومكانته بين إخوانه وتاريخه في الدّعوة والجهاد ودوره في التّوحيد والجهاد، ثم في قاعدة الجهاد، وما مَنَّ الله عليه وعلى إخوانه بالتبعية بوجوده بينهم.

فمن يتكلم عن هذا الشّهم الكريم، الشّجاع البطل، الأَسَد الهصور، العالم الرّبّاني، العالم العامل، الفقيه الحافظ، التقي النقي، السهل الواضح ثم المعلم المربي، المتمسك بدينه، الحريص على إخوانه، الناصح النصوح، الحييّ المؤدب، الغيور على الدِّيْن والعرض، الجامع لشمل المؤمنين والمُفَرّق لصفّ المنافقين والكافرين.

بالله عليكم من يعدُّ قطرات النّهر؟، فنهرٌ كأبي أنس الشامي حريٌّ بمثله أن يتوقف عند وصفه، ويتأنى قبل أن يخوض فيه، ثم لا بُدّ أن يكون سليم الذّوق لا مرور الحلق حتى يستعذب صفاء مائه وخفّة مذاقه، وكيف لي بهذا وكلماتي يتقطّر الحزن من ثناياها وفؤادي يعتصر ألماً عند ذكره ثم بالحديث عنه، وإن كان ولا بُدّ حتماً فهاكم الرَّجُل وتلك نتفةٌ من سيرته وعلاقتي به وما يمكن أن أقوله عنه وأوّل معرفتي به.

أقولُ أوّل معرفتي بالرَّجل أنّي دخلتُ يوماً أو بدعوة على شيخ الإسلام أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله فلفت انتباهي شابّ في الثلاثينات من العمر يجلس على فَرْشِه مُقابلة كأنّه زهرة على بساط أخضر، جميل الصورة، نضر الوجه، ليس به نمش ولا سواد، ناعم الشعر، رائع القسمات، فناداه صاحبي فأقبل إلينا فلمحت البراءة في عينيه ثم تكلم، فتكلم بالفصحى بلا تقطع ولا تكلف بل يمازح ويلاطف في أدبٍ كبير، ثم جلس فاستشاره الشيخ أبو مصعب في عمل عسكري ما، فأشار واقترح بما يستطيع ويعرف ثم صمت عمّا لا يعرف، وتلك والله شيم العلماء، ثم خلوتُ بالشيخ أبي مصعب وسألته عن

الرَّجُل، فمدح وزاد في مدحه بما يدلّ على أنّ الرَّجُل وقع من الشيخ موقعه المناسب، ففرحت لأسباب أهمها:

١- أن الشيخ جعل مستشاره من أهل العلم والصدق والنصح.

٢- أن عادة الشيخ لم تتخلف عنه حتى بعدما صار معروفاً مشهوراً، فمنذ كان في أفغانستان كان يُقرّب ويأتي ويذهب مع أحد كبار طلبة العلم، وهذا يدل على فهم الرَّجُل وتحرّيه للشرع في أمره ونهيه، وتقريبه للعلماء، وتلك والله شيم الصالحين.

ثم عدتُ إلى عملي وبعد فترة شاءت الأقدار أن أرجع وأكون في أماكن كثيرة هو فيها، كان أهمها أيام الفلوجة الأولى وبعدها، تلك الغزوة التي سطِّر لها الشيخ باسم (غزوة الأحزاب) وكنت أحب أن يسميها غزوة بدر لأن آثارها كانت كآثار بدر وعدّة أهلها كعدّة أهل بَدْر وحالهم أشبه بهم في كثير من الأشياء.

وقد التقيتُ بالشيخ أبي أنس في إحدى المرّات قبل الفلوجة الأولى لما زرت أحد الإخوة في زوبع وكان عنده الأخ الشهيد (مولود)، كان الجو ممحلاً فسألت عن الحال؟ فقال لي: توبة أن أذهب مع الشيخ أبي أنس، قلت: ولمَ؟، قال يا رجل كدت أموت رعباً من فرط شجاعة الرّجُل، تخيّل بالأمس هاجم أكثر من أربع سيطرات في نفس الساعة، يخرج من واحدة ثم يهاجم الأخرى وفي كل مرة يأمرني أن أتوقف إلى جانب السيطرة حتى إذا ما توقفنا أمر الجميع بإطلاق النار وهكذا دواليك حتى كدنا نموت جميعاً من الرعب أو نقع في الأسر لكن الله سلّم.

ثم جاءت الفلوجة الأولى وكان للشيخ أبي أنس دور بارز جداً فيها لم يحكه الرجل عن نفسه لما كتب قصتها، لكن أبرز أهم ما قام به:-

١) كان له الدور الكبير والهام في تحفيز الناس وخاصة الأنصار وتبشيرهم بالنصر وحثهم على الصبر والثبات.

٢) كان عمله يسبق قوله، فكان يحفزهم ويتقدم أمامهم فكان يسرع حينما يبطئ الناس.

٣) كان يشكل مع عمر حديد وأبي عزام -رحم الله الجميع- أشبه بمجلس حرب يدير الأزمة ويسد الثغر ويشد العضد.

٤) كان لثقة الإخوة المهاجرين منهم والأنصار به عامل هام جداً في أن تسير الأمور على النحو المطلوب، فمثلاً لما كانت هناك مفاوضات، كنا نقول في كل شيء ما قال أبو أنس في هذا الأمر، هل وافق؟ هل أجازه؟

فما وافق عليه، وافقناه، وما رفضه رفضناه، لثقتنا بعلمه وشجاعته، وربّ قائل يقول وما دخل العلم بالشجاعة؟ فأُجيبه وأقول: نعم كنت مثلك لا أعرف هذا حتى جاءت الفلوجة الأولى.

فحينما كان يشير أبو أنس مثلاً بوقف القتال، كنا نحسب أن الرجل يرى الأصلح ديناً لا جبنَ ولا خورَ، فالجميع يعلم أنه بالنسبة إلى أبي أنس ليس بجبان، كما أن الرجل ناصح حريص فلا يتخذ قراراً إلا بعد أن يشير على شيخه ومن معه — فرحمة الله عليه-.

و مما أذكر جيداً ولا أنساه ما حييت، أنه زارنا يوماً في الجولان وكان قليلاً جداً ما يزورنا نظراً لأن إخوة الجولان كان معظمهم المهاجرين وكان لا يرى حاجه ملحة للمجيء إليهم.

أقول زارنا الشيخ ونحن أحوج إليه من غيرنا في النصح ورفع الهمة وكانت الأمور في أشد ما يكون ضيقاً، فسأل الحاضرين، من يعرف رمز الحزب الجمهوري الأمريكي (أهو الحمار أم الفيل)؟ فقال أحد الحاضرين أظنه الفيل يا شيخ، فالحمار رمز الحزب الديمقراطي، وأيّده آخر، فقال الشيخ: كنت أعلم هذا لكن أردت أن أتأكد إن صَدَقَ ما تقولون فابشروا وأمّلوا، ثم تلا علينا قوله تعالى: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل}، حتى أتى إلى نهايتها وأخذ يفسرها.

ثم أردف قائلاً: اصبروا يا إخواني فوالله لجمعٌ كجمعِ الكفار في الأحزاب وسوف يفرق الله جمعهم في عدّة كعدّة الأحزاب، شهرٌ أو قريبُ شهر.

ولقد صدق والله الشيخ، فكانت شهرًا أو قريبا من الشهر، حيث استمر الحصار سبعة وعشرين يوماً، فالحمد لله على النعمة. وجاء الدور الأبرز للشيخ بعد المعركة، فالرَّجُل كان يُدْرك أن النصر لا بد من قطف ثمرته وعدم تركها للدّجّالين من الحزب اللا إسلامي العراقي والصوفية الغلاة والمشعوذين وغيرهم، فكان لا بد من وضع الأمور في مسارها.

فشكّل وأسّس (مجلس شورى مجاهدي الفلوجة) بالتنسيق وبأمر الشيخ أبي مصعب وحتى لا تذهب الثمرة إلى من جاء بعد المعركة، فكان هذا المجلس تقريباً صمام أمان فيما بعد لكثير من المعضلات.

ثم لعب الشيخ فيما بعد أحداث الفلوجة الأولى الدّور الأهم والأبرز في حياته كلّها، بل والذي أرجو من الله أن يجزيه عليه خير الجزاء.

فلقد بدأ الرَّجُل برصّ الصّف وتأليف القلوب على أبي مصعب وجمع الشمل له فبدأ بالأقرب وهي الفلوجة، فبدأ يطوف على كثير من المجموعات الصغيرة يُفنّد شُبَهَهم وينصحهم ويعظهم حتى جمعهم جميعاً تحت راية التوحيد والجهاد.

ثم بدأ بما حول الفلوجة ثم بغداد فكلما سمع بكتيبة أو سرية حسنة العقيدة والسلوك والعمل، جاء إلى أميرها وحاوره ولا يزال به حتى يدخلهم إلى صف التوحيد والجهاد.

وكان من مآثره أن سامراء لم يكن للتوحيد فيها أحد فزارهم وما زال يتردد بين سراياها وكتائبها حتى جعل سامراء كلها تقريباً للتوحيد والجهاد، ثم صارت فيما بعد كالفلوجة أو أشدّ، ولقد ظلّت (الملوية) المئذنة الشهيرة في التاريخ الإسلامي والعراقي خاصة محاطة بعلم التوحيد والجهاد أكثر من ثلاثة أشهر.

ثم بدأ الشيخ الشهيد الحبيب بعد ذلك يتخذ طابعاً عسكرياً أكثر منه غير ذلك، فأَشْهَدُ بالله أنه ما ثارت ثائرة قط في الفلوجة إلا وجدته من أول القادمين المتقدمين، يحرض ويقاتل ويفعل كل ما بوسعه فعله ثم رأيته بعد ذلك حاضراً لجميع لجنات التنسيق العسكري التي كانت تتم في الفلوجة وكان له الدور الأبرز بين الإخوة.

وصل الشيخ إلى المكان ثم بدأ القصف وكان الشيخ خارج المنزل، ثم فجأة رأى صاروخاً يدمر البيت على أكثر من أربعين أخا وصلوا لتوّهم ولم يفرقوا إلى أماكنهم بعد، فصرخ الشيخ بأعلى صوته في الأخ الذي خارج المنزل والذين بعد لم ينزلوا من السيارة يأمرهم بالإسراع في الانتشار والابتعاد عن المكان لأنه يعرف كما يعرف جميع أهل الفلوجة والذين اكتووا بنيران القصف الجوّي الأعمى أن الطائرات الأمريكية في الغالب تقصف المكان أكثر من مرة في نفس الوقت، لكن شجاعة وشهامة ومروءة الشيخ لم تتخلف عنه حتى في أحلك المواقف وأشد الظروف ولو هتف به الموت من كل مكان، حيث سمع أنينًا يأتي من بعيد من بين الأنقاض فأسرع إلى إخراج ما يمكن إخراجه من بين الأنقاض حتى وصل إلى أخ يئنُّ بقوة وسط ركام البيت بينما تبعه الأخ الشهيد أبو عبد الله سعد والذي حكى لي القصة وكان أبو عبد الله في طرف البيت يحاول إنقاذ أخ آخر وفي تلك اللحظة جاء الصاروخ الثاني وليرمي بأبي عبد الله مسافة بعيدة لكن دون أذى يذكر والحمد لله.

بينما دفنَ الصّاروخ عالماً ربانيّاً بين أشلاء إخوانه ولتختلط الدماء بهم، اختلطت الأرواح زماناً طويلاً وليتعانق الجميع عظاماً وأرواحاً في جنات عدنٍ عند مليك مقتدر، نحسبهم والله حسيبهم.

بقي أن أذكر بعض الأشياء على عجل في سيرة الرَّجُل الإمام، أنه كان لا ينسى قط ويفتر عن ذكر الله فكان الاستغفار سمة أبي أنس، فلا تكاد تسمعه إلا وهو يقول: (أستغفر الله)، حتى إنها صارت عادة أظنه لو حاول أن يمنعها ما قدر كما أني أظن أن ذلك كان هو سرّ نضارة وجه أبي أنس الشامي رحمه الله.

كما أنه كان خالص الودّ والحبّ لزوجه (أم أنس)، فما كان ينساها قط ولو في أحلك المواقف. وأذكر أنّنا في أثناء أحداث الفلوجة الأولى وفي لحظة من لحظات الضيق والشدة نظر إليّ مبتسماً قائلاً: (وداعاً أمّ أنس).

ثم أُحبّ أن أُنوّه أن الشيخ سافر إلى البوسنة والهرسك قائماً بأمر الله في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة والتي لأجلها أسّس مع مجموعة من إخوانه مركز الإمام البخاري بعد رجوعه من الهرسك.

كما أن الرّجل ابتلي في ذات الله حيث اعتقل عام ٢٠٠٣م لانتقاده نظام الطاغية عينِ أمريكا (عبد الله) وبعد الإفراج عنه أسرع إلى أرض العزة والجهاد بلاد الرافدين.

بقي أن أقول أن اسم الشيخ الحقيقي هو (عمر يوسف جمعه)، وهو فلسطيني الأصل، ومن مواليد عام ١٩٦٩م ومتزوج وله من الأولاد (أنس ومالك) وبُنَيّة هي الأكبر _ميمونة).

فرحمةُ الله على ميمون السّيرة، ميمون العمل، ميمون المقام عند الله -نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحداً-. أسأل الله أن يُخلفنا فيه خيراً، فوالله ما جاء بعده مثله، والله المستعان وعليه التّكلان.

وهذه مرثيّة الشيخ حامد العلي في الشهيد أبي أنس الشامي رحمه الله.

حل البكاء وأظلمت أيامي *** هذا كلام الله ليس كلامي
أبا أنس هذي مصارع عزّة *** لموت سابقنا الإمام الشامي
جئت العراق لتبتغي إكرامها *** فلقد تشرفت صفعها المترامي
ولقد تباهت أرضها بجهادك *** من مثلهُ من قائد مقدام
ولقد تطاولت العراق لكي ترى *** هل في العراق أحق بالإكرام
فتراجع الطرف وشيكاً قائلاً *** هذا الإمام رأيت في أحلامي
فلقد رأيت العزّ يبغي معلما *** يزهو عليه فجال في الأعلام
فبدا أبو أنس بطلعة وجهه *** فتبشبش العز وصاح أمامي

ما هذه الأنوار عند فراتنا *** قال الفرات أما رأيت حسامي

أو ما رأيت المجد في أوطاننا *** يحكي عليك حكاية الأيام

فيقص ذكر مجاهد متفقه *** ليث يصول صيالة الضرغام

فتعانق المجد وعز فراتنا *** وتحوّلا تاجا برأس الشامي

كم في ترابك يا عراق شهادة *** شهدت له بشهادة الإعظام

أبا أنس هل قد رحلت وما *** ودّعت من آخاك في الإسلام

لا بل أنت حيٌ في العلا *** أنت الشهيد بمحكم الأحكام

أبو حسين اليوسفية (٤١)

صاحبُ الهمّة العالية، والنّفس النّفيسة الأبيّة، الذي لا يعرف الكلل أو الملل، يرفعُ الهِمم بصوته، ويجلب الحماسَ بعمَله، مهيبُ الجانب، قويّ الشّكيمة، الزاهدُ العابد، التّقي النّقي، عبد الله الصالح أبو حسين ...

أسدُ الجنوب ..

الأمير المقدامُ ..

الجريءُ في ذات الله ..

من شباب جزيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف الاستقامة مبكراً، وأدرك الدّين صبيّا، فبادر للعمل له، على قدر ما فَهم وأُفْهم، أسرع بنشاطٍ في العمل الإغاثي!، فسافر إلى إندونيسيا، ثم إلى فلسطين الأسيرة، وهناك أدرك معنى الجهاد، فلقد رأى كيف يسُوق العدوّ أبناء الشّام كقطيع الأغنام، ورأى كيف أفسد اليهود الدّين والدنيا، ثم رأى مدى الهوان الذي وصله المسلمون، وتميّع الحركات الجهاديّة، وشاهد جيوش العملاء وقطعان العبيد، وعلى حد قوله: (بفلسطين يكاد يكون للجاسوس هويّة رسميّة).

فاشمأزّ ونقِم وعزِم، ورجع إلى وطنه يحمل الهمّ والإصرار؛ الإصرار على أن يكون لبنة في بناءٍ قد بدأ يرتفع في العراق، فأسرع يجيبُ داعيَ الله وعمره لم يجاوز عقده الثاني بعامٍ واحد، فحطّ رحاله بالفلّوجة، وجلس فيها بعض الشيء ثم أدرك قلّة حاجة الإخوة إليه فيها، فجهّز متاعه وانطلق إلى مكان آخر لم يزل لقاعدة الجهاد فيه حينها عملٌ غضّ؛ فحطّ رحاله باليوسفيّة التي صار يُنسبُ إليها، وهناك شكّل وأسّس مجموعةً طيّبةً، وكان نطاقُ عمله السّاخن بين اليوسفيّة والفلوجة لينزل إلى بغداد، وخاصّة بالسيارات المفخّخة.

ثم شكّل سريّة أمنيّة متخصِّصةً بملاحقة الجواسيس والعملاء، فقد رأى الأثر السيء للجواسيس في فلسطين، واجتهد غاية الاجتهاد في هذا الأمر فتتبّع أثرهم وتعقّب رؤوسهم واخترق أماكنهم، ولم يزل بهم حتى سقطوا في يده الواحد تلو الآخر، فامتلأت قلوب المرتدّين من اسمه رعبًا، حتى فتح الله عليه الفتْح الكبير.

ثم وبعد تصفية شبكات الجواسيس، تفرّغ أبو حسين للقوّات الأمريكيّة، فأبهر الجميع بحُسْن بلائه، وقوّة ورباطة جأشه، ومثال ذلك ما حصل حين كان يسير مع رفاقه يومًا في إحدى القرى، إذ فوجئ الجميع بدوريّة أمريكية على مسافة أقلّ من خمسين مترًا، فأسرع من معه بالانسحاب والاختباء، بينما هبّ هو إلى قاذفة مضادّة للدّروع ووقف وسط الطريق في ذهول من صاحب (البكتا) على ظهر (الهمر)، فوجّه أبو حسين قذيفته إلى سويداء (الهمر) ثم انسحب مسرعًا، وقد يكون مناسباً ذكر طريقته العجيبة في الانسحاب من أرض المعركة؛ فقد كان الرّجل يرجع القهقرى ولا يُعطي ظهره للعدوِّ بل وجهَه، حتى ولو سقط يقُوم ويرجع القهقرى بإصرارٍ عجيب، ويقول: (لا أريد أن يراني ربّي أُقتَل مدبرا)، وكان دائما يقول: (إن قُتلت فمن الأمام أو غدرًا، لا أقتل إن شاء الله من خلفي)، وهذا ما كان، وسنأتي عليه.

لمّا اشتعلت معارك الفلّوجة الثانية، كان هو خارجها يشتعل معها حماسةً ويتحرّقُ شوقًا، لا ينامُ الليل ولا يهدأ بالنّهار، وهمّه أن ينصُر إخوته ويحيلَ الأرض تحت أقدام العدو جحيمًا، فكانت له في هذا القصصُ الكثيرة... يتربَّص للعدوّ ليلاً على الخطّ السّريع، وينصب العبوات ويجهّز المفخّخات، ويرسل قنابر الهاون، ويحثّ على إطلاقِ الصواريخ.

سمع يوما أن أحد المجاهدين من مجموعة أخرى عنده صواريخ مخبّأة كثيرة، فأسرع إليه يُذكِّره بالله وأنّ الزمان زمان تضحية ونُصرة وعمل دؤوب، فالإخوة في الفلّوجة بأمس الحاجة إلى عمل يخفّف عنهم الحِصار، وما زال به حتى ردّ عليه الآخر: إنه لا يستطيع أن يعطيه شيئا حتى يستأذن.

فـردّ عليـه أبـو حسـين والهمّ والحزن يملأ قلبـه: (إن كنتَ كاذبا فليعاملْـك الله بما تستحقّ)، وما هي إلا أيّام حتى جاء الأمريكان وفجّروا لهذا الشخص مائتي صاروخ كان يحتفظ بها، فعلم الرجل أن ذلك ما كان إلا بجريرة ذنبه، فاستغفر اللهَ وتاب إليه، ونحسب أنه قد حسُنت توبته وندم على فعله.

ولما انقضت الفلّوجة الثانية، كانت منطقة أبي حسين من أنشط المناطق في مقارعة الجيش الأمريكي، حيث عمل طيلة بقائه على جعْلها قاعدةً للجهاد ينطلق منها اللّيوث في كلّ مكان.

فجمع السّلاح وهيأ نفوس أهل المنطقة وحرّضهم على الجهاد، فأحبّهم وأحبّوه، وكان صاحب حجّة ومنطق، فإذا أراد أن يقنع أحدا لم يُعجزه ذلك، لما كان يحمل من صدقٍ في دعوته، فإذا اقتنع بشيءٍ جمع له الأدلّة والبراهين، وخاطب غريمه بكل حواسّه ومشاعره وعقله حتى يقنعه، ونادرا ما كان يفشل في ذلك، فيخاطب أحدهم بالغيرة والنّشامة، والآخر بالحميّة للدّين ثم الوطن، وغيرهما بالعقيدة وفرضيّة الجهاد، أو بجميع ذلك على حسب حال الشخص، ثم هو لا يدعك تردّ عليه مقالته لما تجد من انفعالٍ وحماسٍ يمتلكه عند البيان، مما يجعلك على الأقل تستحي منه.

وكـان القائدُ الشّـهيد متميّـزاً في كـلّ شـيء؛ في نُكـران الـذّات، وفـي التّضـحية والشّجاعة، وفي الزّهد والورع وفي صدق الوفاء.

ومن المواقف التي أذكرها مثلا؛ لـمّا كانت عملية السّدير الأولى (أعني فندق السّدير، موطن الموساد الإسرائيلي في بغداد)، كنّا قد أعددنا عبواتٍ من نوعٍ كان متطوّرا في وقتها حتى تكون موجّهةً نحو الفندق؛ ومن هذه العبوات، عبوةٌ كبيرةٌ لا تسمح إلا بدخول شخص واحد بالكاد إلى باطنها.

وبدأنا نملأ العبوة ليلاً بمادة (البنتاريت) الشديدة الانفجار والتي تتصف بالسمّية لدرجةٍ معيّنة، فبادر صاحبنا بالنّزول داخل العبوة، وبدأ يأخذ المادّة من إخوانه ليكدّسها ويدكّها بيده، والعُطاس وسيلان الأنف يعمل عمله، وعندما يطلب منه

الإخوة الخروج لينزل آخر بدله، يرفض ويقول: (الوقت قصير وهذه أيّام نقضيها في طاعة الله، ثم إن سمّية المادة لا تؤذي إلا أن يشاء الله، ومن يقول إن الله لم ينزع منها صفة السمّية حتى ننتهي، أليست جنديّا من جند الله؟).

كان الرّجل إذا اقتنع بفكرةٍ لا بدَّ أن يقنع غيره بها، وقد اقتنع أنّنا نستطيع أن نهاجم سجن أبي غريب، فظلَّ يلحّ على إخوانه حتى تمّ له ما أراد من الموافقة على ذلك، و لمّا قيل له: والمواد والسيارات والأشخاص وغير ذلك؟، كان يردّ بكلمةٍ جميلة دائما يردّدها إذا طُلب منه شيء: (ازهلها – أي اتركها – على الله ثم علَي)، وكنّا نحبّ منه جدا هذه الكلمة، ذلك أنها تُشعرك بأن صاحبها لا يعرف اليأس قطّ، ولا يعوقه صعبٌ أو مستحيل أيّاً كان ما كُلِّف به.

أذكر مرة أنّه كُّلف بسيارة يجهزها، فقال كعادته: (ازهلها)، وفي الوقت المحدد سلّمها وهو يضحك، فقلنا ولم الضّحك؟ قال: (والله عندما طُلبت منّي لم يكن عندي من الموادّ شيء، فألححتُ بالدّعاء لله، وإذا بالأخ فلان يأتي بما يكفي لتجهيز ثلاث سيارات، فحمدت الله على التسديد وعدم الخذلان).

أعود فأقول: بدأ أبو حسين يجهّز لغزوة أبي غريب، ويواصل في هذا الليل والنهار لا يكلّ ولا يملّ، ولا يعرف صعبًا أو مستحيلاً وبذل في هذا مجهوداً كبيراً، فجهّز السّيارات ما بين شراءٍ وغنْم، وسعى في تحصيل المواد اللازمة للتفخيخ، واحتال لذلك حيلاً كثيرة فتح الله بها عليه، وكان ذلك لأنّه كُلّف بتجهيزها شخصيّا للحفاظ على سرّية العمل، فتحمّل في سبيل ذلك الجهد الأكبر، كي تبقى العمليّة طيّ الكتمان ما أمكن ذلك.

ثم لما جَدَّ الجِدُّ وجاء وقت التنفيذ، قادَ مفرزةَ الاستشهاديين وانطلق بهم إلى موقع السّجن في حزام أبي غريب، ولما اقترب من السجن وبدا شاخصاً أمامه، إذا به يُفاجأ برتلٍ أمريكيّ كبير يخترقُ حاجز الحماية، فخاف أن يلتف هؤلاء على مجاميع المجاهدين التي تحيط بالسجن من كل جانب إحاطة السّوار بالمعصم، وهنا تظهر صفةُ القيادة في هذا الأمير الشّاب، حيث يتّخذ القرار الصّعب الحازم في وقته بلا تردّد، فأمر أربع

سياراتٍ استشهاديّة بالدخول في الرتل الواحدة تلو الأخرى، فأبادوه عن بكرة أبيه، وقتل الله بهم أكثر من خمسين علجًا أمريكيًا، ودُمّرت أكثر من عشر آليات.

وبعد غزوة أبي غريب تزوج الحبيب الشهيد، وكانت مجموعته وقتها قد كُلّفت بغزوة أخرى تحتاج إلى عملٍ شاقٍّ واجتهاد، فذهبنا لموقع التّجهيز بعد الظهر تقريبا، فإذا بنا نفاجأ بأبي حسين مع الإخوة ومادة الـTNT تملأ يديه ووجهه؛ فقال له بعض الإخوة: يا ولد أليس اليوم يوم الصباحية عندك؟!، قال: (نعم؛ والعمل مع الإخوة هنا أجمل صباحيّة)، فاجتهدنا أن يعود إلى أهله، فأبى ولم يرجع إلا بعدما أُذِّن للمغرب وانسحب جميع إخوانه.

هكذا كان صاحبنا الشّهيد، حتى شهوة الإنسان الجبلّية لم تسيطر عليه وهو معذورٌ ومأذون له من أمرائه أن يقضي ولو أياماً مع عروسه، ولكنّ الذي عرف الجهاد وذاق لذّته على حقيقته، يعرف تماماً لماذا تصرّف شهيدنا هكذا، خاصّة إذا كان يحمل هَمّ وهِمّة أبي حسين وإخلاصه.

كان أبو حسين مَهيب الجانب جدًا رغم حداثة سِنِّه، فكان في إمرته مَن تجاوز الأربعين، لا يستطيع أن يتجاوزه أحدٌ صغيرا كان أم كبيرا، بل كان الاحترامُ والمهابة تملأ قلوب إخوانه، فقلّما أمر بشيء وخالفه فيه أحد، وفي نفس الوقت ملأ الرّعب من اسمِهِ قلوب مخالفيه المرتدّين في المنطقة.

كان يأخذ إخوانه في كمائنَ للطّائرات من الصّباح إلى المساء؛ يجلس معهم في قنوات البزل المائي الزراعية وأماكن البقّ والحشرات، يتربّصون عدوّ الله فربما رُزقوا بهدف وربما انسحبوا دون أن يأتي أحد، فما كان لأخٍ أن يعترض أو يأخذ عليه لأنَّه يتقدّمهم في كلّ شيء.

ولما اقتنع بالعبوات النّاسفة وأثرها البالغ في كسر إرادة العدو، ملأ طرقهم بها، وجهّز لها المجموعات، حتى فتح الله عليه وقطع الطريق تماما على أعداء الله، وطهَّر كامل المنطقة تقريبًا من نتنهم.

كان الشهيد رحمه الله أميرًا في كل الغزوات التي شارك فيها، فإن لم يكن أميرا عاما للغزوة كان أميرا على أهمّ مفارزها، وكان وجوده بجوار إخوانه مصدر همّة وشجاعة، وكان صوته في المعركة بألفِ فارس.

وفي نفس الوقت كان إمامًا في الزّهد والورع؛ يُلزم نفسه بكثرة الصّيام والتقشّف في الطّعام والاقتصاد في الملبس، وإذا ذهبت إلى موضع مجموعته ترى أثر ذلك عليه وعلى إخوانه، وربما يأخذك واحد منهم قائلا: يا ليت تجعل أبا حسين يخفّف علينا بعض الشيء، فإذا كلمتَه أقنعك بصدق منهجه وأن ذلك هو الأصلح له ولهم، وحين يُسألُ الشّباب يسكت الجميع، أو يجيبونك بالتأييد ما بين مقتنع أو استحياءً من أميره الزّاهد.

ومن مآثر الشّهيد الحبيب والتي ليس لها إلا أمثاله من الجبال الأفذاذ، أنه ما من منطقةٍ استعصت علينا، أو أردنا أن نفتح فيها مكانا جديداً للجهاد والشباب، إلا كان لها الأمير أبو حسين، فكان يذهب إليها ويبدأ من الصّفر، وما هي إلا أيام أو أسابيع قليلة، حتى ترى أثر ذلك في المنطقة، فيجهّزها ويرتّبها ويُعيّن عليها أخاً آخر ويغادرها إلى منطقة أخرى.

فشهيدنا ليس من هذا النّفر الذي يعيش طفيليّا ويعملُ متواكلاً، إنما يتسلّق ليعلو ويصمد في وجه الرّيح، متشبثاً بسلاحِ الإيمان وعقيدة التوحيد.

وفي آخر أيام أبي حسين كانت أيادي الغدر من كبارِ العملاء والجواسيس تتربّص به ليل نهار، بعد أن أثخن فيها وحرمها أمن النّوم في أحضان الصّليبيين، فجلس هؤلاء لصاحبنا كلّ مرصد، وفي يومٍ قدّره الله عليه، وبينما أوشك على الانتهاء من عمل مهم كان قد كُلّف به، توقفت سيارته في منطقة مشهورة بكثرة عُملائها وخُبث أهلها، فلا تُكاد تعرف فيهم الصّديق من العدو، ولا المجاهد من المنافق، المهمّ؛ عند توقفه وضعوا في سيّارته أحد أقراص التتبّع التي تزود الطائرات الأمريكيّة بالإحداثيات.

ولما استقرّ الشّهيد الحبيب بالسيارة عند إخوانه، فوجئ الجميع بأسطولٍ من الطائرات يهبط عليهم مباشرة من كلّ الجهات، وبدأ اشتباكٌ عنيف بين الطّرفين، وحصل للعدوِّ من الإثخان ما قدّر الله، ثم كانت النهاية السّعيدة للرّجل، الأليمة لكلّ من يعرفه ويحبّه.

حيثُ تقدم أبو حسين بحزامه الناسف وسط العدو قاتلا ما شاء الله منهم ومقبلا على ربه، فملأ بفَقده قلوبَنا قيحاً وأعيُننا دماً، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

معاذ ومعوذ ابنا عفراء (٤٣)

معاذ ومعوَّذ ابنا عفراء..

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: "ألا إنّ رحى الإسلام دائرة"، والقائل: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء".

هي ذي الحقيقة في أَوْجِ وضوحِها وشدّة ظهورها: أنّه محالٌ أن تقوم للإسلام قائمة، حتى تنطلقَ من نفس النّقطة التي انطلق منها سيد خلْق الله، ونبي الملحمة والرحمة، وليس ذلك فحسب، بل ونَدُورَ في نفس الدّائرة التي دار فيها مع الحقّ والعدْل، متحمِّلينَ غربةً عاشَها الصّدر الأول، ولا بد أن يقاسيها عَجُزُ الأمة في زمان الفتح.

وقد بدت إرهاصاتُ هذا الفتحِ تلوح في الأفق منذ أمد، وبدأت أمّة الإسلام المعطاءة تُخرِّج كنوزها، وترفعُ صدى السيئة عن كاهلها، فتلتمع شخصيّة المسلم في أبهى صورة وأحلى حُلَّة، كأنها قد خُبِّئت ليوم عرسٍ تُزَفُّ فيه، في صراعٍ وسباقٍ بين الحق والباطل بدا لأول وهلةٍ خاسرًا في هذه البلاد كما في غيرها، انطلقت فيه ذئاب الرّوم وفرسان العجم كالسّيل الجارف، وأبعدت في السّباق ليرقص أتباعهم نشوةً وسرورًا، وهم يشربون كؤوس خمرهم فرحًا وحبورًا، ودَمَعَتْ أعين الموحدين وازداد بكاؤهم ودعاؤهم، وهم يعلمون أنهم ما راهنوا على فارسهم الإسلامي إلا لأنّ الله أخبرهم أن العاقبة لهم و: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[الانبياء: من الآية ١٠٥].

ثمّ... وفي لقطة تأريخيّة خاطفة سكت الجميع وساد الصّمت، وألقى كفّار العجم وأتباعُهم كؤوس خمرهم، أو بالأحرى سقطت من أيديهم، وتَحَجَّرت حَناجر مُغَنِّيهم، وبَدَت الفرحة والبسمة والأمل تعلو جباه وشفاه أولئك الموحّدين، وارتفع صوت حاديْهِمْ، وبدأت التكبيرات ترتفع وتعلو، وفُوْجِئَ الجميع بفرسان الإسلام وقد استوى

الرّكب مع العلوج، ثمّ بُهِتَ جميعهم عندما أَعْلَن حادي الجهاد عن ميلادٍ طال انتظاره لدولة الإسلام في بلاد الرافدين.

بُهت كل كافر وحاسد، وفَرِحَ كل مسلمٍ موحد، وبدأت خيل الله تَشْتَدُّ وتسرع، وفي غمار هذا السباق والنّزال أطلّ شابّان صغيران بلغا للتوِّ الحلُم، يتقدمان الرِّهان ويَسْبقان الفرسان قائلَيْن بلسان الحال: (وعجلنا إليك ربنا لترضى)، فكان: محمد وأحمد ابنا طَيِّبة.

أو كما يسمّيهما العبد الفقير وغيره: (معاذ ومعوَّذ ابنا عفراء)؛ لأنّ رَحى الإسلام دارت فكان ولا بدَّ أن يشابهَ الخلفُ السّلفَ، فجاءت الصّورة مطابقة سبحان الله، في كل حدودها وأشكالها ورموزها، وتغيّرت فقط الألوان بتغير الزمان.

فما قصّة هذين الرّجلين أو الغلامين؟

قصّةٌ في الحقيقة تُذكر، إنّها قصّة الرّجولة المبكّرة، والإخلاص والفروسيّة والشجاعة، سجيّةً وطبعًا وهِبةً ومِنْحةً، وإلا فما لصغيرين مثلهما أن يقوما بما سنذكر.

نعم هما محمّد وأحمد ابنَا طيبة، أخَوانِ شقيقانِ من رحمٍ طاهرة، وأصل طيّب من سلالة أسد الله، وأسد رسول الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، وحقًا (من شابه أباه فما ظلم).

فما أن أدرك الغلامان معنى الجهاد، حتّى تبلورت الأخلاقُ والآداب في سلوكهما، فكانا بحقّ نِعْم الغلامين أدبًا وهدوءًا، سمعًا وطاعةً لوالديهما، خدمةً و برّاً لأمهما، وكل ما يمكن أن يوصف به من كان في مثل سنّهما، إلا أنّ الغلامين وفجأة، بدآ يُلحّان على عملية استشهادية، فكان الرّفض قاطعًا: (أنكما لم تبلغا الحُلُم)، وبدأت الأيام ثقيلة بالنّسبة للأخوين، وما أن بلغ محمّد الحلم بأيام حتى سقط أسيرًا في أيدي المرتدّين، فساموه العذاب ضربًا وسبًا وشتمًا، فكان الغلام يقول لهم: (والله إن خرجت فسوف أنفّذ عليكم عمليّة استشهاديّة)، فكان من معه في المعتقل يُسكِتونه بصعوبة خوفًا عليه.

وبالفعل خرج محمّد بعد عمليّةٍ لتبادل الأسرى قام بها أبوه البطل المجاهد (أبو محمد)، ولم لا؛ فهو أحد أركان دولة الإسلام وفرسانِها، وخرج محمّد فرِحًا بنعمة الحرّية وشاكرًا لله ثم لأبيه هذا، قائلاً: (أبي إن من نعمة الله عليَّ أن أحسن الشكر وإنَّ خير ما أشكر به ربي أن أجود بنفسي، وما كنت لأعود إلى السّجن بعد إذ نجاني الله منه وسوف أنفذ عملية استشهادية على المرتدين).

لكنّ أخاه الأصغر (أحمد) أصرَّ على أن ينفّذ قبله، فقد سجّل في كتيبة الاستشهاديين، وله أكثر من شهرين ينتظرُ دوره، وبدأت المنافسة بين الأخوين، وأقبل الصّغير العجيب أحمد على الله بكاءً ونحيباً، فلا ينام من اللّيل إلا قليلاً رجاء القَبول والحظوة بالوصول، وطلبًا لرضا ربه ورؤيته، ومجالسة نبيّه عليه الصلاة والسلام، مستغفرًا الله من ذنب لم يعرفه ومن معصيةٍ لم تسلك سبيلاً إليه، فهو لتّوه بلغ الرّشد (أربعة عشر عامًا ونصفا)، وأقبل أحمد العجيب على الله، وأكثر من الدّعاء والبكاء، وكأن الولد يحمل من الذّنوب جبالا.

وبدأ الولد يرى من آيات رحمة الله ما يثبّت فؤاده ويُبكي والديه، فكان في كلّ يوم تقريبًا يرى الجنّة والحور، وفوق ذلك يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يستيقظ ليصف رسولَ الله لوالديه، كأنك تقرأ وصْفه في كتب السّلف، ويومًا ما وصفه أمام أحد إخوان أبيه فقال: (كانت لرسول الله شيبة)، فقال الرجل: (يا أحمد رسول الله لم يكن به شيبٌ كثير، بل مات وما في رأسه إلا بضعة عشرة شيبة)، فنام في اليوم الثاني حزينًا لأن ما رآه كما قال له عمه ليس رسول الله، فجاءه صلى الله عليه وسلم في منامه ونام في حجر أحمد، فأخذ أحمد يعدُّ ما في رسول الله من الشّيب وهو نائم ثم لـمّا استيقظ عجل لأبيه قائلا: (يا أبتِ والله لقد عددْت اليوم الشّيب في رسول الله، فوجدته واحدًا وعشرين شعرة بيضاء)، وسبحان الله! هذا ما عليه أكثر من وصف رسول الله، وأنّى لغلام مثل أحمد بمعرفةٍ دقيقةٍ كهذه برسول الله صلى الله عليه وسلم!.

وفي ليلة من تلك اللّيالي جاءته حوريّة تختالُ عنده فتخلع القلوب وتطير العقل من الرأس، فقال لها: (أنا كلّما أراك أحكي لأمّي عنك، ولكنها لا تصدقني لم لا تعطينني دليلاً منك أريه لأمي)، فأخذت شعرةً من شعر رأسها وأعطتها له ثمَّ وضعها هو في جيبه، وفي الصّباح سألته أمّه: (ها يا أحمد، ماذا رأيت الليلة؟)، فقال: (الشّعرة)، وأسرع إلى جيبه، لكنه لم يرها، فانكسر قلبه واشتدّ حزنه، وحكى لأمّه ما جرى في الرؤيا، فطيّبت نفسه وأشفقت عليه.

وفي الليلة التالية رأى نفس الحورية، وقال لها: (لقد أعطيتني شعرةً من شعرك لكني لم أجدها)، فأخذت شعرة من شعر رأسها، وفي دليل يخلع القلوب، نفخت فيها فطارت، وأراد أحمد أن يلتقطها، فقالت له: (دعها، ستجدها إن شاء الله في المصحف بسورة الكهف).

واستيقظ أحمد وكعادة أمه سألته، فإذا به يقول: (المصحف، المصحف)، وأخذت أمه واحدًا وأبوه وهو، وقال: (الشّعرة في سورة الكهف)، وفتح هو مصحفه فوجدها بين صفحات سورة الكهف، نظرت إليها أمّه والعجَب يملأ قلبها، وكذلك دُهش أبوه.

فأخذ المصحف وذهب به إلى الأخ المسؤول الشرعيّ في منطقته، يحكي له الرؤيا إلى أن وصل إلى قصّة الشّعرة، فقال: (ها هي الشّعرة إن كنت لا تصدق)، وفتح المصحف ليريه إياها، لكنه فوجئ ودون سابقة إنذار بريحٍ هبت وطارت بالشعرة من المصحف، فلم يرها الأخ الشرعيّ.

ولـمّا حكى لنا أبوه الرؤيا تعجبنا منها حتى وصل إلى قصّة الريح والشعرة، فقال رجلٌ مفضالٌ كان معنا: (سبحان الله، أتدري يا أبا محمد لماذا أخذت الرّيح شعرة عروس ابنك، لأنّه لا يحلّ لصاحبك أن يراها ويحلّ ذلك لك، فما كان لك أن تهتك ستر عروس ابنك، وحفظ الله شعرها أن يراه غيرُ ذي محرم).

وصف أحمد الجنة كما رآها في المنام وصفا عجيبًا، فكان مما وصف أنه دخل بيتًا عبارة عن درّة من ذهب، ليس له باب، فقيل له: ادخل يا أحمد، فقال: من أين أدخل؟،

قيل له: سمِّ الله وادخل. فوضع يده على القبة فانفتح فيها باب ودخل، وقال: (كلما أردت أن أدخل أو أخرج من مكان، فقط أضع يدي على المكان فينفتح فيه باب)، وقال: (رأيت يا أبت عجبًا في الجنّة، رأيت نهرين من حليب وخمر، لكن العجب أنهما ليس لهما ضفاف، بل تجري على سطح الأرض ولا تنساب يمينا ولا يسارا)، وقال: (كلما جيء لنا بطعام في الجنّة يكون من الطّير فإذا أكلنا جاء اللّحم فدعا العظمَ ثم الرّيشَ، ثم تطير مرّة أخرى!).

وكان من أكثر ما أثار العجب فيما روى هذا الفتى، أنه رأى يومًا رؤيا عظيمة، فيها وصفٌ لعرش الرّحمن، وهو يقينًا -وأنا أعرفه وأعرف أباه- لا يعرف شيئًا عن هكذا مواضيع، فوصَف أحمد العرش بعدما طار إليه هو والشيخ أبو مصعب والأخ يحيى أبو الحسن الشّرعي، المذكورة قصّته سابقًا في سير أعلام الشهداء، وبرهان على صدق الرّؤيا كان معهم أخ رابع كنيته (أبو أحمد)، لا يعرف الفتى ولا أبوه أو المقربون منهما اسمَه الحقيقيّ قطّ، رآه صاحبنا معهم باسمه الحقيقيّ وكنيته، حتى عندما ذكر أبوه الرؤيا لأبي أحمد، تعجّب الرّجل وقال: (سبحان الله! أسألك بالله هل تعلم اسمي قبلا؟!)، قال: (والله الذي لا إله إلا هو لا أعلمه)، وكذلك ولده أقسم على ذلك، فعلم الجميع أنها رؤيا صدق إن شاء الله.

رأى أحمد أنه طار ومن معه، ومع كل واحد منهم اثنتا عشرة حورية، قال: (فطِرنا إلى أن وصلنا إلى مسافةٍ عند إحدى قوائم العرش ولم نصل إلى منتهاه، فقيل لنا: نطيرُ إلى القائمة الأخرى فطِرنا مسافة طويلة)؛ يقول: (قدرتها أنا بنحو ستّ ساعات لكن من غير تعب ولا نصب)، قال : (فقيل لنا نطير إلى أعلى)، قال: (فطِرنا زمنًا طويلاً من غير تعب، حتى وصلنا إلى ياقوتةٍ زرقاء كبيرةٍ جدًا وعليها كتابة. أوّل من قرأ ما عليها الشّيخُ أبو مصعب، فما أن قرأها حتى أُغميَ عليه، وهكذا كلّ من يقرأ يُغمى عليه)، وقال: (وأنا أنظر ولا أعرف ما هو مكتوب، وماذا حدث لهم حتى جاء عليَّ الدور، فإذا مكتوبٌ عليها: عرش الرّحمن)، قال: (فما أن انتهيت من قراءتها حتّى أغمي عليَّ، فجاءت الحور فأيقظتني، ثمّ أيقظت من معي، وقيل لنا هيا نطيرُ إلى أعلى)، وإلى هنا

أعتذر عن الاستمرار، فما ينبغي لمثلي أن يعدو قدره ويحكي هكذا رؤيا، وإني أتهيّب ما زاد على هذا الحدّ، فليعذرني إخواني، وليدعوا لأحمدَ بالعلوّ والرّفعة.

دخل علينا رمضان ١٤٢٨ للهجرة، وفي السابع والعشرين منه، تقدم محمّد نحيلُ الجسم عظيمُ الاطمئنان، بشاحنة مملوءة بالمتفجرات، إلى وكرٍ من أوكار الردّة، ومنطقة لم يسْبق أن فُجّر فيها، أو نُفِّذت فيها عملية استشهاديّة، فأحالت مركز الشّرطة والردة إلى أثرٍ بعد عيْن، وكسرَ الله المرتدّين في هذا المكان، وبعد ساعات من ذلك تقدّم البطل أحمد إلى مبنًى ووكرٍ من أوكار الردّة آخر، فكبّر وفجّر نفسه وحصد أكثر من ستة وعشرين مرتدًا فالله أكبر وله الحمد حمدًا كثيرًا.

ولا نقول لأمّهما (طيبة) إلا أن اصبري واحتسبي الأجر والثواب، وعلمتُ أنها طلبت هي الأخرى عمليّة استشهاديّة، إلا أن القائمين بالأمر لم يوافقوا على الطّلب، لأنّ النّساء يُمنعن إلا في ظروف ضيقة جدًا، حيث يتعذّر على الرجال القيام بمثل هذه العمليات... وفي طيبة وعزاءً لها، كتبت بعض مشاعري ولا أدّعي أنها شعر فقلت:

أمّ الشهيد

بلِّغ سلامي للعفيفةِ طيبة *** أكرِمْ بها من حرّةٍ وحسيبة
أبكتْ عيوني بالمكارم جودًا *** هل بعد نفسِ رضيعها فتطيبه
تبغي الثّواب من الكريم جزيلاً *** ترجو دوامًا للحياة بطِيبة
كانت تحب صغيرها فتذاكرا *** كيف الفِراق ولا فراق نُصيبه
قالت بنيّ إلى الجنان ترفرف *** تلك الديار ودونها فمُصيبة
أسرع بنيّ إلى المعالي شامخًا *** إني وراءك فالحياة عصيبة
أكرم أباك فلا يراك في الشّقا *** وأخلص لربك بالرجاء تجيبه
فمضى الصغير كالشمسِ مشرقة *** قالا وداعًا فالجنان رغيبة

وفي ختام قصتي هذه يبقى السؤال: هل قُتِل محمد وأحمد ابنا طيبة وإخوانهما تحت راية عميّة باطلة كما يدّعون؟..

وهـل مثـل محمـد وأحمد منتحـران في جهنّم، كمـا يـدعي علمـاء السـلاطين أو الشياطين!...

وهل ستذهب هذه الدّماء سدى، أو يخزيها الله ويخزى حملة الراية بعدها..؟!

وفي ختام مقالتي هذه أسأل الله أن لا يحرمني أجر ولَديّ محمد وأحمد، فقد بلغني أنهمـا كانا سعيدين بأني كنتُ يومًا مـا أدرّسهما القـرآن، وأسأله أن لا يخيّب ظنّهمـا بعمّهما، ولا يفتنني بعدهما، وأن يحشرني وإيّاهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

زاد المجاهد – الطبعة الثانية

مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا جمع خفيف اجتهدت فيه لك يا ولي الله.. لك أنت أيها المجاهد القابض على دينك والسلاح في زمان الفتن والخنوع، ولأني أخوك وأحسب نفسي معك في مسيرة التوحيد والجهاد أعرف ما تحتاجه نفسي في زحمة السير مع شدة الطلب، في وقت عز فيه المشفق الناصح، وتنحى عن قيادة الركب العالم المجاهد، فكان لا بد لطالب الحق أن يجتهد في حماية الجند مع الجدّ في السير، وليس لي في هذا فضل إلا أني جعلت نفسي رسولك إلى سوق الجنة ورياض العلم، فما ابتعت لك إلا ما صح وطاب، وظننت أنه ينفعك ولا يثقل كاهلك، وإني لأرجو أن تنتفع بعبقه ولا يسوءني شوكه، ومع هذا فإني لست أول من ادعى شرف الوكالة، ولكني أجزم أنه ما من أحد يدعي حبك ويشفق عليك ويتمنى أن يُقبّل التراب الذي تطؤه قدمك مثلي أكنت أعرفك أو أجهلك، وهذه المحبة هي رسولي إليك ودافعي أولا وآخرا، ولست أرجو إلا من الله القبول ثم دعوة منك أيها الحبيب لأخيك بظهر الغيب.

فضل الذكر

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٥].

١. عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالْمَيِّتِ"[١].

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: "سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ"، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ"[٢].

٣. عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[٣].

٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، -قَالَ:- فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، -قَالَ:- فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: {مَا يَقُولُ عِبَادِي؟} -قَالَ:- فيقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، -قَالَ:- فَيَقُولُ: {هَلْ رَأَوْنِي؟} -قَالَ:- فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، -قَالَ:- فَيَقُولُ: {وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟} -قَالَ:- فيقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، -قَالَ:- يَقُولُ: {فَمَا يَسْأَلُونِي؟} -قَالَ:- يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، -قَالَ:- يَقُولُ: {وَهَلْ رَأَوْهَا؟} -قَالَ:- يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا

---

[١]. أخرجه البخاري "٦٤١٥" ومسلم "٧٧٩" واللفظ للبخاري.

[٢]. أخرجه مسلم "٢٦٧٦".

[٣]. أخرجه مسلم "٢٦٧٥".

رَبِّ مَا رَأَوْهَا، -قَالَ:- يَقُولُ: {فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟} -قَالَ:- يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، -قَالَ:- {فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟} -قَالَ:- يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، -قَالَ:- يَقُولُ: {وَهَلْ رَأَوْهَا؟} -قَالَ:- يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، -قَالَ:- يَقُولُ: {فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟} -قَالَ:- يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، -قَالَ:- فَيَقُولُ: {فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، -قَالَ:- يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: {هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ}"[1].

فضل الدعاء

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، وقال: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]، وقال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]، وقال: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: ٦٢].

٥. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[2].

٦. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ"[3].

٧. عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ

---

[1] ٤. أخرجه البخاري "٦٤١٦" واللفظ له ومسلم "٢٦٨٩".

[2] ٥. أخرجه أحمد "١٨٣٥٢" وابن ماجه "٣٨٢٨" وغيرهم، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين

[3] ٦. أخرجه الترمذي "٣٨٩٠" وقال: وهذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الْوَجْهِ.

يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا"، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: "اللَّهُ أَكْثَرُ"[1].

٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، غَضِبَ عَلَيْهِ"[2].

والدعاء سهام لا تصيب إلا بآداب وشروط

قال الله تعالى: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر: ٦٥]، وقال: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٥-٥٦]، وقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[3].

١٠. عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ"[4].

---

[1] ٧. أخرجه أحمد "١١١٣٣" والحاكم "١٨٣٧" ولفظ أحمد: "إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا..". وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلَّا أنَّ الشيخين لم يُخرجاه عن علي بن علي الرِّفاعي. رواه الترمذي "٣٨٩٠" بلفظ مقارب من طريق عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال: وهذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الْوَجْهِ.

[2] ٨. أخرجه أحمد "٩٧١٩" وابن ماجه "٣٨٢٧" وهذا لفظه. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف من أجل أبي صالح.

[3] ٩. أخرجه أحمد "٨١٧٨"، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] ١٠. أخرجه أحمد "٦٦٥٥" رجاله ثقات غير أن فيه ابن لهيعة وروايته ضعيفة هنا فهي من غير رواية العبادلة عنه، وأورده المنذري في الترغيب وحسنه، وكذا الهيثمي في الزوائد، وَفِي الْبَاب عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ.

١١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ"[1].

١٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلاَ، أَوْ فَلَمْ، يُسْتَجَبْ لِي"[2].

١٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: "يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ"[3].

١٤. عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْنِي: لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ[4].

١٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"[5].

---

[1] ١١. أخرجه البخاري "٦٣٤٧" واللفظ له ومسلم "٢٦٧٩" ولفظ مسلم: "فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرِهَ لَهُ"، وفي لفظ آخر عنده "٢٦٧٩": "وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ".

[2] ١٢. أخرجه البخاري "٦٣٤٨" ومسلم "٢٧٣٥" واللفظ له.

[3] ١٣. أخرجه مسلم "٢٧٣٥".

[4] ١٤. طرف من حديث أخرجه البخاري "٦٣٤٥".

[5] ١٥. أخرجه مسلم "١٠١٥".

ما يقوله المجاهد يثني به على مولاه ويصلي على النبي قبل الدعاء

١٦. عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ يَقُولُ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يذكر الله عز وجل ولم يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "عَجِلَ هَذَا"، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ولِغَيْرِهِ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ"[1].

١٧. عن ابن أبي ليلى قال: لقيني كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: قَدْ عرفنا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: "فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"[2].

١٨. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ[3].

١٩. عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، -أَوْ:- لَا إِلَهَ غَيْرُكَ"[4].

---

[1] ١٦. أخرجه أحمد "٢٣٩٣٧" ومن طريقه أبو داود "١٤٨١" وأخرجه الترمذي "٣٧٨٤"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

[2] ١٧. أخرجه البخاري "٦٣٦٥" ومسلم "٤٠٦".

[3] ١٨. أخرجه الطبراني في الأوسط "٧٢١"، والبيهقي في شعب الإيمان "١٤٧٥"، قال المنذري: (رواه الطبراني في الأوسط موقوفًا، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصحّ)، قال ابن حجر في المطالب: (إسناده ضعيف).

[4] ١٩. أخرجه البخاري "١١٢٧".

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وَفِيهِ اسْتِحْبَاب تَقْدِيم الثَّنَاء عَلَى الْمَسْأَلَة عِنْد كُلّ مَطْلُوب اقْتِدَاء بِهِ ﷺ) [ج٣/ص٥].

وقال ابن القيم رحمه الله: (من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا. فالدعاء الذي يَتَقدَّمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء) [الوابل الصيب: ص ٢٢٤].

أوقات الإجابة التي يتعرض فيها المجاهد لرحمة ربه

٢٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟"[1].

٢١. وفي لفظ آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ"[2].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وَزَادَ سَعِيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: "هَلْ مِنْ تَائِب فَأَتُوب عَلَيْهِ"، وَزَادَ أَبُو جَعْفَر عَنْهُ: "مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقنِي فَأَرْزُقهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِف الضُّرّ فَأَكْشِف عَنْهُ"، وَزَادَ عَطَاء مَوْلَى أُمّ صُبَيَّة عَنْهُ: "أَلَا سَقِيمٌ يَسْتَشْفِي فَيُشْفَى"، وَمَعَانِيهَا دَاخِلَةٌ فِيمَا تَقَدَّمَ) [ج٣/ص٣١].

٢٢. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلاَ ظَلُومٍ"[3].

[1] ٢٠. أخرجه البخاري "١١٥٢" ومسلم "٧٥٨".
[2] ٢١. أخرجه مسلم "٧٥٨".
[3] ٢٢. أخرجه مسلم "٧٥٨".

قال النووي رحمه الله: (وَالْمُرَاد بِالْقَرْضِ -وَاللَّهُ أَعْلَم- عَمَل الطَّاعَة سَوَاء فِيهِ الصَّدَقَة وَالصَّلَاة وَالصَّوْم وَالذِّكْر وَغَيْرهَا مِنَ الطَّاعَات، وَسَمَّاهُ سُبْحَانه وَتَعَالَى قَرْضًا مُلَاطَفَة لِلْعِبَادِ وَتَحْرِيضًا لَهُمْ عَلَى الْمُبَادَرَة إِلَى الطَّاعَة) [شرح مسلم: ج٦/ص٣٨].

٢٣. عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[1].

قال المهلب: (وفِيهِ الحَضُّ عَلَى الدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ حِينَ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِلرَّحْمَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: "سَاعَتَانِ لَا يُرَدُّ فِيهِمَا الدُّعَاءُ: حَضْرَةُ النِّدَاءِ بِالصَّلَاةِ، وَحَضْرَةُ الصَفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ"[2] فدلهم عليه السلام على أوقات الإجابة)[شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٢/ص٢٤٢].

٢٤. عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَادْعُوا"[3].

٢٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ". وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[4].

قال ابن حجر في الفتح: (قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: اَلْإِشَارَةُ لِتَقْلِيلِهَا هُوَ لِلتَّرْغِيبِ فِيهَا وَالْحَضِّ عَلَيْهَا لِيَسَارَة وَقْتِهَا وَغَزَارَة فَضْلهَا) [ج٢/ص٤١٦].

---

[1] ٢٣. أخرجه أبو داود "٢٥٤٠" بإسناد صحيح.

[2] رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك. والحديثُ حسَّنَه الحافظُ ابن حَجَر كما في الفُتُوحَاتِ الرَّبَّانية.

[3] ٢٤. أخرجه أحمد "١٢٥٨٤" بإسناد صحيح.

[4] ٢٥. أخرجه البخاري "٩٤٥" وهذا لفظه ومسلم "٨٥٢".

٢٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا"[٥].

٢٧. عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: "لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى"[٢].

قال النووي: (وَمَعْنَى "حَدِيث عَهْد بِرَبِّهِ" أَيْ بِتَكْوِينِ رَبّه إِيَّاهُ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَطَر رَحْمَة، وَهِيَ قَرِيبَة الْعَهْد بِخَلْقِ اللَّه تَعَالَى لَهَا فَيَتَبَرَّك بِهَا. وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِقَوْلِ أَصْحَابنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ عِنْد أَوَّل الْمَطَر أَنْ يَكْشِف غَيْر عَوْرَته لِيَنَالَهُ الْمَطَر) [شرح مسلم: ج٦/ص ١٩٥].

٢٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"[٣].

٢٩. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَلَا إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ: فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ"[٤].

٣٠. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ"[٥].

٢٦.[٥] أخرجه البخاري "٣٣٠٧" وهذا لفظه ومسلم "٢٧٢٩".

٢٧.[٢] أخرجه مسلم "٨٩٨".

٢٨.[٣] أخرجه مسلم "٤٨٢".

٢٩.[٤] أخرجه أحمد "١٩٠٠" وأبو داود "٨٧٦" وإسناده صحيح.

٣٠.[٥] أخرجه البخاري "١٩١٠" وهذا لفظه، ومسلم "١٠٧٩".

ما يقوله ويقدمه المجاهد من أدعية جامعة عند سؤاله مولاه راجيا الإجابة

٣١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"[١].

٣٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"[٢].

٣٣. عَنْ حَفْصٍ -يَعْنِي ابْنَ أَخِي أَنَسٍ-، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى"[٣].

٣٤. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. وفيه قال عثمان لسعد: إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لا وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إلا تَغَشَّى بَصَرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ، قَالَ سَعْدٌ: فَأَنَا أُنْبِئُكَ بِهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ" قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَمَهْ" قَالَ: قُلْتُ: لا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ، قَالَ: "نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ

---

[١] ٣١. أخرجه البخاري "٦٣٥٤" ومسلم "٢٧٣٠" وهذا لفظه.

[٢] ٣٢. أخرجه أحمد "٢٣٠٤١" وابن ماجه "٣٨٥٧" وأبو داود "١٤٩٣،١٤٩٤" بإسناد صحيح، واللفظ المذكور لابن ماجه وأحد لفظي أحمد.

[٣] ٣٣. أخرجه أبو داود "١٤٩٥" وابن ماجه "٣٨٥٨" وإسناده صحيح.

هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: {لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ لَهُ"[١].

٣٥. عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"[٢].

قال ابن القيم: (يعني: تعلّقوا بها، والزموها، وداوموا عليها) [الجواب الكافي: ص١٩].

٣٦. عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، وَفَاتِحَةِ سورة آلِ عِمْرَانَ: {الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}"[٣].

٣٧. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أضاف النبي ﷺ ضيفًا فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعامًا، فلم يجد عند واحدة منهن فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهُمَا إِلَّا أَنْتَ"، فأهديت إليه شاة مصلية فقال: "هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ"[٤].

ما يقوله المجاهد مستغفرًا ومعترفًا بالذنب وموبخًا لنفسه

٣٨. عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا، -وقال: قتيبة: كَثِيرًا- وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[٥].

---

[١] ٣٤. أخرجه أحمد "١٤٦٢" وغيره بإسناد صحيح.

[٢] ٣٥. أخرجه أحمد "١٧٥٩٦" والحاكم "١٨٥٧"، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه. ورواه الترمذي "٣٨٣٥" من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ وَلَيْسَ بِمَحْفُوظٍ، وإنَّما يُرْوى هذا عن حَمَّادِ بن سَلمةَ، عن حُمَيْدٍ، عن الحَسنِ البَصْريّ، عن النبيِّ ﷺ. وهذا أصَحُّ، والمؤمَّلُ غَلِطَ فيهِ، فقال: عن حُمَيْدٍ، عن أنسٍ. وَلا يُتابعُ فيهِ

[٣] ٣٦. أخرجه أبو داود "١٤٩٦" وهذا لفظه وابن ماجه "٣٨٥٥" والترمذي "٣٧٨٢"، وله شاهد من حديث أبي أمامة، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٤] ٣٧. أخرجه أبو نعيم في الحلية "٧/ ٢٣٩" وقال: (غريب من حديث مسعر وزبيد تفرد به البرجمي). قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زياد البرجمي، وهو ثقة).

[٥] ٣٨. أخرجه البخاري "٨٤٣" ومسلم "٢٧٠٥" وهذا لفظه.

٣٩. عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1].

٤٠. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"[2].

ما يقوله المجاهد للناس داعيًا إلى الله، وأول ما يبدأ به التوحيد ثم الفرائض

٤١. عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[3].

قال الحافظ في الفتح: (وَيُجْمَعُ بَيْنَهَا بِأَنَّ الْمُرَادَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَوْحِيدُهُ وَبِتَوْحِيدِهِ الشَّهَادَةُ لَهُ بِذَلِكَ وَلِنَبِيِّهِ بِالرِّسَالَةِ، وَوَقَعَتْ الْبُدَاءَةُ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ غَيْرُهُمَا إِلَّا بِهِمَا) [ج٣/ص٣٥٨].

---

[1] ٣٩. أخرجه البخاري "٦٤٠٦" ومسلم "٢٧١٩" والسياق له.

[2] ٤٠. أخرجه البخاري "٦٣١٥".

[3] ٤١. أخرجه البخاري "٧٣٦٧" ومسلم "١٩" واللفظ المذكور أحد لفظي البخاري، وفي لفظ لمسلم: "فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ".

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا وسوس الشيطان بالشك في الإيمان، والسؤال عن الخالق

٤٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: "وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ"[1].

٤٣. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ قَالَ: "تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ"[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: (أَمَّا مَعَانِي الْأَحَادِيث وَفِقْههَا فَقَوْله ﷺ: "ذَلِكَ صَرِيح الْإِيمَان"، وَ"مَحْض الْإِيمَان" مَعْنَاهُ اسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلَام بِهِ هُوَ صَرِيح الْإِيمَان، فَإِنَّ اسْتِعْظَام هَذَا وَشِدَّة الْخَوْف مِنْهُ وَمِنَ النُّطْق بِهِ فَضْلًا عَنِ اِعْتِقَادِهِ إِنَّمَا يَكُون لِمَنِ اِسْتَكْمَلَ الْإِيمَان اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَة وَالشُّكُوك) [شرح مسلم: ج٢/ص١٥٤].

٤٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا، خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ"[3].

٤٥. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ"[4].

قال الإمام النووي رحمه الله: (فَمَعْنَاهُ الْإِعْرَاض عَنْ هَذَا الْخَاطِر الْبَاطِل وَالِالْتِجَاء إِلَى اللَّه تَعَالَى فِي إِذْهَابه) [شرح مسلم: ج٢/ص١٥٥].

---

[1] ٤٢. أخرجه مسلم "١٣٢".

[2] ٤٣. أخرجه مسلم "١٣٣".

[3] ٤٤. أخرجه مسلم "١٣٤".

[4] ٤٥. أخرجه البخاري "٣٢٨١" ومسلم "١٣٤".

وقال الحافظ في الفتح: (وقال الطِّيبِيُّ: إِنَّمَا أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ وَالِاشْتِغَال بِأَمْر آخَر وَلَمْ يَأْمُر بِالتَّأَمُّلِ وَالِاحْتِجَاج) [ج٦/ص٣٤١].

ما يقوله المجاهد عن الدّهر إذا ساءه شيء، وحُرمة سبِّه

٤٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[1].

٤٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"[2].

٤٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"[3].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: (مَعْنَاهُ أَنَا صَاحِب الدَّهْر وَمُدَبِّر الْأُمُور الَّتِي يَنْسِبُونَهَا إِلَى الدَّهْر فَمَنْ سَبَّ الدَّهْر مِنْ أَجْل أَنَّهُ فَاعِل هَذِهِ الْأُمُور عَادَ سَبّه إِلَى رَبّه الَّذِي هُوَ فَاعِلهَا، وَإِنَّمَا الدَّهْر زَمَان جُعِلَ ظَرْفًا لِمَوَاقِع الْأُمُور. وَكَانَتْ عَادَتهمْ إذا أَصَابَهُمْ مَكْرُوه أَضَافُوهُ إِلَى الدَّهْر فَقَالُوا: بُؤْسًا لِلدَّهْرِ، وَتَبًّا لِلدَّهْرِ) [أعلام الحديث: ج٣/ص١٩٠٤].

وقال النووي رحمه الله: (وَأَمَّا الدَّهْر الَّذِي هُوَ الزَّمَان فَلَا فِعْل لَهُ، بَلْ هُوَ مَخْلُوق مِنْ جُمْلَة خَلْق اللَّه تَعَالَى. وَمَعْنَى "فَإِنَّ اللَّه هُوَ الدَّهْر" أَيْ فَاعِل النَّوَازِل وَالْحَوَادِث، وَخَالِق الْكَائِنَات، وَاللَّهُ أَعْلَم) [شرح مسلم: ج١٥/ص٣].

وقال الحافظ: (وقال الْمُحَقِّقُونَ: مَنْ نَسَبَ شَيْئًا مِنَ الْأَفْعَال إِلَى الدَّهْر حَقِيقَة كَفَرَ، وَمَنْ جَرَى هَذَا اللَّفْظ عَلَى لِسَانه غَيْر مُعْتَقِد لِذَلِكَ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ، لَكِنَّهُ يُكْرَه لَهُ ذَلِكَ لِشَبَهِهِ بِأَهْلِ الْكُفْر فِي الْإِطْلَاق) [فتح الباري: ج١٠/ص٥٦٦]، وقال ابن تيمية: (لكن يؤدب ويعزر لسوء منطقه) [الصارم المسلول على شاتم الرسول: ص٤٩٥].

[1] ٤٦. أخرجه البخاري "٤٨١٠" ومسلم "٢٢٤٦".
[2] ٤٧. أخرجه مسلم "٢٢٤٦".
[3] ٤٨. أخرجه مسلم "٢٢٤٦".

ما يقوله المجاهد في يمينه إذا حلَف، وما عليه إن حُلف له

٤٩. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ"[1].

٥٠. عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا"[2].

٥١. عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ"[3].

قال الحافظ في الفتح: (قَالَ جُمْهُور الْعُلَمَاء: مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى أَوْ غَيْرهمَا مِنَ الْأَصْنَام أَوْ قَالَ إِنْ فَعَلْت كَذَا فَأَنَا يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ أَوْ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَام أَوْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِر اللَّه وَلَا كَفَّارَة عَلَيْهِ وَيُسْتَحَبّ أَنْ يَقُول لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [ج١١/ص٥٣٦].

٥٢. عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ"[4].

قال الحافظ في الفتح: (وَالتَّعْبِير بِقَوْلِهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الزَّجْر وَالتَّغْلِيظ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ تَمَسَّكَ بِهِ مَنْ قَالَ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ) [ج١١/ص٥٣١].

---

[1] ٤٩. أخرجه البخاري "٦١١٢" واللفظ له، ومسلم "١٦٤٦".

[2] ٥٠. أخرجه أبو داود "٣٢٥٣". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[3] ٥١. أخرجه البخاري "٦٠٥٢".

[4] ٥٢. أخرجه أبو داود "٣٢٥١"، والترمذي "١٦١٥"، وقال: حديث حسن.

٥٣. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ: "لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ"[١].

ما يقوله المجاهد إذا حلف بغير الله ساهيا

٥٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ"[٢].

ما يقوله المجاهد ويفعله لمن استعاذه بالله

قال الله تعالى في شأن مريم لما دخل عليها الملك وحسبته إنسيًّا: {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} [مريم: ١٨].

٥٥. عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"[٣].

٥٦. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَنَا مِنْهَا قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: "لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ"[٤].

قَالَ الطِّيبِيُّ: (أَيْ مَنِ اسْتَعَاذَ بِكُمْ وَطَلَبَ مِنْكُمْ دَفْع شَرّكُمْ أَوْ شَرّ غَيْركُمْ قَائِلًا: بِاللَّهِ عَلَيْك أَنْ تَدْفَع عَنِّي شَرّك فَأَجِيبُوهُ، وَادْفَعُوا عَنْهُ الشَّرّ، تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللَّه تَعَالَى) [عون المعبود، العظيم آبادي: ج٤/ص١٣٥٥].

٥٣[١]. أخرجه ابن ماجه "٢١٠١" وإسناده صحيح.

٥٤[٢]. أخرجه البخاري "٦٦٥٧" ومسلم "١٦٤٧" واللفظ عند البخاري.

٥٥[٣]. أخرجه أبو داود "١٦٧٢" وهذا لفظه، وعنده أيضا "٥١٠٩" باختصار، وأخرجه أحمد "٥٣٦٥" وغيره، وإسناده صحيح.

٥٦[٤]. أخرجه البخاري "٥٢٤٥"، وأخرجه أيضا أحمد "١٦٠٦١" وغيره بلفظ: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ)، قَالَ: "لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ"، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: "يَا أَبَا أَسِيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا" وإسناده صحيح.

ما يقوله المجاهد إذا سأله بالله أحد، ولا يسأل بوجهه إلا الجنة

٥٧. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قوله سألتك بالله أن تفعل كذا فهذا سؤالٌ وليس بقسم وفى الحديث: "مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ" ولا كفَّارة على هذا إذا لم يجب سؤاله)

[مجموع الفتاوى: ج١/ص٢٠٦].

٥٨. عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللَّهِ فَمَنَعَ سَائِلَهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ هَجْرًا"[2].

قال الصنعاني في سبل السلام: (ويحملُ لعنُ السائلِ على ما إذا ألحَّ في المسألةِ حتَّى أضجرَ المسؤول) [ج٥/ص٢٠٦].

وقال العراقي في طرح التثريب: (وَإِنَّمَا أُرِيدَ النَّهْيُ عَنْ سُؤَالِ الْمَخْلُوقِينَ بِذَلِكَ وَكَذَا عَنْ سُؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِوَجْهِهِ فِي الْأُمُورِ الْهَيِّنَةِ أَمَّا طَلَبُ الْأُمُورِ الْعِظَامِ تَحْصِيلًا وَدَفْعًا فَلَمْ يَتَنَاوَلْهُ نَهْيٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) [ج٣/ص١١٢].

ما يقوله المجاهد إذا غلبه أمر، مسلّما بقضاء الله من غير عجز

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [آل عمران: ١٥٦].

---

[1] ٥٧. تقدم في الباب السابق.

[2] ٥٨. أخرجه الطبراني في الدعاء "٢١١٢". قال الهيثمي في المجمع: (إسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: (رجاله رجال الصحيح إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وهو ثقة، وفيه كلام).

٥٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[1].

ما يقوله المجاهد إذا فاته شيء من الخير بعد الحرص عليه

٦٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: (فَالظَّاهِر أَنَّ النَّهْي إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاق ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَة فِيهِ، فَيَكُون نَهْي تَنْزِيه لَا تَحْرِيم. فَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأَسُّفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَة اللَّه تَعَالَى، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَذَّر عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَحْو هَذَا، فَلَا بَأْس بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَل أَكْثَر الِاسْتِعْمَال الْمَوْجُود فِي الْأَحَادِيث. وَاللَّه أَعْلَم) [شرح مسلم: ج١٦/ص٢١٦].

ما يقوله المجاهد إذا تشاءم من شيء

٦١. عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ" قيل: يا رسول الله، وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ، يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ"[3].

٦٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ" وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ[4].

---

[1] ٥٩. أخرجه مسلم "٢٦٦٤".

[2] ٦٠. أخرجه مسلم "٢٦٦٤".

[3] ٦١. أخرجه البخاري "٥٧٥٤" ومسلم "٢٢٢٣" وهذا لفظه.

[4] ٦٢. أخرجه أحمد "٤١٧١" وأبو داود "٣٩١٠" والترمذي "٣٥٣٨" واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ. قال الحافظ في الفتح: (وَقَوْله "وَمَا مِنَّا إِلَّا" مِنْ كَلَام اِبْن مَسْعُود أُدْرِجَ فِي الْخَبَر، وَقَدْ بَيَّنَهُ سُلَيْمَان بْن حَرْب

٦٣. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ"[1].

ما يقوله المجاهد إذا حلَّ الوباء بأرض

٦٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْغَ بَلَغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" فرجع عمر من سَرْغ[2].

ما يقوله المجاهد إذا خشي الرياء في العمل، وما حظّ المخلص من غيره في الجهاد

٦٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[3].

٦٦. عَنْ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[4].

شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيمَا حَكَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنِ الْبُخَارِيّ عَنْهُ" وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَفَعَهُ "لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مَنْ تَكَهَّنَ أو اسْتَقْسَمَ أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا)، قال الحافظ: (رجاله ثقات) وقال الهيثمي: (رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات).

[1] ٦٣. أخرجه أحمد "٧٠٤٥". قال الأرنؤوط: حديث حسن، ابن لهيعة، وإن كان ضعيفا قد رواه عنه عبد الله بن وهب، وهو صحيح. قال الهيثمي في المجمع: (رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات).

[2] ٦٤. أخرجه البخاري "٥٧٣٠"، وأخرجه البخاري أيضا "٦٩٧٩" ومسلم "٢٢١٩".

[3] ٦٥. أخرجه مسلم "٢٩٨٥".

[4] ٦٦. أخرجه البخاري "٦٦٩٦" ومسلم "١٩٠٧" واللفظ له.

٦٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[٥].

٦٨. عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٢].

٦٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ، حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[٣].

٧٠. عنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزْنٍ وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ، قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ

٦٧.[٥] أخرجه البخاري "٧٤٥٣" ومسلم "١٨٧٦" واللفظ له.

٦٨.[٢] أخرجه البخاري "٢٨٢٧" ومسلم "١٩٠٤".

٦٩.[٣] أخرجه مسلم "١٩٠٥".

اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ"، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ"[1].

قال ابن بطال رحمه الله: (والرياء ينقسم قسمين: فإن كان الرياء في عقد الإيمان فهو كفر ونفاق، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، فلا يصح أن يخاطب بهذا الحديث، وإن كان الرياء لمن سلم له عقد الإيمان من الشرك، ولحقه شيء من الرياء في بعض أعماله، فليس ذلك بمخرج من الإيمان إلا أنه مذموم فاعله، لأنه أشرك في بعض أعماله حَمْدَ المخلوقين مع حَمْدِ ربه، فَحُرِم ثواب عمله ذلك) [شرح صحيح البخاري: ج١/ص١١٣].

ما يقوله أو يفعله المجاهد ليتقي فتنة الدّجال

٧١. عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ"[2].

٧٢. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"[3].

٧٣. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ؛ فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ"[4].

---

[1] ٧٠. أخرجه أحمد "١٩٦٠٦" رجاله ثقات غير عبد الملك العرزمي فصدوق، وغير أبي علي وثقه ابن حبان، قال الهيثمي في المجمع: (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان).
[2] ٧١. أخرجه مسلم "٢٩٣٤" وبعضه لدى البخاري "٣٤٥٠".
[3] ٧٢. أخرجه مسلم "٨٠٩".
[4] ٧٣. أخرجه البخاري "١٨٩٢" واللفظ له ومسلم "٢٩٤٣".

ما يقوله المجاهد في بيعة الحرب والبيعة العامة، وعظم إثم الناكث

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ١٠].

٧٤. عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ. فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأُثْرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ.[١].

٧٥. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إذا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: "فِيمَا اسْتَطَعْتَ"[٢].

٧٦. وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: أتيت النَّبِيَّ ﷺ قلتُ: أُبايِعُكَ عَلَى الإِسْلامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: "والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"[٣].

قال المهلب: (اختلفت ألفاظ بيعة النبي ﷺ فروي «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة» وروي «على الجهاد» وروى «على الموت» وقد بين ابن عمر وعبد الرحمن بن عوف في بيعتهما ما يجمع معاني البيعة كلها، وهو قولهم: «على السمع والطاعة وعلى سنة الله وسنة رسوله») [شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٨/ص٢٧٤].

٧٧. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا"[٤].

---

[١] ٧٤. أخرجه البخاري "٧٠٥٦".

[٢] ٧٥. أخرجه البخاري "٧١٩٨".

[٣] ٧٦. أخرجه البخاري "٥٨".

[٤] ٧٧. أخرجه البخاري "٧٢٠٨" ومسلم "١٠٨".

قال ابن بطال: (في هذا الحديث وعيد شديد في الخروج على الأئمة ونكث بيعتهم لأمر الله بالوفاء بالعقود؛ إذ في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء وفي القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتيت الألفة) [شرح صحيح البخاري: ج٨/ص٢٧٩].

وقال النووي: (وَأَمَّا مُبَايِع الْإِمَام عَلَى الْوَجْه الْمَذْكُورِ فَمُسْتَحِقّ هَذَا الْوَعِيد لِغِشِّهِ المجاهدينَ وَإِمَامهمْ، وَتَسَبُّبِهِ إِلَى الْفِتَن بَيْنهمْ بِنَكْثِهِ بَيْعَته لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ) [شرح مسلم: ج٢/ص١١٨].

استحباب تجديد بيعة الطاعة، وأن يحثّ الأمير جنوده عليها، وتغليظ العهود قبل المعارك الحاسمة أو الخطيرة

٧٨. عنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ: "يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ أَلَا تُبَايِعُ؟" قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "وَأَيْضًا" فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ[1].

قال المهلب: (أراد رسول الله ﷺ يؤكد بيعته لشجاعته وغنائه في الإسلام وشهرته بالثبات، فأراد أن يجعل له مزية في تكرير المبايعة من أجل شجاعته) [شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٨/ص٢٧٧].

وقال الله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨].

٧٩. وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ. وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ[2].

---

[1] ٧٨. أخرجه البخاري "٢٩٧٧".

[2] ٧٩. أخرجه مسلم "١٨٥٦".

ما يقوله المجاهد ويفعله إذا طلب منه العدو عهد الله وحكمه

٨٠. عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلاَلٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ، وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ، وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ"[1].

قال النووي رحمه الله: (قَالَ الْعُلَمَاء: الذِّمَّة هُنَا: الْعَهْد، "تُخْفِرُوا": بِضَمِّ التَّاء، يُقَال: أَخْفَرْت الرَّجُل إذا نَقَضْت عَهْده، وَخَفَرْته أَمِنْته وَحَمَيْته، قَالُوا: وَهَذَا نَهْي تَنْزِيه أَيْ: لَا تَجْعَل لَهُمْ ذِمَّة اللَّه فَإِنَّهُ قَدْ يَنْقُضهَا مَنْ لَا يَعْرِف حَقّهَا، وَيَنْتَهِك حُرْمَتهَا بَعْض الْأَعْرَاب وَسَوَاد الْجَيْش، وقَوْله ﷺ: "وَإِذَا حَاصَرْت أَهْل حِصْن فَأَرَادُوك أَنْ تُنْزِلهُمْ عَلَى حُكْم اللَّه فَلَا تُنْزِلهُمْ عَلَى حُكْم اللَّه، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمك؛ فَإِنَّك لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْم اللَّه فِيهِمْ أَمْ لَا" هَذَا النَّهْي أَيْضًا عَلَى التَّنْزِيه وَالِاحْتِيَاط) [شرح مسلم: ج١٢/ص٣٩-٤٠].

---

[1] ٨٠. أخرجه مسلم "١٧٣١".

ما يقوله المجاهد لمن دعا بدعوى الجاهلية

٨١. عَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعَضَّهُ، وَلَمْ يُكَنِّهِ، فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ، إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنَا: "إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ" يَعْنِي يَعْتَزِي بِعِزْوَاتِهِمْ وَهِيَ الِانْتِسَابُ إلَيْهِمْ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ: يَا لِقَيْسٍ يَا ليمن وَيَا لِهِلَالٍ وَيَا لِأَسَدٍ) [مجموع الفتاوى: ج٢٨/ص٤٢٢].

ما يقوله المجاهد إذا نزل به البلاء والنهي عن تمني تعجيل العقوبة

٨٢. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُنْتُ شَاكِيًا فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَارْفَعْنِي، وَإِنْ كَانَ بَلاءً فَصَبِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كَيْفَ قُلْتَ؟" فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ، قَالَ: فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ عَافِهِ -أَوِ- اللهُمَّ اشْفِهِ" -شَكَّ شُعْبَةُ- قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي ذَاكَ بَعْدُ[2].

٨٣. عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ المسلمين قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟"، قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ. -أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ[3].

---

[1] ٨١. أخرجه أحمد "٢١٢٣٣"، قال الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتي بن ضمرة، فحديثه يصلح للمتابعات والشواهد.

[2] ٨٢. أخرجه أحمد "٨٤١" والترمذي "٣٥٦٤" وقال: حسن صحيح.

[3] ٨٣. أخرجه مسلم "٢٦٨٨".

قال النووي رحمه الله: (وَفِيهِ: كَرَاهَة تَمَنِّي الْبَلَاء؛ لِئَلَّا يَتَضَجَّر مِنْهُ وَيَسْخَطهُ وَرُبَّمَا شَكَا، وَأَظْهَرُ الْأَقْوَال فِي تَفْسِير الْحَسَنَة فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا الْعِبَادَة وَالْعَافِيَة، وَفِي الْآخِرَة الْجَنَّة وَالْمَغْفِرَة) [شرح مسلم: ج١٧/ص١٣].

ما يقوله المجاهد إذا ابتلي بشدّة، وتمني الموت

٨٤. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي"[1].

ما يقوله المجاهد متوكلا به على مولاه، وطارحا نفسه إليه ليحفظها

قال الله تعالى في قولة إبراهيم والذين معه: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة: ٤-٥]، وقال بنو إسرائيل لما أمرهم موسى عليه السلام: {وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [يونس: ٨٤-٨٦].

قال القرطبي رحمه الله: (أي أسلمنا أُمورنا إليه، ورضينا بقضائه وقدره، وانتهينا إلى أمره. {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، أي لا تنصرهم علينا، فيكون ذلك فتنةً لنا عن الدِّين، أو لا تمتحنَّا بأن تعذِّبنا على أيديهم، وقال مجاهد: المعنى لا تهلكنا بأيدي أعدائنا، ولا تعذِّبنا بعذابٍ من عندك، فيقول أعداؤنا لو كانوا على حقٍّ لم نسلَّط عليهم، فيُفْتَنُوا) [الجامع لأحكام القرآن: ج٨/ص٣٧٠].

وقال السعدي: ({وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}: لنسلم من شرهم ولنقيم على ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض ولا منازع) [تيسير الكريم الرحمن: ص٣٧٢].

---

[1] ٨٤. أخرجه البخاري "٦٣٥٩" واللفظ له، ومسلم "٢٦٨٠" وفي رواية لمسلم "٢٦٨٠": "مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ".

ما يقوله المجاهد المستضعف للكفار إذا قتلوا أو آذوا مسلمًا، ووجوب الثبات على الحق والصبر عليه

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر: ٢٨].

٨٥. عن عروة بن الزبير قال: سألتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}[1].

ما يقوله المجاهد إذا غلب على ظنه الموت أو شعر به

٨٦. عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النبي ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يقول: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ"[2].

قال النووي رحمه الله: (الصَّحِيح الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور أَنَّ الْمُرَاد بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى الْأَنْبِيَاء السَّاكِنُونَ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَلَفْظَة "رَفِيق" تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِد وَالْجَمْع قَالَ الله تَعَالَى: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩]) [شرح مسلم: ج١٥/ص٢٠٨].

---

[1] ٨٥. أخرجه البخاري "٤٧٩٨"، وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: (لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله فقالوا من هذا فقالوا أبو بكر المجنون). قال الهيثمي في المجمع: (رواه أبو يعلى والبزار وزاد فتركوه وأقبلوا على أبي بكر، ورجاله رجال الصحيح)، وقال الحافظ في الفتح: (إسناده صحيح).

[2] ٨٦. أخرجه البخاري "٤٤٢١" ومسلم "٢٤٤٤".

٨٧. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[١].

بعض ما يقوله المجاهد في صلاته

٨٨. عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إذا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي"، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"[٢].

٨٩. وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِي"، وقال: "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"، وقال: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: "سَمِعَ

٨٧[١]. أخرجه أبو داود "٣١١٦" وأحمد "٢٢١٢٧" واللفظ لأبي داود، وقال أحمد: "وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" وشواهده كثيرة. قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل صالح بن أبي عَريب.

٨٨[٢]. أخرجه مسلم "٧٧١".

اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ"، وَقَالَ: "وَصَوَّرَهُ، فَأَحْسَنَ صُورَهُ"، وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ" إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ: بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ[١].

ما يقوله المجاهد إذا وسوس له الشيطان في صلاته

٩٠. عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ، يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا" قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي[٢].

قال النووي: (وَفِي هَذَا الْحَدِيث اسْتِحْبَابُ التَّعَوُّذ مِنَ الشَّيْطَان عَنْ وَسْوَسَته مَعَ التَّفْل عَنِ الْيَسَار ثَلَاثًا) [شرح مسلم: ج١٤/ص١٩٠].

فضل الصوم في سبيل الله، وما يقوله المجاهد الصائم إذا أفطر

٩١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"[٣].

٩٢. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا أَفْطَرَ قَالَ: "ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"[٤].

ما يقوله المجاهد إذا حضر الطعام وهو صائم ولم يفطر

٩٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ"[٥].

---

[١] ٨٩. أخرجه مسلم "٧٧١".

[٢] ٩٠. أخرجه مسلم "٢٢٠٣".

[٣] ٩١. أخرجه البخاري "٢٨٥٧" واللفظ له، ومسلم "١١٥٣"، ولفظ مسلم: "بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا".

[٤] ٩٢. أخرجه أبو داود "٢٣٥٨" وأخرجه النسائي "٣٣١٥" و "١٠٠٥٨" وأخرجه الدارقطني "٢٢٧٩" وقال: إسناده حسن، ووافقه ابن حجر في تلخيص الحبير.

[٥] ٩٣. أخرجه مسلم "١٤٣١"، وله "١١٥٠" من حديث أبي هريرة أيضا بلفظ: "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ".

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين: (قَالَ العلماءُ: معنى "فَلْيُصَلِّ": فَلْيَدْعُ، ومعنى "فَلْيطْعَمْ": فَلْيَأْكُلْ) [ص ٢٣٧].

ما يقوله المجاهد إذا أصابته ضربة قاتلة

٩٤. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ، فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا؛ فتقدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَؤوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلٌ أَعْرَجُ صَعِدَ الْجَبَلَ، قَالَ هَمَّامٌ: فَأُرَاهُ آخَرَ مَعَهُ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، فَكُنَّا نَقْرَأُ أَنْ: {بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا}، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛ عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ[1].

ما يقوله المجاهد إذا رأى ما يعجبه من نفسه أو من غيره

قال الله تعالى: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: «مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ»، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة) [تفسير القرآن العظيم: ج٥/ص١٥٨].

٩٥. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يُرِيدَانِ الْغُسْلَ قَالَ: فَانْطَلَقَا يَلْتَمِسَانِ الْخَمَرَ، قَالَ: فَوَضَعَ عَامِرٌ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ صُوفٍ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنِي فَنَزَلَ الْمَاءَ يَغْتَسِلُ، قَالَ: فَسَمِعْتُ لَهُ فِي الْمَاءِ قَرْقَعَةً فَأَتَيْتُهُ فَنَادَيْتُهُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَجَاءَ يَمْشِي فَخَاضَ الْمَاءَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا

---

[1] ٩٤. أخرجه البخاري "٢٨١٨".

وَوَصَبَهَا"، قَالَ: فَقَامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيُبَرِّكْهُ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ"[1].

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا أصيب بالعين

٩٦. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسن وَالْحُسَيْنَ وَيقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ"[2].

٩٧. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سعد بن مالك رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا[3].

٩٨. عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا"[4].

٩٩. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ[5].

١٠٠. وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخْبَأَةٍ فَلُبِطَ سَهْلٌ فَأُتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقيل: يا رَسُولَ اللَّهِ هل لك في سهل بن حنيف والله ما يرفعُ رأسَه، فقال: "هَلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ أَحَدًا؟"، قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، قال فدعا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عامرا فتغيَّظَ عليه وقال: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا بَرَّكْتَ اغْتَسِلْ لَهُ"، فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ

[1] ٩٥. أخرجه أحمد "١٥٧٠٠" واللفظ له، وأخرجه أيضا ابن ماجه "٣٥٠٩" ولفظه: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إذا رأى أحدكم..". قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني، وفيه أمية بن هند، وهو مستور، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم "٧٦٩٠" من طريق وكيع، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

[2] ٩٦. أخرجه البخاري "٣٣٧٤".

[3] ٩٧. أخرجه الترمذي "٢١٨٥" وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

[4] ٩٨. أخرجه مسلم "٢١٨٨".

[5] ٩٩. أخرجه أبو داود "٣٨٨٠" وإسناده صحيح.

وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَازِرِيّ: (دَاخِلَة إِزَاره، وَهُوَ الطَّرَف الْمُتَدَلِّي الَّذِي يَلِي حِقْوه الْأَيْمَن. وَقَدْ ظَنَّ بَعْضهم أَنَّ دَاخِلَة الْإِزَار كِنَايَة عَنِ الْفَرْج، وَجُمْهُور الْعُلَمَاء عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ) [المعلم بفوائد مسلم: ج٣/ص١٥٧].

وقال القاضي عياض: (غَسْل دَاخِلَة الْإِزَار، إِنَّمَا هُوَ إِدْخَاله وَغَمْسه فِي الْقَدَح، ثُمَّ يَقُوم الَّذِي فِي يَده الْقَدْح فَيَصُبّهُ عَلَى رَأْس الْمَعِين مِنْ وَرَائِهِ عَلَى جَمِيع جَسَده، ثُمَّ يَكْفَأ الْقَدَح وَرَاءَهُ عَلَى ظَهْر الْأَرْض) [إكمال المعلم بفوائد مسلم: ج٧/ص٨٤].

قَالَ الْقَاضِي: (فِي هَذَا الْحَدِيث مِنَ الْفِقْه مَا قَالَهُ بَعْض الْعُلَمَاء أَنَّهُ يَنْبَغِي إذا عُرِفَ أَحَد بِالْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ أَنْ يُجْتَنَب وَيُتَحَرَّز مِنْهُ، وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ مَنْعه مِنْ مُدَاخَلَة النَّاس، وَيَأْمُرهُ بِلُزُومِ بَيْته. فَإِنْ كَانَ فَقِيرًا رَزَقَهُ مَا يَكْفِيه، وَيَكُفّ أذاهُ عَنِ النَّاس) [إكمال المعلم بفوائد مسلم: ج٧/ص٨٥].

ما يرقي المجاهد به أهله وأخاه إذا اشتكى

١٠١. عن عبد العزيز بن صهيب البناني قال: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ، فَقَالَ أَنَسٌ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَلَى، قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"[2].

[1] ١٠٠. أخرجه مالك "١٦٧٩"، والنسائي في الكبرى "٧٥٧٢"، وابن ماجه "٣٥٠٩"، ورجالهم رجال الصحيح، وأخرجه أحمد عن أبي أمامة عن أبيه "١٥٩٨٠"، وقال الهيثمي في المجمع: (ورجال أحمد رجال الصحيح)، وفي رواية عند الطبراني في الكبير "٥٥٧٤" قال: (وَأَمَرَهُ فَحَسَا مِنْهُ حَسَوَاتٍ، فَأَمَرَهُ فَقَامَ فَرَاحَ مَعَ الرَّكْبِ)، قال الهيثمي في المجمع: (ورجال هذه الرواية رجال الصحيح).

[2] ١٠١. أخرجه البخاري "٥٧٤٢".

١٠٢. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيقُولُ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"[١].

١٠٣. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرْقِي يقُولُ: "امْسَحِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ"[٢].

١٠٤. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟)، فَقَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: (بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيك، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ)[٣].

١٠٥. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ"[٤].

١٠٦. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: "لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، فَقَالَ لَهُ: "لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ: قُلْتُ طَهُورٌ، كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَنَعَمْ إِذَنْ"[٥].

١٠٧. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إلا عُوفِيَ"[٦].

---

[١] ١٠٢. أخرجه البخاري "٥٧٤٣".

[٢] ١٠٣. أخرجه البخاري "٥٧٤٤" وهذا لفظه ومسلم "٢١٩١".

[٣] ١٠٤. أخرجه مسلم "٢١٨٦".

[٤] ١٠٥. أخرجه البخاري "٣٣٧٤".

[٥] ١٠٦. أخرجه البخاري "٣٦١١".

[٦] ١٠٧. أخرجه أحمد "٢١٣٧"، قال الأرنؤوط: حديث صحيح. وأخرجه الترمذي "٢٢١٥"، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث المنهال بن عمرو.

١٠٨. عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ أَنَّ أَبَاهَا قَالَ: تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا فَجَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَتْرُكُ مَالًا وَإِنِّي لَمْ أَتْرُكْ إِلَّا ابْنَةً وَاحِدَةً فَأُوصِي بِثُلُثَيْ مَالِي وَأَتْرُكُ الثُّلُثَ، فَقَالَ: "لَا"، قُلْتُ: فَأُوصِي بِالنِّصْفِ وَأَتْرُكُ النِّصْفَ، قَالَ: "لَا"، قُلْتُ: فَأُوصِي بِالثُّلُثِ وَأَتْرُكُ لَهَا الثُّلُثَيْنِ، قَالَ: "الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ"، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ"، فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي فِيمَا يُخَالُ إِلَيَّ حَتَّى السَّاعَةِ[1].

١٠٩. وفي رواية فقال النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا" ثَلاثَ مِرَارٍ[2].

١١٠. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ". قَالَ أَبُو دَاوُد: وقال ابْنُ السَّرْحِ: "إِلَى صَلَاةٍ"[3].

ما يقوله المجاهد ويفعله للملدوغ

١١١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: "وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ"[4].

---

[1] ١٠٨. أخرجه البخاري "٥٦٥٩".

[2] ١٠٩. أخرجه مسلم "١٦٢٨" من طريق آخر عن سعد به.

[3] ١١٠. أخرجه أبو داود "٣١٠٧". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف من أجل حيي بن عبد الله -وهو المعافري- فهو ضعيف إذا انفرد.

[4] ١١١. أخرجه البخاري "٥٧٣٦" ومسلم "٢٢٠١" وفي لفظ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟" ثُمَّ قَالَ: "قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا" فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. أخرجه البخاري "٢٢٨٩" وهذا لفظه ومسلم "٢٢٠١".

ما يقوله المجاهد على الحريق إذا أصيب به الجسد

١١٢. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْمُجَلِّلِ، قَالَتْ: أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَةٍ - أَوْ لَيْلَتَيْنِ - طَبَخْتُ لَكَ طَبِيخًا، فَفَنِيَ الْحَطَبُ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ، فَتَنَاوَلْتَ الْقِدْرَ، فَانْكَفَأَتْ عَلَى ذِرَاعِكَ، فَأَتَيْتُ بِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ، فَتَفَلَ فِي فِيكَ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِكَ، وَدَعَا لَكَ، وَجَعَلَ يَتْفُلُ عَلَى يَدَيْكَ، وَيَقُولُ: "أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسْ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"، فَقَالَتْ: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى بَرَأَتْ يَدُكَ[1].

ما يقوله ويفعله المجاهد على الدمامل والبثور والحروق

١١٣. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا: "بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا"[2].

قال النووي رحمه الله: (وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّهُ يَأْخُذ مِنْ رِيق نَفْسه عَلَى إِصْبُعِهِ السَّبَّابَة ثُمَّ يَضَعهَا عَلَى التُّرَاب فَيَعْلَق بِهَا مِنْهُ شَيْء، فَيَمْسَح بِهِ عَلَى الْمَوْضِع الْجَرِيح أَوِ الْعَلِيل، وَيَقُول هَذَا الْكَلَام فِي حَال الْمَسْح. وَاَللَّهُ أَعْلَم) [شرح مسلم: ج١٤/ص١٨٤].

وقال الحافظ في الفتح: (قال الْبَيْضَاوِيّ: قَدْ شَهِدَتْ الْمَبَاحِث الطِّبِّيَّة عَلَى أَنَّ لِلرِّيقِ مُدْخَلًا فِي النُّضْج وَتَعْدِيل الْمِزَاج، وَتُرَاب الْوَطَن لَهُ تَأْثِير فِي حِفْظ الْمِزَاج وَدَفْع الضَّرَر، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسَافِرِ أَنْ يَسْتَصْحِب تُرَاب أَرْضه إِنْ عَجَزَ عَنِ اسْتِصْحَاب مَائِهَا، حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْمِيَاه الْمُخْتَلِفَة جَعَلَ شَيْئًا مِنْهُ فِي سِقَائِهِ لِيَأْمَن مَضَرَّة ذَلِكَ)، وقال: (تَنْبِيه: أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مَا يُفَسَّر بِهِ الشَّخْص الْمَرْقِيّ، وَذَلِكَ فِي حَدِيث عَائِشَة

---

[1] ١١٢. أخرجه أحمد "١٥٤٥٣"، قال الأرنؤوط: مرفوعه صحيح، وهذا إسناد ضعيف.

[2] ١١٣. أخرجه البخاري "٥٧٤٥" ومسلم "٢١٩٤" واللفظ له.

أَنَّ النَّبِيّ ﷺ دَخَلَ عَلَى ثَابِت بْن قَيْس بْن شِمَاس وَهُوَ مَرِيض فَقَالَ: "اِكْشِفْ الْبَاس، رَبّ النَّاس"، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ بَطْحَان فَجَعَلَهُ فِي قَدَح، ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ، ثُمَّ صَبَّهُ عَلَيْهِ) [ج١٠/ص٢٠٨].

١١٤. وعن مَرْيَمَ ابْنَةِ إِيَاسِ بْنِ الْبُكَيْرِ -صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ-، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: "أَعِنْدَكِ ذَرِيرَةٌ؟"، قَالَتْ: نَعَمْ، فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا عَلَى بَثْرَةٍ بَيْنَ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ مُطْفِئَ الْكَبِيرِ، وَمُكَبِّرَ الصَّغِيرِ، أَطْفِهَا عَنِّي" فَطُفِئَتْ[١].

ما يقوله المجاهد على المجنون والمعتوه

١١٥. عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا: أُنْبِئْنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ فَهَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ أَوْ رُقْيَةٌ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ؟ قَالَ: فَقُلْنَا نَعَمْ، قَالَ: فَجَاءُوا بِالْمَعْتُوهِ فِي الْقُيُودِ، قَالَ: فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً أَجْمَعُ بُزَاقِي ثُمَّ أَتْفُلُ، قَالَ: فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ، قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا، فَقُلْتُ: لَا، حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: "كُلْ لَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ"[٢].

ما يقوله المجاهد إذا خاف العاهات والأمراض الخبيثة

١١٦. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ"[٣].

---

[١] ١١٤. أخرجه أحمد "٢٣١٤١" ورجاله رجال الصحيح غير مريم، قال عنها ابن حجر في التقريب: (مقبولة)، وقال في الإصابة "٨/ ٣١٥": (مريم بنت إياس بن البكير، وهو أهل بيت صحابة، شهد أبوها وأعمامها بدرًا، وهم من حلفاء بني عدي، ورواية عمرو بن يحيى المازني عنها عند أحمد والنسائي بسند صحيح)، وفي لسان العرب: (الحَنُوطُ ذَرِيرة، وقد تَحَنَّطَ به الرجل وحَنَّطَ الميت تَحْنِيطًا).

[٢] ١١٥. أخرجه أحمد "٢١٨٣٦". قال الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين من أجل خارجة بن الصلت، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه. قال عنه الحافظ: (مقبول).

[٣] ١١٦. أخرجه أبو داود "١٥٥٤" بإسناد صحيح.

ما يقوله المجاهد ويفعله عند الاستسقاء وما يستسقي به من الله الذي في السماء

١١٧. عن أَبِي إِسْحَاقَ، خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيُّ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رضي الله عنهم، فَاسْتَسْقَى فَقَامَ بِهِمْ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مِنْبَرٍ فَاسْتَغْفَرَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ وَلَمْ يُؤَذِّنْ وَلَمْ يُقِمْ[١].

١١٨. عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ[٢].

١١٩. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَذْكُرُ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا"، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً، وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْآجَامِ، وَالظِّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ"، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ[٣].

١٢٠. وفي رواية قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا"[٤].

---

[١] ١١٧. أخرجه البخاري "١٠٣٢".
[٢] ١١٨. أخرجه البخاري "١٠٣٤" واللفظ له، ومسلم "٨٩٤".
[٣] ١١٩. أخرجه البخاري "١٠٢٣".
[٤] ١٢٠. أخرجه البخاري "١٠٢٤" وهي رواية لمسلم "٨٩٧".

١٢١. عَنْ سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو إذا اسْتَسْقَى: "اللَّهُمَّ أَنْزِلْ فِي أَرْضِنَا بَرَكَتَهَا وَزِينَتَهَا وَسَكَنَهَا"، وَفِي رِوَايَةٍ: "وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"[١].

١٢٢. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بَوَاكٍ، فَقَالَ: "اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ، قَالَ: فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ"[٢].

١٢٣. وَعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ مُرَّةَ: يَا كَعْبُ بْنَ مُرَّةَ حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحْذَرْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ، قَالَ فَقَالَ: "إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، أَلِمُضَرَ؟"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَنْصَرْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَنَصَرَكَ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَجَابَكَ، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ يَقُولُ "اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيعًا، مَرِيئًا، طَبَقًا غَدَقًا، عَاجِلًا، غَيْرَ رَائِثٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ"، قَالَ: فَأُحْيُوا قَالَ فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَتَوْهُ فَشَكَوْا إِلَيْهِ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فَقَالُوا: قَدْ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا"، قَالَ: فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا[٣].

١٢٤. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷺ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ"، ثُمَّ قَالَ: "{الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

[١] ١٢١. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير "٧/ ٢١٧،٢٢٨،٢٦٨" وأورده الهيثمي في المجمع "٢/ ٢١٥" وقال: (رواهما الطبراني في الكبير والبزار باختصار وإسناده حسن أو صحيح).

[٢] ١٢٢. أخرجه أبو داود "١١٦٩". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وقد صححه أبو عوانة وابن خزيمة والحاكم وسكت عنه الذهبي، وصحح إسناده النووي كذلك في الأذكار، وقال ابن عبد البر: هو أحسن شيء روي في الدعاء في الاستسقاء مرفوعاً. وقال الأرنؤوط: وقد أُعِلَّ بالإرسال، لكن ورود هذا الدعاء من طرق أخرى يقوي وصل الحديث.

[٣] ١٢٣. هذا جزء من حديث طويل أخرجه أحمد "١٨٠٦٦" وأخرجه أيضا ابن ماجه "١٢٦٩". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، سالم بن أبي الجعد لم يسمع من شرحبيل بن السمط.

رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ"، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ، حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ، حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ، ضَحِكَ ﷺ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[1].

١٢٥. عن الشعبي قال: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَمَا زَادَ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ، قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [نوح: ١٠ - ١٢]، {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود: ٥٢][2].

ما يقوله المجاهد إذا رأى الرؤيا

قَالَ تعَالَى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧].

١٢٦. عَنْ عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: "رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"[3].

---

[1] ١٢٤. أخرجه أبو داود "١١٧٣" وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهلُ المدينة يقرؤون {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حُجَّةٌ لَهُمْ.

[2] ١٢٥. أخرجه عبد الرزاق في المصنف "٥٠٤٠"، قال الهيثمي: (ورجاله رجال الصحيح).

[3] ١٢٦. أخرجه البخاري "٦٩٩٣" وهذا لفظه ومسلم "٢٢٦٣".

١٢٧. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ"، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ: "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ"[٤].

١٢٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ، فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ"، قَالَ: (وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ)، فَلا أَدْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ[٢].

١٢٩. عن أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قال: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ"[٣].

١٣٠. عن جابر رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ"[٤].

١٢٧[٤]. أخرجه البخاري "٦٩٩٦". قال الحافظ ابن حجر: (قائلُ: قال: هو ابن سيرين، وأبهم القائل في هذه الرواية، وهو أبو هريرة، وقد رفعه بعض الرواة ووقفه بعضهم).

١٢٨[٢]. أخرجه ومسلم "٢٢٦٣".

١٢٩[٣]. أخرجه البخاري "٧٠٤٦" وهذا لفظه ومسلم "٢٢٦١" وفي بعض روايات مسلم "٢٢٦١" قال أبو سلمة: (إِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَمَا أُبَالِيهَا).

١٣٠[٤]. أخرجه مسلم "٢٢٦٢"، وأخرجه البخاري "٥٧٤٧" ومسلم "٢٢٦١" من حديث أبي قتادة، وفي لفظ للبخاري قال: "الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شيئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيتعَوَّذْ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ".

١٣١. وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتَّبِعُهُ، فَزَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: "لَا تُخْبِرْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ"[١].

١٣٢. وفي رواية: وَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدُ يَخْطُبُ فَقَالَ: "لَا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ"[٢].

١٣٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رُؤْيَا الْمُسْلِمِ يَرَاهَا، أَوْ تُرَى لَهُ" وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ: "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"[٣].

١٣٤. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي"[٤].

١٣٥. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ أُنَاسًا أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّ أُنَاسًا أُرُوا أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ"[٥].

١٣٦. وفي رواية فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ"[٦].

١٣٧. عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: "هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟"[٧].

---

[١] ١٣١. أخرجه مسلم "٢٢٦٨".

[٢] ١٣٢. أخرجه مسلم "٢٢٦٨".

[٣] ١٣٣. أخرجه مسلم "٢٢٦٣" وأخرج البخاري "٦٩٩٤" الشطر الثاني بلفظ: "رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ..".

[٤] ١٣٤. أخرجه البخاري "٧٠٠٣".

[٥] ١٣٥. أخرجه البخاري "٦٩٩٧" وهذا لفظه ومسلم "١١٦٥".

[٦] ١٣٦. هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري "١١٦٥" ومسلم "١١٦٥".

[٧] ١٣٧. أخرجه البخاري "١٣٩٥" ومسلم "٢٢٧٥" واللفظ له.

ما يقوله المجاهد ويفعله إذا أراد جرأة القلب وإجابة الدعوة

١٣٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[1].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: (وَقَدْ يَكُون عَبَّرَ بِذَلِكَ عَنْ سُرْعَة إِجَابَة الدُّعَاء وَالنُّجْح فِي الطَّلَب، وَذَلِكَ أَنَّ مَسَاعِيَ الْإِنْسَان كُلَّهَا إِنَّمَا تَكُون بِهَذِهِ الْجَوَارِحِ الْمَذْكُورَة) [أعلام الحديث: ج٣/ص ٢٢٥٩].

وقال الحافظ: (وَفِي الْحَدِيث أَيْضًا أَنَّ مَنْ أَتَى بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ وَتَقَرَّبَ بِالنَّوَافِلِ لَمْ يُرَدَّ دُعَاؤُهُ لِوُجُودِ هَذَا الْوَعْد الصَّادِق الْمُؤَكَّد بِالْقَسَمِ) [فتح الباري، ابن حجر: ج١١/ص٣٤٥].

ما يقوله المجاهد يدعو به على الكفار

١٣٩. عن مسروق قال: دخلتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَعَا قُرَيْشًا كَذَّبُوهُ وَاسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ" فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ يَعْنِي: كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى كَانُوا يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ، فَكَانَ يَقُومُ أَحَدُهُمْ فَكَانَ يَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} حَتَّى بَلَغَ: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}[2].

---

[1] ١٣٨. أخرجه البخاري "٦٥١٠".

[2] ١٣٩. أخرجه البخاري "٤٨٠٧".

١٤٠. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ"، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ". وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ: "اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا"، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}[1].

١٤١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ قَنَتَ: "اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ"[2].

١٤٢. عن عمرو بن ميمون، أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إذا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ" وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ؛ قَلِيبِ بَدْرٍ[3].

---

[1] ١٤٠. أخرجه البخاري "٨/ ٢٢٩" معلقا: (وقال ابن مسعود. وقال ابن عمر).

[2] ١٤١. أخرجه البخاري "٦٤٠١"، ومسلم "٦٧٥".

[3] ١٤٢. أخرجه البخاري "٢٤٤" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "١٧٩٤" وفي رواية عند مسلم "١٧٩٤": (ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إذا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضِّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ).

١٤٣. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: استأذن رهط من اليهود عَلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فقلتُ: بل عليكم السام واللعنة، فقال: "يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" قلتُ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا، قَالَ: "قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[1].

ما يقوله المجاهد يدعو به على أعداء الله إذا حبسوه عن الصلاة في وقتها

١٤٤. عَنْ علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ"[2].

من كان في عدد وعدة وخاف العُجب فليقل

"اللَّهُمَّ يَا رَبِّ بِكَ أُقَاتِلُ وَبِكَ أُصَاوِلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"، أو: "اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ".

١٤٥. لما رواه صُهَيْب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا نَفْهَمُهُ وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ قَالَ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَطِنْتُمْ لِي؟"، قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ، قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ؟ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، -أَوْ- مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ" أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ شَكَّ سُلَيْمَانُ. وفي رواية الترمذي: "أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ". قَالَ: "فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ، -قَالَ:- فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ فَخِرْ لَنَا، -قَالَ:- فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ، -قَالَ:- وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، -قَالَ:- فَصَلَّى، -قَالَ:- أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ، -قَالَ:- فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي

---

[1] ١٤٣. أخرجه البخاري "٦٩٣٣" وهذا أحد ألفاظه ومسلم "٢٥٩٣" وفي رواية لمسلم "٢١٦٥": "يَا عَائِشَةُ، لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً".

[2] ١٤٤. أخرجه البخاري "٢٩٤٨" وهذا أحد ألفاظه ومسلم "٦٢٧". وله شاهد من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: (قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَدُوًّا فَلَمْ يَفْرُغْ مِنْهُمْ حَتَّى أَخَّرَ الْعَصْرَ عَنْ وَقْتِهَا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: "اللَّهُمَّ مَنْ حَبَسَنَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى فَامْلأْ بُيُوتَهُمْ نَارًا وَامْلأْ قُبُورَهُمْ نَارًا" أَوَ نَحْوَ ذَلِكَ. قال الهيثمي في المجمع "١/ ٣٠٩": (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون).

الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ"[١].

ما يقوله المجاهد إذا اشترى أو استأجر بيتًا، وخاف من جاره سوءًا

١٤٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السَّوْءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ"[٢].

١٤٧. عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ"[٣].

الدعاء عند التخطيط لعمل عسكري، أو أي أمر من أمور الخير يصعب عليه

١٤٨. عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "اللهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلاً إِذَا شِئْتَ"[٤].

ما يتخذه المجاهدون من شعارات وأدوات وعلامات في الحرب وقبلها حَتَّى لَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

١٤٩. عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ الْعَدُوَّ غَدًا، وَإِنَّ شِعَارَكُمْ حم لَا يُنْصَرُونَ"[٥].

---

[١] ١٤٥. أخرجه أحمد "١٨٩٣٧" وإسناده صحيح.

[٢] ١٤٦. أخرجه النسائي "٧٨٨٦" وإسناده حسن. وأخرجه الترمذي "٣٧٣٨" عن محمد بن عمر بن علي، بهذا الإسناد، بالزيادة المذكورة، وزاد أيضًا: "اللهمَّ اصحَبْنا بنُصحك، واقْلِبْنا بذمَّةٍ"، وقال: هذا حديث حسن غريب.

[٣] ١٤٧. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير "٨١٠"، وعزاه الهيثمي في المجمع "٧/ ٢٢٠" للطبراني وقال: (إسناده حسن).

[٤] ١٤٨. أخرجه ابن حبان "٦٧٣٧" وابن السني "٣٥١" وقال الحافظ: (صحيح).

[٥] ١٤٩. أخرجه أحمد "١٨٥٤٩". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف بهذه السياقة لضعف أجلح- وهو ابن عبد الله بن حُجَيَّة- وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين.

١٥٠. عَنْ سِنَانِ بن وَبَرَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْمُرَيْسِيعِ، فَكَانَ شِعَارُنَا: (يَا مَنْصُورُ، أَمِتْ أَمِتْ)[٦].

١٥١. عن عبد الله بن الزبير: أنّ الزبير كانت عليه مُلاءة صفراء يوم بدر، فاعتم بها، وعند وكيع: عمامة صفراء مُعْتَجِرًا بها، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبيّ الله ﷺ معمّمين بعمائم صفر[٢].

١٥٢. عن المهلب بن أبي صفرة، أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: "إِنْ بُيِّتُّمْ، فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ: حم لَا يُنْصَرُونَ"[٣].

١٥٣. عن إياس بن سلمة، عن أبيه رضي الله عنه قال: غزونا مع أبي بكر رضي الله عنه زمن النبي ﷺ فكان شعارنا: (أَمِتْ أَمِتْ)[٤].

التفاؤل في اختيار الشعار

١٥٤. عَنْ خَالِدِ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَدِمَتْ بَكْرُ بن وَائِلٍ مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ائْتِهِمْ فَاعْرِضْنِي عَلَيْهِمْ"، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: بنو ذُهْلِ بن ثَعْلَبَةَ، قَالَ: لَيْسَ إِيَّاكُمْ أُرِيدُ، أَنْتُمُ الأَذْنَابُ، فَقَامَ إِلَيْهِ دَغْفَلٌ، فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتُمْ؟، قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: أَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الأَذْنَابِ؟ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ثَانِيَةً، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: بنو ذُهْلِ بن شَيْبَانَ، قَالَ: إِيَّاكُمْ أُرِيدُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: حَتَّى يَجِيءَ شَيْخُنَا فُلانٌ، قَالَ خَلادٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: الْمُثَنَّى بن خَارِجَةَ، فَلَمَّا جَاءَ شَيْخُهُمْ عَرَضَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفُرْسِ حَرْبًا، فَإِذَا فَرَغْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عُدْنَا فَنَنْظُرُ فِيمَا تَقُولُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ غَلَبْتُمُوهُمْ أَتَتْبَعُنَا عَلَى أَمْرِنَا؟ قَالَ: لا نَشْتَرِطُ لَكَ

[٦] ١٥٠. أخرجه الطبراني في الكبير "٦٤٩٦"، والأوسط "٦٠١٥"، والبيهقي في النبوة "٤/ ٤٨" ونسَبَه الهيثمي في المجمع للطبراني في الأوسط والكبير وقال: (إسناد الكبير حسن).

[٢] ١٥١. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف "٣٩٤٢٦-٢٦٣٥٨-٣٤٩١٦"، والحاكم في المستدرك "٥٦٥٣".

[٣] ١٥٢. أخرجه أبو داود "٢٥٩٧" بإسناد صحيح إن كان الذي لم يُسَمَّ البراء بن عازب.

[٤] ١٥٣. أخرجه أبو داود "٢٥٩٦" وأخرجه الحاكم "٢٥٤٨"، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

هَذَا عَلَيْنَا، وَلَكِنْ إذا فَرَغْنا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عُدْنا فَنَظَرْنا فِيمَا تَقُولُ، فَلَمَّا الْتَقَوْا يَوْمَ ذِي قَارٍ هُمْ وَالْفُرْسُ، قَالَ شَيْخُهُمْ: مَا اسْمُ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَهُوَ شِعَارُكُمْ، فَنُصِرُوا عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِي نُصِرُوا"[1].

ما يقوله المجاهد مستعيذا من السوء

١٥٥. عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ"[2].

ما يستعيذ به المجاهد من الجواسيس

١٥٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ"[3].

١٥٧. عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ"[4].

ما يقوله المجاهد في كل مجلس، عسكريًّا أو غيره، وكفارةُ لغطه

١٥٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً"[5].

---

[1] ١٥٤. أخرجه الطبراني في الكبير "٥٥٢٠"، أورده الهيثمي في المجمع وقال: (رواه الطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح غير خلاد بن عيسى وهو ثقة).

[2] ١٥٥. أخرجه الطبراني في الكبير "٨١٠"، وعزاه الهيثمي في المجمع "٧/ ٢٢٠" للطبراني وقال: (إسناده حسن).

[3] ١٥٦. أخرجه النسائي "٧٨٥١" وأبو داود "١٥٤٧" وابن ماجه "٣٣٥٤". قال النووي في رياض الصالحين: إسناده صحيح.

[4] ١٥٧. أخرجه الطبراني في الكبير "٨١٠"، عزاه الهيثمي في المجمع "٧/ ٢٢٠" للطبراني وقال: (إسناده حسن).

[5] ١٥٨. أخرجه أبو داود "٤٨٥٥" بإسناد حسن، وأخرجه أيضا أحمد "٩٠٥٢". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

١٥٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ"[١].

١٦٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ"[٢].

١٦١. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، قَالَ: "كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ"[٣].

١٦٢. عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: "اللهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا"[٤].

ما يقوله المجاهد إذا خاف أن يُسحر من عدوٍّ له

١٦٣. عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ قَالَ: لَوْلَا كَلِمَاتٌ أَقُولُهُنَّ لَجَعَلَتْنِي يَهُودُ حِمَارًا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا هُنَّ؟ فَقَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ

[١] ١٥٩. أخرجه الترمذي "٣٦٧٧"، وقال: هذا حديث حسن.

[٢] ١٦٠. أخرجه الترمذي "٣٧٣٢"، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه.

[٣] ١٦١. أخرجه أبو داود "٤٨٥٩". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٤] ١٦٢. أخرجه الترمذي "٣٨٠٩" وقال: هذا حديث حسن غريب. وله طريق آخر أخرجه الحاكم "١٩٥٥" وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

مِنْهُ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، وَبِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَبَرَأَ وَذَرَأَ)[١].

ما يقوله الأمير المجاهد مؤذنا ببدء العمل

١٦٤. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ: "انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ"، وقال: "اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ"، يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ[٢].

١٦٥. عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يزيد أحدهما على صاحبه قَالَا: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ. وفيه قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ: "امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ"[٣].

ما يقوله الأمير المجاهد موصيا جنده قبل بدء المسير للقتال

١٦٦. عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرا على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصَّته بتقوى الله ومن معه من المجاهدين خيرا ثم قال: "اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ-؛ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ"[٤].

---

[١] ١٦٣. أخرجه مالك في الموطأ "١٤٨٦".

[٢] ١٦٤. أخرجه أحمد "٢٣٩١"، قال الأرنؤوط: إسناده حسن، ابن إسحاق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم "٢٥١١" وقال: قد احتجَّ البخاري بثور بن يزيد وعِكْرِمة، واحتجَّ مسلم بمحمد بن إسحاق، وهذا حديث غريب صحيح، ولم يُخرجاه، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

[٣] ١٦٥. أخرجه البخاري "٤١٦٥ – ٤١٦٦".

[٤] ١٦٦. قطعة من حديث أخرجه مسلم "١٧٣١".

قال النووي رحمه الله: (وَفِي هَذِهِ الْكَلِمَات مِنَ الْحَدِيث فَوَائِد مُجْمَع عَلَيْهَا، وَهِيَ تَحْرِيم الْغَدْر، وَتَحْرِيم الْغُلُول، وَتَحْرِيم قَتْل الصِّبْيَان إذا لَمْ يُقَاتِلُوا، وَكَرَاهَة الْمُثْلَة، وَاسْتِحْبَاب وَصِيَّة الْإِمَام أُمَرَاءَهُ وَجُيُوشه بِتَقْوَى اللَّه تَعَالَى، وَالرِّفْق بِأَتْبَاعِهِمْ، وَتَعْرِيفهمْ مَا يَحْتَاجُونَ فِي غَزْوهمْ وَمَا يَجِب عَلَيْهِمْ وَمَا يَحِلّ لَهُمْ وَمَا يَحْرُم عَلَيْهِمْ وَمَا يُكْرَه وَمَا يُسْتَحَبّ) [شرح مسلم: ج١٢/ص٣٧].

استحباب تشجيع أمير الغزو قبل بدء القتال، ومدحه على الملأ أرجى لطاعته

١٦٧. عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمَد، فقال: أنا أتخلَّفُ عن رسول الله ﷺ فخرج علي فلحِقَ بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتَحها في صباحِها فقال رسول الله ﷺ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أَوْ قالَ: لَيَأْخُذَنَّ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ -أَوْ قالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ- يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ". فَإِذا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وما نَرْجُوهُ، فقالُوا: هَذَا عَلِيٌّ؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ففتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ[1].

ما يوصي به الإمامُ أو أميرُ الجيش الجنودَ بحقِ أميرِ الغزو، وواجب الجنود نحو أمرائهم

١٦٨. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ"[2].

١٦٩. عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَدَّتِي تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَهُوَ يَقُولُ: "وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا"[3].

---

[1] ١٦٧. أخرجه البخاري "٢٩٩٠" وهذا لفظه ومسلم "٢٤٠٧".

[2] ١٦٨. أخرجه البخاري "٧١٤١".

[3] ١٦٩. أخرجه مسلم "١٨٣٨".

١٧٠. وفي رواية: "إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ -حَسِبْتُهَا قَالَتْ: أَسْوَدُ-، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا"[١].

١٧١. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "عَلَى الْمَرْءِ المسلم السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"[٢].

١٧٢. عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّارِ فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا؛ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[٣].

ما يقوله المجاهد إذا أراد الغزو

١٧٣. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا غَزَا قَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ"[٤].

١٧٤. عن صُهَيْب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا نَفْهَمُهُ وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَطِنْتُمْ لِي"، قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ، قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ -أَوْ- مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ" أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ شَكَّ سُلَيْمَانُ. وفي رواية الترمذي: "أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ".

---

[١] ١٧٠. أخرجه مسلم "١٨٣٨" وله أيضا "١٢٩٨"..

[٢] ١٧١. أخرجه البخاري "٧١٤٣" ومسلم "١٨٣٩" وهذا لفظه.

[٣] ١٧٢. أخرجه البخاري "٧١٤٤ " ومسلم "١٨٤٠" وهذا لفظه.

[٤] ١٧٣. أخرجه أبو داود "٢٦٣٢" واللفظ له والنسائي "١٠٣٦٥"، وهو عند أحمد "٢٣٩٢٨" بسياق آخر وإسناده صحيح. وأخرجه الترمذي "٣٩٠١"، وقال: حديث حسن غريب.

قَالَ: "فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ ، –قَالَ:– فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ فَخِرْ لَنَا، –قَالَ:– فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ، –قَالَ:– وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، –قَالَ:– فَصَلَّى، –قَالَ:– أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ، –قَالَ:– فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ"[1].

جاء في فتح القدير: ("بِكَ أُصَاوِلُ" أي أسطو على العدو وأحمل عليه "بِكَ أَحُولُ" عن المعصية أو أحتال والمراد كيد العدو "وبك أسير" إلى العدو فانصرني).

ما يقوله المجاهد راجيا من الله السلامة والعافية في غزوه وكل أمره

١٧٥. عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال: كتب إليه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه فقرأته أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ خطيبا قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"[2].

١٧٦. عَنْ الْعَبَّاسِ قَالَ: أتيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَدعو بِهِ، فَقَالَ: "سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ"، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَدْعُو بِهِ، قَالَ: فَقَالَ: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[3].

---

[1] ١٧٤. أخرجه أحمد "١٨٩٣٧" وإسناده صحيح. وله شاهد مختصر من حديث عَلِيٍّ –رضي الله عنه– قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا أَرَادَ سَفَرًا قَالَ: "بِكَ اللَّهُمَّ أَصُولُ وَبِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَسِيرُ"، قال الهيثمي في المجمع: (رواه أحمد والبراز ورجالهما ثقات).

[2] ١٧٥. أخرجه البخاري "٢٩٨٢" وهذا لفظه، وأخرجه أيضا مسلم "١٧٤٢".

[3] ١٧٦. أخرجه أحمد "١٧٨٣" واللفظ له، قال: الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، وحديثه يكتب للمتابعة. وأخرجه الترمذي "٣٨٢٣" من طريق يزيد بن أبي، وقال: هذا حديث صحيح، وعبدُ الله بن الحارث قد سمع من العباس بن عبد المطلب.

١٧٧. عن جبير بن نفير قال: قام أبو بكر رضي الله عنه بالمدينة إلى جانب منبر رسول الله ﷺ -أو عليه- فذكر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قام في مقامي هذا عام أول، فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ -ثَلَاثًا- فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ مِثْلَ الْعَافِيَةِ بَعْدَ يَقِينٍ"[1].

ما يجب على الأمير المجاهد أن يحرض عليه جنوده قبل بدء القتال

١٧٨. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، كتب إلى عمر بن عبيد الله حين سار إلى الحرورية يخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، يَنْتَظِرُ حَتَّى إذا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فيهم فقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أنّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيوفِ". ثُمَّ قام النبي ﷺ وقَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ"[2].

١٧٩. عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ". فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ[3].

---

[1] ١٧٧. أخرجه أبو نعيم في الحلية "٥/ ١٣٥"، وأخرجه النسائي من حديث أبي بكر الصديق بلفظ "أَيُّهَا النَّاسُ سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ يَقِينٍ مِثْلَ مُعَافَاةٍ"، وفي رواية لأحمد " سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ – أَوْ قَالَ:- الْعَافِيَةَ ...". وصححه الحاكم في المستدرك "١٩٥٩" ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي في "٣٨٧٤" من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه عن أبي بكر نحوه. وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر.

[2] ١٧٨. أخرجه مسلم "١٧٤٢" وقد تقدم بعض تخريجه.

[3] ١٧٩. أخرجه مسلم "١٩٠٢".

ما يجب أن يقوله ويفعله الأمير قبل دخول أرض العدو أو ساحة القتال، ووجوب أخذ الحيطة والحذر، ومشروعية العيون

١٨٠. عن جابر رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: "مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فقال الزبير: أنا، ثم قال: "مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فقال الزبير: أنا، ثم قال: "مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فقال الزبير: أنا، ثم قال: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّ، وَإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ"[1].

١٨١. عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال رجل: لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ فقال حذيفة: أنتَ كنت تفعلُ ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقُر فقال رسول الله ﷺ: "أَلا رَجُلٌ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيامَةِ؟"، فَسَكَتْنا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ"، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: "اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ". فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ" وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: "قُمْ يَا نَوْمَانُ"[2].

١٨٢. عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ -يَزِيدُ أَحَدُهُما على صاحِبِهِ- قالَا: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِئَةً مِنْ أَصْحابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ منها بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزاعَةَ، وَسارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطاطِ أَتاهُ عَيْنُهُ، قالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحابِيشَ،

---

[1] ١٨٠. أخرجه البخاري "٤١٠٣" وهذا أحد ألفاظه.

[2] ١٨١. أخرجه مسلم "١٧٨٨".

وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصادُّوكَ عن الْبَيْتِ، وَمانِعُوكَ. فَقالَ: "أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عز وجل قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ". قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عامِدًا لِهَذا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ. قالَ: "امْضُوا على اسْمِ اللَّهِ"[1].

استحباب سؤال المجاهد النصر على الأعداء، وخاصة قبل العمل

١٨٣. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، -أَوْ مُنِيبًا-، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي"[2].

١٨٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو فَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَأَرِنِي فِيهِ ثَأْرِي"[3].

الِاسْتِفْتَاحُ بِصَعَالِيكِ المجاهدينَ أي الضعفاء وما ينبغي أن يقال لمن ظن في نفسه قوة أو شجاعة أو ذكاء على غيره

١٨٥. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ، وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ"[4].

[1] ١٨٢. أخرجه البخاري "٤١٦٥ – ٤١٦٦".

[2] ١٨٣. أخرجه أبو داود "١٥١٠، ١٥١١" وإسناده صحيح. وأخرجه بنحوه الترمذي "٣٨٦٥" وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[3] ١٨٤. أخرجه الحاكم "١٩٣٩-٢٦٦٢"، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. قال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني، وفيه ليث بن أبى سليم مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في مختصر الزوائد: إسنادُهُ حسنٌ. وأخرجه الترمذي من طريق آخر "٣٩٢٩"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ من هذا الْوَجْهِ.

[4] ١٨٥. أخرجه الترمذي "١٧٩٧"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٨٦. عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رضي الله عنه أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ"[١].

قَالَ الْمُهَلَّب: (أَرَادَ ﷺ بِذَلِكَ حَضَّ سَعْدٍ عَلَى التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ الزَّهْوِ عَلَى غَيْرِهِ وَتَرْكِ احْتِقَارِ المجاهد فِي كُلِّ حَالَةٍ) [فتح الباري، ابن حجر: ج٦/ص٨٩].

١٨٧. عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَكُونُ حَامِيَةَ الْقَوْمِ أَيَكُونُ سَهْمُهُ وَسَهْمُ غَيْرِهِ سَوَاءً، قَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ سَعْدٍ، وَهَلْ تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ"[٢].

قال الحافظ في الفتح: (فَإِنْ كَانَ الْقَوِيّ يَتَرَجَّحُ بِفَضْلِ شَجَاعَتِهِ فَإِنَّ الضَّعِيف يَتَرَجَّحُ بِفَضْلِ دُعَائِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَبِهَذَا يَظْهَرُ السِّرُّ) [ج٦/ص٨٩].

ما يقوله المجاهد إذا صعد مرتفعا من الأرض كجبل أو بناية

١٨٨. عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا[٣].

١٨٩. عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ -وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الْغَزْوِ- يَقُولُ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ: كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَه، وَنَصَرَ عَبْدَه، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ".قَالَ صَالِحٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَمْ يَقُلْ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ؟ قَالَ: لَا.[٤].

١٩٠. عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا"، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

---

[١] ١٨٦. أخرجه البخاري "٢٩١٣".

[٢] ١٨٧. أخرجه أحمد "١٤٩٣". قال الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، مكحول- وهو الشامي- لم يسمع من سعد. لكن أخرج البخاري "٢٨٩٦" من طريق مصعب بن سعد.

[٣] ١٨٨. أخرجه البخاري "٣٠٠٩".

[٤] ١٨٩. أخرجه البخاري "٣٠١١" وهذا أحد ألفاظه.

بِاللَّهِ، فَقَالَ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، -أَوْ قَالَ- أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"[1].

١٩١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي قَالَ: "عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ"، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: "اللَّهُمَّ اطْوِ لهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عليْهِ السَّفرَ"[2].

ما يقوله المجاهد إذا هبط منحدرا

١٩٢. عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إذا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا[3].

ما يقوله المجاهد إذا ضعفت أو عجزت دابته عن العمل

١٩٣. عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَجَهَدَ بِالظَّهْرِ جَهْدًا شَدِيدًا، فَشَكَوْا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا بِظَهْرِهِمْ مِنَ الْجَهْدِ، فَتَحَيَّنَ بِهِمْ مَضِيقًا فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ، فَقَالَ: "مُرُّوا بِسْمِ اللَّهِ"، فَمَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِظَهْرِهِمْ، فَجَعَلَ يَنْفُخُ بِظَهْرِهِمْ: "اللهُمَّ احْمِلْ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِكَ، إِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَعَلَى الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ"، قَالَ: فَمَا بَلَغْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى جَعَلَتْ تُنَازِعُنَا أَزِمَّتَهَا، قَالَ فَضَالَةُ: هَذِهِ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ فَمَا بَالُ الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الشَّامَ غَزَوْنَا غَزْوَةَ قُبْرُسَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ وَمَا يَدْخُلُ فِيهَا، عَرَفْتُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ[4].

---

[1] ١٩٠. أخرجه البخاري "٤١٩١ –٦٦١٨" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٢٧٠٤".

[2] ١٩١. أخرجه الترمذي "٣٧٤٦" وغيره وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

[3] ١٩٢. أخرجه البخاري "٣٠٠٩".

[4] ١٩٣. أخرجه أحمد "٢٣٩٥٥" وإسناده صحيح.

ما يقوله المجاهد إذا نزل بموضع يخاف ما فيه من الإنس والجن والسباع

١٩٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: "أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ"[1].

١٩٥. عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَمْسَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ"[2].

ما يقوله المجاهد إذا خاف القصف والحرق والفرار من الزحف

١٩٦. عَنْ أَبِي الْيَسَرِ السلمي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فيقول: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرِقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا"[3].

ما يقوله المجاهد إذا خاف قلّة العدد والعدة

١٩٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ"[4].

---

[1] ١٩٤. أخرجه مسلم "٢٧٠٩".

[2] ١٩٥. أخرجه أحمد "٧٨٩٨" وهذا لفظه وابن ماجه "٣٥١٨". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سهيل بن أبي صالح، فمن رجال مسلم.

[3] ١٩٦. أخرجه أحمد "١٥٥٢٣" والنسائي "٧٩١٩" واللفظ لأحمد. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لاضطرابه. رواه الحاكم "١٩٦٩" من طريق عبد الصمد بن الفضل المكي، عن مكي بن إبراهيم، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن جده أبي هند، عن صيفي، به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: أخرجه أبو داود والنسائي بطرق، وليس فيه عن جده.

[4] ١٩٧. أخرجه النسائي "٧٨٤٤" وأحمد "٨٣١١" واللفظ لأحمد. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، حماد من رجاله، وباقي رجال الإسناد ثقات من رجال الشيخين.

ما يقوله المجاهد عند لقاء العدو

قال الله تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

١٩٨. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه: كتب إلى عمر بن عبيد الله حين سار إلى الحرورية يخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فيهم فقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ". ثُمَّ قام النبي ﷺ وقَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ"[1].

قال الحافظ في الفتح: (فَيَظْهَر أَنَّ فَائِدَة التَّأْخِير لِكَوْنِ أَوْقَات الصَّلَاة مَظِنَّة إِجَابَة الدُّعَاء) [ج٦/ص١٢١].

وقال النووي: (نَهَى عَنْ تَمَنِّي لِقَاء الْعَدُوّ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَة الْإِعْجَاب وَالِاتِّكَال عَلَى النَّفْس، وَالْوُثُوق بِالْقُوَّةِ، وَهُوَ نَوْع بَغْي، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّه تَعَالَى لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصُرهُ، وَلِأَنَّهُ يَتَضَمَّن قِلَّة الِاهْتِمَام بِالْعَدُوِّ وَاحْتِقَاره، وَهَذَا يُخَالِف الِاحْتِيَاط وَالْحَزْم) [شرح مسلم: ج ١٢/ص٤٥].

١٩٩. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"[2].

قال النووي: (فِيهِ التَّسْلِيم لِقَدَرِ اللَّه تَعَالَى، وَالرَّدّ عَلَى غُلَاة الْقَدَرِيَّة الزَّاعِمِينَ أَنَّ الشَّرّ غَيْر مُرَاد وَلَا مُقَدَّر -تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ- وَهَذَا الْكَلَام مُتَضَمِّن أَيْضًا لِطَلَبِ النَّصْر) [شرح مسلم: ج١٢/ص٤٨].

---

[1] ١٩٨. أخرجه مسلم "١٧٤٢".

[2] ١٩٩. أخرجه مسلم "١٧٤٣".

٢٠٠. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا غَزَا قَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ"[١].

ما يقوله المجاهد عند بدء الهجوم على العدو، والإشارة ببدء القتال

٢٠١. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: صَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ بُكْرَةً وَقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِي فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، وَأَحَالُوا إِلَى الْحِصْنِ يَسْعَوْنَ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"[٢].

٢٠٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: أَلَا أُعْلِمُكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ؟ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ ذَكَرَ فَتْحَ مَكَّةَ. وفيه: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ، وَأَتْبَاعِهِمِ"، ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ، إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: "حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا"، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا[٣].

٢٠٣. عن أنس رضي الله عنه، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: "جُزُّوهُمْ جَزًّا"، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْحَلْقِ[٤].

ما يقوله الأمير والجنود إذا التحم الصفان

٢٠٤. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَومُ بَدْرٍ قَاتَلْتُ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا صَنَعَ، فَجِئْتُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: "يَا حَيُّ

---

[١] ٢٠٠. أخرجه أبو داود "٢٦٣٢" والترمذي "٣٩٠١"، وقال: حديث حسن غريب، وهو عند أحمد "٢٣٩٢٨" بسياق آخر.

[٢] ٢٠١. أخرجه البخاري "٣٦٣٨" وهذا أحد ألفاظه ومسلم "١٣٦٥".

[٣] ٢٠٢. قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم "١٧٨٠"، وفي رواية أخرى عنده في"١٧٨٠": (ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى: "احْصُدُوهُمْ حَصْدًا").

[٤] ٢٠٣. أخرجه البزار في مسنده "٧٣٢٦"، وأورده الهيثمي في المجمع "٦/ ١٨١" وقال: (رواه البزار ورجاله ثقات). هكذا نقل لفظه الهيثمي في كشف الأستار والمجمع وغيرهم، وورد في المسند بلفظ: "حُزُّوهُمْ حَزًّا".

يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ" ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[1].

ما يقوله ويفعله القائد العام إذا التقى جنده بالعدو، وبمن يستغيث ويستنصر

٢٠٥. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ[2].

٢٠٦. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال ثم جئت مسرعًا لأنظر ما فعل رسول الله ﷺ فجئت فإذا هو ساجد يقول: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ"، لا يزيد عليهما، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو يقول ذلك ففتح الله عليه[3].

ما يقوله المجاهد إذا خاف الهزيمة في معركة وشماتة العدو

٢٠٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمن دَرَكِ الشَّقَاءِ ومن شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، ومن جَهْدِ الْبَلَاءِ[4].

---

[1] ٢٠٤. أخرجه النسائي "١٠٣٧٢"، والبزار في مسنده "٦٦٢"، وفيه إسماعيل بن عون وعبد الله بن محمد بن عمر قال الحافظ عنهم: (مقبول)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: (رواه البزار وإسناده حسن، ورواه أبو يعلى بنحوه).

[2] ٢٠٥. أخرجه مسلم "١٧٦٣".

[3] ٢٠٦. تقدم تخريجه قبل حديث.

[4] ٣. أخرجه البخاري "٦٣٥٥" ومسلم "٢٧٠٧" واللفظ له، وفي لفظ للبخاري "٦٦٢٤ ": "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ".

قال ابن بطال رحمه الله: (وشماتة الأعداء مما ينكأ القلب، ويبلغ من النفس أشد مبلغ، وهذه جوامع ينبغي للمؤمن التعوذ بالله منها كما تعوذ النبي ﷺ، وإنما دعا بذلك ﷺ معلمًا لأمته ما يتعوّذ بالله منه، فقد كان أمنه الله من كل سوء، وذكر عن أيوب ﷺ أنه سئل عن أي حال بلائه كان أشدّ عليه؟ قال: شماتة الأعداء) [شرح صحيح البخاري: ج١٠/ص١١٠].

٢٠٨. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ"[1].

ما يقوله المجاهد مستعيذا بالله من الجبن والكسل والعجز وغلبة الأعداء

٢٠٩. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"[2].

٢١٠. عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: كَانَ سَعْدٌ -أي ابن أبي وقاص- يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"[3].

٢١١. عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"[4].

قال المهلب: (أما استعاذته ﷺ من الجبن فإنه يؤدي إلى عذاب الآخرة لأنه يفر من قرنه في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لقوله: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} [الأنفال:١٦]، وربما

---

[1] ٢٠٨. أخرجه النسائي في الكبرى "٧٨٥٧"، وأحمد في مسنده "٦٦١٨"، والحاكم في المستدرك "١٩٦٦"، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخرجاه. ووافقه الذهبي، وذكر الحافظ العراقي وابن حجر تصحيحه ولم يتعقباه.

[2] ٢٠٩. أخرجه البخاري "٢٨٤٠" ومسلم "٢٧٠٦" واللفظ لمسلم.

[3] ٢١٠. أخرجه البخاري "٢٨٣٩" وله طريق آخر عن سعد به عنده "٦٣٧٨" وزاد "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ".

[4] ٢١١. أخرجه البخاري "٦٣٧١".

يفتن في دينه، فيرتد لجبن أدركه، وخوف على صحته من الأسر والعبودية، وأرذل العمر: الهرم والضعف عن أداء الفرائض وعن خدمة نفسه فيما يتنظف به فيكون كلا على أهله مستثقلا بينهم، وفتنة الدنيا أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال أو مال، وتعوذ من العجز؛ لئلا يعجز عما يلزمه فعله من منافع الدين والدنيا) [شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٥/ص٣٥].

ما يقول المجاهدون الضعفاء لإخوانهم المهرة لتأجيج القتال

٢١٢. عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: فَكُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ.[1].

ما يقوله الأمير للجند مظهرا للمحبة، ومحرضا على هدم مظاهر الشرك، ومجازيا على حسن العمل

٢١٣. عن جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ"، وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَةَ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا". فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمسَ مَرَّاتٍ[2].

---

[1] ٢١٢. أخرجه البخاري "٣٧١٠".

[2] ٢١٣. أخرجه البخاري "٤٣٣٧" وهذا أحد ألفاظه ومسلم "٢٤٧٦" وفي رواية لمسلم "٢٤٧٦": (فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ).

ما يقوله الأمير المجاهد إذا جد الجد أو انهزم الناس وأراد عطف الجند للقتال، وفضل أصحاب القرآن وأهل السبق

٢١٤. عن العباس في قصة غزوة حنين، وفيها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ"، فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ"، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: "انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ"، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا[١].

٢١٥. عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عَبَّاسٌ وَأَبُو سُفْيَانَ مَعَهُ -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ- قَالَ: فَخَطَبَهُمْ، وَقَالَ: "الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ"، وَقَالَ: "نَادِ: يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ"[٢].

٢١٦. عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كَانَ شِعَارُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ: (يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)[٣].

٢١٧. عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين انكشف عنه الناس فلم يبق معه إلا رجل واحد يقال له: زيد، آخذ بلجام بغلته الشهباء فقال ﷺ: "وَيْحَكَ يَا زَيْدُ، ادْعُ الْمُهَاجِرِينَ، فإن لله تعالى فِي أَعْنَاقِهِمْ بَيْعَةً". فحدثني

---

[١] ٢١٤. أخرجه مسلم "١٧٧٥".

[٢] ٢١٥. أخرجه أحمد "١٧٧٦" وإسناده صحيح، وهو نفس الحديث السابق والذي رواه مسلم في غزوة حنين.

[٣] ٢١٦. أخرجه عبد الرزاق في المصنف "١٠٢٩٧" وابن أبي شيبة "٣٥٩٧٩" وأورده الهيثمي في المجمع "٦/ ١٨٠".

بريدة أنه قال: أقبل منهم ألف، قد طرحوا الجفون وكسروها ثم أتوا رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليهم[٤].

ما يفعله المجاهد متأسيا لتقليل الخوف بعون الله

قال الله تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} [القصص: ٣٢].

قال ابن كثير رحمه الله: (قال مجاهد: من الفزع. وقال قتادة: من الرعب وقال: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير: مما حصل لك من خوفك من الحية. والظاهر أن المراد أعم من هذا، وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف. وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يديه على فؤاده، فإنه يزول عنه ما يجد أو يَخف، إن شاء الله وبه الثقة) [تفسير القرآن العظيم: ج٦/ص٢٠-٢١].

وقال القرطبي رحمه الله: (عن مجاهد وغيره ورواه الضَّحَّاكُ عن ابن عَبَّاسٍ، قال فقال ابن عَبَّاسٍ: ليس من أحدٍ يدخله رعبٌ بعد موسى عليه السَّلام، ثمَّ يُدْخِلُ يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرُّعْبُ. ويُحكَى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنَّ كاتبًا كان يكتب بين يديه، فانفلتت منه فلتة ريحٍ فخجل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر: خذ قلمك واضمم إليك جناحك، وليفرخ روعك فَإِنِّي ما سمعتها من أحد أكثر مِمَّا سمعتها من نفسي. وقيل: المعنى اضمم يدك إلى صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف) [الجامع لأحكام القرآن: ج١٣/ص٢٨٤].

وقال صاحب الظلال: (وكأنما يده جناح يقبضه على صدره، كما يطمئن الطائر فيطبق جناحه. والرفرفة أشبه بالخفقان، والقبض أشبه بالاطمئنان. والتعبير يرسم هذه الصورة على طريقة القرآن) [ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥/ص٢٦٩٢].

٢١٧[٤]. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه "٣٩٧٦٣"، والبزار في مسنده "٤٤٤٠"، عزاه الهيثمي في المجمع للبزار وقال: (رجاله ثقات).

وقال السعدي: (أي ضم جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف) [تيسير الكريم الرحمن: ص٦١٥].

قال الله تعالى: {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [الأنفال:١١].

وقال ابن كثير رحمه الله: ({وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن، {وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} وهو شجاعة الظاهر والله أعلم) [تفسير القرآن العظيم: ج٤/ص١٦٩].

قال السعدي: (أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه) [تيسير الكريم الرحمن: ص٣١٦].

ما يقوله المجاهد إذا خاف العدو

٢١٨. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣][1].

٢١٩. عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا خَافَ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ قَوْمٍ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ"[2].

٢٢٠. عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، أَوْ فِي الْكَرْبِ؟ اللهُ اللهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[3].

---

[1] ٢١٨. أخرجه البخاري "٤٥٤١" وفي رواية له عن ابن عباس قال: (كان آخر قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل).

[2] ٢١٩. أخرجه أبو داود "١٥٣٧" وأحمد "١٩٧١٩" واللفظ لأحمد. قال الأرنؤوط: حديث حسن.

[3] ٢٢٠. أخرجه أبو داود "١٥٢٥" أخرجه ابن ماجه "٣٨٨٢" وإسناده صحيح، وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية "٥/ ٣٦٠" وغيره.

٢٢١. وفي رواية: عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا يَعْنِي رَاعَهُ شَيْءٌ. قَالَ: "اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي، لَا شَرِيكَ لَهُ"[١].

٢٢٢. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إذا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيبًا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ بِكَ فَقُلْ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلانٍ وَجُنُودِهِ، وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، إِلَهِي كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ)[٢].

٢٢٣. عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، قَالَ: "نَعَمْ، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا". قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ عز وجل وُجُوهَ أَعْدَائِهِ بِالرِّيحِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عز وجل بِالرِّيحِ[٣].

٢٢٤. عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ، أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا، فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ، فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ

---

[١] ٢٢١. أخرجه النسائي "١٠٤١٨".

[٢] ٢٢٢. أخرجه الطبراني في الكبير "١٠٥٩٩" وعزاه إليه الهيثمي في المجمع "١٠/ ١٣٧" وقال: (رجاله رجال الصحيح).

[٣] ٢٢٣. أخرجه أحمد "١٠٩٩٦" وفيه ربيح بن أبي سعيد، وأيضا الزبير بن عبد الله قال عنهما ابن حجر في التقريب: (مقبول).

الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ، دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ، فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ، فَجِيءَ بِالْغُلاَمِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ، وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ، حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ، حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ، حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي، حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ،

فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[1].

ما يقوله المجاهد ويرفع الله به البلاء

٢٢٥. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَرَجَ ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ؛ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، -قَالَ:- فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ"، وساق حديث الثلاثة إلى قصة الأجير وفيه: "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ"[2].

دعاء هام لرفع الهم والغم والكرب يا مجاهد

٢٢٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ"[3].

---

[1] ٢٢٤. أخرجه مسلم "٣٠٠٥".

[2] ٢٢٥. قطعة من حديث أخرجه البخاري "٢٢٢٥".

[3] ٢٢٦. رواه أحمد "٤٣١٨ " واللفظ له والطبراني في الكبير"١٠٣٥٢". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف كما قال الدارقطني في العلل "٥/٢٠٠". أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين

٢٢٧. عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"[١].

٢٢٨. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هم أو غم قال: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ"[٢].

ما يفعله ويقوله المجاهد لنيل درجة الشهادة

٢٢٩. عن سَهْلِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"[٣].

٢٣٠. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يتخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ – مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"[٤].

٢٣١. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ يدخلُ على أم حرام بنت ملحان فتُطعمُه –الحديث إلى قوله:– قالت وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ". فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ[٥].

---

[١] ٢٢٧. أخرجه البخاري "٦٣٧١".

[٢] ٢٢٨. أخرجه الحاكم "١٨٩٦"، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه الترمذي من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

[٣] ٢٢٩. أخرجه مسلم "١٩٠٩".

[٤] ٢٣٠. أخرجه البخاري "٢٨١٤".

[٥] ٢٣١. أخرجه البخاري "٧٠٠٧" واللفظ له، ومسلم "١٩١٢".

ما يقوله المجاهد إذا قُتل رأسٌ من رؤوس الكفر

٢٣٢. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: "مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟" فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟! قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ - أَوْ قَالَ: قَتَلْتُمُوهُ؟[١].

قال الحافظ في الفتح: (وَالتَّقْدِير أَنْتَ الْمَقْتُول يَا أَبَا جَهْل، وَخَاطَبَهُ بِذَلِكَ مُقَرِّعًا لَهُ وَمُتَشَفِّيًا مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْذِيه بِمَكَّة أَشَدّ الْأَذَى) [ج٧/ص٢٩٥].

٢٣٣. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَدْرَكْتُ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ صَرِيعًا، فَقُلْتُ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: وَبِمَا أَخْزَانِي اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، وَمَعِي سَيْفٌ لِي فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ وَلا يَحِيكُ فِيهِ، وَمَعَهُ سَيْفٌ لَهُ جَيِّدٌ فَضَرَبْتُ يَدَهُ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذْتُهُ ثُمَّ كَشَفْتُ الْمِغْفَرَ عَنْ رَأْسِهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "آللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟"، قُلْتُ: آللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ: "انْطَلِقْ فَاسْتَثْبِتْ"، فَانْطَلَقْتُ، فَأَنَا أَسْعَى مِثْلَ الطَّائِرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ، وَأَنَا أَسْعَى مِثْلَ الطَّائِرِ أَضْحَكُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَانْطَلِقْ فَأَرِنِي"، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَأَرَيْتُهُ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ"[٢].

٢٣٤. وفي رواية فكبر وقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ"، وزاد في رواية أخرى: "وَأَعَزَّ دِينَهُ"[٣].

ما يقوله المجاهد إذا قُتل أميره وقدوته، أو قُتل من عظمت نكايته في العدو

قال الله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا

---

[١] ٢٣٢. أخرجه البخاري "٣٩٥٤" واللفظ له، ومسلم "١٨٠٠".

[٢] ٢٣٣. أخرجه أحمد "٤٢٤٦" والطبراني في الكبير "٨٤٧٤" واللفظ للأخير. قال الهيثمي في المجمع: (رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة).

[٣] ٢٣٤. أخرجه الطبراني في الكبير "٨٤٧٢" وأخرجه أحمد "٣٨٥٦". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة –وهو ابن عبد الله بن مسعود– لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أمية بن خالد –وهو القيسي– فمن رجال مسلم.

اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]، وفي قراءة: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقوله {قُتِلَ} أي: النبي قُتِل وهذا أصح القولين وقوله: {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} جملة في موضع الخبر، صفة للنبي -صفة بعد صفة- أي كم من نبي معه ربيون كثير قُتل، ولم يقتلوا معه)، ثم قال: (فما وهن المؤمنون لما أصابهم بقتله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين، ولكن استغفروا لذنوبهم التي بها تحصل المصائب. فما أصابهم من سيئة فمن أنفسهم. وسألوا الله أن يغفر لهم، وأن يثبت أقدامهم، فيثبتهم على الإيمان والجهاد لئلا يرتابوا ولا ينكلوا عن الجهاد قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: ١٥]، وسألوه أن ينصرهم على القوم الكافرين. سألوا ربهم ما يفعل لهم في أنفسهم من التثبيت وما يعطيهم من عنده من النصر فإنه هو الناصر وحده وما النصر إلا من عند الله) [مجموع الفتاوى: ج١٤/ص٣٧٣-٣٧٥].

وقال الطبري: (لم يَعْتَصِموا إذ قُتِل نبيُّهم إلا بالصبرِ على ما أصابهم، ومُجاهَدةِ عدوِّهم، وبمسألةِ ربِّهم المغفرةَ والنصرَ على عدوِّهم) [جامع البيان: ج٦/ص١١٩].

ما يقوله المجاهد المنتصر في معركة

٢٣٥. عن عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي"، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ: "اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ،

اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ"[1].

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا جاءه ما يسره

٢٣٦. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ فَدَخَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عز وجل قَدْ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَنْ هَذَا"، قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: "مَا شَأْنُكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عز وجل قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا، فَقَالَ: "إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا"[2].

٢٣٧. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ، أَوْ يُسَرُّ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[3].

ما يقوله الأمير والمجاهدون إذا أجار مسلمٌ كافرًا أصليًّا، وعِظَمُ إثم من يخفر ذمته

٢٣٨. عن أَبِي مُرَّةَ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِئٍ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟ " فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ"، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا

---

[1] ٢٣٥. أخرجه أحمد "١٥٤٩٢"، إلا أنه جعله مرة عن عبيد الله بن عبد الله الزرقي عن أبيه، قال الهيثمي في المجمع: (رجال أحمد رجال الصحيح)، والحديث أخرجه أيضا الطبراني في الكبير "٤٥٤٩" وأبو نعيم في الحلية "١٠/ ١٢٧".

[2] ٢٣٦. أخرجه أحمد "١٦٦٤" وقال الهيثمي في المجمع: (رواه أحمد ورجاله ثقات).

[3] ٢٣٧. أخرجه ابن ماجه "١٣٩٤" وهذا لفظه، والدارقطني "١٥٢٩" وإسناده حسن.

رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ، أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتُهُ، فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ". قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَلِكَ ضُحًى[1].

٢٣٩. وفي حديث علي رضي الله عنه: "ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا"[2].

قال الترمذي: (وَمَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مَنْ أَعْطَى الْأَمَانَ مِنَ المجاهدينَ فَهُوَ جَائِزٌ عَلَى كُلِّهِمْ).

ما يقوله المجاهد المحتسب إذا أصابته الجراح

٢٤٠. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ"[3].

٢٤١. عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ، وَقَدْ دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ:

"هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ"[4].

ما يقوله المجاهد على ما يؤلمه من جسده

٢٤٢. عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بسم اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ"[5].

---

[1] ٢٣٨. أخرجه البخاري "٣١٧٩" وهذا أحد ألفاظه ومسلم "٣٣٦".

[2] ٢٣٩. جزء من حديث أخرجه البخاري "٧٢٩٦" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "١٣٧١".

[3] ٢٤٠. أخرجه البخاري "٢٨٢٠".

[4] ٢٤١. أخرجه البخاري "٢٨١٩" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "١٧٩٦".

[5] ٢٤٢. أخرجه مسلم "٢٢٠٢".

٢٤٣. وعند ابن ماجه: "اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، وَأُحَاذِرُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ"، فَقُلْتُ ذَلِكَ فَشَفَانِيَ اللهُ[1].

٢٤٤. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِـ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ[2].

٢٤٥. وعَنْها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا[3].

قال الحافظ في الفتح: (وَفِي رِوَايَة الْمُفَضَّل بْن فَضَالَة عَنْ عُقَيْل فِي فَضَائِل الْقُرْآن: كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشه جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ثُمَّ يَقْرَأ {قُلْ هُوَ اللَّه أَحَد}، وَ{قُلْ أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَق}، وَ{قُلْ أَعُوذ بِرَبِّ النَّاس}) [ج٨/ص١٣١].

ما يقوله إذا رجع من غزوة ولو وحده

٢٤٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ"[4].

ما يقوله إذا حلّت به أي مصيبة تؤذيه

قال الله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

---

[1] ٢٤٣. أخرجه ابن ماجه "٣٥٢٢" من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أيضا وإسناده صحيح.
[2] ٢٤٤. أخرجه البخاري "٥٧٤٨" وفي لفظ: (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة).
[3] ٢٤٥. أخرجه البخاري "٥٧٣٥".
[4] ٢٤٦. أخرجه البخاري "٦٣٩٣" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "١٣٤٤".

٢٤٧. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: "أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ"[1].

٢٤٨. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ"، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: "لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ"، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ"[2].

ما يقوله المجاهد إذا خرج هاربا والعدو في أثره يطلبه

قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢١]، وذلك بعد: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢٠-٢١].

قال الطبري: (وذُكر أن الله قيّض له إذ قال: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} مَلَكًا سَدَّده الطريق وعرَّفه إيَّاه) [جامع البيان: ج١٨/ص٢٠٣].

---

[1] ٢٤٧. أخرجه مسلم "٩١٨".

[2] ٢٤٨. أخرجه مسلم "٩٢٠".

ما يقوله المجاهد إذا كان لا يعرف الطريق أو لُبّس عليه

قال الله تعالى في شأن موسى لما خرج هاربا من مصر إلى مدين: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} [القصص: ٢٢].

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} [طه: ٤٠] سألته عن الفتون ماهو؟ قال: (استأنف النهار يا ابن جبير، فإن لها حديثا طويلا). وفي الحديث يا ابن جبير: (فَخَرَجَ مُوسَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدْيَنَ، لَمْ يَلْقَ بَلَاءً قَبْلَ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ بِالطَّرِيقِ عِلْمٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ، عز وجل، فَإِنَّهُ قَالَ: {عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} [القصص:٢٢]) [رواه أبو يعلى والنسائي والطبري ورواته ثقات]. وقال الهيثمي في الزوائد: (رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث، فأنكره عليه أن يكون هذا الفرعوني أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل، فكيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك وشهده؟ فغضب ابن عباس، وأخذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالك الزهري فقال: يا أبا إسحاق، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتله من آل فرعون الإسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني؟ فقال: إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره.رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان) [ج٧/ص٦٦]. قال مالك: (بلغني أن عبد الوهاب بن بخت خرج إلى الغزو، فانبعثت به راحلته، فقال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}) [رواه البيهقي في شعب الإيمان ورواته أئمة ثقات].

ما يقوله المجاهد إذا وقع في كرب من حصار أو أسر أو أي ضيق

٢٤٩. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"[1].

[1] ٢٤٩. أخرجه البخاري "٦٣٥٤" ومسلم "٢٧٣٠" واللفظ لمسلم وأحد ألفاظ البخاري.

٢٥٠. عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: "دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"[1].

٢٥١. عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، أَوْ فِي الْكَرْبِ؟ اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[2].

٢٥٢. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: {لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ"[3].

٢٥٣. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ"[4].

٢٥٤. وفي رواية: كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ[5].

ما يقوله المجاهد إذا ابتلي بتعذيب الأعداء أو هدد به

قال الله تعالى في شأن السحرة: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف: ١٢٦]، وذلك بعد ما قال فرعون: {لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٢٤].

قال الطبري رحمه الله: ({رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا}، يعنون بقولهم: {أَفْرِغْ}: أنزل علينا حبسًا يَحْبِسُنا عن الكُفرِ بك عند تعذيبِ فرعونَ إيانا. {وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}، يقول:

---

[1] ٢٥٠. أخرجه أبو داود "٥٠٩٠" وأحمد "٢٠٤٣٠" واللفظ لأحمد وإسناده حسن.

[2] ٢٥١. أخرجه أبو داود "١٥٢٤" واللفظ له وأخرجه ابن ماجه "٣٨٨٢"، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[3] ٢٥٢. أخرجه الترمذي "٣٨١٣" وأحمد "١٤٦٢" وهو عند أحمد جزء من سياق طويل وإسناده حسن.

[4] ٢٥٣. أخرجه الترمذي "٣٨٣٣". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف الرَّقاشي، وهو يزيد بن أبان. أخرجه الحاكم "١٨٩٦"، وصححه، فتعقبه الذهبيُّ بقوله: قلت: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن ومَنْ بعده ليسوا بحجة.

[5] ٢٥٤. أخرجه ابن السني في اليوم والليلة "٣٣٧" (التخريج السابق).

واقبِضْنا إليك على الإسلامِ دينِ خليلِك إبراهيمَ ﷺ، لا على الشركِ بك) [جامع البيان: ج ١٠/ص٣٦٤].

وقال القرطبي رحمه الله: ({رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا}، الإفراغُ الصَّبُّ، أي اصْبُبْهُ علينا عند القطعِ وَالصَّلْبِ) [الجامع لأحكام القرآن: ج٧/ص٢٦١].

ما يقوله المجاهد إذا خاف العاهات والأمراض الخبيثة

٢٥٥. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ"[1].

ما يقوله المجاهد صادقا ويضمن به الجنة إن مات بالليل أو النهار

٢٥٦. عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّمَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ -قَالَ:- وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[2].

ما يقوله المجاهد إذا فرّ من الزحف وعظم الذنب

٢٥٧. عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"، قَالَ: فَسَأَلُوهُ مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: "الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ"[3].

---

[1] ٢٥٥. أخرجه أبو داود "١٥٥٤" بإسناد صحيح.

[2] ٢٥٦. أخرجه البخاري "٦٣١٤".

[3] ٢٥٧. أخرجه الحاكم "٦٠". وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرفُ له عِلّةً، ولم يُخرجاه. وصحَّحه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية.

٢٥٨. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ"[1].

ما يدعو به المجاهد للأسرى من الثبات والفرج وواجبه نحو أهليهم

٢٥٩. عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ"[2].

٢٦٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ" فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ قَنَتَ: "اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ"[3].

٢٦١. عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فُكُّوا الْعَانِيَ -يَعْنِي: الْأَسِيرَ- وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ"[4].

٢٦٢. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟! قَالَ: "تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"[5].

٢٦٣. عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا"[6].

---

[1] ٢٥٨. أخرجه الحاكم "١٩٠٥" وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه. قال الذهبي: فيه أبو سنان ضرار بن مرة، لم يخرج له البخاري.

[2] ٢٥٩. أخرجه مسلم "٢٧٣٢".

[3] ٢٦٠. أخرجه البخاري "٦٤٠١" ومسلم "٦٧٥".

[4] ٢٦١. أخرجه البخاري "٣٠٥٨" وهذا أحد ألفاظه.

[5] ٢٦٢. أخرجه البخاري "٦٩٥٨".

[6] ٢٦٣. أخرجه البخاري "٢٨٦٠" ومسلم "١٨٩٥".

ما يقوله ويفعله المجاهد فرارا من النفاق في الدين

٢٦٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"[1].

٢٦٥. عَنْ عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النبي ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْقَتْلُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللهِ تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، فَمَصْمَصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يُقْتَلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ، السَّيْفُ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ"[2].

٢٦٦. عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ، قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ، أَوْ مَرِيضٌ، إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى: الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ[3].

٢٦٧. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[4].

---

[1] ٢٦٤. أخرجه مسلم "١٩١٠".

[2] ٢٦٥. أخرجه أحمد "١٧٦٥٧" والسياق له، وابن حبان "٣٧٩". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، أبو المثنى روى عنه اثنان، وقيل: واحد، فهو مجهول الحال، وباقي رجال الإسناد ثقات.

[3] ٢٦٦. أخرجه مسلم "٦٥٤".

[4] ٢٦٧. أخرجه البخاري "٣٤" واللفظ له، ومسلم "٥٨"، وفي رواية للبخاري "٢٤٧٢": "وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ".

٢٦٨. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ"[١].

قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي في السنن: (وَالْعِيُّ قِلَّةُ الْكَلَامِ، وَالْبَذَاءُ هُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ وَالْبَيَانُ هُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ).

٢٦٩. عن أنس قال: كان النبي ﷺ يقول: "اللهمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَالْقَسْوَةِ، وَالْغَفْلَةِ، وَالْعِيلَةِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالشِّقَاقِ، وَالنِّفَاقِ وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَالْبَرَصِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ"[٢].

وقال البخاري رحمه الله: (بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ وقال إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا، وقال ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران:١٣٥]).

ما يقوله المجاهد إذا خاف الفتنة في الدين

٢٧٠. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: "قُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ،

---

[١] ٢٦٨. أخرجه أحمد "٢٢٣١٢". قال الأرنؤوط: حديث صحيح دون قوله: والعي والبيان، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين حسان بن عطية وبين أبي أمامة، فإنه لم يسمع منه كما جزم به المزي في تحفة الأشراف.

[٢] ٢٦٩. أخرجه الحاكم "١٩٦٥" وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه، وأخرجه ابن حبان "٦٧٦٠" وقال الهيثمي في المجمع: (رجاله رجال الصحيح).

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"[1].

٢٧١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ -قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ-، فَقَالَ: "مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟" فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: "فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟" قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ" ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ". قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[2].

قال ابن بطال رحمه الله: (هَذِهِ كَلِمَة جَامِعَة لِمَعَانٍ كَثِيرَة، وَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَرْغَب إِلَى رَبّه فِي رَفْع مَا نَزَلَ وَدَفْع مَا لَمْ يَنْزِل، وَيَسْتَشْعِر الِافْتِقَار إِلَى رَبّه فِي جَمِيع ذَلِكَ) [فتح الباري، ابن حجر: ج١١/ص١٧٦].

وقال: (فالتعوذ من فتنة المحيا والممات دعاء جامع لمعان كثيرة لا تُحصى) [شرح صحيح البخاري: ج١٠/ص١١٨].

---

[1] ٢٧٠. أخرجه مسلم "٥٩٠".

[2] ٢٧١. أخرجه مسلم "٢٨٦٧".

ما يقوله المجاهد إذا خاف الفقر والدَيْن على دينه

٢٧٢. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: ""اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ". فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ! قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ"[١].

٢٧٣. وعن عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ"، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ"[٢].

٢٧٤. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"[٣].

٢٧٥. عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُعْدَلُ الدَّيْنُ بِالْكُفْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ"[٤].

٢٧٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ"[٥].

---

[١] ٢٧٢. أخرجه البخاري "٢٤٠٩".

[٢] ٢٧٣. أخرجه مسلم "٥٨٩".

[٣] ٢٧٤. أخرجه البخاري "٦٣٧٦".

[٤] ٢٧٥. أخرجه أحمد "١١٣٣٣" والنسائي "٧٨٥٦" وإسناده حسن رجاله ثقات غير سالم بن غيلان التجيبي قال عنه الحافظ: (لا بأس به).

[٥] ٢٧٦. أخرجه مسلم "١٠٥٤".

٢٧٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا"[١].

ما يقوله المجاهد من أدعية لدفع التعب في العمل، وتقليل الفقر وقضاء الدين

٢٧٨. عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا" حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ"[٢].

٢٧٩. عن أَبِي هُرَيْرَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إذا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"[٣].

قال الحافظ في الفتح: (وَفِيهِ أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَى هَذَا الذِّكْرِ عِنْد النَّوْمِ لَمْ يُصِبْهُ إِعْيَاء لِأَنَّ فَاطِمَة شَكَتِ التَّعَب مِنَ الْعَمَل فَأَحَالَهَا ﷺ عَلَى ذَلِكَ، كَذَا أَفَادَهُ ابْن تَيْمِيَة، وَفِيهِ نَظَر وَلَا يَتَعَيَّن رَفْع التَّعَب بَلْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَنْ وَاظَبَ عَلَيْهِ لَا يَتَضَرَّر بِكَثْرَةِ الْعَمَل وَلَا يَشُقّ عَلَيْهِ وَلَوْ حَصَلَ لَهُ التَّعَب، وَاللَّه أَعْلَم) [ج١١/ص١٢٥].

---

[١] ٢٧٧. أخرجه البخاري "٦٤٦٨" ومسلم "١٠٥٥".

[٢] ٢٧٨. أخرجه البخاري "٣١٢٣" وهذا لفظه، ومسلم "٢٧٢٧" وفي رواية لهما قال علي: (فما تركتها بعدُ)، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: (ولا ليلة صفين).

[٣] ٢٧٩. أخرجه مسلم "٢٧١٣" ورواية له قال: "مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا" بدل "من شر كل شيء". وأخرجه مسلم "٢٧١٣" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضا بلفظ قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: "قُولِي اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ.." نحوه.

٢٨٠. عَنْ أبي وائل قال: أتى عَلِيا رجل فقال: يا أمير المؤمنين إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ مكاتبَتِي فَأَعِنِّي، فقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دنانير لأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قلت: بلى، قَالَ: (قُلْ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)[1].

ما يقوله المجاهد مستعيذا به من شر حواسه وشهوته

٢٨١. عن شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دعاء أنتفع به، قَالَ: "قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَقَلْبِي، ومَنِيِّي"[2].

ما يقوله المجاهد ليتحرّز من شرّ الشياطين

قال الله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمدُ ربِّ أستجيرُ بك من خَنْقِ الشياطينِ وهمزاتِها. والهَمْزُ هو الغَمْزُ) [جامع البيان: ج١٧/ص١٠٦].

وقال سبحانه: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٤-٣٦]، وقال: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠].

٢٨٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ – فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ"[3].

---

[1] ٢٨٠. أخرجه الترمذي "٣٨٧٩" وأحمد "١٣١٩" واللفظ لأحمد، وحسن إسناده الحافظ في أمالي الأذكار. وقال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

[2] ٢٨١. أخرجه أحمد "١٥٥٤١" ومن طريقه أبو داود "١٥٥١". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

[3] ٢٨٢. أخرجه البخاري "٣٢٨٠".

٢٨٣. عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ"[١].

٢٨٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"[٢].

٢٨٥. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ". وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يُلَقِّنُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ[٣].

٢٨٦. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَفْتَحَ صَلَاتَهُ وَكَبَّرَ، قَالَ: "سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ"، ثُمَّ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ" ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُ أَكْبَرُ" ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ"[٤].

---

[١] ٢٨٣. أخرجه البخاري "٣٩٩٩" ومسلم "٨٠٧".

[٢] ٢٨٤. أخرجه البخاري "٦٤١١" ومسلم "٢٦٩١" واللفظ لمسلم.

[٣] ٢٨٥. أخرجه الترمذي "٣٨٣٩" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

[٤] ٢٨٦. أخرجه أبو داود "٧٧٥" وأحمد "١١٤٧٣" واللفظ لأحمد، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وضعفه النووي في المجموع. وقال ابن خزيمة: لا نعلم في هذا خبراً ثابتاً عن النبي ﷺ عند أهل المعرفة بالحديث، ولا استعمل هذا الخبر على وجهه. والحديث أخرجه أحمد أيضا "١١٦٥٧" وابن ماجه "٨٠٤" مختصرا بلفظ: (كان رسول الله ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: "سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ") وإسناده صحيح.

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا تراءت له الشياطين أو تمثلت

٢٨٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ"[1].

٢٨٨. عن سهيل بن أبي صالح قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، قَالَ: وَمَعِي غُلَامٌ لَنَا -أَوْ صَاحِبٌ لَنَا- فَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ، قَالَ: وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَى الْحَائِطِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ"[2].

٢٨٩. عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ الْغِيلَانَ ذُكِرُوا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ صُورَته الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ لَهُمْ سَحَرَة كَسَحَرَتِكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَأَذِّنُوا[3].

٢٩٠. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَا عَدْوَى، وَلَا صَفَرَ، وَلَا غُولَ"[4].

٢٩١. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا سِرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَمْكِنُوا الرِّكَابَ أَسْنَانَهَا، وَلَا تُجَاوِزُوا الْمَنَازِلَ، وَإِذَا سِرْتُمْ فِي الْجَدْبِ، فَاسْتَجِدُّوا، وَعَلَيْكُمْ بِالدَّلْجِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ، وَإِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلَانُ، فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَالصَّلَاةَ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ، وَالنُّزُولَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ، وَالسِّبَاعِ، وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ، فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ"[5].

---

[1] ٢٨٧. قطعة من حديث أخرجه البخاري "١٢٣٠" ومسلم "٣٨٩" من طريق الأعرج، والبخاري "٣٢٩٠" من طريق أبي سلمة كلاهما عن أبي هريرة، وله طرق أخرى عن أبي هريرة به.

[2] ٢٨٨. أخرجه مسلم "٣٨٩".

[3] ٢٨٩. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه "٣١٧٢٦"، وعبد الرزاق في مصنفه "٩٥٧٩"، صحح إسناده الحافظ في الفتح.

[4] ٢٩٠. أخرجه مسلم "٢٢٢٢".

[5] ٢٩١. أخرجه أحمد "١٤٢٧٧" وإسناده صحيح.

٢٩٢. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ"، ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا، لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: "إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"[1].

٢٩٣. عَنْ عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَوْمًا عِنْدَ هَدْمٍ لَهُ، فَرَأَى وَبِيصَ جَانٍّ فَقَالَ: اتَّبِعُوا هَذَا الْجَانَّ، فَاقْتُلُوهُ، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَّانِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ، إِلَّا الْأَبْتَرَ، وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا اللَّذَانِ يَخْطِفَانِ الْبَصَرَ، وَيَتَتَبَّعَانِ مَا فِي بُطُونِ النِّسَاءِ[2].

٢٩٤. عَنْ أَبِي السائب عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ، فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ، فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ"[3].

٢٩٥. عن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ، حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا حَيَّةٌ، فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ، فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ"، فَأَخَذَ

---

[1] ٢٩٢. أخرجه مسلم "٥٤٢".

[2] ٢٩٣. أخرجه البخاري "٣٣٠٣" ومسلم "٢٢٣٣" واللفظ له، أما لفظ البخاري: "اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ، وَالْأَبْتَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ، وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ".

[3] ٢٩٤. أخرجه مسلم "٢٢٣٦".

الرَّجُلُ سِلاَحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ، لِيَطْعَنَهَا بِهِ، وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ، وَادْخُلِ الْبَيْتَ، حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ، فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ، فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ، فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ، أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا، فَقَالَ: "اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ"، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ"[١].

قال الحافظ في الفتح: (وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَاد بِالثَّلَاثِ فَقِيلَ ثَلَاث مَرَّات، وَقِيلَ ثَلَاثَة أَيَّام، وَمَعْنَى قَوْله حَرِّجُوا عَلَيْهِنَّ أَنْ يُقَال لَهُنَّ أَنْتُنَّ فِي ضِيق وَحَرَج إِنْ لَبِثْت عِنْدنَا أَوْ ظَهَرْت لَنَا أَوْ عُدْت إِلَيْنَا) [ج٦/ص٣٤٩].

وقال: (وَفِي الْحَدِيث النَّهْي عَنْ قَتْل الْحَيَّات الَّتِي فِي الْبُيُوت إِلَّا بَعْد الْإِنْذَار، إِلَّا أَنْ يَكُون أَبْتَرَ أَوْ ذَا طُفْيَتَيْنِ فَيَجُوز قَتْله بِغَيْرِ إِنْذَار، وَوَقَعَ فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد عِنْد مُسْلِم الْإِذْن فِي قَتْل غَيْرهمَا بَعْد الْإِنْذَار، وَفِيهِ: فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ كَافِر، قَالَ الْقُرْطُبِيّ: وَالْأَمْر فِي ذَلِكَ لِلْإِرْشَادِ، نَعَمْ مَا كَانَ مِنْهَا مُحَقَّق الضَّرَر وَجَبَ دَفْعه) [ج٦/ص٣٤٩].

وقال رحمه الله: (وَعَلَى كُلّ قَوْل فَتُقْتَل فِي الْبَرَارِي وَالصَّحَارِي مِنْ غَيْر إِنْذَار، وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَنِ ابْن الْمُبَارَك: أَنَّهَا الْحَيَّة الَّتِي تَكُون كَأَنَّهَا فِضَّة، وَلَا تَلْتَوِي فِي مِشْيَتهَا) [ج٦/ص٣٤٩].

ما يقوله المجاهد لرد عدوان الشياطين

٢٩٦. عن أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ،

---

[١] ٢٩٥. أخرجه مسلم "٢٢٣٦" وفي رواية عنده "٢٢٣٦": "فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا، فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلاَّ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ".

وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ قُلْ"، قَالَ: "مَا أَقُولُ؟" قَالَ: "قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ"، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[1].

ما يقوله المجاهد لوحدة الصف والألفة وإصلاح ذات البين

٢٩٧. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا كلمات، كما يعلمنا التشهد: "اللهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا"[2].

ما يقوله المجاهد ويفعله في هزله ومزاحه، وما يحل له منه والتحذير من التمادي فيه

قال الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة: ٦٥-٦٦].

ونقل ابن كثير -رحمه الله- سبب نزول الآية وأنها فيمن استهزأ بالمجاهدين لعبا وتسلية (عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد:

[1] ٢٩٦. أخرجه أحمد "١٥٤٦٠". قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، فقد قال البخاري فيما نقله عنه الحافظ في الإصابة: في إسناده نظر. وقد تفرد به جعفر بن سليمان: وهو الضبعي، وهو ممن لا يحتمل تفرده، وهو وإن احتج به مسلم، فقد قال البخاري: يُخالف في بعض حديثه، وقال الذهبي في الميزان: ينفرد بأحاديث عُدَّت مما يُنكر، وقال الجوزجاني: روى أحاديث منكرة. وسيار بن حاتم، قال أبو أحمد الحاكم: في حديثه بعض المناكير، وقال العقيلي: أحاديثه مناكير.

[2] ٢٩٧. أخرجه أبو داود "٩٦٩" وهذا لفظه، وابن حبان "١٧٩٤"، والطبراني في الكبير "١٠٤٢٦"، وعزاه الهيثمي في المجمع للطبراني وقال: (إسناد الطبراني جيد).

كذبتَ، ولكنك منافق. لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تنكُبُه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [تفسير القرآن العظيم: ج٤/ص٣١٠].

٢٩٨. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"، فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: "فُلَانٌ"، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: ١٠١][1].

٢٩٩. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ"[2].

٣٠٠. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ"[3].

٣٠١. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَأْخُذْ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ"[4].

٣٠٢. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"[5].

---

[1] ٢٩٨. أخرجه البخاري "٤٦٠٠" واللفظ له، ومسلم "٢٣٥٩" ولفظ مسلم أتم.

[2] ٢٩٩. أخرجه البخاري "٧٠٧٢" واللفظ له، ومسلم "٢٦١٧".

[3] ٣٠٠. أخرجه مسلم "٢٦١٦".

[4] ٣٠١. أخرجه الترمذي "٢٢٩٩" وأبو داود "٥٠٠٣". قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ، ولا نَعرِفهُ إلَّا من حديثِ ابنِ أبي ذِئْبٍ.

[5] ٣٠٢. أخرجه أبو داود "٥٠٠٤" وأحمد "٢٣٠٦٤" قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وفي رواية عن النعمان بن بشير: (فأخذ رجل سهمًا من كنانته فانتبه الرجل ففزع)، قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات).

٣٠٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قيل يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: "إِنِّي لا أَقُولُ إِلا حَقًّا"[1].

٣٠٤. وفي حديث ابن عمر: "إِنِّي لأَمْزَحُ، وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا"[2].

٣٠٥. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ"[3].

٣٠٦. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا أتى النبي فاستحمله فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ"[4].

٣٠٧. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ"[5].

٣٠٨. عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ". وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ" أَوْ قَالَ: "لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ"[6].

---

[1] ٣٠٣. أخرجه الترمذي "٢١٠٨" وأحمد "٨٧٢٣"، قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ.

[2] ٣٠٤. أخرجه الطبراني في الكبير "١٣٤٤٣"، والأوسط "٩٩٥،٦٧٦٤،٧٣٢٢"، والصغير "٧٧٩"، وعزاه الهيثمي في المجمع للطبراني في الصغير وقال: (حسن).

[3] ٣٠٥. أخرجه أبو داود "٤٨٠٠". قال النووي في ريا ض الصالحين: إسناده صحيح.

[4] ٣٠٦. أخرجه الترمذي "٢١١٠" وقال: حسن صحيح، وأحمد "١٣٨١٧" واللفظ لأحمد.

[5] ٣٠٧. أخرجه أبو داود "٥٠٠٢" وأحمد "١٢١٦٤" وأخرجه الترمذي في "٢١٠٩" و "٤١٦٤" وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

[6] ٣٠٨. أخرجه أحمد "١٢٦٤٨"، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ما يقوله المجاهد طلبا لحسن الخلق مع إخوانه ومع الناس

٣٠٩. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"[1].

٣١٠. عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "الْمُتَكَبِّرُونَ"[2].

٣١١. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إذا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا"، ثم ساق الحديث وفيه: "وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ"[3].

٣١٢. عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ عَمِّهِ -وَعَمُّ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ هُوَ قُطْبَةُ بْنُ مَالِكٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ"[4].

ما يقوله المجاهد إذا بلغه عن أخيه ظاهر الصلاح سوءًا

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

---

[1] ٣٠٩. أخرجه البخاري "٣٥٥٥" ومسلم "٢٣٢١" واللفظ لمسلم.

[2] ٣١٠. أخرجه الترمذي "٢١٣٧"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ من هذا الوَجْهِ.

[3] ٣١١. قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم "٧٧١".

[4] ٣١٢. أخرجه ابن حبان "٦٧٢٩" والترمذي "٣٩٠٨" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

٣١٣. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ-، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[1].

٣١٤. وفي قصة الأفك: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بنت جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: "يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟"، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ[2].

وقال الله تعالى: {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ} [النور: ١٢].

قال المهلب: (وقد أوجب الله تعالى أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسنًا أبدًا إذ يقول: {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} فإذا جعل الله سوء الظن بالمؤمنين إفكا مبينًا فقد ألزم أن يكون حسن الظن بهم صدقًا بينًا والله الموفق) [شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٩/ص٢٦١].

وقال ابن كثير رحمه الله: (أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى. وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله عنها، كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالدَ بن زيد قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب. أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنتُ لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك) [تفسير القرآن العظيم: ج٥/ص٥٠٨].

---

[1] ٣١٣. أخرجه البخاري "١٣" ومسلم "٤٥" واللفظ لمسلم.

[2] ٣١٤. قطعة من حديث الإفك الطويل أخرجه البخاري "٤٧٣٠".

ما يقوله المجاهد ويفعله ليعتق نفسه من النار لمظالم ارتكبها

٣١٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرضِهِ، أَوْ شَيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ"[1].

٣١٦. وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا" قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: "لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ" قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: "بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ"[2].

قال المهلب: (إن بين فهو أطيب وأصح في التحلل؛ لأنه يعرف مقدار ما يحلله منه معرفة صحيحة، وقد اختلف العلماء فيمن كانت بينه وبين أحد معاملة وملابسة ثم حلل بعضهم بعضًا من كل ما جرى بينهما من ذلك، فقال قوم: إن ذلك براءة له في الدنيا والآخرة وإن لم يبين مقداره. وقال آخرون: إنما تصح البراءة إذا بين له وعرف مال عنده أو قارب ذلك بما لا مشاحة في مثله) [شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ج٦/ص٥٧٧].

---

[1] ٣١٥. أخرجه البخاري "٢٤٦٢".

[2] ٣١٦. أخرجه أحمد "١٦٠٤٢". قال الأرنؤوط: إسناده حسن، وفيه القاسم بن عبد الواحد المكي، قال عنه الحافظ: (مقبول) لكن للحديث شواهد.

قال ابن بطال رحمه الله: (العلماء متفقون أنه إذا حلله مما قد علم مبلغه، فإنه قد أبرأه، ولا رجوع له فيه) [شرح صحيح البخاري: ج٦/ص٥٧٨].

ما يقوله المجاهد لمن ظلمه من إخوانه

قال الله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: ١٤٩]، وقال: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

قال الطبري رحمه الله: (قوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}. يقولُ جلَّ ثناؤُه: فمَن عفا عمن أساء إليه إساءتَه إليه، فغفرَها له ولم يُعاقِبْه بها، وهو على عقوبتِه عليها قادرٌ، ابتغاءَ وجهِ اللهِ، فأجرُ عفوِه ذلك على اللهِ) [جامع البيان: ج٢٠/ص٥٢٦].

٣١٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"[١].

ما يقوله المجاهد إذا أحب أخاه في الله، أو أخبره بمحبته

٣١٨. عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عن النبي ﷺ قال: "إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ"[٢].

٣١٩. وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ. قَالَ: "هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَلِكَ؟"، قَالَ: لَا. قَالَ: "قُمْ فَأَعْلِمْهُ". قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا هَذَا، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ. قَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ[٣].

---

[١] ٣١٧. أخرجه مسلم "٢٥٨٨".

[٢] ٣١٨. أخرجه أحمد "١٧١٧١" واللفظ له وأخرجه الترمذي "٢٥٥٣". وقال: حديث المقدام حديث حسن صحيحٌ غريب.

[٣] ٣١٩. أخرجه أحمد "١٢٤٣٠" وأبو داود "٥١٢٥" وابن حبان "٦٨٦" واللفظ لأحمد. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٣٢٠. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: "إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ"[١].

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا استأذن على أخيه

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور: ٢٧-٢٩].

٣٢١. عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"[٢].

٣٢٢. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِمِشْقَصٍ -أَوْ بِمَشَاقِصَ-، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخْتِلُ الرَّجُلَ لِيَطْعُنَهُ[٣].

٣٢٣. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ"، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ[٤].

٣٢٤. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: "مَنْ ذَا؟" فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: "أَنَا أَنَا"، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا[٥].

---

[١] ٣٢٠. أخرجه أحمد "٢١٢٩٤"، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، يزيد بن أبي حبيب، وهو وإن كان ثقة، لكنه قد كان يرسل، ولم يُبيّن هنا عمن رواه، وابن لهيعة سيئ الحفظ، وقد تفرد في هذا الحديث بقوله: "فليأته في منزله" ولم يرد هذا الحرف في غير هذا الحديث فيما نعلم.

[٢] ٣٢١. أخرجه البخاري "٦٢٤٧" واللفظ له، ومسلم "٢١٥٦".

[٣] ٣٢٢. أخرجه البخاري "٦٢٤٨" ومسلم "٢١٥٧" واللفظ لمسلم. بمشقص: هو نصل السَّهم إذا كان طويلا غير عَرِيضٍ.

[٤] ٣٢٣. أخرجه أبو داود "٥١٨٦"، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

[٥] ٣٢٤. أخرجه البخاري "٦٢٥٦" ومسلم "٢١٥٥" واللفظ للبخاري.

٣٢٥. عن أَبِي مُرَّةَ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِئٍ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟ " فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ"[1].

٣٢٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا بِالأَبْوَاءِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، وَقَالَ الْمِسْوَرُ: لاَ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، فَأَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ، وَهُوَ يَسْتَتِرُ بِثَوْبٍ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ حُنَيْنٍ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، أَسْأَلُكَ: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ؟[2].

٣٢٧. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ"[3].

ما يقوله المجاهد إذا استقبل إخوانه

٣٢٨. عَنْ أَبِي جَمْرَةَ عن ابن عباس قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ" أَوْ: "مَنِ الْوَفْدُ؟" قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ" أَوْ: "بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى"[4].

٣٢٩. عن أَبِي مُرَّةَ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِئٍ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ،

---
[1] ٣٢٥. أخرجه البخاري "٣١٧٩" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٣٣٦".
[2] ٣٢٦. قطعة من حديث أخرجه البخاري "١٨٥٠" ومسلم "١٢٠٥" واللفظ لمسلم.
[3] ٣٢٧. قطعة من حديث أخرجه البخاري "٦٢٥١" ومسلم "٢١٥٣" واللفظ للبخاري.
[4] ٣٢٨. أخرجه البخاري "٥٣ " ومسلم "١٧" وهذا أحد ألفاظ البخاري.

فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ فقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟ " فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فقَالَ: "مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ"[١]

٣٣٠. عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ[٢].

٣٣١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ: "مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟" قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا"، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً[٣].

٣٣٢. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: "هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ"[٤].

٣٣٣. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي"، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ: عَنْ شِمَالِهِ[٥].

ما يقوله المجاهد لأخيه وأهله سائلا عن أحوالهم وكيف يجيبونه

٣٣٤. قَالَ أَنسٌ: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَ يَبْعَثُنِي فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ، لَمْ يَخْرُجَا،

---

[١] ٣٢٩. أخرجه البخاري "٣١٧٩" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٣٣٦".

[٢] ٣٣٠. قطعة من حديث طويل جدا أخرجه مسلم "١٢١٨".

[٣] ٣٣١. جزء من حديث أخرجه مسلم "٢٠٣٨".

[٤] ٣٣٢. قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري "٣٣٩٧".

[٥] ٣٣٣. قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري "٣٦١٧" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٢٤٥٠".

فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟"، فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ،كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ فَيَقُولُ: "بِخَيْرٍ"[1].

٣٣٥. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه خَرَجَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا[2].

٣٣٦. عن البراء أنه أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَرَأَيْتُ أَبَاهَا، فَقَبَّلَ خَدَّهَا وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟[3].

٣٣٧. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ سَأَلَ عُمَرُ الرَّجُلَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ، فَقَالَ عُمَرُ: ذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ[4].

٣٣٨. عن يُونُس بن مَيْسَرَة بن حَلْبَسٍ -أحد العباد الزهاد- قَالَ: لَقِيتُ وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ -وهو صحابي من أهل الصفة- فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا شَدَّادٍ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: بِخَيْرٍ يَا ابْنَ أَخِي[5].

٣٣٩. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلانُ؟"، قَالَ: أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ"[6].

---

[1] ٣٣٤. قطعة من حديث أخرجه مسلم "١٤٢٨".

[2] ٣٣٥. قطعة من حديث أخرجه البخاري "٦٢٧٣".

[3] ٣٣٦. أخرجه البخاري "٣٩٠٩".

[4] ٣٣٧. أخرجه مالك في الموطأ "١٥٠٦" موقوفا على عمر وصححه العراقي في تخريجه للإحياء.

[5] ٣٣٨. أخرجه الحاكم "٦٥٦٦"، والطبراني في الكبير "١٢٢"، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات).

[6] ٣٣٩. أخرجه الطبراني في الأوسط "٤٣٧٧"، وأورده الهيثمي في المجمع "٨/ ٤٦" وقال: (إسناده حسن).

ما يقوله المجاهد لمن هو أكبر منه إذا ناداه

٣٤٠. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ"[1].

٣٤١. عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ"، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: "إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا"، عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ[2].

٣٤٢. عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ" فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا فِدَاؤُكَ[3].

٣٤٣. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ وَالطُّلَقَاءُ فَأَدْبَرُوا، قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ"، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

[1] ٣٤٠. أخرجه البخاري "٥٩٧١" واللفظ له، ومسلم "٣٠".

[2] ٣٤١. جزء من حديث أخرجه البخاري "٦٤٥٢" وهذا لفظه، ومسلم "٩٤".

[3] ٣٤٢. أخرجه أبو داود "٥٢٢٨". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، حماد بن أبي سليمان احتج به مسلم، وقال الذهبي: ثقة إمام مجتهد.

وَسَعْدَيْكَ، لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا[١].

٣٤٤. وفي رواية عنه فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ!"، فقَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ!"، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ[٢].

ما يقوله المجاهد للكبير إذا أسدى إليه نصحا، أو حدث له مكروه احتراما وتقديرا

٣٤٥. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ أَقْبَلَ هُوَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ صَفِيَّةُ مُرْدِفَهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَثَرَتِ النَّاقَةُ، فَصُرِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمَرْأَةُ، وَأَنَّ أَبَا طَلْحَةَ -قَالَ أَحْسِبُ- اقْتَحَمَ عَنْ بَعِيرِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، هَلْ أَصَابَكَ مِنْ شَيْءٍ؟[٣].

٣٤٦. عن أنس بن مالك: أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي رسول الله ﷺ، فكان النبي ﷺ يرفع رأسه من خلفه لينظر أين يقع نبله، فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ، ويقول: هكذا يا نبي الله جعلني الله فداك، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ[٤].

٣٤٧. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ ذَكَرُوا الْفِتْنَةَ -أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ-، فَقَالَ: "إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا"، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: "الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ"[٥].

---

[١] ٣٤٣. قطعة من حديث أخرجه البخاري "٤٣١٥".
[٢] ٣٤٤. هو نفس الحديث الذي سبقه أخرجه مسلم "١٠٥٩".
[٣] ٣٤٥. أخرجه البخاري "٦١٩٠".
[٤] ٣٤٦. أخرجه أحمد "١٢٠٢٤" وابن حبان "٣٥١٥" وهذا لفظه، وأصل الحديث عند البخاري "٣٧٩٩" ومسلم "١٨١١".
[٥] ٣٤٧. أخرجه أحمد "٦٩٨٧" وأبو داود "٤٣٤٣" واللفظ لأحمد، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خبّاب، فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة.

٣٤٨. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[١].

وَفِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ فِي تَرْجَمَةِ اِبْنِ أَبِي عَتِيقٍ: (أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فِي مَرَضِهَا فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكِ؟ قَالَتْ: أَصْبَحْتُ ذَاهِبَةً. قَالَ: فَلَا إِذًا وَكَانَ فِيهِ دُعَابَة)

[فتح الباري، ابن حجر: ج٨/ص٣٩].

قَالَ الحافظ فِي الفتح: (بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَيْ هَلْ يُبَاحُ أَوْ يُكْرَهُ؟ وَقَدِ اسْتَوْعَبَ الْأَخْبَارَ الدَّالَّةَ عَلَى الْجَوَازِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ آدَابِ الْحُكَمَاءِ وَجَزَمَ بِجَوَازِ ذَلِكَ فَقَالَ: لِلْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِسُلْطَانِهِ وَلِكَبِيرِهِ وَلِذَوِي الْعِلْمِ وَلِمَنْ أَحَبَّ مِنْ إِخْوَانِهِ غَيْرَ مَحْظُورٍ عَلَيْهِ ذَلِكَ، بَلْ يُثَابُ عَلَيْهِ إِذَا قَصَدَ تَوْقِيرَهُ وَاسْتِعْطَافَهُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَحْظُورًا لَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ قَائِلَ ذَلِكَ وَلَأَعْلَمَهُ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ) [ج١٠/ص٥٦٩].

---

[١] ٣٤٨. أخرجه أحمد "٢٢٢١١" والطبراني في الكبير "٧٦٧٩-٧٧٥٩" واللفظ لأحمد. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

ما يقوله المجاهد لولده رجاء صلاحه

٣٤٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ"[1].

ما يقوله المجاهد لمن صنع إليه معروفًا

٣٥٠. عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ"[2].

٣٥١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"[3].

٣٥٢. عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قَالَ: "لَا، مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ"[4].

وفي رواية: "أَلَيْسَ تُثْنُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَتَدْعُونَ اللهَ لَهُمْ؟"، قَالُوا: بَلَى؟ قَالَ: "فَذَاكَ بِذَاكَ" [رواه أبو داود والنسائي والبزار في مسنده].

٣٥٣. عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا فَوَجَدَهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَصَلَّوْا، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِعَائِشَةَ: جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكِ لَكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا[5].

---

[1] ٣٤٩. أخرجه أحمد "١٠٧٠٨" وأبو داود "١٥٣٦"، قال الأرنؤوط: حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي جعفر الراوي.

[2] ٣٥٠. أخرجه الترمذي "٢١٥٤" وابن السني في اليوم والليلة "٢٧٥" وابن حبان "٥٣٤". قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ غريبٌ، لا نَعْرِفهُ من حديثِ أُسامةَ بن زَيْدٍ إلَّا من هذا الوَجْهِ.

[3] ٣٥١. أخرجه أحمد "٢١٨٣٨" وأبو داود "٤٨١١"، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات لكن زياد بن كليب – وهو أبو معشر الكوفي– لم يسمع من الأشعث بن قيس.

[4] ٣٥٢. أخرجه أبو داود "٤٨١٢" والترمذي "٢٦٥٤" والحاكم "٢٣٩٩". وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخرجاه. قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوَجْهِ.

[5] ٣٥٣. أخرجه البخاري "٣٤٠" وهذا أحد ألفاظه.

٣٥٤. عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا[١].

ما يقوله المجاهد لأخيه إذا أماط عنه الأذى

٣٥٥. عن أَبِي زَيْدٍ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاءً، فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَأَخَذْتُهَا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ"، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ لَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ شَعَرَةٌ بَيْضَاءُ[٢].

ما يقوله المجاهد لمن أكل من طعامهم

٣٥٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي، قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى -قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِلْقَاءُ النَّوَى بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ-، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ فَقَالَ أَبِي، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ"[٣].

٣٥٧. عَنِ الْمِقْدَادِ قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ. وفيه قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي"[٤].

٣٥٨. عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ"[٥].

---

[١] ٣٥٤. أخرجه مسلم "١٨٢٣".

[٢] ٣٥٥. أخرجه الحاكم "٧٣٩٥" وابن السني في اليوم والليلة "٤٧٧" وهو عند أحمد مختصرا "٢٢٨٨١". وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعلق الذهبي عليه بقوله: صحيح.

[٣] ٣٥٦. أخرجه مسلم "٢٠٤٢".

[٤] ٣٥٧. قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم "٢٠٥٥".

[٥] ٣٥٨. أخرجه أبو داود "٣٨٥٤"، قال النووي في رياض الصالحين: إسناده صحيح، وله شاهد من حديث عبد الله بن الزبير قال: (أفطر رسول الله ﷺ عند سعد). نحوه أخرجه ابن حبان "٦٦٤١"، وفي بعض الأحاديث: "وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ" أخرجه الدارمي

ما يقوله المجاهد إذا عطس، أو عطس أخوه، وكراهية التثاؤب

٣٥٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا – ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ"[1].

٣٦٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ – أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ – فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ"[2].

٣٦١. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَمَّتَّ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: "إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ"[3].

٣٦٢. وعن أبي موسى قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ"[4]

ما يقوله المجاهد يعزي به من ابتلي بفقد حبيب

٣٦٣. عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "ارْجِعْ فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ"، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ: أَنَّهَا أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ

وأحمد وأبو يعلى والنسائي.

[1] ٣٥٩. أخرجه البخاري "٦٢٢٩" وهذا أحد ألفاظه.

[2] ٣٦٠. أخرجه البخاري "٦٢٣٠".

[3] ٣٦١. أخرجه البخاري "٦٢٣١" ومسلم "٢٩٩١" وهذا لفظه.

[4] ٣٦٢. جزء من حديث أخرجه مسلم "٢٢٩٢".

الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ"[1].

ما يقوله المجاهد إذا غضب

قال اللَّهُ تعالَى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: ٣٧]، وقَالَ: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤].

٣٦٤. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟"، قَالَ: قُلْنَا الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا"، قَالَ: "فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟"، قَالَ: قُلْنَا الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: "لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[2].

٣٦٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[3].

٣٦٦. وعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ:اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ، وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آنِفًا؟ قَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي؟[4].

---

[1] ٣٦٣. أخرجه البخاري "٧٣٧٧" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٩٢٣".

[2] ٣٦٤. أخرجه مسلم "٢٦٠٨".

[3] ٣٦٥. أخرجه البخاري "٦١١٨" ومسلم "٢٦٠٩".

[4] ٣٦٦. أخرجه البخاري "٦٢٣٢" ومسلم "٢٦١٠" واللفظ لمسلم.

ما يقوله المجاهد عن إخوانه المجاهدين

٣٦٧. عن المنهال قال: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنهما عَنِ الصَّرْفِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ دَيْنًا[1].

٣٦٨. عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كَانَ عُتْبَةُ يَقُولُ: عِرْبَاضٌ خَيْرٌ مِنِّي، وَعِرْبَاضٌ يَقُولُ: عُتْبَةُ خَيْرٌ مِنِّي سَبَقَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَةٍ[2].

ما يقوله المجاهد بحق من سبق من إخوانه الشهداء

٣٦٩. عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ -وَأُرَاهُ قَالَ- وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ -أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا- وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ[3].

٣٧٠. عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ، فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ، فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا[4].

٣٧١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: "بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ"[5].

---

[1] ٣٦٧. أخرجه البخاري "٢١٨٨ - ٢١٨٩" واللفظ له، ومسلم "١٥٨٩".

[2] ٣٦٨. أخرجه أحمد في مسنده "١٧٦٥٩"، وعزاه الهيثمي لأحمد وقال: (رجاله ثقات).

[3] ٣٦٩. أخرجه البخاري "١٢٨٦".

[4] ٣٧٠. أخرجه البخاري "٧٢١٤" واللفظ له، ومسلم "١٨٢٣".

[5] ٣٧١. أخرجه مسلم "٢٩١٥" وفي رواية له قال: (أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو قَتَادَةَ).

ما يقوله المجاهد بشأن العشائر التي لم تستجب للحق

قال الله تعالى في شأن نبي الله شعيب عليه السلام، لما هدده قومه: {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٨٩]، وذلك بعدما قالوا له: {لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [الأعراف: ٨٨].

قال الطبري رحمه الله: (احْكُم بيننا وبينَهم بحُكْمِكَ الحقِّ الذي لا جورَ فيه ولا حَيْفَ ولا ظلمَ، ولكنَّه عدلٌ وحقٌّ، {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}، يعني: خيرُ الحاكمين) [جامع البيان: ج ١٠/ص٣١٩].

٣٧٢. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ"[1].

ما يقوله المجاهد لأخيه إذا أراد أن يمدحه وعقوبة المخالف

٣٧٣. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فقال: "وَيْلَكَ! قَطعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ!"، مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا؛ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ"[2].

٣٧٤. عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ فَقَالَ: "لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ -أَوْ- قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ"[3].

٣٧٢[1]. أخرجه البخاري "٢٩٥٤" ومسلم "٢٥٢٤" وهذا أحد ألفاظ البخاري، وفي لفظ له: (إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها).

٣٧٣[2]. أخرجه البخاري "٢٦٧٩" وهذا أحد ألفظه، ومسلم "٣٠٠٠".

٣٧٤[3]. أخرجه البخاري "٦٠٦٥"، ومسلم "٣٠٠١" وهذا لفظه.

٣٧٥. عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ. فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا. فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ"[1].

ما يقوله المجاهد إذا مر بصبيان المجاهدين

٣٧٦. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ[2].

قال ابن بطال رحمه الله: (سلام النبي ﷺ على الصبيان من خُلُقِهِ العظيم، وأدبه الشريف وتواضعه عليه السلام، وفيه تدريب لهم على تعليم السنن ورياضة لهم على آدابه الشريعة ليبلغوا حد التكليف وهم متأدبون بأدب الإسلام) [شرح صحيح البخاري: ج٩/ص٢٧].

ولكن قال الحافظ في الفتح: (قُلْت: وَيُسْتَثْنَى مِنَ السَّلَام عَلَى الصَّبِيّ مَا لَوْ كَانَ وَضِيئًا وَخُشِيَ مِنَّ السَّلَام عَلَيْهِ الِافْتِتَان فَلَا يُشْرَع وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مُرَاهِقًا مُنْفَرِدًا) [ج ١١/ص٣٣].

ما يقوله المجاهد إذا طالت عزوبته، وما كان عليه الصحابة من ضيق الحال

قال الله تعالى حاكيا قول موسى عليه السلام لما اشتدت محنته: {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: ٢٤-٢٥].

٣٧٧. عَنْ بَشِيرِ بن الْخَصَاصِيَةِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَحِقْتُهُ بِالْبَقِيعِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"، وَانْقَطَعَ شِسْعِي، فَقَالَ لِي: "أَنْعِشْ قَدَمَكَ؟"،

---

[1] ٣٧٥. أخرجه مسلم "٣٠٠٢".

[2] ٣٧٦. أخرجه البخاري "٦٢٥٣" واللفظ له، ومسلم "٢١٦٨"، وفي لفظ لمسلم: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَالَتْ عُزُوبَتِي ونَأَيْتُ عَنْ دَارِ قَوْمِي قَالَ: "يَا بَشِيرُ أَلا تَحْمَدُ الَّذِي أَخَذَ بناصِيَتِكَ، مِنْ بَيْنِ رَبِيعَةَ قَوْمٌ يرَوْنَ لَوْلاهُمُ انْكَفَتِ الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا"[١].

٣٧٨. عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فَقَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[٢].

٣٧٩. عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يقُولُ: رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا.[٣].

ما يفعله المجاهد إذا ألمَّ بمعصية سرًّا

٣٨٠. عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ"[٤].

٣٨١. وعن ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: "يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ"[٥].

قال ابن بطال رحمه الله: (وفي ستر المؤمن على نفسه منافع. منها: أنه إذا اختفى بالذنب عن العباد لم يستخفوا به ولا استذلوه؛ لأن المعاصي تذل أهلها. ومنها: أنه كان

---

[١] ٣٧٧. أخرجه الطبراني في الكبير "١٢٣٦" قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات). والشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم.

[٢] ٣٧٨. أخرجه البخاري "١٩١٦" وهذا لفظه، ومسلم "١٤٠٠".

[٣] ٣٧٩. أخرجه البخاري "٥٠٦٣"، ومسلم "١٤٠٢".

[٤] ٣٨٠. أخرجه البخاري "٦٠٧٤" واللفظ له، ومسلم "٢٩٩٠".

[٥] ٣٨١. أخرجه البخاري "٦٠٧٥" واللفظ له، ومسلم "٢٧٦٨".

ذنبًا يوجب الحد سقطت عنه المطالبة في الدنيا. وفي المجاهرة بالمعاصي استخفاف بحق الله وحق رسوله وضرب من العناد) [شرح صحيح البخاري: ج٩/ص٢٦٣].

ما يقوله المجاهد من أذكار قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

٣٨٢. عَنْ مُحَمَّدِ بن أُبَيِّ بن كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟، قَالَ: لا بَلْ جِنِّيٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنْ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "صَدَقَ الْخَبِيثُ"[١].

٣٨٣. عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: "قُلْ"، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: "قُلْ"، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: "قُلْ"، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "قُلْ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"[٢].

٣٨٤. عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، -قَالَ:- وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ

---

[١] ٣٨٢. أخرجه الحاكم "٢٠٨٨" وابن حبان "٧٨٤" والنسائي "١٠٧٣١" والطبراني في الكبير "٤١٧" واللفظ للأخير، وقال الهيثمي في المجمع "١٠/ ١١٧": (رجاله ثقات)، وقال المنذري: (إسناده جيد). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه.

[٢] ٣٨٣. أخرجه أبو داود "٥٠٨٢" وأحمد "٢٢٦٦٤" وأخرجه الترمذي "٣٨٩٢" وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[١].

٣٨٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ"[٢].

٣٨٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"[٣].

٣٨٧. عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ"[٤].

٣٨٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ، كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ"[٥].

---

[١] ٣٨٤. أخرجه البخاري "٦٣١٤"، وقوله "أبوء" أي: أقر وأعترف.

[٢] ٣٨٥. أخرجه مسلم "٢٦٩٢".

[٣] ٣٨٦. أخرجه البخاري "٦٤١١" ومسلم "٢٦٩١" واللفظ له، وفِي رِوَايَة عَبْد اللَّه بْن سَعِيد "وَحُفِظَ يَوْمه حَتَّى يُمْسِي" وَزَادَ "وَمَنْ قَالَ مِثْل ذَلِكَ حِين يُمْسِي كَانَ لَهُ مِثْل ذَلِكَ".

[٤] ٣٨٧. أخرجه البخاري "٦٤١٢" ومسلم "٢٦٩٣" واللفظ له كلاهما من حديث عمر بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون موقوفًا. لكن أخرجاهما أيضا من نفس الطريق، أي عن عمر بن أبي زائدة فأسنده عن شيخ آخر وهو عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي عن ربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب به.

[٥] ٣٨٨. رواه أحمد في مسنده "٨٧١٩"، وقال الهيثمي في المجمع: (ورجاله رجال الصحيح).

٣٨٩. عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا أَمْسَى مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ"، قَالَ فَرَأَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا عَيَّاشٍ يُحَدِّثُ عَنْكَ بِكَذَا وَكَذَا قَالَ: "صَدَقَ أَبُو عَيَّاشٍ"[1].

٣٩٠. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إذا أَمْسَى قَالَ: "أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"، قَالَ أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ"[2].

٣٩١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: "مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ"[3].

٣٩٢. عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه: أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: "أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[4].

---

[1] ٣٨٩. أخرجه أحمد "١٦٥٨٢" وابن ماجه "٣٨٦٧" وأبو داود "٥٠٧٧". قال الأرنؤوط: حديث صحيح على خلاف في صحابيه، هل هو الزرقي أم غيره.

[2] ٣٩٠. أخرجه مسلم "٢٧٢٣".

[3] ٣٩١. قطعة من حديث أخرجه مسلم "٢٧٢٦".

[4] ٣٩٢. أخرجه أحمد "١٥٣٦٠" وابن السني في اليوم والليلة "٣٤" قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣٩٣. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: "مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ"[1].

٣٩٤. عن أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَفَّانَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ"[2].

٣٩٥. عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي"[3].

ما يقوله المجاهد من أذكار تخص الصباح، وما يفعله

٣٩٦. عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللَّهِ"[4].

---

[1] ٣٩٣. أخرجه النسائي "١٠٣٣٠"، والحاكم "٢٠٢٣" وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد البزار: إسناده حسن.

[2] ٣٩٤. أخرجه أبو داود "٥٠٨٨" واللفظ له، وأخرجه ابن ماجه "٣٨٦٩" والترمذي "٣٣٨٥"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ.

[3] ٣٩٥. أخرجه ابن ماجه "٣٨٧١" وأبو داود "٥٠٧٤" وإسناده صحيح، وقوله: "أن أغتال" أي: (الخسف) قاله وكيع أحد الرواة.

[4] ٣٩٦. أخرجه الترمذي "٣٧٨٠" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ.

٣٩٧. عن عبد الله بن القاسم قال: حدثتني جارة للنبي ﷺ: أنها كانت تسمع رسول الله ﷺ يقول عند طلوع الفجر: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ"، قال أبو عيسى فقلت لعبد الله: أرأيت إن جمعهما إنسان؟ قال فقال: قال رسول الله ﷺ ما قال[1].

٣٩٨. عن واصل الأحدب، عن أبي وائل، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَمَا انْصَرَفْنَا مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ، قَالَ: ادْخُلُوا، فَقُلْنَا: نَنْتَظِرُ هُنَيَّةً لَعَلَّ بَعْضَ أَهْلِ الدَّارِ لَهُ حَاجَةٌ فَأَقْبَلَ يُسَبِّحُ، فَقَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُمْ بِآلِ عَبْدِ اللهِ غَفْلَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ انْظُرِي هَلْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ؟ قَالَتْ: لَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا الثَّانِيَةَ: انْظُرِي هَلْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ؟ قَالَتْ: لَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا الثَّالِثَةَ: انْظُرِي هَلْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لَنَا هَذَا الْيَوْمَ، وَأَقَالَنَا فِيهِ عَثَرَاتِنَا – وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَمْ يُعَذِّبْنَا بِالنَّارِ[2].

٣٩٩. عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ"[3].

٤٠٠. عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى"[4].

---

[1] ٣٩٧. أخرجه أحمد "٢٢٣٢٨"، إسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/١١٥: (رجاله ثقات).

[2] ٣٩٨. أخرجه الطبراني في الكبير "٨٩٠١"، قال الهيثمي في المجمع: (رجاله رجال الصحيح).

[3] ٣٩٩. أخرجه مسلم "٢٠٤٧".

[4] ٤٠٠. أخرجه مسلم "٧٢٠".

ما يقوله المجاهد من أذكار تخص المساء

٤٠١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: "أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ"[1].

ما يقوله المجاهد قبل أن ينزل منزلا سواء أكان للسكن أو للقتال

٤٠٢. عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه، أَنَّ كَعْباً حَلَفَ لَهُ بالله الَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى أَنَّ صُهَيْباً حَدَّثَهُ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا، إِلَّا قَالَ حِينَ يرَاهَا: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا"[2].

٤٠٣. عن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله: ما كان يتخوف القوم حيث كانوا يقولون إذا أشرفوا على المدينة: اجعل لنا فيها رزقًا وقرارًا، قال: "كَانُوا يَتَخَوَّفُونَ جَوْرَ الْوُلَاةِ، وَقُحُوطَ الْمَطَرِ"[3].

ما يقوله المجاهد إذا نزل منزلًا

٤٠٤. عن بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ"[4].

---

[1] ٤٠١. أخرجه مسلم "٢٧٠٩".

[2] ٤٠٢. أخرجه النسائي "٨٧٧٥"، والطبراني في الكبير "٧٢٩٩". وصححه ابن خزيمة "٢٥٦٥"، وابن حبان "٦٦٨٢"، والحاكم "١٦٥١" ولم يتعقبه الذهبي، وحسنه ابن حجر في النتائج كما في الفتوحات الربانية "٥/ ١٥٤".

[3] ٤٠٣. أخرجه النسائي "١٠٣١١"، وأخرجه البزار "٧٦٢٨". قال الهيثمي في الزوائد: (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن سالم، وهو ثقة). وقال ابن حجر في مختصر الزوائد: (إسناده حسن).

[4] ٤٠٤. أخرجه مسلم "٢٧٠٨".

٤٠٥. عن أنس بن مالك قال: كنا إذا نزلنا منزلا لا نُسبِّح حتى نَحُلَّ الرحال[٥].

ما يقوله المجاهد إذا دخل بيته أو موقعه

قال الله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [النور: ٦١].

٤٠٦. عن جابر بن عبد الله قال: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ: {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً}، قال: ما رأيته إلا يُوجِبُه[٢].

٤٠٧. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَالْعَشَاءَ"[٣].

٤٠٨. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ"[٤].

٤٠٩. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا بُنَيَّ، إذا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ"[٥].

٤١٠. عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ فَكَانَتْ تَجِيءُ الْغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "فَاذْهَبْ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ". فقص الحديث إلى قوله: فَأَخَذَهَا فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلَا

٤٠٥[٥]. أخرجه أبو داود "٢٥٥١" وإسناده صحيح.

٤٠٦[٢]. أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد "١٠٩٥".

٤٠٧[٣]. أخرجه مسلم "٢٠١٨".

٤٠٨[٤]. أخرجه أبو داود "٥٠٩٦" والطبراني في الكبير "٣٤٥٢" واللفظ لأبي داود. قال الأرنؤوط إسناده ضعيف.

٤٠٩[٥]. أخرجه الترمذي "٢٨٩٤" وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ.

يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟"، قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ، قَالَ: "صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ"[١].

ما يقوله المجاهد إذا أراد دخول الخلاء، وبعد خروجه

٤١١. عن أَنَسٍ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ"[٢].

ونقل الحافظ في الفتح: (عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ بِلَفْظِ الْأَمْرِ قَالَ: "إِذَا دَخَلْتُمُ الْخَلَاءَ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" وَإِسْنَاده عَلَى شَرْط مُسْلِم، وَفِيهِ زِيَادَة التَّسْمِيَة وَلَمْ أَرَهَا فِي غَيْر هَذِهِ الرِّوَايَة) [ج١/ص٢٤٤].

وقال الحافظ: (أَمَّا فِي الْأَمْكِنَة الْمُعَدَّة لِذَلِكَ فَيَقُولهُ قُبَيْل دُخُولهَا، وَأَمَّا فِي غَيْرهَا فَيَقُولهُ فِي أَوَّل الشُّرُوع كَتَشْمِيرِ ثِيَابه مَثَلًا وَهَذَا مَذْهَب الْجُمْهُور، وَقَالُوا فِيمَنْ نَسِيَ يَسْتَعِيذ بِقَلْبِهِ لَا بِلِسَانِهِ. وَمَنْ يُجِيز مُطْلَقًا كَمَا نُقِلَ عَنْ مَالِك لَا يَحْتَاج إِلَى تَفْصِيل) [ج١/ص٢٤٤].

٤١٢. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رسول الله ﷺ إذا خَرَجَ مِنَ الْغائط قَالَ: "غُفْرَانَكَ"[٣].

ما يقوله المجاهد ويفعله إذا حضر طعامه وشرابه

٤١٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ[٤].

---

[١] ٤١٠. أخرجه الترمذي "٣٠٩٦" وأحمد "٢٣٥٩٢" وقال الترمذي: حسن غريب.
[٢] ٤١١. أخرجه البخاري "١٤٦" واللفظ له، ومسلم "٣٧٥".
[٣] ٤١٢. أخرجه أبو داود "٣٠" وأخرجه الترمذي "٧" وغيرهم، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ حسنٌ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح.
[٤] ٤١٣. أخرجه البخاري "٥٤٠٢"، ومسلم "٢٠٦٤".

٤١٤. عَنْ عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ"[5].

٤١٥. وعن أبي جُحَيْفَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا آكُلُ مُتَّكِئًا"[2].

٤١٦. عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[3].

٤١٧. عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا إذا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا"[4].

٤١٨. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ"[5].

٤١٩. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ"[6].

---

[5] ٤١٤. أخرجه البخاري "٦٧٨".

[2] ٤١٥. أخرجه البخاري "٥٣٩٠".

[3] ٤١٦. أخرجه البخاري "٥٣٦٧" وهذا لفظه، ومسلم "٢٠٢٢".

[4] ٤١٧. أخرجه مسلم "٢٠١٧".

[5] ٤١٨. أخرجه الترمذي "١٩٦٥" وابن ماجه "٣٢٦٤" والحاكم "٧٢٦٤"، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي بقوله: صحيح. وزاد ابن ماجه في أوله: قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ".

[6] ٤١٩. أخرجه مسلم "٢٠٢٠".

٤٢٠. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا"[1].

٤٢١. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ -وقال مَرَّةً: إذا رَفَعَ مَائِدَتَهُ- قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ"، وقال مَرَّةً: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى رَبَّنَا"[2].

٤٢٢. عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[3].

٤٢٣. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا"[4].

٤٢٤. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليلعق أصابعه، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيَّتِهِنَّ الْبَرَكَةُ"[5].

٤٢٥. عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا: فَالْأَكْلُ؟ فَقَالَ: ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أخبث[6].

٤٢٦. عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ: "إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ"[7].

---

[1] ٤٢٠. أخرجه البخاري "٥٤٥١".

[2] ٤٢١. هي رواية للحديث السابق أخرجها البخاري "٥٤٥٢".

[3] ٤٢٢. أخرجه الترمذي "٣٧٦١"، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

[4] ٤٢٣. أخرجه البخاري "٥٤٤٩" واللفظ له، ومسلم "٢٠٣١".

[5] ٤٢٤. أخرجه مسلم "٢٠٣٥".

[6] ٤٢٥. أخرجه مسلم "٢٠٢٤".

[7] ٤٢٦. أخرجه مسلم "٢٠٢٨".

ما يقوله المجاهد إذا أتى أهله، وحرمة نشر ما يقع بينهما وما يقوله للناس بعدها وشر ذلك

٤٢٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ"[1].

٤٢٨. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ"[2].

قال الحافظ في الفتح: (وَفِي رِوَايَة جَرِير عَنْ مَنْصُور عِنْد أَبِي دَاوُدَ وَغَيْره: "لَوْ أَنَّ أَحَدكُمْ إذا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَه" وَهِيَ مُفَسِّرَة لِغَيْرِهَا مِنَ الرِّوَايَات دَالَّة عَلَى أَنَّ الْقَوْل قَبْل الشُّرُوع) [ج٩/ص٢٢٨].

٤٢٩. عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا"[3].

قال النووي رحمه الله: (وَفِي هَذَا الْحَدِيث تَحْرِيم إِفْشَاء الرَّجُل مَا يَجْرِي بَيْنه وَبَيْن امْرَأَته مِنْ أُمُور الِاسْتِمْتَاع، وَوَصْف تَفَاصِيل ذَلِكَ وَمَا يَجْرِي مِنَ الْمَرْأَة فِيهِ مِنْ قَوْل أَوْ فِعْل وَنَحْوه. فَأَمَّا مُجَرَّد ذِكْر الْجِمَاع، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَائِدَة وَلا إِلَيْهِ حَاجَة فَمَكْرُوه لِأَنَّهُ خِلَاف الْمُرُوءَة) [شرح مسلم: ج١٠/ص٨].

---

[1] ٤٢٧. أخرجه مسلم "١٧٣٦"، وأخرجه البخاري "٣٢٤٤" ومسلم "١٠٥٩" من حديث أبي هريرة أيضا بلفظ: "إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ".

[2] ٤٢٨. أخرجه البخاري "٣٢٨٨" ومسلم "١٤٣٤" وهذا أحد ألفاظ البخاري، وزاد في لفظ له وكذا مسلم في أوله: "بسم الله اللهم جنبنا".

[3] ٤٢٩. أخرجه مسلم "١٤٣٧".

ما يقوله المجاهد إذا لبس ثوبا جديدا، أو لمن لبس ثوبا جديدا

٤٣٠. عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: "مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُو هَذِهِ؟"، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: "ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ"، فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: "أَبْلِي، وَأَخْلِقِي"، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: "يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ"، وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنٌ[1].

٤٣١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا -أَوْ عِمَامَةً- ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ"[2].

٤٣٢. عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ"[3].

٤٣٣. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أَبْيَضَ، فَقَالَ: "ثَوْبُكَ هَذَا غَسِيلٌ أَمْ جَدِيدٌ؟"، قَالَ: لَا، بَلْ غَسِيلٌ. قَالَ: "الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا"[4].

٤٣٤. وفي زيادة عند أحمد: "وَيَرْزُقُكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[5].

---

[1] ٤٣٠. أخرجه البخاري "٥٨٢٤" وهذا أحد ألفاظه.

[2] ٤٣١. أخرجه أبو داود "٤٠٢٠" وأحمد "١١٢٤٨" والترمذي "١٨٦٥" واللفظ لأبي داود. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وحسنه أيضًا الحافظ في نتائج الأفكار. وزاد أبو داود في آخره: قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: (فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إذا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ تُبْلَى وَيُخْلِفُ اللَّهُ).

[3] ٤٣٢. أخرجه أبو داود "٤٠٢٣"، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وقد صححه الحاكم، فتعقبه الذهبي، فقال: أبو مرحوم ضعيف، وهو عبد الرحيم بن ميمون. وأخرج شطره الأول ابنُ ماجه "٣٢٨٥"، والترمذيُّ "٣٧٦١" من طريق عبد الله بن يزيد، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

[4] ٤٣٣. أخرجه ابن ماجه "٣٥٥٨".

[5] ٤٣٤. هو نفس الحديث السابق أخرجه أحمد "٥٦٢٠". قال ابن عدي في الكامل: قال يحيى بن معين: هو حديث منكر، ليس يرويه أحد غير عبد الرزاق. وقال النسائي في عمل اليوم والليلة: هذا حديث منكر، أنكره يحيى بن سعيد القطان على عبد الرزاق. وقال أبو حاتم في العلل "٤/ ٣٤٠": هو حديث باطل. صححه ابن حبان "٣٢٣٠"، وحسَّنَهُ الحافظ في نتائج الأفكار.

ما يقوله المجاهد إذا اشترى دابة ذات روح أو آلة، وعِظَم أجر من حبس نفسه ودابته للجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: ٤١]، وقال: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: ٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وهذا أشهر القولين، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل) [تفسير القرآن العظيم: ج٥/ص٧٨]، وقال الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [البقرة: ٧٤].

قال الشنقيطي رحمه الله: (فأثبت خشية للحجارة، والخشية تكون بإدراك، وقوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هذا القرآن على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: ٢١]، وقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأمانة عَلَى السماوات والأرض والجبال فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: ٧٢] الآية. والإباء والإشفاق إنما يكونان بإدراك، والآيات والأحاديث واردة بذلك، وهو الحق) [أضواء البيان: ج٦/ص٢٧٢].

٤٣٥. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ"[1].

٤٣٦. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ[2].

---

[1] ٤٣٥. أخرجه مسلم "٢٢٧٧".

[2] ٤٣٦. أخرجه البخاري "٣٥٨١".

٤٣٧. عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْخَيْرُ مَعْقُوصٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ"، قَالَ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: "الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[١].

٤٣٨. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٢].

٤٣٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِيسَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طِيَلُهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهْيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهْيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهْيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ"، وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمُرِ، فَقَالَ: "مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}"[٣].

٤٤٠. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ". قَالَ أَبُو دَاوُد زَادَ أَبُو سَعِيدٍ: "ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ" فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ"[٤].

٤٤١. وفي رواية: "إِذَا أَفَادَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوْ خَادِمًا، أَوْ دَابَّةً، فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا.."[٥].

---

[١] ٤٣٧. أخرجه البخاري "٢٨٦٩" ومسلم "١٨٧٣" واللفظ له.

[٢] ٤٣٨. أخرجه البخاري "٢٨٧٠".

[٣] ٤٣٩. أخرجه البخاري "٢٣٨٢" وهذا أحد ألفاظه، وهو عند مسلم "٩٨٧" كجزء من حديث طويل، وفي رواية لمسلم "٩٨٧": "وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهَرٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيِّبُهَا فِي بُطُونِهَا أَجْرٌ".

[٤] ٤٤٠. أخرجه أبو داود "٢١٦٠".

٤٤٢. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ وَالنَّيْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا، فَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا، وَادْعُوا لَهَا بِالْبَرَكَةِ، وَقَلِّدُوهَا، وَلَا تُقَلِّدُوهَا بِالْأَوْتَارِ"، وقال عَلِيٌّ: وَلَا تُقَلِّدُوهَا الْأَوْتَارَ[1].

ما يقوله المجاهد إذا ركب دابته

٤٤٣. عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ شَهِدْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، ثُمَّ قَالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}، ثُمَّ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ثَلَاث مرات، ثم قال: (اللَّهُ أَكْبَرُ) ثَلَاث مرات، ثم قال: (سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)، ثُمَّ ضَحِكَ فقيل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ رَأَيْتُ النبي ﷺ فعل كما فعلت ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ، إذا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ"[2].

٤٤٤. عن مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "عَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا تُقَصِّرُوا عَنْ حَاجَاتِكُمْ"[3].

٤٤٥. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إذا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ رَدِفَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: تَغَنَّ فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ، قَالَ لَهُ: تَمَنَّ[4].

٤٤١[0]. هو نفس الحديث السابق أخرجه ابن ماجه "١٩١٨"، صححه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي. وجوّد إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار.

٤٤٢[1]. أخرجه أحمد "١٤٧٩١" قال الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حصين بن حرملة. قال المنذري في الترغيب والترهيب: (إسناده جيد).

٤٤٣[2]. أخرجه أبو داود "٢٦٠٢" والترمذي "٣٧٤٩" وابن السني في اليوم والليلة "٤٩٩" واللفظ لأبي داود. قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيح.

٤٤٤[3]. أخرجه أحمد "١٦٠٣٩" وابن حبان "٢٢٦٣"، وغيرهم. صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

٤٤٥[4]. أخرجه الطبراني في الكبير "٨٧٨١" موقوفا على ابن مسعود وقال الهيثمي في المجمع "١٠/ ١٣١": (رجاله رجال الصحيح).

ما ينبغي للمجاهد إذا لعنت الدابة

٤٤٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا"[1].

٤٤٧. عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتِبَةِ: "مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ!"[2].

٤٤٨. عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ. فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ"[3].

٤٤٩. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ"[4].

قال النووي: (قَوْله: «فَقَالَتْ: حَلْ» هِيَ كَلِمَة زَجْرٍ لِلْإِبِلِ وَاسْتِحْثَاث يُقَال: حِلْ حِلْ بِإِسْكَانِ اللَّام فِيهِمَا لها أحد ناقة ورقاء) [شرح مسلم: ج١٦/ص١٤٨].

٤٥٠. وعن جَابِرٍ، سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ، فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟" قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ"[5].

[1] ٤٤٦. أخرجه مسلم "٢٥٩٧".
[2] ٤٤٧. أخرجه البخاري "٦٠٥١" وهذا أحد ألفاظه.
[3] ٤٤٨. أخرجه مسلم "٢٥٩٦".
[4] ٤٤٩. أخرجه مسلم "٢٥٩٦" وفي رواية عنده: "لَا ايْمُ اللهِ لَا تُصَاحِبُنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللهِ".
[5] ٤٥٠. أخرجه مسلم "٣٠٠٩".

قال النووي رحمه الله: (وَأَمَّا بَيْعهَا وَذَبْحهَا وَرُكُوبهَا فِي غَيْر مُصَاحَبَته ﷺ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَات الَّتِي كَانَتْ جَائِزَة قَبْل هَذَا فَهِيَ بَاقِيَة عَلَى الْجَوَاز؛ لِأَنَّ الشَّرْع إِنَّمَا وَرَدَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُصَاحَبَة، فَبَقِيَ الْبَاقِي كَمَا كَانَ) [شرح مسلم: ج١٦/ص١٤٨].

ما يقوله المجاهد إذا خرج من منزله أو موقعه

٤٥١. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ -يَعْنِي إذا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ-: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ"[1].

٤٥٢. وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَليَّ"[2].

ما يقوله المجاهد في وداع السفر

٤٥٣. عَنْ سَالِمٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إذا أَرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: "أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ"[3].

٤٥٤. عن عبد الله الخطمي قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يستودع الجيش قال: "أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ"[4].

---

[1] ٤٥١. أخرجه أبو داود "٥٠٩٥" والترمذي "٣٧٢٤". وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

[2] ٤٥٢. أخرجه أبو داود "٥٠٩٤" وهذا لفظه، والترمذي "٣٧٢٥" وابن ماجه "٣٨٨٤" وأحمد "٢٦٧٠٤"، وزاد أحمد بأوله في إحدى رواياته: "بسم الله توكلت على الله اللهم إنا..". قال النووي في رياض الصالحين: حديثٌ صحيح. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[3] ٤٥٣. أخرجه أبو داود "٢٦٠٠" وأحمد "٤٥٢٤" وقد ورد من طرق أخرى عن ابن عمر به أخرجه الترمذي "٣٤٤٣"، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وعن ابن عمر أيضا قال: كان رسول الله ﷺ إذا أشخص السرايا يقول للشاخص: "أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ" أخرجه ابن ماجه "٢٨٢٦"، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، ابن أبي ليلى سيئ الحفظ، وقد توبع.

[4] ٤٥٤. أخرجه أبو داود "٢٦٠١" وابن السني في اليوم والليلة "٥٠٤"، قال النووي في رياض الصالحين: إسناده صحيح.

٤٥٥. عن مجاهد قال: خَرَجْتُ إِلَى العراق أنا ورجل معي، فَشَيَّعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُفَارِقَنَا قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكُمَا، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا اسْتُوْدِعَ اللهُ شَيْئًا حَفِظَهُ"، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمَا، وَأَمَانَتَكُمَا، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكُمَا[1].

٤٥٦. عَنِ ابْنِ عُمَرَ: عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ"[2].

٤٥٧. عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي قَالَ: "زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى"، قَالَ زِدْنِي قَالَ: "وَغَفَرَ ذَنْبَكَ"، قَالَ زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ: "وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ"[3].

٤٥٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ: "عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ"، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: "اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ"[4].

ما يقوله المجاهد إذا سافر

٤٥٩. عن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إذا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ، خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، اللهُمَّ اطْوِ لَنَا الْبُعْدَ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي

---

[1] ٤٥٥. أخرجه ابن حبان "٥٣٠" وهذا لفظه، والطبراني في الكبير "١٣٥٧١" ولفظ الطبراني: (خَرَجْتُ إِلَى الْغَزْوِ وَصَاحِبٌ لِي)، قال الهيثمي في المجمع: (رجاله ثقات). قال ابن حجر في المطالب العالية: (سنده حسن).

[2] ٤٥٦. أخرجه أحمد "٥٦٠٥" والنسائي "١٠٢٧٤". قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير نهشل بن مُجَمع الضبي الكوفي.

[3] ٤٥٧. أخرجه الترمذي "٣٧٤٥" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

[4] ٤٥٨. أخرجه الترمذي "٣٧٤٦" وأحمد "٨٣١٠" وابن ماجه "٢٧٧١"، قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ.

الأَهْلِ وَالْمَالِ"، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: "آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ"[1].

ما يقوله المجاهد إذا عثرت دابته، أو اصطدمت بشيء

٤٦٠. عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَمَّنْ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ فَعَثَرَ الْحِمَارُ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ"[2].

قال الطحاوي في مشكل الآثار: (وَالتَّعْسُ: هو السُّقُوطُ على أنَّه جعل ذلك فعلاً لِلشَّيْطَانِ لسؤاله بقول: تعس الشَّيْطَانُ، أن يفعل به مثل ذلك نهاه رسول الله عليه السلام لأنه بذلك موقع لِلشَّيْطَانِ أن ذلك الفعل كان منه ولم يكن منه إنَّما كان من الله جَلَّ وَعَزَّ وأمره أن يكون مكان ذلك بسم الله حتَّى لا يكون عند الشَّيْطَانِ أنَّه كان منه عنده في ذلك فعل) [ج١/ص٣٤٥].

ما يقوله المجاهد من ذكر إذا استيقظ من الليل والبشرى العظيمة له

٤٦١. عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ"[3].

قال ابن بطال رحمه الله: (فإنه وعد بإجابة دعاء من بهذا دعاه، وقبول صلاة من بعد ذلك صلى وهو تعالى لا يخلف الميعاد، وهو الكريم الوهاب فينبغي لكل مؤمن بلغه هذا

---

[1] ٤٥٩. أخرجه مسلم "١٣٤٢".

[2] ٤٦٠. أخرجه أحمد "٢٠٥٩١" (حديث صحيح)، وأخرجه أيضا أبو داود "٤٩٨٢" وابن السني في اليوم والليلة "٥٠٩" من طريق أبي تميمة عن أبي المليح عن رديف النبي ﷺ فزادا فيه أبا المليح وهو ثقة ولفظه: "لا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ يَعْظُمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْبَيْتِ".

[3] ٤٦١. أخرجه البخاري "١١٦٢".

الحديث أن يغتنم العمل به، ويخلص نيته لربه العظيم أن يرزقه حظا من قيام الليل، فلا عون إلا به، ويسأله فكاك رقبته من النار، وأن يوفقه لعمل الأبرار، ويتوفاه على الإسلام. قد سأل ذلك الأنبياء الذين هم خيرة الله وصفوه من خلقه، فمن رزقه الله حظا من قيام الليل فليكثر شكره على ذلك ويسأله أن يديم له ما رزقه) [شرح صحيح البخاري: ج٣/ص ١٤٨].

٤٦٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ"[1].

ما يقوله المجاهد المسافر إذا أسحر

٤٦٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: "سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ"[2].

ما يقوله المجاهد إذا رأى هلال الشهر الجديد

٤٦٤. عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: "اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا باليُمنِ وَالإيمانِ، وَالسَّلامةِ وَالإسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ"[3].

---

[1] ٤٦٢. أخرجه البخاري "١١٤٩" وهذا أحد ألفاظه، ومسلم "٧٧٦".

[2] ٤٦٣. أخرجه مسلم "٢٧١٨" وقوله "سَمِعَ سَامِعٌ": أي بلَّغ سامع قولي هذا لغيره.

[3] ٤٦٤. أخرجه الترمذي "٣٧٥٣" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ، والخطيب في التأريخ "٧٦٠٠" ولفظ الخطيب: "بالأَمْنِ وَالإِيمَانِ"، وهو عند أبي داود "٥٠٩٢" عن قتادة مرسلا. وله شاهد من حديث ابن عمر بلفظ: "اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأمنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ والتوفيق لما تُحب وترضى، رَبُنا وَرَبُّكَ اللَّهُ" أخرجه ابن حبان "٦٧١١" وهذا لفظه، وابن السني في اليوم والليلة "٦٤٨" والدارمي "٢/ ٣".

ما يقوله المجاهد إذا رأى القمر

٤٦٥. عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إذا وَقَبَ"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَمِثَالُهُ أَيْضًا تَفْسِيرُ "الْغَاسِقِ" بِاللَّيْلِ وَتَفْسِيرُهُ بِالْقَمَرِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِاخْتِلَافٍ؛ بَلْ يَتَنَاوَلُهُمَا لِتَلَازُمِهِما فَإِنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ) [مجموع الفتاوى: ج١٥/ص١١-١٢].

وقال: (فَالتَّخْصِيصُ لِكَوْنِ الْمَخْصُوصِ أَوْلَى بِالْوَصْفِ فَالْقَمَرُ أَحَقُّ مَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ بِالِاسْتِعَاذَةِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ تَنْتَشِرُ فِيهِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مَا لَا تَنْتَشِرُ بِالنَّهَارِ وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّ مَا لَا يَجْرِي بِالنَّهَارِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالسِّحْرِ وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالْفَوَاحِشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَالشَّرُّ دَائِمًا مَقْرُونٌ بِالظُّلْمَةِ وَلِهَذَا إنَّمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِسُكُونِ الْآدَمِيِّينَ وَرَاحَتِهِمْ لَكِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ تَفْعَلُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يُمْكِنُهَا فِعْلُهُ بِالنَّهَارِ) [مجموع الفتاوى: ج١٧/ص٥٠٦-٥٠٧].

وقال الطحاوي في مشكل الآثار: (فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ اللَّيْلِ مُرِيدًا بِذَلِكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَكُونُ فِي اللَّيْلِ مِمَّا الْقَمَرُ سَبَبٌ لَهَا وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ نَفْسَ الْقَمَرِ) [ج٥/ص٣٠].

ما يقوله المجاهد إذا رأى الخسوف والكسوف

٤٦٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُودِيَ: إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ[2].

٤٦٧. وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ،

[1] ٤٦٥. أخرجه الترمذي "٣٦٦٢" وأحمد "٢٤٣٢٣" وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح في تفسير سورة الفلق.

[2] ٤٦٦. أخرجه البخاري "١٠٥٤". لأبي الوقت: "أَنِ الصلاةُ" بالتخفيف وعليه صح.

فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ، وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟"[1].

ما يقوله المجاهد عند وبعد سماع الأذان

٤٦٨. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ"[2].

٤٦٩. عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"[3].

٤٧٠. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا

[1] ٤٦٧. أخرجه البخاري "١٠٥٣" ومسلم "٩٠١" وهذا أحد ألفاظ مسلم.
[2] ٤٦٨. أخرجه البخاري "٦١٩" ومسلم "٣٨٣".
[3] ٤٦٩. أخرجه مسلم "٣٨٥".

عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"[1].

٤٧١. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2].

وقال الْمُهَلَّبُ: (فِي الْحَدِيث الْحَضّ عَلَى الدُّعَاء فِي أَوْقَات الصَّلَوَات لِأَنَّهُ حَال رَجَاءِ الْإِجَابَة، وَاللهُ أَعْلَم) [فتح الباري، ابن حجر: ج٢/ص٩٦].

٤٧٢. عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ"[3].

ما يقوله المجاهد إذا سمع صياح الديكة ونهيق الحمار ونباح الكلب بالليل

٤٧٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا"[4].

٤٧٤. عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ"[5].

[1] ٤٧٠. أخرجه مسلم "٣٨٤".
[2] ٤٧١. أخرجه البخاري "٤٧٠٠".
[3] ٤٧٢. أخرجه مسلم "٣٨٦".
[4] ٤٧٣. أخرجه البخاري "٣٣٠٧" وهذا لفظه، ومسلم "٢٧٢٩".
[5] ٤٧٤. أخرجه أحمد "٢١٦٧٩" وأبو داود "٥١٠١" واللفظ لأبي داود. قال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين، وقد اختلف في وصله وإرساله فصحح أبو حاتم والبزار وأبو نعيم وصله، وقال الدارقطني: المرسل أشبه بالصواب.

قَالَ الْقَاضِي في قوله "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَسَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِه، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا": (سَبَبُه رَجَاء تَأْمِين الْمَلَائِكَة عَلَى الدُّعَاء، وَاسْتِغْفَارهمْ، وَشَهَادَتهمْ بِالتَّضَرُّعِ وَالْإِخْلَاص) [إكمال المعلم بفوائد مسلم: ج٨/ص٢٢٤].

وقال النووي: (وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ الدُّعَاء عِنْد حُضُور الصَّالِحِينَ) [شرح مسلم: ج١٧/ص٤٧].

٤٧٥. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:- "إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَكْفِئُوا الْآنِيَةَ"، قَالَ يَزِيدُ: وَأَوْكُوا الْقِرَبَ[1].

ما يقوله المجاهد إذا ضل منه شيء

٤٧٦. عن ابن عمر: فِي الضَّالَّةِ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَتَشَهَّدُ وَيَقُولُ: (يَا هَادِيَ الضَّالِّ، وَرَادَّ الضَّالَّةِ ارْدُدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِعِزَّتِكَ وَسُلْطَانِكَ فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ)[2].

٤٧٧. وعَنِ ابن عمر فِي الضَّالَّةِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَب الضَّالَّةِ، هَادِيَ الضَّلَالَةِ تَهْدِي مِنَ الضَّلَالَةِ، رُدَّ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِقُدْرَتِكَ وَسُلْطَانِكَ، فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ)[3].

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد قيل: إن من ضاع له شيء فقال: يا جامعَ الناس ليومٍ لا ريب فيه! رُدَّ عليَّ ضالتي؛ رَدَّها الله تعالى عليه) [الوابل الصيب: ص٣٩٣].

---

[1] ٤٧٥. أخرجه أحمد "١٤٢٨٣" والبخاري في الأدب "١٢٣٤" واللفظ لأحمد، وهو عند أبي داود "٥١٠٣" مقتصرا على الجملة الأولى. قال الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له أهل السنن، وقرنه مسلم بغيره.

[2] ٤٧٦. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه "٣١٧٠٢"، أخرجه الطبراني في الكبير "١٣٢٨٩"، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (فيه عبد الرحمن بن يعقوب بن أبي عباد المكي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات).

[3] ٤٧٧. رواه البيهقي في الدعوات الكبير"٥٥٥" وقال: (هذا موقوف وهو حسن).

ما يقوله المجاهد إذا هبت الريح

٤٧٨. عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ"، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}"[١].

٤٧٩. عن ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ أَخَذَتِ النَّاسَ رِيحٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَاجٌّ فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عُمَرُ لِمَنْ حَوْلَهُ مَنْ يُحَدِّثُنَا عَنِ الرِّيحِ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا فَبَلَغَنِي الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ عُمَرُ مِنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْثَثْتُ رَاحِلَتِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الرِّيحِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا"[٢].

ما يقوله المجاهد إذا رأى السحاب مقبلا

٤٨٠. عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا، أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ، عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: {هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}"[٣].

---

[١] ٤٧٨. أخرجه البخاري "٣٢١٣" ومسلم "٨٩٩" واللفظ لمسلم.

[٢] ٤٧٩. أخرجه أحمد "٧٦٣١" وهذا أحد ألفاظه، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ثابت بن قيس، وروى أبو داود "٥٠٩٧" المرفوع منه فقط.

[٣] ٤٨٠. أخرجه البخاري "٤٨١٣" ومسلم "٨٩٩" واللفظ لمسلم.

٤٨١. عن عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا رَأَى سَحَابًا مُقْبِلًا مِنْ أُفُقٍ مِنَ الْآفَاقِ تَرَكَ مَا هُوَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ حَتَّى يَسْتَقْبِلَهُ فَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَ بِهِ"، فَإِنْ أَمْطَرَ قَالَ: "اللَّهُمَّ سَيْبًا نَافِعًا" مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَإِنْ كَشَفَهُ اللَّهُ عز وجل وَلَمْ يُمْطِرْ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ[1].

ما يقوله المجاهد إذا سمع صوت الرعد

٤٨٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ إذا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: (سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَوَعِيدٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ شَدِيدٌ[2].

٤٨٣. عن ابن عباس قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ وَبَرْدٌ فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ثَلَاثًا عُوفِيَ مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الرَّعْدِ). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَقُلْنَا فَعُوفِينَا، ثُمَّ لَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَإِذَا بَرْدَةٌ قَدْ أَصَابَتْ أَنْفَهُ فَأَثَّرَتْ بِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: بَرْدَةٌ أَصَابَتْ أَنْفِي فَأَثَّرَتْ بِي، فَقُلْتُ: إِنَّ كَعْبًا حِينَ سَمِعَ الرَّعْدَ قَالَ لَنَا: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ عُوفِيَ مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الرَّعْدِ، فَقُلْنَا فَعُوفِينَا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَهَلَّا أَعْلَمْتُمُونَا حَتَّى نَقُولَهُ[3].

ما يقوله ويفعله المجاهد إذا نزل المطر

٤٨٤. عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَلْ

---

[1] ٤٨١. أخرجه ابن ماجه "٣٨٨٩" وابن السني في اليوم والليلة "٣٠٢" واللفظ لابن ماجه، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل يزيد بن المقدام بن شريح، فهو صدوق حسن الحديث ولكنه متابع. ، وقوله "سيبا" السيب والصيب: المطر الجاري على وجه الأرض من كثرته.

[2] ٤٨٢. أخرجه البخاري في الأدب المفرد "٧٢٣" وأخرجه مالك في الموطأ "١٥٧٦" موقوفا.

[3] ٤٨٣. أخرجه الطبراني في الدعاء "٩٨٥"، وقال ابن علان في الفتوحات الربانية نقلا عن الحافظ ابن حجر: (هذا موقوف حسن الإسناد، وهو إن كان عن كعب فقد أقره ابن عباس وعمر فدل على أن له أصلا).

تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ"[1].

٤٨٥. عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وقال بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا"، قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} حَتَّى بلَغ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[2].

٤٨٦. عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: "صَيِّبًا نَافِعًا"[3].

٤٨٧. عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: "لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى"[4].

وقال تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [النساء: ١٠٢].

٤٨٨. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما {إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى} قَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَ جَرِيحًا[5].

٤٨٩. عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ ذَاتُ بَرْدٍ وَمَطَرٍ، يَقُولُ: "أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ"[6].

---

[1] ٤٨٤. أخرجه البخاري "٨٥٥" واللفظ له، ومسلم "٧١".

[2] ٤٨٥. أخرجه مسلم "٧٣".

[3] ٤٨٦. أخرجه البخاري "١٠٤١". في رواية المُستملي: "اللَّهم صَيِّبًا"، وفي نسخة لأبي ذر عن المُستملي: "اللَّهم صَبًّا".

[4] ٤٨٧. أخرجه مسلم "٨٩٨".

[5] ٤٨٨. أخرجه البخاري "٦٧٣".

[6] ٤٨٩. أخرجه البخاري "٦٧٣" ومسلم "٦٩٧" واللفظ لمسلم.

ما يقوله المجاهد مستخيرًا إذا همّ بأي أمر من أمور الخير والجهاد، أو تعارض خيران مستويان في المنزلة، أما الحرام والمكروه فلا استخارة في تركهما

٤٩٠. عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: "إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ:- فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ:- فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ"[1].

قال ابن بطال رحمه الله: (فقه هذا الحديث أنه يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله، وصرف أزمتها والتبرؤ من الحول والقوة إليه، وينبغي له أن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور وجليلها، حتى يستخير الله فيه) [شرح صحيح البخاري: ج١٠/ص١٢٣].

ما يقوله المجاهد إذا دخل السوق لحاجة

٤٩١. عن مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيَنِي أَخِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ"[2].

[1] ٤٩٠. أخرجه البخاري "٦٣٩١".

[2] ٤٩١. أخرجه الترمذي "٣٧٢٦"، والحاكم "١٩٩٥-١٩٩٩"، وأحد ألفاظ الحاكم فيه: "وبنى له بيتًا في الجنة"" بدل "ألف ألف درجة". قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ. قال أبو حاتم الرازي في العلل "٥/ ٣٥٢": (هذا حديث منكرٌ)، وقال ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود "٣/ ٤٠٢": (هذا حديث معلولٌ لا يثبت مثله). قال البخاريّ -كما في العلل الكبير للترمذي "ص٣٦٣"-: (هذا حديث منكر).

٤٩٢. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ، إِذَا رَجَعَ مِنْ سُوقِهِ، أَنْ يَقْرَأَ عَشَرَ آيَاتٍ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً؟"[١].

٤٩٣. عن ابن عباس قال: ما منع أحدكم إذا رجع عن سوقه أو من حاجته إلى أهله، أن يقرأ القرآن، فيكون له بكل حرف، عشر حسنات[٢].

٤٩٤. وعن سليم بن حنظلة أن عبد الله –يعني ابن مسعود– أتى سدة السوق فقال: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا، وَخَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا)[٣].

ما يقوله المجاهد إذا رأى مبتلًى

٤٩٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا. لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ"[٤].

ما يقوله المجاهد إذا رأى حريقا

٤٩٦. عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا رأيتم الحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ"[٥].

---

[١] ٤٩٢. أخرجه الطبراني في الكبير "١٢١١٩" وعزاه إليه الهيثمي في المجمع وقال: (رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن ثعلب وأبي إسماعيل المؤدب وكلاهما ثقة).

[٢] ٤٩٣. رواه البيهقي في شعب الإيمان "١٨٤٨"، وقال: رواه ابن المبارك في الرقاق عن فطر بإسناده موقوفا على ابن عباس وهذا هو الصحيح.

[٣] ٤٩٤. أخرجه الطبراني في الكبير "٨٨٩٥"، وقال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني موقوفا ورجاله رجال الصحيح غير سليم بن حنظلة وهو ثقة). وله شاهد من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى السوق قال: "اللهم إني أسألك من خير هذا السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها.." الحديث، أخرجه الطبراني في الكبير "١١٥٧" وهذا لفظه، وابن السني في اليوم والليلة "١٨١"، إسناده ضعيف.

[٤] ٤٩٥. أخرجه الترمذي "٣٧٣١" وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ من هذا الوَجْهِ.

[٥] ٤٩٦. رواه الطبراني في الدعاء "١٠٠٢"، وابن السني "٢٩٦"، قال ابن حجر في المطالب العالية عن الجزء الأول من الحديث: (هذا مرسل حسن). حكم الدَّارقطنيُّ بنكارته في التَّعليق على المجروحين "ص ٢٢٠"، وضعَّفه ابن رجب في فتح الباري "٥ / ٢١٧".

ما يقوله المجاهد إذا زار القبور أو مر بها

٤٩٧. عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلاَّ فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا"[١].

٤٩٨. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ"[٢].

٤٩٩. وفي رواية: "السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلاَحِقُونَ"[٣].

٥٠٠. وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ فِي -رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ-: "السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ". وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلاَحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ"[٤].

ما يقوله المجاهد عند النوم

٥٠١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا أَنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ

---

[١] ٤٩٧. أخرجه مسلم "١٩٧٧".

[٢] ٤٩٨. أخرجه مسلم "٩٧٤".

[٣] ٤٩٩. أخرجه مسلم "٩٧٤" ضمن سياق طويل من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٤] ٥٠٠. أخرجه مسلم "٩٧٥".

سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّهُ سَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا أَنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ؟"، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"أَمَا أَنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"[1].

٥٠٢. وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ"[2].

٥٠٣. عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا

[1] ٥٠١. أخرجه البخاري "٢٣٢٢".

[2] ٥٠٢. أخرجه البخاري "٤٩٩٦"، ومسلم "٨٠٨".

بَلَغْتُ "اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ" قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: "لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"[1].

٥٠٤. عَنِ الْبَرَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ "اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ"، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"[2].

٥٠٥. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[3].

٥٠٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ"[4].

٥٠٧. عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ"[5].

٥٠٨. عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا،

---

[1] ٥٠٣. أخرجه البخاري "٢٥١" وهذا لفظه، ومسلم "٢٧١٠".

[2] ٥٠٤. أخرجه مسلم "٢٧١١".

[3] ٥٠٥. أخرجه مسلم "٢٧١٢".

[4] ٥٠٦. أخرجه البخاري "٦٣٢٨" ومسلم "٢٧١٤" واللفظ لمسلم.

[5] ٥٠٧. أخرجه مسلم "٢٧١٥".

فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا" حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ"[1].

قال الحافظ في الفتح: (وَزَادَ فِي رِوَايَة: "تُسَبِّحَانِ دُبُر كُلّ صَلَاة عَشْرًا وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا" وَهَذِهِ الزِّيَادَة ثَابِتَة فِي رِوَايَة عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ عِنْد أَصْحَاب السُّنَن الْأَرْبَعَة فِي حَدِيث أَوَّله "خَصْلَتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا عَبْد إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّة" وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن حِبَّان) [ج١١/ص١٢١].

وقال: (فِي رِوَايَة هُبَيْرَة عَنْ عَلِيّ وَزَادَ فِي آخِره "فَتِلْكَ مِائَة بِاللِّسَانِ وَأَلْف فِي الْمِيزَان" وَهَذِهِ الزِّيَادَة ثَبَتَتْ أَيْضًا فِي رِوَايَة هُبَيْرَة وَعُمَارَة بْن عَبْد مَعًا عَنْ عَلِيّ عِنْد الطَّبَرَانِيّ) [ج١١/ص١٢٢].

٥٠٩. عن جرير عن سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إذا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"، وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[2].

٥١٠. عن خالد -يعني الطحّان- عن سهيل عن أبيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إذا أَخَذْنَا مَضْجَعَنا أن نقول بمِثلِ حديث جرير. وقال: "مِنْ شَرِّ كُلِّ دابة أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا"[3].

---

[1] ٥٠٨. أخرجه البخاري "٣١٢٣" وهذا لفظه، ومسلم "٢٧٢٧" وفي رواية لهما قال علي: (فما تركتها بعدُ)، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: (ولا ليلة صفين).

[2] ٥٠٩. أخرجه مسلم "٢٧١٣".

[3] ٥١٠. أخرجه مسلم "٢٧١٣".

٥١١. وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا قُولِي: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ"، بِمِثْلِ حَدِيثِ سُهَيْلٍ[٤].

٥١١[٤]. أخرجه مسلم "٢٧١٣".

النبي القائد ﷺ

مبحث في سرايا النبي ﷺ وغزواته (من سرية سيف البحر إلى غزوة بدر) وأهمِّ ما فيها من العِبر والفوائد

الطبعة الثانية شعبان ١٤٣٧هـ

الناشر: مكتبة الهمة

مقدمة الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أمَّا بعد:

فهذا مبحث في سرايا النبيّ ﷺ وغزواتِه، وليس المقصودُ منه سردَها والتذكيرَ بها –وإنْ كان ذلك مهماً ومطلوباً في ذاته– ولكن المقصود هنا هو محاولةُ استخراج مكنونِ الفوائد الكبيرة الموجودةِ في أحداثِها، ولا يمكن لمثلي أنْ يقف عليها كلِّها أو حتى معظمِها، ولكن لعلّنا ندرك مِنَ الخير حظاً، ونسأل الله التوفيق والسداد.

ودافعي إلى لذلك:

أولاً: شرف الكلام في سيرة رسول الله ﷺ.

ثانياً: أنني كلما قرأتُ سيرة رسول الله ﷺ وجدتُ فيها فوائد عظيمة تأخذُ بتلابيبِ القلوب وتهدي الحيارى إلى سبيل الرَّشاد، فعزمتُ أنْ أكتب في ذلك ما فتح الله به علينا وهدانا إليه بفضله ورحمته، ثم رأيتُ الأعمارَ قصيرةً، والموتَ كالسيف علينا مشرعاً، وخشيتُ الفوتَ مع شدَّة الرَّغبة فاقتصرت على المغازي،

أولاً: لأنَّ فيها كما رُوِي عن الزهري قال: (في علم المغازي خير الدنيا والآخرة).

وثانياً: لتعلّقها المباشر بفريضة الزمان الغائبة، وهي كذلك بفضله ومنِّه وجوده مما تلبَّسنا بها عبادةً لله، فنحسب أنَّ الله هدانا لبعضِ أسرارِها، ورأيتُ أنَّ ما علمناه في هذا الطريق، وعشراتِ أضعافِه في سيرة رسول الله ﷺ، فسنحاول بعون الله كشفَ اللِّثام عن بعض كنوز هذا المقام، وهو في أولِّه وآخرِه هدايةٌ وتوفيق، ونعوذ بالله من الحرمان ونسأله الهدى والثبات.

وقد جعلتُ ما جاء في مغازي ابن سعد أصلاً مِنْ حيث الترتيب والتأريخ وسرد النص موضوع الباب، وأضيف بين معكوفين ( ) ما يحتاج إلى بيان، وإنْ كان ثمةَ زيادة هامة أو ثمة مغايرة ذكرتُها بعد ذلك، أما إنْ كان للحادثة موضوع الباب ذكر في كتاب الله قدمتُه وجئتُ بأقوال أئمة التفسير عليه، ثم إنْ صحَّ حديثٌ في الباب عند أهل السنن والمسانيد ثنيَّتُ به قبل كلام أهل السير إنْ كان لا يخلُّ بالترتيب، وإلا أتيتُ به في موضعه، فلولا السند لَلَعِبَ كلُّ زنديق بديننا وحرَّفوه مِنْ زمن بعيد، لذا سأجتهد في سرد الحادثة بما أُسنِد قدرَ المستطاع.

ومعلومٌ أنَّ الكلام على الحادثة يلزم مِنه الكلام على ما يتعلّق بها؛ كموقع الحادثة وأميرِها وحاملِ الراية، وأهمّ ما فيها من أشخاصٍ وأحداثٍ وأقوال، وغيرِ ذلك مما يستلزم التعريجَ عليه وظننتُ أنَّه يحتاجُ إلى توضيحٍ وبيان، ولن أقتصرَ على الفوائدِ العسكرية مِنَ الحادثة فحسب، وإنْ يكنْ لها النصيب الأكبر إذا ما يسَّر الله لنا ذلك، وإنما سنعرِّج على كلِّ ما في الحادثة مِن فوائد؛ فنحن نعتقد أنَّ تناولها من الجانب العسكري فحسب هو تقزيم حقيقي للسيرة وما جاء فيها من فوائد.

ثم إنَّ كثيراً من الحوادث لا أثر للجانب العسكريِّ فيها إلا الاسم، فهناك قُصور شديد في الروايات الموجودة في الكتب موضوعِ الباب، اللهم إلا الغزوات الكبرى المشهورة والتي كان لها الأثر الكبير في بناء الدولة، فمثلاً أول غزوة غزاها النبي ﷺ بالأبواء أو ودَّان؛ لا نعرف كم كان عدد جنودها، وكثير من السرايا والمغازي لا نعرف لماذا لم تتم، ويُكتفى بعبارة (رجع ولم يلقَ كيدا)، أما لماذا؟ فهو غير منصوص عليه، ولا يُدرَك إلا بالظن والتكهُّن، لذا سنجد أنَّ أهم أبواب المبحث هو المتعلّق بِغزوة بدر لكثرَة ما جاء فيها من أحداث.

ثم إنَّ دراسة المسائلِ العقَديَّة والفقهية في مكانها من الحدث يبقيها حيةً في النفوس، فليست هي قوالب جامدة لا أثرَ للواقع في ذكرها، تماماً كَما لِأسباب النزول من أثر في فهم ومعايشة التنزيل، فالعيش في جوِّ الحدث العَقَدي أو الفقهي والخُلُقي يُرسِّخه روحاً

وحكماً، ويجعله ترجمةً حقيقيةً وعملية، فليست السيرةُ أبداً مجردَ أحداث ووقائعَ وقصص تمتع القارئ والسامع.

ثم إنْ كانتِ الفوائدُ قليلةً أو وجدت؛ ذكرتُها مجتمعة بعد سرد الحادثة، وإنْ كثرتْ أو خشيتُ تشتيتَ ذهن القارئ وجهدَه قسمتُ الحادثة إلى فصول وذكرتُ بعد كلِّ فصل ما هدانا الله إليه من فوائد، وإنْ حُرمتُ من معرفة فوائد حادثة أو رأيتُ أنَّ تكرار الفائدة غير مناسب؛ ذكرتُ مع ذلك الحادثة فهو مطلوب لذاته كما سبق، وفيها العبر، عرف من عرف وجهل من جهل.

وأعني بالفوائد كل ما يُذكر في الحادثة وما يتعلّق بها من أدلة وتوضيح، ولو كان في الظاهر لا علاقة لها به.

ثم لماذا الكتابة في هذا الموضوع وأنت مسبوق؟ أقول: هناك أسباب كثيرة؛ أهمُّها: أنَّنا بالفعل في دولة الإسلام بالعراق نحسبُ أنَّنا ننطلق من نفس نقطة البداية للدولة النبوية، وعشنا ونعيش في جو يكاد يتطابق معها؛ سواء أكان في وضعها الداخلي أو الخارجي المحيط بها، أو ما يسمى اليوم بالوضع الإقليمي، كما أننا ابتُلينا بالإمارة حيناً وشُرِّفنا بالجهاد عبادةً، ممَّا أتاح لنا بحمد الله فهمَ كثيرٍ من الأمور لا يمكن أبداً يدركَها إلا مَن عاش جواً مشابها للحادثة موضوعِ الكلام.

ثم إنْ كُنَّا مسبوقين فهذا دافعٌ إضافي، وحتى لا يقال إنَّنا نبتدع شيئاً غريباً، ثم إنني وجدتُ على ما أعلم من بحثي القاصر أنَّ مَنْ سبقنا لم يتكلموا على كلِّ ما ثبتَ من السرايا والمغازي، أو تناولوها من جانب وأُهملتْ جوانبُ نحسبُها كانت مهمةً في حينها وظروفها، وهي لمن كتب ليست ضرورية، ونحن اليوم بحاجة إليها.

وأخيراً.. أسأل الله سبحانَه القبولَ والتوفيق والسداد، ولا أملك إلا أنْ أقول قولة ابنِ القيِّم –رحمه الله–: (والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أنْ يعذر صاحبه، فإنَّه علّقه في حال بعده عن وطنه وغيبته عن كُتبِهِ، فما عسى أنْ يبلغَ خاطرُه المكدود وسعيُه المجهود، مع بضاعتِهِ المزجاة، التي حقيق بحاملها أنْ يقال فيه: تسمع بالمعيدي خير من أنْ

تراه، وها هو قد نَصَب نفسَه هدفاً لسهام الراشقين وغرضاً لأسِنَّة الطاعنين، فلقاريه غنْمُه وعلى مؤلفه غُرمُه، وهذه بضاعتُه تُعرض عليك ومولِيتُه تهدى إليك، فإنْ صادفتَ كفؤاً كريماً لها لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإنْ صادفتَ غيره فالله تعالى المستعان وعليه التُّكلان، وقد رضي مِن مهرها بدعوة خالصة إنْ وافقتْ قبولاً واستحساناً، وبردٍ جميل إنْ كان حظُّها احتقاراً واستهجاناً، والمنصفُ يَهَبُ خطأَ المخطئ لإصابتِه وسيئاتِه لحسناتِه، فهذه سنَّة الله في عباده جزاءً وثواباً، ومن ذا الذي يكون قولُه كلُّه سديداً وعملُه كلُّه صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى)[1].

* * *

[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين: (ص١٤-١٥).

شرف علم المغازي

العلم بسنة النبي ﷺ وسيرته أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما يشْرُف العلم بشرف موضوعه، وكفى بسيرة نبينا ﷺ وجهاده شرفاً، فهذا هو العلم المقصود والمطلوب تعلُّمه؛ أي علم الكتاب والسنة، قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}[الزمر: ٩] ، وقال: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} [طه: ١١٤].

وعنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"[1].

وروى الخطيبُ البغدادي في الجامع، وابنُ عساكر في تاريخه مختصرِ تاريخ دمشق: عن زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: (كنا نُعلَّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلَّم السورةَ من القرآن). ورويا عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني قال: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدُّها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها). ورويا أيضاً عن الزهري قال: (في علم المغازي خير الدنيا والآخرة)[2].

---

[1] أخرجه البخاري: ٧٩، ومسلم: ٢٢٨٢ واللفظ له.

[2] كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: (ج٤/ص١٠)، للإمام محمد بن يوسف الصالحي المتوفى سنة ٩٤٢هـ.

أئمة الفن وأول من صنف فيه

إمام هذا العلم بلا نزاع عروةُ بن الزبير إمام المدينة وأحد الفقهاء السبعة، روى له الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المغازي بأبوابه التسعين؛ روى له في هذه الأبواب التسعين خمساً وأربعين حديثاً، ثم مولى آل الزبير موسى بن عقبة، وهو من صغار التابعين.

وأولُّ من صُنِّف في السيرة بمجلد هو اليوم مفقود إلَّا من نُتَف يسيرة عند ابن سيد الناس في (عيون الأثر) وما اختصره ابن عبد البر في (الدرر)، ثم محمد بن شهاب الزهري، ثم محمد بن إسحاق المطلبي صاحب السيرة المشهورة، والتي عليها المعتمد اليوم.

قال الصالحي الشامي: (أولُّ من صنف في المغازي عروةُ بن الزبير أحد أئمة التابعين، ثم تلاه تلميذاه: موسى بن عقبة، ومحمد بن شهاب الزهري. قال الإمام مالك رحمه الله: مغازي موسى بن عقبة أصحُّ المغازي. وقول السهيلي: إن مغازي الزهري أولُّ ما صُنِّف في الإسلام ليس كذلك. وأجمّعُ الثلاثةِ وأشهرُها: مغازي أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق رحمه الله تعالى، وقد تكلم فيه جماعة وأثنى عليه آخرون، والمعتمد أنه صدوق يدلِّس، وإذا صرَّح بالتحديث فهو حسن الحديث، قال الإمام الشافعي رحمه الله: من أراد أنْ يتبحَّر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وقد اعتمد عليه في هذا الباب أئمة لا يُحصَون، ورواها عن جمع، ويقع عند بعضهم ما ليس عند بعض، وقد اعتمد أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله على رواية أبي محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البَكَّائي -بفتح الموحدة وتشديد الكاف- وهو صدوق ثبتٌ في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين، فرواها ابن هشام عنه وهذَّبها ونقَّحها وزاد فيها زيادات كثيرة واعترض أشياء سُلّم له كثير منها بحيث نسبت السيرة إليه)[1].

[1] سبل الهدى والرشاد: (ج٤/ص١١-١٢).

ولأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الاسمي الواقدي رحمه الله تعالى كتاب كبير في المغازي أجاد فيه، وهو وإن وثّقه جماعة وتكلّم فيه آخرون، فالمعتمد أنَّه متروك، ولا خلاف أنَّه كان من بحور العلم ومن سعة الحفظ بمكان، وقد نقل عنه في هذا الباب أئمةٌ من العلماء، منهم الحافظان: أبو نعيم الأصفهاني وأبو بكر البيهقي -رحمهما الله تعالى- في دلائلهما، ومن المتأخرين الحافظ ابن كثير رحمه الله في السيرة النبوية من تاريخه، والحافظ رحمه الله في الفتح وغيرهم.

قال الحافظ ابن كثير وهو ممَّن أكثر النقل عنه: (والواقدي عنده زياداتٌ حسنة، وتاريخٌ محرر غالباً، فإنَّه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوقٌ في نفسه مكثار)[1]، وقال عنه ابن سعد: (كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح والأحكام واختلاف الناس)[2].

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا يختلف اثنان أنَّ الواقدي من أعلم الناس بتفاصيل أمور المغازي و أخبرهم بأحوالها و قد كان الشافعي و أحمد و غيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه نعم هذا الباب يدخله خلطُ الروايات بعضها ببعض حتى يظهر أنَّه سمع مجموع القصة من شيوخه و إنما سمع من كل واحد بعضَها و لم يميِّزه و يدخلُه أخذُ ذلك من الحديث المرسل و المقطوع وربما حدس الراوي بعضَ الأمور لقرائنَ استفادها من عدة جهات و يُكثِر من ذلك إكثارًا يُنسَب لأجله إلى المجازفة في الرواية وعدم الضبط فلم يمكن الاحتجاج بما ينفرد به فأمَّا الاستشهاد بحديثِه والاعتضاد به فممَّا لا يمكن المنازعة فيه لا سيما في قصَّة تامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول و صورةِ الحال، فإنَّ الرجل و أمثاله أفضل ممن ارتفعوا في مثل هذا)[3].

---

[1] السيرة النبوية: (ج٣/ص٢٣٤-٢٣٥).
[2] الطبقات الكبرى: (ج٥/ص٤٢٥).
[3] الصارم المسلول: (ج١/ ص١٠١).

عدد مغازي وبعوث النبي ﷺ

اختلف أهل العلم في عدد الغزوات التي غزاها وخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا بِنَفْسِهِ، سَوَاءٌ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ؛ أوسطها وأصحُّها سنداً وخالياً من التأويل من يقول: إنها إحدى وعشرون غزوة، لما روي في صحيح مسلم، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَالَ جَابِرٌ: لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ).

وما رَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ: (أَنَّ عَدَدَ الْغَزَوَاتِ إِحْدَى وَعِشْرُونَ)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ كما قال الحافظ في الفتح.

قال النووي رحمه الله: (هَذَا صَرِيح مِنْهُ بِأَنَّ غَزَوَات رَسُول اللَّه ﷺ لَمْ تَكُنْ مُنْحَصِرَة فِي تِسْع عَشْرَةَ، بَلْ زَائِدَة)[1].

ومنهم من جعلها تسع عشرة، واستدلَّ بما في الصحيحين عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَسْقَى، قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَقَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: (تِسْعَ عَشْرَةَ)، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: (سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً)، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: (ذَاتُ الْعُسَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرِ)[2].

ولكن أجابوا على القائلين بهذا القول؛ كما في فتح الباري: (فَعَلَى هَذَا فَفَاتَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ذِكْرُ ثِنْتَيْنِ مِنْهَا، وَلَعَلَّهُمَا الْأَبْوَاءُ وَبُوَاطٌ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ لِصِغَرِهِ، وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْته مَا وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظِ: «قُلْت مَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: ذَاتُ الْعُشَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرَةِ»، وَالْعُشَيْرَةُ كَمَا تَقَدَّمَ هِيَ الثَّالِثَةُ. وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ التِّينِ: يُحْمَلُ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَلَى أَنَّ الْعُشَيْرَةَ أَوَّلُ مَا غَزَا هُوَ أَيْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَالتَّقْدِيرُ فَقُلْت: مَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَا أَيْ وَأَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ الْعُشَيْرُ، فَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَيْضًا، وَيَكُونُ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ ثِنْتَانِ مِمَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ

[1] شرح صحيح مسلم: (ج١٢/ص١٩٦).
[2] البخاري: ٣٧٣٣، ومسلم: ١٢٥٤ واللفظ له.

عَدَّ الْغَزْوَتَيْنِ وَاحِدَةً، فَقَدْ قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: «قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَمَانٍ: بَدْرٍ ثُمَّ أُحُدٍ ثُمَّ الْأَحْزَابِ ثُمَّ الْمُصْطَلِقِ ثُمَّ خَيْبَرَ ثُمَّ مَكَّةَ ثُمَّ حُنَيْنٍ ثُمَّ الطَّائِفِ» وَأَهْمَلَ غَزْوَةَ قُرَيْظَةَ لِأَنَّهُ ضَمَّهَا إِلَى الْأَحْزَابِ لِكَوْنِهَا كَانَتْ فِي إِثْرِهَا وَأَفْرَدَهَا غَيْرُهُ لِوُقُوعِهَا مُنْفَرِدَةً بَعْدَ هَزِيمَةِ الْأَحْزَابِ.

وَكَذَا وَقَعَ لِغَيْرِهِ عَدَّ الطَّائِفِ وَحُنَيْنٍ وَاحِدَةً لِتَقَارُبِهِمَا، فَيَجْتَمِعُ عَلَى هَذَا قَوْلُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَقَوْلُ جَابِرٍ. وَقَدْ تَوَسَّعَ اِبْن سَعْد فَبَلَغَ عِدَّة الْمَغَازِي الَّتِي خَرَجَ فِيهَا رَسُول اللَّه ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ، وَتَبِعَ فِي ذَلِكَ الْوَاقِدِيّ، وَهُوَ مُطَابِق لِمَا عَدَّهُ اِبْن إِسْحَاق إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُفْرِد وَادِي الْقُرَى مِنْ خَيْبَر، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ السُّهَيْلِيّ، وَكَأَنَّ السِّتَّة الزَّائِدَة مِنْ هَذَا الْقَبِيل، وَعَلَى هَذَا يُحْمَل مَا أَخْرَجَهُ عَبْد الرَّزَّاق بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب قَالَ: «غَزَا رَسُول اللَّه ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ»)، فتبيَّن أنَّ موضعَ الخلاف -كما سبق- أنَّ بعض أهلِ السير يجعل غزوتين في واحدة؛ لتعلق أحداثهما ببعض، أو تقارب زمانهما، أو كونِ الأخرى نتيجةً للأولى ومِنْ رحِمها.

(وَأَمَّا الْبُعُوثُ وَالسَّرَايَا؛ فَعدّ اِبْن إِسْحَاقَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ، وَعدّ الْوَاقِدِيّ ثَمَانِيَ وَأَرْبَعِينَ، وَحَكَى اِبْنُ الْجَوْزِيّ فِي التَّلْقِيحِ سِتًّا وَخَمْسِينَ، وَعدّ الْمَسْعُودِيّ سِتِّينَ، وَبَلَغَهَا شَيْخُنَا فِي نَظْمِ السِّيرَةِ زِيَادَةً عَلَى السَّبْعِينَ، وَوَقَعَ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي الْإِكْلِيلِ أَنَّهَا تَزِيدُ عَلَى مِائَةٍ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ ضَمَّ الْمَغَازِي إِلَيْهَا)[1].

[1] فتح الباري: (ج/٧ص٣٥٦-٣٥٧).

شِعْرُ حَسّانَ الّذِي عَدّدَ فِيهِ الْمَغَازِيَ[1]

وَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُعَدّدُ أَيّامَ الْأَنْصَارِ مَعَ النّبِيّ ﷺ وَيَذْكُرُ مَوَاطِنَهُمْ مَعَهُ فِي أَيّامِ غَزْوِهِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَتُرْوَى لِابْنِهِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ حَسّانَ:

أَلَسْت خَيْرَ مَعَدّ كُلّهَا نَفَرًا ... وَمَعْشَرًا إنْ هُمْ عُمّوا وَإِنْ حُصِلُوا

قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ ... مَعَ الرّسُولِ فَمَا آلَوْا وَمَا خَذَلُوا

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ ... مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إيمَانِهِمْ دَخَلُ

وَيَوْمَ صَبّحَهُمْ فِي الشّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرّ النّارِ مُشْتَعِلُ

وَيَوْمَ ذِي قَرَدٍ يَوْمَ اسْتَثَارَ بِهِمْ ... عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا

وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ ... مَعَ الرّسُولِ عَلَيْهَا الْبِيْضُ وَالْأَسَلُ

وَيَوْمَ وَدّانَ أَجْلَوْا أَهْلَهُ رَقَصًا ... بِالْخَيْلِ حَتّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ

وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوّهُمْ ... لِلّهِ وَاللّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا

وَغَزْوَةً يَوْمَ نَجْدٍ ثُمّ كَانَ لَهُمْ ... مَعَ الرّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنّفَلُ

وَلَيْلَةً بِحُنَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ ... فِيهَا يَعِلّهُمْ بِالْحَرْبِ إذْ نَهَلُوا

وَغَزْوَةَ الْقَاعِ فَرّقْنَا الْعَدُوّ بِهِ ... كَمَا تَفَرّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرّسَلُ

وَيَوْمَ بُويِعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ ... عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا

وَغَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيّتِهِ ... مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجِلُوا

وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ ... يَمْشُونَ كُلّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ

بِالْبِيْضِ تَرْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً ... تَعْوَجّ فِي الضّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللّهِ مُحْتَسِبًا ... إلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأُوَلُ

وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ ... حَتّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفَلُ

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النّبِيّ وَهُمْ ... قَوْمِي أَصِيرُ إلَيْهِمْ حِينَ أَتّصِلُ

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمْ ... وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ إذْ قُتِلُوا

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام: (ج٤/ص١٩٩-٢٠٠).

الهجرة النبوية الشريفة

قد يقول قائل: لماذا تبدأ بالهجرة وهي ليست معدودة عند أهل الفن في المغازي، أقول: دافعي إلى هذا أسباب، أهمها:

أولاً: إنَّ الجهاد ما شُرِّع إلا بعد الهجرة، فمنها انطلق وبها قُرن، لما روي مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس قَالَ: (لَمَّا خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ مَكَّة قَالَ أَبُو بَكْر: أَخْرَجُوا نَبِيّهمْ، لَيُهْلَكُنَّ، فَنَزَلَتْ {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ...} الْآيَة، قَالَ اِبْن عَبَّاس: فَهِيَ أَوَّل آيَة أُنْزِلَتْ فِي الْقِتَال)[1].

ثانياً: إنَّ التاريخ الإسلامي ومنه السرايا والمغازي عند من صنَّف فيهما يُنسب إليه، لما روي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: (مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ، مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ)[2].

ثالثاً: لأنَّ الْهِجْرَةَ من دار الكفر إلى دار الإسلام شأنها عظيم، وهي مَبْدَأٌ فرّقَ اللهُ به فِيهَا بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ وَجَعَلَهَا مَبْدَأً لِإِعْزَازِ دِينِهِ وَنَصْرِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ كما قال ابن القيم رحمه الله، (وهي باقية إلَى يوم القيامة وخاصة إذا كان بالمسلمين حاجة إلى من يهاجر إليهم، سواء أكانت حاجة خاصة أو عامة)[3]، قال النووي رحمه الله: (فَإِنَّ الْهِجْرَة بَاقِيَة إلى يَوْم الْقِيَامَة عِنْدنَا وَعِنْد جُمْهُور الْعُلَمَاء)[4]، وقال المهلب: (وأما الهجرة فكانت فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّتهم وحاجتهم إلى الاجتماع والتأليف)[5].

رابعاً: إنَّ حادثة الهجرة بكل ما صحِبَها من مخاطر وأحداث هي بحقٍ عملٌ أمني عسكري بكل حيثياته وتفاصيلِه؛ بدءاً من الإعداد وحتى النهاية، وبها كثيرٌ من الفوائد

---

[1] أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ: (ج٦/ص٢)، وَإِسْنَاده صَحِيح كما قال الحافظ في الفتح: (ج٧/ص٣٥٦)، وَأَخْرَجَه التِّرمِذِيّ: (ج٤/ص١٥١)، وابن حبان: ٤٧١٠، والْحَاكِم: (ج٢/ص٦٦)، وصحّحه ووافقه الذهبي، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الكبرى: (ج٩/ص ١٠).

[2] صحيح البخاري: ٣٩٣٤.

[3] تعليق إتقان: هذا الاقتباس منسوب خطأ لابن القيم.

[4] شرح صحيح مسلم: (ج٥/ص١٧٣).

[5] شرح البخاري لابن بطال: (ج٩/ص٥).

والعبر التي نحن في أمسِّ الحاجة إليها، وسوف نتعرض لها بكثير من الإيجاز خوف الإطالة، إذ أنَّها تحتاج إلى مصنف لحالها.

فصل تآمر كفار قريش على رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال:٣٠].

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: (فتأويل الكلام إذًا: واذكر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكرَ بك من مشركي قومك بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يرْعَبَنَّك كثرة عددهم، فإن ربّك خيرُ الماكرين بمن كفر به وعبد غيره وخالف أمره ونهيه)[1].

وما جاء في سبب نزول الآية[2] ما رواه ابن أبي حاتم عَن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى [كذا في الأصل، والصواب: ابن أبي نجيح] عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ أَشْرَافِ كُلِّ قَبِيلَةٍ اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَةِ، وَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، سَمِعْتُ بِمَا اجْتَمَعْتُمْ لَهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ، وَلَنْ يَعْدِمَكُمْ مِنِّي رَأْيٌ وَنُصْحٌ، قَالُوا: أَجَلْ، فَادْخُلْ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ، قَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُوَاثِبَكُمْ فِي أَمْرِكُمْ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: احْبِسُوهُ فِي وَثَاقٍ ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ الْمَنُونَ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ؛ زُهَيْرٌ وَنَابِغَةُ فَإِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ، فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللَّهِ لَيُخْرِجَنَّ رَأْيَهُ مِنْ مَحْبَسِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَثِبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ فَمَا آمَنَ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلادِكُمْ، فَانْظُرُوا فِي غَيْرِ هَذَا الرَّأْيِ، فَقَالَ قَائِلٌ: فَأَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَاسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ لَمْ يَضُرَّكُمْ مَا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ، وَإِذَا غَابَ عَنْكُمْ أَذَاهُ اسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فِي غَيْرِكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَلاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلاقَةَ لِسَانِهِ وَأَخْذَهُ لِلْقُلُوبِ بِمَا يَسْتَمِعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْعَرَبَ لَيَجْتَمِعُنَّ

---

[1] تفسير الطبري (ج٦/ص٢٢٥).

[2] الدر المنثور: (ج٤/ص٥١)، بسند رجاله ثقات، والطبري: (ج٦/ص٢٢٥).

عَلَيْهِ ثُمَّ لَيَسِيرَنَّ إِلَيْكُم حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ، قَالُوا: صَدَقَ وَاللَّهِ، فَانْظُرُوا رَأْيًا غَيْرَ هَذَا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لأُشِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مَا أَرَى أَبْصَرْتُمُوهُ بَعْدُ، مَا أَرَى غَيْرَهُ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلامًا سِبطًا شَابًّا نَهْدًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ غُلامٍ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ يَعْنِي: ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، فَلا أَظُنُّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْوُونَ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ وَاسْتَرَحْنَا وَقَطَعْنَا عَنَّا أَذَاهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الرَّأْيُ، الْقَوْلُ مَا قَالَ الْفَتَى لا أَرَى غَيْرَهُ، فَتَفَرَّعُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ، قَالَ: فَأَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُ أَنْ لا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ، وَأَخْبَرَهُ بِمَكْرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَبِتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ فِي الأَنْفَالِ، يَذْكُرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَبَلاءَهُ عِنْدَهُ: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْيُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}).

وروى الإمام أَحْمَد مِنْ حَدِيث ابْنِ عَبَّاس بِإِسْنَادٍ حَسَن كما قال الحافظ في الفتح[1] فِي قَوْله تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُر بِك الَّذِينَ كَفَرُوا...} الْآيَة، قَالَ: (تَشَاوَرَتْ قُرَيْش لَيْلَة بِمَكَّة، فَقَالَ بَعْضهمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضهمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضهمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيّ عَلَى فِرَاش النَّبِيّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَة -وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ"[2]-، وَخَرَجَ النَّبِيّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسِبُونَهُ النَّبِيّ ﷺ، يَعْنِي يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَقُوم فَيَفْعَلُونَ بِهِ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا عَلِيًّا رَدّ اللَّه مَكْرهمْ فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبك هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَره، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَل اخْتَلَطَ

---

[1] وحسّنه قبله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (ج٣/ص١٨١)، وهو عند الطبراني في الكبير(١٢١٥٥)، والطبري في التفسير (ج٦/ص٢٢٥).

[2] هذه اللفظة ليست في هذه الرواية بل هي من رواية أخرى عند ابن إسحاق - سيرة ابن هشام (ج٢/ص١٢٤-١٢٧)- وقال ابن إسحاق: (فحدثني من لا أتهم من أصحابنا...) وهذا ما يبين ضعفها، ولهذا صُدّرت بقوله: (وقد روي...) وهي للتضعيف.

عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا الْجَبَل فَمَرُّوا بِالْغَارِ فَرَأَوْا عَلَى بَابه نَسْجَ الْعَنْكَبُوت فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَا هُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْج الْعَنْكَبُوت عَلَى بَابه، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاث لَيَالٍ).

الفوائد

- وفيها أن! الشيطان ولي الذين كفروا، وأنَّ غاية ولايته وسوسةٌ ومكرٌ، ولا نصرةَ منه لحزبه، قال الله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة:٢٥٧]، وقال سبحانه: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال:٤٨].

- وفيها أنَّ تكميمَ أفواه الموحِّدين ومنعَهم من الدعوة إلى الحق وإيصاله إلى الخلق هي سِمَة الكافرين التي لا تتغير، وأن مبدأ وشعار (احْبِسُوهُ فِي وَثَاقٍ) هو حلُّهم السريعُ والحاضر دوماً في مطاردة الدعاة إلى الله، ولذا شرع الله الجهاد.

- وفيها أنَّ التحرر من قبضةِ الكفار وسيطرتهم أولُّ الطريق نحو دعوةٍ حرةٍ وحقيقية، وأنَّه لا يُمكن للداعية إلى الله أنْ يدعو إلى تَوحيدِ الباري تحت سلطان الطاغوت فهما نقيضان لا يجتمعان ولابدَّ من المُغالبة، وأنَّك إذا رأيت داعيةً يدعو تحت سلطان الطاغوت دون مضايقة أو تهديد أو تقييد و برضا عنه فاتّهمه ولا شك.

- وفيها ما يحسن أن يتمتَّع به الداعية إلى الله من صفات (أَلَمْ تَرَوْا حَلَاوَةَ قَوْلِهِ، وَطَلَاقَةَ لِسَانِهِ، وَأَخْذَهُ لِلْقُلُوبِ بِمَا يَسْتَمِعُ مِنْ حَدِيثِهِ)، وقالت أم معبد في قصة الهجرة لزوجها تصف رسول الله ﷺ كما روى الحاكم عن أبي معبد الخزاعي، وقال حديث صحيح الإسناد[1]: (إذا صَمَتَ فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حُلوُ المنطق،

[1] ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير(٣٦٠٥) وغيره، وهو من حديث حبيش بن خالد أو هشام بن حبيش بن خالد وليس من حديث أبي معبد الخزاعي كما توهمه العبارة أعلاه.

فصلٌ لا نَزر ولا هَذر، كأنَّ منطقه خَرَزات نظمٍ ينحدرن)، وذلك بعد قولها: (وفي صوته صهل)، وكانت أم معبد امرأة بَرْزَة، أي: كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب، فإذا كان صاحب الحقِّ لا يمتلك تلك المؤهلات فلا أقلَّ من أنْ يستعين بمن يملكها ويوجِّهُهُ إلى الخير، قال موسى عليه السلام: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} [القصص: ٣٤].

- وفيها وكما قال ابن العربي رحمه الله: (يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ أَنْ يَقُوا بِأَنْفُسِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنْ يَهْلِكُوا أَجْمَعِينَ فِي نَجَاتِهِ، فَلَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ وَقَى مُسْلِمًا بِنَفْسِهِ فَلَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَذَلِكَ جَائِزٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ وُجُوبُ مُدَافَعَةِ الْمُطَالِبِ وَالصَّائِلِ عَلَى أَخِيك الْمُسْلِمِ)[١].

- فيها استحبابُ مؤانسةِ الصَّالحين عند الوحشة وفدائهم وقتَ الحاجة، وأنَّ الله أكرم، فإنَّ من أراد نجاة أخيه كتب الله له النَّجاة إنْ شاء الله في الدنيا والآخرة، وأنَّ اليقين بخبر رسول الله ﷺ دين.

- وفيها أنَّه يجب على المسلم أنْ يحفظَ عورةَ أخيه ولا يدلَّ على ما يؤذيه، ومهما تعرَّض لضغوط، ويكونَ شعارُه قول أمير المؤمنين علي: (لا أدري)، ولا يكون أقلَّ من النساء ثباتاً. روى ابن إسحاق[٢]: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا قَالَتْ: (لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجْتُ إلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوك يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْت: لَا أَدْرِي وَاللهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا، فَلَطَمَ خَدّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي). وأن يضع في اعتباره أن نفسه ليست أولى من نفس أخيه.

- وفيها حسن اختيار رسول الله ﷺ لمن يبيت في بيته، وفعلُه ﷺ كلُّه حسن، فاختار رجلاً من أهل بيته تربّى في داره فمجيئُه إليه ومبيتُه فيه عادةٌ لا تنكر، وذلك حرصاً على سريَّة نيته، ثم هو كذلك أحفظُ الناس لأمانة رسول الله ﷺ وأعرفُهم بها،

[١] الأحكام: (ج٤/ص١١٥).
[٢] سيرة ابن هشام:(ج٢/ص١٣١-١٣٢)، وتاريخ الطبري: (ج١/ص٥٧٠).

وكذلك لما يعلمه من عفَّةِ علي وحرصِه على آل بيته. ثم إنَّ مبيت غيرِه يُعرِّضه للأذى بيقين، ففيه ظاهر الفداء بينما هذا غير محقق في شأن علي رضي الله عنه، وفوق ذلك قال له رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ".

- وفيها فضيلة عظيمة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وفداؤه رسولَ الله ﷺ بنفسه وكمالُ يقينه وقوةُ تصديقه، فلو لم يفعل أمير المؤمنين في الإسلام إلَّا هذا الفداء لأوجب له حباً، فكيف وهو من هو؟

فصل الأمر بالهجرة

قال الله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}[الإسراء:٨٠].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله بعدما ساق الأقوال في معنى الآية: (وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لأن ذلك عقيب قوله: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلاً (٧٦)}[الإسراء]، وقد دللنا فيما مضى، على أنه عَنَى بذلك أهل مكة؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ ليخرجوه عن مكة، كان بيِّنًا إذ كان الله قد أخرجه منها أن قوله: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء:٨٠] أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي همّ المشركون بإخراجه منها مُخْرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مُدْخل صدق).

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا القول هو أشهر الأقوال، كما في تفسير ابن كثير[1]، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ وَأُنْزِلَ

[1] (ج٣/ص٥٩).

عَلَيْهِ: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء])[٢].

---

[٢] رواه أحمد: (ج١/ص٢٢٣)، والترمذي: (ج٤/ص١٣٧)، والحاكم: (ج٣/ص٣)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى: (ج٩/ص٩)، وقَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان وفيه لين كما في التقريب.

فصل الهجرة الشريفة والأعداد لها

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ[١]: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً)، وفيه: (فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: "إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ"، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ"، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِالثَّمَنِ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ).

وفي رواية عند البخاري أيضاً: عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ

[١] صحيح البخاري: ٣٩٠٥، ٣٩٠٦.

رَآنَا، قَالَ: "اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ: (جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ - وذلك لَمّا مَرّوا بِحَيّ بَنِي مُدْلِجٍ مُصْعِدِينَ مِنْ قُدَيْد، كما في قول الواقديّ عند ابن سعد في الطبقات.

قَالَ سُرَاقَةُ: (فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ

وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: "أَخْفِ عَنَّا"، فَقَالَ: قَدْ كَفَيْتُمْ، وَرَجَعَ فَوَجَدَ النَّاسَ فِي الطَّلَبِ فَجَعَلَ يَقُولُ: قَدِ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمُ الْخَبَرَ وَقَدْ كَفَيْتُمْ مَا هَا هُنَا، كما في رواية الواقدي[١]، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

وفي رواية عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قَالَ: "اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا")[٢].

الفوائد

- فيها جواز الفخر بصحة معتقد الآباء وثباتهم على الحق، وأنَّ الفخر بالدين والانتماء إليه هو الفخر.

- وفيها أنَّ كثرة الزيارة إذا صحَّت المودة لا تزيدها إلا شدة ولا تسقط الحشمة، وأنَّ قول: (زُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا) لمن لا منفعة في زيارته أو يكره ذلك، قال ابن بطال في حديث عائشة: (فحديث الباب؛ جواز زيارة الصديق الملاطف لصديقه كل يوم على قدر حاجته إليه والانتفاع بمشاركته له)[٣].

---

[١] ابن سعد في الطبقات: (ج١/ص٢٣٢).
[٢] البخاري: ٣٩٢٢.
[٣] عمدة القاري: (ج٢٢/ص١٤٥).

– وفيها استحباب انتقاء الرفقاء في السفر والاجتهاد أنْ يكونوا خير الصالحين صلاحاً وأمانة.

– وفيها جواز تأخير بعض الخير رجاء حصولِ أعظمه لمن غلب على ظنِّه ذلك.

– وفيها جَواز أن يعرِّض الموحَّدُ نفسه للهلاك معونةً لأخيه، وقد رأينا في المجاهدين من ذلك أمثلة عظيمة؛ فرأينا الرجلَ يتأخر ليحملَ أخاه الجريح أو ليعين الضعيف في المؤخرة وهو يعلم أنَّ الطلب في أثره، فلا شكَّ أنَّ هذا جائزٌ بل ممدوح.

– وفيها جواز أن يُعرَّض القائد بعض جنوده للبلاء معونةً له ودفاعاً عنه، ما دام يطمئن لدينهم، وخاصةً إذا كان في هلاكه كسرٌ لقلوب الموحدين وفرحٌ للكافرين.

– وفيها فضل الصدِّيق، فإنه كما قال المهلب[1]: (وأبو بكر يومئذ من المستضعفين، فآثر الصبر على ما يناله من أذى المشركين محتسباً على الله وواثقاً به، فوفى الله له ما وثق به فيه ولم ينله مكروه حتى أذن الله لنبيه في الهجرة، فخرج أبو بكر معه ونجَّاهم الله تعالى من كيد أعدائهما حتى بلغ مراده تعالى من إظهار النبوة وإعلاء الدين، وكان لأبي بكر في ذلك من الفضل والسبق في نصرة نبيه وبذل نفسه وماله في ذلك ما لم يخفَ مكانُه، ولا جُهِل موضعُه).

– وفيها فضل الصدِّيق على سائر الصحابة كما قال ابن بطال[2]: (فيه الدليل الواضح على ما خصَّ الله به صدِّيق نبيه عليه السلام من الفضيلة والكرامة ورفع المنزلة عنده، وذلك اختيارُه إياه دون سائر وعشيرته لموضعِ سرِّه وخفيِّ أمورِه التي كان يخفيها عن سائر أصحابه، ولصحبته في سفره، إذ لم يعلم أحدٌ بكونه عليه السلام في الغار أيام مكثه فيه غير أبي بكر وحاشيتِه من ولدٍ له ومولى وأجيرٍ، ولا صحِبَه في طريقه غير خَصَصٍ، خصِّص له لذلك دون قرابة رسول الله، فتبين بذلك منزلته عنده، ودلَّ على اختياره إيَّاه، لأمانته على رسول الله عليه السلام).

---

[1] شرح البخاري لابن بطال: (ج١١/ص٤٤٦).
[2] شرح البخاري: (ج١٧/ص١١١).

– وفيها وجوب تصديق النبي ﷺ بكلِّ ما أخبر به، واليقينُ أنَّه حتمًا كائنٌ، وأنَّ ذلك من أجلِّ علامات الإيمان وخصائص الصديقين، وأنَّه مَنْ رجا أن يكونَ منهم لابدَّ أنْ يسلُك سبيلَهم.

قال ابن بطال رحمه الله[1]: (وفيه المعنى الذي استحق به أبو بكر أن سُمِّيَ صِدِّيقًا، وذلك أنَّه حبس نفسه على رسول الله لقوله: "أرجو أنْ يؤذن لي في الهجرة"، فصدقه ولم يَرتَبْ بقوله، وأيقن أنَّ ما رجاه لا يخيب ظنُّه فيه لما كان جرَّبه عليه من الصدق في جميع أموره، وتكلّف النفقة على الراحلتين، فأعدّ إحداهما لرسول الله وبذل ماله كما بذل نفسه في الهجرة معه، ولذلك قال عليه السلام: "ليس أحد أمنّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر").

– وفيها أنَّه ينبغي على المجاهدين أن يختاروا الزمان والمكان المناسبين للقاءاتهم بحيث لا تراهم العيون ولا يَفطَن لتدبيرِهم الكافرون، وأنَّه ينبغي عليهم أَنْ يحتاطوا لحفظِ أنفسِهم وإخوانِهم، فهذا رسول الله ﷺ جاء لصاحبه في وقت لا يعتادُه الناس للزيارة ولا عرفوا أنَّه يزوره فيه في شدَّة حرِّ الشهر التاسع حيث تهدأ العيون والناس في منازلهم ولا يخرج أحد إلا لضرورة، احتاط النبي ﷺ لها بالتقنّع.

– وفيها جواز لبس القناع لمن خشي افتضاح أمره، بل وجوبُه إذا كان كشفُه فيه حتفُه، قال ابن بطال رحمه الله[2]: (التقنّع للرجل عند الحاجة مباح، وقال ابن وهب: سألت مالكاً عن التقنّع بالثوب، فقال: أمَّا الرجل يجد الحر والبرد أو الأمر الذي له فيه عذر فلا بأس به) وبهذا تعلم ضلالَ مَنْ يعيب على إخواننا التقنّعَ في بعض عملياتهم، وأنَّ قصدَهم الحقيقي هو رجاءُ افتضاحِ أمرهم ليهلكوا، أو يجهل الحكم الشرعي فيه.

[1] شرح صحيح البخاري: (ج١٧/ص١١١).
[2] شرح صحيح البخاري: (ج١٧/ص١١٠).

قال البهزى: (إذا تقنّع لدفع مضرة فذلك مباح، وأما لغير ذلك فإنَّه يكره، لأنه من فعل أهل الريب، ويُكره أنْ يفعل شيئًا يُظن به الريبة، وليس ذلك مِنْ فعل مَنْ مضى)[٣].

والتقنّع: هو تغطية أكثر الوجه مع الرأس، لما جاء في المستدرك للحاكم: وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢]، عن مرَّة البهزي قال: قال رسول الله ﷺ: "يفتح على الأرض فتن كصياصي البقر"، فمرّ رجل مقنّع، فقال: "هذا يومئذ على الحق"، فقمت إليه فأخذت بمجامع ثوبه فقلت: هذا هو يا رسول الله؟ قال: "هذا"، قال: فإذا هو عثمان).

- وفيها أنه لا يجوز للمجاهد أن يُطلع على سرّه امرأة ولا طفلاً، وهذا من بدهيات القواعد الأمنية المشهورة، والشاهد قول رسول الله ﷺ: "أخرج من عندك"، فالعبرة في أمره ﷺ لا في ردّ أبي بكر رضي الله عنه الذي جعله الناس شمّاعةً لمصائب وقعت بهم وبالمجاهدين، فإنَّه ﷺ كان يأتي بيت أبي بكر بكرة وعشية ويعلم جيداً أحوالهم ومع ذلك طلب خروجهم، ويُؤوَّل قول الصديق رضي الله عنه أنهم لابد سيعلمون، إذ أنَّهم من البيت سينطلقون وسيحتاجون إليهم في تدبير كثيرٍ من جوانب الهجرة، وهو بالفعل ما كان، ولذا سكت رسول الله ﷺ، ومع ذلك فهم لم يعلموا إلا بخبر الهجرة، فلم يعلموا وجهتها ولا طريقها، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (فَمَكَثْنَا ثَلَاثَ لَيَالٍ وَمَا نَدْرِي أَيْنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجِنّ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ، يَتَغَنّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غِنَاءِ الْعَرَبِ، وَإِنّ النّاسَ لَيَتْبَعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ حَتّى خَرَجَ مِنْ أَعَلَى مَكّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: جَزَى اللّهُ رَبّ النّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلّا خَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدِ)[٣].

---

[٣] شرح الصحيح لابن بطال: (ج١٧/ص١١٠).

[٢] وردّه الذهبي هناك بأن فيه من اتّهم.

[٣] هذا طرف من حديث أم معبد المشهور، وله طرق كثيرة لا يخلو أكثرها من مقال وقد تقدم طرف منه في الهامش (٣)، وهذه الرواية ساقها ابن إسحاق بإسناد معضل فقال: (فحُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت:...) كما في سيرة ابن هشام: (ج٢/ص ١٣١).

– وفيها أنَّ المسلم المجاهد لا يطلع على سرِّ عمله إلَّا مَنْ تأكّدت الضرورة لحاجته إليه ولا غنى عنه في عمله، ويحرص أن يكون صاحب سره مخلصاً أميناً ومشفقاً محباً.

– وفيها أنَّه يُستحَبُّ للمسلم أن يجاهد بنفسه وماله ويجهز نفسه، وأنَّه لو كان عنده درهمان أحدهما مالُه والأخر صدقة فلينفق مالَه في تجهيز نفسه ليكمل أجر هجرته وجهاده ولينفق الأخر على طعامِه وأهلِه.

– وفيها أنَّه يجب على الأغنياء من المسلمين تجهيزُ الفقراء المجاهدين والأنفاقُ عليهم وعلى أهليهم، وأنَّ هذا واجبٌ عليهم لا مِنّة منهم.

– وفيها (اتخاذُ الفضلاء والصالحين الزاد في أسفارهم، وردُّ قولِ مَنْ أنكر ذلك من الصوفية وزعم أنَّ مَنْ صحّ توكله ينزل عليه طعام من السماء إذا احتاج إليه، ولا أحدَ أفضلُ من رسول الله ولا من صاحبه وصدّيقه وهما كانا أولى بهذه المنزلة، ولو كان كما زعموا ما احتاجا إلى سفرة فيها طعام)[1].

– وفيها جواز، بل وجوب الاختفاء عن أعينِ العدو خاصة إذا اشتدّ طلبهم وتبين مكرهم، وأنَّ هذا من الأسباب لا من الجبن، وأنَّ سنة الغار لردّ مكر الكفار هي من عمل الأبرار، وأنَّ هذا هو عين التوكُّل الحقيقي.

قال الطبري كما في شرح ابن بطال للصحيح: (وفى استخفاء نبي الله وأبي بكر في الغار عندما أراد المشركون المكرَ بنبيه وقتلَه كما وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ...} [الأنفال: ٣٠] الآية، فدخل عليه السلام مع صاحبه في الغار حتى سكن عنه الطلب ويئسوا منه، ثم ارتحل متوجهًا إلى المدينة، وكان فعلُه ذلك حذرًا على نفسه من المشركين، فبان بذاك –إذ صحّ فعلُه أنَّه عن أمر ربه إياه– أنَّ الحقَّ على كل مسلم الهربُ مما لا قوام له به...) إلى قوله: (وبان فسادُ قولِ مَنْ زعم أنَّه مَن استجنّ بجنّة في حرب أو لجأ إلى حصن من عدو غالب أو أتخذ غلقًا لبابٍ من لص أو أعدّ زادًا لسفر أنَّه قد برئ من التوكل، لأنَّ الضر والنفع بيد الله، وقد أمر

[1] شرح الصحيح لابن بطال: (ج١٧/ص١١٢).

الله نبيَّه بالدخول في الغار ولاختفاء فيه من شرار خلقه، وكان من التوكل على ربه في الغاية العليا)[١].

وفيها: (الدليل الواضح على فساد قول من زعم أنَّ من خاف شيئًا سوى الله فلم يوقن بالقدر، وذلك أنَّ الصدّيق قال لرسول الله: « لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا»، حذرًا أن يكون ذلك من بعضهم فيلحقَه ورسولَ الله من مكروهِ، ذلك ما حذره وبذلك أخبر الله تعالى عنه في كتابه بقوله: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} [التوبة: ٤٠] فلم يصفه الله و لا رسوله بذلك من قوله بضعف اليقين، بل كان من اليقين لقضاء الله وقدره في أعلى المنازل، ولكن قال ذلك إشفاقاً على رسول الله، وكان حزنه بذلك مع علمه أن الله بالغ أمره فيه وفى رسوله وفى نصر دينه، فجمع الله له بذلك صدق اليقين، وأجر الجزع على الدين، وثواب الشفقة على الرسول، ليضعف له بذلك الأجر، وكان ذلك منه مثل ما كان من موسى نبي الله إذ أوجس في نفسه خيفة مما أتت به السحرة حين خيِّل إليه أنَّ حبالَهم وعصيَّهم تسعى، فقال الله له: {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨)} [طه]، ولا شكّ أنَّ موسى كان مِن العلم بالله وصدق اليقين بنفوذ قضائه فيه ما لا يلتبس أمرُه على ذي عقل يؤمن بالله ورسوله، وكذلك الذي كان من أمر أبي بكر)[٢].

– وفيها ما اعتاده الكفار من قديم الزمان أنَّه إذا فاتهم الموحدون جعلوا الجوائز لمن يأتي بهم أحياءً أو أمواتاً تحفيزاً للضعفاء وإغراءاً للسفهاء.

– وفيها أنَّه ينبغي أنَّ يعلم أن مصاحبة أئمةِ الحق لها أعباء وتبعات وتجعل الصاحبَ في عين الطلب، فقد هاجر الصحابة الكرام وأراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة ورجع ولم يجعلوا فيه الدِّية ولا طلبوا قتله وألحّوا في ذلك إلا عند صحبته رسول الله ﷺ في الهجرة، وينبغي لمن كان هذا شأنَه أن يُحسِن اختيار رفقائه حتى لا يفرِّط في نفسه أو يعرِّض غيرَه إلى ما لا يطيقون.

---

[١] (ج١٧/ص١١٢).
[٢] شرح الصحيح لابن بطال: (ج١٧/ص١١٣).

– وفي قصة عبد الله بن أبي بكر جواز العين، وأنَّه مما لا غنى عنه في الجهاد، وأن يختار لها مَنْ لا شائبة عليه في دينه وولائه.

– وفي فعل عامرٍ مولى أبي بكر مثالٌ رائعٌ على كيفية إخفاء الأثر، وإبداعٌ في حُسنِ التموين.

– وفيها أنَّ الكفار يكفُرون بدينهم ومبادئهم ويضربون بها عُرْضَ الحائط إذا خالفت أهوائهم، وأنَّ الكافرَ لا دينَ له ولا مبدأ.

– وفيها ما قال البخاري (باب رقم ٣ من كتاب الإجارة): (باب اسْتِئْجَارِ الْمُشْرِكِينَ عِنْد الضَّرُورَة، أَوْ إِذَا لَمْ يُوجَد أَهْل الْإِسْلَام. وَعَامَلَ النَّبِيّ ﷺ يَهُود خَيْبَر)، وذلك لما في الصحيحين[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ دَفَعَ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ نَخْلَ خَيْبَرَ وَأَرْضَهَا عَلَى أَنْ يَعْتَمِلُوهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَطْرُ ثَمَرِهَا).

ورَوَى عَبْد الرَّزَّاق في المصنف: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنِ ابْن شِهَاب قَالَ: (لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيّ ﷺ عُمَّال يَعْمَلُونَ بِهَا نَخْل خَيْبَر وَزَرْعهَا، فَدَعَا النَّبِيّ ﷺ يَهُود خَيْبَر فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ).

– وفيها ما قاله المهلب[2]: (وفيه من الفقه ائتمان أهل الشرك على السر والمال إذا علم منهم وفاءً ومروءة، كما استأمن النبي ﷺ هذا الدليل المشرك، وهو من الكفار الأعداء المطالبين له، لكنَّه علم منه مروءة ووفاء ائتمنه من أجلهما على سره في الخروج من مكة، وعلى الناقتين اللتين دفعهُما إليه ليوافيَهما بهما بعد ثلاث في غار ثور).

– وفيها أنَّ جاهلية قريش كانت خير من جاهلية المرتدين اليوم، فهم كانوا على الأقل أوفى منهم عهداً وأبرَّ قَسَماً.

– وفيها أنَّ المتكفِّل بنصرة الدين هو الله، وأنه سبحانه القادر على نصرة أوليائه بلا سبب، وأنه فقط مطلوبٌ منّا العمل والأخذ بالسبب، كما قال أبو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى: {إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا

[1] البخاري: ٢٢٨٥، ومسلم: ١٥٥١ واللفظ له.
[2] شرح الصحيح لابن بطال: (ص١١/ص٤٠١)، وتفسير القرطبي: (ج٨/ص١٣١)، وعمدة القاري: (ج١٢/ص٨٢).

فِي الْغَـارِ إِذْ يَقُـولُ لِصَـاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَـا} [التوبـة: ٤٠]: (هـذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله ﷺ أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به، وهو من العدد في قلة والعدوُّ في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟

فصل بعض ما ورد في رحلة الهجرة من أحداث

أولاً: ذكر الغار:

قال الله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة: ٤٠].

قال الإمام البغوي[١]: ({ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أي هو أحد الاثنين، والاثنان: أحدهما رسول الله ﷺ، والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} وهو نَقْبٌ في جبل ثور بمكة، {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، قال الشعبي: عاتب الله عز وجلَّ أهلَ الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه).

(فقوله اثنان خبر مبتدأ محذوف تقديره نحن اثنان الله ناصرهما ومعينهما، والله تعالى أعلم)[٢].

وقال البغوي رحمه الله: (وقوله عز وجل: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} لم يكن حزن أبي بكر جُبْنًاً منه، وإنما كان إشفاقًا على رسول الله ﷺ، وقال: إن أقتل فأنا رجل واحد وإن قُتِلْتَ هلكت الأمة)[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[٤]: ({إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ} أي: عام الهجرة، لما همّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربًا صحبة صدِّيقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطَّلَبُ الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أنْ يَطَّلع عليهم أحد،

---

[١] التفسير:(ج٤/ص٤٩).
[٢] عمدة القاري: (ج١٧/ص٥٨).
[٣] (ج٤/ص٤٩).
[٤] التفسير: (ج٢/ص٣٥٨).

فيخلُص إلى الرسول عليه الصلاة السلام منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يُسكِّنه ويُثبِّته ويقول: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما".

وقال رحمه الله: ({فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي: تأييدَه ونصرَه عليه، أي: على الرسول ﷺ في أشهر القولين: وقيل: على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيرِه، قالوا: لأنَّ الرسولَ ﷺ لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجددُّ سكينةٍ خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} أي: الملائكة، {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا}).

وقال البغوي في تفسيره للآية: ({وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا)[1].

ويشهد لقوله رحمه الله ما رواه أبو نعيم[2] عن أبي بكر قال: (رأيتُ رجلاً مواجه الغار، فقلتُ: يا رسول الله! إنه لو نظر إلى قدميه لرآنا، قال: "كلا! إنَّ الملائكة تسترُه"، فلم ينشب الرجلُ أنْ قعد يبول مستقبِلَنا، فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر! لو كان يراك ما فعل هذا")[3]

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قَالَ: "اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا")[4]. وفي رواية أخرى للبخاري: فقَالَ: "مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا".

وعن محمد بن سيرين قال: (ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه، فكأنهم فضَّلوا عمرَ على أبي بكر رضي الله عنهما، قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال:

---

[1] (ج٤/ص٥٣).

[2] كما في الدر المنثور: (ج٤/ص١٩٧).

[3] وهو عند الطبراني في الكبير(٢٤ج/ص٨٥-٨٦)(برقم ٢٨٤) مطولاً في قصة الهجرة، وقال الهيثمي: (ج٦/ص٥٤): (رواه الطبراني وفيه يعقوب هذا، أنَّه حسن الحديث)، وقال الحافظ فيه: (صدوق ربما وهم) ويحتمل كون الحديث حسن والله أعلم.

[4] متفق عليه.

والله لليلةٌ مِن أبي بكر خيرٌ من آل عمر، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ مِن آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه و ساعة خلفَه حتى فَطِن له رسولُ الله ﷺ، فقال: "يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟" فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصدَ فأمشي بين يديك، فقال: "يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟" قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون مِن مُلمة إلَّا أن تكون بي دونَك.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئَ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنَّه لم يستبرئ الحُجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرئ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فقال عمر: والذي نفسي لتلك الليلة خير من آل عمر)[1].

وعن عائشة قالت في مكان الغار: (فركبا حتى أتيا الغار، وهو بثور فتواريا فيه وكان عامر بن فهيرة غلاماً لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها، وكان لأبي بكر رضي الله عنه منحة، فكان يروح بها ويغدو عليهم ويصبح فيَدَّلِجُ إليهما ثم يسرح فلا يَفطن به أحدٌ من الرعاء، فلما خرجا خرج معهما يُعْقِبانِه حتى قدموا المدينة)[2].

ثانياً: ذكر الحمام والعنكبوت:

عن ابن عباس، فِي قَوْله تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...}الْآيَة، قَالَ: (تَشَاوَرَتْ قُرَيْش لَيْلَة بِمَكَّة، فَقَالَ بَعْضهمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضهمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضهمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ

[1] أخرجه الحاكم: (ج٣/ص٧)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة: (ج٢/ص٣٣٨)، وهو في البداية والنهاية: (ج٣/ص١٨٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح مرسل.

[2] رواه ابن حبان: (ج١٤/ص١٨٢)، وإسناده صحيح، وفي قوله: عبد الله بن طفيل، نظر، وكأنه مقلوب، والصواب كما قال الدمياطي: الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، وهو أزدي من بني زهران، وكان أبوه زوج أمِّ رومان والدة عائشة، فَقَدِمَا في الجاهلية مكة، فحالف أبا بكر، ومات وخلَّف الطفيل، فتزوج أبو بكر امرأته أم رومان، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فالطفيل أحوهما من أمهما، واشترى أبو بكر عامر بم فهيرة من الطفيل.

عَلِيّ عَلَى فِرَاش النَّبِيّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَة -وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ"[١]-، وَخَرَجَ النَّبِيّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسِبُونَهُ النَّبِيّ ﷺ، يَعْنِي يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَقُوم فَيَفْعَلُونَ بِهِ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا عَلِيًّا رَدّ اللَّه مَكْرهمْ فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبك هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَره، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَل اِخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا الْجَبَل فَمَرُّوا بِالْغَارِ فَرَأَوْا عَلَى بَابه نَسْجَ الْعَنْكَبُوت فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَا هُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْج الْعَنْكَبُوت عَلَى بَابه، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاث لَيَالٍ)[٢].

الفوائد

- فيه (آية من آيات الله؛ اثنان أعزلانِ يتحديانِ قريشاً بكاملها بعَدَدِها وعُدَدِها، فيخرجانِ تحت ظلال السيوف ويدخلان الغار في سُدْفَة الليل، ويأتي الطلب على فم الغار بقلوب حانقة وسيوفٍ مصلتة وآذان مرهفة، حتى يقول الصديق رضي الله عنه: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت نعليه لأبصرنا، فيقول ﷺ وهو في غاية الطمأنينة ومنتهى السكينة: "ما بالك باثنين الله ثالثهما")[٣].

- (وَفِيهِ: بَيَان عَظِيم تَوَكُّل النَّبِيّ ﷺ حَتَّى فِي هَذَا الْمَقَام. وَفِيهِ: فَضِيلَة لِأَبِي بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وَهِيَ مِنْ أَجَلّ مَنَاقِبه، وَالْفَضِيلَة مِنْ أَوْجُه: مِنْهَا هَذَا اللَّفْظ، وَمِنْهَا: بَذْله نَفْسه وَمُفَارَقَته أَهْله وَمَاله وَرِيَاسَته فِي طَاعَة اللَّه تَعَالَى وَرَسُوله، وَمُلَازَمَة النَّبِيّ ﷺ، وَمُعَادَاة النَّاس فِيهِ. وَمِنْهَا: جَعْله نَفْسه وِقَايَة عَنْهُ، وَغَيْر ذَلِكَ)[٤].

- وفيه كما قال الحسين بن الفضل: (مَنْ قال إن أبا بكر لم يكن صاحبَ رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نصّ القرآن)[٥].

---

[١] هذه اللفظة ليست في هذه الرواية، كما سبق بيانه.

[٢] أخرجه الإمام أحمد: (ج١/ص٣٤٨)، والطبراني في الكبير: ١٢١٥٥، والطبري في التفسير: (ج٦/ص٢٢٥)، وإسناده حسن كما قال الحافظ في الفتح: (ج٧/ص٣٠٠)، وقد حسّنه قبله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: (ج٣/ص١٨١)، وقال: (وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت)، وقد تقدم التنبيه على ما فيه.

[٣] أضواء البيان للشنقيطي رحمه الله: (ج٨/ص١٧٩).

[٤] شرح مسلم للإمام النووي: (ج١٥/ص١٥٠).

[٥] تفسير البغوي: (ج٤/ص٤٩).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر[1]: (وَكَانَ أَبُو بَكْر رَجُلًا مَعْرُوفًا فِي النَّاس)، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ"، فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ: "فَقِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا".

قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا، وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟"، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: "فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا"، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ)[2].

ومكث رسول الله ﷺ كما ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى في بيت أبي أيوب سبعة أشهر، وحديثه[3] عَنْ أَبِي أَيُّوبَ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

---

[1] الطَّبَرَانِيّ: (٢٤ج/ص٨٥-٨٦)، برقم ٢٨٤.
[2] البخاري: ٣٩١١.
[3] كما في صحيح مسلم: ٢٠٥٣.

فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "السُّفْلُ أَرْفَقُ" فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ)[1].

الفوائد

– ففي قوله: (وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ) جَوَازُ الْإِرْدَافِ على الدابة ما دامت تطيق، وَجوَازُه مَعَ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَلَا يَكُون ذَلِكَ خِلَافَ الْأَدَبِ كما قال النووي، وأنَّ هذا لا يُنقِصُ مِنْ قدرهما، بل هو من التواضع المحمودِ المتواترِ فعلُه عن رسول الله ﷺ.

– وفيها أنَّه يُستحب أن يكون كبيرُ القدر في صدر الدَّابة ما دام لا يُخشى عليه؛ فهو أشرفُ لقدره، وأظهرُ لصورته، وأرسلُ لبصره، وأبين لـمَنْ يريد رؤيتَه أو سؤالَه، وعلى أيِّ معاني الأرداف كان، قَالَ الدَّاوُدِيّ: (يَحْتَمِل أَنَّهُ مُرْتَدِف خَلْفه عَلَى رَاحِلَته، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون عَلَى رَاحِلَة أُخْرَى، قَالَ اللَّه تَعَالَى: {بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَة مُرْدِفِينَ (٩)} [الأنفال] أَيْ يَتْلُو بَعْضهمْ بَعْضًا، وَرَجَّحَ ابْن التِّين الْأَوَّل)[2].

– وفيها ما كان يبدو عليه النَّبي ﷺ من الصحة والعافية، وأنَّه كان يُرى شاباً، وأنَّ هذا لا يؤثر في دعوة كبار السِّن كما يتكلَّف بعضهم اليوم. وأن أبا بكر كان لكثرة أسفاره وهموم تجارته يُرى أشمطَ، كما روي عَنْ أَنسٍ قَالَ: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَيْسَ فِي أَصْحَابِهِ أَشْمَطُ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ، فَغَلَفَهَا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ)[3]، مع أنه ثبت في صَحِيح مُسْلِم: عَنْ مُعَاوِيَة: أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَة، وَكَانَ قَدْ عَاشَ بَعْد النَّبِيّ ﷺ سَنَتَيْنِ وَأَشْهُرًا، فَيَلْزَم عَلَى الصَّحِيح فِي سِنّ أَبِي بَكْر أَنْ يَكُون أَصْغَر مِنَ النَّبِيّ ﷺ بِأَكْثَر مِنْ سَنَتَيْنِ كما قال الحافظ في الفتح[4].

– وفيه: وإن ثبت جواز الكذب في ثلاث؛ منها الحرب، إلَّا أنَّ كبير القدر رفيع الشأن ينبغي له أن يَتحرَّزَ منه حتى لا تُؤثِّر عليه، وإن كان ولابد فعليه بالمعاريض كما

[1] (ج١/ص٢٣٧).
[2] فتح الباري: (ج٧/ص٣١٨).
[3] صحيح البخاري: ٣٩١٩.
[4] (ج٧/ص٣١٩).

فعل الصديق، ما دامت لا تبطل حقاً بل وتدفع باطلاً، قال ابنُ بطال رحمه الله[١]: (وَمَحَلّ الْجَوَاز فِيمَا يُخَلّص مِنْ الظُّلْم أَوْ يُحَصِّل الْحَقّ، وَأَمَّا اِسْتِعْمَالهَا فِي عَكْس ذَلِكَ مِنْ إِبْطَال الْحَقّ أَوْ تَحْصِيل الْبَاطِل فَلَا يَجُوز). وروى البخاري[٢] مِنْ طَرِيق قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّف بْن عَبْد اللَّه قَالَ: (صَحِبْت عِمْرَان بْن حُصَيْن مِنْ الْكُوفَة إِلَى الْبَصْرَة فَمَا أَتَى عَلَيْهِ يَوْم إِلَّا أَنْشَدَنَا فِيهِ شِعْرًا، وَقَالَ: «إِنَّ فِي مَعَارِيض الْكَلَام لَمَنْدُوحَة عَنِ الْكَذِب»)[٣].

- وفي قوله: (وكان آخر النهار مسلحة له)، عموم قول النبي ﷺ المتفق عليه: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ"[٤].

- وفيها فضل وفضيلة الأنصار -رضي الله عنهم أجمعين-؛ فقد قالوا لرسول الله كلمة بعد طول عناء وتعب وشدة طلب؛ كلمة لطالما راود حلم سماعها المستضعفين الخائفين، (قَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ)، بل إنَّ غاية حلمهم أقلّ منها بكثير، {لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص:٢]، أي قولة صالح مدين لنبي الله موسى -عليه وعلى نبينا أتم السلام-، وشتّان ما بين قوله وفعله، وقول الأنصار وفعلهم، وفي هذا كمال شرف أصحاب رسول الله ﷺ وأنصاره. روى الْبُخَارِيّ فِي التَّارِيخ الصَّغِير عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس: (فَاسْتَقْبَلَهُ زُهَاء خَمْسمِائَةِ مِنَ الْأَنْصَار، فَقَالُوا: «اِنْطَلَقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ»).

- وفيها فضيلة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكيف عجَّل إلى سماع وتبيُّن الحق، حتى وُصِف أنه جاء بما جناه من ثمر وبملابس عمله فرقاً أن يفوته الخير، وأنَّ اليهود دائماً وأبداً أهل كذب وظلم وفجور.

---

[١] فتح الباري: (ج١٠/ص٧٢٦).

[٢] فِي الْأَدَب الْمُفْرَد (برقم ٨٥٧، ٨٨٥)، وهو عند الطبراني في الكبير (١٨/رقم ٢٠١)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٦٣١) وقال: (صحيح موقوف على عمران).

[٣] قال الحافظ في الفتح (ج١٠/ص٧٢٦): (أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي "التَّهْذِيب" وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْكَبِير"، وَرِجَاله ثِقَات).

[٤] هو بهذا اللفظ عند البخاري (٤٢٠٤)، وهو عنده (٣٠٦٢)، وعند مسلم (١١١) بلفظ: "...ليؤيد هذا الدين...".

- وفيها أنَّ العالم إذا سمع بمن أعلمُ منه ينبغي عليه أنْ يرحل في طلب العلم منه ولا يستنكف، لا سيما إن كان الأعلمُ أعلمَ في مسائل التوحيد والعقيدة، فلعلَّه يدرك عنده من الخير ما لو فاته فاته حظٌّ عظيم.

- وفيه أنَّه يُستحَب أنْ يقال للجالس والضيف عند دعوته للطعام أو غيره (قم عَلَى برَكَةِ اللَّهِ)، ومثله للزائر والقادم؛ ادخل على بركة الله.

- وفي خبر سكنه مع أبي أيوب فوائد؛ أذكر منها فقط: أنَّه يُستحب أنْ يخصّص المُضيف لضيفه جزءاً مستقلاً من بيته، فهو أسترُ لكليهما وأقلّ حرجاً وأروح للنفس.

فصل ومما ورد من أحداث في الهجرة

ما رواه البخاري ومسلم، عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ يَقُولُ: (جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: «لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ» سَمَّاهُ فَعَرَفْتُه، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟" قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ -شَكَّ زُهَيْرٌ- فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا).

الفوائد

– فيه أنَّه يجوز للمرء أنْ يذكر بعض ما كان منه من عمل صالح إذا أمِن الرياء ورجا فائدةً لمن يستمع إليه.

– وفيه (خِدْمَة التَّابِع الْحُرّ لِلْمَتْبُوعِ فِي يَقْظَتِه، وَالذَّبّ عَنْهُ عِنْد نَوْمه، وَشِدَّة مَحَبَّة أَبِي بَكْر لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَدَبه مَعَهُ وَإِيثَاره لَهُ عَلَى نَفْسه)[1].

– وفيه شفقةُ الصديق على رسول الله ﷺ وسعيُه لراحته بكل سبيل، وما كان عليه من حرص وخوف عليه؛ فلم يدع لتعب السفر عليه سبيل، بحيث ينام إلى جانبه فقد لقي ما لقي ولكنه وقف يحرسه ويعدّ شرابه، وذلك بعدما هيأ نومته فرضي الله عنه وأرضاه.

– وفيه ما كان عليه أبو بكر من اهتمامٍ بالنظافة (الصحة العامة)، وخوفٍ على رسول الله ﷺ أن يصيبه أذى مِن شائبة تشوبُ شرابه، وخاصة أنَّهم في سفر والطلب في إثرهم؛ فواجب الاحتياط لابّد من أنْ يكون أشدّ وأكمل.

– وفيه جواز الشرب والوضوء من إناء واحد، وأنْ تقذّر بعضهم أنفةً زائدة.

– وفيه جواز الأكل بإذن حارس البستان وفلاح الأرض وراعي النعم وعامل المصنع إذا كان العرف أنَّ مثله جائز، أو كان مؤذَن لهم من صاحبه، قال الحافظ[2]: (قوله «أَفَتَحْلُب، قَالَ: نَعَمْ» الظَّاهِر أَنَّ مُرَاده بِهَذَا الِاسْتِفْهَام أَمَعَك إِذْن فِي الْحَلْب لِمَنْ يَمُرّ بِك عَلَى سَبِيل الضِّيَافَة؟ وَبِهَذَا التَّقْرِير يَنْدَفِع الْإِشْكَال الْمَاضِي فِي أَوَاخِر اللُّقَطَة وَهُوَ كَيْف اسْتَجَازَ أَبُو بَكْر أَخْذ اللَّبَن مِنَ الرَّاعِي بِغَيْرِ إِذْن مَالِك الْغَنَم؟ وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون أَبُو بَكْر لَمَّا عَرَفَهُ عَرَفَ رِضَاهُ بِذَلِكَ بِصَدَاقَتِهِ لَهُ أَوْ إِذْنه الْعَامّ لِذَلِكَ).

– وفيه الترجيح عند التعارض وجوازه بحضرة الأعلم، فقد قدّر الصديق أن حاجة النبي ﷺ إلى النوم أهمّ حينها مِن الشراب ولن يفوته بإذن الله، وفي التأخير فائدة زائدة وهو برادُه.

---

[1] الفتح: (ج٧/ص١٢).
[2] لفتح: (ج٦/ص٧٧٣-٧٧٤).

– وفيه جواز النظر إلى شرب الشارب إذا كان ثمة فائدة كاطمئنان على صحة أو رجاءَ تتبع أثر الصالح لمن يجوز التبرك به، وغير ذلك.

– وقوله ﷺ: ("أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟" قُلْتُ بَلَى) فيه استحباب مشورة الرفقاء في السفر فيما هو يتعلق بهم كالجلوس والطعام والرحيل، لعل عند أحدهم حاجة تتعارض فتراعى من أميرهم في السفر، وهو كذلك تطييب لخاطرهم.

وعن قَيْسِ بن النُّعْمَانِ السَّكُونِيّ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ مُسْتَخْفِيَانِ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَرُّوا بِرَاعٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَلْ مِنْ شَاةٍ ضَرَبَهَا الْفَحْلُ؟"، قَالَ: لا، وَلَكِنْ هَا هُنَا شَاةٌ قَدْ خَلَّفَهَا الْجُهْدُ، قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا"، فَأَتَاهُ بِهَا فَمَسَحَ ضَرْعَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ، فَحَلَبَ فَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ حَلَبَ فَسَقَى الرَّاعِي ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ، فَقَالَ لَهُ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: "إِنْ أَخْبَرْتُكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّكَ صَابِئٌ؟، قَالَ: "أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ"، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى مَا فَعَلْتَ إِلا رَسُولٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتَّبِعُكَ؟، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَّا الْيَوْمَ فَلا، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ أَنَّا قَدْ ظَهَرْنَا فَائْتِنَا"، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَمَا ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ)[1].

وفي رواية عنه رضي الله عته: (لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر مستخفيان نزلا بأبي معبد، فقال: والله ما لنا شاة، وإن شاءنا لحوامل، فما بقي لنا لبن، فقال...) الحديث[2]..

الفوائد

– فيه معجزة ظاهرة وآية باهرة وبركة لرسول الله ﷺ جعلت الأعرابي يسلم من ساعته.

---

[1] رواه الطبراني في الكبير: ١٨/رقم ٨٧٤، قال الهيثمي في المجمع: (ج٨/ص٣١٣): (ورجاله رجال الصحيح)، وصحّح سنده الحافظ ابن حجر في الإصابة: (ج٥/ص٥٠٥).

[2] قال الهيثمي في المجمع: (ج٦/ص٥٨): (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح)، وانظر كشف الأستار: (ج٢/ص٣٠١).

- وفيه ما ثبت عن رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي قتادة: "إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا"، وقال النووي[1]: (فِيهِ هَذَا الْأَدَب مِنْ آدَاب شَارِبِي الْمَاء وَاللَّبَن وَنَحْوهمَا وَفِي مَعْنَاهُ مَا يُفَرَّق عَلَى الْجَمَاعَة مِنَ الْمَأْكُول؛ كَلَحْمٍ وَفَاكِهَة وَمَشْمُوم وَغَيْر ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَم).

- وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يَجِبُ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ إِصْلَاحِهِمْ عَلَى مَا يَخُصُّ نَفْسَهُ، حيث قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر على نفسه الشريفة وحلب له بيديه.

- وفي قول رسول الله ﷺ: "إِنْ أَخْبَرْتُكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ؟" تأكيد على لزوم الاحتياط، مع أنَّه ﷺ ما أخبره إلا بعدما رجا إسلامه ورأى ذلك في وجهه، وصدقت فيه فراسة رسول الله ﷺ فأسلم لساعته.

- وفيه حسن أدب الأعرابي رضي الله عنه حيث قال: (أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّكَ صَابِئِيٌّ؟)، فقاله على سبيل الحكاية والشكّ.

- وفيه أنه ﷺ لم يأذن له في الهجرة لما كان يتخوّفه على الأعراب من شدة المدينة وَالْتِزَام أَحْكَام الْمُهَاجِرِينَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: "وَيْحَكَ إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَهَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا"[3]. قال المهلب: (علم أن الأعراب قلّما تصبر على المدينة لشدتها ولأوائها ووبائها، ألا ترى قلة صبر الأعرابي الذي استقاله بيعته حين مسته حُمّى المدينة)[4].

---

[1] شرح مسلم: (ج٥/ص١٨٩).
[2] صحيح البخاري: ١٤٥٢، ومسلم: ١٨٦٥.
[3] قَالَ النووي في شرح مسلم: (ج١٣/ص٩): (وَالْمُرَاد بِالْبِحَارِ هُنَا الْقُرَى).
[4] شرح ابن بطال للصحيح: (ج٦/ص٤).

وَرَوَى أَبُو سَعِيد فِي شَرَف الْمُصْطَفَى مِنْ طَرِيق إِيَاس بْن مَالِك بْن الْأَوْس الْأَسْلَمِيّ قَالَ: (لَمَّا هَاجَرَ رَسُول اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْر مَرُّوا بِإِبِلٍ لَنَا بِالْجُحْفَةِ، فَقَالَا: "لِمَنْ هَذِهِ؟" قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْر فَقَالَ: «سَلِمْت»، قَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: مَسْعُود، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْر فَقَالَ: «سَعِدْت»، وَوَصَلَهُ ابْنُ السَّكَن وَالطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ إِيَاس عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه أَوْس بْن عَبْد اللَّه بْن حَجَرٍ، فَذَكَرَ نَحْوه مُطَوَّلًا، وَفِيهِ: أَنَّ أَوْسًا أَعْطَاهُمَا فَحَلَّ إِبِله، وَأَرْسَلَ مَعَهُمَا غُلَامه مَسْعُودًا، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يُفَارِقهُمَا حَتَّى يَصِلَا الْمَدِينَة)[2].

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ)[3].

الفوائد

– فيه استحباب التفاؤل بالاسم الحسن وتبشير الغير به وبثّ روح الرجاء والنجاة بين الأتباع، وخاصة عند شدَّة الأمور وتكالب الأعداء؛ فإنَّ رسول الله ﷺ كما قال ابن القيم في تحفة المولود: (حتى كان يغيِّر الاسم القبيح بالحسن ويترك النزولَ في الأرض القبيحةِ الاسم والمرورَ بين الجبلين القبيح اسمهما، وكان يحب الاسمَ الحسنَ والفأل

[1] وهو عند أبي نعيم في (معرفة الصحابة) أيضاً (برقم ٩٠٣، ٥٤٥٦٩) وقد ساق سنده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: (ج ٣/ص١٩٠).
[2] فتح الباري: (ج٧/ص٣١٩).
[3] البخاري: ٣٩٠٦.

الحسن، وفي الموطأ أنَّ رسول الله قال للقحة: "من يحلب هذه؟" فقام رجل فقال رسول الله: "ما اسمك؟" فقال له الرجل: مرّة، فقال له رسول الله: "اجلس"، ثم قال: "من يحلب هذه؟" فقام رجل آخر فقال له رسول الله: "ما اسمك؟" فقال حرب، فقال له رسول الله: "اجلس"، ثم قال: "من يحلب هذه؟" فقام رجل فقال له: "ما اسمك؟" فقال يعيش، فقال له النبي: "احلب"، رواه مرسلاً في موطئه وأسنده ابن وهب في جامعه)[1].

وقال في مفتاح دار السعادة أيضاً: (وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجابَ بسماعِ الاسم الحسن ومحبته وميلَ نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والربح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب، وإذا سمعت أضدادَها أوجبَ لها ضدَ هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً)[2].

وغيّر النبي ﷺ اسمَ (يثرب) إلى (المدينة)، قال الحافظ[3]: (وَلِهَذَا قَالَ عِيسَى بْن دِينَار مِنَ الْمَالِكِيَّة: مَنْ سَمَّى الْمَدِينَة يَثْرِب كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَة، قَالَ: وَسَبَب هَذِهِ الْكَرَاهَة لِأَنَّ يَثْرِب إِمَّا مِنَ التَّثْرِيب الَّذِي هُوَ التَّوْبِيخ وَالْمَلَامَة، أَوْ مِنَ الثَّرْب وَهُوَ الْفَسَاد، وَكِلَاهُمَا مُسْتَقْبَح، وَكَانَ ﷺ يُحِبّ الِاسْم الْحَسَن وَيَكْرَه الِاسْم الْقَبِيح).

وقال النووي[4]: (وَسُمِّيَتْ طَيْبَة وَطَابَة لِحُسْنِ لَفْظهمَا، وَكَانَ ﷺ يُحِبّ الِاسْم الْحَسَن وَيَكْرَه الِاسْم الْقَبِيح، وَأَمَّا تَسْمِيَتهَا فِي الْقُرْآن: يَثْرِب؛ فَإِنَّمَا هُوَ حِكَايَة عَنْ قَوْل الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مَرَض).

---

[1] (ص٥٠)
[2] (ج٢/ص٢٤٤).
[3] الفتح: (ج٤/ص١٠٨-١٠٩).
[4] شرح مسلم: (ج٩/ص١٥٤-١٥٥).

وفي صحيح البخاري ومسلم: عن عَائِشَةَ وَسَهْل بْن حنيف، قَالَ النَّبِي ﷺ: "لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي".

قال ابن بطال رحمه الله[1]: (كان النبي يعجبه الاسم الحسن ويتفاءل به، ويكره الاسم القبيح ويغيره، وكره عليه السلام لفظ الخبيث، إذ الخبث حرام على المؤمنين، وقال أبو عبيد: لقسمت وخبثت واحد لكنه استقبح لفظ خبثت).

ومثله حرمة نقل المعنى القبيح شرعاً إلى معنى واسم حسن؛ كتسمية المعازف غذاء الروح، والخمور بالمشروبات الروحية، والخنا بالفن.

ففي الصحيحين[2] عن أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ النبي ﷺ: "وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ، إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ". ولذلك قال عليه السلام: كما في حديث عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ- "لا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ"[3].

قال ابن بطال[4]: (كره أن يسمى أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقى شربها ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم الحسن).

وهذا باب هام وكبير، وإنما قصدت الإشارة وتنبيه الموحدين إلى كثير مما يصدر منهم من أخطاء في هذا الشأن من تفزيع بعضهم وتهويل الأمور والتشاؤم وعدم التفاؤل، وإطلاق الأسماء الخبيثة في المزاح وعلى المدن والمراكب والسلاح.

- وفيه استحباب أن يرتدي الداعية الثيابَ الحسنةَ وأحسنُها البياض، واستقبال الناس أو الوفود بأجمل ما عند المسلم من حلة، ففي الصحيحين[5] عن سالم بن عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ).

---

[1] شرح البخاري: (ج١٧/ص٤٢١)، وانظر عمدة القاري: (ج٢٢/ص٢٠١)، وفتح الباري: (ج١٠/ص٦٩٠).
[2] البخاري: ٦١٨٣، ومسلم: ٢٢٤٧/٧.
[3] البخاري: ٦١٨٢، ومسلم: ٢٢٤٧/٨.
[4] شرح البخاري: (ج١٧/ص٤٢٤)، وانظر عمدة القاري: (ج٢٢/ص٢٠٣).
[5] البخاري: ٦٠٨١، ومسلم: ٢٠٦٨.

قال الحافظ في الفتح: (قَوْله: بَاب مَنْ تَجَمَّلَ لِلْوُفُودِ؛ أَيْ حَسَّنَ هَيْئَته بِالْمَلْبُوسِ وَنَحْوه لِمَنْ يَقْدُمُ عَلَيْهِ، وَالْوُفُود جَمْع وَافِد؛ وَهُوَ مَنْ يَقْدُم عَلَى مَنْ لَهُ أَمْر أَوْ سُلْطَان زَائِرًا أَوْ مُسْتَرْفِدًا، وَالْمُرَاد مِنْ قَوْل عُمَر «لِلْوُفُودِ» مَنْ كَانَ يَرِدُ عَلَى النَّبِيّ ﷺ مِمَّنْ يُرْسِلهُمْ قَبَائِلهمْ يُبَايِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِسْلَام وَيَتَعَلَّمُونَ أُمُور الدِّين حَتَّى يُعَلِّمُوهُمْ)[1].

وقال ابن بطال في شرحه: (قال المؤلف: فيه جواز تجمّل الخليفة والإمام للوفود القادمين عليه بحسن الزيّ وجميل الهيئة)[2].

- وفيه أنَّ المسلم يقبل مال أخيه إذا جاء عن طيب نفس وبغير مسألة، بل ويستحب له أنْ يقبله إذا جاءه من أميره دون مسألة ولو كان غيرَ محتاج، ففي الصحيحين عن حُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ أَخْبَرَهُ: (أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا، فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ")[3].

---

[1] (ج١٠/ص٦١٣).

[2] (ج١٧/ص٣٣٣).

[3] - البخاري: **٧١٦٣**، والسياق له، ومسلم: **١٠٤٥** مختصراً.

فصل الرسول ﷺ آخر من هاجر

قال ابن سعد رحمه الله[1]: (وخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة، فلم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي، أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج).

الفوائد

- وفيه شجاعة ورباطة جأش رسول الله ﷺ التي ما كانت تخطئها العين في أي محنة مهما اشتدَّت، كما في أُحد والخندق وحنين.

- وفيه ما ينبغي أنْ يتحلَّى به الأمير إذا ماجت الفتن، فلا يترك إخوانه ويهرب، بل يثبت لِيحفظ ضعيفَهم ويردّ شاردَهم ويجمع شتاتهم ويقوّي قلوبهم ويذكّر غافلَهم.

- وفيها أنَّ هجرته ﷺ بنفسه كانت إيذاناً بانتهاء مرحلة الحشد النبوي لقواته، ووجوبها على كل من بقي بعده إلا لمعذور أو مأذون له لمعنى في نفسه؛ كالأعراب، أو لمهمَّة خاصة كأبي ذر، على ما سيأتي إن شاء الله.

[1] الطبقات الكبرى: (ج١/ص٢٢٦).

فصل المدة التي استغرقتها رحلة الهجرة

(وَقَالَ الْحَاكِم: تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَار أَنَّ خُرُوجه كَانَ يَوْم الِاثْنَيْنِ وَدُخُوله الْمَدِينَة كَانَ يَوْم الِاثْنَيْنِ، إِلَّا أَنَّ مُحَمَّد بْن مُوسَى الْخَوَارِزْمِيّ قَالَ: إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّة يَوْم الْخَمِيس. قُلْت: يُجْمَع بَيْنهمَا بِأَنَّ خُرُوجه مِنْ مَكَّة كَانَ يَوْم الْخَمِيس وَخُرُوجه مِنَ الْغَار كَانَ لَيْلَة الِاثْنَيْنِ، لِأَنَّهُ أَقَامَ فِيهِ ثَلَاث لَيَالٍ، فَهِيَ لَيْلَة الْجُمُعَة وَلَيْلَة السَّبْت وَلَيْلَة الْأَحَد وَخَرَجَ فِي أَثْنَاء لَيْلَة الِاثْنَيْنِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة هِشَام بْن عُرْوَة عِنْد ابْنِ حِبَّانَ: «فَرَكِبَا حَتَّى أَتَيَا الْغَار وَهُوَ ثَوْر، فَتَوَارَيَا فِيهِ»)[1].

فصل طريق الهجرة

(قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مردفه أبو بكر، وخلفه عبد الله بن أريقط الليثي فسلك بهما أسفلَ من مكة، ثم مضى بهما حتى هبط بهما على الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما على أسفل أمج، ثم عارض الطريق بعد أنْ أجاز قُدَيْداً، ثم سلك بهما الحجاز، ثم أجاز بهما ثنيَّة المرار، ثم سلك بهما الحفياء، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مُدْلِجَة لِقْفٍ، ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مُدْلِجَة مَجَاحٍ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا مَذْحِجَ، ثُمَّ بِبَطْنِ مَذْحِجٍ مِنْ ذِي الْغُصْنِ، ثُمَّ بِبَطْنِ ذِي كَشْدٍ، ثُمَّ أَخَذَ الْجُبَاجِبَ، ثُمَّ سَلَكَ ذِي سَلْمٍ مِنْ بَطْنٍ أَعْلَى مُدْلِجَة، ثُمَّ أَخَذَ الْقَاحَةِ ثُمَّ هَبَطَ الْعَرْجِ، ثُمَّ سَلَكَ ثَنِيَّةَ الْغَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رُكُوبِهِ، ثُمَّ هَبَطَ بَطْنَ رِيمٍ فَقَدِمَ قُبَاءَ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ)[2].

* * *

[1] الفتح: (ج٧/ص٢٩٩).

[2] رواه الحاكم في المستدرك: (ج٣/ص٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الحافظ في الفتح: (ج ٧/ص٣٠٢)، وَإِسْنَاده صَحِيح.

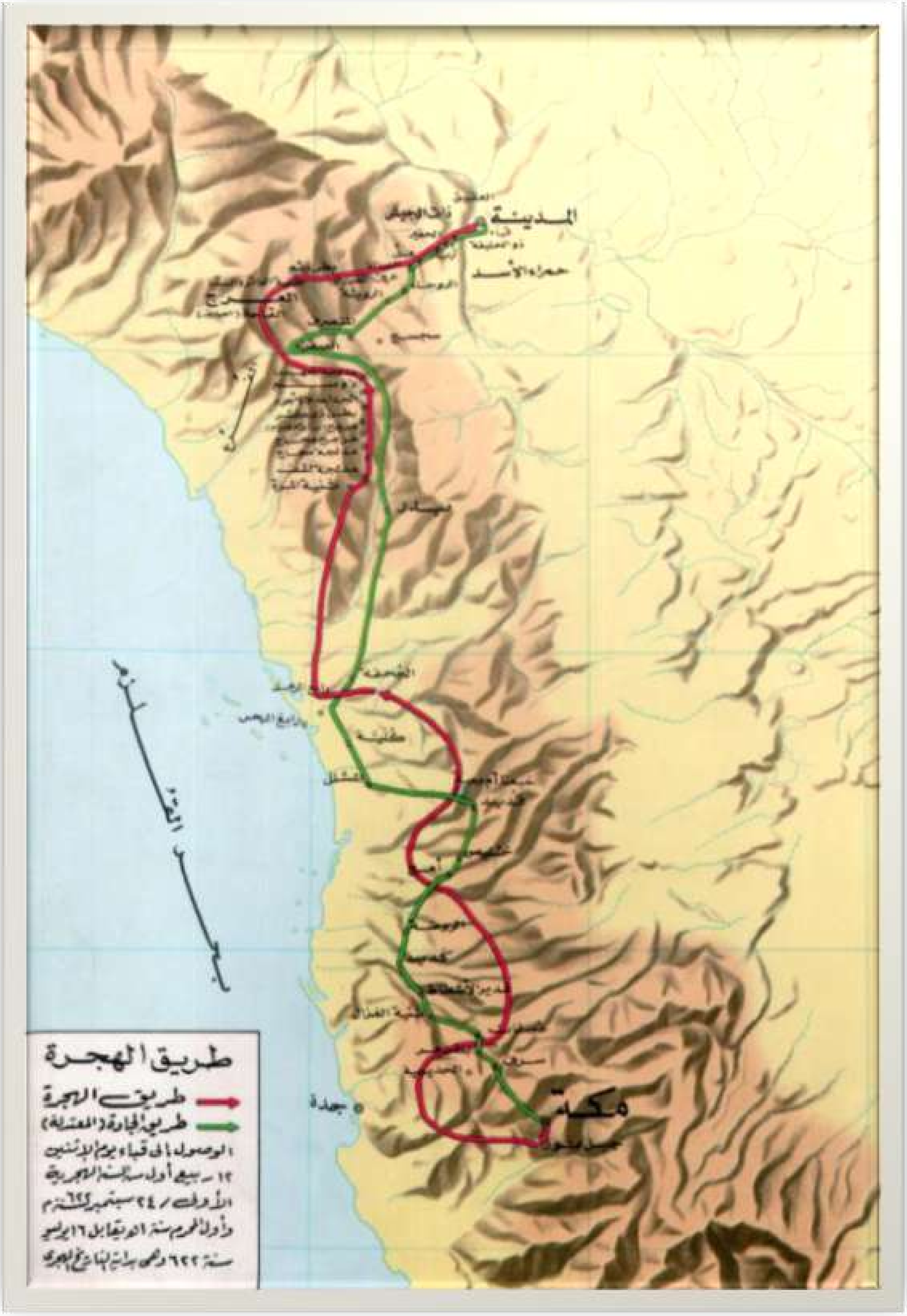
المدينة
حمراء الأسد
مكة
جدة
طريق الهجرة
طريق الهجرة
طريق التجارة (المعتادة)
الوصول إلى قباء يوم الإثنين

سرية ساحل البحر أول لواء عُقد في الإسلام وبداية مشوار الجهاد والعز

قال ابن سعد رحمه الله[1]: (فكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ؛ لحمزة بن عبد المطلب بن هاشم، في شهر رمضان -أي الموافق مارس سنة ٦٢٣م- على رأس سبعة أشهر من مُهاجَرِ رسول الله ﷺ، لواء أبيض، فكان الذي حمله أبو مَرثَد كنَّاز بن الحصين الغنوي حليفُ حمزةَ بنِ عبد المطلب، وبعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، قال بعضهم: كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار، والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين، ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً، وذلك أنَّهم شرطوا له أنَّهم يمنعونه في دارهم، وهذا الثبت عندنا. وخرج حمزة يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام، في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر، يعني ساحله من ناحية العيص -أي من أرض جهينة- فالتقوا حتى اصطفُّوا للقتال فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين جميعاً -أي موادعاً ومسالماً- إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا، فتوجه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكة وانصرف حمزة بن عبد المطلب في أصحابه إلى المدينة).

(فَلَمّا رَجَعَ حَمْزَةُ إلَى النّبِيّ ﷺ خَبّرَهُ بِمَا حَجَزَ بَيْنَهُمْ مَجْدِي، وَأَنّهُمْ رَأَوْا مِنْهُ نَصَفَةً لَهُمْ، فَقَدِمَ رَهْطُ مَجْدِي عَلَى النّبِيّ ﷺ فَكَسَاهُمْ وَصَنَعَ إلَيْهِمْ خَيْرًا، وَذَكَرَ مَجْدِيَ بْنَ عَمْرٍو فَقَالَ: "إنّهُ مَا عَلِمْت مَيْمُونُ النّقِيبَةِ مُبَارَكُ الْأَمْرِ"، أَوْ قَالَ: "رَشِيدُ الْأَمْرِ")[2].

ثم إنَّ أهل السير والمغازي اختلفوا في أيِّ الرايات كانت أولاً؛ هذه أم راية أبي عبيدة بن الحارث؟ وجزم محمد بن يوسف الصالحي الشامي بأنها راية حمزة فقال: (وهو أول لواء عُقد في الإسلام، كما قال عروة وابن عقبة ومحمد بن عمر وابن سعد وابن عائذ والبيهقي وابن الأثير والدمياطي والقطب وغيرهم، وصحّحه أبو عمر رحمهم الله تعالى)[3].

---

[1] الطبقات الكبرى: (ج١/ص٦).
[2] مغازي الواقدي:(ج١/ص١٠).
[3] سبل الهدى: (ج٦/ص١١).

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أنَّ رايتَه أوَّلُ راية عقدت في الإسلام، ويذكر فيه عِدَّة الصحابة وعدد العدو وما دار بينهم، ويرسم صورة جلية للحالة المعنوية العالية والعجيبة للصحابة عند القتال رغم التفاوت الهائل في العدد والعُدَّة بين الفريقين، لكن قال ابن إسحاق[١]: (فإنْ كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق إنْ شاء الله، لم يكن يقول إلا حقاً، فالله أعلم أي ذلك كان، فأمَّا ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أول من عُقد له).

والقصيدة هي قوله:

أَلَا يَا لِقَــــوْمِي لِلتّحَلّمِ وَالْجَهْــــلِ ... وَلِلنّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرّجَــالِ وَلِلْعَقْــلِ
وَلِلـــرّاكِبِينَ بِالْمَظَــالِمِ لَمْ نَطَــأْ ... لَهُمْ حُرُمَــاتٍ مِنْ سَــوَامٍ وَلَا أَهْــلِ
كَأَنّا تَبَلْنَــاهُمْ وَلَا تَبْــلَ عِنْــدَنَا ... لَهُمْ غَيْرُ أَمْـــرٍ بِالْعَفَــافِ وَبِالْعَــدْلِ
وَأَمْـــرٍ بِإِسْــلَامٍ فَلَا يَقْبَلُونَـــهُ ... وَيَنْــزِلُ مِنْهُمْ مِثْــلَ مَنْزِلَـــةِ الْهَزْلِ
فَمَـــا بَرِحُـــوا حَتّى انْتَــدَبْت لِغَــارَةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلّــوا أَبْتَغِي رَاحَــةَ الْفَضْلِ
بِأَمْرِ رَسُـــولِ اللهِ أَوّلُ خَـــافِقٍ ... عَلَيْـــهِ لِـــوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْلِي
لِــوَاءٌ لَدَيْـهِ النّصْـرُ مِنْ ذِي كَرَامَـةٍ ... إلَــهٍ عَزِيــزٍ فِعْلُــهُ أَفْضَــلُ الْفِعْــلِ
عَشِــيّةَ سَــارُوا حَاشِــدِينَ وَكُلّنَــا ... مَرَاجِلُـــهُ مِنْ غَيْـــظِ أَصْــحَابِهِ تَغْلِي
فَلَمّـــا تَرَاءَيْنَـــا أَنَاخُوا فَعَقّلُـــوا ... مَطَايَا وَعَقّلْنَـــا مَـــدَى غَـــرَضِ النّبْـــلِ
فَقُلْنَـــا لَهُمْ حَبْــلُ الْإِلَـــهِ نَصِــيرُنَا ... وَمَـــا لَكُمُ إلّا الضّـــلَالَةُ مِنْ حَبْـــلِ
فَثَـــارَ أَبُـــو جَهْــلٍ هُنَالِــكَ بَاغِيًــا ... فَخَـــابَ وَرَدّ اللهُ كَيْـــدَ أَبِي جَهْـــلِ
وَمَـــا نَحْنُ إلّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًـــا ... وَهُمْ مِئَتَـــانِ بَعْـــدَ وَاحِـــدَةٍ فَضْـــلِ
فَيَـــا لَلُـــؤَيّ لَا تُطِيعُـــوا غُـــوَاتَكُمْ ... وَفِـــيئُوا إلَى الْإِسْـلَامِ وَالْمَنْهَجِ السّـهْلِ
فَـــإِنّي أَخَـــافُ أَنْ يُصَـــبّ عَلَيْكُمْ ... عَـــذَابٌ فَتَـــدْعُوا بِالنّدَامَـــةِ وَالثّكْـــلِ

---
[١] سيرة ابن هشام: (ج٢/ص٢٤٦).

قال ابن هشام[١]: (وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه).

ثم لما رجع عدو الله أبو جهل إلى مكة عقد اجتماعاً طارئاً وعاجلاً، دقّ فيه ناقوس الخطر الجديد، أظهر فيه من فحش قوله وسوء رأيه وجِلاده على كفره ما يحسده عليه إبليس، (فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلِ بن هِشَامٍ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ مُنْصَرَفُهُ عَنْ حَمْزَةَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَزَلَ يَثْرِبَ، وَأَرْسَلَ طَلائِعَهُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَاحْذَرُوا أَنْ تَمُرُّوا طَرِيقَهُ وَأَنْ تُقَارِبُوهُ، فَإِنَّهُ كَالأَسَدِ الضَّارِي، إِنَّهُ حَنِقَ عَلَيْكُمْ نَفَيْتُمُوهُ نَفْيَ الْقِرْدَانِ عَلَى الْمَنَاسِمِ، وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَسَحَرَةً، مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ وَلا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلا رَأَيْتَ مَعَهُمُ الشَّيَاطِينَ، وَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ عَدَاوَةَ ابْنَيْ قَيْلَةَ، فَهُوَ عَدُوٌّ اسْتَعَانَ بِعَدُوٍّ، فَقَالَ لَهُ مُطْعِمُ بن عَدِيٍّ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَصْدَقَ لِسَانًا وَلا أَصْدَقَ مَوْعِدًا مِنْ أَخِيكُمُ الَّذِي طَرَدْتُمْ، فَإِذْ فَعَلْتُمُ الَّذِي فَعَلْتُمْ فَكُونُوا أَكَفَّ النَّاسِ عَنْهُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بن الْحَارِثِ: كُونُوا أَشَدَّ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ابْنَيْ قَيْلَةَ إِنْ ظَفِرُوا بِكُمْ لَمْ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً، وَإِنْ أَطَعْتُمُونِي أَلْجَمْتُمُوهُمْ خَبَرَ كِنَانَةَ أَوْ يُخْرِجُوا مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ فَيَكُونَ وَحِيدًا مَطْرُودًا، وَأَمَّا ابْنَا قَيْلَةَ فَوَاللَّهِ مَا هُمَا وَأَهْلُ دَهْلِكَ فِي الْمَذَلَّةِ إِلا سَوَاءٌ، وَسَأَكْفِيكُمْ حَدَّهُمْ، وَقَالَ:

سَأَمْنَحُ جَانِبًا مِنِّي غَلِيظًا *** عَلَى مَا كَانَ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدِ
رِجَالُ الْخَزْرَجِيَّةِ أَهْلُ ذُلٍّ *** إِذَا مَا كَانَ هَزْلٌ بَعْدَ جَدِّ

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْتُلَنَّهُمْ، وَلأُصَلِّبَنَّهُمْ، وَلأَهْدِيَنَّهُمْ وَهُمْ كَارِهُونَ، إِنِّي رَحْمَةٌ بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلا يَتَوَفَّانِي حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ دِينَهُ، لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى يَدَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ". قَالَ أَحْمَدُ بن صَالِحٍ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ

[١] السيرة النبوية: (ج٢/ص٢٤٦)، وانظر البداية والنهاية: (ج٣/ص٢٤٥).

صَحِيحًا)[١]، ومناسم: جمع منسم، و(الـمَنْسِمُ للبعيرِ بِمنزلةِ الظُفُرِ للإنسانِ، والسُنبُكِ لِلدَّابةِ، والمِخْلَبِ للطَّيرِ)[٢].

وقال الأصمعي: (المِنْسَم طرف خُفِّ البعير)[٣]، و(القراد: واحدة القردان، يقال: قرد بعيرك، أي انزع منه القردان، والتقريد: الخداع. وأصله أن الرجل إذا أراد أن يأخذ البعير الصعب قرده أولاً، كأنه ينزع قردانه)[٤].

وبنو قيلة: هم الأوس والخزرج سكان المدينة من غير اليهود، وإنما سموا بذلك لأنَّ أمهم هي (قيلة بنت هالك بن عذرة من قضاعة، وقال غيره: قيلت بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، ولذلك سُمُّوا بني قيلة)[٥].

وأما دهلك الموصوفة بالمذلة: فهي جزيرة في البحر قِبَل اليمن، صغيرة، كانت أول محطات الهجرة إلى بلاد الحبشة، ولذا قرنها أبو سفيان بن الحارث مع المدينة[٦].

قال الحميري: (دهلك جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم في البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبلاً عالياً يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه ناراً فيخرج المسلمون إليهم في السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبي ﷺ إلى النجاشي، وفي هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولي القضاء فيها بعد الأربعمئة محمد بن يونس، مالكي من أهل الأندلس)[٧].

---

[١] رواه الطبراني في الكبير: ١٥٣٢، ومن طريقه أبو نعيم في الدلائل: رقم ٦٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج٦/ص٦٨): (رواه الطبراني وجادة من طريق أحمد بن صالح المصري قال: وجدت في كتاب بالمدينة عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، ورجاله ثقات).

[٢] فقه اللغة للثعالبي: (ص٥٣).

[٣] لسان العرب لابن منظور:(ج١٢/ص٥٧٣)، وهو شبيه بالقول السابق.

[٤] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري: (ج٢/ص٥٢٣).

[٥] معجم البلدان: (ج٥/ص٨٥).

[٦] راجع معجم البلدان: (ج٢/ص٤٩٢).

[٧] الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحِميري: (ص٢٤٤).

و(أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه، واسمه المغيرة، وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً، وكان تِرْبَ رسول الله ﷺ يألفه إلفاً شديداً، فلما بُعث رسول الله ﷺ عاداه وهجاه وهجا أصحابه وكان شاعراً، فلما كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام فخرج متنكراً، فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه، فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، قال: فقلت أنا مقتول قبل أنْ أصل إليه، فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة وحنيناً، فلما لقينا العدو بحنين اقتحمتُ عن فرسي وبيدي السيف صلتا والله يعلم أنّي أريد الموت دونه وهو ينظر إليَّ، فقال العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه، فقال: "قد فعلت فغفر الله له كل عداوة عادانيها"، ثم التفت إلي فقال: "أخي لعمري" فقبَّلتُ رجله في الرِّكاب)[1].

وهو القائل بعد إسلامه[2]:

لعمرك إني يوم أحمل راية *** لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمدلج الحيران أظلم ليله *** فهذا أواني حين أهدي وأهتدي

الفوائد

- في إرساله ﷺ السرايا وهذه بَكورتها ردٌّ واضح على تهديد قريش لرسول الله ﷺ بالمدينة وحصارها اقتصادياً، وكبت لأيّ نزعة عدوانية يسيل لها لُعاب المشركين بالمدينة والخائفين من خطر وجود النبي ﷺ عليهم وعلى أمنِهم واقتصادهم، ممَّا يجعلهم في حالة ولاء مع أعداء المسلمين بمكة، وقد تحرّكوا بالفعل لقتال النبي ﷺ ولكن سلّم الله، فكان لابد من عمل يرهب الجميع أو يشغلهم.

روى أبو داود بسند صحيح عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: (أنَّ كفار قريش كتبوا إلى ابن أُبَيّ ومن كان يعبد معه الأوثان مِنَ

---

[1] صفة الصفوة لابن الجوزي: (ج١/ص٥١٩-٥٢٠)، وعند ابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين: (ص١١٣-١١٤)، وهو في الأصل عند ابن سعد في الطبقات: (ج١/ص٤٩-٥٠).
[2] كما في الطبقات الكبرى: (ج٤/ص٥١).

الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنَّكم آويتم صاحبَنا وإنَّا نقسم بالله لتقاتِلَنَّه أو لتخرجنّه أو لنسيرنّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مُقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبدَ الله بنَ أبيّ ومن كان معه من عبدةَ الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لَقِيَهم فقال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدهم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم"، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفارَ قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحَلْقة -الحلقة: السلاح، وقيل: أراد بها الدرع- والحصون وإنَّكم لتقاتلنّ صاحبنا أو لنفعلنّ كذا وكذا).

فالتهديد إذن كان واضحاً وصريحاً وجدياً وحقيقياً وخطراً، فهؤلاء كفار قريش توعّدوا باستباحة المدينة كلِّها؛ مسلمِهم وكافرِهم، مقاتِلِهم وصغيرِهم، رجالهم ونسائهم، والسبب هو النبي ﷺ وصحبه، فلم تذكر كتب التاريخ أنَّه كان هناك عداء بين المدينة بعشائرها وبين قريش، فكان العمل على العدو وضربه هو الحلّ الوحيد لكبحه، ووالله لو توسّل المسلمون إلى المشركين بالمدينة حتى يتركوهم ودينهم ما فعلوا، ولو قعدوا ولم يرهبوا عدّوهم لتخطفتهم ذئاب الشرك وشياطين الإنس، فالجهاد الجهاد إذن هو الحلُّ لا غيره.

- وفيه أهميَّة المال للجهاد في سبيل الله، وأنَّه إذا تعيّن الشيء تعيّنت أسبابُه، ولضعف حالة الصَّحابة المادية وجب جلبُ المال، فهو عصب الجهاد في سبيل الله، ولابد منه لشئون حياتهم المعيشية.

- وفيه استحباب الاستغناء بالغنيمة، والتعفّف عن أموال الناس حتى لو بذلوه عن طيب نفس، طالما كان للتعفّف سبيل مشروعة ولو كان فيه خطورة على النفس، فكيف وكان في جلبه فوائد أخرى؛ من إرهاب العدو وحصارٍ لاقتصاده، وتدميرٍ لبنيانِ وجاهتِه التي يستعبد بها الناس ويستجلب بها المال، وغير ذلك مما سيأتي في حينه إن شاء الله.

- وفيه تعالي النبي ﷺ عن اتهاماتِ المشركين وعدمِ اعتبارها، طالما السبيل مشروعة ولا سبيل يقوم بالمطلب غيرها، ولذا أرسل في قطع الطريق على أموال المشركين مع ما يمكن أن يتّهموه به مِنْ سرقةِ الأموال وعقوقِ الأهل.

- وفيه أنَّه ليس من التهلكة أنْ يرسل القائدُ العددَ القليل لحرب الجيش الكبير إذا كان ما أرسله غايةَ جهده ويثق في نصر الله وحفظه، فمِن المعلوم أنَّ عِيراً بها أبو جهل هي من الكِبَر وحسن الحراسة والتسليحِ بمكان، وأنَّ النبي ﷺ كان يقدِّر قوةَ العدو، ومُحال أنْ يُظن في حق النبي ﷺ غيرُ ذلك، وهو الموصوف من ربه بالخبرةِ العسكرية الفائقة وحسنِ الترتيب، فقال سبحانه: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران: ١٢١].

- وفيه حكمة النبي ﷺ في اختيار جنود الغزوة؛ فإنَّه اختار للغزوة مَنْ يحملون بُغضاً عظيماً على المشركين بسبب اضطرارهم لترك الأهل والمال والوطن، كما إنَّهم الأعلم بأقرانهم من أهل مكة، وكذلك فيه من دواعي الثبات في القتال، لأنَّهم كانوا يستحيون من بعضهم فلا يفرون ممن يعرفونهم.

- وفيه أنَّه اختار التوقيت الزمني المناسب على كلِّ الأصعدة؛ فالعير أقبلتْ تحمل البضائع الكثيرة، وفيها كلُّ ما يملكون من مال، كما أرهقهم طولُ السفر وبعدُهم عن الزوج والولد، مما يجعلهم يجدّون السير ويغفلون أو يتساهلون عن كثير من الاحتياطات الأمنية اللازمة؛ كطريق أطول ولكن آمن، أو انتظار العيون قبل السير في كل مرحلة، وكذلك كان التوقيت مناسباً لجند النبي ﷺ حيث الجو معتدل وربيع، ولا يؤثر عليهم طول المسافة في حرّ الصحراء، ويستطيعون السير نهاراً وليلاً، وأينما حلّوا كان مقامُهم مناسباً فلا حرّ ولا برد يؤذيهم.

- وفيه أنَّ رسول الله ﷺ اختار لأول سراياه عمَّه وأحبّ الناس إليه، وحتى لا يقول المنافقون أنَّه أرسل هذا العدد البسيط لمسافةٍ طويلة في قلب الصحراء غيرَ عابئ

بهم، وأنَّه اختار لأوَّل سراياه من هو في شهرته شجاعةً وإقداماً وحكمة ورأياً، وذلك أدعى لثبات المقاتلين في أول سرية وأول لقاء.

– وفيه فضيلة كبيرة لعمّ رسول الله ﷺ أنَّه أولُ مَنْ عُقِد له لواءٌ للقتال في سبيل الله.

– وفيه ما كان عليه الصحابة من عظيمِ ثقتهم بالله، وما حباهم الله به من شجاعةٍ نادرةٍ ورباطة جأش وثبات، بحيث عزموا على قتال عشرة أضعافهم.

– وفيه حكمة حمزة رضي الله عنه وأنَّه ما ترك قتال هذا الجمع الكبير إلا بعد وساطة مَنْ هو على دين العدو، تاركاً الانطباع أنَّه لولا ذلك ما فعل، مما لهذا من أثرٍ مرعب في نفوس الأعداء، وعلامةٍ على صدق عقيدتِهم التي غيَّرت أحوالَهم فجعلتهم على رغم ضعفهم وقلّتهم يطمعون أنْ يصيبوا مال هذا الجيش الكبير، وفي هذا أعظمُ أثر في دعوتهم إلى الحق.

– وفيه ثقة القائد العام بأميره، وأنَّه ما عاتبه أو عنفه عن فوات مطلوبه، رغم عظم التكاليف والأعباء على قلّتها في حينه.

وفي اجتماع أبي جهل وما جاء فيه:

– أنه على العاقل إذا شعر بالخطر ألا يأتيه ولا يقترب منه إلا إذا لم يكن لذلك بدّ.

– وفيه أنْ عادة الكفار احتقار أهل الحق المسلمين، وسبّهم ووصفهم بأقبح الأوصاف، ومِنْ قبل قال سلفُه الفرعون الأكبر؛ فرعون موسى: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} [الشعراء: ٥٣-٥٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[١]: (يعني: بني إسرائيل، {لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ}، أي: لطائفة قليلة، {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ}، أي: كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا، {وَإِنَّا

[١] التفسير: (ج٣/ص٣٣٥-٣٣٦).

لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ}، أي: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم... وإني أريد أنْ أستأصل شأفتهم، وأبيد خضراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم).

- وفيه ما كان عليه المطعم بن عدي من الإنصاف؛ إنصافٌ كان يقدّره رسول الله ﷺ حتى ولو خرج مِنْ كافرٍ بالله، فقال يومَ القليب، كما في صحيح البخاري: عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ".

- وفي ردّه ﷺ على ما جاء في اجتماع المشركين، وقوله: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْتُلَنَّهُمْ، وَلأُصَلِّبَنَّهُمْ، وَلأَهْدِيَنَّهُمْ وَهُمْ كَارِهُونَ"، دلالةٌ ظاهرة أنَّ السيف يشفي من الكفر، ويدفع وسوسة الشيطان، ويقهر استدراجه، وأنَّ قتل المردة من الكفرة والمحاربين المجرمين يأتي بالخلق إلى الحق.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ({كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]، قَالَ: (خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ)[2].

قال ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري: (يعني: يدخلون الإسلام مكرهين، وسمى الإسلام باسم الجنة؛ لأنه سببها ومن دخله دخل الجنة، وقد جاء هذا المعنى بيّنًا في الحديث، ذكره البخاري في التفسير في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، قال: خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، وفيه: سوق الأسرى في الحبال والسلاسل، والاستيثاق منهم حتى يرى الإمام فيهم رأيه)[3].

---
[1] البخاري: ٣٠١٠.
[2] البخاري: ٤٥٥٧.
[3] (ج٩/ص٢١٧)

فائدة: العجب المضاف إلى الله تعالى في الحديث الأول: "عجب الله من قوم..." يثبته أهل السنة تصديقا لقول النبي ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية[1]، فهو من الصفات المثبتة لله تعالى، ويدل على محبة الله للفعل كما قال ابن القيم في بدائع الفوائد[2]، والله أعلم.

[1] (ص١٠)

[2] انظر: (ج٤/ص٨) طبعة الكتاب العربي.

فصل في موقع المعركة (العيص)

و(العيص: وهو ما التفَّ من عاسي الشجر وكثُر، وهو مثل السَّلَم والطَّلْح والسَّيال والسِّدر والسَّمُر)[١]، و(الْعِيصُ: وَادٍ لِجُهَيْنَةَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْبَحْرِ، يَصُبُّ فِي إِضَمٍ مِنَ الْيَسَارِ مِنْ أَطْرَافِ جَبَلِ الْأَجْرَدِ الْغَرْبِيَّةِ، وَمِنَ الْجِبَالِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ، وَمِنْ حِرَارٍ تَقَعُ بَيْنَ إِضَمٍ وَيَنْبُعَ)[٢]، وهو: (واد من ناحية ذي المروة على ليلة منه وعلى أربع من المدينة)[٣]، و(فيه ماء يقال له ذنابة العيص، كثرت أشجاره من السلم والضال، فلذلك قيل له عيص. وحذاه جبل يقال له الحراض، أسود، ليس فيه نبت، وبأسفله أضاة يقال لها الحواق، لبني سليم. وبإزائه الستار، وقد مضى ذكره)[٤].

الفوائد

- وفيه أنَّ أسد الله اختار مكان المعركة بعناية بالغة؛ فقد اختار مكاناً يسهل فيه الاختباء عن أعين رصد العدو، ولا يراه الغادي والرائح فيشتهر أمره وينفضح غزوه، وهو أشبه بالأحراش والغابات، وهو من أحسن الأماكن لحروب العصابات اليوم، لا من حيث القتال فيه فحسب ولكن للانطلاق والعودة إليه دون أنْ يكون لطالبه عليه سبيل إلا بخسائر فادحة، وأشبهُ شيء به اليوم ما يكون على ضفاف الأنهار والمصارف (المبازل) من الطُّرفة والبوص، وكذلك وأحسن الحويجة والزوية عن الانهار والمربوطة بها وكذا الجزر، وقد جربنا ذلك فوجدناه عظيم الفائدة في حرب المحتل ببلاد الرافدين حتى إنَّ العدو كان ينتظر شهر الشتاء بفارغ الصبر.

- وفيه أنَّه اختار مكاناً به الحدّ الأدنى من إمكانية البقاء فيه لفترة طويلة، وخاصةً في منطقة صحراوية كالجزيرة، فنزل على الماء والعشب.

---

[١] معجم البلدان: (ج٤/ص١٧٠).
[٢] المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: (ص ١٤٨).
[٣] سبل الهدى: (ج٦/ص٨٥).
[٤] معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري الأندلسي: (ج٣/ص٨١٤).

وبعدما اكتشف الصحابة أهمية المكان العسكرية، ولعل النبي ﷺ سمع من حمزة رضي الله عنه الكثير، أو كان النبي ﷺ على علم بطبيعة المكان وأهمّيته، ولذا أرسل النبي ﷺ إليه زيدَ بن حارثة على ما سيأتي لاحقاً.

وكذلك اختاره أبو بصير رضي الله عنه، كأحسن مكان لأسلوب عمله في حرب العصابات والكمائن.

وقال ابن إسحاق في حديث أبي بصير[١]: (خرج حتى نزل بالعيص، من ناحية ذي المروة، على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام).

فصل من هو أبو مرثد حامل اللواء

قال ابن عبد البر: (أبو مرثد الصحابي، كنّاز بن حصين بالكاف والنون المشددة وبعد الألف زاي، أبو مرثد الغنوي، شهد بدراً هو وابنه مرثد، وهما حليفا حمزة بن عبد المطلب، وهو من كبار الصحابة. روى عنه واثلة بن الأسقع، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت، وشهد سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومات سنة اثنتي عشرة للهجرة. وكان رجلاً طوالاً كثير الشعر، يعدّ في الشاميين)، وقال: (يقال: إنه مات في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة، وهو ابن ست وستين سنة)[٢].

(وقال الزهري: أبو مرثد وابنه مرثد حليفان لحمزة، وحديثه عند مسلم والبغوي وغيرهما من طريق بشر بن عبيد الله عن واثلة بن الأسقع أنَّه سمعه يقول وهو في المقبرة: سمعت أبا مرثد الغنوي صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها")[٣].

---

[١] سيرة ابن هشام: (ج٣/ص٣٣٨)، وتاريخ الطبري: (ج٢/ص١٢٥).

[٢] الاستيعاب: (ج١/ص٤١٤، ٥٦٥).

[٣] الإصابة في معرفة الصحابة: (ج٧/ص٣٦٩).

(وصحب الرسول عليه السلام أبو مَرثَدٍ وابنُه مرثد وابنُ ابنِه أُنيس بن مَرثدٍ، وشهد أُنيسُ بن مرثدٍ هذا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيناً، وكان عين النبي ﷺ في غزوة حُنين بأَوطاس، ويقال إنَّه الذي قال له رسولُ الله ﷺ في حديث أبي هُريرة وزيد بن خالدٍ الجُهنيّ: "واغدُ يا أُنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجُمها"، وروي أنَّه أُنيس بن الضحاك الأسلميُّ، ومات أُنيسٌ في ربيع الأول سنة عشرين. روى عنه الحكم بن مسعود حديثه عن النبي ﷺ في الفتنة، وقيل إنَّه كان بين أنيس وبين أبيه مرثد إحدى وعشرون سنة)[١].

الفوائد

- وفيه فضيلة كبيرة لأبي مرثد رضي الله عنه أنَّه أولُ من حمل لواءً في سبيل الله، وتجلت بركة ذلك في أنَّ ابنَه كان بدرياً ومن أصحاب المهمات والعمليات الخاصة كما سيأتي لاحقاً، وأنَّ ابن ابنه كان من أصحاب رسول الله ﷺ وممن يكلف بإقامة الحدود.

- وفيه أنَّ حمزة رضي الله عنه دفع اللِّواء إلى حليفه ونصيره في الجاهلية والإسلام، وذلك حتى يطمئن لحامله في أول عهدهم به في سبيل الله، ولما يعرفه من ولاء حامل اللواء ونصرته له في الجاهلية فكيف به في الإسلام وفي سبيل الله، وذلك لأهمية اللواء ومحوريته في أرض القتال.

- وفيه استحباب أنْ يولَّى في القتال من عُرف بثباته وصبره فيه.

[١] الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: (ص١٣٣)، وانظر أيضاً الاستيعاب: (ج١/ص٣٦).

فصل ما هو اللواء والفرق بينه وبين الراية

فالأحاديث التي جاءت على ذكر الراية واللواء في الحرب وغيرها كثيرة وتقطع باستحبابها، أولاً: تأسّياً بالمصطفى ﷺ، وثانياً: لأسباب معنوية يأتي ذكرها. قال الحافظ في الفتح: (وفي هذه الأحاديث استحبابُ اتخاذ الألوية في الحروب، وأنَّ اللواء يكون مع الأمير أو من يقيمه لذلك عند الحرب)[١].

فكان النبي ﷺ لا يقاتل أو يرسل للقتال إلا تحت راية أو لواء، ولذا حرص عليها الصحابة رضوان الله عليهم أشدّ الحرص؛ ففي حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب..." الحديث.

وجاء في تاريخ الوزير لجودت باشا التركي نقلاً عن تاريخ واصف: (إنَّ السرَّ في إحداث اللواء هو أنَّه إذا اجتمع قوم تحت لواء واحد يجعل بينهم الاتحاد، بمعنى أنَّ هذا اللواء يكون علامةً على اجتماع كلمتهم، ودلالةً على اِتّحاد قلوبهم، فيكونون كالجسد الواحد، ويألف بعضهم بعضاً أشدَّ من ائتلاف ذوي الأرحام، وإذا كانوا في معركة القتال لا ييأسون من الظفر ما دام لواؤهم منشوراً، بل تقوى همَّتُهم ويشتد غرمهم، فإذا سقط لواؤهم أُخِذوا من جانب العدو وباتوا موضعاً للخوف والرهبة، فيُهزم بعضُهم ويتبدَّد البعض الآخر).

بل إنَّ عقد اللواء كان أوسع من مجرد الحرب بمفهومها الاصطلاحي، وأنَّ دور اللواء والراية ليس في الدنيا فحسب، بل إنَّ ظاهر الأحاديث يدلُّ على أنه يكون أيضاً في الآخرة؛ فأخرج الترمذي -وقال: حسن صحيح- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر"، وفي الصحيحين عن كلِّ مِن ابن مسعود وابن عمر وأنس رضي الله عنهم أجمعين: "لكل غادر لواء يوم القيامة"[٢].

---

[١] (ج٦/ص١٥٨).
[٢] البخاري (٣٠١٥، ٣٠١٦)، ومسلم (١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧).

الفرق بين الراية وبين اللواء

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنَّ راية النبي ﷺ مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، وكان إذا استحرَّ القتال كان رسول الله ﷺ ممَّا يكون تحت راية الأنصار)[١]، وعند البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: (أنَّ قيس بن سعد الأنصاري صاحبُ لواء رسول الله ﷺ)، أي سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج وحامل لواء الأنصار في المعارك ويوم فتح مكة، قبل أنْ يأخذه النبي ﷺ منه ويدفعه إلى ابنه قيس.

وقد جزم ابن العربي كما قال الحافظ في الفتح أنَّ هناك فرقاً بينهما، فقال: (اللواء غير الراية، فاللواء ما يُعقد في طرف الرمح ويُلْوى عليه، والراية ما يُعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح)[٢].

وقيل (إنَّ اللواء دون الراية في القدر والمكانة)، وصرح جماعة من أهل اللغة بترادف الراية واللواء، وقالوا في تعريف كل منهما: (علم الجيش)[٣]، قال ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الأثر: (اللواء: الراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش)[٤].

وقد صرح ابن حجر في الفتح أنَّ الراية هي اللواء وهما العلم، قال في كتاب الجهاد (باب ما قيل في لواء النبي ﷺ): (اللواء بكسر اللام والمد هي الراية، ويسمى أيضا العلم، وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه)[٥].

وأكَّد ابن حجر أنَّ الراية واللواء سواء عند الكلام على حديث سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: "لأعطين الراية، أو قال: ليأخذن غداً الراية رجل يحبه الله

---

[١] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٦٤٠)، ومن طريقه الإمام أحمد (ج١/ص٣٦٨)، ومن طريق أحمد ابن عساكر في تاريخه (ج٢٠/ص٢٤٩)، وقد قوّى سنده الحافظ في الفتح(ج٦/ص١٥٧)، وفي سنده عثمان الجزري وقد تكلّموا فيه وبعضهم حسّن روايته كما فعل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (ج١/ص١٨١) لحديث آخر، فالله أعلم.

[٢] (ج٦/ص١٥٦).

[٣] انظر كتاب (المغرب في ترتيب المعرب) لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (ج١/ص٣٥٨)(ج٢/ص ٢٥٢).

[٤] (ج٤/ص٥٧١).

[٥] (ج٦/ص١٥٦)

ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه"، قال الحافظ: (وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ: "إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله..." الحديث، وهذا مشعر بأنَّ الراية واللواء سواء)[١].

والظاهر أنَّ هناك فرقاً بين الراية واللواء؛ فعند الترمذي عن ابن عباس قال: (كانت رايةُ رسول الله ﷺ سوداءَ ولواءه أبيض)[٢]. جاء في تحفة الأحوذي: (الراية علم الجيش ويكنى أم الحرب، وهو فوق اللواء)[٣].

صفة راية النبي ﷺ

أخرج الإمام أحمد[٤] عن يونس بن عبيد مولى محمد بن القاسم قال: بعثني محمد بن القاسم إلى البراء بن عازب أسأله عن راية النبي ﷺ ما كانت؟ قال: (كانت رايةُ النبي ﷺ سوداء مربعة من نمرة)، أي من صوف[٥].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (أنَّ راية النبي ﷺ كانت سوداء)[٦]، وروى النسائي[٧] عن أنس: (أنَّ ابن أم مكتوم كانت معه راية سوداء في بعض مشاهد النبي ﷺ).

---

[١] (ج٦/ص١٥٧)

[٢] أخرجه الترمذي (ج٤/ص١٩٦-تحفة)، وابن ماجه أيضاً (٢٨١٨)، وهو حسن بشواهده.

[٣] (ج٥/ص٢٦٧).

[٤] المسند: (ج٤/ص٢٩٧)، وأبو داود: ٢٥٩١، والترمذي: (ج٤/ص١٩٦)-تحفة، والنسائي في الكبرى: (ج٥/ص١٨١)، والبخاري في التاريخ الكبير: (ج٨/ص٤٠٣)، والبيهقي في الكبرى: (ج٦/ص٣٦٣).

[٥] قال الحافظ الذهبي في الميزان (ج٤/ص٤٨٢): حديث حسن. أي بماله من شواهد، وإلا فسند هذا الحديث ضعيف من أجل جهالة راويه يونس بن عبيد مولى محمد بن القاسم، والراوي عنه أبو يعقوب الثقفي فيه ضعف أيضاً، لكن الحديث يرتقي إلى الحسن أو الصحة بشواهده، ومنها الآتية في نفس هذه الصفحة، لكن هذه الشواهد ليس فيها وصف الراية بأنها "مربعة" بل هي سوداء فحسب، فهذا الذي يصحّ من نصّ هذا الحديث، وعليه فلا بد من التوقّف في تقرير كون راية النبي ﷺ كانت مربعة، والله أعلم.

[٦] المعجم الكبير للطبراني: ١٧٥٨، وهو في الصغير له أيضاً (١٠٤٩)، بإسناد لا بأس به في الشواهد.

[٧] السنن الكبرى: (ج٥/ص١٨١) (برقم ٨٦٠٥)، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (ج٤/ص١٠٩): قال ابن القطان: إسناده صحيح.

وروى الإمام أحمد[1] عن الحارث بن يزيد البكري قال: (قدمت المدينة فدخلت المسجد، فإذا هو غاصٌّ بالناس، وإذا رايات سود تخفق، وإذا بلال متقلِّد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً)، وعليه؛ فإنَّ راية النبي ﷺ كانت سوداء مربعة من قطيفة أو صوف.

ما كان مكتوباً فيها

ذكر الحافظ عن أبي الشيخ من حديث ابن عباس: (كان مكتوباً على رايته لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وقال: (سنده واهٍ)[2].

وذكر أبو محمد عبد الله بن حبان الأصبهاني في كتاب (أخلاق النبي ﷺ) عن بُريدة: (أنَّ راية النبي ﷺ كانت سوداء، ولواءه أبيض، زاد ابن عباس[3]: مكتوب على لوائه لا إله إلا الله محمد رسول الله)[4].

---

[1] المسند: (ج٣/ص٤٨١- ٤٨٢)، والترمذي (ج٤/ص١٨٨)-تحفة - والنسائي في الكبرى: (ج٥/ص١٨١) (برقم ٨٦٠٧)، وابن ماجه (٢٨١٦)، والطبراني في الكبير: ٣٣٢٥-٣٣٢٩، والبخاري في التاريخ: (ج٢/ص٢٦٠) -مختصراً- والبيهقي في الكبرى: (ج٦/ص٣٦٣).

[2] (ج٦/ص١٥٦-١٥٧).

[3] وهو نفس الحديث السابق الذي قال عنه الحافظ في الفتح (ج٦/ص١٥٦-١٥٧): (سنده واهٍ).

[4] كتاب التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني.

سرية عبيدة بن الحارث

(ثم سريَّة عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانيةِ أشهر من مُهاجَر رسول الله ﷺ -الموافق لأبريل سنة ٦٣٢م- عُقِد له لواءٌ أبيض كان الذي حمله مِسطَحَ بن أُثَاثَة بن المطلب بن عبد مناف، بعثه رسول الله ﷺ في ستين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، فلقي أبا سفيان بنَ حرب، وهو في مئتين من أصحابه، وهو على ماء يقال له أحياء -أي جمع حي؛ ماءٌ أسفلَ ثنية المرة، كما في تاريخ الطبري[١]- من بطن رابغ على عشرة أميال مِنَ الجُحْفَة وأنت تريد قُدَيْداً عن يسار الطريق، وإنما نكبوا عن الطريق ليرعَوا ركابهم، فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطَفُّوا للقتال، وإنَّما كانت بينهم المناوشة، إلَّا أنَّ سعد بن أبي وقاص قد رمي يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم. وفي رواية ابن إسحاق: أنَّه كان على القوم عكرمة بن أبي جهل)[٢].

قال ابن هشام في السيرة: (وَفرّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إلَى الْمُسْلِمِينَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو الْبَهْرَانِيّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ جَابِرٍ الْمَازِنِيّ حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَا مُسْلِمَيْنِ وَلَكِنّهُمَا خَرَجَا لِيَتَوَصّلَا بِالْكُفّارِ)[٣].

وكان سعد يفخرُ برميه في هذه السرية كما في الصحيحين[٤]: عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ قَالُوا لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي).

وفي قصة رميه أنه: (نثَرَ كِنَانَتَهُ وَتقَدّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ وَترّسَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ، قَالَ فَرَمَى بِمَا فِي كِنَانَتِهِ حَتّى أَفْنَاهَا، مَا فِيهَا سَهْمٌ إلّا يَنْكِي بِهِ. وَيُقَالُ كَانَ فِي الْكِنَانَةِ

---

[١] (ج٢/ص١٢)
[٢] ابن سعد في الطبقات الكبرى: (ج٢/ص٧).
[٣] (ج٢/ص٢٤٢)
[٤] البخاري (٣٧٢٨)، ومسلم (٢٩٦٦).

عِشْرُونَ سَهْمًا، فَلَيْسَ مِنْهَا سَهْمٌ إلّا يَقَعُ فَيَجْرَحُ إنْسَانًا أَوْ دَابّةً. وَلَمْ يَكُنْ سَهْمٌ يَوْمَئِذٍ إلّا هَذَا، لَمْ يَسُلّوا السُّيُوفَ وَلَمْ يَصْطَفّوا لِلْقِتَالِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الرّمْيِ وَالْمُنَاوَشَةِ، ثُمّ انْصَرَفَ هَؤُلَاءِ عَلَى حَامِيَتِهِمْ وَهَؤُلَاءِ عَلَى حَامِيَتِهِمْ. فَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ يَقُولُ فِيمَا حَدّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ قَالَ: كَانَ السّتّونَ كُلّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ). قَالَ سَعْدٌ: (فَقُلْت لِعُبَيْدَةَ لَوِ اتبَعْنَاهُمْ لَأَصَبْنَاهُمْ فَإِنّهُمْ قَدْ وَلّوْا مَرْعُوبِينَ، قَالَ فَلَمْ يُتَابِعْنِي عَلَى ذَلِكَ فَانْصَرَفْنَا إلَى الْمَدِينَةِ)[1].

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ فِي رَمْيَتِهِ تِلْكَ فِيمَا يَذْكُرُونَ:

أَلا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللهِ أَنّي ... حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أَذُودُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَادًا ... بِكُلّ حُزُونَةٍ وَبِكُلّ سَهْلِ
فَمَا يَعْتَدّ رَامٍ فِي عَدُوّ ... بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ ... وَذُو حَقّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدْلِ
يُنَجّى الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُجْزَى ... بِهِ الْكُفّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلِ
فَمَهْلًا قَدْ غَوِيتَ فَلَا تَعِبْنِي ... غَوِيّ الْحَيّ وَيْحَكَ يَا ابْنَ جَهْلِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُهَا لِسَعْدٍ)[2].

الفوائد

- وفيه أهمية المال لأي دولة أو جماعة ناشئة، وأنَّه من أُسس بنائها، وأنَّ مال الغنيمة هو أصل ذلك المال لأنَّه أطيبُ المال وأكثره، ولا يمكن أنْ يفي بالمقصود إلَّا ما جاء بالسيف أو برهبة السيف.

- وفيه دوامُ حرص النبي ﷺ على التعرُّض لأموالِ الكفار وغنيمتِها طالما لذلك أدنى سبيل، وبه تعرفُ ضلالَ مَنْ تورَّع أنْ يموت في قتالِ طلبِ أموالِ الكفار، وأنَّ ورَعَه

---

[1] مغازي الواقدي: (ج١/ص١١).
[2] سيرة ابن هشام: (ج٢/ص٢٤٤-٢٤٥).

ورعٌ فاسد، وإنْ أصرَّ فهو كالمشرِّع لدين لم يأتِ به رسولُ الله ﷺ ولا عرفَه أو دانَ به أحدٌ مِن أصحابِه -رضوان الله عليهم أجمعين-.

- وفيه وجوبُ بذل الجهد في طلب السَّبب المعينِ على المطلوب، ويزداد قوةً إذا كان لا يتمّ إلّا به، وأنَّه لا عذرَ لِمن طلبَه ثم فاته ما دام يمكن أنْ يطمع في تحصيله مرة أخرى.

- وفيه ما ينبغي أن يتحلَّى به القائد من طول النفس ودوام الإلحاح على الهدف وعدم اليأس من رحمة الله وفضله.

- وفي فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه درسٌ في كيفيَّة الانحياز المنظَّم، وأن الرُّماة هم خير من يحمي ظهور الجيش ويمنع العدو من أي خطر يهدِّد قواتنا، وأنَّ الرماة هم آخر مَنْ ينسحب من الميدان.

وقد حدث لنا من ذلك الكثير إذ استطاع أبو عبد الرحمن التونسي رحمه الله في معركةٍ بحيِّ الجهاد -في بغداد- كان بها هجوم على مركز مكافحة الإرهاب؛ أقول: استطاع أنْ يُوقِف وحدَه تقدُّمَ قوةٍ كبيرةٍ جاءت مدداً من العامرية وذلك بقنصه سائقي العربات المتقدمة ورماة (الدوشكا) فتوقفوا ثم رجعوا خائبين، وكان رحمه الله قد اتَّخذ موقعاً حسناً فوق ظهر محل وموَّهَهُ جيداً، وقد حدثت له كرامة في ذلك اليوم -على ما أذكر- أنَّ عتاده انتهى فإذا به يجد شاجوراً بجانبه ممتلئً فرحمه الله رحمة واسعة، فقد كان أعظمَ قناصٍ سمعتُ أو قرأتُ عنه في حياتي، إذ قنص في يوم واحد ببغداد ثلاثة وستين كافراً وبشهادة نحو عشرة أشخاص، فمن ترك تَرَفَ أوروبا وجاء يسكب دمَه في بلاد الرافدين راجياً رفع راية الدين حريٌّ أنْ يوفِّقه الله، أسأل الله ألَّا يخيِّب رجاءه.

ومن فوائد قصة سعد رضي الله عنه في هذه السرية:

- ما منَّ الله به على سعد رضي الله عنه بتقديمه على الناس وتشريفه له وجعلِه أول مَنْ رمى في سبيل الله.

- وفيها معرفةُ الفضل لأهله وتعظيم أهل السبق في الدِّين، وأنَّ هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، فلا يدركُهم به اللاحقون ولو عظمت أعمالهم، وقد كان الفاروق يَخُصُّهم حتى في العطاء، فتقديم أهلِ السبق دين اليوم كما هو بالأمس ما داموا على الحق ثابتين.

- وفيها جواز أنْ يذكر الصالح ما قام به من عمل صالح تميّز به على غيره، وذلك إذا طُعن في دينه واتُّهم في عينِ ما شرَّفه الله به، أو رجا فائدة تعود على دينه.

وقال الإمام النووي[١]: (قَوْله: «وَاَللَّهِ إِنِّي لَأَوَّل رَجُل مِنَ الْعَرَب رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيل اللَّه تَعَالَى» فِيهِ مَنْقَبَة ظَاهِرَة لَهُ، وَجَوَاز مَدْح الْإِنْسَان نَفْسه عِنْد الْحَاجَة، وَقَدْ سَبَقَتْ نَظَائِره وَشَرْحهَا).

وقال ابن الجوزي[٢] في شرح حديث سعد السابق: (فإنْ قال قائل: كيف مدح هذا الرجل نفسه ومِنْ شأن المؤمن التواضع؟ فالجواب: أنَّه إذا اضطر الإنسان إلى إظهار فضله حَسُنَ إظهارُه، كما قال يوسف عليه السلام: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:٥٥]، فهذا لما عيَّره الجُهال اضطرَّ إلى ذكر فضله، واعلم أنَّ المدحة إذا خلت عن البغي والاستطالة على أهل الحق وكان مقصود قائلها إقامةَ حقٍ أو إبطالَ جورٍ أو إظهارَ نعمة لم يُلَم، فلو أنَّ قائلاً قال: إِنِّي لحافظٌ لكتاب الله عالمٌ بتفسيره وبالفقه في الدين، يقصد بهذا إظهار الشكر أو تعريف المتعلِّم ما عنده ليستفيده، إذ لو لم يبيِّن ذلك لم يعلم ما عنده فلم يطلب؛ لم يستقبح ذلك، ولهذا المعنى قال يوسف عليه السلام: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}، وقال نبينا عليه السلام: "أنا أكرم ولد آدم على ربه").

وقال ابن عبد البر في التمهيد: (وفيه جوازُ مدح الرجلِ الفاضل الجليل لنفسه، ونفيُه عن نفسه ما يعيبُه، بالحق الذي هو فيه وعليه، إذا دفعت إلى ذلك ضرورة أو معنى يوجب ذلك فلا بأس بذلك، وقد قال الله عزَّ وجل حاكياً عن يوسف ﷺ أنَّه قال: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}، وقال رسول الله ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ

[١] شرح صحيح مسلم: (ج١٨/ص١٠١).
[٢] كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي.

وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"، "وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ"، ومثل هذا كثير في السنن، وعن علماء السلف لا يُنكِر ذلك إلَّا مَنْ لا عِلم له بآثار مَنْ مضى)[١].

وفي فرار المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما من جيش المشركين إلى جيش المسلمين فوائد جمة، منها:

- جوازُ الانغماس في صفِّ العدو لتحقيق هدف معيَّن به نصرةٌ للدِّين ويعود على المنفعة للمسلمين.

- وفيها جوازُ التشبُّه بالعدو لمن خاف بطشَهم ويأمنُ على دينه بذلك مِنْ مَكرِهم، إذا دعت لذلك ضرورة، أو رجا مصلحةً لدينِه ظاهرةً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر، بَل قد يُستحب للرَّجل أو يجب عليه أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر إذا كان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم إلى الدين والاطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم عن المسلمين، ونحو ذلك من المقاصد الصالحة)[٢].

أما إنْ كان عن هوى أو مِنْ غير ضرورة فقد (تكلَّم أصحابُ أبي حنيفة في تكفيرِ مَنْ تشبّه بالكفار في لباسهم وأعيادهم، وقال بعض أصحاب مالك: من ذبح بطيخة في أعيادهم، فكأنما ذبح خنزيرا)[٣].

- وفيها أنَّه على المستضعفين بذلُ كلِّ حيلةٍ للخلاص مِن قبضة مَنْ يفتِنُونَهم في دينهم، وأنَّه لا يسعُهم إلا ذلك، وسنأتي إنْ شاء الله على هذه المسألة في غزوة بدر.

- وفيها استحباب فرارِ المسلم بدينِه إلى طائفة المسلمين المجاهدين ولو كانوا قلةً مستضعفة خائفة، ولو كان في ذلك تركُ المالِ والصحبِ والولدِ.

---

[١] (ج٢٠/ص٣٩).
[٢] اقتضاء الصراط المستقيم: (ص١٧٦-١٧٧).
[٣] الاقتضاء: (ص١٣٥).

- وفيها ما كان عليه الصحابة من التعلُّق بأسباب النجاة ولو كانت ضعيفة، وما حباهم الله به من طول نفس وحرص على ما ينفعهم في دينهم.

- وفيها أنَّه يَجِب على المسلم ألَّا يُضَيِّعَ أيَّ فُرصَة تلوح له وخاصةً إذا كان فيها النجاة بدينه؛ حيث أنَّهما رضي الله عنهما عرَّضا أنفسَهُما للقتل بالسيف أو السهام أثناء عملية الفرار، وأنَّه ﷺ لم يُضيّع فرصةَ وجودِ العيرِ في قلب الصحراء بعيداً عن مركز المَنَعة، فالعاجزُ مَنْ أتبع نفسَه هواها وتمنّى على الله الأماني.

- وفيها بركةُ الغزو في سبيل الله، وأنَّ ثِماره لا تُعدُّ ولا تُحصى، فكثيرٌ مِنْ خيراتِه تَحدُث ولم تكن مطلوبة في ذاتها، بحيث يظن البعيد أنَّ ما حدث تبعاً كان مقصوداً لذاته، كالرجوع بالصحابِيَّين وتخليصِهم مِنْ بَراثنِ المشركين، وهم خرجوا طلباً للعير، وقد عاينَّا من ذلك الكثير والحمد لله.

- وفيه أنَّه مَنْ طلبَ الجهادَ وعمومَ الخير بِصدقٍ سهَّل الله له ما يُعينُه على مطلوبه مِنْ حيث لم يحتسب.

- وفيها أنَّه يَنبغي للمسلم أنْ يقومَ بكلِّ ما هو مشروعٌ لرفعِ معنوياتِ إخوانه، والنَّيلِ من عزيمة أعدائه.

فصل في أمير الغزوة (عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف)

(هو أبو معاوية، وقيل: أبو الحارث، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، أسلم قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقمِ بن أبي الأرقم، أسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبد الله بن الأرقم وعثمان بن مظعون رضى الله عنهم في وقت واحد، وهاجر عبيدةُ مع أخويه الطفيل والحصين ابني الحارث ومع مسطح بن أبي أثاثة بن المطلب إلى المدينة ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وكان لعبيدة قدرٌ ومنزلةٌ عند رسول الله ﷺ)[1]، وهو (من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام)[2]، وهو أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ومات من الضربة التي ضُربها يومئذ؛ فعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: (تَقَدَّمَ؛ يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ، فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قُمْ يَا حَمْزَةُ قُمْ يَا عَلِيُّ قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ"، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ)[3].

وفي صحيح البخاري: (عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩]، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ؛ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ).

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البرّ: (ج١/ص٣١٣)، أسد الغابة لابن الأثير: (ص٧٣٧)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي: (ج١/ص ٤٣٦).

[2] الأعلام للزركلي: (ج٤/ص١٩٨).

[3] رواه أبو داود: ٢٦٦٥، وهو صحيح كما في صحيح أبي داود: ٢٣٢١، ونحوه عند الإمام أحمد: (ج١/ص١١٧).

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ: {هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ؛ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ)[١].

وبهذا الحديث العظيم في مفارقة المشركين ولو كانوا أقرب الأقربين ختم الإمام مسلم صحيحه.

(ويروى أنَّ رسول الله ﷺ لما نزل بأصحابه بالتاربين قال له أصحابه: إنا نجد ريح المسك، قال: "وما يمنعكم؟ وها هنا قبر أبي معاوية"، وقيل: كان لعبيدة بن الحارث يوم قتل ثلاث وستون سنة، وكان رجلاً مربوعاً حسن الوجه[٢])[٣].

الفوائد

في سيرة وسرية عبيدة رضي الله عنه فوائد؛ نجمعها هنا كونه أمير السرية رغم موته رضي الله عنه بعد ذلك.

- منها أنَّ الجهاد إذا تعيَّن وجب على الجميع الشيخ والشاب، ولا تنفع عند الله معاذير خاطئة وفوائد موهومة، كدعم عن بعد (لوجستي)، فإنَّه رضي الله عنه قاد وغامر وهو فوق الستين عاماً، بل إنَّه لبَّى أمر النبي ﷺ في المبارزة بين يدي الصف على الرغم مِنْ أنَّه أكبرُ الجيش سناً، فقد تعيَّن عليه حينئذ، فقتال الأعداء بالسلاح واجب اليوم على شيوخ المسلمين كشبابهم ما لم يكن صاحبَ عذر حقيقي.

- ومنها تبكيت وتقريع الشباب القاعدين عن الجهاد المتعيَّن.

- ومنها الفضيلة الكبيرة والشرف العظيم لهذا الصحابي الجليل وشجاعته الكبيرة التي أهَّلته لاختيار رسول الله ﷺ له أن يبارز بين الصفين، فقد سبق الناس في أمور أهمها:

[١] البخاري: ٣٩٦٦، ومسلم: ٣٠٣٣.
[٢] وساقه ابن عبد البرّ هناك هكذا ومن دون إسناد وبصيغة التمريض للضعيف: "ويُروى..."، فالله أعلم.
[٣] الاستيعاب (ج١/ص٣١٣)

– أنَّه عُقد له أول أو ثاني لواء –على اختلاف– للجهاد في سبيل الله.

– وأنَّه أول من بارز بين يدي رسول الله ﷺ وقتل شهيداً في أعظم معارك الإسلام أثراً.

– وأنَّه أكبر مجاهدٍ في سبيل الله سناً بأشرف معارك الإسلام.

– وأهمّها: أنه أولُ، أو مِن أولِ من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة مع من قتله من الكفار، وشرّفه الله وصاحبيه أنَّه أنزل فيهم قرآنًا.

فصل من هو حامل اللواء (مسطح بن أثاثة)

(مِسْطَح بن أُثَاثَة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد: صحابي، من الشجعان الأشراف. كان اسمه عوفاً ولقب بمسطح فغلب عليه. أمه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يموّنه لقرابته منه، فلما كان حديث أهل الإفك في أمر عائشة جلده النبي ﷺ مع من خاضوا فيه. وهو ممن شهد معه بدراً وأحداً والمشاهد كلها)[1].

وفي قصة الإفك وما كان من أبي بكر، عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ الْحَدِيثِ[2]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ...}الْآيَاتِ الْعَشْرَ كُلَّهَا فِي بَرَاءَتِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: (وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ...} الْآيَةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: (بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي)، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا)[3].

الفوائد

- عِظَم شأن مسطح رضي الله عنه، فإنَّه مقطوع له بأنه من أهل الجنة، فهو من القلّة الذين ما تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، فهو ممَّن اصطفاه الله فجعله من أهل بدر ثم اصطفاه فكان ممن رضي الله عنهم في بيعة الرضوان، وأنَّه أولُ أو ثاني مَن حمل لواءً لإقامةِ الدين في الأرض والجهاد في سبيل الله، وأنَّ الله أنزل قرءانًا يُخبِر عن صِدق نيّته وحسن طويته وإخلاص هجرته، فقال سبحانه: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور:٢٢].

---

[1] الأعلام: (ج٧/ص٢١٥)، وانظر ترجمته في الإصابة: (ج٦/ص٩٣).
[2] هذا نصّ قول الزهري راوي الحديث عن عدد من التابعين.
[3] البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

قال صاحب أضواء البيان: ({وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ}، فدلّ على أن هجرته في سبيل الله)[١].

- وفيها أنَّ الشريف القدرَ الرفيع الشأنَ قد يصدر منه الخطأ، فلا ينبغي أبداً ذِكره به وتجاهل سَيلِ حسناته إلَّا لضرورة شرعية، فإنَّه وللأسف الشديد نشأنا في جيل لا يعرف عن فارسنا إلا أنَّه خاض في الإفك، وهي مسؤولية الدعاة.

قال الذهبي: (إياك يا جري -أي جريء- أن تنظر إلى هذا البدري شزراً لهفوة بدت منه، فإنها قد غُفرت، وهو من أهل الجنة)[٢].

- وفيها أنَّه على الرَّغم مِن علو قدر هذا الصَّحابي وكونِه من أبطال الصحابة، إلَّا أنَّه كان يعيش حالةَ فقرٍ شديدة، وبنصِّ كتاب الله وسنةِ رسوله، وفي هذا موعظة مهمة وتسلية لمجاهدينا الأبطال الفقراء في زماننا هذا، ورسالة بالصبر على الدين.

---

[١] (ج٥/ص٤٨١)

[٢] سير أعلام النبلاء :(ج١/ص١٨٨).

فصل موقع السرية

(الأحياءُ: جمع حي من أحياء العرب، أو هي ضد الميت. قال ابن إسحاق: غزا عبيدة بن الحارث بن المطلب الأحياء، وهو ماء أسفل من ثنيَّة المُرَّة)[1].

و(رَابغ: بكسر ثانيه، وبالغين المعجمة: موضع بين المدينة والجحفة، وهو مِن مرّ، ومر: منازل خزاعة، وذلك أنَّ الأزد تفرَّقت، فمضى بنو جفنة إلى الشام، وانخزعت خزاعة، فنزلوا مراً وما حولها، وبصدر رابغ لقي عبيدة بن الحارث عير قريش، حين بعثه رسول الله ﷺ، وفيهم أبو سفيان بن حرب)[2].

(والْجُحْفَةُ: تُوجَدُ الْيَوْمَ آثَارُهَا شَرْقَ مَدِينَةِ رَابغٍ بِحَوَالَيْ (٢٢) كَيْلًا، إذَا خَرَجْت مِنْ رَابغٍ تَؤُمُّ مَكَّةَ كَانَتْ إلَى يَسَارِك حَوْزُ السَّهْلِ مِنَ الْجَبَلِ)[3].

الفوائد

[1] معجم البلدان: (ج١/ص١١٨).
[2] معجم ما استعجم: (ج٢/ص٦٢٥).
[3] المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: (ص٦٧).

– وفيها حُسن اختيار المكان، فقد سبق أنَّ موقع اللقاء كان في ديار خزاعة، وخزاعة كما روى البخاري في صحيحه في قصة الحديبية عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قالا: (فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ).

وعن (مُحَمَّدٍ، يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَتْ خُزَاعَةُ فِي عَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا، لَا يُخْفُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ)[1].

قال الحافظ في الفتح: (قَوْله: «وَكَانُوا عَيْبَة نُصْح» الْعَيْبَة بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة بَعْدهَا مُوَحَّدَة مَا تُوضَع فِيهِ الثِّيَاب لِحِفْظِهَا، أَيْ أَنَّهُمْ مَوْضِع النُّصْح لَهُ وَالْأَمَانَة عَلَى سِرّه، وَنُصْح بِضَمِّ النُّون وَحَكَى ابْنُ التِّين فَتْحهَا كَأَنَّهُ شَبَّهَ الصَّدْر الَّذِي هُوَ مُسْتَوْدَع السِّرّ بِالْعَيْبَةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَوْدَع الثِّيَاب)[2].

ولذا سارعت خزاعة إلى الدخول في حلفٍ مع رسول الله ﷺ كما رَوى الْبَيْهَقِيُّ[3] مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَا: (كَانَ فِي صُلْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ).

وبهذا يأمن الصحابة من غدر الحاقدين على الدين الجديد والمتعاطفين مع قريش الداعمين لهم، فأصحاب الأرض على أقلّ تقدير على الحياد.

وكذلك يأمن من وصول الخبر إلى المشركين أنَّ هناك من جاء يستهدف مالهم فيحتاطون لذلك، أو يكمنون للقادم ويحيطون بهم في منطقة وعرة التضاريس وعلى قلّة من الصحابة في العَدد والعُدَّة.

[1] رواه الإمام أحمد: (ج٤/ص٣٢٣)، وهو عند ابن هشام في السيرة أيضاً (ج٣/ص٣٢٦)، وإسناده حسن.
[2] (ج٥/ص٤٢٢).
[3] دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: (ج٥/ص٤٣)، وفي السنن الكبرى أيضاً (ج٩/ص٢٣٣) بسند جيد.

سرية سعد بن أبي وقاص

(ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ -الموافق مايو سنة ٦٢٣م- عقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو البهراني، وبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين (وقيل: في ثمانية) يعترض عيرًا قريش تمر به، وعهد إليه أن لا يجاوز الخَرَّار، والخرار حين تروح من الجحفة إلى مكة، أبار عن يسار المَحَجَّة قريب من خم، قال سعد: فخرجنا على أقدامنا فكنّا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة)[1].

وقال الواقدي: (وَقَدْ كَانَ النّبِيّ ﷺ عَهِدَ إلَيّ أَلّا أُجَاوِزَ الْخَرّارَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَجَوْت أَنْ أُدْرِكَهُمْ -قال الواقدي- كانت العير ستين)[2].

الفوائد

تعتبر هذه السرية بركة من بركات سرية عبيدة رضي الله عنه:

- ففيها أنَّ رسول الله ﷺ فطن إلى نبوغ سعد رضي الله عنه في الغزوة السابقة، فقد أظهر فيها جرأة نادرة وشجاعة هائلة، كما انه بدا أنه صاحب رأي وجلَد فعهد إليه بهذه المهمة الشاقة.

- وكذلك أدرك ﷺ أنَّ سعداً عنده جُرأة على العدو قد تكون زائدة أو لا يستطيعها من معه، فقد أشار على أميره في الغزوة السابقة قائلاً: (فَقُلْت لِعُبَيْدَةَ لَوِ اتّبَعْنَاهُمْ لَأَصَبْنَاهُمْ فَإِنّهُمْ قَدْ وَلّوْا مَرْعُوبِينَ، قَالَ فَلَمْ يُتَابِعْنِي عَلَى ذَلِكَ) فحدَّ من طموح سعد وجرأته في هذه الغزوة، فعهد إليه ﷺ ألا يجاوز الخرّار، وقد صدق حسُّه وهو الصادق دوماً وهو العسكري المجرّب، فقال سعد: (عَهِدَ إلَيّ أَلّا أُجَاوِزَ الْخَرّارَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَجَوْت أَنْ أُدْرِكَهُمْ).

---

[1] ابن سعد في الطبقات الكبرى: (ج٢/ص٧).
[2] مغازي الواقدي: (ج١/ص١١)، وأنظر تاريخ الطبري: (ج٢/ص١١)، السيرة النبوية لابن كثير: (ج٢/ص٣٣٩).

– وفيها وجوب تعهدِ الأمير بإصلاح ما عند جنوده مِنْ خلل، أو الحدِّ من تأثيرها ووضعُ الضوابط اللازمة لذلك والتأكيد عليها.

– وفيها ما كان عليه الصحابة من السمع والطاعة؛ فعلى الرغم من شدة المشقَّةِ وطولِ الطريق وعظيم الحاجة إلى المال وأنه سيعود إلى من غنمه، فإنَّ سعداً رضي الله عنه طمع تحصيل المال ورجى النجاة.

– وفيها بركة السمع والطاعة في أمور الجهاد عامة والغزو خاصة؛ فقد رجع سعد معافاً آمناً، وقد ثبت لدينا بالتجربة أنَّ أسوأ ما يكون في الغزو أن يخالف الأمير الميداني ما اتُفق عليه عند التخطيط للعملية، والتي ما جاءت خطتها إلا بعد دراسة ومشاورة ووضع الحلول للعقبات والخروج بأكثر المنافع وأقلّ الخسائر.

فإن إعمالَ الميدانيِّ رأيَه في الخطة والتي لم يتغير من حيثيات بياناتها شيءٌ في أرض الواقع له خطأ جسيم، نعم إن جَدَّ ما لم يكن في الحسبان وفيه مخاطر على الجند وجب الاجتهاد لهم، وإلا فلا، وأرجو أنْ يعيَ المجاهدون هذه الفقرة فهي شديدة الأهمية، وقد اكتويتُ بنارها مراراً غفر الله للجميع.

– وفيها وجوبُ أخذِ الحيطة والحذر وفعلُ كلِّ ما تيسر لكتمان أمر الغزو ولو كان في ذلك المشقة، أو ربما تفوت بعضُ الفُرص بسببه، ولكن فَواتَ الفُرصة خيرٌ مِن خَسارة رأسِ المال وضياعِ الرجال.

– وفيها ما يَجب أنْ يتعلَّمَه المسلم من الصبر على الجهاد في سبيل الله، وأنَّه لا يُشتَرط له كل أسبابه بل ما تيسر من أسبابه بعد بذل الجهد، فقد سار الصحابة على أقدامهم مئات الكيلومترات رغبة فيما عند الله.

– وفيها ما كان عليه قوة جهاز استخبارات النبي ﷺ بحيث حدَّد مكان مرور الهدف ووقت وصوله إلى مكان المعركة المرتقبة بدقة.

فصل في موضع السرية

الخرّار: وادٍ يصب في الجُحفة، (يقَعُ شَرْقَ رَابغٍ عَلَى قرَابَةِ (٢٥) كَيْلًا عِنْدَ غَدِيرِ خَمٍّ)[١]، (وخُم: موضع تَصب فيه عينٌ بين الغدير والعين، وبينهما مسجد رسول الله ﷺ، وقال عرام: ودونَ الجحفة على ميلٍ غديرُ خُمٍ وواديه يَصُب في البحر لا نبت فيه غير المرخ والثمام والإراك والعُشَر)[٢].

[١] المعالم الجغرافية: (ص٩٤).
[٢] معجم البلدان: (ج٢/ص٣٨٩).

فصل في حامل اللواء

(المقدادُ بن الأسودِ الكندي: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البَهراني وقيل الحضرمي. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن ثعلبة أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموت فحالف كِندة فكان يقال له الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد، فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فحالف الأسودَ بنَ عبدِ يغوث الزهري وكتب إلى أبيه فقدم عليه، فتبنى الأسود المقداد فصار يقال المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك، فلما نزلت: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} [الأحزاب:٥]، قيل له المقداد بن عمرو واشتهرت شهرته بابن الأسود. وكان المقداد يكنى أبا الأسود وقيل كنيته أبو عمر وقيل أبو سعيد. وأسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر حتى إنَّه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره.

وقال زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم. وقال مخارق بن طارق عن ابن مسعود: شهدت مع المقداد مشهداً لأن أكونَ صاحبَه أحبُّ إلي مما عدل به. وذكر البغوي من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر: أول من قاتل على فرس في سبيل الله المقداد بن الأسود. ومن طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن عمته قريبة عن عمتها كريمة بنت المقداد عن أبيها: شهدت بدراً على فرس لي يقال لها سبحة)[١].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ، وَمَا كَانَ مِنَّا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ)، أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح.

---

[١] الإصابة: (ج٦/ص٢٠٢-٢٠٣).

وخبر زواجه من ابنة عمّ النبي ﷺ ثابت، ففي الصحيحين[١]: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا: "لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ؟" قَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا: "حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي"، وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ).

(وشهد المقداد فتح مصر ومات في أرضه بالجرف، فحُمل إلى المدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين)[٢]، (وغزا إفريقية أيضاً مع عبد الله بن سعد سنة سبع وعشرين)[٣].

وهو صاحبُ المواقف العظيمة الخالدة في تاريخ الإسلام والجهاد في سبيل الله، ففي صحيح البخاري: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: (شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ؛ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا}، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ، يَعْنِي قَوْلَهُ).

وثبت بسند صحيح عند أحمد[٤]: عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّانَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ فَعَلْنَا فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

---

[١] البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (١٢٠٧).

[٢] الاستيعاب:(ج١/ص٤٦٦).

[٣] تاريخ دمشق: (ج٦٠/ص١٥٢).

[٤] ووردت عين هذه القصة بنفس السند عند مسلم في صحيحه (١٧٧٩) وفيها نسبة هذا القول لسعد بن عبادة، وذكر الحافظ في الفتح (ج٧/ص٣٦٥) رواية لابن إسحاق وموسى بن عقبة فيها نسبة هذا القول لسعد بن معاذ، ثم بيّن الحافظ الترجيح بأن نسبته لسعد بن عبادة وهم لأنه لم يشهد بدراً، وأما نسبته للمقداد ولسعد بن معاذ فصحيحة لأن استشارة النبي ﷺ للناس حصلت مرتين، فالله أعلم.

ومع ذلك فقد كان المقداد يعيش حالة فقر مُدقِع فلا يجد ما يَسُد به غائلةَ الجوع، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: (قَدِمْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ، فَتَعَرَّضْنَا لِلنَّاسِ فَلَمْ يُضِفْنَا أَحَدٌ، فَانْطَلَقَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ وَعِنْدَهُ أَرْبَعُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ لِي: "يَا مِقْدَادُ جَزِّئْ أَلْبَانَهَا بَيْنَنَا أَرْبَاعًا"، فَكُنْتُ أُجَزِّئُهُ بَيْنَنَا أَرْبَاعًا) أخرجه الإمام أحمد، وإسناده صحيح.

وإنما قدمنا الكلام عنه هنا لأنَّه لم يتأمَّر في غزوة أو سرية تتيح لنا الحديث عنه إلَّا في هذه السرية فيما نعلم، فقد جاء عند الطبراني[1]، عن المقداد بن الأسود قال: (بعثني رسول الله ﷺ مبعثاً، فلما رجعت قال لي: "كيف تجد نفسك؟" قلت: ما زلت حتى ظننت أن معي حولاً لي، وايم الله لا ألى على رجلين بعدها أبداً).

فهو الخائفُ على نفسه المراقب لها، القائل كما عند الطبراني[2]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً".

الفوائد

سبق وقلنا إنَّ هذه السرية حسنة من حسنات التي سبقتها، فإن المقداد رضي الله عنه كما أسلفنا فرَّ من المشركين إلى المسلمين فيها.

وفي الحديث عن المقداد فوائد جمّة، نقتصر على ما أوردناه عليه من سيرته، وسريته موضوع الباب:

- ففيها أنَّ من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، فقد شارك رضي الله عنه في غزوةٍ في سبيل الله بعد شهر فقط مِن لجوءه إلى المسلمين، بل وكان محورَ رجالها وعمودَها الفقري، حامل راية رسول الله ﷺ.

[1] في الكبير: ٢٠/رقم ٦٠٩، وهو عند النسائي أيضاً في الكبرى: ٥/٢٢٧، والحاكم (ج٣/ص٣٩٣)، بسند لا بأس به يمكن أن يحسّن.

[2] في الكبير: ٢٠/رقم ٥٩٩، وابن أبي عاصم في السنة: ٢٢٦ بسند صحيح.

- وفي تكليفه بعد شهر من رسول الله ﷺ استفادة من حداثة حقده وشِدَّة وجدِه على المشركين، كما أنَّه قريبُ العهد بفقد ماله في تجارته السابقة.

- وفيها سابقة فضله الكبيرة أنَّه أولُ مَن قاتل على فرسٍ في سبيل الله.

- وفيها رغبته رضي الله عنه فيما عند الله وزهده في الدنيا وتطليقه إياها وهو الفارس الفريد والبطل الصنديد، إلى الحدّ الذي لا يجد ما يأكله فلم يتفاخر بعمله ولا حاول الترفّع بشجاعته، قائلاً: كيف لفارس المسلمين الوحيد في معركة الإسلام لا يجد ما يُؤكل، ولو حدث مثلُها في زماننا لعدَّها الناسُ من نواقض الدين، وطاروا بخبرها كل مطير.

- وفيها الفرق بين الشجاعة والإمارة، فليس كل شجاع يصلح أنْ يكون أميراً، ولكن ينبغي لكلِّ أميرِ قِتال أنْ يكون شجاعاً، فرفض رضي الله عنه الإمارة وهرب منها لما خاف على نفسه وعمله، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ".

قال الإمام النووي رحمه الله[١]: (هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيم فِي اجْتِنَاب الْوِلَايَات، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْف عَنِ الْقِيَام بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَة، وَأَمَّا الْخِزْي وَالنَّدَامَة فَهُوَ حَقّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِل فِيهَا فَيُخْزِيه اللَّه تَعَالَى يَوْم الْقِيَامَة وَيَفْضَحهُ، وَيَنْدَم عَلَى مَا فَرَّطَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ وَعَدَلَ فِيهَا فَلَهُ فَضْل عَظِيم، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة كَحَدِيثِ: "سَبْعَة يُظِلُّهُمْ اللَّه"، وَالْحَدِيث الْمَذْكُور هُنَا عَقِب هَذَا: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُور"، وَغَيْر ذَلِكَ، وَإِجْمَاع الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِد عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَر فِيهَا حَذَّرَهُ ﷺ مِنْهَا، وَكَذَا حَذَّرَ الْعُلَمَاء، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِق مِنِ السَّلَف وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِين امْتَنَعُوا).

[١] شرح صحيح مسلم: (ج١٢/ص٢١٠-٢١١).

– وفي موقفه ببدر أمور، منها: شدة شجاعته رضي الله عنه ورباطة جأشه في أحلك المواقف، وكمال طاعته لنبي الله وأميره.

– ومنها معرفته الراقية كعسكري محنّك وفارس مجرب بما ينبغي أنْ يقوله الجندي إذا اشتدَّ الأمر وضاق الحال.

– ومنها الدراية النفسية العميقة بطبيعة الناس إذا اشتدَّ الأمر، فلذا سبق الأنصار بقوله: (يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ فَعَلْنَا فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، فقطع بقوله عليهم كل قول خلافه وحاشاهم، وحرضهم وساق الكلام والحديث كله إلى مجرى الثبات.

– ومنها أنَّ القيادة في موضع الحاجة والتقاء الصفين وخاصة إذا كانت على علم وإحاطة بطبيعة الموقف؛ تحتاج أنْ تسمع من جنودها ما يبشر بالثبات والسمع والطاعة وحسن الظن بالله، ولذا تهلّل وجه رسول الله ﷺ وفرح بقول المقداد رضي الله عنه، وهو الواثق بنصر الله وفتحه.

غزوة الأبواء

(وَأَصْل الْغَزْو الْقَصْد، وَمَغْزَى الْكَلَام مَقْصِده، وَالْمُرَاد بِالْمَغَازِي هُنَا مَا وَقَعَ مِنْ قَصْد النَّبِيّ ﷺ الْكُفَّار بِنَفْسِهِ أَوْ بِجَيْشٍ مِنْ قِبَله، وَقَصْدهمْ أَعَمّ مِنْ أَنْ يَكُون إِلَى بِلَادهمْ أَوْ إِلَى الْأَمَاكِن الَّتِي حَلُّوهَا حَتَّى دَخَلَ مِثْل أُحُد وَالْخَنْدَق)[1].

قال البخاري في أول كتاب المغازي: (قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ).

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (ثم غزوة رسول الله ﷺ الأبواء في صفر، على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره -في سنة ٢ هـ، الموافق أغسطس سنة ٦٢٣م- وحمل لواءَه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواءً أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة -سيد الخزرج- وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري، حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش فلم يلقَ كيداً، وهي غزوة ودَّان، وكلاهما قد ورد، وبينهما ستة أميال، وهي أول غزوة غزاها بنفسه. وفي هذه الغزوة وادعَ مَخْشِي بن عمرو الضَّمري، وكان سيدهم في زمانه، على أنْ لا يغزو بني ضَمْرَةَ ولا يغزوه، ولا يُكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً. وضمرة من بني كنانة. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكانت غيبتُه خمس عشرة ليلة. أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس أخبرنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال: غزونا مع رسول الله ﷺ أول غزوة غزاها الأبواء)[2].

قلت: والحديث كما رواه الطبراني[3]، عن عمرو بن عوف المزني قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الأَبْوَاءَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالرَّوْحَاءِ نَزَلَ بِعِرْقِ الظَّبْيَةِ، فَصَلَّى ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا اسْمُ هَذَا الْجَبَلِ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَبَارِكْ لأَهْلِهِ فِيهِ"، وَقَالَ لِلرَّوْحَاءِ: "هَذِهِ سَجَاسِجُ وَادٍ مِنْ

---

[1] فتح الباري: (ج٧/ص٣٥٤).
[2] (ج٢/ص٨).
[3] في الكبير: (ج١٧/رقم ١٢)، وأبو نعيم في الحلية: (ج٢/ص١٠)، وابن عدي في الكامل: (ج٦/ص٥٨).

أَوْدِيَةِ الْجَنَّةِ، لَقَدْ صَلَّى فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْلِي سَبْعُونَ نَبِيًّا، وَلَقَدْ مَرَّ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطْوَانِيَّتَانِ عَلَى نَاقَةٍ وَرْقَاءَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَاجِّينَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، وَلا تَمُرُّ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ بِهَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ")، قال الهيثمي في المجمع[1]: (رواه الطبراني من طريق كبير [كذا في الأصل، والصواب: كثير] بن عبد الله المزني وهو ضعيف عند الجمهور، وقد حسَّن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات)[2].

نص المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع بني ضمرة

(بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ لِبَنِي ضَمْرَةَ، فَإِنّهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنّ لَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ رَامَهُمْ إلّا أَنْ يُحَارِبُوا فِي دِينِ اللهِ مَا بَلّ بَحْرٌ صُوفَةً، وَإِنّ النّبِيّ إذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرِهِ أَجَابُوهُ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمّةُ اللهِ وَذِمّةُ رَسُولِهِ، وَلَهُمْ النّصْرُ عَلَى مَنْ بَرّ مِنْهُمْ وَاتّقَى)[3].

الفوائد

- فيها خروجه ومخاطرته ﷺ بنفسه الشريفة مجاهداً في سبيل الله، وطلباً لأموال الكفار، وتحريضاً للأمةِ شريفِهم وغيرِه، وجَلَدُه ﷺ على أمر الله، فقد خرج في الصيف بشدة الحرّ لمسافة طويلة.

- وفيها وفي السرايا السابقة بيان للسبيل الأنجع لدفع الفقر بطريقة مشرِّفة وبسبيل شرعية كريمة؛ وهي طلب أموال الكفار، وأنَّ ما سواه مِن الأعمال لا يقوم بالمطلوب ولا هو بشرف وعزَّة الغنيمة، ولهذا السبب وغيره خرج رسول الله ﷺ بأفقر القوم وهم المهاجرين في سبيل الله.

---

[1] (ص٦/ج٦٨)

[2] والحديث ضعيف جداً من أجل كثير بن عبد الله المزني هذا، وقد اتّهمه البعض بالكذب، رغم أن البخاري قد مشّاه كما قال الحافظ في الفتح (ج٧/ص٣٥٥)، وتبعه الترمذي فصحّح له حديثاً فقال الذهبي في الميزان (ج٣/ص٤٠٧) معلقاً: (فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي)، فالله أعلم.

[3] الروض الأنف: (ج١/ص٢٦٢)، وهو عند ابن سعد في الطبقات: (ج١/ص٢٧٤-٢٧٥)، وسبل الهدى والرشاد: (ج٤/ص١٤).

- وفيها أنَّ العمل في مهن الدنيا لدفع الفقر هو رضا بالدُّون من الكسب والعيش، وأسلوبُ الجبناء مِن القوم، فقد أحلَّ الله لنَا الغنيمة التي حُرِمَها الأممُ السابقة، وجعلَها أطيب الكسب، وكانت هي مصدر رزق نبينا، فإذا كان الجهادُ فرضَ عين وتركَه مدعياً كسبَ قوتِ عيالِه فهذا ضالٌ متبعٌ غير سبيل المؤمنين، وإنما عَمِل الأنبياء قبلَ رسول الله ﷺ لحرمةِ الغنيمةِ عليهم "فالخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم"، كما قال النبي ﷺ، في حديث جرير عند مسلم.

- وفيها بركة جهاد رسول الله ﷺ وحكمته، إذ عاهد في هذه الغزوة بني ضمرة، في وقتٍ هُم أحوج ما يكونون لتحييد أيِّ طائفة مِن المشركين، فمبدأ دفع الضرر الحاصل لا غبار عليه، كذلك ينبغي للقائد أنْ يعمل على دفع الضرر المرتقب قبل حدوثه، ولذا كانت هذه المعاهدة خاصة والقوم على شركهم.

- وفيها حكمته ﷺ كقائد عسكري، إذ عاهد قوماً على طريق حركته وحركة سراياه، فأمَّنَ بهذا العهد جزءاً مهماً مِن الطريق، ويدرك العسكري المجرّب أنَّ فعله ﷺ مكسبٌ كبير وعمل موفق جليل، خاصَّة أنَّه يرسل أعداداً محدودة العدد، قال القرطبي في تفسيره: (وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح، لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أنْ يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه)[١].

- وفيها ما يجب على أمراء الجهاد مِن بذل كل الأسباب الشرعية لسلامة جنودهم طالما لذلك سبيل، وأيُّ تهاونٍ في ذلك هو خيانةٌ للأمانة وقصور في الأداء.

- وفيها أنَّه يجب عل كل أمير يترك موضعَ إمارته لحاجة ولمدة قد تطول أنْ يستخلف مَن يكون على الناس بعده، وأنَّه ينبغي أنْ يستخلف مَن تنتظمُ كلمةُ الناس عليه لسابقته في الدين أو لشرفه في العشيرة، قال الله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

---

[١] (ج٨/ص٤٠).

– وفيها أنَّ الله يصطفي من خلقه ما يشاء؛ فاصطفى من الناس ومن الشهور ومن البلاد ومن الجبال، قَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا اسْمُ هَذَا الْجَبَلِ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَبَارِكْ لأَهْلِهِ فِيهِ"، وقد ثبت في صحيح البخاري[١]، عن أبي حميد الساعدي وسهل بن سعد وأنس رضي الله عنهم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"، واصطفى الله من الأودية، وَقَالَ لِلرَّوْحَاءِ: "هَذِهِ سَجَاسِجُ، وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْجَنَّةِ"، وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ قال: "أتاني آتٍ وأنا بالعقيق فقال: إنك بوادٍ مبارك"[٢].

مكان الغزوة

(الْأَبْوَاءُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ التِّهَامِيَّةِ، كَثِيرُ الْمِيَاهِ وَالزَّرْعِ، يَلْتَقِي فِيهِ وَادِيَا الْفَرْعِ وَالْقَاحَةِ فَيَتَكَوَّنُ مِنِ الْتِقَائِهِمَا وَادِي الْأَبْوَاءِ، كَتَكَوُّنِ وَادِي مَرِّ الظَّهْرَانِ مِنِ الْتِقَاءِ النَّخْلَتَيْنِ، وَيَنْحَدِرُ وَادِي الْأَبْوَاءِ إلَى الْبَحْرِ جَاعِلًا أَنْقَاضَ وَدَّانَ عَلَى يَسَارِهِ، وَثَمَّ طَرِيقٌ إلَى هَرْشَى، وَيَمُرُّ بِبَلْدَةِ مَسْتُورَةَ ثُمَّ يُبْحِرُ. وَيُسَمَّى الْيَوْمَ «وَادِي الْخُرَيْبَةِ» غَيْرَ أَنَّ اسْمَ الْأَبْوَاءِ مَعْرُوفٌ لَدَى الْمُثَقَّفِينَ، وَسُكَّانُهُ: بَنُو مُحَمَّدٍ مِنْ بَنِي عَمْرٍو، وَبَنُو أَيُّوبَ مِنَ الْبِلَادِيَّةِ مِنْ بَنِي عَمْرٍو)[٣].

وفي معجم البلدان: (والأبواءُ: قرية من أعمال الفُرع من المدينة، بينها وبين الجُحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا. وقيل: الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد يُنسب إلى هذا الجبل، وقد جاء ذكره في حديث الصعب بن جثامة وغيره. قال السكري: الأبواءُ جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرَة)[٤].

---

[١] البخاري: ١٤٨١، ١٤٨٢، ٢٨٩٣، وهو في صحيح مسلم ١٣٦٥، ١٣٩٢ عن أبي حميد وأنس.
[٢] قال الهيثمي في المجمع: (ج٤/ص١٤): (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح)، وسنده جيد قوي.
[٣] المعالم الجغرافية: (ص٣٦).
[٤] (ج١/ص٧٩).

وخارطة المكان تظهر أنَّ الأبواء وادٍ به آبار ومياه عذبة وأشجار كثيفة، ويبدو أنه كان عميقاً، حيث جاء في الروض المعطار: (وفي واديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف بواد أكثر منه)[1] ويمر الوادي بالقرب من جبل شاهق مشرف عليه.

وبيّن البكري في معجم ما استعجم أنَّ اسم الجبل الحشا فقال: («اَلحشا» بفتح أوله وثانيه مقصور: جبل شامخ مرتفع، وهو جبل الأبواء، وهي منه على نصف ميل، وهو عن يمين آرة، يمين الطريق للمصعد)[2].

والموقعُ على ما سبق لا يكاد يُضَاهى عسكرياً كموقعٍ لكمين، فالعدو إذا دخل الوادي مهما كبر حجمُه يُمكن لطائفةٍ صغيرةٍ من الرُّماة في الجبل أنْ تحدث فيهم نكايةً كبيرة، ثم مَن فرّ منهم أخذتهم سيوفُ المقاتلين المختبئين في وَسطِ غابةٍ من نبات الطُّرفة، وهو فوق ذلك به من الماء العذب ما لا يحتاجون معه إلى الحركةِ وكشفِ الكمين، فمعلوم أنَّ الطرفة لا تنبت إلا في المياه الكثيرة العذبة، فهو اختيارٌ يَنُمُّ عن مِهنية عسكرية عالية.

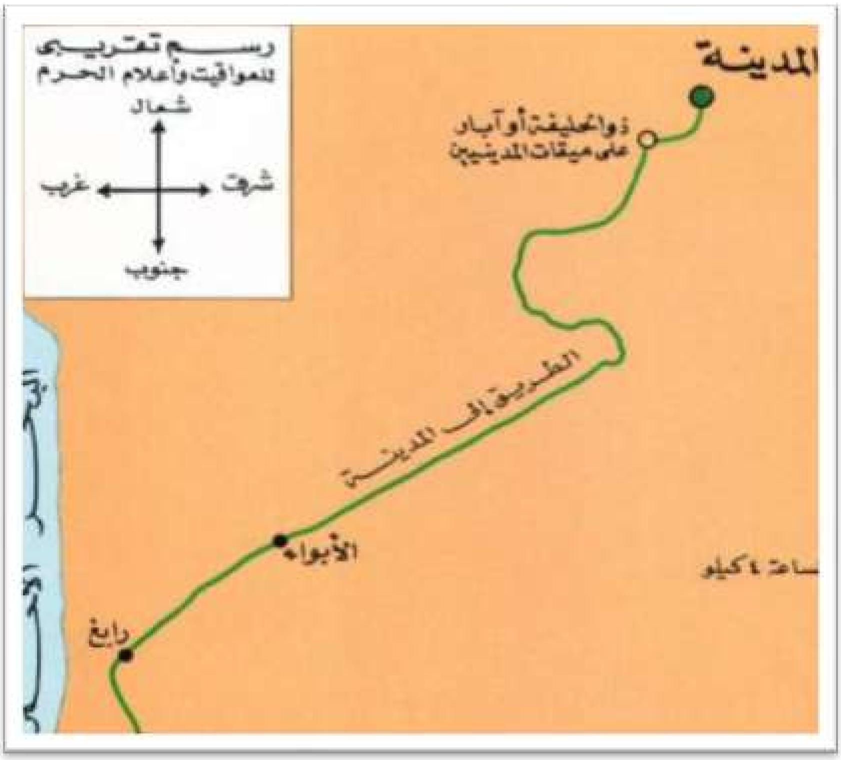

---

[1] (ص ٦)
[2] (ج١/ص٤٤٩).

المدينة
ذو الحليفة
الحفير
ملل
السيالة
الروحاء
الرويثة
المنصرف
السقيا
مضيق الصفراء
الأبواء
الفرع
الصفراء
الدبه
بدر
سهل بدر
ودان
الجحفة

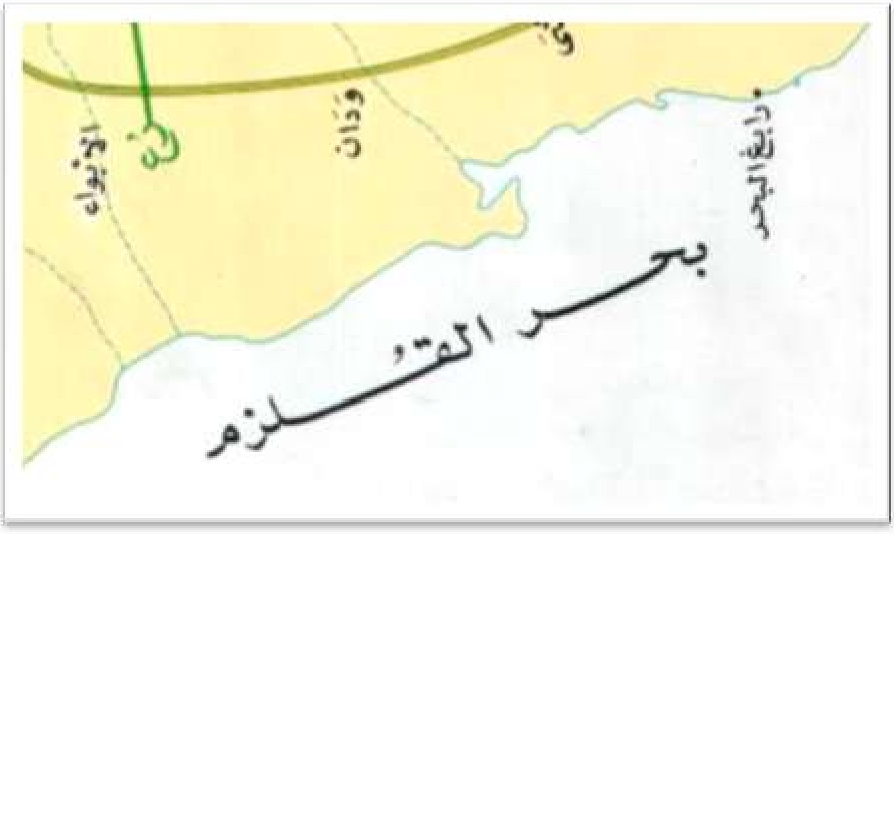
الأبواء
ودان
بحر القلزم

غزوة بواط

قال ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى: (ثم غزوةُ رسولِ الله ﷺ بواطًا، في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجَره -سنة ٢ هـ الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣م- وحمل لواءَه سعدُ بن أبي وقاص، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة سعدَ بن معاذ؛ سيِّد الأوس)[١].

وقال ابن هشام في السيرة: (واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون)[٢] أي: ابن حبيب الجمحي.

(وخرج في مئتين من أصحابه يعترض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومئة رجل من قريش وألفان وخمسمئة بعير، فبلغ بواطًا، وهي جبالٌ من جبال جهينة من ناحية رَضوى، وهي قريبٌ من ذي خشب ممَّا يلي طريقَ الشام، وبين بُواط والمدينة نحوٌ من أربعة بُرد، فلم يلقَ رسولُ الله ﷺ، كيداً فرجع إلى المدينة)[٣].

وفي هذه الغزوة حدثت أمور كثيرة كما في صحيح البخاري: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: سَأَلْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، فَقَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجِئْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ أَمْرِي فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي وَعَلَيَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَاشْتَمَلْتُ بِهِ وَصَلَّيْتُ إِلَى جَانِبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: "مَا السُّرَى يَا جَابِرُ؟" فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ: "مَا هَذَا الِاشْتِمَالُ الَّذِي رَأَيْتُ؟" قُلْتُ: كَانَ ثَوْبٌ يَعْنِي ضَاقَ، قَالَ: "فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ").

وأكد الحافظ في الفتح أنَّها غزوة بُواط موضوعُ الباب، فقال: (فِي قَوْله: «فِي بَعْض أَسْفَاره» عَيَّنَهُ مُسْلِم فِي رِوَايَته مِنْ طَرِيق عُبَادَة بْن الْوَلِيد بْن عُبَادَة عَنْ جَابِر «غَزْوَة بُوَاطٍ» وَهُوَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَة وَتَخْفِيف الْوَاو وَهِيَ مِنْ أَوَائِل مَغَازِيه ﷺ)[٤].

---

[١] (ج٢/ص٨).
[٢] (ج٢/ص٢٤٨)
[٣] الطبقات الكبرى، ابن سعد (ج٢/ص٨)
[٤] (ج١/ص٤٧٢).

وحديث مسلم عن جابر بن عبد الله من حديث عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فيه زيادات كثيرة ومهمة، أهمها ما ثبت بيقين عن سبب الغزوة وجاء فيه:

(سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْقُبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ: شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟" قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ").

(سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشَيْشِيَةٌ وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟" قَالَ جَابِرٌ فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟" فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبِئْرِ فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ ثُمَّ مَدَرْنَاهُ ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعٍ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَتَأْذَنَانِ؟" قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ فشَنَقَ لَهَا فَشَجَتْ فَبَالَتْ ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاخَهَا ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّأِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ فَنَكَّسْتُهَا ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَا جَابِرُ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ").

(سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً فَكَانَ يَمَصُّهَا ثُمَّ يَصُرُّهَا فِي ثَوْبِهِ وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا وَنَأْكُلُ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَأُقْسِمُ أُخْطِئَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا فَانْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعَشُهُ فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا فَأُعْطِيَهَا فَقَامَ فَأَخَذَهَا).

(سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: "انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ" فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: "انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ" فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَأَمَ بَيْنَهُمَا -يَعْنِي جَمَعَهُمَا- فَقَالَ: "الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ" فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ -وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ فَيَتَبَعَّدَ- فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا -وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا- ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: "يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟" قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ" قَالَ جَابِرٌ فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ فَانْذَلَقَ لِي فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: "إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ").

(قَالَ فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ" فَقُلْتُ أَلَا وَضُوءَ أَلَا وَضُوءَ أَلَا وَضُوءَ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ قَالَ فَقَالَ لِي: "انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟" قَالَ

فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قَالَ: "اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ" فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ ثُمَّ أَعْطَانِيهِ فَقَالَ: "يَا جَابِرُ نَادِ بِجَفْنَةٍ" فَقُلْتُ يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ وَقَالَ: "خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ"، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ بِاسْمِ اللَّهِ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ فَقَالَ: "يَا جَابِرُ نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ" قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا قَالَ فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلأَى).

(وَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُوعَ فَقَالَ: "عَسَى اللَّهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ"، فَأَتَيْنَا سِيفَ الْبَحْرِ فَزَخَرَ الْبَحْرُ زَخْرَةً فَأَلْقَى دَابَّةً فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ فَاطَّبَخْنَا وَاشْتَوَيْنَا وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا قَالَ جَابِرٌ فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا مَا يَرَانَا أَحَدٌ حَتَّى خَرَجْنَا فَأَخَذْنَا ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرَّكْبِ وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرَّكْبِ وَأَعْظَمِ كِفْلٍ فِي الرَّكْبِ فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ)[1].

وظاهر الحديث يدل على أنَّ بعضها كان في وقت واحد وفي نفس الغزوة، أي غزوة بواط وبعضها كان في وقت لاحق لكن امتداداً لنفس الغزوة؛ فأول الحديث عند مسلم واضح في أنَّ قصة التعاقب على الناضح ولعن الدابة كان في ذات الغزوة، ثم روى أبو نعيم في (معرفة الصحابة) ما يؤكد بالنصّ أنَّ قصة الحوض والاشتمال في الصلاة كانت في ذات الغزوة أي غزوة بواط، وحديث الاشتمال في الصحيح، ثم باقي قصة التمر والخبط رجّح الحافظ أنه كان في غزوة الخبط مع أبي عبيدة رضي الله عنه، فقد أرسله رسول الله ﷺ على رأس الجيش أو أغلبه يتعقب العير التي فاتته في نفس الغزوة.

---

[1] صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩، ٣٠١٠، ٣٠١١، ٣٠١٢، ٣٠١٣، ٣٠١٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري: (وظاهر سياقه أنَّ ذلك وقع لهم في غزوة مع النبي ﷺ، لكن يمكن حمل قوله: «فأتينا سيف البحر» على أنه معطوف على شيء محذوف تقديره: «فبعثنا النبي ﷺ في سفر فأتينا...» إلخ، فيتحد مع القصة التي في حديث الباب)[١].

وأكَّد الحافظ رحمه الله أنَّ توقيتها هو عينه توقيت غزوة بواط، فقال رحمه الله في الفتح: (وَمِمَّا نُنَبِّه عَلَيْهِ هُنَا أَيْضًا أَنَّ الْوَاقِدِيّ زَعَمَ أَنَّ قِصَّة بَعْث أَبِي عُبَيْدَة كَانَتْ فِي رَجَب سَنَة ثَمَان، وَهُوَ عِنْدِي خَطَأ لِأَنَّ فِي نَفْس الْخَبَر الصَّحِيح أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَتَرَصَّدُونَ عِير قُرَيْش، وَقُرَيْش فِي سَنَة ثَمَان كَانُوا مَعَ النَّبِيّ ﷺ فِي هُدْنَة، وَقَدْ نَبَّهْت عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَغَازِي، وَجَوَّزْت أَنْ يَكُون ذَلِكَ قَبْل الْهُدْنَة فِي سَنَة سِتّ أَوْ قَبْلهَا، ثُمَّ ظَهَرَ لِي الْآن تَقْوِيَة ذَلِكَ بِقَوْلِ جَابِر فِي رِوَايَة مُسْلِم هَذِهِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي غَزَاة بُوَاط، وَغَزَاة بُوَاط كَانَتْ فِي السَّنَة الثَّانِيَة مِنَ الْهِجْرَة قَبْل وَقْعَة بَدْر، وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ خَرَجَ فِي مِئَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابه يَعْتَرِض عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا أُمَيَّة بْن خَلَف فَبَلَغَ بُوَاطًا، وَهِيَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَة جِبَال لِجُهَيْنَة مِمَّا يَلِي الشَّام، بَيْنهَا وَبَيْن الْمَدِينَة أَرْبَعَة بُرُد، فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا فَرَجَعَ، فَكَأَنَّهُ أَفْرَدَ أَبَا عُبَيْدَة فِيمَنْ مَعَهُ يَرْصُدُونَ الْعِير الْمَذْكُورَة. وَيُؤَيِّد تَقَدُّم أَمْرهَا مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ الْقِلَّة وَالْجَهْد، وَالْوَاقِع أَنَّهُمْ فِي سَنَة ثَمَان كَانَ حَالهمْ اتَّسَعَ بِفَتْحِ خَيْبَر وَغَيْرهَا، وَالْجَهْد الْمَذْكُور فِي الْقِصَّة يُنَاسِب ابْتِدَاء الْأَمْر فَيُرَجَّح مَا ذَكَرْته، وَاللَّه أَعْلَم)[٢].

وهو ما نكاد أنْ نجزم به؛ فبالإضافة لما ذكره الحافظ نقول:

- أنَّه محال أنْ يرسل رسول الله ﷺ من المدينة ولمسافة طويلة ليس معهم من الطعام إلا جراباً من تمر، فإنَّ المدينة من بلاده ومحل نبته، ويمكن أنْ يجمع الرسول ﷺ من الناس ما يزيد عن ذلك بكثير، فحاجة الجيش إلى الطعام أهمّ من حاجة المقيم، وإلا قلنا إنَّ أهل المدينة جميعاً كانوا في حالة مجاعة عامة ليس في كل بيوتهم طعام، وأنهم على وشك الموت من شدة الجوع، وهذا ما لم يكن فقد ثبت في بعض روايات الحديث أنَّ الجهني

---

[١] (ج٨/ص١٠١).

[٢] (ج٩/ص٧٧٣-٧٧٤).

الذي ابتاع منه قيس بن عبادة الجزائر التي ذبحها جاء وأخذ مكان كل واحد منها وسقاً من تمر، وهذا في بيت واحد من بيوتهم فكيف بباقي بيوت الأنصار.

- إنَّ رسول الله ﷺ كان أرسلهم بهذا القدر من الطعام لأنَّهم بالفعل كانوا قريباً من المكان المطلوب، وهو على طريق رجوعهم أو بالقرب منه، وهو ما يؤكده خط سير الغزوة وجغرافية المكان، وأنَّ رسول الله ﷺ أعطاهم بالإضافة إلى ما معهم من طعام هذا الجراب، بدليل جمع أميرهم لأزواد الجيش لما شارف الأغلب على الانتهاء وأعطاهم إياهم من حصة النفر الذين عادوا مع رسول الله ﷺ لأنهم عجلوا في الرجوع بعد خمسة عشر يوماً بينما طالت سرية أبي عبيدة.

- أنَّ الصحابة الكرام ساروا بهذا الزاد القليل امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، ولأنهم كانوا على يقين أنَّ الله سوف يرزقهم من فضله، كيف وكأني بخبر انقياد الشجرتين لرسول الله ﷺ وسترهما إياه قد شاع في الجيش وأصبح حديثهم، فلم يثبت أنّ رسول الله ﷺ نهى جابراً عن إفشاء ما رآه، ومحال أن يكتم جابر هذه الكرامة العظيمة والمعجزة الكبيرة، فإذا انقاد له الشجر سمعاً وطاعة بإذن الله أفلا ينقاد له البشر ويكونون على يقين أنَّ الله رازقهم من حيث لم يحتسبوا، وهو ما كان بفضل الله.

- إنَّ هذا العَجز في المؤونة جاء لأنَّ مدَّة الغزوة زادت عن القدر المحدَّد لها كثيراً، ولأسباب تتعلق بطبيعة المهمة اضطرتهم للبقاء فترة طويلة، وهذه الأسباب لا ذكر لها فيما أعلم لا في كتب المغازي ولا الحديث، ويمكن لأيِّ عسكري أنْ يضع عشرات الاحتمالات والمبررات التي اضطرتهم لذلك، فهم كانوا على صواب في ذهابهم وبقائهم، فرضي الله عنهم جميعاً وجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

ومع ذلك فإني سأرجئ الكلام على هذه الغزوة إلى مكانها عند ابن سعد لما شرطناه على أنفسنا من التزام ترتيبه، ولكن لزم التنبيه في مقامه والحمد لله.

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث السابق[١]: (قوْله: «النَّاضِح» هُوَ الْبَعِير الَّذِي يُسْتَقَى عَلَيْهِ. وَأَمَّا الْعُقْبَة بِضَمّ الْعَيْن فَهِيَ رُكُوب هَذَا نَوْبَة، وَهَذَا نَوْبَة. قَالَ صَاحِب الْعَيْن: هِيَ رُكُوب مِقْدَار فَرْسَخَيْنِ، وَقَوْله: «وَكَانَ النَّاضِح يَعْقُبهُ مِنَّا الْخَمْسَة» هَكَذَا هُوَ فِي رِوَايَة أَكْثَرهمْ: «يَعْقُبهُ» بِفَتْحِ الْيَاء وَضَمّ الْقَاف، وَفِي بَعْضهَا: «يَعْتَقِبهُ» بِزِيَادَةِ تَاء وَكَسْر الْقَاف، وَكِلَاهُمَا صَحِيح، يُقَال: عَقَبَهُ وَاعْتَقَبَهُ، وَاعْتَقَبْنَا وَتَعَاقَبْنَا، كُلّه مِنْ هَذَا، قَوْله: «فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْض التَّلَدُّن» أَيْ تَلَكَّأَ وَتَوَقَّفَ، قَوْله: «شَأْ لَعَنَك اللَّه» هُوَ بِشِينٍ مُعْجَمَة بَعْدهَا هَمْزَة، هَكَذَا هُوَ فِي نُسَخ بِلَادنَا.

وَذَكَرَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى أَنَّ الرُّوَاة اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَرَوَاهُ بَعْضهمْ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَة كَمَا ذَكَرْنَاهُ. وَبَعْضهمْ بِالْمُهْمَلَةِ. قَالُوا: وَكِلَاهُمَا كَلِمَة زَجْر لِلْبَعِيرِ، يُقَال مِنْهُمَا شَأْشَأْت بِالْبَعِيرِ، بِالْمُعْجَمَةِ وَالْمُهْمَلَة إِذَا زَجَرْته وَقُلْت لَهُ شَأْ.

قَالَ الْجَوْهَرِيّ: وَسَأْسَأْت بِالْحِمَارِ بِالْهَمْزِ أَيْ دَعَوْته وَقُلْت لَهُ تُشُؤْ بِضَمّ التَّاء وَالشِّين الْمُعْجَمَة وَبَعْدهَا هَمْزَة. وَفِي هَذَا الْحَدِيث النَّهْي عَنْ لَعْن الدَّوَابّ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَان هَذَا مَعَ الْأَمْر بِمُفَارَقَةِ الْبَعِير الَّذِي لَعَنَهُ صَاحِبه، قَوْله: «حَتَّى إِذَا كَانَ عُشَيْشِيَة» هَكَذَا الرِّوَايَة فِيهَا عَلَى التَّصْغِير مُخَفَّفَة الْيَاء الْأَخِيرَة سَاكِنَة الْأُولَى. قَالَ سِيبَوَيْهِ: صَغَّرُوهَا عَلَى غَيْر تَكْبِيرهَا، وَكَانَ أَصْلهَا عَشِيَّة، فَأَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ شِينًا، قَوْله ﷺ: "فَيَمْدُر الْحَوْض" أَيْ يُطَيِّنهُ وَيُصْلِحهُ، قَوْله: «فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْض سَجْلًا» أَيْ أَخَذْنَا وَجَبَذْنَا، وَالسَّجْل بِفَتْحِ السِّين وَإِسْكَان الْجِيم الدَّلْو الْمَمْلُوءَة، وَسَبَقَ بَيَانهَا مَرَّات.

قَوْله: «حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ» هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيع نُسَخنَا، وَكَذَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عَنِ الْجُمْهُور، قَالَ: وَفِي رِوَايَة السَّمَرْقَنْدِيّ: أَصْفَقْنَاهُ بِالصَّادِ، وَكَذَا ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيّ فِي الْجَمْع بَيْن الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رِوَايَة مُسْلِم، وَمَعْنَاهُمَا مَلَأْنَاهُ.

[١] شرح صحيح مسلم: (ج١٨/ص١٣٨-١٤٢).

قَوْلـه ﷺ: «"أَتَأْذَنَانِ؟" قُلْنَـا: نَعَمْ» هَـذَا تَعْلِيم مِنْـهُ ﷺ لِأُمَّتِـهِ الْآدَاب الشَّـرْعِيَّة وَالْوَرَع وَالِاحْتِيَاط وَالِاسْتِئْذَان فِي مِثْل هَذَا، وَإِنْ كَانَ يَعْلَم أَنَّهُمَا رَاضِيَانِ، وَقَدْ أَرْصَدَا ذَلِكَ لَهُ ﷺ ثُمَّ لِمَنْ بَعْده.

قَوْله: «فَأَشْرَعَ نَاقَته فَشَرِبَتْ، فَشَنَقَ لَهَا فَشَجَتْ فَبَالَتْ» مَعْنَى «أَشْرَعَهَا» أَرْسَلَ رَأْسهَا فِي الْمَاء لِتَشْرَب، وَيُقَال: شَنَقَهَا وَأَشْنَقهَا أَيْ كَفَفْتهَا بِزِمَامِهَا وَأَنْتَ رَاكِبهَا. وَقَالَ اِبْن دُرَيْد: هُوَ أَنْ تَجْذِب زِمَامهَا حَتَّى تُقَارِب رَأْسهَا قَادِمَة الرَّحْل.

وَقَوْلـه: «فَشَجَتْ» بِفَاءٍ وَشِين مُعْجَمَة وَجِيم مَفْتُوحَات الْجِيم مُخَفَّفَة وَالْفَاء هُنَا أَصْلِيَّة يُقَال: فَشَجَ الْبَعِير إِذَا فَرَّجَ بَيْن رِجْلَيْهِ لِلْبَوْلِ، وَفَشَّجَ بِتَشْدِيدِ الشِّين أَشَدّ مِنْ فَشَجَ بِالتَّخْفِيفِ، قَالَهُ الْأَزْهَرِيّ وَغَيْره، هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ ضَبْطه هُوَ الصَّحِيح الْمَوْجُود فِي عَامَّة النُّسَخ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ وَالْهَرَوِيّ وَغَيْرهمَا مِنْ أَهْل الْغَرِيب، وَذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْع بَيْن الصَّحِيحَيْنِ: فَشَجَّتْ بِتَشْدِيدِ الْجِيم، وَتَكُون الْفَاء زَائِدَة لِلْعَطْفِ. وَفَسَّرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي غَرِيب الْجَمْع بَيْن الصَّحِيحَيْنِ لَهُ قَالَ: مَعْنَاهُ قَطَعَتِ الشُّرْب، مِنْ قَوْلهمْ: شَجَجْت الْمَفَازَة إِذَا قَطَعْتهَا بِالسَّيْرِ. وَقَالَ الْقَاضِي: وَقَعَ فِي رِوَايَة الْعُذْرِيّ: «فَثُجَّتْ» بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَة وَالْجِيم، قَالَ: وَلَا مَعْنَى لِهَذِهِ الرِّوَايَة، وَلَا لِرِوَايَةِ الْحُمَيْدِيّ. قَالَ: وَأَنْكَرَ بَعْضهُمْ اجْتِمَاع الشِّين وَالْجِيم، وَادَّعَى أَنَّ صَوَابه «فَشَحَتْ» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة، مِنْ قَوْلهمْ: شَحَا فَاهُ إِذَا فَتَحَهُ، فَيَكُون بِمَعْنَى تَفَاجَّتْ، هَذَا كَلَام الْقَاضِي، وَالصَّحِيح مَا قَدَّمْنَاهُ عَنْ عَامَّة النُّسَخ. وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ أَيْضًا صَحِيح، وَاللَّه أَعْلَم.

قَوْله: «ثُمَّ جَاءَ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى الْحَوْض فَتَوَضَّأَ مِنْهُ» فِيهِ دَلِيل لِجَوَازِ الْوُضُوء مِنَ الْمَاء الَّذِي شَرِبَتْ مِنْهُ الْإِبِل وَنَحْوهَا مِنَ الْحَيَوَان الطَّاهِر، وَأَنَّهُ لَا كَرَاهَة فِيهِ وَإِنْ كَانَ الْمَاء دُون قُلَّتَيْنِ، وَهَكَذَا مَذْهَبنَا.

قَوْله: «لَهَا ذَبَاذِبُ» أَيْ أَهْدَاب وَأَطْرَاف، وَاحِدهَا ذِبْذِب بِكَسْرِ الذَّالَيْنِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَتَذَبْذَب عَلَى صَاحِبهَا إِذَا مَشَى، أَيْ تَتَحَرَّك وَتَضْطَرِب.

قَوْله: «فَنَكَّسْتهَا» بِتَخْفِيفِ الْكَاف وَتَشْدِيدهَا.

قَوْله: «تَوَاقَصتْ عَلَيْهَا» أَيْ أَمْسَكْت عَلَيْهَا بِعُنُقِي وَخَبَنْته عَلَيْهَا لِئَلَّا تَسْقُط.

قَوْله: «قُمْت عَنْ يَسَار رَسُول اللَّه ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدَيَّ فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينه، ثُمَّ جَاءَ جَبَّار بْن صَخْر...» إِلَى آخِره، هَذَا فِيهِ فَوَائِد مِنْهَا جَوَاز الْعَمَل الْيَسِير فِي الصَّلَاة، وَأَنَّهُ لَا يُكْرَه إِذَا كَانَ لِحَاجَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِحَاجَةٍ كُرِهَ. وَمِنْهَا أَنَّ الْمَأْمُوم الْوَاحِد يَقِف عَلَى يَمِين الْإِمَام، وَإِنْ وَقَفَ عَلَى يَسَاره حَوَّلَهُ الْإِمَام. وَمِنْهَا أَنَّ الْمَأْمُومَيْنِ يُكَوِّنَانِ صَفًّا وَرَاء الْإِمَام كَمَا لَوْ كَانُوا ثَلَاثَة أَوْ أَكْثَر، هَذَا مَذْهَب الْعُلَمَاء كَافَّة إِلَّا ابْنَ مَسْعُود وَصَاحِبَيْهِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: يَقِف الِاثْنَانِ عَنْ جَانِبَيْهِ.

قَوْله: «يَرْمُقُنِي» أَيْ يَنْظُر إِلَيَّ نَظَرًا مُتَتَابِعًا.

قَوْله ﷺ: "وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حِقْوك" هُوَ بِفَتْحِ الْحَاء وَكَسْرهَا، وَهُوَ مَعْقِد الْإِزَار، وَالْمُرَاد هُنَا أَنْ يَبْلُغ السُّرَّة، وَفِيهِ جَوَاز الصَّلَاة فِي ثَوْب وَاحِد، وَأَنَّهُ إِذَا شَدَّ الْمِئْزَر وَصَلَّى فِيهِ وَهُوَ سَاتِر مَا بَيْن سُرَّته وَرُكْبَته صَحَّتْ صَلَاته، وَإِنْ كَانَتْ عَوْرَته تُرَى مِنْ أَسْفَله لَوْ كَانَ عَلَى سَطْح وَنَحْوه، فَإِنَّ هَذَا لَا يَضُرُّهُ) انتهى كلام النووي رحمه الله.

(وقد استدل بهذا الحديث من قال إنَّ الصلاة بإزار واحد مع إعراء المنكبين صحيحة؛ فإنَّ النبي ﷺ أمر جابراً أنْ يتَّزر ويصلي لما عجز عن ستر عورته ومنكبيه بالبردة التي عليه لضيقها)[1].

و(أن ذلك محمول على حالة العجز عن ستر المنكبين، والنهي عن إعرائهما إنما يكون للقادر على سترهما، وهذا أيضاً قول إسحاق، قال: إن أعرى منكبيه في الصلاة من ضرورة فجائز، نقله عنه حرب)[2].

فوائد أخرى

[1] فتح الباري لابن رجب: (ج٣/ص٧٦).
[2] المصدر السابق: (ج٣/ص٧٦-٧٧).

- ففيها حكمة النبي ﷺ العسكرية؛ فعلى الرغم من أنه كان يُحيِّد الأعداءَ في أول أمره بكل سبيل، إلَّا أنَّه ﷺ استخدم في هذه الغزوة قاعدة: أنَّ خيرَ وسيلةٍ للدفاع الهجوم، فأسرع إلى مُعاقبة مَن بدأ يشكل خطراً على الدولة النبوية، ولم ينتظر حتى يهاجموا المدينة أو يقطعوا الطريق على جيوشه، وخاصة إنَّ جهينة تعتبر قريبةً من المدينة ولابد من سُرعة معالجة أيِّ توتر فيها، وخوفاً من أن يتجرَّأ غيرُهم في الداخل والخارج.

- وفيها وجوبُ مُراعاةِ الطِّباعِ العَشَائريةِ، وروحِ التفاخر والتنافس الضاربة في أعماق النفس العشائرية؛ فاستخلف ﷺ في هذه الغزوة على المدينة سيِّد الأوس، وذلك بعدما استخلف عليها في الغزوة السابقة (الأبواء) سيد الخزرج سعد بن عبادة.

- وفيها شدة ضيق الحال التي كان عليها الجيش النبوي حتى إنَّ الصحابي يسير نحو ثلاثين كيلو متراً ويركب فقط أربعة كيلو مترات في شدة حرّ الصيف، بل إنَّ الشدة وصلت ببعضهم أنَّه لا يجد ما يكاد يَستر به عورتَه، ومع ذلك كانوا أسرعَ الناس إلى الخير وأقلَّهم تأفّفاً وضجراً.

- وفيها وجوبُ أخذِ الحيطة، وأنَّ المطلوب هو العمل، فإنَّ الله هو الناصر، وأننا ننصر بالرعب.

- وفيها عدم جوازِ الغزو على دابّة لعنها صاحبها مهما كان السبب، بِروح كانت أو بغير روح، وأنَّ مخالفة الأمر قد تكون سبباً في الهزيمة، وهذا ما نستشعره مِن فعل النبي ﷺ، فعلى الرغم من الحَاجة الشديدة والملحّة للدابة إلَّا أنَّه أمر بتركها.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ")[1].

---

[1] أخرجه مسلم: ٢٥٩٥.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: (بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ")، أخرجه مسلم، وفي رواية عنده: "لَا ايْمُ اللَّهِ لَا تُصَاحِبْنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ".

- وفيها أنَّ الداعية إلى الله والأمير إذا نبَّه على المسألة يُستحبُّ أنْ يشيرَ إلى نظائرها وأشباهها.

- وفيها جوازُ أنْ يخاطر الأميرُ ببعض جنوده لمنفعةٍ تعود على الجميع.

- وفيها جَواز أنْ يكلِّف الأميرُ بعضَ الجيش بعملٍ يعود نفعُه عليهم دونَ مقابل مادي.

- وفيها استحبابُ عَدم طَلب الحَاجة مباشرةً من الجنود إذا كانوا بجمع، بل حثُّهم على روح المنافسة والمسارعة إلى الخيرات، وخاصةً إذا كان المطلوب فيه مُخاطرة أو مشقة فإنَّ المبادرة فيهما أرجى في إتمام العمل، وقد كان هذا هو ديدن النبي ﷺ، فقال: "مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ"[١] - وقَالَ: "مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ"[٢]، وقال لما أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ"[٣].

فإذا لم يَستجِب أحدٌ لسبب ما، حينئذ يجزم ويسمي، فإن النبي ﷺ لما قَالَ: ("أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ")[٤]، وفي بدر قال: "قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ"[٥].

---

[١] رواه أبو داود: ٢١٨٣.
[٢] صحيح البخاري: ٢٦٩١.
[٣] صحيح مسلم: ١٧٨٩.
[٤] صحيح مسلم: ١٧٨٨.
[٥] رواه أبو داود: ٢٣٢١.

سبب الغزوة

قال في الفتح: (وَقَدْ ذَكَرَ ابْن سَعْد وَغَيْره: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ بَعَثَهُمْ إِلَى حَيّ مِنْ جُهَيْنَة بِالْقَبَلِيَّةِ بِفَتْحِ الْقَاف وَالْمُوَحَّدَة، مِمَّا يَلِي سَاحِل الْبَحْر، بَيْنهمْ وَبَيْن الْمَدِينَة خَمْس لَيَالٍ، وَأَنَّهُمْ انْصَرَفُوا وَلَمْ يَلْقَوْا كَيْدًا، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي رَجَب سَنَة ثَمَانٍ. وَهَذَا لَا يُغَايِر ظَاهِره مَا فِي الصَّحِيح لِأَنَّهُ يُمْكِن الْجَمْع بَيْن كَوْنهمْ يَتَلَقَّوْنَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ وَيَقْصِدُونَ حَيًّا مِنْ جُهَيْنَة، وَيُقَوِّي هَذَا الْجَمْع مَا عِنْد مُسْلِم مِنْ طَرِيق عُبَيْد اللَّه بْن مُقْسِم عَنْ جَابِر قَالَ: (بَعَثَ رَسُول اللَّه ﷺ بَعْثًا إِلَى أَرْض جُهَيْنَة)، فَذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّة، لَكِنَّ تَلَقِّي عِير قُرَيْش مَا يُتَصَوَّر أَنْ يَكُون فِي الْوَقْت الَّذِي ذَكَرَهُ ابْن سَعْد فِي رَجَب سَنَة ثَمَانٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حِينَئِذٍ فِي الْهُدْنَة، بَلْ مُقْتَضَى مَا فِي الصَّحِيح أَنْ تَكُون هَذِهِ السَّرِيَّة فِي سَنَة سِتّ أَوْ قَبْلهَا قَبْل هُدْنَة الْحُدَيْبِيَة، نَعَمْ يُحْتَمَل أَنْ يَكُون تَلَقِّيهمْ لِلْعِيرِ لَيْسَ لِمُحَارَبَتِهِمْ بَلْ لِحِفْظِهِمْ مِنْ جُهَيْنَة، وَلِهَذَا لَمْ يَقَع فِي شَيْء مِنْ طُرُق الْخَبَر أَنَّهُمْ قَاتَلُوا أَحَدًا، بَلْ فِيهِ أَنَّهُمْ قَامُوا نِصْف شَهْر أَوْ أَكْثَر فِي مَكَان وَاحِد، فَاللَّه أَعْلَم)[١].

والذي نرجحه والله تعالى أعلم هو ما ثبت في الصحيحين فلابد أنْ يُقدم ما فيهما عمّا عند أهل المغازي، وما ثبت لا تعارض فيه البتة:

فإنَّ النبي ﷺ جاء يطلب حياً من جهينة، وكان رأسهم الذي جاء النبي ﷺ لعلاج أمره هو المجدي بن عمرو الجهني، فلم يلقَ كيداً لسبب لم يُذكر في شيء من الكتب على حد علمي، وأغلب ظني أنَّ المجدي ومن تحزب معه فرّوا من منطقتهم فرقاً مِن رسول الله ﷺ، فلما تخلص رسول الله ﷺ من رأس الشر في هذه المنطقة جاءه نبأ العير أو كان على علم بها وجاء للهدفين معاً، فأرسل أبا عبيدة رضي الله عنه لإنهاء الجزء الثاني مِن المهمة وعاد إلى المدينة، وحتى لا يغيب عنها فترةً طويلةً مِن الزمن مما قد يثير لعاب المنافقين والمتآمرين، خاصة إنَّ ذلك كان قبل بدر وكانت القبائلُ لا تَزال تُظهِر للدِّين العَداء وتتمنى أن تغلبَ قريش، وبهذا يتضح الإشكال والحمد لله.

---

[١] (ج٨/ص٩٨).

- ثم إنَّ المكان المقصود لاعتراض العير عند أهل السِّير هو جهينة، وهو عين المكان المطلوب لتأديب حي منه على رأسه المجدي بن عمرو الجهني، وهو مما يقوي الظن بأنَّ النبي ﷺ خرج للهدفين جميعاً، والله تعالى أعلم.

موقع الغزوة

بُوَاطٌ، (بُوَاطَانِ: وَادِيَانِ أَحَدُهُمَا يَصُبُّ فِي إِضَمٍ غَرْبَ الْمَدِينَةِ، عَلَى قَرَابَةِ (٥٥) كَيْلًا، وَالْآخَرُ يُقَاسِمُهُ الْمَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَيَصُبُّ فِي فَرْعَةٍ يَنْبُعَ غَرْبًا، وَرَأْسَاهُمَا يَنْحَدِرَانِ مِنْ رِيعٍ يُسَمَّى رِيعَ بُوَاطٍ، يَأْخُذُهُ طَرِيقٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَيَنْبُعَ، مُخْتَصَرٌ وَأَقْرَبُ كَثِيرًا مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إِلَى يَنْبُعَ مُرُورًا بِوَادِي الصَّفْرَاءِ، وَهُوَ غَيْرُ صَالِحٍ لِسَيْرِ الثِّقَالِ، لِذَا نَرَاهُ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذِي الْعُشَيْرَةِ تَرَكَ هَذَا الطَّرِيقَ وَأَخَذَ عَلَى وَادِي الصَّفْرَاءِ، عَلَى طُولِ تِلْكَ الطَّرِيقِ)[1].

و(«رَضْوَى» بِفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، وَبِالْقَصْرِ: جَاءَ فِي النَّصِّ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي بُوَاطٍ: وَهُوَ جَبَلٌ ضَخْمٌ شَامِخٌ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ، يَقَعُ عَلَى الضَّفَّةِ الْيُمْنَى لِوَادِي يَنْبُعَ، ثُمَّ يُشْرِفُ عَلَى السَّاحِلِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْلَامِ، وَإِذَا كُنْت فِي مَدِينَةِ يَنْبُعَ الْبَحْرَ رَأَيْت رَضْوَى رَأْيَ الْعَيْنِ شَمَالًا شَرْقِيًّا، سُكَّانُهُ جُهَيْنَةُ، وَلَهُ أَوْدِيَةٌ كَثِيرَةٌ، يَصُبُّ مُعْظَمُهَا فِي وَادِي يَنْبُعَ)[2].

وبُوَاطان: (هُمَا جَبَلَانِ فَرْعَانِ، أَصْلُهُمَا وَاحِدٌ مِنْ جِبَالِ جُهَيْنَةَ، مِمَّا يَلِي طَرِيقَ الشَّامِ، وَبَيْنَ بُوَاطَ وَالْمَدِينَةِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ بُرُدٍ)[3]، (واسمُ أَحَدِهِمَا: جَلْسِيّ، وَالْآخَرِ: غَوْرِيّ)[4].

---

[1] المعالم الجغرافية: (ص٢٣٠).
[2] المعالم الجغرافية: (ص٢٩٢).
[3] زاد المعاد: (ج٢/ص٨٣).
[4] الروض الأنف: (ج١/ص٢٦١).

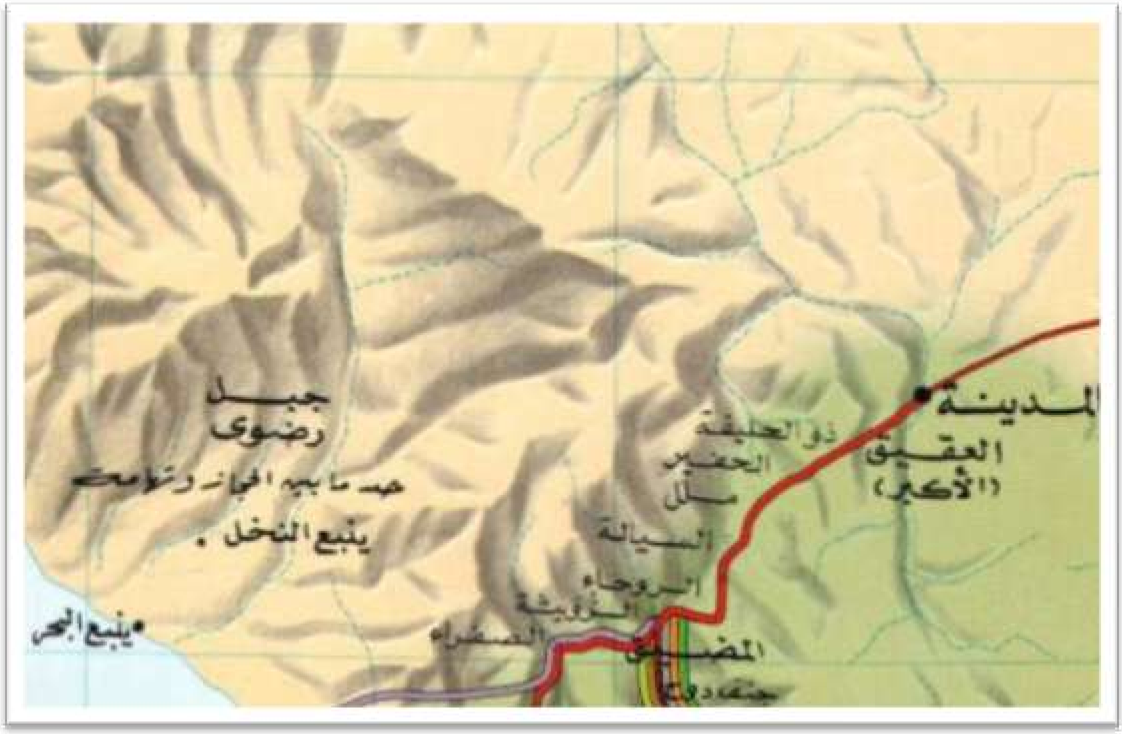
جبل رضوى
ينبع النخل
ينبع البحر
المدينة
ذو الحليفة
العقيق (الأكبر)
ملل
السيالة
الروحاء
الرويثة
الصفراء

المدينة

المدينة
ملل
الروحاء
ينبع

العلا
الوجه
فدك
وادي القرى
خيبر
المدينة
الأوس والخزرج
ينبع
مزينة

غزوة بدر الأولى لطلب كرز بن جابر الفهري

قال ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى: (ثم غزوة رسول الله ﷺ لطلب كُرز بن جابر الفهري -أي: ابن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري- في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مُهاجَره -٢ هـ، الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣م- وحمل لواءَه علي بن أبي طالب، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة، وكان كرز بن جابر قد أغار على سرح المدينة -أي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي- فاستقاه، وكان يرعى بالجَمَّاء، والسرح ما رعوا من نعمهم، والجَمَّاء جبل ناحية العقيق إلى الجرف، بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاتَه كرزُ بن جابر فلم يلحقه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة)[١]، وهذه الغزوة (هي غزوة بدر الأولى)[٢].

ويحتمل أنَّ رسول الله ﷺ خرج بنفسه ويحمل رايتَه ابنُ عمِّه ليقاتل دون ماله ومال المسلمين، فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الواقدي قال: حدثني عبد السلام عن أبيه قال: (كانت لرسول الله ﷺ بينبع لقائح تكون بذي الحدي ولقائح تكون بالجماء، وكان كرز بن جابر أغار عليها من الجماء، وكنَّ يومئذ ثلاث لقائح مع سرح المدينة)[٣].

ويبدو أنَّ خطَرَ كرز الفهري كان كبيراً ولم يكن الموضوع سرحًا أخذه فحسب، مما استدعى الأمر خروجَ رسولِ الله ﷺ بنفسه وأبعد في طلبه مسافة كبيرة، ومما يؤكد هذا الظن ما رواه ابن أبي حاتم[٤]، عَنْ عَامِرٍ: (أَنَّ الْمُسْلِمِينَ، بَلَغَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ الْمُحَارِبِيَّ يُمِدُّ الْمُشْرِكِينَ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ

---

[١] (ج٢/ص٩).

[٢] ابن إسحاق سيرة ابن هشام: (ج٢/ص٢٥١).

[٣] (ج٤/ص٢٣٣).

[٤] تفسير ابن كثير: (ج١/ص٤٠١)، والطبري في تفسيره: (ج٣/ص٤٢١)، وابن أبي شيبة: ٣٦٦٧٠. عن الشعبي بسند صحيح كما قال الحافظ في الفتح: (ج٧/ص٣٦٢) (أي إلى الشعبي، لكنه مرسل غير موصول- عَنْ دَاوُدَ -أي ابن أبي هند-).

رَبُّكُمْ بِثَلاثَـةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَـةِ مُنْزَلِينَ} إِلَى قَوْلِهِ: {مُسَـوِّمِينَ} [آل عمـران: ١٢٤-١٢٥]، قَالَ: فَبَلَغَتْ كُرْزاً الْهَزِيمَةُ فَلَمْ يَمُدَّ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يُمَدَّ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَمْسَةِ).

وجدير بالذكر أنَّ كرز بن جابر أسلم بعد ذلك، ومن الملفت للنظر أنَّه كما أغار يوماً على أموال المسلمين كان بعد ذلك أشدَّ فرسان الدولة النبوية حمايةً لأموالها، فقد ولَّاه رسول الله ﷺ على الجيش الذين بعثهم في أثر العرنيين، كما في الإصابة[1]، وسنأتي عليه لاحقاً إن شاء الله.

الفوائد

- فيها أنَّه يُستحب للمسلم أن يدفع عن ماله ويقاتلَ دونه، لما روى الشيخان[2] أنه: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"، وفي رواية عند الإمام أحمد[3] أنه: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَلَهُ الْجَنَّةُ"، وأنَّه يجب على المسلم ألَّا يترك مالَه لكافر إلا إذا خشي على نفسه فله حينئذ الأخذ بالرخصة، وإلَّا فالأولى قتالُه والفوزُ بالشهادة إنْ قُتل.

- وفيها أنَّه يجب على ولي الأمر أنْ يحوطَ أموالَ المسلمين ويحميَها، وأنْ يسارع إلى حفظها وإدراكِ الخلل إنْ تعرضت للخطر، وأنَّه يجب عليه أنْ يأخذ الإجراءاتِ اللازمةَ لذلك، ولذا سارع رسول الله ﷺ وأبعد في طلب كرز أكثر من ثلاثمئة كيلو بمقياس العصر ذهاباً وإياباً، ليقطع طمع الأعراب لصوص الصحراء الذين يعتاشون على الضعفاء، فجدّ في طلبهم بنفسه حتى خلصُوا بمشقة، مع أنَّ كُرزاً لم يكن لِصاً فهو من سادات قريش لكنَّ فعلَه ومرورَه بلا عقاب كان لا شكَّ يغري غيرَه، فلمَّا كان الدرسُ قاسياً لم يعودوا لمثلها، لذا ينبغي للقائد أنْ يقرأ الحدث جيداً، وتكونَ ردة فعله بناءً على مخاطرِه.

- وفي شدَّة طلبه ﷺ مَن سرق العير درسٌ كبيرٌ، وإرهابٌ عظيمٌ لكلِّ مَنْ تُسَوِّل له نفسُه مكروهاً بالمسلمين مِن المشركين واليهود، فإذا كان هذا رَدَّة الفعل مع العير فكيف

---

[1] (ج٥/ص٥٨١)

[2] البخاري (٢٣٤٨)، ومسلم (٢٢٦).

[3] المسند: (ج٢/ص٢٢٣)، والنسائي: (ج٧/ص١١٥)، بسند صحيح كما في صحيح الجامع: ٦٤٤٦.

لو تعرض أحد لرجاله أو نساء المسلمين وأولادهم، قال الله تعالى: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: من الآية٦٠].

- وفيها وجوبُ المسارعة إلى إبلاغ ولي الأمر بأيِّ خطر تتعرض له الجماعة المسلمة، وأنَّ التأخير يكون في الغالب هو السبب الأكبر لعدم القدرة على إجبار الكسر وسدّ الخلل.

- وفيها تغليبُ جانبِ الحَيطة والحذر في الأمور العسكرية، وعدمُ التساهل في التعامل مع أدنى خطر يُشعَر منه أنَّه يُهدِّد كيان الدولة الإسلامية، وخاصةً إذا كان مِن خارج الجماعة المسلمة.

غزوة ذي العشيرة

قال ابن سعد رحمه الله: (ثم غزوة رسول الله ﷺ ذا العشيرة في جمادى الآخرة سنة ٢ هـ، الموافق ديسمبر سنة ٦٢٣هـ- على رأس ستةَ عشرَ شهراً من مُهاجرَه، وحمل لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبدِ الأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومئة، ويقال في مئتين من المهاجرين ممن انتدب، ولم يُكرِه أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، خرج يعترض لعير قريش حين أبدأت إلى الشام، وكان قد جاءه الخبرُ بفُصولها مِن مكةَ فيها أموالُ قريش، فبلغ ذا العشيرة، وهي لبني مُدلج بناحية ينبع، وبين ينبع والمدينة تسعةُ بُرُد، فوجد العيرَ التي خرج لها قد مضت قبلَ ذلك بأيام، وهي العيرُ التي خرج لها أيضاً يريدها حين رجعت من الشام فساحلت على البحر، وبلغ قريشاً خبرُها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ببدر فواقعهم وقَتل مِنهم من قتل، وبذي العشيرة كنَّى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أبا تراب، وذلك أنه رآه نائماً متمرِّغاً في البوغاء فقال: اجلس أبا تراب! فجلس، وفي هذه الغزوة وادعَ بني مدلج وحلفاءَهم مِن بني ضَمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً)[1].

وفي مدة إقامته روى ابن عساكر في تاريخ دمشق -وسيأتي- عن عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العسيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً، فصالح بها بني مدلج وحلفاءَهم من بني ضمرة فوادعهم)[2].

(فَأَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِيَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ووادَعَ فِيهَا بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا)[3].

أي كان خروجه ﷺ في أواخر جمادى الأولى، ورجوعه في أوائل جمادى الآخرة، ولعل هذه هو سببُ اختلافِ ابنِ سعد معَ ابنِ إسحاق في تعيين شهر هذه الغزوة.

[1] (ج٢/ص٩)
[2] (ج٤٢/ص٥٤٩).
[3] السيرة لابن هشام: (ج٢/ص٢٤٩).

وقد روى الشيخان ما ظنَّه البعض دليلاً على أن هذه الغزوة كانت أولى غزواته ﷺ، فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَسْقَى، قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَقَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: ذَاتُ الْعُسَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرِ)[1]، وفي رواية[2]: (قُلْتُ: أَيَّتُهُنَّ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: ذَاتُ الْعُشَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرَةِ).

قال الحافظ في الفتح: (رَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيق أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر: أَنَّ عَدَد الْغَزَوَات إِحْدَى وَعِشْرُونَ، وَإِسْنَاده صَحِيح وَأَصْله فِي مُسْلِم، فَعَلَى هَذَا فَفَاتَ زَيْد بْن أَرْقَم ذِكْر ثِنْتَيْنِ مِنْهَا وَلَعَلَّهُمَا الْأَبْوَاء وَبُوَاط، وَكَأَنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ لِصِغَرِهِ. وَيُؤَيِّد مَا قُلْته مَا وَقَعَ عِنْد مُسْلِم بِلَفْظِ: «قُلْت أَوَّل غَزْوَة غَزَاهَا؟ قَالَ: ذَات الْعُشَيْر أَوِ الْعُشَيْرَة» وَالْعُشَيْرَة كَمَا تَقَدَّمَ هِيَ الثَّالِثَة، وَأَمَّا قَوْل اِبْن التِّين: يُحْمَل قَوْل زَيْد بْن أَرْقَم عَلَى أَنَّ الْعُشَيْرَة أَوَّل مَا غَزَا هُوَ، أَيْ زَيْد بْن أَرْقَم، فَقُلْت: مَا أَوَّل غَزْوَة غَزَاهَا أَيْ وَأَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: الْعُشَيْر، فَهُوَ مُحْتَمَل أَيْضًا، وَيَكُون قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ ثِنْتَانِ مِمَّا بَعْد ذَلِكَ)[3].

وهو ما عليه أهل السير والمحققون من أهل الحديث، وتظهر جلية في رواية الترمذي الصحيحة.

الفوائد

– وفي قوله: (وكان قد جاءه الخبر بفصولها من مكة فيها أموال قريش...) مشروعية اتّخاذ العيون، وأنه ممَّا لا بدَّ منه لمعرفة أخبار العدو وأسراره من داخله، شرطَ حسنِ المعتقد والكفاءة اللازمة لهذا النوع من الأعمال التي تستلزم الشجاعة والجرأةَ وحسن التقدير، وإمكانيةَ التواصل مع القيادة وإيصال الخبر في الوقت المناسب، ويكون

[1] البخاري: ٣٧٣٣، ومسلم: ١٢٥٤ واللفظ له.
[2] الترمذي: ١٦٧٦.
[3] (ج٧/ص٣٥٦).

ذلك وفقاً لهدفٍ محدَّدٍ غيرِ هُلامي تنتهي مهمَّتُه بانتهائه، شرطَ المتابعةِ الدقيقة له خوفاً عليه من مخالطة الكفار وعدمِ استفادته مِن مكاسب وجوده بين الأعداء، حتى لا يؤثر ذلك في مطعمه وملبسه فيؤثر في دينه.

– وفيها وجوبُ سرعةِ وجاهزيةِ التعامل مع الأهداف الطارئة، وتشكيلُ كتيبةٍ تكون هذه أولى أهدافها، تمتاز بالخِفَّة وسرعةِ الحركة مع قدرات خاصة، ويُخصَّصُ لها خيرة الرجال وسرعةُ التعامل مع أخبار العيون ما دام ثِقةً مجرَّباً، حتى لا تضيع المعلومةُ سُدى، فإن خبراً كخبر العير لابد لها مِن سرعة النفير.

فصل ذكر خبر علي في الغزوة

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خُثَيْمٍ أَبِي يَزِيدَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: (كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ، فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقَامَ بِهَا رَأَيْنَا أُنَاسًا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ فِي عَيْنٍ لَهُمْ فِي نَخْلٍ، فَقَالَ لِي عَلِيٌّ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ هَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، فَجِئْنَاهُمْ فَنَظَرْنَا إِلَى عَمَلِهِمْ سَاعَةً ثُمَّ غَشِيَنَا النَّوْمُ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ فَاضْطَجَعْنَا فِي صَوْرٍ مِنَ النَّخْلِ فِي دَقْعَاءَ مِنْ التُّرَابِ، فَنِمْنَا فَوَاللَّهِ مَا أَهَبَّنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ وَقَدْ تَتَرَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّقْعَاءِ، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: "يَا أَبَا تُرَابٍ" لِمَا يُرَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، قَالَ: "أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟"، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ؛ –يَعْنِي قَرْنَهُ– حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ؛ –يَعْنِي لِحْيَتَهُ–")، رواه الإمام أحمد، والحاكم[1] وقال: (هذا

[1] كلاهما من طريق ابن إسحاق: حدثني يزيد بن محمد بن خثيم المحاربي عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم أبي يزيد، وهو عنده في (السيرة)، كما في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٤٩-٢٥٠)، وهو ضعيف لعدم ثبوت سماع رواته بعضهم من بعض كما في ترجمتي يزيد ومحمد من (التهذيب)، وهو ما أشار إليه الهيثمي في عبارته أعلاه، وقد ضعفه ابن القيم في زاد المعاد(ج٢/ص٨٤)، وهو ما يفهم من عبارة الحافظ ابن كثير أعلاه: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه..."، وكذا من عبارة الحافظ ابن حجر: "فإن كان محفوظاً..."، والله أعلم.

حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه الزيادة، إنما اتفقا على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد: "قم أبا تراب")[1].

الفوائد

– فيها مشروعية الترويح عن النفس للجند بما لا يضر بالغزو ولا إثم فيه، وأنه لا يخلّ بالجهاد.

– وفيها ما كان عليه رسول الله ﷺ من الحرص الشديد على جنوده وتفقّد أخبارهم، بحيث أنه ﷺ أدرك اختفاء رجلين من جيشه لفترة محدودة فبحث عنهما بنفسه في شدَّة الحر حتى وصل إليهما، وهذا درس لمن يدَّعي الإمارةَ اليوم ويفقد الجنود بين أسير وقتيل ولا يدري ما حدث.

– وفيها جواز أنْ يوقظ كبيرُ القدرِ كالأبِ أو العَالِمِ أو الأميرِ مَن هو دونَه برِجْلِه، وأنَّ هذا ليس مِن سوء الأدب.

– وفيها أنه يجوز للكبير أنْ يمازح مَن هو دونَه بما يبدو في ظاهره أنَّه غيرُ محمود ما دام حقاً وصدر عن محبة وشفقة، وغلب على ظنِّه أن المقصود لا يَغضبُ منه.

– وفيها مشروعية المزاح من أهل الفضل بما لا يخلّ بالمروءة، وأنه يستحب له أنْ يتقرب من إخوانه بكل سبيل مشروعة، وأنَّ هذا مما يزيد الألفة، شرط ألا يسقط الهيبة فيضيع المقصود.

---

[1] وهو في تاريخ دمشق أيضاً (ج٤٢/ص٥٤٩-٥٥٠) من نفس الطريق، وقال الهيثمي في المجمع (ج٩/ص١٣٦): (رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار، ورجال الجميع موثقون، إلا أن التابعي لم يسمع من عمار)، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (ج٣/ص٢٤٧): (وهذا حديث غريب من هذا الوجه، له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب، كما في صحيح البخاري: أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: "قم أبا تراب، قم أبا تراب")، ونحوه في السيرة لابن كثير (ج٢/ص٣٦٣)، وقال الحافظ في الفتح: (١٠ج/ص٧١٩): (وَذَلِكَ قَبْل أَنْ يَتَزَوَّج عَلِيّ فَاطِمَة، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا أَمْكَنَ الْجَمْع بِأَنْ يَكُون ذَلِكَ تَكَرَّرَ مِنْهُ ﷺ فِي حَقّ عَلِيّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

- وفيها جوازُ نومِ بعضِ الجند بعيداً عن إخوانهم، إذا كان يأمنُ على نفسِه بحراسةٍ أو عهدِ أمان أو غيره.

- وفيها جواز الإخبار بما يسيء ما دام وقع، أو لابد أنَّه واقع ولا غيره يقوم به في حينه، واستحباب التقليلِ من شأنه وتهوينه على المقصود وتبشيرِه بالخير.

- وفيها كما قال الحافظ في الفتح: (التَّكْنِيَة بِغَيْرِ الْوَلَد وَتَكْنِيَة مَنْ لَهُ كُنْيَة، وَالتَّلْقِيب بِالْكُنْيَةِ لِمَنْ لَا يَغْضَب)[١].

- وفيها الأخبار أنَّ مِن أشقى الناس يوم القيامة من قتل خليفةَ المسلمين، وخيرَ مَن كان يمشي على ظهر الأرض في زمانِه، وهذا الحديث مِن المعجزات النبوية فهو إخبار عن غيب بإذن الله، وأنَّ عَبْد الرَّحْمَن بْن مُلْجِم الْمُرَادِيّ إنْ صحّ الخبر[٢] في العذاب كعاقر الناقة، وهو يقوّي قولَ مَن يقولُ بكفرِ الخوارج مِن أهلِ الحديث، ويَحتمِل أنْ يكون أشقى أهلِ الملَّة قاتلَ عليٍّ كما أنَّ أشقى المِلل السابقة عاقرُ النَّاقة على القول الراجح أنَّ الخوارجَ غيرُ كفار، ويحتمل قول ثالث أنَّ الخوارج غير كفار ولكنَّ ابنَ مُلجم كان كافراً لناقضٍ لا نعلمه لذا أخبر رسول الله ﷺ أنَّه مِن أشقى الناس يوم القيامة، وقد طُعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاث عَشْرَة بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنَّ الهِجْرَة.

فصل خبر طلحة في الغزوة

روى الحاكم[٣]، عَنْ مُوسَى بن طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: (سَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: طَلْحَةَ الْخَيْرِ، وَفِي غَزْوَةِ ذِي الْعَشِيرَةِ: طَلْحَةَ الْفَيَّاضِ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ: طَلْحَةَ الْجُودِ)[٤].

---

[١] (ج١/ص٥٣٦)

[٢] وهو غير صحيح كما بيّنا فلا يحسن الاحتجاج به على ذلك.

[٣] المستدرك: (ج٣/ص٣٧٤)، والطبراني في الكبير: ١٩٧، ٢١٨، وابن أبي عاصم في السنة: ١٤٠٣، ١٤٠٤.

[٤] قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج٩/ص١٤٨): (وفيه من لم أعرفهم، وسليمان بن أيوب الطلحي وُثّق وضُعّف)، فالسند ضعيف إذن والله أعلم.

فصل مُوادعَةُ بَنِي ضَمْرَةَ وبني مدلج

أي بني مُلَيْلِ بنِ ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهما قسمان: غِفَارُ بْنُ مُلَيْلٍ، وَنُعَيْلَةُ بْنُ مُلَيْلِ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ.

وأما بنو مدلج ومن دانت لهم العرب بالمعرفة والخبرة بالقافة فهم أبناء عمومة مليل بن ضمرة بن عبد مناة، وحلفاؤهم فهم أبناء مُرةِ بن عبد مناة بن كنانة، فمُدلج هو ابن مرة.

أما لماذا عاهد رسول الله ﷺ بني ضَمرة مرة أخرى فقد سبق ونقلنا أنَّه ﷺ عاهدهم في غزوة الأبواء، هذا ما لم يُصرِّح به أحدٌ في كتب أهل السير والمغازي، ولكن يمكن أنْ نستشفَّه ولابد على حذر؛ فيُحتَمَل أنَّه ﷺ لم يقصِد معاهدتَهم وإنما عاهد حلفاءَهم وبني عُمومتِهم وجيرانَهم في بني مدلج فدخل عهدُهم تبعاً بحكم الحِلف والنُصرة بين بني مدلج وبني ضمرة. وغالب الظن أنَّ بني ضمرة حضروا هذا الحلف وكانوا سبباً فيه حتى ينتظم أمرُهم جميعاً ولا يكونوا خارج حلفهم مع النبي ﷺ، فصاروا بذلك جميعاً كما كانوا، وإطلاق بعض أهل السير أنَّه حِلف مع بني ضَمرة؛ لأنَّهم الأصلُ فيه والأكثر، ويحتمل أنَّه ﷺ بالفعل قصد توثيق عهده مع بني ضمرة لسبب ما فدعاهم لتجديد الحِلف مع حلفائهم مِن بني مدلج، ويقوّي هذا الرأي ما ذكر ابن إسحاق من حوار دار بين النبي ﷺ وبين سيد بني ضَمرة في غزوة بدر الآخرة، ويتضح فيه بجلاء أنَّ رسولَ الله ﷺ كان غيرَ مستريح لقوةِ حِلف بني ضَمرة على الرغم من تكراره.

قال ابن إسحاق: (وَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَدْرٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ لِمِيعَادِهِ فَأَتَاهُ مَخْشِيّ بْنُ عَمْرٍو الضّمْرِيّ، وَهُوَ الّذِي كَانَ وَادَعَهُ عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ وَدّانَ، فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَجِئْتَ لِلِقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: "نَعَمْ يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ

ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَك، ثُمّ جَالَدْنَاك حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَك"، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا مُحَمّدُ مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْك مِنْ حَاجَةٍ)[1].

أما لماذا هذا الاهتمام النبوي ببني ضمرة؟ فالجواب لأمور:

أولاً: لأنَّهم كانوا أهلَ مَنَعة وشوكة، وفي منطقة حساسة جداً مِن الجزيرة العربية، حيث كانوا على طريق تجارة قريش إلى الشام، وكان رسولُ الله ﷺ يبعث أو يخرج دائماً وكلَّ شهر تقريباً لاعتراض أموالِ قريش راجياً من الله أنْ ينالها، فكان لابد من تحييد أمرها.

ثانياً: إنَّ أبا ذر الغفاري رضي الله عنه لما أسلم قديماً رجع إلى أهله في غفار من بني ضمرة، وبأمر منه ﷺ، كما في صحيح مسلم: (ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟"، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ).

وروي أنه كان يعترض عيرَ قريش بعدما رجعَ مسلماً[2]، فكان أبو ذر يكون بأسفل ثنية غزال، وكان يعترض عيرات قريش فيأخذها، فَمَن شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ردَّ عليه مالَه وإلا فلا، فكان كذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى يومُ بدر ويومُ أحد ثم قدم فأقام مع رسول الله ﷺ، وقيل: حتى مضت الخندق كما في الاستيعاب[3].

فكأنه رضي الله عنه كان له الأثر الكبير في هذه المعاهدات هو ومن أسلم معه مِن قومه، وخاصةً أخوه أنيس، وحتى لا يقاتلَ قومه رسولَ الله ﷺ فيهلكوا أو تنشأَ بينهم

---

[1] سيرة ابن هشام: (ج٣/ص٢٢٠)، وانظر كذلك: تاريخ الطبري: (ج٢/ص٨٧).
[2] كما في أنساب الأشراف (ج٣/ص٤٩١)، وهو عند ابن سعد في الطبقات (ج٤/ص٢٢٢).
[3] (ج١/ص٧٥)

عداوة فيبَعُدوا عن الإسلام، وكان هو الخبير بحالهم فلعلَّه هو الذي أشار على رسول الله ﷺ بتوثيق عهوده معهم، كما إنَّه لا يخفى أنَّ وجودَه والمسلمين معه في قومه كان لهم الأثرُ الكبير في تحييدِهم وتخويفِهم ومنعِهم من أي شكل من أشكال العداء مع رسول الله ﷺ.

وخبرُ أبي ذر الذي في صحيح البخاري يؤكد النقطتين السابقتين: فعن أَبِي جَمْرَةَ قَالَ قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ: مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: "يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ" فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ

رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ؟ فَأَقْلَعُوا عَنِّي فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي مِثْلُ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ).

ولقد أسلمت غفارُ بكاملها وكانوا أول كتائبِ الإسلام في فتح مكة، ففي صحيح البخاري: (أنَّ النبي ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: "احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ"، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ).

وحسبُك ببني ضَمرةَ وغِفار ما ثبت في الصحيحين؛ وهو كثير منه ما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"[1].

وقد رماهم الناسُ بما يقولونه في المجاهدين أنصارِ الدين اليوم، والعمل بخواتيمه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ ففي الصحيحين[2] عن شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ: (أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ، وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةَ -مُحَمَّدٌ الَّذِي شَكَّ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ -وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةُ- خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ أَخَابُوا وَخَسِرُوا" فَقَالَ نَعَمْ قَالَ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَخْيَرُ مِنْهُمْ").

وذلك لأنَّهم كانوا في الجاهلية يقطعون الطريق كما في صحيح مسلم عن أَبِي ذَرٍّ في قصة إسلامه: (خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارَ وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ).

---

[1] مسلم: (٢٥١٦)، وهو عند البخاري (٣٣٢٣) دون قوله: "أما إني لم أقلها...".
[2] البخاري (٣٣٢٥)، ومسلم (٢٥٢٢).

الفوائد

– وفيها كتابة العهود والمواثيق مع الكفار وجواز ذلك إذا غلب على الظن أنَّهم يحترمونها ويلتزمون بها، وجواز تغليظِها وتكرارِها لمن خُشِي منه عدمُ الوفاء.

– وفيها أنَّ خيرَ الإسلام إذا حلَّ بمكان عمَّ نفعُه وظهرت بركته، شرطَ أنْ يجد مَن يتعهدُه وينميه؛ فقد عاهد بنو مدلج تأثراً بمعاهدة جيرانهم وحلفاؤهم بني ضَمرة.

وفي قصة إسلام أبي ذر فوائد جمة، نذكر بعضها:

– ففيها أنه لا تَجب الهجرة على مَن يتمكن مِن إقامة شعائر الدِّين ويكون في بقائه بدار الكفر منفعةٌ تعود على الإسلام ودولته من الدعوة إلى الدِّين، أو عينٌ للمسلمين، أو دفعُ شرِّ الكافرين لشرفه فيهم أو غير ذلك.

– وفيها أنَّ عدم الهجرة عند حاجة المسلمين إليها لا تجوز إلا بإذن أمير المسلمين، وليست محض اجتهاد مِن كلِّ شخصٍ يفتي نفسه أنَّ بقائه أنفع، دون الرجوع إلى أولي الأمر وخاصةً إذا كان في هِجرة مثلِه منفعةٌ للمسلمين، أما إذا طلب أهلُ دار الإسلام الهجرةَ إليهم وامتنع من امتنع لضر أو فقر أو خوف سيصيبهم بالهجرة فلا شكَّ أنَّ ذلك هو عين الحرام.

– وفيها أنه يجوز البوح بالسرّ عند الحاجة إذا كان المطلوب لا يتمّ إلا بذلك.

– وفيها أنه يُستَحبُّ للصالح أنْ يبدأَ بدعوة أهلِه ثم قرابتِه وعشيرته إلى الله، وتخويفِهم من عذاب الله وبطشه في الدنيا والآخرة، فإنَّ رسول الله ﷺ كما في الصحيحين[١] لما أُنْزِلَ عَلَيْه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قام فقال: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ

[١] البخاري (٢٦٠٢)، ومسلم (٢٠٦).

عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنَ مالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".

- وفيها أنَّ المسلم كالـمَطر أينما وقع نفع، فهو ينصر دينَه ويجاهدُ في سبيله أينما حلَّ ما وجد لذلك سبيلاً، وأعظمُ الجهاد تخريبُ اقتصادِ الأعداء وضربُ وسائلِ تجارتهم من قطع الطريق عليهم أو تخريب مؤسساتهم، وهذا بابٌ واسع يمكن للضعيف والقوي أنْ يَنفع فيه.

- وفيها أنَّه يجب على الجاهل أنْ يسعى لدفع الجَهلِ عن نفسه مادام لذلك سبيل، وأنَّ الجهلَ المعتبرَ هو الذي لا يمكن دفعه وإزالتُه لعارضٍ معتبر، أما الـمُعرِض عن العلم الواجب وأعظمُه التوحيد، مع إمكانية دفعه، فجهلُه غير معتبر.

- وفيها أنَّ طلبَ الحقِّ له أعباء، ولا بُد من شيء مِن الجرأة والمجازفة، وأنَّ تفرُّسَ وجوهِ الناس وطلبَ المعونة ممَّن غلب على الظن خيريته قد يكون لا بدَّ منه ما دام هو السبيل الوحيد، وقد وقع لكثيرٍ ممَّن نفر إلى الجهاد شيءٌ مِن ذلك فوفَّقَهم الله ونفعهم به.

- وفيها وجوبُ أخذ الحيطة والحذر، وحسنِ الترتيب قبل الشروع في أي أمر هام، خاصة إذا ترتَّب على الخطأ فيه ضررٌ على النفس أو الجماعة المسلمة، وأنَّ المسلم يحتاط لأخيه كما يحتاط لنفسه وأشدّ، خاصة إذا كان ضيفاً عليه أو عالماً أو أميراً.

- وفيها فطنةُ علي رضي الله عنه ونبوغُه المتقدمُ عسكريًّا وأمنيًّا، فقد كان في أوَّل البعثة ما يزال صبياً، كما قال الحافظ في الفتح: (فَإِنَّ الْأَصَحّ فِي سِنّ عَلِيّ حِين الْمَبْعَث كَانَ عَشْر سِنِينَ، وَقِيلَ أَقَلّ مِنْ ذَلِك، وهَذَا الْخَبَر يُقَوِّي الْقَوْل الصَّحِيح فِي سِنّه)[١].

[١] (ج٧/ص ٢٢١).

- وفيها أنَّه يجوز للمرء أنْ يُلقي بنفسه إلى التَّهلكة ليُظهرَ الحقَّ أو ليعرِّف الناس الحق، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]؛ فقد قال النبي ﷺ كما ثبت عنه عند الطبراني: "سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله"[٢].

- وفيها أنَّ العمل بخواتيمه، وأنَّه سبحانه قادرٌ على أنْ يجعل مَنْ نظن أنَّه أفجرُ الناس أتقاهم لله، فقلوب العباد لا يعلم ما بها من خير وشرّ إلا الله سبحانه. وأنَّ حرقة الذنب في نفس العاصي، والاعتراف بها خير للمرء من لذَّة العُجب في نفس المطيع، وأنَّ الغالب أنَّ الأوَّل يؤول أمرُه إلى خير، والثاني يُخشى عليه مِن عاقبة السوء وخاتمةِ الضلال.

- وفيها وجوب حبِّ أسلمَ وغفار لما شرفهما الله بدعاء النبي ﷺ لهما، وخاصةً سيِّدَ غفار صادقَ اللهجة، وأوَّلَ من حيّا الرسول بتحية الإسلام[٣]، والسابق إلى دين الله، المتعبد له، الكاره للكفر في الإسلام وقبلَه، العابد الزاهد الغريب؛ أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

- وفيها أنَّه يستحب الدعاء بما يشتق من الاسم، كما قال المناوي[٤]: (كأن يقال لأحمد أحمد الله عافيتك، ولعلي علاك الله، وهو من جناس الاشتقاق المستعذب المستحسن عندهم، ولا يختص بالدعاء بل يأتي مثله في الخبر).

فصل خليفة رسول الله ﷺ على المدينة أثناء الغزوة

(أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي، أبو سلمة زوج أمِّ سلمة قبل النبي

[١] في رسالته القيّمة كعادته رحمه الله "قاعدة في الانغماس في العدو، وهل يباح؟"، وانظر (ص ٦٤) منها.
[٢] أخرجه الطبراني في الأوسط -كما في المجمع (ج٩/ص٢٦٨)، وقال: (وفيه ضعف)- من حديث ابن عباس بلفظ: "قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"، وعند الحاكم (ج٣/ص١٩٥) من حديث جابر، وهو بالشقّ الأول فقط عند الطبراني في الكبير (٢٩٥٨) من حديث علي، وكل أسانيده فيها مقال لكنه يصحّ بمجموعها، وصحّحه قبله الحافظ في الفتح(ج٧/ص٤٦٧).
[٣] كما في صحيح مسلم وهو حديثه السابق (٢٤٧٣).
[٤] في شرحه للجامع (فيض القدير)(ج١/ص٥٠٨).

ﷺ. أمُّه برة بنت عبد المطلب بن هاشم. قال ابن إسحاق: أسلم بعد عشرة أنفس فكان الحادي عشر من المسلمين، هاجر مع زوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة. قال مصعب بن الزبير: أولُّ من هاجر إلى أرض الحبشة أبو سلمة بن عبد الأسد، ثم شهد بدراً وكان أخا رسول الله ﷺ، وأخا حمزة من الرضاعة، أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، أرضعت حمزة ثم رسول الله ﷺ ثم أبا سلمة، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة العشيرة وكانت في السنة الثانية من الهجرة)[1].

(وروى ابن أبي عاصم في الأوائل من حديث ابن عباس: «أولُّ من يُعطى كتابَه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد»[2]. وقال أبو نعيم: كان أول من هاجر إلى المدينة، زاد ابن منده وإلى الحبشة. وذكره موسى بن عقبة وغيره من أصحاب المغازي فيمن هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وفيمن شهد بدراً. وأخرج البغوي بسند صحيح إلى قبيصة بن ذؤيب أنَّ النبي ﷺ أتى أبا سلمة يعوده وهو ابن عمته وأولُ من هاجر بظعينته إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة)[3].

(وجرح يومَ أُحد جرحاً اندمل ثم انتقض فمات منه، وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة)[4].

فصل خط سير الغزوة ومكانها

[1] الاستيعاب (ج١/ص٢٨٦).

[2] أخرجه أيضاً الطبراني في الأوائل (١١١٠)، وعزاه في الكنز (٣٣٥٩٨) للديلمي، وهو موضوع، في سنده حبيب بن زريق كاتب مالك، وهو متروك وقد كذّبه بعضهم.

[3] الإصابة لابن حجر (ج٤/ص١٥٣).

[4] الاستيعاب: (ج١/ص٥٣٨)، ونحوه في أسد الغابة: (ج١/ص١١٩٠).

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ -مِنْ حَرَّةِ الْمَدِينَةِ الْغَرْبِيَّةِ، بَيْنَ السَّيْحِ وَالْعَرْصَةِ- ثُمّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَارِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِبَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ السّاقِ فَصَلّى عِنْدَهَا فَثَمّ مسجده ﷺ، وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أَثَافِيّ الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَالِكَ وَاسْتُقِيَ لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُشْتَرِبُ، ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَتَرَكَ الْخَلَائِقَ -وهى البئر التي لا ماء فيها- بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لَهَا شُعْبَةُ عَبْدِ اللّهِ، وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمُ، ثُمّ صَبّ لِلْيَسَارِ حَتّى هَبَطَ يَلَيْلَ -قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة- فَنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعِ الضّبُوعَةِ، وَاسْتَقَى مِنْ بِئْرٍ بِالضّبُوعَةِ

ثُمّ سَلَكَ الْفَرْشَ؛ فَرْشَ مَلَلٍ، حَتّى لَقِيَ الطّرِيقَ بِصُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ ثُمّ اعْتَدَلَ بِهِ الطّرِيقُ حَتّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ -أي ينبع النخل وهو منزل الحاج المصري- فَأَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِيَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَدَعَا فِيهَا بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا)[١].

(وَأَمّا الْعُشَيْرَةُ بِالشّينِ الْمَنْقُوطَةِ فَوَاحِدَةُ الْعُشْرِ مُصَغّرَةٌ. وَذَكَرَ فِيهَا الضّبُوعَةَ، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَهُوَ فَعُولَةٌ مِنْ ضَبَعَتِ الْإِبِلُ إذَا أَمَرّتْ أَضْبَاعَهَا فِي السّيْرِ، وَفِي الضّبُوعَةِ نَزَلَ عِنْدَ شَجَرَةٍ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ السّاقِ وَابْتَنَى ثَمّ مَسْجِدًا، وَاسْتَسْقَى مِنْ مَاءٍ هُنَالِكَ يُقَالُ لَهُ الْمُشَيْرِبُ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبَكّائِيّ وَغَيْرِهِ عَنِ ابْنِ إسْحَاقَ. وَذَكَرَ فِيهِ مَلَلًا، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ يُقَالُ إنّهُ إنّمَا سُمّيَ مَلَلًا لِأَنّ الْمَاشِيَ إلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَبْلُغُهُ إلّا بَعْدَ جَهْدٍ وَمَلَلٍ، وَهُوَ عَلَى عِشْرِينَ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا، وَذَكَرَ الْحَلَائِقَ وَهِيَ آبَارٌ مَعْلُومَةٌ، وَرَوَاهُ غَيْرُ أَبِي الْوَلِيدِ الْخَلَائِقَ بِخَاءٍ مَنْقُوطَةٍ وَفَسّرَهَا بَعْضُهُمْ جَمْعُ خَلِيقَةٍ وَهِيَ الْبِئْرُ الّتِي لَا مَاءَ فِيهَا، وَأَكْثَرُ رِوَايَاتِ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا فَاللّهُ أَعْلَمُ. وَذَكَرَ فَرْشَ مَلَلٍ، وَالْفَرْشُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ: مَكَانٌ مُسْتَوٍ نَبْتُهُ الْعُرْفُطُ وَالسّيَالُ وَالسّمُرُ يَكُونُ نَحْوًا مِنْ مِيلٍ أَوْ فَرْسَخٍ فَإِنْ أَنْبَتَ الْعُرْفُطَ وَحْدَهُ فَهُوَ وَهْطٌ وَإِنْ أَنْبَتَ الطّلْحَ وَحْدَهُ فَهُوَ غَوْلٌ، وَجَمْعُهُ غَيْلَانُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَإِنْ أَنْبَتَ النّصِيّ وَالصّلّيَانَ وَكَانَ نَحْوًا مِنْ مِيلَيْنِ قِيلَ لَهُ لُمِعَةٌ)[٢].

وجاء في المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية:

(فَيْفَاءُ الْخَبَارِ: الْأَرْضُ الْفَيّاحُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْجَمّاوَاتِ، وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالدُّعَيْثَةِ. بَطْحَاءُ ابْنِ أَزْهَرَ: مِنْ فَيْفَاءِ الْخَبَارِ. وَلَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ الْيَوْمَ وَلَا الْمُشْتَرِب.

الْخَلَائِقُ: أَرْضٌ كَانَتْ تُزْرَعُ بَيْنَ فَيْفَاءِ الْخَبَارِ وَمَلَلَ، وَلَا يُعْرَفُ الِاسْمُ الْيَوْمَ، غَيْرَ أَنّ مَوْضِعَهَا وَاضِحٌ، وَأَرْضُهُ مَا زَالَتْ صَالِحَةً لِلزّرْعِ، إذَا خَرَجْتَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ تَؤُمُّ مَكّةَ كَانَتْ عَلَى يَمِينِكَ عَنْ بُعْدٍ.

---

[١] السيرة لابن هشام (ج٢/ص٢٤٨-٢٤٩).
[٢] الروض الأنف: (ج١/ص٢٦١).

شُعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ: هِيَ الْيَوْمُ إِحْدَى مُخَيْلِصَاتٍ، مَعَهَا رِيعٌ يُنْصَبُ فِي مَفِيضِ وَادِي الضَّبُوعَةِ فِي مَلَلَ.

يَلْيَلُ: الْوَارِدُ هُنَا صَوَابُهُ مَلَلُ، لِأَنَّ يَلْيَلَ بَعِيدًا مِنْ هُنَا، وَلِأَنَّ الضَّبُوعَةَ تَصُبُّ فِي مَلَلَ لَا فِي يَلْيَلَ.

وَمَلَلَ: وَادٍ فَحْلٌ يَنْقَضُّ مِنْ جِبَالِ قُدْسٍ، فَيَمُرُّ عَلَى نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ كَيْلًا جَنُوبَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ وَادِيَانِ هُمَا: الْفُرَيْشُ وَتُرْبَانُ، فَإِذَا اجْتُمِعَتْ سُمِّيَ الْمَكَانُ فَرْشَ مَلَلَ، ثُمَّ يَسِيرُ مَلَلُ حَتَّى يَصُبَّ فِي إِضَمٍ -وَادِي الْحَمْضِ الْيَوْمَ غَرْبَ الْمَدِينَةِ-

الضَّبُوعَةُ: تَلْعَةٌ كَبِيرَةٌ تَصُبُّ فِي مَلَلَ بَعْدَ الْفَرْشِ مِنَ الْيَمَنِ.

وَذُو الْعُشَيْرَةِ الْوَارِدُ هُنَا: كَانَ قَرْيَةً عَامِرَةً بِأَسْفَلَ يَنْبُعَ -يَنْبُعُ النَّخْلِ- ثُمَّ صَارَتْ مَحَطَّةً لِلْحَاجِّ الْمِصْرِيِّ هُنَاكَ. وَهِيَ أَوَّلُ قُرَى يَنْبُعِ النَّخْلِ مِمَّا يَلِي السَّاحِلَ، وَبِهَا مَسْجِدٌ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ يَنْبُعَ: إِنَّهُ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[1].

[1] (ص٣٧٠).

سرية عبد الله بن جحش الأسدي

عَنْ جُنْدُبِ بن عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ أَوْ عُبَيْدَةَ بن الحارث، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صُبَابَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بن جَحْشٍ مَكَانَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: "لا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ"، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَرَجَعَ رَجُلانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ جُمَادَى، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ}[البقرة:٢١٧]، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصَابُوا وِزْرًا فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[البقرة: ٢١٨]).[1]

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده وفيه زيادة جيدة جاء فيها: (قال بعض الذين كانوا في السرية: والله ما قتله إلا واحد، فإن يك خيراً فقد وليته، وإن يك ذنباً فقد عملته، وقال بعض المسلمين: إن لم يكونوا أصابوا في شهرهم هذا وزراً فليس لهم فيه أجر، فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}).

قال الحافظ ابن كثير[2]: (وقال السدي -إسماعيل بن عبد الرحمن- عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرّة عن ابن مسعود -وقال في السيرة: عن جماعة من الصحابة-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث سَرِيَّة، وكانوا سَبْعَة نفر، عليهم عبد الله بن جَحْش الأسدي، وفيهم

---

[1] رواه النسائي في السنن الكبرى (٨٨٠٣)، وابن أبي حاتم -أنظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٢)- والطبراني في الكبير (١٦٧٠)، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى (ج٩/ص١١) أيضاً، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص١٩٨): (رجاله ثقات)، وقال الحافظ في الفتح (١/١٥٥) عن رواية هذا السند: (مَوْصُولَة أَخْرَجَهَا الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث جُنْدُب الْبَجَلِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَن، ثُمَّ وَجَدْت لَهُ شَاهِدًا مِنْ حَدِيث ابْنِ عَبَّاس عِنْد الطَّبَرِيّ فِي التَّفْسِير، فَبِمَجْمُوعِ هَذِهِ الطُّرُق يَكُون صَحِيحًا).

[2] في تفسيره (ج١/ص٢٥٢-٢٥٣)، ونحوه في السيرة (ج٢/ص٣٧٠) أيضاً.

عَمَّار بن ياسر وأبو حذيفة بن عُتْبَة بن ربيعة وسعد بن أبي وَقَّاص وعتبة بن غَزْوان السُّلمي حليف لبني نَوْفل وسُهَيل بن بيضاء وعامر بن فُهيرة وواقد بن عبد الله اليَرْبوعي حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتابًا، وأمره ألا يقرأه حتى ينزل بطن مَلَل فلما نزل بطن مَلَل فتح الكتاب، فإذا فيه: أنْ "سِرْ حتى تنزل بطن نخلة"، فقال لأصحابه: (مَنْ كان يريد الموت فَلْيمض ولْيوص، فإنني مُوص وماض لأمر رسول الله ﷺ)، فسار فتخلف عنه سعد بن أبي وقَّاص وعتبة، وأضلا راحلة لهما فأتيا بُحْران يطلبانها، وسار ابنُ جحش إلى بطن نخلة، فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعمرو بن الحضرمي وعبد الله بن المغيرة، وانفلت ابن المغيرة، فأسروا الحكم بن كيسان والمغيرة وقُتِل عَمْرو؛ قتله واقد بن عبد الله، فكانت أوّل غنيمة غنمها أصحاب النبي ﷺ، فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا المال أراد أهلُ مكَّة أن يفادوا الأسيرين، فقال النبي ﷺ: "حتى ننظر ما فعل صاحبانا"، فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين

قال الواقدي في المغازي: (وَكَانَ فِدَاؤُهُمَا أَرْبَعِينَ أُوقِيَةَ فِضَّةٍ لِكُلّ وَاحِدٍ، وَالْأُوقِيَةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ففجر عليه المشركون وقالوا: إنَّ محمدًا يزعم أنَّه يتبع طاعة الله، وهو أوَّلُ من استحلّ الشهر الحرام وقتل صاحبَنا في رجب، فقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى -وقيل: في أول رجب، وآخر ليلة من جمادى- وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب، فأنزل الله يُعَيِّر أهل مكة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} لا يحلّ، وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام، حين كفرتم بالله وصدَدْتم عنه محمدًا ﷺ وأصحابه، وإخراجُ أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدًا ﷺ أكبر من القتل عند الله)[1].

وقال ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى: (ثم سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة، في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ - رجب سنة ٢ هـ، الموافق يناير سنة ٦٢٤م- بعثه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل

[1] (ص١٧).

اثنين يتعقبان بعيراً إلى بطن نخلة، وهو بستان ابن عامر الذي قرب مكَّة، وأَمَره أن يَرصُد بها عيَّ قريش، فوردت عليه، فهابهم أهلُ العير وأنكروا أمرَهم، فحلق عكاشة بن محصن الأسدي رأسه، حلقه عامر بن ربيعة ليطمئن القوم، فأمنوا وقالوا: هم عُمّار لا بأس عليكم منهم، فسرَّحوا ركابهم وصنعوا طعاماً وشكوا في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا؟ ثم تشجعوا عليهم فقاتلوهم، فخرج واقدُ بن عبدِ الله التميمي يَقدُم المسلمين، فرمى عمرو بن الحضرمي فقتله، وشدّ المسلمون عليهم فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة، واستاقوا العير، وكان فيها خمرٌ وأدمٌ وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا بذلك كله على رسول الله ﷺ، فوقفه وحبس الأسيرين، وكان الذي أسر الحكمَ بن كيسان المقدادُ بن عمرو، فدعاه رسول الله ﷺ، إلى الإسلام فأسلم وقتل ببئر معونة شهيداً. وكان سعدُ بن أبي وقاص زميل عتبة بن غزوان على بعير لعتبة في هذه السرية، فضلَّ البعيرُ بحران، وهي ناحية معدن بني سليم، فأقاما عليه يومين يبغيانه، ومضى أصحابهم إلى نخلة فلم يشهدها سعد وعتبة، وقدما المدينة بعدهم بأيام. ويقال: إنَّ عبد الله بن جحش لما رجع من نخلة خمَّس ما غَنِم وقسَّم بين أصحابِه سائرَ الغنائم، فكان أولَ خُمس خمِّس في الإسلام. ويقال: إنّ رسول الله ﷺ، وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر، فقسمها مع غنائم بدر وأعطى كلَّ قوم حقَّهم، وفي هذه السرية سمِّيَ عبد الله بن جحش أمير المؤمنين)[1].

وعن زر بن حبيش قال: (أوَّلُ راية رفعت في الإسلام راية عبد الله بن جحش، وأول مال خمس في الإسلام مال عبد الله بن جحش)، رواه الطبراني، وقال الهيثمي في المجمع: (وهو إسناد حسن)[2].

وذكر ابن هشام الخبر وفيه زيادة وبعض المغايرة عن الحديثين ورواية ابن سعد؛ فقال ابن هشام في السيرة النبوية: (وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ

---

[1] (ج٢/ص١٠).

[2] يعني إلى زرّ هذا، وهو تابعي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، لكن ليس له صحبة فروايته مرسلة غير موصولة، والله أعلم.

الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمّ يَنْظُرَ فِيهِ فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا)[١].

ثم قال ابن هشام: (فَلَمّا سَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ: "إِذَا نَظَرْت فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكّةَ وَالطّائِفِ، فَتَرَصّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ"، فَلَمّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً، ثُمّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى نَخْلَةَ أَرْصُدُ بِهَا قُرَيْشًا حَتّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ لَمْ يَتَخَلّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ).

ثم قال ابن هشام: (وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ فَقَالَ الْقَوْمُ وَاللهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْقَوْمَ هَذِهِ اللّيْلَةَ لَيَدْخُلُنّ الْحَرَمَ فَلَيَمْتَنِعُنّ مِنْكُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنّهُمْ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ، فَتَرَدّدَ الْقَوْمُ وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ ثُمّ شَجّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ، فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التّمِيمِيّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ، وَأَفْلَتَ الْقَوْمَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَأَعْجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالْأَسِيرَيْنِ حَتّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ أَنّ عَبْدَ اللهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إنّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِمّا غَنِمْنَا الْخُمُسَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ اللهُ تَعَالَى الْخُمُسَ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَعَزَلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خُمُسَ الْعِيرِ وَقَسّمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ).

وقال أبو بكر الصديق الأبيات التي ردَّ فيها على قريش حين استعظموا سفك الدَّم والسَّبي في الشهر الحرام، فيما قال ابن إسحاق، وقال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش[٢]:

تَعـــــدُّونَ قتلاً في الحرام عظيمـــــةً وأعظمُ منـهُ لـو يَـرى الرشـدَ راشِـدُ

[١] (ج٢/ص٢٥٢-٢٥٤)
[٢] السيرة لابن هشام: (ج٢/ص٢٥٦).

صُـــدودُكمْ عمّـــا يقـــولُ محمـــدٌ ... وكفــــرٌ بـــــهِ واللهُ راءٍ وشـــاهدُ
وإخــراجُكمْ من مســجدِ اللهِ أهلَــهُ ... لئلا يُـــرى في الــــبيتِ للهِ ســـاجدُ
فإنَّا وإنْ عَيَّرتُــــــمونا بقتلـــــهِ ... وأَرجـــفَ بالإســـلامِ باغٍ وحاســـدُ
ســـقَينا من ابن الحضـــرميّ رماحَنـــا ... بنَخلــــةَ لما أَوقـــدَ الحربَ واقِــــدُ
دَمـــاً وابنُ عبـــد الله عثمـــانُ بَيْننـــا ... ينازعُـــهُ غُـــلٌّ من القِـــدِّ عانِـــدُ

ذكر استفتاح اليهود بالحرب وتفاؤلهم بما حدث

وقال ابن هشام في السيرة: (وَقَالَتْ يَهُودُ -تَفَاءُلٌ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٌو عَمُرَتِ الْحَرْبُ، وَالْحَضْرَمِيّ حَضَرَتِ الْحَرْبُ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدَتِ الْحَرْبُ. فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ)[١].

فصل الله يدافع عن الذين آمنوا

قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٢١٧].

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله عن سبب السؤال في الأية وممَّن كان؛ فقال في تفسيره: (فسأله المشركون عن ذلك ليعيّروه ويستحلّوا قتاله فيه، قاله الأكثرون. أو سأله المسلمون ليعرفوا حكمه؛ سألوا عن القتال في الشهر الحرام، فأخبرهم أن الصدّ عن سبيله وإخراج أهل الحرم والفتنة أكبر من القتل في الشهر، أو سألوا عن القتل في الحرم والشهر الحرام فأخبرهم بأن الصدّ والإخراج والفتنة أكبر من القتل في الحرم والشهر الحرام، وتحريم ذلك محكم عند عطاء، منسوخ على الأصح)[٢].

---
[١] (ج٢/ص٢٥٤)
[٢] (ج١/ص١٨٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: (يقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَإِنْ كَانَ قَتْلُ النُّفُوسِ فِيهِ شَرٌّ فَالْفِتْنَةُ الْحَاصِلَةُ بِالْكُفْرِ وَظُهُورُ أَهْلِهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَدْفَعُ أَعْظَمَ الفسادين بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا).

وقفات مع الغزوة وأحداثها

١- هناك خلاف واضح في توقيت السرية ومتى أرسلها رسول الله صلى اله عليه وسلم؛ فأهل السير على أنها في شهر رجب، وما نقلناه من أحاديث مسندة على أنها في جمادى الآخرة وهو ما عليه جمهور المفسرين، وهو الصحيح الراجح إن شاء الله لسببين:

الأول: إنَّ ما صحّ سنداً هو ما نتديّن به ونرجحه، أي أنها كانت في جمادى الآخرة.

والثاني: ما رواه أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله أنه قال: (لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى أو يغزوا، فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ).

وذلك في أول الأمر قبل النسخ على الراجح وسنأتي عليه إن شاء الله.

روى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق الفزاري قال: (سألت سفيان الثوري عن قول الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}، قال: هذا شيء منسوخ وقد مضى، ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام وفي غيره)[٢].

فإن قيل كانوا سرية استطلاع لا قتال، أجيب: أنَّ الأمر إذا كان حراماً مُنِع ما يؤدي إليه ويكون سبباً فيه، وإن الله ذمّ قوماً حرم عليهم الصيد في يوم السبت فحجزوه فيه ثم اصطادوه بعده، والاستطلاع في الشهر الحرام ثم القتال في غيره مثله تماماً في الصورة، ثم إن النبي ﷺ أمرهم بالسلاح على ما ذكر الواقدي في مغازيه فقال: (قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ فَقَالَ: "وَافِ مَعَ الصّبْحِ

---

[١] مجموع الفتاوى: (ج١٠/ص٥١٣).

[٢] الدر المنثور: (ج١/ص٦٠٤)، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى أيضاً (ج٩/ص١٢) بسند صحيح.

مَعَك سِلَاحُك أَبْعَثُك وَجْهًا"، قَالَ: فَوَافَيْت الصّبْحَ وَعَلَيّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي وَمَعِي دَرَقَتِي)[١].

٢- هناك اختلاف في عدد من أرسلهم النبي ﷺ إلى الغزوة؛ فقال ابن سعد: اثنا عشر رجلاً، وثبت في حديث السدّي عن جمع من الصحابة: أنهم ثمانية بأميرهم على ما ذكر ابن إسحاق، وهو ما نرجحه كذلك؛ أولاً: لأن النص جاء به وهو كذلك ما عليه جمهور أهل السير، وثانياً: لأنها سرية استطلاع فالأصل في هكذا مهمات أن تكون قليلة العدد إلى أقل حدّ ممكن لخفة الحركة وسهولة التخفي وحتى لا تثير الانتباه.

٣- هناك اختلاف ظاهري في أمر الرسول ﷺ لأمير السرية متى وأين يفضّ الكتاب؛ ففي حديث جندب: (وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا)، وفسر هذا المكان في حديث السدّي أنه: (بطن ملل)، وهي زيادة الثقة يجب الأخذ بها، ولكن وقع عند ابن إسحاق وغيره من أهل السير: (وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ)، وعند الواقدي: (حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي)، وهو وقول ابن إسحاق سواء في المعنى، والظاهر أنَّ هناك اختلافاً ولا اختلاف إن شاء الله، ويمكن الجمع أنه أمره ألا يفتح الكتاب إلا في بطن ملل ولا يصله إلا بعد يومين، وهو كذلك تقريباً جغرافياً.

٤- يوجد اختلاف على السبب الداعي على قتل ابن الحضرمي وهل كان الصحابة يعلمون أنهم في الشهر الحرام، والقول الأول، وهم قلة؛ يقولون: كان ذلك لعرض من أعراض الدنيا، وحاشاهم، وبه قال الواقدي[٢]، حيث قال: (قَالَ قَائِلٌ لَا نَدْرِي أَمِنَ الشّهْرِ الْحَرَامِ هَذَا الْيَوْمُ أَمْ لَا، وَقَالَ قَائِلٌ لَا نَعْلَمُ هَذَا الْيَوْمَ إلّا مِنَ الشّهْرِ الْحَرَامِ وَلَا نَرَى أَنْ تَسْتَحِلّوهُ لِطَمَعٍ أَشْفَيْتُمْ عَلَيْهِ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَمْرِ الّذِينَ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدّنْيَا، فَشَجّعَ الْقَوْمَ فَقَاتَلُوهُمْ)[٣].

---

[١] (ص ١٤).
[٢] (ص ١٤).
[٣] وورد هذا القول أيضاً من مرسل عروة بن الزبير عند البيهقي في الدلائل (ج٢/ص٤٩٤).

والقول الثاني وهو الصحيح سنداً: أنهم (لَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ جُمَادَى) كما في حديث جندب، وهو رواية ابن إسحاق وابن سعد، (وقد غمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب) كما في رواية السُّدّي، ولا يُظن بالصحابة الذين تركوا الدنيا إلا ذلك، وهو الثابت بحمد الله تعالى.

٥- القول أن ابن المغيرة أعجزهم بمعنى هرب منهم، كما يُفهم من سياق الرواية: (وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة، واستاقوا العير، وكان فيها خمر وأدم وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا بذلك كله على رسول الله ﷺ)، وهو ما صرح به ابن هشام: (وَأَفْلَتَ الْقَوْمَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَأَعْجَزَهُمْ)، وهم كانوا عندَ نَخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ، لِأَنَّهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْقَدِيمِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِف، وهو مكان لا يبعد في أقصى أحواله عن مكة بأكثر من أربعين كيلو مترًا شمالاً، بينما يبعد عن المدينة أكثر من أربعمائة كيلو مترًا هذا مع العلم أنَّ كون الأسير هرب ودخل مكة وعلموا بالقتل ولم يفعلوا شيئاً قول مستبعد جداً، فإنَّ قريشاً كانت في غاية اليقظة نتيجة للحوادث السابقة، فقصَّة ابن الحضرمي هي التي أجّجت القتال في بدر كما سيأتي.

والقول أنَّهم علموا ولم يلحقوا بهم قول مستبعد وفيهم الفرسان المعروفون، ويعلمون كلَّ طرق المكان، ثم إنَّ الصَّحابة كانوا بطيئين جداً في الحركة فقد استاقوا العير وهي في أنشط أحوالها تسير بمعدل أربعة كيلو مترات في الساعة، هذا فضلاً على أنها تحمل أثقال البضائع.

والذي نراه والله أعلم وجربناه أنَّهم أسروه مع من أُسر، ولكنَّه رفض الحركة معهم وحاول التفلّت بكل طريقة، وحملُ هكذا شخص يُتعِب جداً ويعيق الحركة ويكلّف جهداً كبيراً، وهم مع ذلك دخلوا بيقين في شهر رجب مع دخول اليوم الثاني، فهم بين أمرين: إمَّا أن يقتلوه أو يتركوه، وكلاهما مستبعد جداً، فأوثقوه وانصرفوا حتى لا يستنجد بقريش فهم لم يقتلوا ابن الحضرمي إلا وهم مضطرُّون لذلك، فآخِر ما يمكن أن تقدم عليه سرية استطلاع في عمق أرض العدو هو القتل.

وقد روى أبو نعيم في معرفة الصحابة عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ ابن الحضرمي وقع في النبي ﷺ فلذلك قتلوه، قال: (بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في سرية فلقوا عمرو بن الحضرمي ببطن نخلة، فتناول عمرو بن الحضرمي رسول الله ﷺ، وفي أصحاب عبد الله بن جحش رجل يقال له: واقد بن عبد الله، فوضع سهماً في كبد قوسه، فرمى عمرًوا فقتله).

٦- وروى الطبراني بسند حسن[١] كما في سبل الهدى والرشاد عن زر بن حبيش قال: (أول مال خُمِّس في الإسلام مال عبد الله بن جحش)[٢]، فهذا نص ظاهر الدلالة أنَّ أول من وافق الشرع في تخميس الغنيمة هو عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وكان المرباع هو العرف السائد قبلُ، وكان علامة الرئاسة وبه افتخر من افتخر، وذلك أنَّ أهلَ الجاهلية كان الرئيس منهم يأخذ رُبع الغنيمة، قال ابن عَنَمة الضبّي حليف بني شَيبان، في مرثيته بِسطام بن قيس:

لك المِرباع منها والصفايا *** وحكمك والنشيطة والفضول

وليس معنى هذا أنَّ الخمس فرض في هذه الغزوة كما قد يفهم، إنما فرض الخمس بعد بدر كما سيأتي بعد ذلك، وهي أوَّلُ موافقة للشرع فيما أعلم وقعت من صحابي[٣]، وقد حدث هذا لغيره رضي الله عنه، كما روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]، وَآيَةُ الْحِجَابِ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: {عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ} [التحريم:٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ).

[١] تحسين هذا الإسناد هو نصّ قول الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٦٧)، وهو يعني حسنه إلى زرّ بن حبيش، كما قلنا ذلك من قبل (الهامش ٢٤)، وزرّ هذا تابعي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام لكن ليس له صحبة، فهذا النصّ إذن مرسل غير موصول، فلا يمكن بناءً عليه التقرير بكونها أول موافقة للشرع وقعت من صحابي، كما جاء بعدها.

[٢] (ج٦/ص١٨)

[٣] انظر الهامش السابق.

٧- ما روي أنَّ أميرَ السرية لقب بأمير المؤمنين؛ قال القرطبي في تفسيره[١]: (قال ابن عطية: وذكر الصاحب بن عباد في رسالته المعروفة بالأسدية أنَّ عبد الله بن جحش سُميَ أمير المؤمنين في ذلك الوقت لكونه مؤمراً على جماعة من المؤمنين)[٢]، ولا تعارض مع كون عمر بن الخطاب هو أول من لقب به، فإنه قد صار لقباً به يعرف في العالمين والى يوم الدين، بخلاف ما كان في هذه السرية ولوقت قصير محدود لم يتجدّد بعد ذلك بين المسلمين.

٨- إنَّ تخلفَ عتبة وسعد كان عين الحكمة؛ فإنَّ القومَ في سريَّةٍ استطلاعية تهتم أول ما تهتم به بالخفة وسرعة الحركة، ولأنَّه كان لكل اثنين بعير، يعني إذا تركوا بعيرهم ومضوا مع السرية زيادةُ جهد على السرية وتأخيرٌ وبُطءٌ في الحركة، فسواء أكان القرارُ قرار الأمير وهو الأرجح أو قرارَهما فقد كان صائباً، وعُوقبا بعدم أخذِ الحيطة الكافية للحفاظ على دابَّتهما بإعفائهما من المهمة وكفى به عقاباً.

الفوائد

لم نجد في شيء من كتب الحديث أو السيرة فيما أعلم التنصيص على سبب معين لإرسال السرَّية بالكتاب دون إخبارهم من المدينة، ويمكن لنا أن نستخلص العبر من ذلك:

- فَمِنْهَا جواز المناولة كوجه من وُجُوه التَّحَمُّل والاجازة الْمُعْتَبَرَة عِنْد الْجُمْهُور، قال الحافظ في الفتح: (الْمُنَاوَلَة: وَصُورَتهَا أَنْ يُعْطِي الشَّيْخ الطَّالِب الْكِتَاب فَيَقُول لَهُ: هَذَا سَمَاعِي مِنْ فُلَان، أَوْ هَذَا تَصْنِيفِي فَارْوِهِ عَنِّي. وَقَدْ قَدَّمْنَا صُورَة عَرْض الْمُنَاوَلَة وَهِيَ إِحْضَار الطَّالِب الْكِتَاب، وَقَدْ سَوَّغَ الْجُمْهُور الرِّوَايَة بِهَا)[٣].

---

[١] (ج٣/ص٤٠).

[٢] وهذا أمر لم يثبت، فليس له مستند معتمد سوى قول الصاحب بن عبّاد هذا، وهو وإن عُدّ من أهل العلم باللغة والأدب فليس هو من أهل الحديث، وروايته قليلة كما قال الذهبي في الميزان (ج١/ص٢١٢)، ثم إنه كان شيعياً معتزلياً كما بينه الذهبي هناك وفي ترجمته من تاريخ الإسلام (ج٩/ص٩٥) كذلك، وإن ذكر أنه لم يكن مغالياً بل كان يقول بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان، لكن يُخشى أن يكون هذا مما دخل عليه من تشيعه لصرف هذه الفضيلة في أسبقية التسمية بأمير المؤمنين عن الفاروق رضي الله عنه إلى غيره، والله أعلم.

[٣] (ج١/ص١٥٤).

قال ابن بطال رحمه الله[1]: (فيه أنَّ المناولة تجري مجرى الرواية، ألا ترى أنَّ أميرَ السرية ناوله كتابه، وأمرَ بقراءته على الناس، وجاز له الإخبارُ بما فيه عن الرسول ﷺ، وفيه أنَّ الذين قُرئ عليهم الكتاب يجوز أن يرووه عن الرسول ﷺ، لأنَّ كتابَه إليهم يقوم مقامه، وجائز للرجل أن يقول: حدثني فلانٌ إذا كتب إليه، والمناولة في معنى الإجازة، واختلف العلماء في الإجازة، فأجازها قوم وكرهها آخرون).

- وفيها جواز الأمر والنهي من الأمير بالكتاب إذا عُلم أن ذلك خطُّه أو عليه ختمُه، وأنَّه مما لا غنى عنه للأمراء، فقد كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهل اليمن كتابا وفيه الفرائض والسنن والديات، وبعث به إلى عمرو بن حزم فقرئت على أهل اليمن وعملوا بما فيه، وهو حديث صحيح كما قال الإمام أحمد[2]. فكون النَّبِيِّ ﷺ دَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِهِ فوجب على عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وأهل اليمن الْعَمَلُ بِهِ وَالْأَخْذُ بِمَا فِيهِ.

وقال البخاري[3]: (بَاب الشَّهَادَةِ عَلَى الْخَطِّ الْمَخْتُومِ وَمَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا يَضِيقُ عَلَيْهِمْ، وَكِتَابِ الْحَاكِمِ إِلَى عَامِلِهِ وَالْقَاضِي إِلَى الْقَاضِي)، ثم قال: (وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ إِمَّا أَنْ تَدُوا صَاحِبَكُمْ وَإِمَّا أَنْ تُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ).

وقد جاء في سيرة النبي ﷺ وما صحّ عنه من هذا الشيء الكثير، فإن النبي ﷺ والصحابة حاربوا أُمماً بمجرد وصول الدعوة إليهم بكتاب، كما هو معلوم من كتبه ﷺ إلى الأمراء والملوك.

- ومنها العمل بالشهادة والوصية وسَائِرِ الْعُقُودِ وَالسِّجِلَّاتِ، شرط اليقين أنَّ هذا خط المعين بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ.

---

[1] في شرح الصحيح: (ج١/ص١٣٨-١٣٩).

[2] نقله عنه ابن الجوزي في التحقيق (ج٢/ص٣٦)، لكن المقصود من ذاك التصحيح عند الإمام أحمد هو رواية مخصوصة هناك في الصدقات لا في عموم ذلك الكتاب، كما يُفهم من كلام ابن الجوزي هناك، وإلا فكتاب عمرو بن حزم هذا قد اختلف أهل العلم في تصحيحه، ويراجع تفصيله في (التلخيص الحبير) للحافظ ابن حجر (ج٤/ص١٧-١٨)، وغالب من صحّحه من العلماء فإنما صحّح أطرافاً منه لوجود شواهد لها. والمقصود من ذكره هنا هو الاستدلال لصحة الإلزام بالكتاب، وهو أمر ندلّ عليه دلائل أخرى صحيحة غير هذا الحديث، والله أعلم.

[3] كتاب الأحكام: باب ١٥: (ج٩/ص٨٣).

قال البخاري في صحيحه[1]: (وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِالصَّكِّ يُقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُونَ أَشْهَدَنَا فُلَانٌ).

قال الحافظ في الفتح: (وَالْجَمْع صِكَاك وَصُكُوك، وَالْمُرَاد هُنَا: الْمَكْتُوب الَّذِي يُكْتَب فِيهِ إِقْرَار الْمُقِرّ)[2].

– وفيها جواز الاجتهاد إذا اقتضت الضرورة ولم يكن طريق لمعرفة وجه الشرع، وقد حدث من ذلك الكثير للصحابة؛ منها ما بهذه الغزوة من الإقدام على القتال بلا أمر، ومنها أكل سمك الحوت الميت من أبي عبيدة –وهو ما جرى في سرية الخبط سنة ثمان من الهجرة كما قال ابن سعد في الطبقات[3]، وحديثها عند مسلم وغيره، وصلاة الجنب عند خشية الضرر من عمرو، وهذا في غزوة ذات السلاسل، وهو عند الإمام أحمد، وأبي داود وهو صحيح، وفيه: «فتيمّمت ثم صليت»– وغيره الكثير.

– وفيها وجوب السِّريّة والكتمان في العمل العسكري إذا خشي على الناس من ظهوره، فيُحتمل أنَّ الرسول ﷺ فعل ما فعل خشية أن تنفضح وجهة السريَّة ويطير خبرُها إلى العدو فيهلكوا، وخاصة إنَّ وجهتها في عمق أرضهم وديارهم فاحتاط النبي ﷺ لجنوده من أنفسهم. ويقوي ذلك إذا علمنا متى أخبرهم ومتى انطلقوا من المدينة، قال الواقد: (قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ فَقَالَ وَافِ مَعَ الصّبْحِ مَعَك سِلَاحُك; أَبْعَثُك وَجْهًا) فأبلغه ليلاً وأرسله فجراً، بل نعلم مِن سياق القصة أنَّ الأمير كان لا يعلم حتى لحظةَ الانطلاق من سيكون معه في هذه المهمة، ومن باب أولى ولا حتى الجنود كانوا يعلمون مَن معهم ومَن هو أميرهم ولا هي المهمة التي سيكلفون بها؛ فقد قال رضي الله عنه كما عند الواقدي: (قَالَ فَوَافَيْت الصّبْحَ وَعَلَيّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي وَمَعِي دَرَقَتِي، فَصَلّى النّبِيّ ﷺ بِالنّاسِ الصّبْحَ ثُمّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْته وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ وَأَجِدُ نَفَرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ

[1] كتاب العلم: باب٦: (ج١/ص٢٤).
[2] (ج١/ص١٤٩).
[3] (ج٢/ص١٣٢).

فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَتَبَ كِتَابًا، ثُمَّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيٍّ فَقَالَ قَدِ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ)[٣] ومع أن الجنود اختيروا بعناية فإن النبي ﷺ لم يدع للخطأ طريقاً.

وفي قراءةٍ للسبب الباعث على فتح الكتاب بعد يومين وعدم إكراه أحد على الغزو فإنّا -والله أعلم- نحسبُه احتياطاً أمنياً، فلو افترِض أنَّ أحداً منهم رفض الذهاب وعاد فسوف يحتاج كذلك في أحسن الأحوال إلى يومين؛ بمعنى أن فريق العمل يكون قد قطع من الطريق أربعة أيام، فلو فُرِض أنَّ أحد العائدين أفشى سرّ السرية والتقطها أحد الكفار الموجودين في ذلك الحين بكثرة في المدينة أو أحد المنافقين فلا يمكن أبداً أن يُدرك السريَّة مهما كانت سرعته إلا بعد وصولهم والانتهاء من مهمتهم الخاطفة وبداية العودة الآمنة.

وتالله وبالله لا تكون هكذا دقَّة وسِريَّة في عمل إلا ويكون لها من التوفيق نصيب إلا أن يشاء ربي شيئاً، وللأسف فقد قرأت أن هذا الحدّ من السرية يستعمله الكفار اليوم في المهمات الخاصة جداً، ونحن نضحي بأنفسنا وإخواننا اليوم بدعوى حفظ الله دون الأخذ بالسبب وهو دين.

- وفيها أهمية العمل النوعي، وأنَّ الأمير يُستحب أن يشرف بنفسه على ترتيب أمور جنوده من خط سير الغزوة إلى اختيار الجنود إلى طريق السير إلى مكان العملية وغير ذلك.

- وفيه أنَّ الأميرَ ينبغي له أن يكون القدوة في السمع والطاعة والمسابقة إلى الخيرات والجود والجرأة، وهو عين ما كان في أمير السرية باستجابته لما في الكتاب.

- وفيها ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من جرأة كبيرة إلى حدّ التوغل بأرض العدو مع قلة في العَدد والعُدَّة، وفيه كمال الانقياد وخفة الحركة وسرعة الجاهزية العسكرية.

[٣] (ص١٤).

– وفيها استحباب أن يقول الجندي لأميره إذا كلفه بأمر: (سمعاً وطاعة) فإنَّ هذا مِن تمام الأدب، ويُشعرُ الأميرَ بالفرح لقوة روح الجندية بين أفراده.

– وفيها أن المهام الخطرة يستحب أن تكون الجندية فيها اختيارية لا إجبارية.

– وفيها أنَّ الأمير يعظ إخوانَه ويحرِّضُهم على الشهادة قبل العمل، وخاصة الجهاد.

– وفيها جواز أن ينفرد طائفة من الجيش عنه لحاجة كإصلاح خلل أو ردّ شارد أو جبر ضعيف، ما دام يؤمَن عليهم من شر ذلك إما لمنعة فيهم أو لأمن المكان والطريق، ولذا جعل الرسول ﷺ لمن يقاتل في الرجعة الثلث[1] وذلك لأنَّه ليس لهم قوة تلحقهم فتحميهم بخلاف الطليعة، وانظر مغني المحتاج[2].

– وفيها الوصيةُ لمن خشي الهلاك أو أقدم على عمل يظن فيه الموت ونصيحة الإخوان بها.

– وفيها جواز مخادعة الكفار بعمل يظنونه أماناً لهم كمشابهتهم في الهدي الظاهر والتكلّم بطريقتهم ولسانهم أو إيهامهم أننا من أهل ملتهم، وأنَّ ذلك لا يعدّ أماناً ولا شبهة أمان.

– وفيها أنَّ الأمير يشاور إخوانه فيما ينزل به ولا ينفرد بالرأي، وخاصة إذا كان ما سيتخذه من قرار يتعلق به مصير الجماعة.

– وفيها أنَّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأنَّه ينبغي الابتعاد عمّا يمكن أن يستغلّه الكفارُ لتشويه صورة الحق عند المسلمين، ما دام لذلك سبيل مشروعة، وإلَّا فهم لا يتوقفون عن الطعن في الموحدين.

---

[1] كما في حديث عبادة بن الصامت عند الإمام أحمد (ج٥/ص٣١٩)، والترمذي (ج٢/ص٣٨٢) وحسّنه، وابن ماجه (٢٨٥٢)، وحديث حبيب بن مسلمة عند الإمام أحمد (ج٤/ص١٦٠)، وأبي داود (٢٧٤٩، ٢٧٥٠)، وهو صحيح بمجموع ذلك.

[2] (ج٣/ص١٠٠).

- وفيها أنَّه إذا تعارض حظ الدِّين والجماعة مع حظ النفس؛ قُدِّم الدِّينُ وحظُّ الجماعة ولا ريب، ولتراجع الشروط المتعلقة بضروريات الشريعة الخمس.

- وفيها وجوب أن يدفع المسلم عن نفسه التُّهمة ويتبرأ مما يرميه به أعداؤه، وأن الكفار دائماً وأبداً يحاولون تشويه صورةِ المسلمين وإظهارَ أنفسِهم أنَّهم أحسنُ طريقةً وأقرب إلى الحق وأنَّ دينهم هو خير دين، خداعاً للبلهاء المغفلين.

- وفيها أنَّ الدفاعَ عن أهل الحق فرضٌ وواجب على كل من يستطيع ذلك، وأنَّه ينبغي أن يُسخَّر له خيرُ ما عندنا مِن قدرات وطاقات.

هل يجوز اليوم القتال في الأشهر الحرم؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير: (وقد حكى الإمام أبو جعفر رحمه الله الإجماعَ على أنَّ الله قد أحلّ قتالَ أهلِ الشّرك في الأشهرِ الحرمِ وغيرها من شهور السنة، قال: وكذلك أجمعوا على أنَّ المشرك لو قلَّد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أماناً من القتل إذا لم يكن تقدم له عقدُ ذمةٍ من المسلمين أو أمان)[1].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق الفزاري قال: (سألت سفيان الثوري عن قول الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٧]، قال: هذا شيء منسوخ وقد مضى، ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام وفي غيره)[2].

وقال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره: (والصواب من القول في ذلك ما قاله عطاء بن ميسرة: مِنْ أنَّ النَّهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرُم منسوخ بقول الله جل ثناؤه: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}[التوبة: ٣٦]، وإنما قلنا ذلك ناسخٌ لقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنَّه غزا

[1] (ج٢/ص٤)

[2] الدر المنثور (ج١/ص٦٠٤)، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى (ج٩/ص١٢) بسند صحيح، وقد تقدم.

هوازن بحُنين وثقيفًا بالطائف، وأرسل أبا عامر إلى أوْطاس لحرب من بها من المشركين في الأشهر الحرُم، وذلك في شوال وبعض ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم. فكان معلومًا بذلك أنَّه لو كان القتالُ فيهن حرامًا وفيه معصية كان أبعد الناس من فعله ﷺ، وأخرى أنَّ جميعَ أهلِ العلم بِسِيَرِ رسول الله ﷺ لا تتدافع أنّ بيعةَ الرضوان على قتال قريش كانت في ذي القعدة)[1].

وقال العز بن عبد السلام في تفسيره: (وتحريم ذلك مُحكَمٌ عند عطاء، منسوخٌ على الأصح، لأنَّ الرسول ﷺ غزا هوازن وثقيفاً، وأرسل أبا عامر إلى أوطاس في بعض الأشهر الحرم، وبايع على قتال قريش بيعة الرضوان في ذي القعدة)[2].

وروى الطحاوي[3] عن مخرمة بن بكير عن أبيه عن ابن المسيب، واستفتيته: (هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام؟ فقال ابن المسيب: نعم، قال بكير: وقال ذلك سليمان بن يسار فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن ذلك الحكم منسوخ بما نزل في سورة براءة).

وقال الطحاوي في مشكل الآثار: (عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: {بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} [التوبة: ١-٢]، قال: حدّ الله عز وجل للذين عاهدوا رسوله ﷺ أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاءوا، وحدّ لمن ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم خمسين ليلة، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام، ونقض ما سمى لهم من العهد والميثاق، وأذهب الميقات، وأذهب الشرط الأول، ثم قال: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني أهل مكة، {فَما اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٧]، وقوله: {وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا

---
[1] (ج٢/ص٣٥٩).
[2] (ج١/ص١٨٢).
[3] في مشكل الآثار (٤٢٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (ج٩/ص١٢) (برقم ١٧٥٢٥).

ذِمَّةً} [التوبة: ٨]، قوله: {إِلًّا}: القرابة، والعهد: الذمة، فلما نزلت براءة انتقضت العهود وقاتل المشركين حيث وجدهم وقعد لهم كل مرصد حتى دخلوا في الإسلام، فلم يؤو به أحد من العرب بعد براءة. فدلَّ هذا الحديث على أن العهود كلها انقطعت بما تلونا في سورة براءة، وحلّ القتال في الزمان كلِّه، وحملنا على قبول رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإن كان لم يلقه؛ لأنَّها في الحقيقة عنه عن مجاهد وعكرمة).

أمير السرية

عبد الله بن جحش بن رئاب، بِراء وتحتانية مهموزة وآخره موحدة، ابن يعمر الأسدي حليف بني أمية بن عبد شمس، ابن عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، وأخو أُمنّا أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، واستشهد يوم أحد، وجُدِع أنفُه وأذنُه، ودُفِن هو وحمزةُ في قبر واحد، وولي رسول الله ﷺ تركته، واشترى لولده مالاً بخيبر)[1].

وحديثه في الدعاء يوم أحد عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص: حدثني أبي أنَّ عبد الله بن جحش قال يوم أحد: (ألا تأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: «يا رب إذا لقينا القوم غداً، فلقّني رجلاً شديداً بأسُه، شديداً حرَدُه، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله، وآخذ سلبه»، فقام عبد الله بن جحش ثم قال: «اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فيم جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فيقول: صدقت». قال سعد بن أبي وقاص: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإنَّ أذنَه وأنفَه لمعلقان في خيط)[2].

---

[1] تعجيل المنفعة لابن حجر (ص٢١٦-٢١٧).

[2] أخرجه الحاكم (ج٢/ص٨٦)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (ج٦/ص٣٠٧)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، قال الحافظ في الفتح (ج٦/ص٣٠٤): (وَكَمَا رَوَى الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: "أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ تَعَالَ بِنَا نَدْعُو").

وعن زرّ قال: (أوّلُ راية رفعت في الإسلام راية عبد الله بن جحش، وأول مال خمّس في الإسلام مال عبد الله بن جحش)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواهما الطبراني بإسناد واحد، وهو إسناد حسن)[١].

(وروى البغوي من طريق زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال: "لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش"[٢]، فبعث علينا عبد الله جحش، فكان أول أمير في الإسلام. وقال الزبير: كان يقال له المجدع في الله، قال: وقتله أبو الحكم بن الأخنس وله نيف وأربعون سنة، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وإخوتها)[٣].

وكانت زوجته عند وفاته أمّ المساكين، زينب بنت حزيمة بن الحارث العامريّة، وسميت أمّ المساكين لعطفها عليهم وتقريبهم، فلما قُتل يوم أحد تزوَّجها رسولُ الله ﷺ سنة ثلاث ولم تلبث عنده إلّا يسيراً شهرين أو ثلاثة وتوفّيت رضي الله عنها في حياته[٤].

فصل غلط من ظن أن عبد الله بن جحش كان من العميان القاعدين

وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ[٥] مِنْ طَرِيق حَجَّاج بْن مُحَمَّد عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ سَمِعَ مِقْسَمًا مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: ({لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} عَنْ بَدْرٍ وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ، لَمَّا نَزَلَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: إِنَّا أَعْمَيَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ لَنَا رُخْصَةٌ، فَنَزَلَتْ: {لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، وَ{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً}، فَهَؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى

---

[١] (ج٦/ص٦٧).
[٢] أخرج هذا الحديث أيضاً الإمام أحمد (ج١/ص١٧٨)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٥١)، وهو ضعيف.
[٣] تعجيل المنفعة لابن حجر (ص٢١٧).
[٤] انظر الاستيعاب (ج١/ص٥٩٩)، وجلاء الأفهام (ص٢٥٦).
[٥] في تفسير سورة النساء، وهو عند النسائي في الكبرى أيضاً (١١١١٧)، والبيهقي في الكبرى (ج٩/ص٤٧)، وابن جرير في تفسيره (ج٤/ص٢٢٩)

الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ} [النساء: ٩٥] عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ)، قَالَ أَبُو عِيسَى: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ).

قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ[1]: (قَوْلُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، قِيلَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ فِي رِوَايَتِهِ مِنْ طَرِيقِ الْحَجَّاجِ نَحْوَ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ هُوَ أَخُو أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ، وَاسْمُ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدٌ بِدُونِ إِضَافَةٍ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ، وَأَيْضًا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّ لَهُ عُذْرًا إِنَّمَا الْمَعْذُورُ أَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ، وَذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ ابْنُ جَحْشٍ وَلَيْسَ بِالْأَسَدِيِّ، وَكَانَ أَعْمَى، وَأَنَّهُ جَاءَ هُوَ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَذَكَرَا رَغْبَتَهُمَا فِي الْجِهَادِ مَعَ ضَرَرِهِمَا فَنَزَلَتْ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، فَجَعَلَ لَهُمَا مِنَ الْآجِرِ مَا لِلْمُجَاهِدِينَ)[2].

قال الحافظ في الفتح: (هَكَذَا أَوْرَدَهُ سِيَاقًا وَاحِدًا، وَمِنْ قَوْلِه: {دَرَجَة...} إِلَخْ مُدْرَج فِي الْخَبَر مِنْ كَلَام ابْن جُرَيْجٍ، بَيَّنَهُ الطَّبَرِيُّ فَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيق حَجَّاج نَحْو مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ إِلَى قَوْله: {دَرَجَة}، وَوَقَعَ عِنْده: «فَقَالَ عَبْد اللَّه بْن أُمّ مَكْتُوم وَأَبُو أَحْمَد بْن جَحْش» وَهُوَ الصَّوَاب فِي ابْن جَحْش، فَإِنَّ عَبْد اللَّه أَخُوهُ، وَأَمَّا هُوَ فَاسْمه «عَبْد» بِغَيْرِ إِضَافَة، وَهُوَ مَشْهُور بِكُنْيَتِهِ)[3].

مكان وخط سير الغزوة

قال الواقدي في ذكر الغزوة: (ثُمّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيّ فَقَالَ: "قَدِ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلَاءِ النّفَرِ، فَامْضِ حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ"، قُلْت: يَا رَسُولَ اللهِ أَيّ نَاحِيَةٍ؟ فَقَالَ: "اُسْلُكِ النّجْدِيّةَ تَؤُمّ رَكِيّةَ"، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتّى إذَا كَانَ بِبِئْرِ ابْنِ ضُمَيْرَةَ نَشَرَ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ)[4].

[1] عمدة القاري (١٨ج/ص١٨٧).
[2] وانظر تحفة الأحوذي (ج٤/ص٩١).
[3] (ج٨/ص٣٣٢)
[4] (ص١٤)

و(النَّجْدِيَّةُ: طَرِيقٌ تَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مُلْتقَى النَّخْلَتَيْنِ ثُمَّ تَأْخُذُ نَخْلَةُ الشَّامِيَّةُ قِبلًا، ثُمَّ فِي وَادِي الزَّرْقَاءِ، ثُمَّ عَلَى الضَّرِيبَةِ، ثُمَّ تَهْبِطُ مِنَ الْحَرَّةِ عَلَى النُّجَيْلِ، ثُمَّ عَلَى حَاذَّةَ، ثُمَّ عَلَى مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَتَأْتِي الْمَدِينَةَ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَفِي الْعُصُورِ الْأَخِيرَةِ سُمِّيَت «الْفَرْعِيَّةَ» لِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ يَقُولُونَ لِلشَّرْقِ فَرْعٌ وَلِلْغَرْبِ حُدَّرُ)[١].

وفي ناحية معدن بني سليم «مَهْدُ الذَّهَب اِلْيَوْمَ» ضلّ بعير سعد وصاحبه، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (وكان سعد بن أبي وقاص زميل عتبة بن غزوان على بعير لعتبة في هذه السرية، فضلّ البعير بحران، وهي ناحية معدن بني سليم، فأقاما عليه يومين يبغيانه)[٢].

---

[١] المعالم الجغرافية: (ص٢٠٠).

[٢] (ج٢/ص١٠)

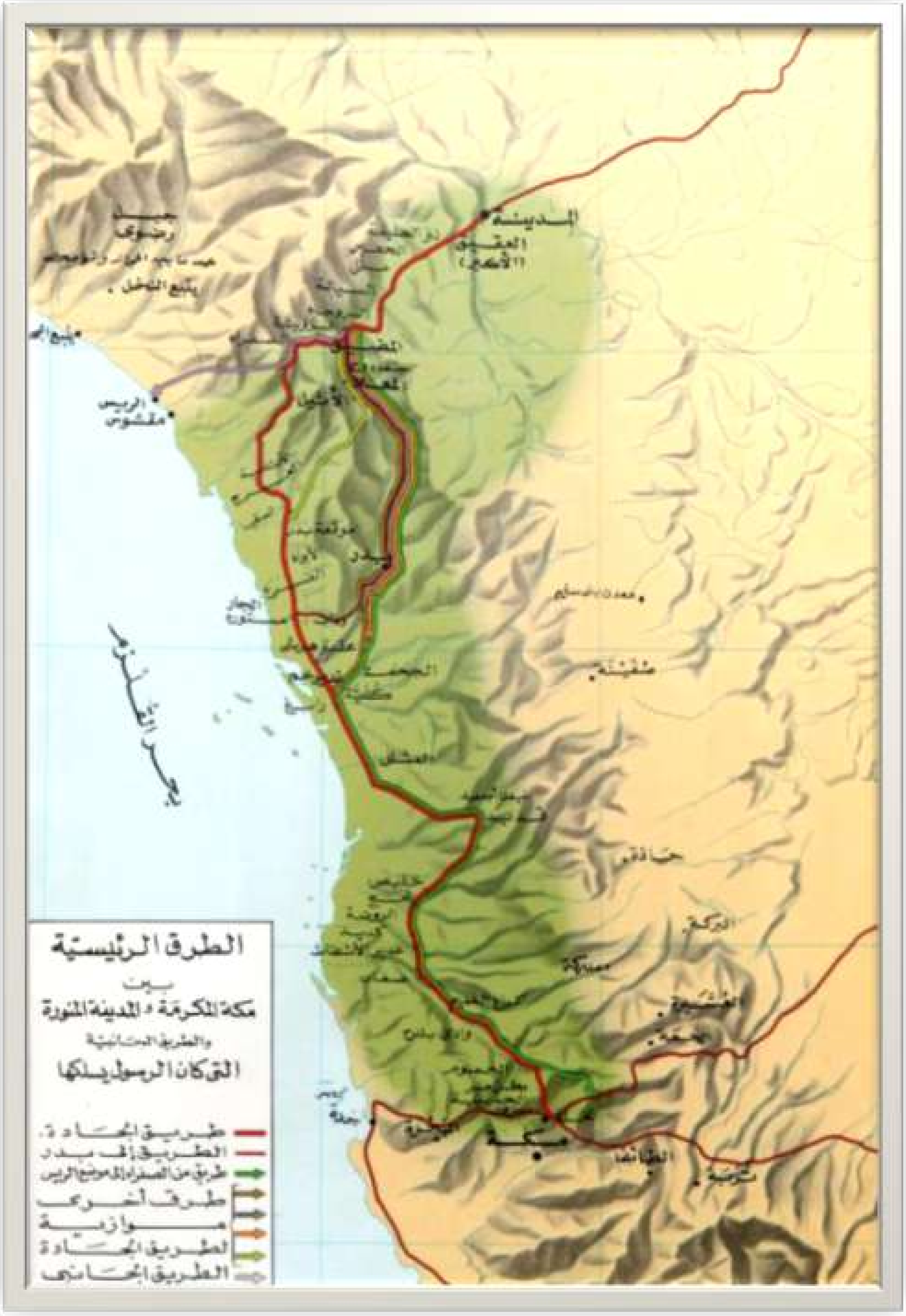
الطرق الرئيسية
بين
مكة المكرمة والمدينة المنورة
والطرق الثانوية
التي كان الرسول يسلكها
طريق الجادة
الطريق إلى بدر
طريق من الصفراء إلى موضع الريس
طرق أخرى
موازية
الطريق الجادة
الطريق الجانبي
المدينة
مكة
الطائف
بحر القلزم

غزوة بدر الكبرى

غزوة بدر العظمى، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان..

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٣].

وقال تعالى: {كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ * يُجادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الكافِرِينَ * لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ} [الأنفال: ٥-٨]، إلى تمام القصة من سورة الأنفال.

القول في تأويل قوله: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}: قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في التفسير: (يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وإن تصبروا وتتقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئًا، وينصركم ربكم، {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} على أعدائكم وأنتم يومئذ {أَذِلَّةٌ} يعني: قليلون، في غير مَنَعةٍ من الناس، حتى أظهركم الله على عدوكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم، وأنتم اليوم أكثر عددًا منكم حينئذ، فإن تصبروا لأمر الله ينصرْكم كما نصركم ذلك اليوم، {فَاتَّقُوا اللَّهَ}، يقول تعالى ذكره: فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، يقول: لتشكروه على ما منَّ به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحق الذي ضلَّ عنه مخالفوكم)[1].

فصل سبب الغزوة

[1] (ج٣/ص٤٢٠).

عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين[1] قال: (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تبُوكَ، غَيْرُ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ).

وروى الطبراني في الكبير بإسناد حسن[2] عن أبي أيوب الأنصاري قال: (قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: "إني أخبرت ونحن بالمدينة عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قِبَل هذا العير لعل الله يغنمناها؟" قلنا: نعم، فخرج وخرجنا معه).

وهي العير التي خرج نبي الله ﷺ يطلبها في غزوته الأخيرة بذي العشيرة.

قال ابن سعد رحمه الله في الطبقات: (ثم غزوة رسول الله ﷺ بدر القتال، ويقال: بدر الكبرى؛ قالوا: لما تحيّن رسول الله ﷺ انصرافَ العير من الشام التي كان خرج لها يريدها حتى بلغ ذا العشيرة...) إلى قوله: (وكان قد ندب المسلمين للخروج معه وقال: "هذه عير قريش فيها أموالُهم لعل الله أن يَغنَمكموها"؛ فأسرع من أسرع إلى ذلك وأبطأ عنه بشرٌ كثير، وكان من تخلّف لم يُلم لأنهم لم يخرجوا على قتال إنما خرجوا للعير)[3].

الفوائد

- فيه تأكيدٌ لما سبق من إصرار رسول الله ﷺ على أطيبِ الكسب مِن غنيمة الكفَّار.

- وفيه فضيلةٌ عظيمةٌ لمن خرج في طلب أموال الكفار، فقد جعله الله سبباً لمن أسرع إليه بأن صار من أهل بدر خيرِ النَّاس في الأرض، وحُرم هذا الشرفَ الرفيع في الدنيا والآخرة مَن أبطأ عنه لأيّ سبب كان، وإلَّا فإنَّه حضرها من عُرف بالشرف والغنى المادي، قال الحافظ في الفتح: (وَقَوْله فِيهِ: «إِنَّمَا خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ يُرِيد عِير قُرَيْش»،

[1] البخاري (٣٩٥١)، ومسلم (٢٧٦٩).
[2] كما قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٧٤)، رغم أن فيه ابن لهيعة وقد اختلط.
[3] (ج٢/ص١١-١٢).

أَيْ وَلَمْ يُرِدِ الْقِتَال، وَقَوْله: «حَتَّى جَمَعَ اللَّه بَيْنهمْ وَبَيْن عَدُوّهُمْ عَلَى غَيْر مِيعَاد»، أَيْ وَلَا إِرَادَة قِتَال)[١].

– وفيه فضيلةٌ للصَّحابة الذين أسرعوا لحاجةِ رسول الله ﷺ وطلبِه، وكيف عاملهم الله وجازاهم خير الجزاء وشرَّفهم هذا الشرف، فليس مَن قعد في بيته تاركاً رسولَ الله ﷺ يسعى لحاجةٍ كمن نهض معه، ولو لم يرد القتال، ولو كان في ظاهر الأمر في غنًى عنه.

– ويستفاد منه استحبابُ الغزوِ مع وليِّ الأمر، خاصةً إذا غزا بنفسه، والمسارعةُ إلى ذلك إلَّا أن يُؤمَر بغيره أو يُردَّ منه.

---

[١] (ج٧/ص٣٦٣).

فصل النبي ﷺ يرسل العيون لاستطلاع الهدف قبل الخروج من المدينة

فلقد أرسل ﷺ بعثتين مختلفتين في نفس الوقت لاستطلاع الهدف:

الأولى: ما ثبت في صحيح مسلم: عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: "لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا").

قال النووي[1]: («بُسَيْسَة» بِبَاءٍ مُوَحَّدَة مَضْمُومَة وَبِسِينَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيْنهمَا يَاء مُثَنَّاة تَحْت سَاكِنَة، قَالَ الْقَاضِي: هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيع النُّسَخ، قَالَ: وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَصْحَاب الْحَدِيث، قَالَ: وَالْمَعْرُوف فِي كُتُب السِّيرَة «بَسْبَس» بِبَاءَيْنِ مُوَحَّدَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيْنهمَا سِين سَاكِنَة، وَهُوَ بَسْبَس بْن عَمْرو، وَيُقَال: ابْنُ بِشْر مِنَ الْأَنْصَار مِنَ الْخَزْرَج، وَيُقَال: حَلِيف لَهُمْ، قُلْت: يَجُوز أَنْ يَكُون أَحَد اللَّفْظَيْنِ اسْمًا لَهُ وَالْآخَر لَقَبًا، وَقَوْله: «عَيْنًا» أَيْ مُتَجَسِّسًا وَرَقِيبًا).

وظاهرُ النّص أنَّه أرسله وحده، لكن يحتمل أن يكون معه غيره وذُكر لأنَّه الأعرف، وهذا هو الراجح أنَّه كان معه في الاستطلاع صاحبه (عدي بن أبي الزغباء)، قال ابن كثير في السيرة: (وقال موسى بن عقبة: بعثهما قبل أن يخرج من المدينة، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها)[2].

البعثة الثانية: قال ابن سعد رحمه الله: (بعث طلحة بنَ عبيد الله التيمي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسّسان خبر العير، فبلغا النّخْبَارَ من أرض الحوراء، فنزلا على كشد الجهني، فأجارهما وأنزلهما وكتم عليهما حتى مرت العير، ثم خرجا وخرج معهما

---

[1] شرح مسلم: (ج١٣/ص٤٤).
[2] (ج٢/ص٣٩٠).

كشد خفيراً حتى أوردهما ذا المروة، وساحلت العير وأسرعت، فساروا بالليل والنهار فرقاً من الطلب، فقدم طلحة وسعيد المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير، فوجداه قد خرج)[1].

وقال الواقدي بشأن سرية الاستطلاع هذه وما جازى به رسول الله ﷺ كشداً بعد ذلك: (فَرَفَعَ طَلْحَةُ وَسَعِيدٌ عَلَى نَشَزٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَنَظَرَا إلَى الْقَوْمِ وَإِلَى مَا تَحْمِلُ الْعِيرُ، وَجَعَلَ أَهْلُ الْعِيرِ يَقُولُونَ: يَا كَشَدُ هَلْ رَأَيْت أَحَدًا مِنْ عُيُونِ مُحَمّدٍ؟ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ، وَأَنّى عُيُونُ مُحَمّدٍ بِالنّخْبَارِ؟ فَلَمّا رَاحَتِ الْعِيرُ بَاتَا حَتّى أَصْبَحَا ثُمّ خَرَجَا، وَخَرَجَ مَعَهُمَا كَشَدٌ خَفِيرًا، حَتّى أَوْرَدَهُمَا ذَا الْمَرْوَةِ، وَسَاحَلَتِ الْعِيرُ فَأَسْرَعَتْ، وَسَارُوا اللّيْلَ وَالنّهَارَ فَرَقًا مِنَ الطّلَبِ، فَقَدِمَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَسَعِيدٌ الْمَدِينَةَ الْيَوْمَ الّذِي لَاقَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَدْرٍ، فَخَرَجَا يَعْتَرِضَانِ النّبِيّ ﷺ فَلَقِيَاهُ بِتُرْبَانَ -وَتُرْبَانُ بَيْنَ مَلَلٍ وَالسّيَالَةِ عَلَى الْمَحَجّةِ، وَكَانَتْ مَنْزِلَ ابْنِ أُذَيْنَةَ الشّاعِرِ، وَقَدِمَ كَشَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَ النّبِيّ ﷺ سَعِيدٌ وَطَلْحَةُ إجَارَتَهُ إيّاهُمَا، فَحَيّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ: "أَلَا أُقْطِعُ لَك يَنْبُعَ؟"، فَقَالَ: إنّي كَبِيرٌ وَقَدْ نَفِدَ عُمْرِي، وَلَكِنْ أَقْطِعْهَا لِابْنِ أَخِي، فَقَطَعَهَا لَهُ)[2].

الفوائد

- فيه أهمية العين التي تتجسس أخبار العدو، ولقد كان رسول الله ﷺ على حنكة عسكرية عالية وغاية في الأخذ بالحيطة وأسباب النجاح في العمل، فأرسل سريتين لاحتمال فشل إحداهما، والوقت لا يتسع وربما فات العدو، وكذلك يبدو أنَّه أرسلهما في اتجاهين مختلفين.

وحدث ما توقعه رسول الله ﷺ فبينما نجحت سرية بسيسة رضي الله عنه في الحصول على المعلومة وإيصالها في الوقت الأخير بحيث لا مجال لمن كان ظهره في أعلى المدينة للخروج، إلَّا أنَّ سرية طلحة بنِ عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما أخفت

---

[1] (ج٢/ص١١-١٢).

[2] (ص ٢٠).

في إيصالِ المعلومةِ في الوقت المناسب لسبب ما أخرهم غير معلوم، ولكن نلاحظ أنَّ السرية التي أخفقت كانت من أثنين من المهاجرين، وهذا ربما يفسِّر تأخيرهما إن صحّ خبر السرية، فأهل مكة أعلم بشعابها وكذلك أهل المدينة فإنَّ عملية الاستطلاع كانت تتم في أماكن قريبة منها.

- فيه أنَّ الحديث نصّ في أن النبي ﷺ لم يخبر الصحابة عند تجهزهم للنفير بمقصده في طلب العير فقال ﷺ: "إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"، ولم يحدد ماهية الطلب، فيبدو أنَّ رسول الله ﷺ أخبرهم بعدما اكتمل استعداده ونظّم صفوفه وردّ من لا يطيق القتال في عسكره خارج المدينة، قال الإمام النووي رحمه الله[1]: (فِي هَذَا اسْتِحْبَابُ التَّوْرِيَة فِي الْحَرْب، وَأَلَّا يُبَيِّن الْإِمَام جِهَة إِغَارَته وَإِغَارَة سَرَايَاهُ، لِئَلَّا يَشِيع ذَلِكَ فَيَحْذَرهُمْ الْعَدُوّ) وأما حكاية كعب بن مالك رضي الله عنه: (إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ) ليست صريحة أنه كان يعلم بالخبر قبل الخروج من المدينة.

- وفي سرية طلحة جواز إطلاع الكافر المؤتمن على السر إذا علم أنَّه لا يفشيه وكان لابد منه، كما سبق في حادثة الهجرة.

- وفيه استحباب مجازاة أهل الإحسان على إحسانهم، خاصة إذا صدر منهم عند الضيق والحاجة، وإكرام من يكرم الصاحب والرسول والأهل.

- وفيه فضيلة كبيرة لطلحة وسعيد رضي الله عنهما؛ فعلى الرغم من أنهما قدما المدينة ووجدا الرسول ﷺ قد خرج، وبهذا قد انتهت مهمتهما إلا أنهما أسرعا في طلبه لأداء أمانة الاستطلاع أولاً، فربما يكون عندهما من الخبر ما يفيد في وجهته، وثانياً: الشرف بالمشاركة في غزو لرسول الله ﷺ سواء أكان لطلب العير أو لغيره، ولعمري بهذا الحرص يُنال السؤدد والشرف في الدين.

لكن روى ابن إسحاق عن سبب تغيب طلحة عن بدر سبباً مخالفاً تماماً ظاهرياً، (قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة عن ابن شهاب: لم يشهد طلحة بدراً، وقدم من

---

[1] شرح مسلم: (ج١٣/ص٤٥).

الشام بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر، وكلم رسول الله ﷺ في سهمه، فقال له رسول الله ﷺ: "لك سهمك"، قال: وأجري يا رسول الله؟ قال: "وأجرك")[١].

وقال ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير: (وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كان غائباً بالشام فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره)[٢].

وذكر ابن كثير رحمه الله أنَّهما تخلفا لعذر، لذا ضرب لهما بسهم بل وثبَّت أجرهما، فقال: (وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وإنه لم يحضرها، قلت: تخلف عنها لعذرٍ أُذِن له في التخلف بسببها، وكانوا ثمانية أو تسعة، وهم: عثمان بن عفان تخلّف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره)[٣].

ويمكن الجمع بين الروايتين أن نقول إنهما خرجا يتحسّسان العير وأبعدا في تتبع أمرها، حتى دخلا أول حدود الشام، وِجهة قافلة المشركين، ثم أسرعا في العودة بالخبر قبل رجوع القافلة، إلا أنهما تأخرا لبعد المسافة، وإسراع قافلة المشركين بعد علمهم بالطلب، فكانا بهذا من صلب عمل الجيش في نفس الغزوة، مما جعلهما يستحقّان السهم والأجر، فمن المؤكد أن كثيراً من الصحابة كانوا غائبين عن المدينة وقت الوقعة أو كان عندهم من أمورهم الشخصية ما أشغلهم، ومع ذلك لم يقسم لهم النبي ﷺ من الغنيمة ولم يشركهم في الأجر، فتبين أنَّ طلحة وزيداً رضي الله عنهما كانا في أمر يتعلق بالجيش فكأنهما منه والله تعالى أعلم بالصواب.

---

[١] الاستيعاب لابن عبد البر (ج١/ص٢٣١).
[٢] (ص٢٩).
[٣] السيرة النبوية لابن كثير: (ج٢/ص٥٠٩).

فصل الخروج من المدينة وتوقيت الغزوة

(فخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم السبت، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره، وذلك بعدما وجّه طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعشر ليال)[١].

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، أَنَّهُ قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَتَيْنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ الْفَتْحِ، فَأَفْطَرْنَا فِيهِمَا).

وروى محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة: (أن رسول الله ﷺ غزا غزوة بدر في شهر رمضان، فلم يصم يوماً حتى رجع إلى أهله)[٣]، وذلك لما ثَبَتَ فِي الصَحِيحين[٤]: عَنِ ابْنِ مَسْعُود: (أَنَّ يَوْم بَدْر كَانَ يَوْمًا حَارًّا).

بل ونادى منادي رسول الله ﷺ، كما عند الواقدي: (وَنَادَى مُنَادِيه: يَا مَعْشَرَ الْعُصَاةِ إِنّي مُفْطِرٌ فَأَفْطِرُوا، وَذَلِكَ أَنّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ «أَفْطِرُوا» فَلَمْ يَفْعَلُوا)[٥]، والمشهور أنه في الفتح، فإن صحّ فيحتمل تكرره في بدر والفتح.

الفوائد

- وفيه استحباب الفطر في الغزو، وأنّه من سنة رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد بين رسول الله ﷺ علّة الفطر في الجهاد كما في صحيح مسلم، فقال: "إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا"، فَكَانَتْ رُخْصَةً؛ فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ("إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ فَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا"، فَكَانَتْ عَزِيمَةً فَأَفْطَرْنَا).

---

[١] ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج٢/ص١٢).
[٢] كما عند أحمد (ج١/ص٢٢)، وابن سعد (ج٢/ص٢١).
[٣] (ج٢/ص٢١).
[٤] البخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤).
[٥] (ص ٤٨).

وسوف أؤخر الكلام بالتفصيل على هذه المسألة لغزوة الفتح موضوع أحاديث الباب، ولكن يجدر بنا هنا ذكر ما أجمله الحافظ في الفتح في مسألة الصيام في السفر، فقال رحمه الله: (وَذَهَبَ أَكْثَرَ الْعُلَمَاء وَمِنْهُمْ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَبُو حَنِيفَة إِلَى أَنَّ الصَّوْم أَفْضَل لِمَنْ قَوِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَشُقّ عَلَيْهِ، وَقَالَ كَثِير مِنْهُمْ: الْفِطْر أَفْضَل؛ عَمَلًا بِالرُّخْصَةِ وَهُوَ قَوْل الْأَوْزَاعِيّ وَأَحْمَد وَإِسْحَاق، وَقَالَ آخَرُونَ هُوَ مُخَيَّر مُطْلَقًا، وَقَالَ آخَرُونَ أَفْضَلهمَا أَيْسَرهمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] فَإِنْ كَانَ الْفِطْر أَيْسَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَفْضَل فِي حَقّه، وَإِنْ كَانَ الصِّيَام أَيْسَر كَمَنْ يَسْهُلُ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ قَضَاؤُهُ بَعْد ذَلِكَ فَالصَّوْم فِي حَقّه أَفْضَل، وَهُوَ قَوْل عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز وَاخْتَارَهُ ابْن الْمُنْذِر.

وَالَّذِي يَتَرَجَّح قَوْل الْجُمْهُور، وَلَكِنْ قَدْ يَكُون الْفِطْر أَفْضَل لِمَنِ اِشْتَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْم وَتَضَرَّرَ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ ظُنَّ بِهِ الْإِعْرَاض عَنْ قَبُول الرُّخْصَة...)، إلى قوله: (وَكَذَلِكَ مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسه الْعُجْب أَوِ الرِّيَاء إِذَا صَامَ فِي السَّفَر فَقَدْ يَكُون الْفِطْرُ أَفْضَل لَهُ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْن عُمَر، فَرَوَى الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق مُجَاهِد قَالَ: إِذَا سَافَرْت فَلَا تَصُمْ فَإِنَّك إِنْ تَصُمْ قَالَ أَصْحَابك: اِكْفُوا الصَّائِم، اِرْفَعُوا لِلصَّائِمِ، وَقَامُوا بِأَمْرِك وَقَالُوا فُلَان صَائِم، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ أَجْرُك)[1].

فصل أم ورقة تستأذن في الخروج لتداوي الجرحى وتعالج المرضى

عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ نَوْفَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا غَزَا بَدْرًا قَالَتْ: (قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الْغَزْوِ مَعَكَ أُمَرِّضُ مَرْضَاكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي شَهَادَةً، قَالَ: "قِرِّي فِي بَيْتِكِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ"، قَالَ: فَكَانَتْ تُسَمَّى الشَّهِيدَةَ، قَالَ: وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ تَتَّخِذَ فِي دَارِهَا مُؤَذِّنًا، فَأَذِنَ لَهَا، قَالَ: وَكَانَتْ دَبَّرَتْ غُلَامًا لَهَا وَجَارِيَةً، فَقَامَا إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ فَغَمَّاهَا بِقَطِيفَةٍ لَهَا حَتَّى مَاتَتْ وَذَهَبَا، فَأَصْبَحَ عُمَرُ

[1] (ج٤/ص٢٢٩-٢٣٠)

فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَيْنِ عِلْمٌ أَوْ مَنْ رَآهُمَا فَلْيَجِئْ بِهِمَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَصُلِبَا، فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبٍ بِالْمَدِينَةِ)[1].

وعن عبد الرحمن بن خلاد عن أم ورقة: (أن نبي الله ﷺ كان يقول: "انطلقوا بنا نزور الشهيدة")[2]، وفي رواية عند ابن سعد في الطبقات: (وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمّيها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن)[3]، أي حفظت القرآن.

وهي (أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية، ويقال لها أم ورقة بنت نوفل فنسبت إلى جدها الأعلى)[4].

قال بدر الدين العيني في شرح الحديث: (قوله: «وكانت دبرت» من التدبير، وهو تعليق العتْق بمُطلق مَوته، مثل أن يقول لعبده: إذا مت فأنت حر، أو: أنت حر عن دبر مني، أو: أنت مُدبّر، أو: قد دبّرتك، صار العبدُ في ذلك كله مدبراً، فلا يجوز بعد ذلك بيْعه ولا هبته، وهو حر من باقي الثلث، ويجور استخدامه وإجارته، ووطئها وتزويجها) شرح أبي داود.

الفوائد

- في حديث الباب دلالة وعَلَم من دلائل وأعلام النبوة؛ إذ أنَّه ﷺ أخبر بالغيب قبل حدوثه بسنين، ففي رواية أبي نعيم في الحلية: (فقال عمر رضي الله تعالى عنه: صدق رسول الله ﷺ؛ كان يقول: "انطلقوا فزوروا الشهيدة").

- وفيه أنَّ المسلم قد تأتيه الشهادة وهو في بيته نائم على فراشه إذا سأل اللهَ الشهادةَ بصدق، ففي صحيح مسلم عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ".

[1] حديث حسن رواه أبو داود: ٥٩١.
[2] حديث حسن صحيح ابن خزيمة: ١٦٧٦.
[3] (ج٨/ص٤٥٧).
[4] الإصابة: (ج٨/ص٣٢١).

ومن ذلك ما هو في صحيح البخاري عن الفاروق رضي الله عنه أنَّه كان يقول: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ).

و(ذكر ابن سعد في الطبقات سبب دعائه بذلك، وهو ما أخرجه بإسناد صحيح عن عوف بن مالك: (أنه رأى رؤيا فيها أن عمر شهيد يستشهد، فقال لما قصّها عليه أنّى لي بالشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب لست أغزو والناس حولي؟ ثم قال: بلى وبلى، يأتي بها الله إن شاء الله تعالى) وصحّحه الحافظ[١].

- وفيه جواز الدخول على المرأة الكبيرة الطاعنة لسبب شرعي إذا أمن الفتنة، ومما يدل على كبر سنها تسمية الفاروق لها خالة، فقد أخرج ابن السكن من طريق محمد بن فضيل، كما قال الحافظ في الإصابة: (فغمياها فقتلاها، فلما أصبح عمر قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل الدار فلم ير شيئاً، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله)[٢].

- وفيه الاهتمامُ بالقرآن ودورُ المرأة في تعليمه، إذ أنَّنا أمام صحابية جليلة القدر كبيرة السن كانت حافظة لكتاب الله.

- وفي الحديث تعارض ظاهر مع ما ثبت في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير (بَاب غَزْوِ النِّسَاءِ وَقِتَالِهِنَّ مَعَ الرِّجَالِ) عن أنس[٣]، وعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ[٤]، (بَاب مُدَاوَاةِ النِّسَاءِ الْجَرْحَى فِي الْغَزْوِ). ولا تعارض إن شاء الله، وسوف نأتي بعون الله على حكم جهاد النساء، في غزوة أحد بعون الله.

فصل النبي ﷺ يعسكر بجنده خارج المدينة ويردّ من لا يطيق القتال

---

[١] الفتح: (ج٤/ص١٢٦).
[٢] (ج٨/ص٣٢١)
[٣] وهو الحديث رقم (٢٨٨٠).
[٤] وهو الحديث رقم (٢٨٨٢).

قال ابن سعد: (وخرج من خرج معه من المهاجرين، وخرجت معه الأنصار في هذه الغزاة، ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك، وضرب رسول الله ﷺ عسكره ببئر أبي عنبة، وهي على ميل من المدينة، فعرض أصحابه ورد من استصغر)[١].

قلت: قوله: (ولم يكن غزا بأحد منهم -أي بالأنصار- قبل ذلك) ليس بصحيح، فقد مرّ بنا[٢] أنه غزا بهم في غزوة بواط، من حديث جابر بن عبد الله قال: (سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ).

وجابر بن عبد الله هو ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، أنصاري خزرجي سلمي مدني، فكيف يقال إنَّه لم يغزُ بهم قبل ذلك! بل الراجح أنهم رضي الله عنهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها بنفسه؛ لا في بدر ولا قبلها، وقد مرَّ بنا بطلان دعوى مَن ادَّعى أنَّ أولَّ غزوهم معه في بدر.

وقال شيخه الواقدي في المغازي: (وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ حَتّى انْتَهَى إلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثُمّ نَزَلَ بِالْبُقْعِ وَهِيَ بُيُوتُ السّقْيَا -الْبُقْعُ نَقْبُ بَنِي دِينَارٍ بِالْمَدِينَةِ، وَالسّقْيَا مُتّصِلٌ بِبُيُوتِ الْمَدِينَةِ- يَوْمَ الْأَحَدِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، فَضَرَبَ عَسْكَرَهُ هُنَاكَ، وَعَرَضَ الْمُقَاتِلَةَ فَعَرَضَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَأُسَيْدَ بْنَ ظَهِيرٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَرَدّهُمْ وَلَمْ يُجِزْهُمْ)[٣].

وخبر ردّ البراء وابن عمر في الصحيح؛ فعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: (اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ)[٤]، وعنه، كما عند أحمد: (اسْتَصْغَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَابْنَ عُمَرَ، فَرُدِدْنَا يَوْمَ بَدْرٍ)[٥].

---

[١] (ج٢/ص١٢)
[٢] كما في صحيح مسلم (٣٠٠٩).
[٣] (ص ٢٠).
[٤] صحيح البخاري ٣٩٥٥، ٣٩٥٦.
[٥] حديث صحيح.

قال الحافظ في الفتح: (قَوْله: «أُسْتُصْغِرْت» بِضَمِّ أَوَّله، وَمُرَاد الْبَرَاء أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ عِنْد حُضُور الْقِتَال فَعُرِضَ مَنْ يُقَاتِل فَرَدَّ مَنْ لَمْ يَبْلُغ، وَكَانَتْ تِلْكَ عَادَة النَّبِيّ ﷺ فِي الْمَوَاطِن)[1].

قلت: أطبق أهل السير أنّه ﷺ ردّهم بالقرب من المدينة حينما عسكر ليعرض الجيش وينظم صفوفه، لتوقُّعِه القتال، وليس عند حضور القتال، إذ كيف يسير بفتية صغار هذه المسافة الطويلة إلى بدر ثم يردّهم دون هادٍ للطريق أو حراسة، وهو ما لم يُذكر وبه كلفة ومشقة مما يرجح رواية أهل السير أنّه ردّهم من منازل بني سليم بالسقيا.

قال الحافظ: (قَوْله: «أَنَا وَابْن عُمَر» قَالَ عِيَاض: هَذَا يَرُدّهُ قَوْل ابْن عُمَر: «أُسْتُصْغِرْت يَوْم أُحُد»، وَكَذَا اعْتَرَضَ بِهِ ابْنُ التِّين وَزَادَ: بِأَنَّ إِخْبَار ابن عُمَر عَنْ نَفْسه أَوْلَى مِنْ إِخْبَار الْبَرَاء عَنْهُ، اِنْتَهَى. وَهُوَ اعْتِرَاضٌ مَرْدُود إِذْ لَا تَنَافِي بَيْن الْإِخْبَارَيْنِ، فَيُحْمَل عَلَى أَنَّهُ أُسْتُصْغِرَ بِبَدْرٍ ثُمَّ اسْتُصْغِرَ بِأُحُدٍ، بَلْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا عَنِ ابْنِ عُمَر نَفْسه وَأَنَّهُ عُرِضَ يَوْم بَدْر وَهُوَ ابْنُ ثَلَاث عَشْرَة سَنَة فَاسْتُصْغِرَ، وَعُرِضَ يَوْم أُحُد وَهُوَ ابْنُ أَرْبَع عَشْرَة سَنَة فَاسْتُصْغِرَ)[2].

ومن جميل ما روي عن شباب المسلمين في هذا الموقف ما روي عن عامر بن سعد عن أبيه قال: (عرض على رسول الله ﷺ جيش بدر فردّ عمير بن أبي وقاص، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ، وعقد عليه حمائل سيفه)[3].

(وعن سعد؛ يعني ابن أبي وقاص أن النبي ﷺ نظر إلى عمير بن أبي وقاص فاستصغره حين خرج إلى بدر ثم أجازه، قال سعد: فيقال: إنه خانه سيفه، قال عبد الله، يعني ابن جعفر المجرمي: قتل يوم بدر)[4].

---

[1] (ج/٧ص٣٦٩)

[2] (ج/٧ص٣٦٩).

[3] رواه الحاكم (ج/٣ص١٨٨) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، لكن في سنده يعقوب بن محمد الزاهري، قال الذهبي في (التلخيص) معقباً: (يعقوب ضعّفوه).

[4] مجمع الزوائد (ج/٦ص٦٩)، وهو في مسند أبي يعلى برقم ١١٠٦، وقال الهيثمي: (رواه البزار، ورجاله ثقات).

قال ابن الجوزي: (عمير بن أبي وقاص، أخو سعد؛ عن عامر بن سعد عن أبيه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: "ارجع"، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ. قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ)[١].

وقال الإمام النووي: (شهد بدرًا واستشهد بها، وكان عمره ست عشرة سنة)[٢].

قلت: أجازه ﷺ لحرصهِ وشوقهِ إلى الجهاد وبلوغه سنَّ الجهاد، فعن ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في الصحيحين[٣]: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي، ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي، قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ).

وقال الحافظ في الفتح: (فِي رِوَايَة ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ عُبَيْد اللَّه بْن عُمَر عِنْد التِّرْمِذِيّ: «فَقَالَ: هَذَا حَدّ مَا بَيْنَ الذُّرِّيَّة وَالْمُقَاتِلَة»)[٤].

أي أنَّه إذا بلغ الصبي خمسة عشر عاماً فقد بلغ وإن لم يحتلم، وتجري عليه أحكام البالغين تكليفاً ومحاسبة وحقوقاً، وهذا هو رأي الجمهور، قال الحافظ في الفتح: (وَقَالَ الشَّافِعِيّ وَأَحْمَد وَابْن وَهْب وَالْجُمْهُور: حَدّه فِيهِمَا اسْتِكْمَالُ خَمْس عَشْرَة سَنَة عَلَى مَا فِي حَدِيث ابْنِ عُمَر فِي هَذَا الْبَاب)[٥].

---

[١] صفة الصفوة (ج١/ص٣٩٤)، وهو في الأصل من رواية ابن سعد عن الواقدي الطبقات الكبرى (ج٣/ص١٤٩).
[٢] تهذيب الأسماء واللغات (ج٢/ص٣٨).
[٣] البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٨٦٨).
[٤] (ج٥/ص٣٤٩).
[٥] (ج٥/ص٣٤٨)

وحينئذ فيحتمل أنَّ النَّبي ﷺ استصغر جسم عمير وظنَّه غيرَ مطيق، فلما علم حرصَه وشوقه أجازه، فقد يُطيق المرء بتجلده ما لا يطيق بصحته.

الفوائد

- فِيه: (أَنَّ الْإِمَام يَسْتَعْرِض مَنْ يَخْرُج مَعَهُ لِلْقِتَالِ قَبْل أَنْ تَقَع الْحَرْب، فَمَنْ وَجَدَهُ أَهْلًا اسْتَصْحَبَهُ وَإِلَّا رَدَّهُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي بَدْر وَأُحُد وَغَيْرهمَا)[١].

- وفيه أنَّ فريضة الجهاد لا تجب إلا على الكبير البالغ، قال ابن المنذر[٢]: (أجمعوا على أن الفرائض والأحكام تجب على المحتلم العاقل) وقال الحافظ في الفتح: (الْإِثْم إِنَّمَا يُكْتَب بَعْد الْبُلُوغ)[٣].

- وفيه أنَّ الجهاد لا يجب إلا على مُطيق له، فلا يجب على الصغير ولا على المريض مرضاً يستحيل معه القتال ويكون مزمناً فلا ينفكّ عنه ولا يرجى برئه، أو يكون عبئاً على الجيش. وقولنا عدم الوجوب لا ينفي صحة العمل إذا صدر ممن تقدمت صفته، واستحباب ذلك منه خاصةً إذا دعت الحاجة وحَسُن قصدُه، كتكثير سوادٍ أو عملٍ استشهادي مِن الكبير، أو حسنِ الرماية من الصغير.

روى ابن المبارك[٤]: عن علي بن زيد أنَّ عطية بن أبي عطية أخبره: (أنَّه رأى ابن أم مكتوم يوماً من أيام الكوفة عليه درع سابغة يجرّها في الصف). وابن أم مكتوم أعمى معذور كما هو معلوم فهو مأجورٌ بفعله، ولا يقال ألقى بنفسه إلى التهلكة فلا هو يستطيع أن يقاتل ولا أن يختبئ أو يفرّ إذا أقبل الخطر وأحدق، ولا شك أنَّ المريض أو الصغير المطيق أولى بالجواز منه.

واعلم أنَّ شروط الكمال في جهاد الطلب كما جاء في المنتقى شرح الموطأ: (هِيَ سِتُّ صِفَاتٍ: الْعَقْلُ وَالْإِسْلَامُ وَالْبُلُوغُ وَالذُّكُورَةُ وَالْحُرِّيَّةُ وَالصِّحَّةُ؛ فَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنْ

---

[١] الفتح (ج٥/ص٣٥٠).
[٢] الشرح الكبير (ج٤/ص٥٥٥).
[٣] (ج١/ص١٩٦)
[٤] كتاب الجهاد (ص ٩٢) (برقم ١١٠).

كَانَ مَعَهُ مِنْهُ مَا يُمْكِنُهُ بِهِ الْقِتَالُ أُسْهِمَ لَهُ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْجِهَادِ يَصِحُّ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُطْبَقًا لَا يَتَأَتَّى مِنْهُ الْقِتَالُ لَمْ يُسْهَمْ لَهُ...) إلى قوله: (وَأَمَّا الْبُلُوغُ: فَهَلْ يَكُونُ شَرْطًا فِي اسْتِحْقَاقِ السَّهْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ أَمْ لَا؟ قَالَ مَالِكٌ: لَا يَكُونُ الْبُلُوغُ شَرْطًا فِي اسْتِحْقَاقِ السَّهْمِ وَيُسْهَمُ لِلْمُرَاهِقِ إِذَا أَطَاقَ الْقِتَالَ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ: لَا يُسْهَمُ إِلَّا لِبَالِغٍ، وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: مَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَنْبَتَ وَأَطَاقَ الْقِتَالَ فَإِنَّهُ يُسْهَمُ لَهُ إِذَا حَضَرَ الْقِتَالَ وَإِنْ لَمْ يُقَاتِلْ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَلَا يُسْهَمُ لَهُ حَتَّى يُقَاتِلَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ أَنَّهُ حُرٌّ مُسْلِمٌ ذَكَرٌ وُجِدَ مِنْهُ الْقِتَالُ وَمُكَابَدَةُ الْعَدُوِّ فَوَجَبَ أَنْ يُسْهَمَ لَهُ كَالْبَالِغِ)[1].

قال الحافظ في الفتح: (وَعِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ لَا تَتَوَقَّفُ الْإِجَازَةُ لِلْقِتَالِ عَلَى الْبُلُوغِ، بَلْ لِلْإِمَامِ أَنْ يُجِيزَ مِنَ الصِّبْيَانِ مَنْ فِيهِ قُوَّةٌ وَنَجْدَةٌ، فَرُبَّ مُرَاهِقٍ أَقْوَى مِنْ بَالِغٍ)[2].

قال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: ١]. وقال سبحانه: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٩١].

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: (بيّن تعالى الأعذار التي لا حَرَج على من قعد فيها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفكّ عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمى والعَرَج ونحوهما، ولهذا بدأ به. ومنها ما هو عارض بسبب مرض عَنَّ له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهز للحرب، فليس على هؤلاء حَرَج إذا قعدوا ونصحوا

---

[1] (ج٣/ص٣٧).
[2] (ج٥/ص٣٥٠).

في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يُثبِّطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا؛ ولهذا قال: {مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٩١])[1].

وتأمل قوله رحمه الله: (لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد)، أي أنَّ الضابط عدمُ الاستطاعة؛ فما كان عذراً في زمان قد لا يكون عذراً في زمان آخر لتطور آلة القتال ووجود الاستطاعة منه على القتال والهرب، لذا قال الشافعي في قوله تعالى: {وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ}: (وقيل: الأعرج: المقعد)[2]، كما أنَّ عدمَ النفقة عذرٌ في جهاد الطلب، أما الدفع فقد دخل اللصّ الدار، ووجب دفعُه على كلِّ حال.

فصل الاستبشار والتفاؤل بمنزل الجيش للعرض

روى الواقدي في المغازي بسنده قال: (جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَرّنِي مَنْزِلُك هَذَا، وَعَرْضُك فِيهِ أَصْحَابَك، وَتَفَاءَلْت بِهِ، إنّ هَذَا مَنْزِلُنَا -بَنِي سَلَمَةَ- حَيْثُ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ حُسَيْكَةَ مَا كَانَ -حُسَيْكَةُ الذّبَابِ، وَالذّبَابُ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، كَانَ بِحُسَيْكَةَ يَهُودُ وَكَانَ لَهُمْ بِهَا مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ- فَعَرَضْنَا هَا هُنَا أَصْحَابَنَا، فَأَجَزْنَا مَنْ كَانَ يُطِيقُ السّلاحَ وَرَدَدْنَا مَنْ صَغُرَ عَنْ حَمْلِ السّلَاحِ، ثُمّ سِرْنَا إلَى يَهُودِ حُسَيْكَةَ وَهُمْ أَعَزّ يَهُودَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ فَقَتَلْنَاهُمْ كَيْفَ شِئْنَا، فَذَلّتْ لَنَا سَائِرُ يَهُودَ إلَى الْيَوْمِ، وَأَنَا أَرْجُو يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نَلْتَقِيَ نَحْنُ وَقُرَيْشٌ، فَيُقِرّ اللهُ عَيْنَك مِنْهُمْ.

وَكَانَ خَلّادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ يَقُولُ: لَمّا كَانَ مِنَ النّهَارِ رَجَعَ إلَى أَهْلِهِ بِخُرْبَى، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ: مَا ظَنَنْت إلّا أَنّكُمْ قَدْ سِرْتُمْ، فَقَالَ: إنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ النّاسَ بِالْبُقْعِ، قَالَ عَمْرٌو: نِعْمَ الْفَأْلُ وَاللهِ، إنّي لَأَرْجُو أَنْ تَغْنَمُوا وَأَنْ تَظْفَرُوا بِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ، إنّ هَذَا مَنْزِلُنَا يَوْمَ سِرْنَا إلَى حُسَيْكَةَ، قَالَ: فَإِنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ غَيّرَ اسْمَهُ وَسَمّاهُ السّقْيَا، قَالَ فَكَانَتْ فِي نَفْسِي أَنْ أَشْتَرِيَهَا، حَتّى اشْتَرَاهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ

[1] (ج٢/ص٣٨١).
[2] السنن والآثار للبيهقي (ج١٤/ص٢٤١)، وانظر الأم للشافعي (ج٤/ص٢٢٣).

بِبِكْـرَيْنِ وَيُقَـالُ بِسَـبْعِ أَوَاقٍ، قَـالَ: فَـذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنّ سَـعْدًا اشْـتَرَاهَا، فَقَـالَ: "رَبِحَ الْبَيْعُ")[1].

الفوائد

- فيه استحباب التفاؤل في كلِّ شيء، وأنَّ الفأل الحسن من حسن الدين وحسن الظن بالله، قال ﷺ كما في الصحيحين[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا طِيرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ"، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ". وَفِي رِوَايَةِ البخاري، ومسلم عن أنس: "الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ"، وَفِي رِوَايَةِ عند مسلم عن أنس: (وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ").

وقد بيَّن الإمام النووي سبب أنَّ الفأل دين فقال[3]: (فقَالَ الْعُلَمَاء: وَإِنَّمَا أُحِبّ الْفَأْل لِأَنَّ الْإِنْسَان إِذَا أَمَلَ فَائِدَة اللَّه تَعَالَى وَفَضْله عِنْد سَبَب قَوِيّ أَوْ ضَعِيف فَهُوَ عَلَى خَيْر فِي الْحَال، وَإِنْ غَلِطَ فِي جِهَة الرَّجَاء فَالرَّجَاء لَهُ خَيْر. وَأَمَّا إِذَا قَطَعَ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ مِنَ اللَّه تَعَالَى فَإِنَّ ذَلِكَ شَرّ لَهُ، وَالطِّيَرَة فِيهَا سُوء الظَّنّ وَتَوَقُّع الْبَلَاء. وَمِنْ أَمْثَال التَّفَاؤُل أَنْ يَكُون لَهُ مَرِيض فَيَتَفَاءَل بِمَا يَسْمَعهُ، فَيَسْمَع مَنْ يَقُول: يَا سَالِم، أَوْ يَكُون طَالِب حَاجَة فَيَسْمَع مَنْ يَقُول: يَا وَاجِد، فَيَقَع فِي قَلْبه رَجَاء الْبُرْء أَوْ الْوِجْدَان، وَاللَّهُ أَعْلَم).

وقد عظم رجاء الصاحبين الجليلين بنصرة رسول الله ﷺ كونه عسكر بمكان سبق منه النصر، ولا شك أن التفاؤل بفعل الشيء أعظم من القول، ففي الصحيحين[4] عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قال: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى فَاسْتَسْقَى، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَقَلَبَ رِدَاءَهُ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ). قال المهلب: (وتحويل الرداء إنما هو على وجه التفاؤل بتحويل الحال عمّا هي عليه والله أعلم، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن إذا سمع من القول، فكيف من الفعل؟)[5].

---

[1] (ص ٢٣)
[2] البخاري (٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣).
[3] شرح صحيح مسلم (ج١٤/ص٢١٩-٢٢٠).
[4] البخاري (٩٨٠)، ومسلم (٨٩٤).
[5] شرح الصحيح لابن بطال (ج٥/ص٨).

ومن هذا الباب؛ أي التفاؤل بالفعل ما في الصحيحين[١] عن أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ نَزَلَ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ).

قال الحافظ في الفتح: («فِي عُلْو الْمَدِينَة» كُلّ مَا فِي جِهَة نَجْد يُسَمَّى الْعَالِيَة، وَمَا فِي جِهَة تِهَامَة يُسَمَّى السَّافِلَة، وَقُبَاء مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَة، وَأُخِذَ مِنْ نُزُول النَّبِيّ ﷺ التَّفَاؤُل لَهُ وَلِدِينِهِ بِالْعُلْوِ)[٢].

ومنه ما في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ".

(قَالَ السُّهَيْلِيُّ: يُؤْخَذ مِنْ هَذَا الْحَدِيث التَّفَاؤُل؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمَّا رَأَى آلَاتِ الْهَدْمِ – مَعَ أَنَّ لَفْظ الْمِسْحَاة مِنْ سَحَوْت إِذَا قَشَّرْت– أخذَ مِنْهُ أَنَّ مَدِينَتَهُمْ سَتَخْرَبُ انْتَهَى)[٣].

ومنه ما في الصحيحين[٤] عن عَائِشَةَ قالت: (كان النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ).

قال ابن بطال رحمه الله[٥]: (وبدؤه ﷺ بالميامن في شأنه كله والله أعلم، هو على وجه التفاؤل من أهل اليمين باليمين، لأنَّه ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن).

---

[١] البخاري (٣٩٣٢)، ومسلم (٥٢٤).
[٢] (ج/٧ص/٣٣٨).
[٣] فتح الباري(ج/٧ص/٥٩٥).
[٤] البخاري (١٦٦)، ومسلم (٢٦٨).
[٥] شرح الصحيح (ج/١ص/٢٨١).

فصل من استعمل على المدينة؟

روى ابن سعد في الطبقات الكبرى: (عن جابر عن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فاستخلف على المدينة عمرو بن أم مكتوم)[١].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي لَيَالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي أَصْحَابِهِ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: خَرَجَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، لِثَمَانِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ- وَاسْتَعْمَلَ عَمْرو بْنَ أُمّ مَكْتُومٍ، وَيُقَالُ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمّ مَكْتُومٍ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ، عَلَى الصّلَاةِ بِالنّاسِ، ثُمّ رَدّ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرّوْحَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ)[٢].

قلت: عمرو بن أم مكتوم (اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي اسْمِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فَقِيلَ: عَمْرو، وَقِيلَ: عَبْد اللَّه، وَقِيلَ غَيْر ذَلِكَ)[٣].

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى[٤]: (أما أهل المدينة فيقولون اسمه عبد الله، وأما أهل العراق وهشام بن محمد بن السائب فيقولون اسمه عمرو، ثم اجتمعوا على نسبه فقالوا ابن قيس بن زائدة بن الأصم)[٥].

ونقل الحافظ في الفتح عن الترمذي أن كلا الاسمين صحيح، فقد جاء بهما الخبر: (وَقَدْ نَبَّهَ التِّرْمِذِيّ عَلَى أَنَّهُ يُقَال لَهُ عَبْد اللَّه وَعَمْرو، وَأَنَّ اسْمَ أَبِيهِ زَائِدَة، وَأَنَّ أُمّ مَكْتُوم أُمّه. قُلْت: وَاسْمهَا عَاتِكَة)[٦].

وهي: (عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة، بمهملة ونون ساكنة وبعد الكاف مثلثة، ابن عائذ بن مخزوم، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين، فإن أم خديجة أخت قيس بن زائدة واسمها فاطمة. أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأولين، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ، وقيل: بل بعد وقعة بدر بيسير، قاله الواقدي، والأول أصحّ، فقد روي

---

[١] (ج٢/ص٢٦).
[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٣-٢٦٤).
[٣] شرح مسلم للنووي (ج١٠/ص١٠٣-١٠٤).
[٤] (ج٤/ص٢٠٥).
[٥] وانظر الإصابة (ج٤/ص٦٠٠).
[٦] (ج٨/ص٣٣٠)

من طريق أبي إسحاق عن البراء قال: أول من أتانا مهاجراً مصعب بن عمير، ثم قدم ابن أم مكتوم)[١].

(واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته؛ في غزوة الأبواء، وبواط، وذي العشيرة، وخروجه إلى ناحية جهينة في طلب كرز بن جابر، وفي غزوة السويق، وغطفان، وأحد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع، واستخلفه حين سار إلى بدر ثم رد أبا لبابة واستخلفه عليها، واستخلف عمرو بن أم مكتوم أيضاً في خروجه إلى حجة الوداع، وشهد ابن أم مكتوم فتح القادسية وكان معه اللواء يومئذ وقتل شهيداً بالقادسية)[٢].

وكان استخلاف رسول الله ﷺ له على الصلاة، لا على القضاء والحكم.

فروى عبد الرزاق في مصنفه: عن ابن جريج قال: (أخبرني من أصدق أن النبي ﷺ خرج مخرجاً فأمر عبد الله بن أم مكتوم أن يؤم أصحابه ومن تخلّف عن النبي ﷺ من الزمناء، ومن لا يستطيع خروجاً).

وفي الإصابة لابن حجر: (وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس)[٣].

وقال ابن حبان[٤]: (كان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة ليصلي بالناس في عامة غزواته).

فلا وجه إذن في الاستدلال بقصته على جواز إمارة الأعمى، والله أعلم.

---

١ الإصابة (ج٤/ص٦٠١).
٢ الاستيعاب (ج١/ص٣٧٢).
٣ (ج٤/ص٦٠١)
٤ كتاب الثقات (ج٣/ص٢١٤-٢١٥) (برقم ٧١٠).

أما أبو لبابة بن عبد المنذر فهو: (بشير بن عبد المنذر، أبو لبابة الأنصاري من الأوس، غلبت عليه كنيته، واختلف في اسمه؛ فقيل: رفاعة بن عبد المنذر، وقيل: بشير بن عبد المنذر)[٥].

قال الحافظ: (قال ابن إسحاق: زعموا أنَّ النبي ﷺ ردّ أبا لبابة والحارث بن حاطب بعد أن خرجا معه إلى بدر، فأمّر أبا لبابة على المدينة، وضرب لهما بسهميهما وأجرهما مع أصحاب بدر، وكذلك ذكره موسى بن عقبة في البدريين، وقالوا: كان أحد النقباء ليلة العقبة، ونسبوه: ابن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس، ويقال إن رفاعة ومعشراً أخوان لأبي لبابة، وكانت راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح معه)[٢].

وعند أبي داود[٣] عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ أَبُو لُبَابَةَ أَوْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ: (إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ صَدَقَةً، قَالَ: "يُجْزِئُ عَنْكَ الثُّلُثُ").

وروى الإمام أحمد[٤] عن ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ السَّائِبِ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ أَخْبَرَ: (أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي وَأُسَاكِنَكَ، وَإِنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُجْزِئُ عَنْكَ الثُّلُثُ").

(قال أبو عمر -أي ابن عبد البر-: اختُلف في الحال التي أوجبت فعل أبي لبابة هذا بنفسه، وأحسن ما قيل في ذلك ما رواه معمر عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلّف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال: والله لا أحلّ نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى يتوب الله علي أو أموت. فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا يشرب شراباً حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تاب الله

[٥] الاستيعاب (ج١/ص٥٣).
[٢] الإصابة (ج٧/ص٣٤٩).
[٣] بسند صحيح.
[٤] المسند (ج٣/ص٤٥٢-٤٥٣)، والطبراني في الكبير (٤٥٠٩، ٤٥١٠).

عليك يا أبا لبابة، فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، قال: فجاء رسول الله ﷺ فحلّه بيده ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: "يجزئك يا أبا لبابة الثلث". وروي عن ابن عباس من وجوه في قول الله تعالى: {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} [التوبة:١٠٢]، أنها نزلت في أبي لبابة ونفر معه سبعة أو ثمانية أو تسعة سواه، تخلّفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري فكان عملهم الصالح توبتهم وعملهم السيء تخلّفهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ. قال أبو عمر: قد قيل إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة كان إشارته إلى حلفائه من بني قريظة أنه الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ، وأشار إلى حلقه، فنزلت فيه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} [الأنفال: ٢٧]، ثم تاب الله عليه، فقال: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي وأنخلع من مالي، فقال له رسول الله ﷺ: "يجزئك من ذلك الثلث")[١].

فصل عدد جنود الجيش النبوي من المهاجرين والأنصار

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال كما في صحيح البخاري: (وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ وَالْأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح البخاري أنه قال: (حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ؛ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِئَةٍ، قَالَ الْبَرَاءُ: لَا وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ).

وهذا العدد هو بعينه ما أفرح وسرّ له رسول الله ﷺ؛ فعن أبي أيوب الأنصاري[٢]:

[١] الاستيعاب (ج١/ص٥٦٠).
[٢] كما عند الطبراني في الكبير (٤٠٥٦) وحسّن إسناده الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٧٤)، رغم أن فيه ابن لهيعة، وقد اختلط.

(فقال رسول الله ﷺ: "هُمْ هُمْ هَلُمُّوا أن نتعادَّ"، فإذا نحن ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا رسول الله ﷺ بعدتنا، فسرّه ذلك وقال: "عِدَّة أصحاب طالوت").

ولكن في صحيح مسلم: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أنهم كانوا وتسعة عشر، فقَالَ رضي الله عنه: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ).

قال الحافظ في الفتح: (لَكِنْ أَخْرَجَهُ أَبُو عَوَانَة وَابْن حِبَّان بِإِسْنَادِ مُسْلِم بِلَفْظِ: «بِضْعَة عَشَر»، وَلِلْبَزَّارِ مِنْ حَدِيث أَبِي مُوسَى: «ثَلَاثمِئَةِ وَسَبْعَة عَشَر»، وَلِأَحْمَد وَالْبَزَّار وَالطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث ابْنِ عَبَّاس: «كَانَ أَهْل بَدْر ثَلَاثمِئَةِ وَثَلَاثَة عَشَر»، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ ابْنِ أَبِي شَيْبَة وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ رِوَايَة عُبَيْدَة بْن عَمْرٍو السَّلْمَانِيّ أَحَد كِبَار التَّابِعِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَهُ بِذِكْرِ عَلِيّ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُور عِنْد ابْنِ إِسْحَاق وَجَمَاعَة مِنْ أَهْل الْمَغَازِي، وَيُقَال عَنِ ابْنِ إِسْحَاق: «وَأَرْبَعَة عَشَر»، وَرَوَى سَعِيد بْن مَنْصُور مِنْ مُرْسَل أَبِي الْيَمَان عَامِر الْهَوْزَنِيّ وَوَصَلَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ قَالَ: «خَرَجَ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى بَدْر فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ تَعَادُّوا»، فَوَجَدَهُمْ ثَلَاثمِئَةِ وَأَرْبَعَة عَشَر رَجُلًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «تَعَادُّوا» فَتَعَادَّوْا مَرَّتَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَجُل عَلَى بَكْر لَهُ ضَعِيف وَهُمْ يَتَعَادُّونَ فَتَمَّتِ الْعِدَّة ثَلَاثمِائَةِ وَخَمْسَة عَشَر، وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ قَالَ: «خَرَجَ رَسُول اللَّه ﷺ يَوْم بَدْر وَمَعَهُ ثَلَاثمِئَةِ وَخَمْسَة عَشَر»، وَهَذِهِ الرِّوَايَة لَا تُنَافِي الَّتِي قَبْلهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُون الْأُولَى لَمْ تَعُدّ النَّبِيّ ﷺ وَلَا الرَّجُل الَّذِي أَتَى آخِرًا، وَأَمَّا الرِّوَايَة الَّتِي فِيهَا وَتِسْعَة عَشَر فَيَحْتَمِل أَنَّهُ ضَمَّ إِلَيْهِمْ مَن اسْتُصْغِرَ وَلَمْ يُؤْذَن لَهُ فِي الْقِتَال يَوْمَئِذٍ كَالْبَرَاءِ وَابْن عُمَر وَكَذَلِكَ أَنَس، فَقَدْ رَوَى أَحْمَد بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ: هَلْ شَهِدْت بَدْرًا؟ فَقَالَ: وَأَيْنَ أَغِيب عَنْ بَدْر، وَكَأَنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ فِي خِدْمَة النَّبِيّ ﷺ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ، لِأَنَّهُ خَدَمَهُ عَشْر سِنِين)[١].

---

[١] (ج٧/ص٣٧٠).

قال ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى: (وخرج في ثلاثمئة رجل وخمسة نفر، كان المهاجرون منهم أربعة وسبعين رجلاً، وسائرهم من الأنصار، وثمانية تخلفوا لعلّة، ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم، ثلاثة من المهاجرين: عثمان بن عفان خلفه رسول الله ﷺ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فأقام عليها حتى ماتت، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعثهما يتحسّسان خبر العير، وخمسة من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي العجلاني خلفه على أهل العالية، والحارث بن حاطب العمري ردّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء، وخوات بن جبير كسر أيضاً، فهؤلاء ثمانية لا اختلاف فيهم عندنا، وكلهم مستوجب)[1].

قال الحافظ في الفتح: (وَإِذَا تَحَرَّرَ هَذَا الْجَمْع فَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْجَمِيع لَمْ يَشْهَدُوا الْقِتَال وَإِنَّمَا شَهِدَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثمِئَةٍ وَخَمْسَة أَوْ سِتَّة كَمَا أَخْرَجَهُ ابْن جَرِير، وَسَيَأْتِي مِنْ حَدِيث أَنَس: أَنَّ ابْن عَمَّته حَارِثَة بْن سُرَاقَة خَرَجَ نَظَّارًا وَهُوَ غُلَام يَوْم بَدْر فَأَصَابَهُ سَهْم فَقُتِلَ، وَعِنْد ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث ابْن عَبَّاس: «أَنَّ أَهْل بَدْر كَانُوا ثَلَاثمِئَةٍ وَسِتَّة رِجَال»، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ ابْن سَعْد فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثمِئَةٍ وَخَمْسَة»، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعُدَّ فِيهِمْ رَسُول اللَّه ﷺ، وَبَيَّنَ وَجْه الْجَمْع بِأَنَّ ثَمَانِيَة أَنْفُس عُدُّوا فِي أَهْل بَدْر وَلَمْ يَشْهَدُوهَا وَإِنَّمَا ضَرَبَ لَهُمْ رَسُول اللَّه ﷺ مَعَهُمْ بِسِهَامِهِمْ لِكَوْنِهِمْ تَخَلَّفُوا لِضَرُورَاتٍ لَهُمْ)[2].

الفوائد

- وفي قوله ﷺ: "هلموا أن نتعادّ" استحباب اتخاذ السجلات والدواوين عموماً وقبل المعارك خصوصاً، بحيث تشمل كل ما من شأنه أن يضبط ما ينفع الجندي ويحفظ حقوقه حياً وميتاً، ويسهّل الوصول إليه أو إلى أهله من بعده، وأن يتخذ من الإجراءات الأمنية اللازمة ما يحفظ سريتها وسرية ما فيها من معلومات، كما ينبغي أن تكون هناك سجلات دقيقة تضبط السلاح والآليات، بحيث يسهل معرفة ما حدث لها ولا يعرضها

[1] (ج٢/ص١٢).
[2] (ج٧/ص٣٧٠-٣٧١).

للضياع أو التلف، وهو ما يحدث للأسف وبقوة بعد كل عمل عسكري كبير، وخاصة إذا ضعفت روح الأمانة عند الجنود وروح المسؤولية عند الأمير.

- وفي قوله: (فأخبرنا رسول الله ﷺ بعدتنا فسرّه ذلك وقال: "عدّة أصحاب طالوت") فيه استحباب التفاؤل والفرح عند موافقة الصالحين في أحوالهم.

وتبشير الحاضرين وتعريفهم بسبب ذلك، وبث روح النصر في نفوس الجند.

- وفي قوله: (قَالَ الْبَرَاءُ: لَا وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ) تزكية عظيمة لأهل بدر ووصفهم بالإيمان.

- وفي الفرق الكبير بين عدد المهاجرين والأنصار في معركة الفرقان التي أعزّ الله فيها الدين بيان شافي أن الأنصار كانوا هم كتيبة الإسلام وعماد معركته وبهم نصر الله الدين، مما يستجلب لهم محبة في قلوب الموحدين، محبة قائمة على العلم، ففي الصحيحين[١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ".

- وفي معرفة عدّة أهل بدر وبمقارنتها مع من خرج مع النبي ﷺ في غزواته السابقة لبدر بما فيها ذو العشيرة التي خرج يطلب فيها نفس العير ندرك أن رسول الله ﷺ استعدّ جيداً لتلك العير، فقد خرج في جمع وعدّة تقترب من ضعف غزواته السابقة، وعلى قول من قال إنَّه سمح لأول مرة للأنصار بالمشاركة في ذلك الهدف -وهو ما أثبتنا عدم صحته- تأكيد لذلك، فقد التحق به كوكبة كبيرة من فرسان العرب وأهل البأس والحنكة في الطعان مما أكسب الجيش ولا شكّ قوة.

وإنما معجزة بدر أنه ﷺ خرج يطلب عيراً بها نحو خمسين رجلاً فشاء الله أن يقاتل ألف رجل، وفي هذا بيان أنه ينبغي ألَّا يُستهان بالعدو فقد يطرأ ما لم يكن بالحسبان.

---

[١] البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

فصل المسير إلى الهدف وما كان مركب الجيش

(وكانت الإبل سبعين بعيراً يتعاقب النفر البعير)[١]، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه– قَالَ: (كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: "مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا")[٢].

(وكانت الخيل فرسين: فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي)[٣]، (وَيُقَالُ: فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَكُنْ إلّا فَرَسَانِ، وَلَا اخْتِلَافَ عِنْدَنَا أَنّ الْمِقْدَادَ لَهُ فَرَسٌ)[٤]، والصحيح الثابت: أنَّه لم يكن في الجيش النبوي إلا فارسٌ واحد، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ)[٥].

الفوائد

– فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم التواضع والشفقة بالمؤمنين والحرص على مرضاة رب العالمين، وما كان عليه الصحابة من الأدب والحرص على نبيهم ﷺ.

– وفيه أنَّ الأمير لا ينبغي له أن يميّز نفسه بشيء عن جنوده، فهو أرضى لربه وأجمعُ لقلوب جنوده، إلّا إذا دعت الحاجة لذلك، لقوله ﷺ: "مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي".

– وفيه أنَّ الحرص على تحصيل الأجر وعدم الزهد فيه مهما قلّ مِن صفات الصالحين.

---

[١] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٢).

[٢] رواه أحمد (ج١/ص٤١١) وغيره، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص٦٩): (وفيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح).

[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد (ج٢/ص١٢).

[٤] مغازي الواقدي (ص ٢٥).

[٥] رواه أحمد (ج١/ص١٢٥) وغيره، وهو صحيح.

فصل النبي ﷺ يقول: "إنا لا نستعين بمشرك" لمن جاء يقاتل معه حمية لقومه وطلباً للغنيمة

روى مسلم في صحيحه: (عَنْ عُـرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَـةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟"، قَالَ: لَا، قَالَ: "فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: "فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: "تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟"، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَانْطَلِقْ").

وهذا الرجل هو خبيب بن إساف، كما روى الإمام أحمد[1]، عن خبيب بن إساف قال: (خرج رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فأتيته أنا ورجل قبل أن نسلم فقلنا: إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً ولا نشهده معهم، فقال: "أأسلمتما؟" قلنا: لا، قال: "فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين").

(قَالُوا: وَكَانَ خُبَيْبُ بْنُ إِسَافٍ رَجُلًا شُجَاعًا، وَكَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ، فَلَمّا خَرَجَ النّبِيّ ﷺ إلَى بَدْرٍ خَرَجَ هُوَ وَقَيْسُ بْنُ مُحَرّثٍ وَهُمَا عَلَى دِينِ قَوْمِهِمَا، فَأَدْرَكَا النّبِيّ ﷺ بِالْعَقِيقِ، وَخُبَيْبٌ مُقَنّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَعَرَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ يَسِيرُ إلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: "أَلَيْسَ بِخُبَيْبِ بْنِ إسَافٍ؟" قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَقْبَلَ خُبَيْبٌ حَتّى أَخَذَ بِبِطَانِ نَاقَةِ النّبِيّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِقَيْسِ بْنِ مُحَرّثٍ -يُقَالُ قَيْسُ بْنُ الْمُحَرّثِ وَقَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ- "مَا أَخْرَجَكُمَا مَعَنَا؟" قَالَا: كُنْت ابْنَ أُخْتِنَا وَجَارَنَا، وَخَرَجْنَا مَعَ قَوْمِنَا لِلْغَنِيمَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا يَخْرُجَن مَعَنَا رَجُلٌ لَيْسَ عَلَى دِينِنَا"، قَالَ خُبَيْبٌ: قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنّي عَظِيمُ الْغِنَاءِ فِي الْحَرْبِ شَدِيدُ

[1] المسند (ج٣/ص٤٥٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (برقم ٣٣١٥٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (برقم ٢١٥٨)، والحاكم (ج ٢/ص١٢١-١٢٢) وصحّحه، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (ج٩/ص٣٧) وغيرهم.

النّكَايَةِ، فَأُقَاتِلُ مَعَك لِلْغَنِيمَةِ وَلَنْ أُسْلِمَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا، وَلَكِنْ أَسْلِمْ ثُمّ قَاتِلْ"، ثُمّ أَدْرَكَهُ بِالرّوْحَاءِ فَقَالَ: أَسْلَمْت لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ وَشَهِدْت أَنّك رَسُولُ اللهِ، فَسُرّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ وَقَالَ: "امْضِهِ"، وَكَانَ عَظِيمَ الْغِنَاءِ فِي بَدْرٍ وَغَيْرِ بَدْرٍ، وَأَبَى قَيْسُ بْنُ مُحَرّثٍ أَنْ يُسْلِمَ وَرَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمّا قَدِمَ النّبِيّ ﷺ مِنْ بَدْرٍ أَسْلَمَ، ثُمّ شَهِدَ أُحُدًا فَقُتِلَ)[1].

وفي حديث مسلم موضوع الباب؛ قال النووي في شرحه: («بِحَرَّةِ الْوَبَرَة» هَكَذَا ضَبَطْنَاهُ بِفَتْحِ الْبَاء، وَكَذَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْ جَمِيع رُوَاة مُسْلِم، قَالَ: وَضَبَطَهُ بَعْضهمْ بِإِسْكَانِهَا، وَهُوَ مَوْضِع عَلَى نَحْو مِنْ أَرْبَعَة أَمْيَال مِنَ الْمَدِينَة)[2].

وهذه المسألة اختلط فيها الكلام، وهي عند التحقيق على قسمين: استعانة بهم في قتال، واستئجارهم للخدمة، ويقع الخلط بينهما.

أما مسألة الاستعانة بالمشركين في قتال المشركين والتي هي حديث الباب، سواء أكانت استعانةً بأفراد أو جماعات أو دول فهي حرام، كما قال الشيخ حمود العقلاء: (اتفق جمهور فقهاء الأمة وعلماؤها على تحريم هذا النوع تحريماً عاماً لا يستثنى منه شيء)[3].

وقد ساق رحمه الله أدلة ذلك من الكتاب والسنة في بحثه القيم السابق، منها قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} [آل عمران: ١١٨]، وقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة: ١].

---

[1] مغازي الواقدي (ص ٤٨).
[2] (ج١٢/ص١٩٨)
[3] (القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار)، كذا حكم رحمه الله، وسيأتي من كلامه نفسه ما يبين أن المسألة خلافية ليس فيها اتفاق كامل من أهل العلم.

ثم قال: (فهذه الآيات وأمثالها كثيرة في الكتاب العزيز، كلها تحذِّر من الركون إلى الكافرين وموالاتهِم واتِّخاذهم أصدقاء، والاستعانة بالكفار لا تتم إلا بموالاتهم والركون إليهم).

أما مِن السنة فساق حديث مسلم موضوع الباب، وما أخرجه الطحاوي، والحاكم عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: "فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين"، وذلك لما جاء بـ(أحد) عبدُ اللهِ بنُ أبي بن سلول في ستمئة من مواليه من اليهود أهلِ قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام قال: "وقد أسلموا؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "قولوا لهم فليرجعوا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين".

ثم قال رحمه الله: (هذه النصوص كما ترى غايةٌ في الصحة والصراحة على تحريم الاستعانة بالمشركين في الحرب والقتال، فلا يحلّ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستعين بكافر أو يجيز الاستعانة بهم وهو يعلم هذه النصوص الصحيحة الصريحة).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّ قوله ﷺ كان خاصاً بوقت هذه الغزوة فحسب.

(قال المهلب: قوله ﷺ: "إنا لا نستعين بمشرك"، لأن المشرك غير المسلم الفاجر، وقوله: "إنا لا نستعين بمشرك"، قد يكون خاصاً في ذلك الوقت؛ لأنَّه قد استعان بصفوانَ بن أمية في هوازن واستعار منه ﷺ مئة درع، وخرج معه صفوان بن أمية حتى قالت له هوازن: تقاتل مع محمد ولست على دينه؟ فقال: ربّ من قريش خير من ربّ من هوازن. وقد غدا معه المنافقون وهو يعلم نفاقهم وكفرهم. وقوله: "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، يشتمل على المسلم والكافر، فيصحّ أن قوله: "لا نستعين بمشرك" خاص في ذلك الوقت، والله أعلم)[1].

قلت: دعوى التخصيص لا دليل عليها كما قال الحافظ في الفتح، في قوله: "لَا نَسْتَعِين بِمُشْرِك": (نَكِرَة فِي سِيَاق النَّفْي فَيَحْتَاج مُدَّعِي التَّخْصِيص إِلَى دَلِيل)[2].

---

[1] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص٢٨٧).
[2] (ج٦/ص٢٢١).

وقال الشيخ حمود العقلاء: (قوله ﷺ: "لن أستعين بمشرك"، مشرك هنا نكرة جاءت في سياق النفي، واتفق علماء الأصول على أنَّ النكرةَ في سياق النفي صيغةٌ من صيغ العموم، فيكون قوله "لن استعين بمشرك" يعمّ كل مشرك فرداً كان أو دولة).

ولم يثبت أبداً بنصٍّ صحيح أنَّ صفوان قاتل مع النبي ﷺ في حنين، قال الشيخ حمود العقلاء: (ولم يثبت أنه قاتل وإنما كان خروجه مع المسلمين للتفرُّج والنظر فيما يحصل، ولهذا لما انهزم المسلمون في أول وهلة فرح أبو سفيان بذلك وقال: «والله لا يردّ هزيمتَهم البحر»، فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لأن يرُبَّني رجلٌ من قريش أحب إلي من أن يَربَّني رجل من هوازن).

ثم قال عن خبر أدراع صفوان: (فإنَّه لا تثبت به حجة، وهو غير ثابت وفيه اضطراب شديد بمتنه وسنده)[1] ونقل ذلك عن ابن عبد البر حيث قال في التمهيد: (حديث صفوان هذا اختلف فيه على عبد العزيز بن رفيع اختلافاً يطول ذكره؛ فبعضهم يذكر فيه الضمان وبعضهم لا يذكره، وبعضهم يقول عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عن أمية بن صفوان عن أبيه وبعضهم يقول عن عبد العزيز عن ابن أبي مليكة عن ابن صفوان قال: «استعار النبي ﷺ...» لا يقول: عن أبيه، ومنهم من يقول: عن عبد العزيز بن رفيع عن أناس من آل صفوان أو من آل عبد الله بن صفوان مرسلاً أيضاً، وبعضهم يقول فيه: عن عبد العزيز بن رفيع عن عطاء عن ناس من آل صفوان، ولا يذكر فيه الضمان، ولا يقول مؤدّاة بل عارية فقط، والاضطراب فيه كثير ولا يجب عندي بحديث صفوان هذا حجة في تضمين العارية)[2].

---

[1] كذا قال رحمه الله، والصواب خلافه؛ فالقصة ثابتة وقد جاءت عن عدد من الصحابة: صفوان وجابر وابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهم، وما وصفها به ابن عبد البر من الاضطراب كما سيأتي نقل قوله إنما يخصّ حديث صفوان مع أنه غير مسلّم لأنه يمكن ترجيح بعض طرقه على بعض، وشرط الاضطراب تساوي الطرق مع عدم إمكان الجمع، مع أن ابن عبد البر في نصّ قوله نفى كون الحديث حجة في مسألة تضمين العارية لا مطلقاً كما أراده الشيخ حمود رحمه الله. فضلاً عن صحة القصة من حديث جابر عند الحاكم (ج٣/ص٤٨-٤٩)، والبيهقي (ج٦/ص٨٩)(١١٢٥٧)، وهي مسألة تحتاج إلى بحث في الحديث نفسه قبل البحث الفقهي والأصولي والله أعلم.

[2] (ج١٢/ص٤٠-٤١).

وأما الجواب على خروج المنافقين معه فهو نفس الجواب على قول القائل: لماذا لم يقتلهم؟ وأظهر الأجوبة على هذه الشبهة قولهم: (لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ بَيِّنَةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ، وَالَّذِي بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ لَمْ يَبْلُغْهُمْ إِيَّاهُ نِصَابُ الْبَيِّنَةِ).

ورجح ابنُ القيم أنَّه تركهم لتأليف القلوب عليه فقال في زاد المعاد: (فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ إِذَنْ أَنَّهُ كَانَ فِي تَرْكِ قَتْلِهِمْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مَصْلَحَةٌ تَتَضَمَّنُ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَمْعَ كَلِمَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي قَتْلِهِمْ تَنْفِيرٌ، وَالْإِسْلَامُ بَعْدُ فِي غُرْبَةٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى تَأْلِيفِ النَّاسِ وَأَتْرَكُ شَيْءٍ لِمَا يُنَفِّرُهُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ كَانَ يَخْتَصّ بِحَالِ حَيَاتِهِ ﷺ)[1] بمعنى أنَّه من ثبت نفاقه وجب قتله، فعدنا إلى القول الأول وزالت الشبهة بعون الله.

قال الشيخ العقلاء رحمه الله: (والعجب ممَّن ذهب من العلماء إلى جواز الاستعانة بالكفار[2] معتمداً في ذلك على هذه الآثار والمراسيل الضعيفة والمضطربة[3]، ويعرض عن ما خُرِّج في صحيح مسلم والسنن ومسند الإمام أحمد وغيره من رفضه ﷺ الاستعانة بالمشركين، إننا إذا سلكنا طريق الترجيح وجدنا أن حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلمٌ في صحيحه وما وافقه من آثار أخرى أرجح يقيناً من تلك المراسيل المضطربة السند والمتن كما أسلفنا).

وقد وضع من جوز الاستعانة شروطاً لذلك:

أولا: كونُ هذه الاستعانة المجازة خاصة بالاستعانة بأهل الكفر على أمثالهم من الكفار، ولا يمكن القول بجوازها في أيِّ حال من الأحوال إذا كانت ضد بعض أهل القبلة ممن يُستوجب أن يقاتَلوا، وهذا لا شك في كونه من أوضح الأمور فليس هناك أيُّ مصلحة شرعية راجحة في التمالؤ مع أهل الكفر أياً كان نوع كفرهم على حرب بعض أهل القبلة مهما كانوا في ابتداعهم أو انحرافهم ما داموا ضمن أهل الإسلام.

[1] (ج٣/ص١٦).

[2] هذا ينافي تقريره السابق اتفاق العلماء على تحريم الاستعانة، فغفر الله لنا وله.

[3] هذا الوصف فيه من الإخلال والاختزال بأدلة الطرف المقابل ما لا يحسن، ومن أطال النَّفَس في بحث هذه المسألة وجد مصداق ذلك، والله أعلم.

وهذا ما قرّره الإمام الشافعي في الأم، فقال: (ولا يجوز لأهلِ العدل عندي أن يستعينوا على أهل البغي بأحدٍ من المشركين ذمي ولا حربي ولو كان حكم المسلمين الظاهر، ولا أجعل لمن خالف دينَ الله عز وجل الذريعةَ إلى قتل أهل دين الله)[١].

ثانيا: أن يكون الكافر حسنَ الرأي في المسلمين، مأمونًا عليهم، فلئن كانت الشريعة منعت الاستعانة بالمرجفِ المسلم وأهل الأهواء في القتال لعدم أمانتهم وسوءِ رأيهم فيه فإن ذلك ولا شك أولى في الكفار، قال النووي[٢]: (فَأَخَذَ طَائِفَة مِنَ الْعُلَمَاء بِالْحَدِيثِ الْأَوَّل عَلَى إِطْلَاقه -أي بالمنع- وَقَالَ الشَّافِعِيّ وَآخَرُونَ: إِنْ كَانَ الْكَافِر حَسَن الرَّأْي فِي الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَتِ الْحَاجَة إِلَى الِاسْتِعَانَة بِهِ اسْتُعِينَ بِهِ، وَإِلَّا فَيُكْرَه)[٣].

ثالثا: أن يكون في المسلمين قلَّة ودعت الحاجة إليه، وهو نصّ قول الإمام مالك فيما نقله عنه أبو الفرج كما في كتاب التاج والإكليل[٤]، وقال النووي في المجموع: (ولا نستعين بالكفار من غير حاجة...)[٥]، وجاء في كتاب (العدة شرح العمدة) في الفقه الحنبلي: (ولا يُستعان بمشرك إلا عند الحاجة إليه)[٦]، وهذا الضابط لا شكَّ في كونه مِن أهم الضوابط، إذ عند عدمه فلا حاجة إلى الاستعانة، ومن ثم لا خلاف في حرمتها.

قال الخرقي: (ولا يستعين بمشرك إلا عند الحاجة إليه)، وجاء في الشرح الكبير: (وكلام الخرقي يدل على جواز الاستعانة بهم عند الحاجة، وهو الذي ذكره شيخنا في هذا الكتاب، وبه قال الشافعي، لما روى الزهري «أن رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم» رواه سعيد[٧]، وروي «أنَّ صفوان بن أمية خرج مع النبي ﷺ يوم حنين وهو على شِركه فأسهم له وأعطاه من سهم المؤلفة» وذكر الحديث، إذا

---

[١] (ج٤/ص٢٣٢).
[٢] شرح مسلم (ج١٢/ص١٩٩).
[٣] كما في الشرح الكبير لابن قدامة (١٠ج/ص٤٢٨)، ونحوه عند النووي في المجموع (١٩ج/ص٢٨٠)، وفي شرح مسلم (ج ١٢/ص١٩٩).
[٤] (ج٣/ص٣٥٢).
[٥] (١٩ج/ص٢٨٠).
[٦] (ج١/ص٥٦٥).
[٧] سنن سعيد بن منصور (برقم ٢٧٩٠)، ومن طريقه أبو داود في المراسيل (برقم ٢٦٠)، ورواه أيضاً البيهقي في الكبرى (ج ٩/ص٥٣)(١٧٧٥٠)، ومرسل آخر للزهري في رواية قصة أدراع صفوان عند عبد الرزاق في مصنفه (برقم ١٢٦٤٦).

ثبت هذا فيشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة بهم، لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين كالمخذّل والمرجف فالكافر أولى)[1].

أما عن قوله: (روى الزهري أنَّ رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم، رواه سعيد)، فهذا كما هو واضح حديث مرسل غير متصل، وهو من مراسيل الزهري، ومعلوم أن مراسيل الزهري ضعيفة. فضلاً على أنَّ المرسل ولو كان صحيحاً لا يؤخذ به عموماً عند طائفة من العلماء فهو معدود من أنواع الضعيف، أو يؤخذ به إذا خلا من معارض لنصّ صحيح، وهو شرط الشافعي للعمل بالمرسل، وهو هنا غير موجود.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (والقائل بالجواز احتج بمرسل الزهري، وقد عرفت ما في المراسيل إذا عارضت كتاباً أو سنة، ثم القائل به قد شرط أن يكون فيه نصح للمسلمين ونفع لهم، وهذه القضية فيها هلاكهم ودمارهم، وشَرَطَ أيضاً أن لا يكون للمشركين صولة ودولة يخشى منها، وهذا مبطل لقوله في هذه القضية. واشترط مع ذلك ألَّا يكون له دخل في رأي ولا مشورة بخلاف ما هنا، كل هذا ذكره الفقهاء وشرّاح الحديث ونقله في شرح المنتقى)[2].

رابعا: ثبوت اشتمال تلك الاستعانة بهم على مصلحة شرعية هي أرجح من المفسدة المقابلة، وهذا من أهم شروط وضوابط الاستعانة عند من جوز الاستعانة بأهل الكفر، إذ هو المقصود الذي من أجله أجيزت، ولابد هنا من التأكيد على أمرين اثنين:

١. كون هذه المصلحة المقصودة الراجحة، والمفسدة المقابلة المرجوحة هما جميعاً قد ثبتتا بميزان الشرع، أي تدلّ عليهما نصوص الشرع، وتدلّ أيضاً على رجحان هذه

---

[1] (ج١٠/ص٤٢٨).
[2] (ج٢٤/ص٦٢).

المصلحة على تلك المفسدة المقابلة، وهو ما سبق تقريره من كلام شيخ الإسلام خلال المبحث (١-٢).

٢. كون هذه المصلحة المرجوّة هي حقيقة واقعية لا خيالية أو تخيّلية، بمعنى أنها مصلحة تحقّق التأييد والنصرة لدين الله تعالى واقعياً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما هو المشروع)[1].

أي أن المشروع والواجب المتحتّم شرعاً هو مراعاة هذا الأصل في حالات اشتمال الأفعال على مصالح ومفاسد، أو على حسنات وسيئات، أو على منافع ومضارّ شرعية، أو نحو ذلك من العبارات التي تدور على هذا الأصل.

خامسا: أن لا تكون الغلبَة ولا الرايةُ لهم نتيجة الاستعانة بهم، إذ أنَّ حصول ذلك يتضمن مفسدةً هي أعظم من كل مصلحة تُرجى من الاستعانة بهم، بل العكس هنا هو المتحقّق وهو الانتهاء إلى مفسدة عظيمة راجحة على كل مصلحة.

ويدلّ على هذا الأصل نفس ما في حديث ذي مخمر رضي الله عنه الذي يستدلّ به القائلون بجواز الاستعانة بأهل الكفر ضمن ضوابط شرعية، إذ جاء فيه قوله ﷺ: "...فتُنصرون وتسلمون وتغنمون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من النصرانية صليباً فيقول غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقّه، فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة"[2]، وفي رواية أخرى عند أحمد: "...ثم تنزلون بمرج ذي تلول فيقوم إليه رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول الأغلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم". ففي هذا بيان من النبي ﷺ بأنَّ الروم هم الغادرون، وهو يدلّ على أنَّ من استعان بهم من المسلمين في حينه كانوا قد تعاهدوا معهم على أن لا تكون الراية لهم ولهذا صحّ وصفهم بالغادرين، ثم إنَّ هذا

[1] المجموع (ج٢٨/ص٢٨٤).
[2] كما في مسند الإمام أحمد (ج٤/ص٩١) (ج٥/ص٤٠٩)، وسنن أبي داود (٤٢٩٢) وغيرهما.

الشرط مستفاد أيضاً مما نقله ابن عبد البر في التمهيد[١] عن عدد من أهل العلم: الشافعي والثوري وغيرهم أنهم اشترطوا: (إذا كان حكم الإسلام هو الغالب عليهم)، وقد تقدم نقله. ومستفاد أيضاً من قول الإمام أبي حنيفة فيما نقله عنه الشوكاني في نيل الأوطار[٢] وغيره؛ أنه جوّز الاستعانة بأهل الكفر حيث يستقيمون على أوامر الإمام ونواهيه، وهم لا يستقيمون على أوامر إمام المسلمين ونواهيه حتى تكون الكلمة والراية والغلبة للمسلمين لا لهم.

وبتقرير هذا الضابط يتّضح الخطأ الشنيع أو التلبيس الذي وقع في فتوى من أفتى في زماننا هذا بجواز الاستعانة بالجيوش الصليبية لردّ عدوان المعتدين حتى لو كانوا من أهل الكفر، فإن الغلبة والراية بعدئذٍ لم تكن إلا لأولئك الصليبيين، وهذا ما يدحض احتجاجهم.

فإن قيل: إذا كان هذا شرطاً في جواز الاستعانة بهم فكيف يُتصور قبولهم للدخول في قتال لا تكون لهم فيه الغلبة؟ قيل: وهذا ما يُصعِّب أم رَالاستعانة بهم فعلاً ويجعل استدلالهم على جواز الاستعانة بالأفراد مثل الجيوش كمن يستدل كما قيل بتقبيل الصائم على أن الوطء لا يبطل الصيام.

أما مسألة إجارة الكافر..

قد سبق أنَّ الإجارة جوّزها جمهور العلماء عند الضرورة، كما في قصة الدليل المشرك في الهجرة، جاء في الدرر السنية: (وابن أريقط، أجير مستخدم، لا معين مكرم)[٣].

قال البخاري في (كتاب الإجارة) (باب ٣): (بَاب اسْتِئْجَارِ الْمُشْرِكِينَ عِنْد الضَّرُورَة، أَوْ إِذَا لَمْ يُوجَد أَهْل الْإِسْلَام. وَعَامَلَ النَّبِيّ ﷺ يَهُود خَيْبَر).

---

[١] (ج١٢/ص٣٦).
[٢] (ج٨/ص٤٤).
[٣] (ج٢٨/ص٩٤).

قال الحافظ في الفتح: (هَذِهِ التَّرْجَمَة مُشْعِرَة بِأَنَّ الْمُصَنِّف يَرَى بِامْتِنَاعِ اسْتِئْجَار الْمُشْرِك حَرْبِيًّا كَانَ أَوْ ذِمِّيًّا إِلَّا عِنْد الِاحْتِيَاج إِلَى ذَلِكَ، كَتَعَذُّرِ وُجُود مُسْلِم يَكْفِي فِي ذَلِكَ. وَقَدْ رَوَى عَبْد الرَّزَّاق عَنْ ابْن جُرَيْجٍ عَنْ ابْن شِهَاب قَالَ: «لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ ﷺ عُمَّال يَعْمَلُونَ بِهَا نَخْل خَيْبَر وَزَرْعهَا، فَدَعَا النَّبِيّ ﷺ يَهُود خَيْبَر فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ...» الْحَدِيث. وَفِي اسْتِشْهَادِهِ بِقِصَّةِ مُعَامَلَة النَّبِيّ ﷺ يَهُود خَيْبَر عَلَى أَنْ يَزْرَعُوهَا وَبِاسْتِئْجَارِهِ الدَّلِيل الْمُشْرِك لَمَّا هَاجَرَ عَلَى ذَلِكَ نَظَر، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمَا تَصْرِيح بِالْمَقْصُودِ مِنْ مَنْع اسْتِئْجَارهمْ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ مَضْمُومًا إِلَى قَوْله ﷺ: "إِنَّا لَا نَسْتَعِين بِمُشْرِكٍ" أَخْرَجَهُ مُسْلِم وَأَصْحَاب السُّنَن، فَأَرَادَ الْجَمْع بَيْن الْأَخْبَار بِمَا تَرْجَمَ بِهِ)[1].

وكذلك أجازه المالكية في الخدمة والصناعة دون القتال، جاء في المدونة: (قُلْتُ: هَلْ كَانَ مَالِكٌ يَكْرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ فِي حُرُوبِهِمْ؟ قَالَ: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: وَلَا أَرَى أَنْ يَسْتَعِينُوا بِهِمْ، يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ إلَّا أَنْ يَكُونُوا نَوَاتِيَّةً أَوْ خُدَّامًا فَلَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا)[2].

ثم اعلم أنَّ هذه الإجارة التي كانت بخيبر كانت تحت بند هام، كما في الصحيحين[3] قال عليه الصلاة والسلام: "نقرّكم بها على ذلك ما شئنا"، فمقتضى هذه الإجارة أنَّ للمسلمين الخيار؛ فمتى شاءوا أخرجوا اليهود وأنهوا عملهم عندهم.

وجاء في المنتقى شرح الموطأ: (وَتُمْنَعُ الِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي الْحَرْبِ وَإِنِ اسْتُعِينَ بِهِ فِي الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَالْخِدْمَةِ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا حَتَّى كَانَ بِكَذَا وَكَذَا لَحِقَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانَ شَدِيدًا فَفَرِحُوا بِهِ)[4].

---

[1] (ج٤/ص٥٥٧-٥٥٨).
[2] (ج٣/ص٤٥٩).
[3] البخاري (٢٣٣٨)، ومسلم (١٥٥١).
[4] (ج٣/ص٣٧).

ثم إنَّه والحمد لله اليوم (لَيسَ الْمُسلِمُونَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَقَدْ كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إنَّ بِالشَّامِ كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا لَا يَقُومُ خَرَاجُ الشَّامِ إلَّا بِهِ»، فَكَتَبَ إلَيْهِ: «لَا تَسْتَعْمِلْهُ»، فَكَتَبَ: «إنَّهُ لَا غِنَى بِنَا عَنْهُ»، فَكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ: «لَا تَسْتَعْمِلْهُ»، فَكَتَبَ إلَيْهِ: «إذَا لَمْ تُوَلِّهِ ضَاعَ الْمَالُ»، فَكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ».

وَثبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مُشْرِكًا لَحِقَهُ لِيُقَاتِلَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ: "إنِّي لَا أَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ"، وَكَمَا أَنَّ اسْتِخْدَامَ الْجُنْدِ الْمُجَاهِدِينَ إنَّمَا يَصْلُحُ إذَا كَانُوا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ؛ فَكَذَلِكَ الَّذِينَ يُعَاوِنُونَ الْجُنْدَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ إنَّمَا تَصْلُحُ بِهِمْ أَحْوَالُهُمْ إذَا كَانُوا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ كِفَايَةٌ فِي جَمِيعِ مَصَالِحِهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَدَخَلَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ حِسَابَ الْعِرَاقِ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَقَالَ: «اُدْعُ كَاتِبَك يَقْرَؤُهُ عَلَيَّ»، فَقَالَ: «إنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ»، قَالَ: «وَلِمَ؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُ نَصْرَانِيٌّ»، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالدِّرَّةِ فَلَوْ أَصَابَتْهُ لَأَوْجَعَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُعِزُّوهُمْ بَعْدَ أَنْ أَذَلَّهُمْ اللَّهُ، وَلَا تَأْمَنُوهُمْ بَعْدَ أَنْ خَوَّنَهُمْ اللَّهُ، وَلَا تُصَدِّقُوهُمْ بَعْدَ أَنْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ»)[١].

فعدّ إجارة الكافر طائفةٌ من العلماء -عند عدم الضرورة الماسة- نوع ولاء؛ جاء في بدائع الفوائد: (قال وسأله: إعمال -في الأصل: إسماعيل، وهو تصحيف- اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين مثل الخراج، قال: لا يستعان بهم في شيء، وذكر أبو حفص الحديث إلى قول النبي ﷺ: "ارجع فلن أستعين بمشرك". قال: وروى أبو معاوية حدثنا أبو حيان التيمي عن الزنباع عن أبي الدهقان قال: قيل لعمر: إن ها هنا رجلاً من أهل الحيرة له علم بالديوان أفنتخذه كاتباً؟ فقال عمر: "لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين". وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى قال: قلت لعمر إن لي كاتباً نصرانياً، فقال: ما لك، قاتلك الله، أما سمعت الله يقول:

[١] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج٢٨/ص٦٤٣-٦٤٤).

و{يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصارَى أَوْلِياءَ} [المائدة:٥١]، وذكر الحديث)[١].

فصل الرسول ﷺ يرسل الطلائع أثناء المسير

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى: (عن عكرمة: أن النبي ﷺ بعث عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو طليعة يوم بدر، فأتيا الماء فسألا عن أبي سفيان فأخبرا بمكانه، فرجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله نزل ماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، وينزل هو ماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، حتى نلتقي نحن وهو على الماء، قال: فجاء أبو سفيان حتى نزل ذلك الماء فسأل القوم: هل رأيتم مِن أحد؟ قالوا: لا إلا رجلين، قال: أروني مُناخ ركابهما، قال: فأروه، قال: فأخذ البعر ففته فإذا فيه النوى فقال: نواضح يثربَ والله! قال: فأخذ ساحلَ البحر فكتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ)[٢].

وروى عبد الرزاق في المصنف عن عكرمة: (أنَّ المخمِّن بمكان الجيشين يومئذ أبو بكر)، وعنده: (وجاء الرجلان فأخبرا النبي ﷺ خبره، فقال: "أيكم أخذ هذه الطريق؟" قال أبو بكر رحمه الله: أنا، هو بماء كذا وكذا ونحن بماء كذا وكذا، فيرتحل فينزل بماء كذا وكذا وننزل بماء كذا وكذا، ثم ينزل بماء كذا وكذا وننزل بماء كذا وكذا، ثم نلتقي بماء كذا وكذا، كأنّا فرسا رهان، فسار النبي ﷺ حتى نزل بدراً، فوجد على ماء بدر بعضَ رقيق قريش).

وقال ابن إسحاق[٣]: (وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما

[١] (ج/٣ص١٠٢).
[٢] (ج/٢ص٢٤).
[٣] سيرة ابن هشام (ج/٢ص٢٦٩).

يتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقتِ، ثم خلّص بينهما. وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا).

وقال ابن كثير في السيرة: (وقال موسى بن عقبة: بعثهما قبل أن يخرج من المدينة، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها. فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً فقد بعثهما مرتين)[١].

الفوائد

– وفي الحديث أهمية الطليعة وضرورتها عند حركة القوات، فهي عيون القوم كما جاء في الأثر[٢]، والقائد الناجح لا يدخل مرحلة حتى يكون قد استطلع ما فيها ليأمن الكمائن ويعرف ما يستجدّ على الأرض من عوارض، وكذلك ليرصد أي حركة متقدمة للعدو.

– وفيه ما ينبغي أن يتحلّى به الطليعة من صفات؛ من خبرة بالأرض وجغرافيتها من طرق وجسور وتلال وما هو مسلوك وغيره، يعني الرئيسية والالتفافية، ومعرفة بالحركة وأنواعها ومواصفاتها؛ فيعرف مثلاً أنواع الآليات وقدرتها في التربة والطقس، وقدرتها على المناورة من عدمه، فأنت ترى كيف تجلّى كل ذلك في طليعة رسول الله ﷺ وكيف استطاع أن يحدّد بمهارة بالغة خط سير الفريقين نقطة نقطة، متسلحاً بما عنده من خبرة ومعلومات.

– وفيها أنه يُستحب للأمير أن يتأكد ويستوثق مما توصلت إليه طليعته، ويسألَ أهل الفن والخبرة ليعزم أمره ويحدّد خط سيره وهو مطمئن غير شاكّ مما له أثر كبير في طريقة السير.

---

[١] (ج٢/ص٣٩١).

[٢] من ذلك ما أخرجه الواقدي في (فتوح الشام)(ص٥٠) من رواية رفاعة بن عاصم، في قصة فتح الشام.

- وفيه فضيلة الطليعة وعظم أجرها عند الله فهم أعظم الناس خطرا وأكثر الجيش عرضة له، لذا جاء في حديث الملاحم في صحيح مسلم ما يشير إلى فضل الطليعة وقت الشدة: (فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ").

- وفيه أنَّ الطليعة إذا كان في أرض صديقة فلا حرج عليه من السؤال لمعرفة كلِّ جديد أمامه، وقد كان هو ديدن المجاهدين في العراق عند الحركة قبل أن تتغير أحوال القوم.

أما إذا كان في أرض غير صديقة فيلجأ إلى الحيلة والتجسس وكلِّ ما لا يثير استغراب العدو، وهو بعينه ما قام به طليعةُ النبي ﷺ.

- وفيه خطورة الثرثرة بالمعلومة واطلاع النساء عليها.

- وفيه أنَّ القائد الناجح لا يشمئزّ ولا يستنكف عن فعل فيه منفعة لجنده ونجاة من عدوه؛ فانظر كيف كان لفتّ أبي سفيان البعر أثره في النجاة وكيف كان لخبرته أثر، وشبيه ذلك أن يُعرف من آثار الآليات أنواعها ومن يستخدمها.

- وفيه أهمية سرعة اتخاذ القرار من القائد؛ فانظر كيف كان لسرعة قرار أبي سفيان من تغيير خط سيره ونمط حركته أثره في نجاة القافلة.

- فيه أهميةُ إخفاء الأثر وأنَّه من أخطر ما يستحصل به العدوُّ على المعلومات وخاصة إذا ظنَّ تفاهتها كبقايا وثيقة محترقة أو طعام تالف، وحتى إخراج الإنسان أحياناً كثيرة؛ فإنه كان سبباً في إحراق الأمريكان منزلًا على من فيه وكان يختبئ فيه الشيخ أبو عزام رحمه الله في الفلوجة الثانية مع كوكبة من إخوانه بسبب وجود أثر للإخراج،

والمفترض أنَّه لا أحد بالمكان، ولم يستطيعوا الوصول إليهم وكان العدو يهتم بالبحث عن الفضلات اهتماماً بالغاً فإذا وجدها دقّق البحث والتفتيش.

وفي قصة عبد النور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن لما استخفى بالبصرة من أمير المؤمنين أبي جعفر قال: (فتحولت إلى شق بني تميم، فنزلت برجل فأخذته بالثقة، وأكمنت نفسي إلى أن أعرف سبيل القوم، وكان للرجل كنيف إلى جانب داره، يشرع في طريق لا ينفذ. إلا أن من مرّ في ذلك الشارع رأى مسقط الغائط من خلاء ذلك الجناح، وكان صاحب الدار ضيق العيش، فاتسع بنزولي عليه. فكان القوم إذا مرّوا به ينظرون إلى موضع الزبل والغائط، فلا يذهب قلبي إلى شيء مما كانوا يذهبون إليه. فبينا أنا جالس ذات يوم إذا أنا بأصوات ملتفة على الباب، وإذا صاحبي ينتفي ويعتذر، وإذا الجيران قد اجتمعوا إليه، وقالوا: ما هذا الثلط الذي يسقط من جناحك، بعد أن كنّا لا نرى إلا شيئاً كالبعر، من يبس الكعك وهذا ثلط يعبر عن أكل غض! ولولا أنك انتجعت على بعض من تستر وتواري لأظهرته، وقد قال الأول:

السترُ دون الفاحشات ولا *** يلقاك دون الخير من ستر

ولولا أنَّ هذا طِلبةُ السلطان، لما توارى، فلسنا نأمن مِن أن يجُرّ على الحي بليّة، ولست تبالي -إذا حسنت حالك في عاجل أيامك- إلامَ يفضي بك الحال، وما تلقى عشيرتُك؛ فإمَّا أن تخرجه إلينا وإما أن تخرجه عنَّا، قال عبد النور: فقلت: هذه والله القيافة، ولا قيافة بني مدلج! إنا لله! خرجت من الجنة إلى النار! وقلت: هذا وعيد، وقد أعذر من أنذر، فلم أظن أن اللؤم يبلغ ما رأيت من هؤلاء)[١].

فصل رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة النبي ﷺ

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: (كَانَتْ عَاتِكَةُ بنتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَاكِنَةً مَعَ أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَرَأَتْ رُؤْيَا قُبَيْلَ بَدْرٍ فَفَزِعَتْ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَخِيهَا

[١] البخلاء للجاحظ (ص٦٩).

عبَّاسٍ مِنْ لَيْلَتِهَا حِينَ فزِعَتْ، واستيقظتْ مِنْ نومِها، وَقَالَتْ: رَأَيْتُ رُؤْيَا وَقَدْ خَشِيتُ مِنْهَا عَلَى قَوْمِكَ الْهَلَكَةَ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتِ؟ قَالَتْ: لَنْ أُحَدِّثَكَ حَتَّى تُعَاهِدَنِي أَنْ لا تَذْكُرَهَا، فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوهَا آذَوْنَا، فَأَسْمَعُونَا مَا لا نُحِبُّ، فَعَاهَدَهَا عَبَّاسٌ، فَقَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا آلَ غُدَرٍ، وَيَا آلَ فُجَرٍ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ ثَلاثَ صَرَخَاتٍ، وَمَالَ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَفَزِعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ، ثُمَّ أُرَاهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَصَاحَ ثَلاثَ صَرَخَاتٍ: يَا آلَ غُدَرٍ، وَيَا آلَ فُجَرٍ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ حَتَّى أَسْمَعَ مَنْ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ عَمَدَ لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَنَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَتِ الصَّخْرَةُ لَهَا دَوِيٌّ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَصْلِ الْجَبَلِ ارْفَضَّتْ فَلا أَعْلَمُ بِمَكَّةَ بَيْتًا وَلا دَارًا إِلا قَدْ دَخَلَهَا فِلْقَةٌ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ، فَلَقَدْ خَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ شَرٌّ، فَفَزِعَ مِنْهَا عَبَّاسٌ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَلَقِيَ مِنْ آخِرِ لَيْلَتِهِ الْوَلِيدَ بن عُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ، وَكَانَ خَلِيلاً لِلْعَبَّاسِ فَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا عَاتِكَةَ وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَذْكُرَهَا لأَحَدٍ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لأَبِيهِ، وَذَكَرَهَا عُتْبَةُ لأَخِيهِ شَيْبَةَ، وَارْتَفَعَ حَدِيثُهَا حَتَّى بَلَغَ أَبَا جَهْلِ بن هِشَامٍ واسْتَفَاضَتْ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا عَبَّاسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حِينَ أَصْبَحَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ وَزَمْعَةَ بن الأَسْوَدِ وَأَبَا الْبَخْتَرِيِّ فِي نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى عَبَّاسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ نَادَاهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا قَضَيْتَ طَوَافَكَ فَائْتِنا، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ أَتَى فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ مَا رُؤْيَا رَأَتْهَا عَاتِكَةُ؟ قَالَ: مَا رَأَتْ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: بَلَى، أَمَا رَضِيتُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ بِكَذِبِ الرِّجَالِ حَتَّى جِئْتُمُونَا بِكَذِبِ النِّسَاءِ، إِنَّا كُنَّا وَأَنْتُمْ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ فَاسْتَبَقْنَا الْمَجْدَ مُنْذُ حِينٍ، فَلَمَّا تَحَاذَتِ الرَّكْبُ قُلْتُمْ مِنَّا نَبِيٌّ، فَمَا بَقِيَ إِلا أن تَقُولُوا مِنَّا نَبِيَّةٌ، لا أَعْلَمُ فِي قُرَيْشٍ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْذَبَ رَجُلاً، وَلا أَكْذَبَ امْرَأَةً مِنْكُمْ، فَآذَوْهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الأَذَى، وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: زَعَمَتْ عَاتِكَةُ أَنَّ الرَّاكِبَ قَالَ: اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، فَلَوْ قَدْ مَضَتْ هَذِهِ الثَّلاثُ تَبَيَّنَتْ لِقُرَيْشٍ كَذِبُكُمْ، وَكَتَبْنَا سِجِلاً ثُمَّ عَلَّقْنَاهُ بِالْكَعْبَةِ أَنَّكُمْ أَكْذَبُ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ رَجُلاً وَامْرَأَةً، أَمَا

رَضِيتُمْ يَا بَنِي قُصَيٍّ أَنَّكُمْ ذَهَبْتُمْ بِالْحِجَابَةِ وَالنَّدْوَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَالرِّوَاءِ وَالرِّفَادَةِ حَتَّى جِئْتُمُونا زَعَمْتُمْ بنبِيٍّ مِنْكُمْ، فَآذَوْهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الأَذَى، وَقَالَ لَهُ عَبَّاسٌ: مَهْلا يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ فَإِنَّ الْكَذِبَ فِيكَ وَفِي أَهْلِ بَيْتِكَ، وَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، مَا كُنْتَ بِجَاهِلٍ، وَلا خَرِفٍ، وَلَقِيَ عَبَّاسٌ مِنْ عَاتِكَةَ أَذًى شَدِيدًا فِيمَا أَفْشَى مِنْ حَدِيثِهَا، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ لَيْلَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ اللَّيَالِي، الَّتِي رَأَتْ فِيهَا عَاتِكَةُ الرُّؤْيَا جَاءَهُمُ الرَّاكِبُ الَّذِي بَعَثَ أَبُو سُفْيَانَ، ضَمْضَمُ بن عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ فَقَالَ: يَا آلَ غَالِبٍ، انْفِرُوا فَقَدْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لِيَعْتَرِضُوا لأَبِي سُفْيَانَ فَأَحْرِزُوا عِيرَكُمْ، فَفَزِعَتْ قُرَيْشٌ أَشَدَّ الْفَزَعِ، وأَشْفَقُوا مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَنَفَرُوا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ)[1].

الفوائد

- فيه أنَّ سبب حقد أبي جهل على رسول الله ﷺ وبني هاشم الحسدُ، وهؤلاء إمامهم في كفر الحسد إبليس، إذ حسد آدم لما رأى ربه سبحانه قد خصّه بأنواع الكرامة، فإنَّه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكتَه، ومن هؤلاء القوم المغضوب عليهم اليهود، فلما بعث الله عز وجل نبيه وكان من العرب من ولد إسماعيل لا من ولد إسحاق وسبقهم إليه من كانوا يعدونهم أنَّه حلّ زمان نبي سيؤمنون به ونهزمكم فحملهم الحسد والبغي على الكفر به وتكذيبه، وسار على دربهم أمةٌ من المشركين منهم (أبو عامر الراهب، وكان قد تنصّر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ﷺ)[2].

و(الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود)[3].

---

[1] رواه الطبراني في الكبير (ج٢٤/ص٢٧٢-٢٧٣)(برقم ٨٦٠) مرسلاً عن عروة، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٧١): (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وحديثه حسن) يعني إذا وجد له متابع كما في هذه القصة، فقد رواها الحاكم أيضاً (ج٣/ص١٩-٢٠)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (ج٣/ص٨٧٣) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني حسين عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس، وحسين ضعيف لكنه يستشهد به، وانظر سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٥٨-٢٦٠).

[2] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣١).

[3] مجموع الفتاوى (١٠ج/ص١١١).

أو هو: (تَمَنِّي زَوَال النِّعْمَة عَنِ الْمُنْعَم عَلَيْهِ، وَخَصَّهُ بَعْضهمْ بِأَنْ يَتَمَنَّى ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَالْحَقّ أَنَّهُ أَعَمّ، وَسَبَبه أَنَّ الطِّبَاع مَجْبُولَة عَلَى حُبّ التَّرَفُّع عَلَى الْجِنْس، فَإِذَا رَأَى لِغَيْرِهِ مَا لَيْسَ لَهُ أَحَبَّ أَنْ يَزُول ذَلِكَ عَنْهُ لَهُ لِيَرْتَفِع عَلَيْهِ، أَوْ مُطْلَقًا لِيُسَاوِيه. وَصَاحِبه مَذْمُوم إِذَا عَمِلَ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ مِنْ تَصْمِيم أَوْ قَوْل أَوْ فِعْل)[1].

وذكر ابن القيم رحمه الله الأسباب المانعة من قبول الحق، فقال في هداية الحيارى: (ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد، فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسدُ المحسود قد فضِّل عليه وأوتي ما لم يؤتَ نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟ فإنه لـمّا رآه قد فُضِّل عليه ورفع غصّ بريقه واختار الكفر على الإيمان)[2].

وفي أقسام الناس في الهدى؛ أي من حيث القبول والردّ قال رحمه الله: (من هؤلاء أيضاً القسم الثاني؛ من ردّه ظاهراً وباطناً وكفر به ولم يرفع به رأساً، وهؤلاء أيضاً نوعان: أحدهما: عرفه وتيقن صحته وأنَّه حق ولكن حمله الحسدُ والكبرُ وحبُّ الرَّياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين)[3].

فصل النذير يستنفر قريشًا لحماية أموالهم

قال ابن سعد في الطبقات: (وكان بلغ المشركين بالشام أنَّ رسول الله ﷺ يرصد انصرافهم، فبعثوا ضمضم بن عمرو -أي الغفاري مستأجراً- حين فصلوا من الشام إلى قريش بمكة يخبرونهم بما بلغهم عن رسول الله ﷺ ويأمرونهم أن يخرجوا فيمنعوا عيرهم، فخرج المشركون من أهل مكة سراعاً ومعهم القيان والدفوف)[4].

---

[1] فتح الباري لابن حجر (ج١/ص١٦٦).
[2] (ص ١٦).
[3] اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٤).
[4] (ج٢/ص١٢-١٣).

وكان الذي أخبرهم بالشام رجلًا من جذام، قال الواقدي في المغازي: (فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْمِسْوَرِ عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: لَمّا لَحِقْنَا بِالشّامِ أَدْرَكَنَا رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ فَأَخْبَرَنَا أَنّ مُحَمّدًا كَانَ عَرَضَ لِعِيرِنَا فِي بَدْأَتِنَا وَأَنّهُ تَرَكَهُ مُقِيمًا يَنْتَظِرُ رَجْعَتَنَا، قَدْ حَالَفَ عَلَيْنَا أَهْلَ الطّرِيقِ وَوَادَعَهُمْ، قَالَ مَخْرَمَةُ فَخَرَجْنَا خَائِفِينَ نَخَافُ الرّصَدَ، فَبَعَثْنَا ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو حِينَ فَصَلْنَا مِنْ الشّامِ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يُحَدّثُ يَقُولُ: لَمّا كُنّا بِالزّرْقَاءِ -وَالزّرْقَاءُ بِالشّامِ بِنَاحِيَةِ مَعَانَ مِنْ أَذْرِعَاتٍ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ- وَنَحْنُ مُنْحَدِرُونَ إلَى مَكّةَ لَقِينَا رِجَالًا مِنْ جُذَامٍ فَقَالَ: قَدْ كَانَ عَرَضَ مُحَمّدٌ لَكُمْ فِي بَدْأَتِكُمْ فِي أَصْحَابِهِ، فَقُلْنَا: مَا شَعَرْنَا، قَالَ: بَلَى، فَأَقَامَ شَهْرًا ثُمّ رَجَعَ إلَى يَثْرِبَ وَأَنْتُمْ يَوْمَ عَرَضَ مُحَمّدٌ لَكُمْ مُخْفُونَ، فَهُوَ الْآنَ أَحْرَى أَنْ يَعْرِضَ لَكُمْ، إنّمَا يَعُدّ لَكُمُ الْأَيّامَ عَدّا فَاحْذَرُوا عَلَى عِيرِكُمْ وَارْتَأَوْا آرَاءَكُمْ فَوَاللهِ مَا أَرَى مِنْ عَدَدٍ وَلَا كُرَاعٍ وَلَا حَلْقَةٍ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فَبَعَثُوا ضَمْضَمًا)[١].

وكان من شأن ضمضم الغفاري أنه صرخ (بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ جَدّعَ بَعِيرَهُ وَحَوّلَ رَحْلَهُ وَشَقّ قَمِيصَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللّطِيمَةَ اللّطِيمَةَ؛ أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمّدٌ فِي أَصْحَابِهِ لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا، الْغَوْثَ الْغَوْثَ)[٢].

(فَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ يَقُولُ: مَا رَأَيْت أَعْجَبَ مِنْ أَمْرِ ضَمْضَمٍ قَطّ، وَمَا صَرَخَ عَلَى لِسَانِهِ إلّا شَيْطَانٌ؛ إنّهُ لَمْ يُمَلّكْنَا مِنْ أُمُورِنَا شَيْئًا حَتّى نَفَرْنَا عَلَى الصّعْبِ وَالذّلُولِ. وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ يَقُولُ: مَا كَانَ الّذِي جَاءَنَا فَاسْتَنْفَرَنَا إلَى الْعِيرِ إنْسَانٌ إنْ هُوَ إلّا شَيْطَانٌ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَا أَبَا خَالِدٍ؟ فَقَالَ: إنّي لَأَعْجَبُ مِنْهُ مَا مَلّكَنَا مِنْ أُمُورِنَا شَيْئًا)[٣].

الفوائد

- فيه أهمية إخفاء حركة القوات ما استطاع القائد إلى ذلك سبيلاً.

---

[١] (ص ٢٨).

[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٦٠).

[٣] مغازي الواقدي (ص ٢٩).

- وفيه أنَّ القائد يبني خطته على أساس انكشاف أمره، ويضع كل الحلول للمعوقات التي تحول بينه وبين هدفه بحيث يحاصر عدوه ويفاجئه ولو كان حذراً، وهو ما فعله رسول الله ﷺ حينما أرسل العيون والاستطلاع في كل مكان.

- وفيه أنَّ الغناء والموسيقى من لوازم المشركين الأبدية وبهما يُعرف الشيطان وجندُه، فمن صفات الكافرين والمنافقين أنهم يتركون القرآن ويطربون للغناء، قال الله تعالى: {أَفَمِنْ هَـذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم:٥٩-٦١].

قال الطبري رحمه الله في التفسير: (يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفَمِن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أنْ نزلَ على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله وأنتم من أهل معاصيه، {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العِبر والذكر)[١].

وثبت أنَّ اللهو المذموم وهذه الصفة هي الغناء، روى البزار بسند رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد[٢] عن ابن عباس: ({وَأَنْتُمْ سامِدُونَ}، قال: الغناء).

والواجب على المسلم هو ما رواه أبو داود بسند صحيح عن نَافِعٍ قَالَ: (كُنْتُ رِدْفَ ابْنِ عُمَرَ إِذْ مَرَّ بِرَاعٍ يَزْمُرُ، قَالَ: فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ وَنَأَى عَنِ الطَّرِيقِ وَقَالَ لِي: يَا نَافِعُ هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا؟ قَالَ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَرَفَعَ إِصْبَعَيْهِ مِنْ أُذُنَيْهِ، وَقَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ مِثْلَ هَذَا فَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا).

- وفيه أنَّ الشيطانَ يلقي على أفواه الكافرين مَكره وكذبَه وينطقهم بما يريد ويخطط، وهذا ثابت في كتاب الله، فقال سبحانه: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥].

---

[١] (ج٢٢/ص٥٥٨).

[٢] (ج٧/ص١١٦)، بل هو صحيح كذلك، وقد أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (برقم ٣٢)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى(ج١٠/ص٢٢٣)، والطبري في التفسير (ج٢٢/ص٥٥٩).

قال أبو جعفر الطبري في التفسير: (يعني بذلك تعالى ذكره: إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}، فخوفوكم بجموع عدوّكم ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأوليائه من المشركين)[١].

بل إنَّ الباطل إذا تكلم به المؤمن عن غير عزم وقصد هو في الحقيقة ممَّا ألقاه الشيطان على لسانه ليَحزُنه ويستدرجه، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج: ٥٢].

قال البخاري في الصحيح (تفسير سورة الحج) -معلقاً-: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي {إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}: إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثِهِ فَيُبْطِلُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ، وَيُقَالُ: أُمْنِيَّتُهُ قِرَاءَتُهُ).

وقال أبو جعفر الطبري رحمه الله في التفسير: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم، {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله)[٢].

فالمؤمن إذا ألقى الشيطان على لسانه سهواً شيئاً من الباطل يسرع إلى الاستغفار والتوبة والاعتذار إلى الله ثم إلى الناس لبيان الحق والخطأ.

فصل ما كان من قريش و خطبائهم في كيفية استنفار الناس

(وَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ وَالصّبَاةُ مَعَهُ مِنْ شُبّانِكُمْ وَأَهْلُ يَثْرِبَ قَدْ عَرَضُوا لِعِيرِكُمْ وَلَطِيمَةِ قُرَيْشٍ -وَاللّطِيمَةُ التّجَارَةُ، قَالَ أَبُو الزّنَادِ: اللّطِيمَةُ جَمِيعُ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ لِلتّجَارَةِ، وَقَالَ غَيْرُهُ اللّطِيمَةُ الْعِطْرُ

---
[١] (ج٧/ص٤١٦).
[٢] (ج١٨/ص٦٦٨).

خَاصّةً- فَمَنْ أَرَادَ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرٌ وَمَنْ أَرَادَ قُوّةً فَهَذِهِ قُوّةٌ. وَقَامَ زَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ: إنّهُ وَاللّاتِ وَالْعُزّى مَا نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، إنْ طَمِعَ مُحَمّدٌ وَأَهْلُ يَثْرِبَ أَنْ يَعْتَرِضُوا لِعِيرِكُمْ فِيهَا حَرَائِبُكُمْ فَأَوْعِبُوا، وَلَا يَتَخَلّفْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ لَا قُوّةَ لَهُ فَهَذِهِ قُوّةٌ وَاللهِ لَئِنْ أَصَابَهَا مُحَمّدٌ لَا يَرُوعُكُمْ بِهِمْ إلّا وَقَدْ دَخَلُوا عَلَيْكُمْ. وَقَالَ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ أَجَلّ مِنْ هَذَا، أَنْ تُسْتَبَاحَ عِيرُكُمْ وَلَطِيمَةُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُكُمْ وَحَرَائِبُكُمْ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَهُ نَشّ فَصَاعِدًا إلّا وَهُوَ فِي هَذِهِ الْعِيرِ فَمَنْ كَانَ لَا قُوّةَ بِهِ فَعِنْدَنَا قُوّةٌ نَحْمِلُهُ وَنُقَوّيهِ. فَحَمَلَ عَلَى عِشْرِينَ بَعِيرًا، وَقَوّاهُمْ وَخَلَفَهُمْ فِي أَهْلِهِمْ بِمَعُونَةٍ. وَقَامَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَعَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَحَرّضَا النّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَمْ يَدْعُوَا إلَى قُوّةٍ وَلَا حُمْلَانٍ، فَقِيلَ لَهُمَا: أَلَا تَدْعُوَانِ إلَى مَا دَعَا إلَيْهِ قَوْمُكُمَا مِنَ الْحُمْلَانِ؟ فَقَالَا: وَاللهِ مَا لَنَا مَالٌ وَمَا الْمَالُ إلّا لِأَبِي سُفْيَانَ. وَمَشَى نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدّيلِيّ إلَى أَهْلِ الْقُوّةِ مِنْ قُرَيْشٍ فَكَلّمَهُمْ فِي بَذْلِ النّفَقَةِ وَالْحُمْلَانِ لِمَنْ خَرَجَ فَكَلّمَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ هَذِهِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ فَضَعْهَا حَيْثُ رَأَيْت، وَكَلّمَ حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزّى فَأَخَذَ مِنْهُ مِئَتَيْ دِينَارٍ أَوْ ثَلَاثَمِئَةٍ ثُمّ قَوّى بِهِمَا السّلَاحَ وَالظّهْرَ. قَالُوا: وَكَانَ لَا يَتَخَلّفُ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلّا بَعَثَ مَكَانَهُ بَعِيثًا، فَمَشَتْ قُرَيْشٌ إلَى أَبِي لَهَبٍ فَقَالُوا: إنّك سَيّدٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ وَإِنّك إنْ تَخَلّفْت عَنِ النّفِيرِ يَعْتَبِرُ بِك غَيْرُك مِنْ قَوْمِك، فَاخْرُجْ أَ ابْعَثْ أَحَدًا، فَقَالَ: وَاللّاتِ وَالْعُزّى لَا أَخْرُجُ وَلَا أَبْعَثُ أَحَدًا، فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: قُمْ أَبَا عُتْبَةَ فَوَاللهِ مَا خَرَجْنَا إلّا غَضَبًا لِدِينِك وَدِينِ آبَائِك، وَخَافَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يُسْلِمَ أَبُو لَهَبٍ فَسَكَتَ أَبُو لَهَبٍ فَلَمْ يَخْرُجْ وَلَمْ يَبْعَثْ، وَمَا مَنَعَ أَبَا لَهَبٍ أَنْ يَخْرُجَ إلّا إشْفَاقٌ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَإِنّهُ كَانَ يَقُولُ إنّمَا رُؤْيَا عَاتِكَةَ أَخْذٌ بِالْيَدِ، وَيُقَالُ إنّهُ بَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَالَ: أُخْرُجْ وَدَيْنِي لَك فَخَرَجَ عَنْهُ)[١].

الفوائد

[١] مغازي الواقدي (ص ٢٩).

- فيه ما اعتاده أهلُ الباطل من سبّهم ووصفِهم لأهل الحق أنهم منحرفون وصباة، أي تركوا دينهم وانحرفوا إلى غيره.

- وفيه ما كان وما زال عليه أئمة الكفر من السخاء للصدّ عن سبيل الله، وما أجرمَه الكافرون المنفقون يوم بدر في حق نبيهم، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال:٣٦].

قال أبو جعفر في التفسير: (يقول تعالى ذكره: إنَّ الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهَم، فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوَّوا بها على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم {حسرة}، يقول: تصير ندامة عليهم، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله مُعْلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم، فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك! أما الحيّ، فحُرِب ماله وذهبَ باطلاً في غير دَرَك نفع، ورجع مغلوبًا مقهورًا محروبًا مسلوبًا. وأما الهالك، فقتل وسُلب، وعُجِّل به إلى نار الله يخلُد فيها، نعوذ بالله من غضبه)[١].

- وفيه تذكير وتبكيتٌ لأهلِ الحق وكيف أنَّ أهلَ الباطل يجيدون بمالهم في سبيل الشيطان، ويضنّ به أهلُ الحق في سبيل الله، وأنَّهم اعتبروا أنَّه من العجز ألا يحمي المرءُ مالَه فكيف بمن أُخذ ماله وأهين دينه ومزق كتابه وهتك عرضه وما زال قاعداً في بيته لا تثور حميته على شيء.

---
[١] (ج١٣/ص٥٢٩).

فصل التَّهَكُّمُ على من أراد القُعُود عن القتال وتشبيهه بالنساء

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ: (أَنّ أُمَيّةَ بْنَ خَلَفٍ كَانَ أَجْمَعَ الْقُعُودَ، وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا جَسِيمًا ثَقِيلًا، فَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِ بِمِجْمَرَةٍ يَحْمِلُهَا، فِيهَا نَارٌ وَمُجْمَرٌ حَتّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمّ قَالَ: يَا أَبَا عَلِيّ اسْتَجْمِرْ فَإِنّمَا أَنْتَ مِنَ النّسَاءِ، قَالَ: قَبّحَكَ اللهُ وَقَبّحَ مَا جِئْتَ بِهِ، قَالَ ثُمّ تَجَهّزَ فَخَرَجَ مَعَ النّاسِ)[1].

(قَالُوا: وَكَرِهَتْ قُرَيْشٌ –أَهْلُ الرّأْيِ مِنْهُمُ– الْمَسِيرَ، وَمَشَى بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ وَكَانَ مِنْ أَبْطَئِهِمْ عَنْ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ وَعَلِيّ بْنُ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ وَالْعَاصُ بْنُ مُنَبّهٍ، حَتّى بَكّتَهُمْ أَبُو جَهْلٍ بِالْجُبْنِ –وَأَعَانَهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَالنّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ– فِي الْخُرُوجِ فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ النّسَاءِ، فَأَجْمَعُوا الْمَسِيرَ)[2].

الفوائد

- فيه ما كان عليه الكفار عبدة الأوثان من حَرارة الطبع وأنفة النفس التي ترفض وتأبى الوصف بالجبن ومشابهة النساء في القعود عن جلاد الأعداء، وإنا لله وإنا إليه راجعون من أشباه الرجال في زماننا الذين صاروا لا يستحيون من وصف ولا يثيرهم شيء.

- وفيه استخدام فنِّ الإثارة التصورية من عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، حيث جاء لمن أراد إثارته في ملأ من الناس وفي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِ وهو يحمل مُجْمَرَةً فِيهَا نَارٌ وَمُجْمَرٌ حَتّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمّ فجر قنبلة قَائلًا: (يَا أَبَا عَلِيّ اسْتَجْمِرْ فَإِنّمَا أَنْتَ مِنَ النّسَاءِ).

[1] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦١).
[2] مغازي الواقدي (ص ٣٨).

- وفيه أنَّ صاحب الرأي إذا لم يكن مستعداً للتضحية من أجله وتحمل المشاق لإمضائه فإنَّه سرعان ما يتركه إلى رأيٍ غيره الأجلدِ عليه، فإنَّ قوةَ الرأي في قوة الثبات عليه والدفاع عنه.

فصل قريش تستفتح وتطلب حكم الله أن يهلك الأظلم

قال الله تعالى: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩].

جاء في أضواء البيان: (أي إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم ومن النبي ﷺ فقد جاءكم الفتح، أي الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر كما قاله غير واحد، وقد ذكروا أنَّهم لما أرادوا الخروج إلى بدر جاء أبو جهل وتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم إنا قطّان بيتك نسقي الحجيج ونفعل ونفعل، وإنَّ محمداً قطع الرحم وفرَّق الجماعة وعاب الدين وشتم الآلهة وسفه أحلام الآباء، اللهم أهلك الظالم منّا ومنه، فطلب الحكم على الظالم، فجاءهم الحكم على الظالم فقتلوا ببدر وصاروا إلى الخلود في النار)[١].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ العذري قال: (كان المستفتح أبا جهل؛ فإنه قال حين التقى القوم: «اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة، فكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ...} إلى قوله: {وَأَنَّ اللهَ مَعَ المؤْمِنِينَ})[٢].

---

[١] (ج٦/ص٢٩٧)

[٢] رواه أحمد (ج٥/ص٤٣١)، و ابن أبي شيبة (٣٦٦٧٤)، والحاكم في المستدرك (ج٢/ص٣٢٨) واللفظ له، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره[١] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: ({إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ}، أَيْ: لِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لا يُعْرَفُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ، وَالاسْتِفْتَاحُ: الإِنْصَافُ فِي الدُّعَاءِ).

(وروي نحو هذا عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، ويزيد بن رُومَان، وغير واحد)[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى للكفار: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا}، أي: تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم)[٣].

قال القرطبي رحمه الله في التفسير: (والصحيح أنه خطاب للكفار، فإنهم لما نفروا إلى نصر العير تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الطائفتين وأفضل الدينين. [قال] المهدوي: وروي أن المشركين خرجوا معهم بأستار الكعبة يستفتحون بها، أي يستنصرون، قلت: ولا تعارض لاحتمال أن يكونوا فعلوا الحالتين)[٤].

وروى ابن أبي حاتم: (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: ({وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا}، أَيْ: وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ، لَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا). قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}، وبِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: ({وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}، وَأَنَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْصُرُهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ)[٥].

الفوائد

---

[١] (ج٧/ص٤٦/ رقم٩٦٦٦).

[٢] تفسير ابن كثير (ج٢/ص٢٩٦).

[٣] (ج٢/ص٢٩٦).

[٤] (ج٧/ص٣٨٧).

[٥] (ج٣٣/ص٢٥-٢٧/رقم٩٦٧٨، ٩٦٧٩)

– فيه أنَّ كفارَ قريش عبدة الأصنام كانوا يقرّون لله بالربوبية ويعلمون أنَّه هو الخالق الناصر، (فَإِنَّهُمْ إذَا دَعَوْهُ فَقَدْ آمَنُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ لَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ كُفَّارًا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَفُسَّاقًا أَوْ عُصَاةً، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس: ١٢]، وَنَظَائِرُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَمْرَيْنِ فَقَالَ: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦]، فـ«الْأَوَّلُ» أَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، و«الثَّانِي» الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَإِلَهُهُمْ. وَلِهَذَا قِيلَ: إجَابَةُ الدُّعَاءِ تَكُونُ عَنْ صِحَّةِ الِاعْتِقَادِ وَعَنْ كَمَالِ الطَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ عَقَّبَ آيَةَ الدُّعَاءِ بِقَوْلِهِ: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي})[1].

بل كانوا يقرون له بالألوهية عند الشدة وكما سبق، قال الله تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ}، أي: (ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة، فذهب هاربًا، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده. فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فَأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رؤوفًا رحيمًا، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، رضي الله عنه وأرضاه)[2].

فهؤلاء الكفار (الذين يستجاب لهم لإقرارهم بربوبيته وأنَّه يجيب دعاء المضطر، إذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته، ولا مطيعين له ولرسوله، كان ما يعطيهم بدعائهم متاعاً في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج١٤/ص٣٣).
[2] تفسير ابن كثير (ج٣/ص٥٠).

عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: ١٨-٢٠].

وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال: {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، قال الله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ١٢٦]، فليس كل من متّعه الله برزق ونصر، إما إجابةً لدعائه وإما بدون ذلك، يكون ممن يحبُّه الله ويواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد يجيب دعاءَهم ويعطيهم سؤلَهم في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق)[1].

أما مشركو اليوم فهم ولا ريب أقلّ معرفة بالله وأبعد طريقاً من كفار قريش؛ فهم إذا ضاق بهم أمر أو نزلت بهم شدة توجهوا بالعبادة وأخلصوا في الطلب لغير الله؛ فسألوا الحسين والبدوي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، بخلاف مشركي قريش دعوا الله مخلصين له الدين، هذا أولاً.

وثانياً: (أنَّ الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك)[2]، هذا طبعاً في غالب أمرهم، كعبادة قبر تقدّسه اليهود في مصر.

فصل قريش تكفر بدينها طلباً لنجاة العير

(وَاسْتَقْسَمَتْ قُرَيْشٌ بِالْأَزْلَامِ عِنْدَ هُبَلَ لِلْخُرُوجِ، فَاسْتَقْسَمَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ عِنْدَ هُبَلَ بِالْآمِرِ وَالنَّاهِي، فَخَرَجَ الْقَدَحُ النَّاهِي لِلْخُرُوجِ فَأَجْمَعُوا الْمُقَامَ حَتَّى

[1] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤١٣).
[2] كشف الشبهات (ص ٢٨).

أَزْعَجَهُمْ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: مَا اسْتَقْسَمْت وَلَا نَتَخَلّفُ عَنْ عِيرِنَا. وَلَمّا تَوَجّهَ زَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ خَارِجًا وَكَانَ بِذِي طُوًى، أَخْرَجَ قِدَاحَهُ فَاسْتَقْسَمَ بِهَا فَخَرَجَ النّاهِي لِلْخُرُوجِ فَلَقِيَ غَيْظًا ثُمّ أَعَادَهَا الثّانِيَةَ فَخَرَجَ مِثْلُ ذَلِكَ فَكَسَرَهَا وَقَالَ مَا رَأَيْت كَالْيَوْمِ قِدَاحًا أَكْذَبَ مِنْ هَذِهِ، وَمَرّ بِهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاك غَضْبَانَ يَا أَبَا حُكَيْمَةَ؟ فَأَخْبَرَهُ زَمَعَةُ فَقَالَ: امْضِ عَنْك أَيّهَا الرّجُلُ وَمَا أَكْذَبَ مِنْ هَذِهِ الْقِدَاحِ، قَدْ أَخْبَرَنِي عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ مِثْلَ الّذِي أَخْبَرْتنِي أَنّهُ لَقِيَهُ، ثُمّ مَضَيَا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ. حَدّثَنَا مُحَمّدٌ قَالَ حَدّثَنَا الْوَاقِدِيّ قَالَ حَدّثَنِي مُوسَى بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ لِضَمْضَمٍ إذَا قَدِمْت عَلَى قُرَيْشٍ فَقُلْ لَهَا: لَا تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ)[١].

الفوائد

- (الأزْلامُ: وهي السهام التي كان أهلُ الجاهليَّة يستقسمون بها)[٢].

(وزَلَّمَ القِدْحَ: سوَّاه وليَّنه، وزَلَّمَ الرَّحَى أَدارها وأَخذ من حروفها)[٣].

والاستِقسام: (قال الزجّاج: الاستِقسامُ بالأزْلام، والأزْلامُ سِهامٌ كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً ضرب تلك القداح فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض في أمره)[٤].

وفي صحيح البخاري: أن سراقة بن مالك بن جُعْشُم لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر وهما ذاهبان إلى المدينة مهاجرين كما سبق في قصة الهجرة[٥] (قال: حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ

[١] مغازي الواقدي (ص ٣٤).
[٢] الصحاح في اللغة (ج١/ص٢٩٠).
[٣] لسان العرب (ج١٢/ص٢٦٩).
[٤] تهذيب اللغة (ج٣/ص١٧١).
[٥] راجع فصل (الهجرة الشريفة والإعداد لها).

الْأَزْلَامَ تَقَرَّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وثبت في صحيح البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ" فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ).

قال الحافظ في الفتح: («فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ» وَقَعَ فِي حَدِيث جَابِر عِنْد ابْنِ سَعْد وَأَبِي دَاوُدَ: «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَمَرَ عُمَر بْن الْخَطَّاب وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَة فَيَمْحُو كُلّ صُورَة فِيهَا، فَلَمْ يَدْخُلهَا حَتَّى مُحِيَتِ الصُّوَر، وَكَانَ عُمَر هُوَ الَّذِي أَخْرَجَهَا»، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ مَحَا مَا كَانَ مِنَ الصُّوَر مَدْهُونًا مَثَلًا، وَأَخْرَجَ مَا كَانَ مَخْرُوطًا. وَأَمَّا حَدِيث أُسَامَة: «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ دَخَلَ الْكَعْبَة فَرَأَى صُورَة إِبْرَاهِيم فَدَعَا بِمَاءٍ فَجَعَلَ يَمْحُوهَا» وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَجّ، فَهُوَ مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ بَقِيَتْ بَقِيَّة خَفِيَ عَلَى مَنْ مَحَاهَا أَوَّلا)[1].

وقال في: (قَوْله: "لَقَدْ عَلِمُوا" قِيلَ: وَجه ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اسْم أَوَّل مَنْ أَحْدَثَ الِاسْتِقْسَام بِهَا وَهُوَ عَمْرو بْن لُحَيّ، وَكَانَتْ نِسْبَتهمْ إِلَى إِبْرَاهِيم وَوَلَده الِاسْتِقْسَام بِهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِمَا لِتَقَدُّمِهِمَا عَلَى عَمْرو)[2].

وقال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (وفى هذا الحديث من الفقه: أنَّه يجب على العالم والرجل الفاضل اجتناب مواضع الباطل، وأن لا يشهد مجالس الزور، وينزّه

[1] (ج٨/ص٢١).
[2] (ج٣/ص٥٩٩).

نفسه عن ذلك. قال الطبري: وفيه من الفقه الإبانة عن كراهة دخول النبي ﷺ بيتًا فيه صورة، وذلك لأن الآلهة التي كانت في البيت يومئذ إنما كانت تماثيل وصورًا، وقد تظاهرت الأخبار عنه عليه السلام أنَّه كان يكره دخول بيت فيه صورة، فإن قال قائل: أحرام دخول البيت الذي فيه التماثيل والصور؟ قيل: لا، ولكنه مكروه)[١].

وقال الحافظ في الفتح: (وَفِي الْحَدِيث: كَرَاهِيَة الصَّلَاة فِي الْمَكَان الَّذِي فِيهِ صُوَر لِكَوْنِهَا مَظِنَّة الشِّرْك، وَكَانَ غَالِب كُفْر الْأُمَم مِنْ جِهَة الصُّوَر)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح العمدة: (فالصلاة في المكان الذي فيه الصور كالصلاة في بيوت الأوثان؛ فهل يقول أحد إن هذا جائز بلا كراهة من غير ضرورة! وقد قال ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة" فكيف لا تكره الصلاة في مكان تمنع الملائكة من الدخول إليه دائماً؟ ولأن الصور قد تعبد من دون الله، وفيها مضاهاة لخلق الله فالصلاة عندها تشبه بمن يعبدها ويعظمها، لا سيما إن كانت الصورة في جهة القبلة فإن السجود إلى جهتها يشبه السجود لغير الله)[٣].

أما تصوير الصور الممتهنة وغيرها واتخاذها:

فقد قَالَ النَّوَوِيُّ[٤]: (قَالَ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ مِنَ الْعُلَمَاء: تَصْوِير صُورَة الْحَيَوَان حَرَام شَدِيد التَّحْرِيم، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِر لِأَنَّهُ مُتَوَعَّد عَلَيْهِ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيد الْمَذْكُور فِي الْأَحَادِيث، وَسَوَاء صَنَعَهُ لِمَا يُمْتَهَن أَوْ لِغَيْرِهِ فَصَنْعَتُهُ حَرَام بِكُلِّ حَال، لِأَنَّ فِيهِ مُضَاهَاة لِخَلْقِ اللَّه تَعَالَى وَسَوَاء مَا كَانَ فِي ثَوْب أَوْ بِسَاط أَوْ دِرْهَم أَوْ دِينَار وَفَلْس وَإِنَاء وَحَائِط وَغَيْرهَا. وَأَمَّا تَصْوِير صُورَة الشَّجَر وَرِحَال الْإِبِل وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ صُورَة حَيَوَان فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، هَذَا حُكْم نَفْس التَّصْوِير. وَأَمَّا اِتِّخَاذ الْمُصَوَّر فِيهِ صُورَة حَيَوَان فَإِنْ كَانَ

---

[١] (ج٤/ص٣٢٩).
[٢] (ج٨/ص٢٠).
[٣] (ج٤/ص٥٠٥).
[٤] شرح مسلم (ج١٤/ص٨١).

مُعَلَّقًا عَلَى حَائِطٍ أَوْ ثَوْبًا أَوْ عِمَامَةً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعَدُّ مُمْتَهَنًا فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ فِي بِسَاطٍ يُدَاسُ وَمِخَدَّةٍ وَوِسَادَةٍ وَنَحْوِهَا مِمَّا يُمْتَهَنُ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ).

وفي موضوع الباب وحديث سراقة السابق في قصة الهجرة واستقسامه بالأزلام يتبين لك أن الأزلام قِداح الأمر والنهي، لا قِداح الميسر كما قال بعضهم، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠].

وفي صحيح البخاري (تفسير سورة المائدة) (باب ١٠) عن ابْنِ عَبَّاسٍ معلقًا قَالَ: (الْأَزْلَامُ الْقِدَاحُ يَقْتَسِمُونَ بِهَا فِي الْأُمُورِ، وَالنُّصُبُ أَنْصَابٌ يَذْبَحُونَ عَلَيْهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: الزَّلَمُ الْقِدْحُ لَا رِيشَ لَهُ، وَهُوَ وَاحِدُ الْأَزْلَامِ، وَالِاسْتِقْسَامُ أَنْ يُجِيلَ الْقِدَاحَ فَإِنْ نَهَتْهُ انْتَهَى وَإِنْ أَمَرَتْهُ فَعَلَ مَا تَأْمُرُهُ -يُجِيلُ يُدِيرُ- وَقَدْ أَعْلَمُوا الْقِدَاحَ أَعْلَامًا بِضُرُوبٍ يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، وَفَعَلْتُ مِنْهُ قَسَمْتُ، وَالْقُسُومُ الْمَصْدَرُ).

قال الطبري رحمه الله: (فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان، فرضٌ على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتنابُ جميع ذلك، كما قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠])[1].

وقال: (إن الخمر التي تشربونها، والميسِرَ الذي تتياسرونه، والأنصاب التي تذبحُون عندها، والأزلام التي تستقسمون بها {رجس}، يقول: إثم ونَتْنٌ، سَخِطه الله وكرهه لكم، {مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}، يقول: شربكم الخمر وقماركم على الجُزُر وذبحكم للأنصاب واستقسامكم بالأزلام، من تزيين الشيطانِ لكم ودعائه إياكم إليه وتحسينه لكم)[2].

وقال الله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

---

[1] (ج١٠/ص٥٧٤).
[2] (ج١٠/ص٥٦٤).

النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} [المائدة:٣].

قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (كانوا يستقسمون عند آلهتهم التي يعبدونها ويقولون: يا إلهنا، أخرج الحق في ذلك، ثم يعلمون بما خرج فيه، فكان ذلك كفرًا بالله، لإضافتهم ما يكون من ذلك من صواب أو خطأ إلى أنه من قسم آلهتهم)[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ({وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ}، أي: تعاطيه فسق وغيّ وضلال وجهالة وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا تردّدوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيَرة في الأمر الذي يريدونه، كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن)[٢].

ففي صحيح البخاري عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، يقول: "إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي- وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي- وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ"، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ.

إذا علمت هذا تبين لك أخي المسلم أنَّك إذا تردّدت في أمر لجأت إلى ما شرع الله في هذا من الاستخارة والاستشارة، أما ما يفعله بعضهم من فتح المصحف فإذا جاءت آية حسنة المعنى مضى وإن كانت آية عذاب أو وعيد أمسك فهو حرام بإجماع العلماء،

---

[١] (ج٧/ص٣٢٩).
[٢] (ج٢/ص١٢).

ومثله وأعظم أنه يضع أوراقاً في كأس (أذهب) أو (أفعل) أم (لا)، فيفعل ما تخرج به الورقة لا يتعداها فهذا لا شك شرك.

(وروى ابن مَرْدَويه من طريق إبراهيم بن يزيد عن رَقَبةَ عن عبد الملك بن عُمَيْر عن رَجاء بن حَيْوَة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يَلِج الدرجات من تَكهَّن أو استقسم أو رجع من سفر طائرًا"[1]).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في المجموع: (وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ وَحُلْوَانُ الْكَاهِنِ خَبِيثٌ"، وَحُلْوَانُهُ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ حَلَاوَتُهُ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يُعْطِيهِ الْمُنَجِّمُ وَصَاحِبُ الْأَزْلَامِ الَّتِي يَسْتَقْسِمُ بِهَا، مِثْلَ الْخَشَبَةِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهَا أ ب ج د وَالضَّارِبِ بِالْحَصَى وَنَحْوِهِمْ، فَمَا يُعْطَى هَؤُلَاءِ حَرَامٌ، وَقَدْ حَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى تَحْرِيمِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ كالبغوي وَالْقَاضِي عِيَاضٍ وَغَيْرِهِمَا)[2].

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (وَتَحْرِيمُ حُلْوَانِ الْكَاهِنِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَحْرِيمِ حُلْوَانِ الْمُنَجِّمِ وَالزَّاجِرِ وَصَاحِبِ الْقُرْعَةِ الَّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الْأَزْلَامِ، وَضَارِبَةِ الْحَصَا وَالْعَرَّافِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ)[3].

ثانياً: القرعة غير الاستقسام بالأزلام وهي حلال..

القرعة هي: (مَا ثَبَتَ فِيهِ الْحَقّ لِاثْنَيْنِ فَأَكْثَر وَتَقَع الْمُشَاحَحَة فِيهِ فَيُقْرَع لِفَصْلِ النِّزَاع)[4].

قلت: (هي استواء جماعة في حق يصعب تفضيل بعضهم ولابد من اختيار أحدهم، أو وجب حق لشخص في جماعة وأشكل معرفته بعينه فيسهم بينهم لاختيار أحدهم، سواء رضوا أو سخطوا).

---

[1] تفسير ابن كثير: (ج٢/ص١٢). وهو حديث حسن، وهو ما يفهم أيضاً من كلام الحافظ ابن حجر في الفتح (ج١٠/ص٢٦٢).

[2] (ج٣٥/ص١٩٤).

[3] (ج٤/ص٢٥٤).

[4] فتح الباري (ج٥/ص٣٦٨).

قال ابن العربي: (الْقُرْعَةُ: إنَّمَا فَائِدَتُهَا اسْتِخْرَاجُ الْحُكْمِ الْخَفِيِّ عِنْدَ التَّشَاحِّ، فَأَمَّا مَا يُخْرِجُهُ التَّرَاضِي فِيهِ فَبَابٌ آخَرُ، وَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إنَّ الْقُرْعَةَ تَجْرِي فِي مَوْضِعِ التَّرَاضِي)[1].

فهي إذن لا تحل أو تحرم شيئاً، وليست هي من التردّد في أمر لشخص واحد، وهي بهذا تخالف الأزلام في الصورة والسبب والحكم.

والخلاصة في حكمها أن (الْجُمْهُور عَلَى الْقَوْل بِهَا فِي الْجُمْلَة، وَأَنْكَرَهَا بَعْض الْحَنَفِيَّة، وَحَكَى ابْنُ الْمُنْذِر عَنْ أَبِي حَنِيفَة الْقَوْل بِهَا)[2].

قال ابن المنذر[3]: (استعمال القرعة كالإجماع من أهل العلم فيما يقسم بين الشركاء، فلا معنى لقول من ردّها).

قال البخاري في كتاب الشهادات: (بَاب الْقُرْعَةِ فِي الْمُشْكِلَاتِ، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٤]. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ اقْتَرَعُوا فَجَرَتِ الْأَقْلَامُ مَعَ الْجِرْيَةِ وَعَالَ قَلَمُ زَكَرِيَّاءَ الْجِرْيَةَ فَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ. وَقَوْلِهِ: {فَسَاهَمَ} أَقْرَعَ، {فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} [الصافات:١٤١] مِنَ الْمَسْهُومِينَ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَوْمٍ الْيَمِينَ فَأَسْرَعُوا فَأَمَرَ أَنْ يُسْهِمَ بَيْنَهُمْ أَيُّهُمْ يَحْلِفُ).

(وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامهمْ أَيّهمْ يَكْفُل مَرْيَم}، أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى الِاحْتِجَاج بِهَذِهِ الْقِصَّة فِي صِحَّة الْحُكْم بِالْقُرْعَةِ بِنَاء عَلَى أَنَّ شَرْع مَنْ قَبْلنَا شَرْع لَنَا إِذَا لَمْ يَرِد فِي شَرْعنَا مَا يُخَالِفهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا وَرَدَ فِي شَرْعنَا تَقْرِيره، وَسَاقَهُ مَسَاق الِاسْتِحْسَان وَالثَّنَاء عَلَى فَاعِله، وَهَذَا مِنْهُ)[4].

قال القرطبي في تفسيره: (استدل بعض علمائنا بهذه الآية على إثبات القرعة، وهي أصل في شرعنا لكل من أراد العدل في القسمة، وهي سنة عند جمهور الفقهاء في

---

[1] أحكام القرآن (ج٢/ص٦٨).
[2] الفتح (ج٥/ص٣٦٨).
[3] فيما نقله عنه القرطبي في تفسيره (ج٤/ص٨٦-٨٧)، وابن بطال في شرح الصحيح (ج١٥/ص٨٠)، وغيرهما.
[4] فتح الباري (ج٥/ص٣٦٨).

المستوين في الحجة ليعدل بينهم وتطمئن قلوبهم وترتفع الظنة عمن يتولى قسمتهم، ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعا للكتاب والسنة)[١].

(فَأَصْلُ الْقُرْعَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ الْمُقْتَرِعِينَ عَلَى مَرْيَمَ، وَالْمُقَارِعِينَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجْتَمِعَةٌ)[٢].

أما أدلتها من السنة فكثيرة؛ منها حديث الاستهام في السفينة[٣]، وحديث الاستهام على الصف الأول والأذان[٤]، وعلى السفر بالزوجات[٥].

وفي صحيح البخاري عن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ قَدْ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتِ الْأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ).

(وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمَّا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسَاكِن، فَاقْتَرَعَ الْأَنْصَار فِي إِنْزَالِهِمْ، فَصَارَ عُثْمَان بْن مَظْعُون لِآلِ أُمّ الْعَلَاء فَنَزَلَ فِيهِمْ)[٦].

قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (القرعة سنة لكل من أراد العدل في القسمة بين الشركاء، والفقهاء متفقون على القول بها، وخالفهم بعض الكوفيين، وردت الأحاديث الواردة فيها، وزعموا أنه لا معنى لها، وأنها تشبه الأزلام التي نهى الله عنها، وحكى ابن المنذر، عن أبي حنيفة أنه جوزها، وقال: القرعة في القياس لا تستقيم، ولكنا تركنا القياس في ذلك وأخذنا بالآثار والسنة. وقال إسماعيل بن إسحاق: وليس في القرعة إبطال شيء من الحق كما زعم الكوفيون)[٧].

---

[١] (ج٤/ص٨٦).
[٢] أحكام القرآن للشافعي (ج٢/ص١٥٧).
[٣] عند البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
[٤] عند البخاري (٢٦٨٩)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
[٥] عند البخاري (٢٦٨٨)، ومسلم (٢٤٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.
[٦] الفتح (ج٥/ص٣٦٩).
[٧] (ج١٣/ص٩-١٠).

وقال ابن العربي في أحكام القرآن: (الْقُرْعَةُ أَصْلٌ فِي شَرِيعَتِنَا؛ ثَبَتَ «أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا»، وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَرَهُ مَالِكٌ شَرْعًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ دِينٌ وَمِنْهَاجٌ لَا يَتَعَدَّى، وَثَبَتَ أَيْضاً عَنْهُ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا أَعْتَقَ عَبِيدًا لَهُ سِتَّةً فِي مَرَضِهِ لَا مَالَ لَهُ غَيْرُهُمْ، فَأَقْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَأَعْتَقَ اثْنَيْنِ وَأَرَقَّ أَرْبَعَةً»)[1].

فصل قريش تخرج بطرا وتأبى الرجوع فخراً، وذكر من رجع منهم

قال ابن سعد في الطبقات: (وأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان بن حرب قيس بن امرئ القيس يخبرهم أنّه قد أحرز العير ويأمرُهم بالرجوع، فأبت قريش أن ترجع وردّوا القيان من الجحفة، ولحق الرسول أبا سفيان بالهدة، وهي على سبعة أميال من عسفان إذا رحت من مكة عن يسار الطريق، وسكانها بنو ضمرة وناس من خزاعة، فأخبره بمضي قريش فقال: واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام، يعني أبا جهل بن هشام، وقال: والله لا نبرح حتى نرد بدراً، وكانت بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، بها سوق، وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان)[2].

وقال ابن إسحاق[3]: (فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً.. فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا).

وإنما ردوا القيان بمشورة أبي سفيان إن أبوا الرجوع، روى الواقدي في مغازيه: (فَإِنْ أَبَوْا عَلَيْك، فَلَا يَأْبَوْنَ خَصْلَةً وَاحِدَةً؛ يَرُدّونَ الْقِيَانَ فَإِنّ الْحَرْبَ إذَا أَكَلَتْ نَكَلَتْ. فَعَالَجَ قُرَيْشًا وَأَبَتِ الرّجُوعَ وَقَالُوا: أَمّا الْقِيَانُ فَسَنَرُدّهُنّ، فَرَدّوهُنّ مِنَ الْجُحْفَةِ)[4].

---

[1] (ج٢/ص٦٨).
[2] (ج٢/ص١٣).
[3] السيرة النبوية لابن هشام (ج٢/ص٢٧٠).
[4] (ص ٤٢).

(وَكَانَتِ الْقِيَانُ سَارَّةَ مَوْلَاةَ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَمَوْلَاةَ كَانَتْ لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَمَوْلَاةً يُقَالُ لَهَا عَزَّةُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ)[١].

(وَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيّ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ: يَا بَنِي زُهْرَةَ قَدْ نَجَّى اللهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَخَلَّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ وَإِنَّمَا نَفَرْتُمْ لِتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ فَاجْعَلُوا لِي جُبْنَهَا وَارْجِعُوا فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِأَنْ تَخْرُجُوا فِي غَيْرِ ضَيْعَةٍ لَا مَا يَقُولُ هَذَا، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ، فَرَجَعُوا فَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيّ وَاحِدٌ أَطَاعُوهُ وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا. وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَطْنٌ إلّا وَقَدْ نَفَرَ مِنْهُمْ نَاسٌ إلّا بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَرَجَعَتْ بَنُو زُهْرَةَ مَعَ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ أَحَدٌ، وَمَشَى الْقَوْمُ. وَكَانَ بَيْنَ طَالِبِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -وَكَانَ فِي الْقَوْمِ- وَبَيْنَ بَعْضِ قُرَيْشٍ مُحَاوَرَةٌ فَقَالُوا: وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا يَا بَنِي هَاشِمٍ وَإِنْ خَرَجْتُمْ مَعَنَا أَنّ هَوَاكُمْ لَمَعَ مُحَمّدٍ، فَرَجَعَ طَالِبٌ إلَى مَكّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ)[٢].

قال ابن القيم: (وَأَرَادَتْ بَنُو هَاشِمٍ الرّجُوعَ فَاشْتَدّ عَلَيْهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ: لَا تُفَارِقُنَا هَذِهِ الْعِصَابَةُ حَتّى نَرْجِعَ فَسَارُوا)[٣].

وطالب هو ابن عمّ النبي ﷺ، فلقد (ولد أبو طالب طالباً، وبه كان يُكنى، وهو أكبر ولده، وعقيلاً وجعفراً وعلياً وأمَّ هانئ واسمها هند، وقيل فاختة وجُمانة)[٤].

ويقال إن طالباً كان يحبّ النبي ﷺ وقال في قصيدة ثناء عليه[٥]:

فمنا إنْ جَنينَا في قريش عظيمةً *** سِوى أنْ حَمَينا خيرَ مَن وطئ التُّربا

أخا ثقةٍ في النائبات مُرزَّءاً *** كريماً نثاهُ لا بخيلاً ولا ذَرِبا

---

[١] الواقدي (ص ٤٣).

[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٧١).

[٣] زاد المعاد (ج٢/ص٨٦).

[٤] الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (ص ٢٠٤).

[٥] كما في الجوهرة (ص ٢٠٤).

وإنما خشي أبو جهل من رجوع بني هاشم خوفاً أن يكون منهم شيء على من بقي من قريش من النساء والولدان والعجزى، وفي كلا الحالتين أصيبوا أو غيرها.

الفوائد

- فيه ما اعتاده أهل الجاهلية من الفخر والكبر، وكان أهل مكة يرون أنَّ لأنفسهم على الناس فضلاً، فكان خُيَلاءُ أبي جهل وكِبرُه وإرادتُه تسميعَ الناس هو سبب هلاكه ومن أطاعه، بينما كان تركُه نجاةً لمن رجع وعصاه، وبه تعلم خطورةَ الكِبْر والفخر وأنَّهما يقودان صاحبَهما إلى جهنم جزاء وفاقاً.

ففي صحيح مسلم عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ".

- وفيه أنَّ المجتمع القبلي والعشائري تحكمه شيوخ العشائر، وأنَّ الناس تبعٌ لهم بغضّ النظر عن السبب هل هو أنَّهم يرون في ذلك قوةً لهم وانتظامَ أمرهم أم أنَّهم يعلِّقون عليهم الأخطاء وتبعات الأمور، فعلى مَن يتولى أمرَ الناس في هذه المجتمعات كالعراق أن يراعي هذا، وقد كان رسول الله ﷺ أكثرَ خلق الله مراعاةً لهم كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله في حنين وغيرها.

- وفي قرارِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ ورجوعه ببني زهرة دلالةٌ على أنَّ كثيراً من القرارات المهمة تبدو في مظهرها معرّة ومسبّة ثم ما يلبث الناس أن يعرفوا فضلها، فعلى من رزقه الله عقلاً وبصيرة أن يدرك ذلك، وحسبك بصلح الحديبية مثالاً كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله.

فصل قريش تعرف الله حق المعرفة ودرس في كيفية النصرة

قال ابن إسحاق: (كَانَ خُفَافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحَضَةَ الْغِفَارِيّ، أَوْ أَبُوهُ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيّ، بَعَثَ إلَى قُرَيْشٍ حِينَ مَرّوا بِهِ ابْنًا لَهُ بِجَزَائِرِهِ أَهْدَاهَا لَهُمْ وَقَالَ: إنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ نُمِدّكُمْ بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا، قَالَ فَأَرْسَلُوا إلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ أَنْ وَصَلَتْك رَحِمٌ، قَدْ قَضَيْت الّذِي عَلَيْك، فَلَعَمْرِي لَئِنْ كُنّا إنّمَا نُقَاتِلُ النّاسَ فَمَا بِنَا مِنْ ضَعْفٍ عَنْهُمْ وَلَئِنْ كُنّا إنّمَا نُقَاتِلُ اللّهَ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمّدٌ فَمَا لِأَحَدِ بِاللّهِ مِنْ طَاقَةٍ)[1].

وروى الواقدي في مغازيه بسنده عَنْ خِفَافِ بْنِ إيمَاءِ بْنِ رَحْضَةَ قَالَ: (كَانَ أَبِي لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النّاسِ مُوَكّلٌ بِذَلِكَ، فَلَمّا مَرّتْ قُرَيْشٌ أَرْسَلَنِي بِجَزَائِرَ عَشْرٍ هَدِيّةً لَهَا، فَأَقْبَلْتُ أَسُوقُهَا وَتَبِعَنِي أَبِي، فَدَفَعْتهَا إلَى قُرَيْشٍ فَقَبِلُوهَا فَوَزّعُوهَا فِي الْقَبَائِلِ، فَمَرّ أَبِي عَلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ -وَهُوَ سَيّدُ النّاسِ يَوْمَئِذٍ- فَقَالَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا هَذَا الْمَسِيرُ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي وَاَللّهِ غُلِبْت، قَالَ: فَأَنْتَ سَيّدُ الْعَشِيرَةِ فَمَا يَمْنَعُك أَنْ تَرْجِعَ بِالنّاسِ وَتَحْمِلَ دَمَ حَلِيفِك وَتَحْمِلَ الْعِيرَ الّتِي أَصَابُوا بِنَخْلَةَ فَتُوَزّعَهَا عَلَى قَوْمِك؟ وَاَللّهِ مَا تَطْلُبُونَ قِبَلَ مُحَمّدٍ إلّا هَذَا؟ وَاَللّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا تَقْتُلُونَ بِمُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ إلّا أَنْفُسَكُمْ)[2].

ومن الجمع بين الموقفين يبدو أنَّ إيماء الغفاري نصح أولاً قريشاً بالرجوع وحضّ زعيمها ابن ربيعة على ذلك وتحمّل دم حليفه، فلما لم يفلح وأيقن أنهم ذاهبون إلى الحرب بعدما نصح؛ خاف عليهم من الهزيمة وعرض أن يمدّهم بالرجال والسلاح.

ولكن صحّ في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه ما يشير أن خفاء رضي الله عنه أسلم قبل ذلك بكثير، أي قبل بدر وحتى الهجرة؛ ففي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَامِتٍ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه في قصة إسلامه، وفي الحديث: (فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟» فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا فَقَالَتْ: مَا

---
[1] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٧٣).
[2] (ص ٦١).

بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي).

وقوله: (وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي)؛ واضح الدلالة على أنه كان يؤمّ النصف الذي أسلم قبل هجرة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: (وذكر الزبير بن بكار من حديث حكيم بن حزام أنَّ إيماء بن رحضة حضر بدراً مع المشركين، فيكون إسلامه بعد ذلك، وذكر ابن سعد أنَّه أسلم قريباً من الحديبية، وهذا يعارض رواية مسلم)[1].

ثم مما يشكّك في رواية ابن إسحاق في شهودهم بدراً مع المشركين وإمدادهم بالمال وعرض السلاح أنَّ غفارًا كانت على هدنة مع النبي ﷺ، وكما سبق في غزوة الأبواء وما بعدها ولا يعرف عنهم أنهم نقضوها.

ثم إنه على فرض صحة كلام ابن إسحاق والواقدي في تأخر إسلامه –وهذا ما لا نرجحه والدليل الصحيح على خلافه– فإن خفاف بن إيماء شهد مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان بيقين، وثبت له ولأبيه بل ولجده صحبة، وقيل ولولده كما سيأتي.

قال الحافظ في الفتح: (وخفاف صحابي مشهور، قيل له ولأبيه ولجده صحبة، حكاه ابن عبد البر)[2].

روى مسلم في صحيحه عَنِ الْحَارِثِ بْنِ خُفَافٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ خُفَافُ بْنُ إِيمَاءٍ: (رَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ الْعَنْ بَنِي لِحْيَانَ وَالْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ"، ثُمَّ وَقَعَ سَاجِدًا، قَالَ خُفَافٌ: فَجُعِلَتْ لَعْنَةُ الْكَفَرَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ).

---

[1] (ج/١ص١٦٩).
[2] (ج/٧ص٥٦٦).

وفي صحيح البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا، قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ).

وإنما ذكرتْ أن أباها شهد الحديبية ولم تذكر ما سبقها وذلك لتأخر هجرته مع أبي ذر رضي الله عنه كما سبق، إذ أنَّه كان إمام قومه وسيدهم.

قال الحافظ في الفتح: («فلحقت عمر امرأة شابة» لم أقف على اسمها ولا على اسم زوجها ولا اسم أحد من أولادها، وزوجها صحابي لأنَّ من كان له في ذلك الزمان أولاد يدلّ على أن له إدراكاً، وهذه بنت صحابي لا يبعد أن يكون لها رؤية، فالذي يظهر أن زوجها صحابي أيضاً. وفي رواية معن عن مالك عند الإسماعيلي: «فلقينا امرأة قد شبثت بثيابه»، وللدارقطني من هذا الوجه: «إني امرأة مؤتمة»، وله من طريق سعيد بن داود عن مالك: «فتعلقت بثيابه»)[1].

وقال في: (قوله: «إني لأرى أبا هذه» يعني خفافاً، قوله: «وأخاها» لم أقف على اسمه، وكان لخفاف ابنان؛ الحارث ومخلد، لكنهما تابعيان فوهم من فسر الأخ الذي ذكره عمر بأحدهما، لأن مقتضى هذه القصة أن يكون الولد المذكور صحابياً، وإذا ثبت ما ذكره ابن عبد البر أن لخفاف وأبيه وجده صحبة اقتضى أن يكون هؤلاء أربعة في

[1] (ج٧/ص٥٦٥-٥٦٦).

نسق لهم صحبة وهم ولد خفاف وإيماء ورحضة، فتذاكر بهم مع بيت الصديق خلافاً لمن زعم أنه لم يوجد أربعة في نسق لهم صحبة إلا في بيت الصديق)[٢].

الفوائد

- في موقف إيماء الغفاري عبرة لأهل التوحيد ودرس في كيفية النصرة والتعامل عند الاختلاف؛ فمع أنه خطّأ موقفهم في حرب أبنائهم إلا أنه لما كان على ملّتهم وعقيدتهم لم يمنعه اختلافه معهم في الرأي، أي رأي الحرب أن يساعدهم فيها وينصرهم بالرجال والسلاح ما داموا مصرين على رأيهم، وهذا اجتهادهم وهل الحرب إلا ذلك.

فليعتبر كثيرٌ من أهل التوحيد الذين إذا خالفهم إخوانُهم في بعض الأمور الاجتهادية بدأوا يشنعون بهم ويتهمونهم بالتهور وقصور الرأي وعدم الحكمة وفي وقت المعركة وحين شدتها، واقفين بذلك في صفِّ العدو، فهو بسلاحه وهم بلسانهم وسهام كلامهم صادّين الناس عن دعم إخوانهم، فلا هم وقفوا موقف هذا الكافر مع أهل ملته وعقيدته ولا هم سكتوا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- وفي رد أبي جهل وكفار قريش تعلم مدى إقرارهم ومعرفتهم بتوحيد الربوبية وأنَّ الله لا غالب له؛ فقالوا: (فَمَا لِأَحَدٍ بِاللهِ مِنْ طَاقَةٍ)، وتالله ما أحوجنا نحن الموحدين أن نكون على يقين بهذا وليست مجرد معرفة باللسان، ثم إذا ما جدّ الجدّ لجأ الناس إلى الناس، وهو ما رفضه وأنكره عباد الأوثان.

يقول الشيخ عبد الله عزام في محاضرة له عن فقه الجهاد: (كذلك يا ليت حكام المسلمين عقيدتهم في توحيد الربوبية مثل عقيدة أبي جهل، والله لو كانوا يعتقدون عقيدة أبي جهل ما هزمنا هذه الهزائم، لو كانوا يعتقدون أنَّ الله أقوى من إسرائيل لا يمكن أن يصيبنا ما أصابنا، لكن ليس معقولًا؛ أن يدخل عقول الحكام أنَّ الله أقوى من أمريكا، لا يمكن أن يدخل عقولهم أن الله أقوى من الصواريخ العابرة للقارات، أن الله أقوى من الأقمار الاصطناعية، مش معقول يدخل عقولهم هذا أبداً).

---

[٢] (ج٧/ص٥٦٧).

– وفي قصة ابنة خفاف بن إيماء رضي الله عنهما ضرورة تفقّد الإمام الرعية، ورقّة قلب عمر رضي الله عنه ومسارعته إلى الخيرات، ومعرفته الفضل لأهله.

– وفيها أنَّ الإمام العادل قد يكون في زمانه بعض المظالم لسبب خارج عن إرادته؛ كجهل بالمظلمة كما خفي على الفاروق رضي الله عنه حالُ هذه المرأةِ وأولادها.

– وفيها أنَّ ذريَّة أهل الفضل قد يلحقهم الضرر في معاشهم إما لضيق ببيت مال المسلمين، أو لأنَّ أمرهم لم يرفع لولي الأمر ويجهل حالهم، فلا ينبغي أن يشنَّع على الإمام لذلك.

فصل الرسول ﷺ يشاور الناس لما علم بخروج قريش ومواقف الصحابة

ففي صحيح البخاري عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: (شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ؛ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا}، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ).

وفي مسند الإمام أحمد عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (...فَقَالَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ: إِيَّاكُمْ يُرِيدُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ)[1].

فأجابت الأنصار خير جواب وأنصره وبنفس جواب المقداد الذي أفرح رسول الله ﷺ.

فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ كما عند أحمد وغيره: (فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ –أي سيد الخزرج–: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبِحَارَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا)[2].

[1] إسناده صحيح على شرط البخاري.
[2] إسناده صحيح على شرط مسلم.

(وَبِرْكُ الْغِمَادِ مِنْ وَرَاءِ مَكّةَ بِخَمْسِ لَيَالٍ، مِنْ وَرَاءِ السّاحِلِ مِمّا يَلِي الْبَحْرَ، وَهُوَ عَلَى ثَمَانِ لَيَالٍ مِنْ مَكّةَ إلَى الْيَمَنِ)[١].

وقال سيد الأوس سعد بن معاذ، كما روى ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات لكنه من مرسل علقمة بن وقاص الليثي: (فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي «برْك الغماد» من ذي يمن لنسيرنّ معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بني إسرائيل: {اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له، فَصِلْ حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ...}، إلى قوله: {وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ٥-٧]، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله إليه القتال)[٢].

الفوائد

- في نسبة الكلام هنا لسعد بن عبادة قال الحافظ في الفتح: (وَعِنْد ابْن عَائِذ فِي حَدِيث عُرْوَة: «فَقَالَ سَعْد بْن مُعَاذ: لَوْ سِرْت بِنَا حَتَّى تَبْلُغ الْبِرْك مِنْ غِمْد ذِي يَمَن»، وَوَقَعَ فِي مُسْلِم أَنَّ سَعْد بْن عُبَادَةَ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي شَيْبَةَ مِنْ مُرْسَل عِكْرِمَة، وَفِيهِ نَظَر لِأَنَّ سَعْد بْن عُبَادَةَ لَمْ يَشْهَد بَدْرًا، وَإِنْ كَانَ يُعَدُّ فِيهِمْ لِكَوْنِهِ مِمَّنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ كَمَا سَأَذْكُرُهُ فِي آخِر الْغَزْوَة، وَيُمْكِن الْجَمْع بِأَنَّ النَّبِيّ ﷺ اِسْتَشَارَهُمْ فِي غَزْوَة بَدْر مَرَّتَيْنِ: الْأُولَى وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ أَوَّل مَا بَلَغَهُ خَبَر الْعِير مَعَ أَبِي سُفْيَان، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي رِوَايَة مُسْلِم وَلَفْظه: «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ شَاوَرَ حِين بَلَغَهُ إِقْبَال أَبِي

---

[١] مغازي الواقدي (ص ٤٩).
[٢] كما في الفتح (ج/٧ص/٣٦٥)،وهو عند ابن مردويه أيضاً كما في تفسير ابن كثير (ج/٢ص/٢٨٦).

سُفْيَان»، وَالثَّانِيَة كَانَتْ بَعْد أَنْ خَرَجَ كَمَا فِي حَدِيث الْبَاب، وَوَقَعَ عِنْد الطَّبَرَانِيّ أَنَّ سَعْد بْن عُبَادَةَ قَالَ ذَلِكَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَهَذَا أَوْلَى بِالصَّوَابِ)[1].

قلت: أما كون سعد بن عبادة قال ذلك في خضم أحداث غزوة بدر لا إشكال فيه؛ سواء أكان ذلك عند الخروج أم بعد الخروج، وذلك للخبر الصحيح الثابت في ذلك، فعَنْ أَنَسٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ)[2].

وهل بعد قول أنس رضي الله عنه: (فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا)، ثم ذِكرِ الروايةِ وخبرِ الجيش ومَن فيه، فهل يبقى إشكال أنَّ ذلك نصّ في أن قوله كان بغزوة بدر وليس كما رجّح الحافظ أنّه كان بالحديبية، ومع ذلك فلا مانع مِن تعدّد الموقف من سيد الخزرج، وقد ثبت بالنص الصحيح على ما سيأتي لاحقاً أنَّ أنساً ممن حضر بدراً خادماً لرسول الله ﷺ.

- فيه ضرورةُ أن يحرص القائدُ والأمير على وحدة صفه، وخاصة عند المخاطر والمحن وقبلها أيضاً، فإنَّ النبي ﷺ ما دخل المعركة إلا بعدما حقق إجماعاً على دخولها، على الرغم أنّه كان هناك مَن هو متردّد ولا يريد الحرب كما جاء النصّ.

وهذا يؤكد على أهمية الوحدة والجماعة، وأنّه ينبغي أن تكون أحدَ أهمّ أهدافِ الأمير وأعظمِها، فيؤخِّر بعضَ المواقف الصحيحة والمطلوبة شرعاً حتى يحقّق لها رضاً يصل إلى حدّ الإجماع أو عموم الناس وجمهورهم.

---

[1] (ج٧/ص٣٦٥).

[2] صحيح مسلم (١٧٧٩).

فإن كان الأمر صحيحاً شرعاً لكنَّه يؤدي إلى الفرقة فالأولى تأجيله إلى حين، ما دام هناك متّسعٌ شرعاً وواقعاً، وحياة النبي ﷺ كلها ومواقفه تدور في هذا الفلك؛ فتأمل كيف لم يقتل عبد الله بن أبيّ قائلاً لعمر: "دعه حتى لا يتحدّث الناس بأن محمدًا يقتل أصحابه"[1].

- (وَفِيهِ اسْتِشَارَةُ الْأَصْحَاب وَأَهْل الرَّأْي وَالْخِبْرَة) كما قال النووي في شرح مسلم[2].

- وفيه أنَّ رؤوسَ الناس يُستحب أن تَظهرَ مواقفهم عند الشدائد ثباتاً وصدقاً وشجاعةً، وأنَّه على الأمراء أن يحرصوا على معرفة مواقفهم، وأن يُظهِروها وينشروا خبرَها بين الناس إذا كانت على النحو المحمود.

- وفي قول الأنصاري: (إِيَّاكُمْ يُرِيدُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ) أدب رفيع وخلق نبيل، حيث فهم السامع مقصِدَ رسول الله ﷺ ولم يتكلم لعلمه أنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يعرف رأيَ رؤوس الأنصار وسادتهم، وعلامةٌ واضحة أنَّ أمرهم كانوا يَكِلونه إليهم.

- وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ مِن الذروة في محاسن الأخلاق؛ فعلى الرغم أنَّه يُدرِكُ أنَّه إذا أمر بأمر لن يعصوه ولو كان فيه هلكتهم جميعاً إلَّا أنَّ الأنصار بَايَعُوهُ في العقبة عَلَى نُصْرَته مِمَّنْ يَقْصِدهُ لَا أَنْ يَسِير بِهِمْ إِلَى الْعَدُوّ، فلذلك لم يجزم بالقتال إلَّا عن رضاً منهم وطيب خاطر، وفي هذا تأديبٌ للأمة في احترام العهود والمواثيق، ومَثَل رائع في كيفية سياسة الناس وجمعِ أمرهم وعدم اختلاف كلمتهم مهما تعددت مقاصدهم.

---

[1] أخرجه البخاري في تفسير سورة المنافقون (باب: يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) (برقم ٤٦٢٢).
[2] (ج١٢/ص١٢٤).

فصل فريق من المؤمنين يكره القتال ويحب العير بدونه

قال الله تعالى: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الأنفال:٥-٦].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره: (والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحاق، من أن ذلك خبرٌ من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو، وكان جدالهم نبيَّ الله ﷺ أن قالوا: «لم يُعلمنا أنا نلقى العدو فنستعدّ لقتالهم، وإنما خرجنا للعير». ومما يدلّ على صحته قوله: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} [الأنفال: ٧]، ففي ذلك الدليلُ الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين، وأن جدالهم كان في القتال، كما قال مجاهد: كراهيةً منهم له)[١].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (قال ابن جرير: ولا معنى لما قاله -أي عنى بذلك المشركين- لأن الذي قبل قوله: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق أنه خبر عن المؤمنين. وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم)[٢].

وقد جاء فيما نصره الإمامان حديثٌ عن أبي أيوب الأنصاري فيما رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد[٣]، رغم أنَّ فيه ابن لهيعة وقد اختلط فالله أعلم، ومن طريقه ابن مردويه وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، قال: (...فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟» فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكن أردنا العير، ثم قال: «ما ترون في القوم؟» فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو: إذن لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم

---

[١] (ج١٣/ص٣٩٦).
[٢] (ج٢/ص٢٨٨).
[٣] (ج٦/ص٧٤).

موسى لموسى {اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}، قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، فأنزل الله عز وجل على رسوله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ})[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: (والغرض أنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير، أوحى الله إليه يَعدهُ إحدى الطائفتين: إما العير وإما النَّفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير؛ لأنه كسب بلا قتال، كما قال تعالى: {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ٧])[٢].

الفوائد

- فيه ما جُبِلت عليه النفس البشرية مِن كراهة الموت والجراح، وما في الحرب من مشقة وتلف للأنفس والأموال، ولكن قد يأتي المحبوب من جهة المكروه وقد يأتي المكروه من جهة المحبوب، قال الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

قال أبو جعفر الطبري: (يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تكرهوا القتالَ، فإنكم لعلكم أن تكرهوه وهو خيرٌ لكم، ولا تحبوا تركَ الجهاد، فلعلكم أن تحبوه وهو شر لكم)[٣].

وبالفعل فقد جعل الله في القتال خيراً كثيراً بعد رضاهم وتسليمهم لأمر الله، قال ابن كثير: (وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة -وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيرهم- فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدَّره لكم، وجَمَع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رَشَدًا وهدى، ونصراً وفتحاً، كما قال

---

[١] (ج٢/ص٢٨٧).
[٢] (ج٢/ص٢٨٧).
[٣] (ج٤/ص٢٩٨).

تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}[البقرة:٢١٦])[١].

فصل المسير إلى إحدى الحسنيين وعقد الألوية والراية للجيش ووضع الشعار

ولما فرغ رسول الله ﷺ من المشورة (قال رسول الله ﷺ: "سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم"، وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية، وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، وجعل رسول لله ﷺ شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، ويقال: بل كان شعار المسلمين جميعاً يومئذ: يا منصور أمت)[٢].

وذكر ابن إسحاق أنه كان للجيش لواء ورايتان، فقال: (وَدَفَعَ اللّوَاءَ إلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ أَبْيَضَ- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ؛ إحداهما مع عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يُقَالُ لَهَا الْعُقَابُ، وَالْأُخْرَى مَعَ بَعْضِ الْأَنْصَارِ)[٣]، وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: (وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ)[٤].

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال: (كان لواء رسول الله ﷺ يوم بدر مع علي بن أبي طالب، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة رضي الله عنهما)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد[٥]: (فيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات)[٦].

---

[١] (ج٢/ص٢٨٦-٢٨٧).
[٢] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٤).
[٣] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٤).
[٤] (ج٢/ص٢٦٤).
[٥] (ج٦/ص٩٣).
[٦] قلت: وهو من رواية الحكم بن عتيبة عن مقسم، ولم يسمع منه سوى أربعة أحاديث أو خمسة ليس هذا منها كما في ترجمته من (التهذيب)، والله أعلم.

وظاهر هذه الروايات التعارض فيمن حمل اللواء يوم بدر، وسبق وأن بينَّا الفرق بين الراية واللواء وأنَّ مَن العلماء من يجعلهم شيئاً واحداً ومنهم مَن يفرِّق، ويمكن الجمع بالقول أن مصعب بن عمير رضي الله عنه كان صاحب اللواء الأكبر الذي يكون أمام الجيش، وأنَّ عليَ بن أبي طالب وسعدَ بن عبادة حملا رايتين للجيش تكونان في الميمنة والميسرة، وذلك بناءً على قول القائل بترادف المعنى بين اللواء والراية.

واستمرت هذه الحالة إلى أن استعرض الرسول ﷺ الجيش خارج المدينة أو إلى حين استشار الناس وعزم على القتال بعد أن علم بجيش المشركين، وبعدئذ تغيرت الحال فبقي صاحب اللواء الأعظم مصعبُ بن عمير على حاله، بينما تغيرت الرايتان الأخريان، فقد اتفق أهل السير أنَّ سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، فيكون حينئذ استلم راية الخزرج مكانه الحباب بن المنذر وسعد بن معاذ على الأوس والأنصار جميعاً وتفرّغ علي للقتال والنزال، ويدل عليه خروجه للمبارزة يومئذ.

ثمَّ (اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمُشَاةِ[1] قَيْسَ بْنَ أَبِي صَعْصَعَةَ، وَاسْمُ أَبِي صَعْصَعَةَ عَمْرُو بْنُ زَيْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْذُولٍ، وَأَمَرَهُ النّبِيّ ﷺ حِينَ فَصَلَ مِنْ بُيُوتِ السّقْيَا أَنْ يَعُدّ الْمُسْلِمِينَ، فَوَقَفَ لَهُمْ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ فَعَدّهُمْ ثُمّ أَخْبَرَ النّبِيّ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ)[2].

و«ساقةُ الجيشُ»: مؤخَّرُه، و(الساقةُ: جمع سائق؛ وهم الذين يَسُوقون جيش الغُزاة ويكونون مِنْ ورائه يحفظونه)[3].

أي يحفظون ما سقط من متاعه ويجبرون من تخلّف منهم لعذر، ففي الصحيحين[4] عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك بعدما ذكرت سبب تخلفها عن الجيش: (وَكَانَ

[1] وعند ابن إسحاق: (على الساقة) كما في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٤).
[2] مغازي الواقدي (ص ٢٥).
[3] لسان العرب لابن منظور (ج١٠/ص١٦٦).
[4] البخاري (٤٤٧٣)، ومسلم (٢٧٧٠).

صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي)، وذلك لأنه كان مؤمّراً من رسول الله ﷺ على الساقة.

وفي سبب مجيئه صباحاً قال الحافظ في الفتح: (فِي رِوَايَة مَعْمَر: «قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاء الْجَيْش»، وَعَرَّس بِمُهْمَلَاتٍ مُشَدَّدًا أَيْ نَزَلَ، قَالَ أَبُو زَيْد: التَّعْرِيس النُّزُول فِي السَّفَر فِي أَيّ وَقْت كَانَ، وَقَالَ غَيْره: أَصْله النُّزُول مِنْ آخِر اللَّيْل فِي السَّفَر لِلرَّاحَةِ.

وَوَقَعَ فِي حَدِيث ابْن عُمَر بَيَان سَبَب تَأَخُّر صَفْوَان وَلَفْظه: «سَأَلَ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَجْعَلهُ عَلَى السَّاقَة فَكَانَ إِذَا رَحَلَ النَّاس قَامَ يُصَلِّي ثُمَّ اِتَّبَعَهُمْ فَمَنْ سَقَطَ لَهُ شَيْء أَتَاهُ بِهِ»، وَفِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة: «وَكَانَ صَفْوَان يَتَخَلَّف عَنِ النَّاس فَيُصِيب الْقَدَح وَالْجِرَاب وَالْإِدَاوَة»، وَفِي مُرْسَل مُقَاتِل بْن حَيَّانَ: «فَيَحْمِلهُ فَيَقْدَم بِهِ فَيُعَرِّفهُ فِي أَصْحَابه»، وَكَذَا فِي مُرْسَل سَعِيد بْن جُبَيْر نَحْوه. قَوْله: «فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي»، أَدْلَجَ بِسُكُونِ الدَّال فِي رِوَايَتنَا وَهُوَ كَادَّلَجَ بِتَشْدِيدِهَا، وَقِيلَ بِالسُّكُونِ؛ سَارَ مِنْ أَوَّله وَبِالتَّشْدِيدِ سَارَ مِنْ آخِره، وَعَلَى هَذَا فَيَكُون الَّذِي هُنَا بِالتَّشْدِيدِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي آخِر اللَّيْل، وَكَأَنَّهُ تَأَخَّرَ فِي مَكَانه حَتَّى قَرُبَ الصُّبْح فَرَكِبَ لِيَظْهَرَ لَهُ مَا يَسْقُط مِنَ الْجَيْش مِمَّا يُخْفِيهِ اللَّيْل)[١].

وهذه المهمة الحساسة والإنسانية الخطرة كانت دائماً موضع اهتمام من رسول الله ﷺ ويؤمّر عليها خيرة أصحابه؛ ففي حادثة الإفك قال النبي ﷺ عن صاحب الساقة صفوان رضي الله عنه، كما في الصحيحين -وهو الحديث المتقدم-: (وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا).

وفي صحيح مسلم في غزوة الفتح كان على المهمة أمين الأمة؛ فعن أبي هريرة: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ وَبَطْنِ الْوَادِي).

قال النووي في شرح مسلم: («الْبَيَاذِقَة» بباء موحدة ثم مثناة تحت وبذال معجمة وقاف، وَهُمُ الرَّجَّالَة، قَالُوا: وَهُوَ فَارِسِيّ مُعَرَّب، وَأَصْله بِالْفَارِسِيَّةِ: أَصْحَاب رِكَاب

---

[١] (ج٨/ص٥٩٠).

الْمَلِك وَمَنْ يَتَصَرَّف فِي أُمُوره، قِيلَ: سُمُّوا بِذَلِكَ لِخِفَّتِهِمْ وَسُرْعَة حَرَكَتهمْ، هَكَذَا الرِّوَايَة فِي هَذَا الْحَرْف هُنَا وَفِي غَيْر مُسْلِم أَيْضًا، قَالَ الْقَاضِي: هَكَذَا رِوَايَتنَا فِيهِ، قَالَ: وَوَقَعَ فِي بَعْض الرِّوَايَات «السَّاقَة»، وَهُمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ آخِر الْعَسْكَر، وَقَدْ يُجْمَع بَيْنه وَبَيْن الْبَيَاذِقَة بِأَنَّهُمْ رَجَّالَة وَسَاقَة)[1].

وكان رسول الله ﷺ من شدة رحمته وتواضعه وشجاعته هو بنفسه من يتولى هذه المهمة خاصة إذا قفلوا من الغزو حيث خطورة الطلب وتعب الجيش مع سرعة السير شوقاً إلى الأهل والبلد.

ففي صحيح البخاري عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فَأَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ، فَأَصَبْنَا إِبِلًا وَغنمًا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ).

قال الحافظ في الفتح: (وَكَانَ ﷺ يَفْعَل ذَلِكَ صَوْنًا لِلْعَسْكَرِ وَحِفْظًا، لِأَنَّهُ لَوْ تَقَدَّمَهُمْ لَخَشِيَ أَنْ يَنْقَطِع الضَّعِيف مِنْهُمْ دُونه، وَكَانَ حِرْصهمْ عَلَى مُرَافَقَته شَدِيدًا فَيَلْزَم مِنْ سَيْره فِي مَقَام السَّاقَة صَوْن الضُّعَفَاء لِوُجُودِ مَنْ يَتَأَخَّر مَعَهُ قَصْدًا مِنَ الْأَقْوِيَاء)[2].

وقد مدح رسولُ الله الأتقياءَ الأخفياءَ من هذه الأمة، والذين يقومون على أمر الناس وحفظِهم دون شعورٍ منهم؛ إما لنوم أو لبعد عنهم فلا يُطلعونهم على أعمالهم ليرتزقوا بها أو يطلبوا لأجلها الواجهة.

فقال كما في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ".

---

[1] (ج١٢/ص١٣٢).
[2] (ج٩/ص٧٨٠).

قال الحافظ في الفتح: (وَالتَّقْدِيرُ إِنْ كَانَ الْمُهِمّ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِيهَا، وَقِيلَ مَعْنَى: "فَهُوَ فِي الْحِرَاسَةِ" أَيْ فَهُوَ فِي ثَوَاب الْحِرَاسَة، وَقِيلَ هُوَ لِلتَّعْظِيمِ أَيْ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ فَهُوَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَالْمُرَاد مِنْهُ لَازِمُهُ، أَيْ فَعَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِلَوَازِمِهِ وَيَكُونُ مُشْتَغِلًا بِخُوَيْصةِ عَمِلِهِ)[1].

وقال ابن بطال في شرح الصحيح: (وفيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضلُ الخمول، ولزومُ التواضع لله بأن يُجهل المؤمن في الدنيا ولا تُعرفَ عَينُه فيشارَ إليه بالأصابع، وبهذا أوصى ﷺ ابن عمر فقال له: «يا عبد الله، كن في الدنيا كأنك غريب»، والغريبُ مجهولُ العين في الأغلب فلا يُؤْبَه لصلاحه فيُكرَم من أجله ويُبجَّل، فمن لزم هذه الطريقة كان حريًّا إن استأذن ألَّا يُؤذن له، وإن شَفَع ألا يُشفَّع)[2].

الفوائد

- وفيه أنَّ قرارَ الحربِ ولقاءَ المشركين قرارٌ اتخذه رسولُ الله ﷺ مختاراً ولم يكن واقعاً اضطُرَّ إليه كما يزعم بعض المنهزمين، فهو ﷺ كان على علم أكيد بخروج جيشٍ من المشركين ليحفظوا عيرهم ومع ذلك سار إليهم رسولُ الله ﷺ بعدما فوّض الصحابةُ أجمعون الأمرَ إليه في الحرب من عدمه.

وكان قرارُ الحرب مِن رسول الله ﷺ في غاية الحكمة والحنكة العسكرية والسياسية وليست مغامرة غير محسوبة، بل هو قرارٌ في غاية الدقة، تؤكّده القراءةُ العسكرية والسياسية لأيّ إجراء مغاير كقرار العودة وعدم اختيار الحرب وما يمكن أن يترتب عليه من عواقبَ وخيمةٍ ستعود على الجماعة المسلمة الناشئة من طمع المشركين فيهم؛ سواء مشركو قريش أو المدينة وما حولها وخاصة اليهود الحاقدين بعد أن يقرؤوا العودةَ على أنَّها اختيارٌ للسلامة وعدم الرغبة في التضحية لأجل تحقيق الأهداف المعلنة مِن جانب العصبة المؤمنة.

[1] (ج٦/ص١٠٣).
[2] (ج٩/ص١٠٦).

كما لا يخفى تأثيرُ الجانب الإعلامي لمشركي قريش وترويج العودة على أنَّه انتصارٌ من غير قتال، وما يترتب على ذلك من معوّقات تقف في طريف انتشار الدعوة.

ومن المعلوم أنَّ أصعبَ القرارات التي يمكن أن يتخذها قائدٌ هو قرار الحرب، فبأبي وأمي رسولُ الله ﷺ ما أحكمَه وأشجعَه.

- فيه أنَّه يجب على الأمير وضعُ الترتيبات الإدارية والعسكرية اللازمة لانتظام أمر الجند.

- وفيه أنَّ الأمير ينبغي أن يكون شديدَ الحرص على الجنود وحاجيَّاتهم، وأن يُبالغ في وضع الخطط اللازمة لحفظ الضعفاء والجرحى، وأن يكون على قدر المسؤولية في حفظ أموالِ المسلمين وسلاحِهم، فكثيراً ما رأينا أعمالاً عسكرية لا يهتم فيها الأمير بما يتعطل مِن آليات أثناء العمل، سواءٌ في ذهابه أو إيابه ممَّا ينجم عنه ضَياعُ المال، وأهمّ منه يجعل طائفةً من الجيش عُرضةً للخطر والطلب، وقد تتخلف سريَّةٌ هامة عن العمل عن الذهاب ممَّا يسبب إرباكاً كبيراً، أو حتى إلغاءَ العمل.

- وفيه كما قال ابن بطال في شرح الصحيح: (إنَّ الراية لا يجب أن يحملها إلَّا من ولَّاه الإمام إيَّاها، ولا تكون فيمن أخذها إلا بولاية)[1] ويُؤخذ منه حرمةُ تقليدِ خاتمِ الأمير وتوقيعِه والتحدُّثِ باسمه، وكلِّ ما مِن شأنه أنَّه لا يكون من الأمير إلَّا بتفويض، وسيأتي مزيد من الكلام على الراية إن شاء الله في فتح خيبر.

فصل الرسول ﷺ ينفرد عن الجيش ويستطلع بنفسه

قال ابن إسحاق[2]: (ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران... ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجلٌ من أصحابه -قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصديق، وقال

[1] (ج٩/ص١٨٦).
[2] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٧-٢٦٨).

الواقدي[١]: قَتَادَةُ بْنُ النّعْمَانِ الظّفَرِيّ، وَيُقَالُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ كَعْبٍ الْمَازِنِيّ، وَيُقَالُ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ– قال ابن إسحاق: كما حدثني محمد بن يحي بن حبان؛ حتى وقف على شيخ من العرب –قال الواقدي[٢]: لَقِيَ سُفْيَانَ الضّمْرِيّ– فسأله عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابِه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: «لا أخبركما حتى تخبراني ممَّن أنتما»، فقال له رسول الله ﷺ: "إذا أخبرتنا أخبرناك"، فقال الشيخ: «ذاك بذاك»، قال: "نعم"، قال الشيخ: «فإنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، –للمكان الذي به رسولُ الله ﷺ– وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا –للمكان الذي به قريش–»، فلما فرغ من خبره قال: «ممن أنتما؟» فقال رسول الله ﷺ: "نحن من ماء". قال الواقدي[٣]: وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ– ثم انصرف عنه، قال يقول الشيخ: «ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟» ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه).

الفوائد

– فيه جوازُ بل وجوبُ التجسّس على العدو للحذرِ منه والاستعدادُ لكلِّ ما يمكن أن يصدر عنه.

– فيه ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من اليقين والشجاعة البالغة والمخاطرة بنفسه حفظاً لجنده، ولا ينبغي لإمام بعده أن يُخاطِر بنفسه هكذا إلّا إذا غلب على ظنِّه السلامة.

– في قوله ﷺ: "نحن من ماء"، جوازُ المعاريض في الحرب، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ ما في الصحيحين[٤] في قصة قتل كعب بن الأشرف وقول محمد بن مسلمة له عن النّبِيِّ ﷺ:

[١] (ص ٥٠).
[٢] (ص ٥٠).
[٣] (ص ٥٠)
[٤] البخاري (٢٨٦٧)، ومسلم (١٨٠١).

(قَدْ عَنَّانا، وَسَأَلَنَا الصَّدَقَة)، أَيْ كَلَّفَنا بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، (وَقَالَ الْمُهَلَّب:... قَوْل مُحَمَّد بْن مَسْلَمَةَ: «قَدْ عَنَانا، فَإِنَّهُ سَأَلَنَا الصَّدَقَة» لِأَنَّ هَذا الْكَلَام يُحْتَمل أَنْ يُفْهَم أَنَّ اتِّبَاعهمْ لَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلدُّنْيَا فَيَكُون كَذِبًا مَحْضًا، وَيُحْتَمَل أَنْ يُرِيد أَنَّهُ أَتْعَبَنَا بِمَا يَقَع لَنَا مِنْ مُحَارَبَة الْعَرَب)[1].

ومنه ما في صحيح البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (اشْتَكَى ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ قَالَتْ قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ).

(وَوَقَعَ فِي رِوَايَة أَنَس بْن سِيرِينَ: «هُوَ أَسْكَن مَا كَانَ»، وَنَحْوه فِي رِوَايَة جَعْفَر عَنْ ثَابِت، وَفِي رِوَايَة مَعْمَر عَنْ ثَابِت: «أَمْسَى هَادِئًا»، وَفِي رِوَايَة حُمَيْدٍ: «بِخَيْرِ مَا كَانَ»، وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَة)[2].

وما سبق من قَوْلِ الصِّدِّيقِ فِي سَفَرِ الْهِجْرَةِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ)[3].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلامٌ رائعٌ وشافٍ في أمر المعاريض، سنكتفي به هنا لبيان هذه الحقيقة الشرعية الهامة، فقال رحمه الله في الفتاوى الكبرى: (الْمَعَارِيضُ؛ وَهِيَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِكَلَامٍ جَائِزٍ يَقْصِدُ بِهِ مَعْنًى صَحِيحًا، وَيَتَوَهَّمُ غَيْرُهُ أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ مَعْنًى آخَرَ، وَيَكُونُ سَبَبُ ذَلِكَ التَّوَهُّمِ كَوْنَ اللَّفْظِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ لُغَوِيَّتَيْنِ أَوْ عُرْفِيَّتَيْنِ أَوْ شَرْعِيَّتَيْنِ، أَوْ لُغَوِيَّةٍ مَعَ أَحَدِهِمَا، أَوْ عُرْفِيَّةٍ مَعَ شَرْعِيَّةٍ؛ فَيَعْنِي أَحَدَ مَعْنَيَيْهِ وَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ أَنَّهُ إنَّمَا عَنَى الْآخَرَ لِكَوْنِ دَلَالَةِ الْحَالِ تَقْتَضِيهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ لَمْ يَعْرِفْ إلَّا ذَلِكَ الْمَعْنَى، أَوْ يَكُونُ سَبَبُ التَّوَهُّمِ كَوْنَ اللَّفْظِ ظَاهِرًا فِيهِ مَعْنًى فَيَعْنِي بِهِ مَعْنًى يَحْتَمِلُهُ بَاطِنًا فِيهِ بِأَنْ يَنْوِيَ مَجَازَ اللَّفْظِ دُونَ حَقِيقَتِهِ، أَوْ يَنْوِيَ بِالْعَامِّ الْخَاصَّ أَوْ بِالْمُطْلَقِ الْمُقَيَّدَ، أَوْ يَكُونَ سَبَبُ التَّوَهُّمِ كَوْنَ الْمُخَاطَبِ إنَّمَا يَفْهَمُ مِنْ اللَّفْظِ غَيْرَ حَقِيقَتِهِ بِعُرْفٍ خَاصٍّ لَهُ أَوْ غَفْلَةٍ

[1] نقله الحافظ في الفتح (ج٦/ص١٩٦).
[2] الفتح (ج٣/ص٢١٩).
[3] انظر ما تقدم في (فصل بعض ما ورد في الهجرة من أحاديث)، وفوائده هناك.

مِنْهُ أَوْ جَهْلٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، مَعَ كَوْنِ الْمُتَكَلِّمِ إنَّمَا قَصَدَ حَقِيقَتَهُ؛ فَهَذَا إذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ دَفْعَ ضَرَرٍ غَيْرِ مُسْتَحَقٍّ جَائِزٌ، كَقَوْلِ الْخَلِيلِ ﷺ: "هَذِهِ أُخْتِي"، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "نَحْنُ مِنْ مَاءٍ"، وَقَوْلِ الصِّدِّيقِ: «رَجُلٌ يَهْدِينِي السَّبِيلَ»، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا، وَكَانَ يَقُولُ: "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"، وَكَإِنْشَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ:

شَهِدْت بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ *** وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافِ
وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا *** وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

لَمَّا اسْتَقْرَأَتْهُ امْرَأَتُهُ الْقُرْآنَ حَيْثُ اتَّهَمَتْهُ بِإِصَابَةِ جَارِيَتِهِ)[1].

ثم لا يُشترط أن يكونَ المعرَّض عليه كافراً، بل يكون ظالماً بمعرفته أو ظلماً له بتحميله ما فيه تلف له ولغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى أيضاً: (وَالْمُخَاطَبُ ظَالِمٌ فِي تَعَرُّفِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، بِحَيْثُ يَكُونُ جَهْلُهُ بِهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وهذا فِعْلُ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ الْمُخَاطَبِ)[2].

وقال أيضاً في: (فَإِنَّ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ بِالشَّيْءِ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ أَنْ لَا يَعْلَمَهُ خَيْرًا لَهُ)[3].

واعلم أنَّ التعريضَ يجب اللجوءُ إليه إذا كان الكلامُ فيه حفظَ واجبٍ كضياع حقٍّ لك أو لأخيك، وأعظم الحقوق هي النفس، قال شيخ الإسلام في المعاريض في نفس المصدر: (وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا إذَا كَانَ دَفْعُ ذَلِكَ الضَّرَرِ وَاجِبًا وَلَا يَنْدَفِعُ إلَّا بِذَلِكَ، مِثْلُ التَّعْرِيضِ عَنْ دَمٍ مَعْصُومٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتَعْرِيضُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا السَّبِيلِ).

---

[1] (ج٦/ص١١٨).
[2] (ج٦/ص٧٧).
[3] (ج٦/ص١١٨).

أما إذا كانت المعاريض قُصِد بها كتمانُ حقٍّ فهي حرام بالإجماع، قال شيخ الإسلام هناك: (وَكَذَلِكَ عَامَّةُ الْمَعَارِيضِ الَّتِي يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِهَا فَإِنَّ عَامَّتَهَا إنَّمَا جَاءَتْ حَذَرًا مِنْ تَوَلُّدِ شَرٍّ عَظِيمٍ عَلَى الْأَخْبَارِ، فَأَمَّا إنْ قَصَدَ بِهَا كِتْمَانَ مَا يَجِبُ مِنْ شَهَادَةٍ أَوْ إقْرَارٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ صِفَةِ مَبِيعٍ أَوْ مَنْكُوحَةٍ أَوْ مُسْتَأْجَرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا حَرَامٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

وقال في ضابط القبول والمنع هناك أيضاً: (وَالضَّابِطُ أَنَّ كُلَّ مَا وَجَبَ بَيَانُهُ فَالتَّعْرِيضُ فِيهِ حَرَامٌ، لِأَنَّهُ كِتْمَانٌ وَتَدْلِيسٌ).

و(كُلُّ مَا حَرُمَ بَيَانُهُ فَالتَّعْرِيضُ فِيهِ جَائِزٌ، بَلْ وَاجِبٌ إنِ اضْطُرَّ إلَى الْخِطَابِ وَأَمْكَنَ التَّعْرِيضُ فِيهِ، كَالتَّعْرِيضِ لِسَائِلٍ عَنْ مَعْصُومٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، وَإِنْ كَانَ بَيَانُهُ جَائِزًا أَوْ كِتْمَانُهُ جَائِزًا وَكَانَتِ الْمَصْلَحَةُ الدِّينِيَّةُ فِي كِتْمَانِهِ كَالْوَجْهِ الَّذِي يُرَادُ غَزْوُهُ فَالتَّعْرِيضُ أَيْضًا مُسْتَحَبٌّ هُنَا، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ فِي كِتْمَانِهِ، فَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ فِي الْإِظْهَارِ، وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ بِذَلِكَ الضَّرَرِ جَازَ لَهُ التَّعْرِيضُ فِي الْيَمِينِ وَغَيْرِهَا، وَإِنْ كَانَ لَهُ غَرَضٌ مُبَاحٌ فِي الْكِتْمَانِ وَلَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي الْإِظْهَارِ فَقِيلَ لَهُ التَّعْرِيضُ أَيْضًا، وَقِيلَ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ).

وقال: (فَالْمَقْصُودُ بِالْمَعَارِيضِ فِعْلٌ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ أَوْ مُبَاحٌ، أَبَاحَ الشَّارِعُ السَّعْيَ فِي حُصُولِهِ).

والمعاريض قد تكون بالفعل، وهي ليست كذباً لا على الحقيقة ولا في الظاهر، وهذا النوع هو ما ثبت بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، ويسمى تعريضاً من باب الوصف فحسب، أما ما نقل عن الرسول ﷺ أنه عرّض بالقول كموضوع الباب: "نحن من ماء" فلم يثبت بنقل صحيح تثبت به حجة، فهو جائز لغيره ونزهه الله منه.

قال شيخ الإسلام هناك: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَعَارِيضَ كَمَا تَكُونُ بِالْقَوْلِ فَقَدْ تَكُونُ بِالْفِعْلِ، وَقَدْ تَكُونُ بِهِمَا؛ مِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ يُظْهِرَ الْمُحَارِبُ أَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهًا مِنَ الْوُجُوهِ وَيُسَافِرَ إلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ لِيَحْسَبَ الْعَدُوُّ أَنَّهُ لَا يُرِيدُهُ ثُمَّ يَكِرَّ عَلَيْهِ، أَوْ يَسْتَطْرِدَ الْمُبَارِزُ بَيْنَ

يَدَيْ خَصْمِهِ لِيَظُنَّ هَزِيمَتَهُ ثُمَّ يَعْطِف عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا).

قال الحافظ في الفتح: (أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَة وَرَّى بِغَيْرِهَا، فَإِنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ كَانَ يُرِيد أَمْرًا فَلَا يُظْهِرهُ، كَأَنْ يُرِيد أَنْ يَغْزُو جِهَة الشَّرْق فَيَسْأَل عَنْ أَمْر فِي جِهَة الْغَرْب، وَيَتَجَهَّز لِلسَّفَرِ فَيَظُنّ مَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعهُ أَنَّهُ يُرِيد جِهَة الْغَرْب، وَأَمَّا أَنْ يُصَرِّح بِإِرَادَتِهِ الْغَرْب وَإِنَّمَا مُرَاده الشَّرْق فَلَا، وَاللَّه أَعْلَم)[١].

ومنه ما هو في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ).

قال الحافظ في الفتح: (وَفِيهِ جَوَاز الْمَعَارِيض بِالْفِعْلِ كَمَا يَجُوز بِالْقَوْلِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بِالْفِعْلِ أَوْلَى)[٢].

ويجوز للمرء أن يعتذر لأخيه بما فعل من خطأٍ في حقه معرّضاً لدوام المحبة في الله لا لعرض من أعراض الدنيا، قال شيخ الإسلام[٣]: (قَالَ نَصْرُ بْنُ حَاجِبٍ سُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: عَنِ الرَّجُلِ يَعْتَذِرُ إلَى أَخِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ فَعَلَهُ وَيُحَرِّفُ الْقَوْلَ فِيهِ لِيُرْضِيَهُ أَيَأْثَمُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ إلَى قَوْلِهِ "لَيْسَ بِكَاذِبٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَكَذَبَ فِيهِ" فَإِذَا أَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ. وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَكَرَاهَةَ أَذَى الْمُؤْمِنِ وَيَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَدْفَعُ شَرَّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُرِيدُ بِالْكَذِبِ اتِّخَاذَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ وَلَا لِطَمَعِ شَيْءٍ يُصِيبُ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَخِّصْ فِي ذَلِكَ، وَرَخَّصَ لَهُ إذَا كَرِهَ مَوْجِدَتَهُمْ وَخَافَ عَدَاوَتَهُمْ).

---

[١] (ج٦/ص١٩٦).

[٢] (ج٣/ص٥٩٩).

[٣] الفتاوى الكبرى (ج٦/ص١٢٥).

وهل يجوز التعريضُ عند منجاة الله لغرض متعلّق بالقائل كمخافة الرياء ونحوه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية هناك: (وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُعَرِّضُ إمَّا أَنْ يَكُونَ أَبْطَلَ بِالتَّعْرِيضِ حَقًّا لِلَّهِ أَوْ لِآدَمِيٍّ، فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَمْ يُبْطِلْ حَقًّا لَهُ لِأَنَّهُ إذَا نَاجَى رَبَّهُ سُبْحَانَهُ بِكَلَامٍ وَعَنَى بِهِ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ الْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ مَلُومًا فِي ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْهَمُونَ مِنْهُ خِلَافَ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ، وَاللَّفْظُ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْآدَمِيِّ فَلَا يَجُوزُ التَّعْرِيضُ إلَّا إذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ إسْقَاطَ حَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنْ تَضَمَّنَ إسْقَاطَ حَقِّهِ حَرُمَ بِالْإِجْمَاعِ)[١].

ولكن اعلم أنَّه إذا لم تفلح المعاريض فإنَّ الكذب، أي صريح الكذب جائز في ثلاث، ففي صحيح مسلم عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: "لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا"، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: (وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا).

وعنها عند أبي داود قَالَتْ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا".

ومثله مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَسْمَاء بِنْت يَزِيد قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ".

---

[١] (ج٦/ص١١٨).

ومع أن (الْكَذِبَ عَلَى الشَّخْصِ حَرَامٌ كُلُّهُ سَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، بَرًّا أَوْ فَاجِرًا، لَكِنَّ الِافْتِرَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَشَدُّ؛ بَلِ الْكَذِبُ كُلُّهُ حَرَامٌ، وَلَكِنْ تُبَاحُ عِنْدَ الْحَاجَةِ الشَّرْعِيَّةِ)[1].

فقد (قَالَ النَّوَوِيّ: الظَّاهِر إِبَاحَة حَقِيقَة الْكَذِب فِي الْأُمُور الثَّلَاثَة، لَكِنَّ التَّعْرِيض أَوْلَى. وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: الْكَذِب فِي الْحَرْب مِنَ الْمُسْتَثْنَى الْجَائِز بِالنَّصِّ رِفْقًا بِالْمُسْلِمِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَلَيْس لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَال، وَلَوْ كَانَ تَحْرِيم الْكَذِب بِالْعَقْلِ مَا انْقَلَبَ حَلَالًا) اِنْتَهَى. وَيُقَوِّيه مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَابْن حِبَّانَ مِنْ حَدِيث أَنَس فِي قِصَّة الْحَجَّاج بن عِلَاط الَّذِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِم؛ فِي اسْتِئْذَانه النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَقُول عَنْهُ مَا شَاءَ لِمَصْلَحَتِهِ فِي اسْتِخْلَاص مَاله مِنْ أَهْل مَكَّة، وَأَذِنَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ، وَإِخْبَاره لِأَهْلِ مَكَّة أَنَّ أَهْل خَيْبَر هَزَمُوا الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَشْهُور فِيهِ)[2].

فصل خبر سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ في أيام بدر

عن أبي الأسود عن عروة قال: (لقي رسول الله ﷺ رجلاً من أهل البادية، وهو يتوجه إلى بدر لقيه بالروحاء فسأله القوم عن خبر الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقالوا له:

سلم على رسول الله ﷺ، فقال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، قال الأعرابي: فإن كنت رسول الله فأخبرني ما في بطن ناقتي هذه؟ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش وكان غلاماً حدثاً: لا تسأل رسول الله ﷺ، أنا أخبرك، نزوت عليها ففي بطنها سخلةٌ منك، فقال رسول الله ﷺ: "فحشت على الرجل يا سلمة"، ثم أعرض رسول الله ﷺ عن الرجل فلم يكلمه كلمة حتى قفلوا، واستقبلهم المسلمون بالروحاء يهنئونهم، فقال سلمة بن سلامة: يا رسول الله ما الذي يهنئونك؟ والله إن رأينا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها، فقال رسول الله ﷺ: "إن لكل قوم فراسة، وإنما يعرفها الأشراف")[3].

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج٢٨/ص٢٢٣).
[2] فتح الباري (ج٦/ص١٩٦).
[3] رواه الحاكم (ج٣/ص٤١٨-٤١٩) وقال: (صحيح الإسناد، وإن كان مرسلاً، وفيه منقبة شريفة لسلمة بن سلامة)، ووافقه

وروى البيهقي في دلائل النبوة عن عروة بن الزبير وعن موسى بن عقبة -بسند ضعيف مع إرساله وانقطاعه- قال: (ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مقبلاً من بدر ومعه الأسرى والغنائم وقتل الله رؤوس المشركين ببدر، لقيه الناس بالروحاء فجعلوا يهنئونه والمسلمين بالفتح ويسألوهم عمّن قتلوا من المشركين، فقال سلمة بن سلامة، أحد بني عبد الأشهل: ما قتلنا أحداً به طعم، ما قتلنا إلا عجائز صلعاً، فأقبل عليه رسول الله ﷺ ولم يزل كالمعرض عنه في بدأته لما قال للأعرابي ما قال حين سمعه أفحش له حتى صدر، فقال له حيث سمعه يقول ما قتلنا إلا عجائز صُلعاً، فقال رسول الله ﷺ: "أولئك يا ابن أخي الملأ")[1].

(قالوا: وشهد سلمةُ بن سلامة بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات سنة خمس وأربعين وهو ابن سبعين سنة، ودفن بالمدينة وقد انقرض عقبه فلم يبق منهم أحد)[2].

فصل الاستطلاع النهائي للموقع الذي سيعسكرون فيه والفريقان يتسابقان إلى الماء

قال ابن إسحاق: (فَلَمّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إلَى مَاءِ بَدْرٍ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ، كَمَا حَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، فَأَصَابُوا رَاوِيَةً لِقُرَيْشٍ)[3].

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ فَأَخَذُوه، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قالَ ذلِكَ

الذهبي.

[1] (ج٣/ص١٥٦).

[2] الطبقات الكبرى لابن سعد (ج٣/ص٤٤٠).

[3] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٨).

ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ قَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النّاسِ، فَإِذا قالَ هذا أَيْضاً ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمّا رَأى ذلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ").

وعن علي رضي الله عنه قال: (سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركون إليها فوجدنا فيها رجلين، منهم رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: "كم القوم؟" فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: "كم ينحرون من الجزر؟" قال: عشر لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: "الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِئَةٍ وَتَبِعَهَا")[1].

(ثم قال رسول الله ﷺ للرجلين: "فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟" قَالَا: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ بْنِ نَوْفَلٍ وَالنّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ وَنُبَيْهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: "هَذِهِ مَكّةُ قَدْ أَلْقَتْ إلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا")[2].

ثم جاء الذي انفلت من الروايا بالخبر إلى المشركين، (وَكَانَ مِمّنْ عُرِفَ أَنّهُ أَفْلَتَ عُجَيْرٌ وَكَانَ أَوّلَ مَنْ جَاءَ قُرَيْشًا بِخَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَادَى فَقَالَ: يَا آلَ غَالِبٍ هَذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَخَذُوا سُقّاءَكُمْ، فَمَاجَ الْعَسْكَرُ وَكَرِهُوا مَا جَاءَ بِهِ. قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ: وَكُنّا فِي خِبَاءٍ لَنَا عَلَى جَزُورٍ نَشْوِي مِنْ لَحْمِهَا، فَمَا هُوَ إلّا أَنْ سَمِعْنَا

[1] إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد (ج١/ص١١٧) والبزار (٧١٩) وغيرهما، وقال الهيثمي في زوائده (ج٦/ص٧٦): (ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة).

[2] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٩).

الْخَبَرَ فَامْتَنَعَ الطَّعَامُ مِنّا وَلَقِيَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَلَقِيَنِي عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَسِيرُ أَعْجَبَ مِنْ مَسِيرِنَا، إنّ عِيرَنَا قَدْ نَجَتْ وَإِنّا جِئْنَا إلَى قَوْمٍ فِي بِلَادِهِمْ بَغْيًا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لِأَمْرٍ حُمّ وَلَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ، هَذَا شُؤْمُ ابْنِ الْحَنْظَلِيّةِ، يَا أَبَا خَالِدٍ أَتَخَافُ أَنْ يُبَيّتَنَا الْقَوْمُ؟ قُلْت: لَا آمَنُ ذَلِكَ، قَالَ: فَمَا الرّأْيُ يَا أَبَا خَالِدٍ؟ قَالَ: نَتَحَارَسُ حَتّى نُصْبِحَ وَتَرَوْنَ مَنْ وَرَاءَكُمْ، قَالَ عُتْبَةُ: هَذَا الرّأْيُ، قَالَ: فَتَحَارَسْنَا حَتّى أَصْبَحْنَا)[1].

(وَابْن أَبِي كَبْشَة أَرَادَ بِهِ النَّبِيّ ﷺ، لِأَنَّ أَبَا كَبْشَة أَحَد أَجْدَاده، وَعَادَة الْعَرَب إِذَا انْتَقَصَتْ نَسَبَتْ إِلَى جَدّ غَامِض)[2].

و(ذَكَرَ ابْنُ حَبِيب فِي الْمُجْتَبَى جَمَاعَة مِنْ أَجْدَاد النَّبِيّ ﷺ مِنْ قِبَل أَبِيهِ وَمِنْ قِبَل أُمّه كُلّ وَاحِد مِنْهُمْ يُكَنَّى أَبَا كَبْشَة، وَقِيلَ: هُوَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَة وَاسْمه الْحَارِث بْن عَبْد الْعُزَّى، قَالَهُ أَبُو الْفَتْح الْأَزْدِيّ وَابْن مَاكُولَا، وَذَكَرَ يُونُس بْن بُكَيْر عَنِ ابْنِ إِسْحَاق عَنْ أَبِيهِ عَنْ رِجَال مِنْ قَوْمه: أَنَّهُ أَسْلَمَ وَكَانَتْ لَهُ بِنْت تُسَمَّى كَبْشَة يُكَنَّى بِهَا، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة وَالْخَطَّابِيّ وَالدَّارَقُطْنِيّ: هُوَ رَجُل مِنْ خُزَاعَة خَالَفَ قُرَيْشًا فِي عِبَادَة الْأَوْثَان فَعَبَدَ الشِّعْرَى فَنَسَبُوهُ إِلَيْهِ لِلِاشْتِرَاكِ فِي مُطْلَق الْمُخَالَفَة، وَكَذَا قَالَهُ الزُّبَيْر، قَالَ: وَاسْمه وَجْز بْن عَامِر بْن غَالِب)[3].

الفوائد

– فيه مشروعية العيون كذلك وأهمية الطليعة، ويُستحب أن تكون من فرسان المسلمين أصحاب الرأي والبأس، وعلمنا ذلك ممَّن أرسلهم رسول الله ﷺ طليعة.

– وفيه آية من آيات النبوة إذ أخبرهم أنكم "لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ وَتَدَعُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ".

[1] مغازي الواقدي (ص ٥٢).
[2] الفتح (ج١/ص٤٠).
[3] الفتح (ج١/ص٤٠).

- وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من الخبرة العسكرية والأمنية الرائعة، إذ أنَّه استطاع أن يعرف عددّ العدو بمعلومة ظنَّها الخصمُ لا تفيده في ذلك، كما أنَّه ﷺ استخرج الخبر بأسلوب تحقيقي راقٍ، بعيداً عن الضرب والتعذيب وبكل رضا من الخصم، وهذا يدل على ما ينبغي للمحقّق أن يتمتع به من ذكاء وهدوء وسعة معرفة.

- وفيه أنَّ الحقد والغلّ إذا كان في بيت تطبع به أهلُه؛ فانظر كيف كان مولى ابنِ أبي معيط عدوِ الله ورسوله شديداً في ولائه لسيده، حاقداً على النبي ﷺ وصحبِه، بحيث أنَّه ليس فقط امتنع من إخبارهم بعدد المشركين ولكن أراد أن يبثّ روح الخوف في نفس الجيش النبوي بقوله: (كثير عددهم شديد بأسهم)، وفي هذا نصيحةٌ لأهل الإيمان أنَّهم ينبغي لهم أن يكونوا أكثر حرصاً وولاءً للدين وأهله من هذا المشرك.

فصل الحباب بن المنذر يشير على رسول الله ﷺ بموقع القتال

روى الحاكم عن أبي الطفيل الكناني أخبرني حباب بن المنذر الأنصاري قال: (أشرت على رسول الله ﷺ يوم بدر بخصلتين فقبلهما مني؛ خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة بدر فعسكر خلف الماء فقلت: يا رسول الله، أبوحي فعلت أو برأيي؟ قال: "برأيي يا حباب"، قلت: فإن الرأي أن تجعل الماء خلفك، فإن لجأت إليه، فقبل ذلك مني)[١].

وقال كما عند ابن سعد رحمه الله: (انطلقْ بنا إلى أدنى ماء إلى القوم فإني عالم بها وبقلبها، بها قليب قد عرفتُ عذوبة مائه لا ينزح، ثم نبني عليه حوضاً، فنشرب ونقاتل)[٢].

ثم أشار على رسول الله ﷺ أن يغور ما سواه من الماء، روى أبو داود في المراسيل عن محمد بن عبيد حدثنا حماد بن زيد عن يحي بن سعيد قال: (استشار رسول الله ﷺ

---

[١] قال الذهبي في تعليقه: (حديث منكر)، وقال الحافظ في الإصابة (ج٢/ص١٠): (وروى ابن شاهين بإسناد ضعيف من طريق أبي الطفيل قال: أخبرني الحباب بن المنذر قال: أشرت على رسول الله ﷺ برأيين فقبل مني؛ خرجت معه في غزاة بدر... فذكر نحو ما تقدم).

[٢] (ج٢/ص١٥).

يوم بدر، فقال الحباب بن المنذر: نرى أن نغور المياه كلها غير ماء واحد فنلقى القوم عليه)[١].

وقال ابن سعد: (فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: "الرأي ما أشار به الحباب"، فنهض رسول الله ﷺ ففعل ذلك)[٢] وقد أخرجه الحاكم، واستنكره الذهبي.

وحديث الحباب في شأن الإشارة على رسول الله ﷺ يوم بدر حديثٌ ضعيف سنداً بلا خلاف كما سبق، بل قال الذهبي: منكر، حتى إنَّ هناك من لا يَعُدّ الحبابَ رضي الله عنه أصلاً في البدريين، وهو ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[٣]، والحافظ في الإصابة[٤] وغيرهما، قال ابن عبد البر: (وكلهم ذكره في البدريين إلا ابن إسحاق في رواية سلمة عنه).

ولكن المقصود كما أطبق أهل السير أنَّهم تحولوا إلى المكان المقترح بحيث سيطروا على منابع العيون في المنطقة، وخاصة تلك البئرَ العذبةَ الكثيرة ماؤها، وبنوا حوضاً عليها يسهّل عملية الشرب والسقاء ويحافظ على عذوبة الماء ونظافته، ومحوا آثار ما أمامهم من العيون، وتم ذلك كله بليل، أي في ليلة المعركة دون علم من العدو.

وثبت بسند صحيح عن جابر قال: (كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر)[٥]، ومعناه: أسقي أصحابي، فيبدو من الحديث أنَّه كان مسؤول السقاية يومئذٍ فإنَّ ذلك أدعى للحفاظ على نظافة البئر وعدم التنازع عليها.

فصل موضع المعركة ونزول الجيش النبوي بأعلى المكان

[١] ونقله عنه البيهقي في السنن الكبرى (ج٩/ص٨٥).
[٢] (ج٢/ص١٥).
[٣] (ج١/ص٩٤).
[٤] (ج٢/ص١٠).
[٥] رواه أبو داود (٢٧٣١)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٧٢)، والحافظ أبو يعلى (٢٣١٥).

قال الله تعالى: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال:٤٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى مخبرًا عن يوم الفرقان: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أي: إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، {وَهُمْ} أي: المشركون نزول {بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} أي: البعيدة التي من ناحية مكة، {والرَّكْبُ} أي: العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أي: مما يلي سيف البحر)[١].

و(ذلك أن المسلمين حين خرجوا من المدينة نزلوا بضفة الوادي القريبة من المدينة؛ ونزل جيش المشركين بقيادة أبي جهل بالضفة الأخرى البعيدة من المدينة؛ وبين الفريقين ربوة تفصلهما، أما القافلة فقد مال بها أبو سفيان إلى سيف البحر أسفل من الجيشين، ولم يكن كل من الجيشين يعلم بموقع صاحبه، وإنما جمعهما الله هكذا على جانبي الربوة لأمر يريده، حتى لو أن بينهما موعداً على اللقاء ما اجتمعا بمثل هذه الدقة والضبط من ناحية المكان والموعد! وهذا ما يذكّر الله به العصبة المسلمة ليذكّرها بتدبيره وتقديره)[٢].

(فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْعُدْوَةِ الشّامِيّةِ وَنَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْيَمَانِيّةِ -عُدْوَتَا النّهْرِ وَالْوَادِي جَنْبَتَاهُ- فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنْ كَانَ هَذَا مِنْك عَنْ وَحْيٍ نَزَلَ إلَيْك فَامْضِ لَهُ، وَإِلّا فَإِنّي أَرَى أَنْ تَعْلُوَ الْوَادِيَ فَإِنّي أَرَى رِيحًا قَدْ هَاجَتْ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، وَإِنّي أَرَاهَا بُعِثَتْ بِنَصْرِك، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قَدْ صَفَفْت صُفُوفِي وَوَضَعْت رَايَتِي، فَلَا أُغَيّرُ ذَلِكَ"، ثُمّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]، بَعْضُهُمْ عَلَى إثْرِ بَعْضٍ)[٣].

---

[١] (ج٢/ص٣١٣-٣١٤).

[٢] في ظلال القرآن (ج٣/ص١٥٢٤-١٥٢٥).

[٣] مغازي الواقدي (ص ٥٦).

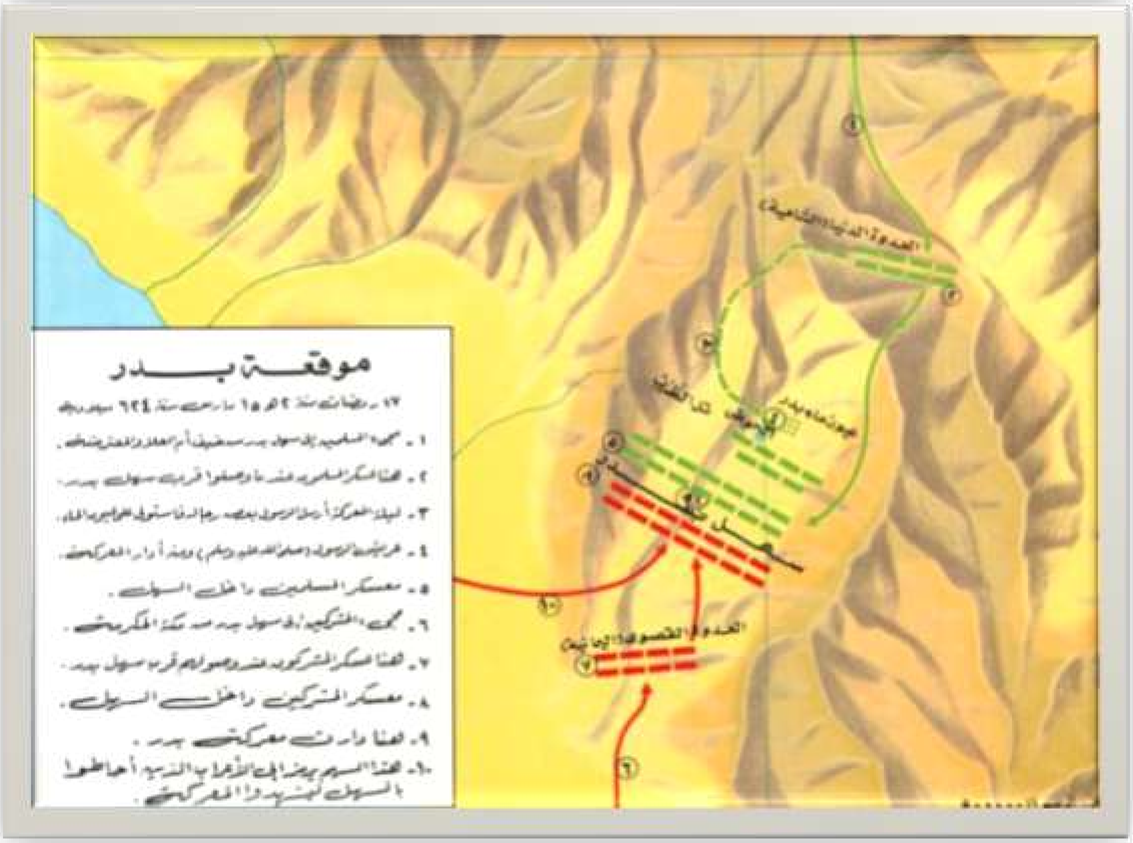

فصل خط سير الجيش النبوي

(وكان الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ إلى بدر على الروحاء، وبين الروحاء والمدينة أربعة أيام، ثم بريد بالمنصرف، ثم بريد بذات أجذال، ثم بريد بالمعلاة، وهي خيف السلم، ثم بريد بالأثيل ثم ميلان إلى بدر)[١].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (فَسَلَكَ طَرِيقَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى نَقْبِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ عَلَى الْعَقِيقِ ثُمَّ عَلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ ثُمَّ عَلَى أُولَاتِ الْجَيْشِ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ذَاتِ الْجَيْشِ- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ مَرَّ عَلَى تُرْبَانَ ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ ثُمَّ غَمِيسِ الْحَمَامِ مِنْ مَرَيَيْنِ ثُمَّ عَلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ ثُمَّ عَلَى السَّيَّالَةِ ثُمَّ عَلَى فَجِّ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ عَلَى شَنُوكَةَ وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُعْتَدِلَةُ... وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَجْسَجَ، وَهِيَ بِئْرُ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْها، حَتَّى إذا كَانَ بِالْمُنْصَرَفِ ترَكَ طَرِيقَ مَكَّةَ بِيَسَارٍ وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى النَّازِيَةِ يُرِيدُ بَدْرًا، فَسَلَكَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا، حَتَّى

---

[١] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٣).

جَزَعَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: رُحْقَانُ، بَيْنَ النَّازِيَةِ وَبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ، ثُمَّ عَلَى الْمَضِيقِ ثُمَّ انْصَبَّ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الصَّفْرَاءِ بَعَثَ بَسْبَسَ بْنَ الْجُهَنِيِّ حَلِيفَ بَنِي سَاعِدَةَ وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الزَّغْبَاءِ الْجُهَنِيَّ حَلِيفَ بَنِي النَّجَّارِ إِلَى بَدْرٍ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ قَدَّمَهَا، فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الصَّفْرَاءَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا؟ فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا هَذَا مُسْلِحٌ وَلِلْآخَرِ هَذَا مُخْرِئٌ، وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا فَقِيلَ: بَنُو النَّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُرُورَ بَيْنَهُمَا، وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا، فَتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالصَّفْرَاءَ بِيَسَارٍ وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَفِرَانَ، فَجَزَعَ فِيهِ ثُمَّ نَزَلَ).

(ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَفِرَانَ فَسَلَكَ عَلَى ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا: الْأَصَافِرُ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ: الدَّبَّةُ، وَتَرَكَ الْحَنَّانَ بِيَمِينٍ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ)[1].

وهذا شرح جغرافي موجز لأهم المناطق التي مرّ بها الجيش النبوي إلى بدر، يعقبه خارطة تبين مواقعها تقريباً:

فالْعَقِيقُ: (مِنْ أَشْهَرِ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، يَأْتِيهَا مِنَ الشَّمَالِ وَيَأْخُذُ أَعْلَى مَسَاقِطِ مِيَاهِهِ مِنْ جِبَالِ قُدْسٍ وَمِنْ حَرَّةِ الْحِجَازِ عَلَى قُرَابَةِ (١٤٠) كَيْلًا شَمَالَ الْمَدِينَةِ، فَيُسَمَّى أَعْلَاهُ النَّقِيعَ، وَبَيْنَ جَبَلِ عِيرٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدِ يُسَمَّى الْحَسَا، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَا الْحُلَيْفَةِ سُمِّيَ الْعَقِيقَ، فَيُدْفَعُ بِأَسْفَلِ الْمَدِينَةِ مُجْتَمِعًا مَعَ أَوْدِيَتِهَا الْأُخْرَى مِثْلِ بَطِحَانَ وَقَنَاةَ وَغَيْرِهِمَا. وَلِلْعَقِيقِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ)[2].

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (ج٢/ص٢٦٤-٢٦٧).
[2] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة الْوَارِدَة فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة (ص ٣٤٥).

وذُو الْحُلَيْفَةِ: (مِنْ أَشْهَرِ مَا يَتَرَدَّدُ فِي تَأْرِيخِ الْمَدِينَةِ وَالسِّيرَةِ، وَهُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ مَرَّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ الْمَزِيدِ، يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ تِسْعَةَ أَكْيَالٍ جَنُوبًا، وَهِيَ الْيَوْمَ بَلْدَةٌ عَامِرَةٌ، فِيهَا مَسْجِدُهُ ﷺ)[١].

(ومَلَل: وَادٍ فَحْلٌ يَنْقَضُّ مِنْ جِبَالِ قُدْسٍ فَيَمُرُّ عَلَى نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ كَيْلًا جَنُوبَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ وَادِيَانِ هُمَا: الْفُرَيْشُ وَتُرْبَانُ، فَإِذَا اجْتُمِعَتْ سُمِّيَ الْمَكَانُ فَرْشَ مَلَلَ، ثُمَّ يَسِيرُ مَلَلُ حَتَّى يَصُبَّ فِي إِضَمٍ -وَادِي الْحَمْضِ الْيَوْمَ- غَرْبَ الْمَدِينَةِ)[٢].

أي أن (تُرْبَانُ: وَادٍ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي مَلَلٍ)[٣].

وغَمِيسُ الْحَمَامِ (هُوَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ مَا زَالَ بِهَذَا الاِسْمِ، يَأْخُذُ مِنَ التِّلَالِ الْوَاقِعَةِ غَرْبَ بَلْدَةِ الْفُرَيْشِ، ثُمَّ يَتَّجِهُ شَرْقًا بِشَمَالٍ حَتَّى يَجْتَمِعَ بِوَادِي الْفُرَيْشِ فِي «مَرَيَيْنِ»، فِي رَأْسِهِ آثَارُ مَحَطَّةِ «السَّيَّالَةِ» وَعَلَى ضِفَّتِهِ الْيُمْنَى صُخَيْرَاتُ الْيَمَامِ)[٤].

صُخَيْرَاتُ الْيَمَامَةِ؛ الصُخَيْرَةُ: تصغير الصخرة من الحجارة، (كَانَتْ مَحَطَّةً عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، عَلَى قُرَابَةِ (٥٠) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ السَّيَّالَةِ بِثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ فَقَط، وَهِيَ الْيَوْمَ صُخُورٌ سُودٌ مَنَاصِيبُ فِي قَفْرٍ لَا سَاكِنَ لَهُ)[٥].

و(تبْعُدُ السَّيَالَةُ (٤٧) كَيْلًا عَنِ الْمَدِينَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي مَرَّ فِي تُرْبَانَ، وَيَأْخُذُ الطَّرِيقُ مِنْهَا إِلَى الرَّوْحَاءِ عَلَى (٧٥) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَالسَّيَالَةُ: الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى، وَالرَّوْحَاءُ: الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ)[٦].

و(الروحَاءُ: الروح والراحة من الاستراحة، ويوم روحٌ أي طيب، وأظنه قيل للبقعة روحاء أي: طيبة ذات راحة)[٧].

---

[١] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة (ص٢٨١).
[٢] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة (ص ٣٧٠).
[٣] المعالم الجغرافية (ص ٢٣٨).
[٤] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة (ص ٣٦٠).
[٥] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة (ص ٣٥٣).
[٦] الْمَعَالِم الْجُغْرَافِيَّة (ص ١١٦).
[٧] معجم البلدان (ج٣/ص٧٦).

(وَقَدْ ظَلَّتِ الرَّوْحَاءُ أَوْ بِئْرُ الرَّوْحَاءِ مَحَطَّةً عَامِرَةً عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَلَمَّا كَثُرَ الْحَاجُّ شَارَكَتْهَا بَلْدَةُ «الْمُسَيْجِيدِ» الْمَعْرُوفَةِ قَدِيمًا بِالْمُنْصَرَفِ، وَلَمَّا جَاءَتِ السَّيَّارَاتُ خَفَّ أَمْرُ الرَّوْحَاءِ وَتَقَدَّمَتْ جَارَتُهَا فَصَارَتْ بَلْدَةً عَامِرَةً)[1].

(وادي الصفراء؛ من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخيم في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة)[2].

(ذفِرَانُ: بفتح أوله وكسر ثانيه ثم راء مهملة وآخره نون؛ واد قرب وادي الصفراءِ، قال ابن إسحاق في مسير النبي ﷺ إلى بدر: استقبل الصفراءَ وهي قرية بين جبلَين، ترك الصفراءَ يساراً وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفِرَان، والذفرُ كل ريح ذكية)[3].

و(الْأَصَافِرُ: تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالصَّفَرِ. ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدَّبَّةُ، وَتَرَكَ الْحَنَانَ بِيَمِينٍ وَهُوَ كُثَيْبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ. قُلْت: الدَّبَّةُ أَمْرُهَا مُشْكِلٌ؛ فَالْمَكَانُ الَّذِي يَنْحَطُّ مِنَ الْأَصَافِرِ إِلَيْهِ رَأْسًا هُوَ الْيَوْمَ قَرْيَةٌ تُسَمَّى «الْبَرَكَةَ» وَبِجَانِبِهَا «دَبَّةٌ»، وَالدَّبَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ حَيِّزٌ مِنَ الرَّمْلِ غَيْرُ سَائِبٍ كَالدُّفِّ، وَلَكِنَّ الدَّبَّةَ مَعْرُوفَةٌ بِعَيْنِهَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ بَدْرٍ قِبْلَةُ الْمُصَلِّي، فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى فَقَدْ يَكُونُ غُيِّرَ اسْمُهَا تَبَرُّكًا بِمُرُورِهِ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتِ الثَّانِيَةَ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ جَزَعَ وَادِي يَلْيَلَ وَتَرَكَ الصَّدْمَتَيْنِ يَمِينَهُ وَكُلَّ بَدْرٍ ثُمَّ جَاءَ بَدْرًا مِنَ الْجَنُوب مَارًّا بِمَفِيضِ شِعْبِ أُدْمَانَ، ثُمَّ جَزَعَ وَادِي يَلْيَلَ مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى نَزَلَ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الْأَمْرُ فِيهِ مَشَقَّةٌ إِلَّا أَنْ تَكُونَ خُطَّةً حَرْبِيَّةً، ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ جَاءَ مُنْحَدِرًا مَعَ وَادِي يَلْيَلَ لَا بُدَّ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ الصَّدْمَتَيْنِ، وَهُمَا مَضِيقٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَحْتَلَّهُمَا الْعَدُوُّ فَيُبَاغِتَهُ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّك لَا تَسْأَلُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ حَتَّى يُشِيرَ إِلَى الدَّبَّةِ الْوَاقِعَةِ جَنُوب بَدْرٍ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا هِيَ الْوَارِدَةُ فِي السِّيرَةِ)[4].

---

[1] المعالم الجغرافية (ص ١٠٧).
[2] معجم البلدان (ج٣/ص٤١٢).
[3] معجم البلدان (ج٣/ص٦).
[4] الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ (ص ١٠٢).

الحَنَانُ: بالفتح والتخفيف، والحنان في اللغة الرحمة، و(الحنّانُ بالتشديد إذاً ذو الرحمة، ويقال أيضاً: طريقٌ حَنان أي واضح)[١]، وحالياً (تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ «قَوْزَ عَلِيٍّ»)[٢].

الفوائد

- فيه أنَّه ﷺ كان يسأل عن اسم كل منطقة يدخلها وعلى من يسكنها من العشائر وأفخاذهم، ولا ريب أنَّ هذا به من الفوائد ما الله به عليم؛ في طبيعة التعامل معهم من حيث الحذر والأمن، ثم كان رسول الله ﷺ ما خيّر بين أمرين إلا اختار أطيبهما، وطيب الطريق في أسمائه، خاصة إذا كان في الأمر بحبوحة، ولا مشقة كبرى في اعتبار الاسم من حيث الأمن أو الكلأ والماء، فلما سأل عن الجبلين فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا هَذَا مُسْلِحٌ، وَلِلْآخَرِ هَذَا مُخْرِئُ، وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا فَقِيلَ بَنُو النّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُرُورَ بَيْنَهُمَا، وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا، فتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالصّفْرَاءَ بِيَسَارٍ وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَفِرَانَ، ومعنى ذفران كما سبق أي طيب الرائحة، فترك المرور على (مخزي) ومرّ على ذفران، وعلى هذا فقس، وقد سبق بيان ذلك في مبحثنا هذا فلا حاجة للإعادة.

- من الواضح في خط سير الجيش النبوي ومنذ خروجه من المدينة أنَّه ﷺ كان يسلك الأودية ما كان لذلك سبيل، فإن كان هذا عن عمد منه ﷺ فنفهم منه أنه كان يحاول إخفاء حركةِ الجيش وخطِّ سيره ما استطاع، ويرسل من يستكشف الطريق أمامه في كل مرحلة، فالواضح في العقلية العسكرية لرسول الله ﷺ أنَّه كان غايةً في الحيطة والحذر.

- في رواية مجيئه إلى بدر من جنوبها درسٌ عظيم في اختيار الشيء الآمن لنفسك وللجند، ولو كان في ذلك زيادة في المشقة الجسدية والمادية طالما أنَّه بالإمكان ذلك، فقد علم ﷺ أنَّه بالقرب من المنطقة التي سيعسكر فيها العدو أو اقترب منها، فلم يحصر

---

[١] معجم البلدان (ج٢/ص٣١٠).
[٢] الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ (ص ٩١).

الجيش في المرور من المضايق خوفَ الكمين، واختار المرور في الأرض المكشوفة مع ما في ذلك من مشقَّةٍ وزيادةِ السير بجيش ضعيف التجهيز، وقد قيل: امشِ شهراً ولا تعبر نهراً.

فصل النعاس يغشى المؤمنين ونزول المطر

قال الله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} [الأنفال:١١].

قال صاحبُ أضواء البيان: (ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّه ألقى النعاس على المؤمنين ليجعلَ قلوبَهم آمنةً غير خائفة من عدوها، لأنَّ الخائف الفَزِع لا يغشاه النعاس، وظاهر سياق هذه الآية أن هذا النعاس ألقي عليهم يوم بدر، لأن الكلام هنا في وقعة بدر كما لا يخفى)[1].

وهو ما أخرجه الأمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ: (غَشِينَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: وَكُنْتُ فِيمَنْ غَشِيَهُ النُّعَاسُ يَوْمَئِذٍ فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ)[2].

وعند أحمد، وابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه: (... ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ مَطَرٍ فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنْ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ"، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ")[3].

يقول سيد قطب رحمه الله في فائدة هذا النعاس وأثره في ظلال القرآن: (ولقد كنت أمر على هذه الآيات وأقرأ أخبار هذا النعاس، فأدركه كحادث وقع، يعلم الله سرَّه ويحكي لنا خبره. ثم إذا بي أقع في شدَّة، وتمر عليّ لحظات من الضيق المكتوم والتوجس القلق، في ساعة غروب، ثم تدركني سِنةٌ من النوم لا تتعدى بضع دقائق، وأصحو إنساناً جديداً غير الذي كان، ساكن النفس، مطمئن القلب، مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة. كيف تم هذا؟ كيف وقع هذا التحول المفاجئ؟ لست أدري! ولكني بعدها أدرك قصة بدر وأُحد)[4].

[1] (ج٢/ص١٥٥).
[2] إسناده صحيح على شرط الشيخين.
[3] قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٧٦): (رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة).
[4] (ج٣/ص١٤٨٤).

وهذا هو شأن النعاس في مواطن الكرب إذا منّ الله به على المؤمن أمنةً ورحمةً وسكينة، كما قال الله تعالى في شأن يوم أحد: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا} [آل عمران:١٥٤].

وقد صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (النعاس في الصلاة من الشيطان، والنعاس في القتال أمنة من الله)[١].

وقوله: {وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}، قال الحافظ ابن كثير: (وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «المغازي» رحمه الله، قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «بَعَثَ اللَّهُ السَّمَاءَ وَكَانَ الْوَادِي دَهْسًا، فَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَا لَبَدَ لَهُمُ الأَرْضَ وَلَمْ يَمْنَعْهُم مِنَ الْمَسِيرِ، وَأَصَابَ قُرَيْشاً مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مَعَهُ»، وقال مجاهد: «أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس، فأطفأ بالمطر الغبار، وتلبدت به الأرض، وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم»)[٢].

وفي سبب نزول الآية وجه آخر نذكره تتمة للكلام، والأول أظهر.

روى الطبري في تفسيره عن ابن جريج قال[٣]: قال ابن عباس: (غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون، وصلوا مجنبين محدِثين، وكانت بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن فقال: تزعمون أن فيكم نبياً وأنكم أولياء الله، وقد غُلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين؟ قال: فأنزل الله ماء من السماء فسال كل وادٍ، فشرب المسلمون وتطهّروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان)[٤].

وروى أبو عوانة في المستخرج عن عائشة بنت سعد أنَّ أباها حدثها: (أنَّ رسول الله ﷺ نزل وادياً دهساً لا ماء فيه، وسبقه المشركون إلى القلاب فنزلوا عليها، وأصاب

[١] رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٢١٩)، ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩٤٥١، ٩٤٥٢).
[٢] (ج٢/ص٢٩٢).
[٣] والانقطاع ظاهر فيه، مما يوجب ضعفه.
[٤] (ج١٣/ص٤٢٥).

العطش المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ، ونجم النفاق فقال بعض المنافقين: لو كان نبياً كما يزعم لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "أوَقالوها؟ عسى ربكم أن يسقيكم"، ثم بسط يديه وقال: "اللهم جللنا سحاباً كثيفاً قصيفاً دلوقاً حلوقاً ضحوكاً زبرجاً، تمطرنا منه رذاذاً قطقطاً سجلاً بعاقاً، يا ذا الجلال والإكرام"، فما ردّ يديه من دعائه حتى أظلتنا السحابة التي وصفت، تتلون في كل صفة وصف رسول الله ﷺ من صفات السحاب، ثم أمطرنا كالغروب التي سألها رسول الله ﷺ، فأفعم السيل الوادي، فشرب الناس من الوادي وارتووا).

ولكن وإن كان الحديث قصته شبيهة بالتي تسبقها إلا أنَّه ليس فيها ذكر بدر وكما أنَّه لم يكن قبل بدر نفاق.

وقد بيّن الحافظ ابن كثير رحمه الله كيف كان نزول المطر سبباً للأمن باطناً وظاهراً وذلك بعدما كان مطهّراً للباطن والظاهر قبل ذلك، فقال رحمه الله: (قوله: {لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} أي: من حدث أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر، {وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} أي: من وسوسة أو خاطر سيئ، وهو تطهير الباطن، كما قال تعالى في حق أهل الجنة: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} فهذا زينة الظاهر، {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الإنسان:٢١]، أي: مطهراً لما كان من غلّ أو حسد أو تباغض، وهو زينة الباطن وطهارته، {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، {وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم)[1].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (وفي الذي ربط به قلوبهم وقوّاها ثلاثة أقوال.. أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل. والثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبّت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها. قوله تعالى: {وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} في هاء {بِهِ} قولان.. أحدهما: أنها ترجع إلى

[1] (ج٢/ص٢٩٢).

الماء؛ فإن الأرض كانت رَمِلة فاشتدت بالمطر وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس ومجاهد والسدّي في آخرين. والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: ويثبّت بالربط الأقدام، ذكره الزجّاج)[١].

الفوائد

– فيه أنَّه كلما عَظمت المشقَّة الناتجةُ عن التكاليف الشرعية ظهر لطف الله بعباده جلياً، يربط به على القلوب وتأنس به النفوس وتستشعر المعيَّة الإلهية وقربَ الربِّ الرحيمِ بعباده القدير على كل شيء، فترغب وتلجأ إليه ليعينها على أمرها ويكشف ما ألمّ بها.

– وفيه أنَّ العبد إذا استجاب لأمر الله وتلبّس بما أمر، أعانه الله فهوّن عليه المشاق ويسّر له الأمور، فهو عبدُه وتحت أمره ونهيه، فمُحال أن يتركه سبحانه وحدَه بعدما استجاب لأمره.

– وفيه ما ينبغي لرأس الناس وأميرهم أن يكون عليه من اللجوء إلى الله يدعوه ويستنصره في جوف الليل إذا نامت العيون، فيذرف الدمع من عينه منكسراً إلى مولاه مستجيراً به طالباً النصر والفتح ممَّن بيده وحدَه والقادر عليه سبحانه، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما أخرج أحمد بسند صحيح قَالَ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ).

– وفيه أنَّه لا ينبغي للأمير في شدَّة الأمر أن ينسى ما فرض الله وخاصة عمود الإسلام الصلاة، فيصلي بمن يستطيع ويسأل عنها حتى يطمئن أنَّه لا أحد في جنده نسيها أو فرّط فيها، فإنما ننصر بطاعته. فلم يدع رسول الله ﷺ النهي عن المنكر يوم بدر مع شدة ما عليه الناس، فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ)[٢].

---

[١] (ج٣/ص٩٠).

[٢] أخرجه الإمام أحمد (ج٦/ص١٥٠)، وابن حبان (٤٦٩٩).

- وفيه ما يُستحب أن يَحرص عليه المجاهد قبل المعارك أو العمل الجهادي من الطهارة من النجاسة والوضوء، فإنَّه أسكنُ لنفسه وأطهرُ وأطيبُ لقلبه، ومن عوامل الثبات والسكينة عند الشدَّة، فإن تعذَّر سواءٌ لضيق الوقت كما حدث لغسيل الملائكة أو لقلة الماء فلا حرج إن شاء الله، ويُستحب له حينئذ التيمم، فإنَّ رسول الله ﷺ كما في الصحيحين[1]؛ عن أبي الْجُهَيْمِ الْأَنْصَارِيِّ قال: (أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جَمَلٍ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الْجِدَارِ فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ). فكره أن يرد عليه السلام وهو على حدث أصغر، فحريّ بالمجاهد قبل العمل ألا يزهد في هذا، خاصةً وهو متلبّس بفرض عين وشرف عظيم، فإن لم يفعل فلا حرجَ وحتى لا يعيب بعضنا على بعض.

فصل النبي ﷺ يرسل من يستطلع جيش المشركين وحالهم

(فَلَمّا تَحَوّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الْمَنْزِلِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ السّقَاءَ أَرْسَلَ عَمّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ، فَأَطَافَا بِالْقَوْمِ ثُمّ رَجَعَا إلَى النّبِيّ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْقَوْمُ مَذْعُورُونَ فَزِعُونَ، إنّ الْفَرَسَ لَيُرِيدُ أَنْ يَصْهَلَ فَيَضْرِبَ وَجْهَهُ مَعَ أَنّ السّمَاءَ تَسِحّ عَلَيْهِمْ. فَلَمّا أَصْبَحُوا قَالَ نُبَيْهُ بْنُ الْحَجّاجِ، وَكَانَ رَجُلًا يُبْصِرُ الْأَثَرَ فَقَالَ: هَذَا أَثَرُ ابْنِ سُمَيّةَ وَابْنِ أُمّ عَبْدٍ أَعْرِفُهُ، قَدْ جَاءَ مُحَمّدٌ بِسُفَهَائِنَا وَسُفَهَاءِ أَهْلِ يَثْرِبَ، ثُمّ قَالَ: لَمْ يَتْرُكِ الْجَوْعُ لَنَا مَبِيتًا)[2].

وإنّما أرسلَ رسول الله ﷺ الاستطلاعَ بعد معرفة قريش بوجود الجيش النبوي بالقرب منهم وأخذِهم الحيطةَ والحذر، ومع ذلك فقد طافا بالعسكر وكمنا ينظران إليهم ويسجلان أهمّ ما يرونه من ملاحظات، ولم يعجلا فرجعا بمعلومة ذهبية عن الحالة المعنوية للخصم، وهي من أسمى المعلومات الاستخبارية أثناء القتال وقبله، ومن شأنها أن ترفع الروحَ القتالية، بل وأحياناً كثيرة تحدِّد مسارَه ومسارَ المعركة بكاملها، ولم يكن

[1] البخاري (٣٣٠)، ومسلم (٣٦٩).
[2] مغازي الواقدي (ص ٥٤).

كلاهما إلا عن أدلة؛ فأنتم يا معشر المسلمين لا تسمعون صهيل الخيل على الرغم من سقوط المطر عليها وهو ما يجعلها تفعل ذلك، أتدرون ما السبب؟ إنهم يمنعونها رعباً وهلعاً، لقد رأينا ذلك بأعيننا.

فصل في تحديد يوم المعركة

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (ونزل رسولُ الله ﷺ أدنى بدر عشاءً، ليلة جمعة، لسبعَ عشرةَ مضت من شهر رمضان)[١].

روى الطبري: (عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال الحسن بن علي: كانت ليلةُ الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان)[٢]، إسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، وزاد: (ورواه ابن مَرْدوَيه عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب عن علي قال: «كانت ليلة الفرقان، ليلة التقى الجمعان، في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان»، وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير)[٣].

وقال ابن سعد: (أخبرنا الفضل بن دكين أخبرنا عمر بن شبة عن الزهري قال: سألت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن ليلة بدر فقال: «ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان». أخبرنا خالد بن خداش أخبرنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «كانت بدر لسبع عشرة من رمضان يوم الجمعة»)[٤].

ثم هل صام رسول الله ﷺ في أيام بدر؟

روى محمد بن سعد: (أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة: أنَّ رسولَ الله ﷺ غزا غزوةَ بدرٍ في شهر رمضان فلم يصم يوماً حتى رجع إلى أهله)[٥].

---

[١] (ج٢/ص١٥).
[٢] (ج١٣/ص٥٦٢).
[٣] (ج٢/ص٣١٣).
[٤] (ج٢/ص٢١).
[٥] (ج٢/ص٢١).

بل ونادى منادي رسول الله ﷺ كما عند الواقدي: (وَنَادَى مُنَادِيه: يَا مَعْشَرَ الْعُصَاةِ إِنّي مُفْطِرٌ فَأَفْطِرُوا، وَذَلِكَ أَنّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ: "أَفْطِرُوا" فَلَمْ يَفْعَلُوا)[1].

فصل بناء العريش

(وبني لرسول الله ﷺ عريش من جريد، فدخله النبي وأبو بكر الصديق)[2]، واختير لهذا العريش موقعٌ مهم حيث كان (عَلَى تَلّ يُشْرِفُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ)[3].

وكان رسول الله ﷺ يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه، ففي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ: "أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا"، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ وَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ} [القمر: ٤٥-٤٦].

(قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أنَّ سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ لما التقى الناس يوم بدر: «يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونُنيخ إليك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب، فقال: وإن تكن الأخرى فتَجلسَ على ركائبك، وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد -والله- تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ لك حباً منهم، لو علموا أنَّك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، ويوادّونك وينصرونك». فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيرًا، ودعا له به، فبُنِيَ له عريش، فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، ما معهما غيرهما)[4].

---

[1] (ص ٤٨).
[2] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٥).
[3] كما في زاد المعاد (ج٢/ص٨٧).
[4] تفسير ابن كثير (ج٢/ص٣١٤-٣١٥).

(وقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحاً بالسيف)[1]، ويبدو أنَّ سيد الأوس كان بمثابة رئيس الحرس يوم بدر، فقد ثبت أنَّ طائفةً من الصحابة أحاطت برسول الله ﷺ، والظاهر أنهم فعلوا ذلك لما قامت الحرب على ساقها واشتد أمرها.

روى أحمد بسندٍ رجالُه ثقات كما قال الهيثمي في المجمع، عن عبادة بن الصامت قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله عز وجل العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبّت طائفة على العسكر يجرونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيبُ العدوُّ منه غِرَّة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحقّ بها منا؛ نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخِفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذات بَيْنِكُمْ} [الأنفال:١]).

وفي يقظةِ الصديق وشجاعتِه واختيارِه البقاء في المكان الأخطر، روى البزار في مسنده[2]، عن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: (أيها الناس، أخبروني بأشجع الناس، قالوا أو قلنا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنّي ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه، إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع النبي ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه إلّا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس، قال علي: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً، قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)، ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: (أنشدكم الله،

[1] ابن سعد (ج٢/ص١٥).
[2] ومن طريقه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (ص٣٦٥/رقم ٢٣٧).

أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟) قال: فسكت القوم، فقال: (ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه)[١].

وعَن أَنَس قال: (لقد ضربوا رسول الله ﷺ يوماً حتى غُشِي عليه، فقام أبو بكر فقال: «أي ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟» قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون، أحسبه قال: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه)[٢].

الفوائد

- فيه أنَّه على قائد المعركة أن يكون في موقع يسمح له بمتابعة كافة محاورِها ما أمكن لذلك سبيل، ويحذرُ القائدُ الناجح أن يحشر نفسه في جزئية ومحور من محاور العمل ويغيب عنه بقيةُ محاور المعركة، فيترك الاجتهادَ لمن ليس أهلاً له أحياناً، ولعلّ هذا هو السبب الثاني لقبوله صلى الله عليه بفكرة العريش، وخاصة قد اختير موقع القيادة والسيطرة بعناية.

- وفيه أنَّه على القائد العام أن يُبقي معه في مقر قيادته مَن يستشيره ويشدّ مِن أزره في النوازل، ويشكّل ما يسمى (هيئة الأركان) لإدارة العمل.

- وفيه أنَّه يجب على الأمة أن تحرُس إمامها وتتخذ التدابير اللازمة لحمايته، وعليه ألّا يفرّط في نفسه، قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (حراسةُ الإمام في القائلة والليل من الواجب على الناس، وأن تضييعه من المنكر)[٣].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، كما في صحيح البخاري: (كَانَ النبي ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: "لَيْتَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ"؛ إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ

[١] قال الهيثمي في المجمع (ج٩/ص٤٧): (وفيه من لم أعرفه).
[٢] قال الحافظ في الفتح (ج٧/ص٢١٥): (أخرجه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح)، مسند أبي يعلى (برقم ٣٦٩١)، وهو عند الحاكم أيضاً (ج٣/ص٦٧)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
[٣] (ج٩/ص١٢٧).

سِلاحٍ، فَقَالَ: "مَنْ هَذَا؟" فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، جِئْتُ لأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ).

(قال المهلب: فيه التزام السلطان للحذر والخوف على نفسه في الحضر والسفر؛ ألا ترى فعل الرسول مع ما عرّفه الله أنّه سيكمل به دينَه ويُعلِي به كلمتَه؛ التزم الحذر خوف فتك الفاتك وأذى المؤذي بالعداوة في الدين والحسد في الدنيا.

وفيه: أنَّ على الناس أن يحرسوا سلطانهم ويتخفّوا به خشية الفتك وانخرام الأمر.

وفيه: أنَّه من تبرع بشيء من الخير أنه يسمى صالحًا؛ لقوله: "ليت رجلاً صالحاً" أي: «يبعثه» صالحة على حراسة سلطانه فكيف بنبيه؟)[1].

- وفيه الشروط اللازمة لمن يكون بجانب الإمام وفي حراسته؛ وهي أن يكون من أهل السبق في الدِّين، وممَّن هو مِن أهلِ الرأي وحسنِ الخلق وعرف عنه محبةٌ لإمامه وطاعةٌ له في كل معروف، وممَّن شهدت له الحوادث أنَّه على استعداد أن يضحي بنفسه فداءً له مع شجاعة وخبرة.

- فيه شجاعةُ الصديق رضي الله عنه ودفاعُه عن دين الله ونبيِّ الله عند غربة الدِّين وتحمُّله في ذلك الأذى العظيم؛ سواءٌ أكان المادي بالضربِ والهجر أم المعنوي بالتكذيبِ واتهامِه بالجنون، ويشهد لحديث البزار السابق ما في صحيح البخاري عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ").

فهو رضي الله عنه يعلم أنَّ مصيره الضرب والشتم، كما تقدم في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه.

[1] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص١٠٤).

فصل صباح يوم المعركة

(فلما أصبح صفّ أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله ﷺ يصفف أصحابه ويعدّلهم كأنما يقوّم بهم القدح، ومعه يومئذ قدح يشير به إلى هذا: تقدم، وإلى هذا: تأخر، حتى استووا)[١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (وَحَدّثَنِي حِبّانُ بْنُ وَاسِعِ بْنِ حِبّانَ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ[٢]: (أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَدّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيّةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يُقَالُ سَوّادٌ مُثَقّلَةٌ وَسَوَادٌ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ هَذَا، مُخَفّفٌ- وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنَ الصّفّ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ مُسْتَنْصِلٌ مِنَ الصّفّ- فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ وَقَالَ: "اسْتَوِ يَا سَوّادُ"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَوْجَعْتنِي وَقَدْ بَعَثَك اللّهُ بِالْحَقّ وَالْعَدْلِ، قَالَ: فَأَقِدْنِي، فَكَشَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ: "اسْتَقِدْ"، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: "مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا يَا سَوّادُ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ حَضَرَ مَا تَرَى فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِك أَنْ يَمَسّ جِلْدِي جِلْدَك، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِخَيْرٍ وَقَالَهُ لَهُ)[٣].

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى[٤] بسندٍ صحيح مرسلاً سبباً آخر لطعن سواد، وربما تكرّر ذلك في مواطن كما قال الحافظ في الإصابة[٥]؛ فعن الحسن: أن رسول الله ﷺ رأى سوادَ بن عمرو -هكذا قال إسماعيل- ملتحفاً فقال: "خط خط ورس ورس"، ثم طَعن بعود أو سواك في بطنه فماد في بطنه فأثر في بطنه فقال: القصاص يا رسول الله، قال رسول الله: "القصاص"، وكشف له عن بطنه، فقالت الأنصار: يا سواد، رسولُ الله، فقال: ما لِبشرِ أحدٍ على بِشري من فضل، قال: وكشف له عن بطنه فقبّله وقال: أتركُها لتشفعَ لي بها يومَ القيامة.

---

[١] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٥).

[٢] وهذا ليس صريحاً في كونهم صحابة، فمع جهالة العين لا يمكن التحقّق من العدالة، والله أعلم.

[٣] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٧٨-٢٧٩)، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (ج١٠/ص٧١).

[٤] (ج٣/ص٥١٦).

[٥] (ج٣/ص٢١٨).

الفوائد

- فيها ما يجب أن يكون عليه القائد من الرأفةِ والاهتمام بأصحابه في السِّلم والحرب، وعملِ كلِّ ما يُصلِح حالهم في الدين والدنيا، وأن يتولى أمرَهم بنفسه محبةً وحرصاً وشفقة.

- وفي قصة سواد أهمية النظام، وأن للأمير أن يعاقب جنوده ويعزّرهم عند مخالفة التعليمات التي تضبط ذلك.

- وفيها وعلى الرغم من أنَّه ﷺ لم يكن ظالماً لسواد إلا أنه سَمح له بأخذِ ما يظنُّه حقاً تطيباً لخاطره وبياناً لقمّة العدل والإحسان.

- وفيها -إن صحت الرواية- أنَّ البطنَ ليس بعورة، ويُحمل على ما عليه الجمهور؛ أي: ما فوق السرة، أي: كشف له ما فوقَها.

فصل استطلاع المشركين وشيطان قريش يحزر المسلمين

(فلما اطمأن القوم بعث المشركون عمير بن وهب الجمحي، وكان صاحب قداح، فقالوا: احزر لنا محمداً وأصحابَه، فصوَّب في الوادي وصعد ثم رجع فقال: لا مَدد لهم ولا كَمين، القوم ثلاثمئة إن زادوا زادوا قليلاً، ومعهم سبعون بَعيراً وفرسان، يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضحُ يثرب تحمل الموت الناقع، قومٌ ليست لهم مَنَعة ولا ملجأ إلا سيوفُهم، أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي؟ والله ما أرى أن تقتل منهم رجلاً حتى يقتل منا رجل، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خيرٌ في العيش بعد ذلك)[١].

(وقد كان حريصاً على ردّ قريش عن لقي رسول الله ﷺ ببدر. فلما التقوا كان ابنه وهب بن عمير فيمن أُسر يوم بدر، أسره رفاعة بن رافع بن مالك الزرقي)[٢].

---
[١] طبقات ابن سعد (ج٢/ص١٦).
[٢] طبقات ابن سعد (ج٤/ص١٩٩).

وروى الواقدي في مغازيه عن يُونُسَ بْنِ مُحَمّدٍ الظّفَرِيّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (لَمّا قَالَ لَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ أَرْسَلُوا أَبَا أُسَامَةَ الْجُشَمِيّ -وَكَانَ فَارِسًا- فَأَطَافَ بِالنّبِيّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ثُمّ رَجَعَ إلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا رَأَيْت؟ قَالَ: وَاللهِ مَا رَأَيْت جَلَدًا وَلَا عَدَدًا وَلَا حَلْقَةً وَلَا كُرَاعًا، وَلَكِنّي وَاللهِ رَأَيْت قَوْمًا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَؤُوبُوا إلَى أَهْلِيهِمْ، قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إلّا سُيُوفُهُمْ، زُرْقُ الْعُيُونِ كَأَنّهُمُ الْحَصَى تَحْتَ الْحَجَفِ)[١].

(فَلَمّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ مَشَى فِي النّاسِ فَأَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فَقَالَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ إنّك كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيّدُهَا وَالْمُطَاعُ فِيهَا، هَلْ لَك إلَى أَنْ لَا تَزَالَ تُذْكَرُ فِيهَا بِخَيْرٍ إلَى آخِرِ الدّهْرِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنّاسِ وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِك عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيّ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، أَنْتَ عَلَيّ بِذَلِكَ إنّمَا هُوَ حَلِيفِي، فَعَلَيّ عَقْلُهُ وَمَا أُصِيبَ مِنْ مَالِهِ)[٢].

وعمير بن وهب هو سيد بني جمح، وهو (ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، يكنى أبا أمية، كان له قدر وشرف في قريش، وشهد بدراً كافراً، وهو القائل لقريش يومئذ في الأنصار: إني أرى وجوهاً كوجوه الحيات لا يموتون ظمأً أو يقتلون منّا أعدادهم، فلا تتعرضوا لهم بهذه الوجوه التي كأنها المصابيح، فقالوا له: دع هذا عنك وحرش بين القوم، فكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول الله ﷺ وأنشب الحرب، وكان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها)[٣].

وبعد بدر أراد أن يقتل النبي ﷺ في عقر دار الإسلام، في جرأة عجيبة وإصرار على القِصاص غريب؛ فعن عروة بن الزبير قَالَ: (جَلَسَ عُمَيْرٌ بن وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بن عُمَيْرٍ فِي

---

[١] (ص ٦٣).
[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٧٤).
[٣] الاستيعاب (ص ٣٧٩).

أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ بِمَصَائِبِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّهِ إِنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ، وَقَالَ عُمَيْرٌ بن وَهْبٍ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ، فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوَتُهُمْ مَا بَقُوا لا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعْجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرٌ: اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَكَ، قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فَشُحِذَ وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا عُمَرُ بن الْخَطَّابِ بِالْمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَذَاكَرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بن وَهْبٍ قَدْ أَنَاخَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ، فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ مَا جَاءَ إِلا لِشَرٍّ، هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، قَالَ: "فَأَدْخِلْهُ"، فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ، فَقَالَ: "أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يَا عُمَيْرُ" فَدَنَا فَقَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْعَهْدِ بِهَا، قَالَ: "فَمَا جَاءَ بِكَ؟" قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ: "فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟" قَالَ: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا؟ قَالَ: "اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟" قَالَ: مَا جِئْتُ إِلا لِهَذَا، قَالَ: "بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتَ: لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ، وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ"، قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلامِ، وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُمْ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ شَدِيدَ الأَذَى عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأُقْدِمَ مَكَّةَ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلامِ لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ وَإِلا آذَيْتُهُمْ كَمَا كُنْتُ أُؤْذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ صَفْوَانُ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرٌ بن وَهْبٍ قَالَ لِقُرَيْشٍ: أَبْشِرُوا بِوَاقِعَةٍ تَأْتِيكُمُ الآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلامِهِ فَحَلَفَ أَنْ لا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا وَلا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ وَيُؤْذِي مَنْ يُخَالِفُهُ أَذًى شَدِيدًا، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ)[١]، (ثم هاجر إلى المدينة فشهد أحداً مع النبي ﷺ وما بعد ذلك من المشاهد)[٢].

وكان قد أصيب يوم بدر إصابة بالغة؛ فعن عكرمة: (أنَّ عمير بن وهب خرج يوم بدر فوقع في القتلى، فأخذ الذي جرحه السيف فوضعه في بطنه حتى سمع صريف السيف في الحصى حتى ظن أنه قد قتله، فلما وجد عمير برد الليل أفاق إفاقة، فجعل يحبو حتى خرج من بين القتلى فرجع إلى مكة فبرأ منه)[٣].

و(القِدْح –بالكسر–: السَّهْمُ قبل أن يُراش ويُنصَل، وجمعُه: قِداح)[٤].

الفوائد

– فيه أهميةُ الخبرة في الاستطلاع وخاصة في المعارك الهامة، ودورُ الوصف المعنوي، قال طريف بن مالك العنبري:

---

[١] أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٣١٦–٣١٨)، ومن طريقه الطبري في تاريخه (ج٢/ص٤٤–٤٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ رقم ١١٧، ١١٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٥ج/ص٦٧) وهو من مرسل عروة، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٨٦): (وإسناده جيد). ورواه أيضاً من مرسل الزهري كل من الطبراني (١٧/ رقم ١١٩)، وأبي نعيم (ج ١٥/ص٦٧). وقال الحافظ في الإصابة (ج٤/ص٧٢٨): (وجاء من وجه آخر موصولاً، أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره).

[٢] طبقات ابن سعد (ج٤/ص٢٠٠).

[٣] طبقات ابن سعد (ج٤/ص٢٠٠).

[٤] القاموس المحيط.

أَوَ كُلّما وَرَدْت عُكاظَ قَبيلَةٌ *** بَعَثُوا إلَىَّ عَرِيفَهُمْ يَتوسَّمُ

(ورجل عَرُوفٌ وعَرُوفَةٌ: عارف يعرف الأمور ولا يُنكر أحداً رآه مرة)، و(رجل عارِف أَي: صَبور، قاله أَبو عبيدة وغيره)[١].

- وفيه أنَّه لابد للحرب من فرسان يقدحون شرارها ويؤجّجون نارها ويسعِّرون لهيبها، ليجبروا الخائف والمتردّد على خوض غمارها، وأن هذا الأمر من الأهمية بمكان.

- وفيه أنَّ الفارس تعتريه لحظاتُ شجاعة، على القائد الناجح اغتنامها واستغلالُها لتحقيق الأهداف الصعبة، وخاصةً إذا كان معلوماً عليه صدقُ الوفاء بالقول وعدمُ النكوث بما التزم.

- فيه جواز سبِّ الكافر ووصفه بالكلب والخنزير، وهو كذلك، قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة:٦٠]، وقال سبحانه: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} [الأعراف:١٧٦].

قال أبو جعفر الطبري في التفسير: (يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته)[٢].

(وقيل معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء، كالكلب في لهثه في حالتيه؛ إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين،

فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه؛ كما قال تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:٦])[٣]، (وإنَّما شبهه بالكلب اللاهث لأنه أخسُّ الأمثال على أخسّ الحالات وأبشعها)[٤].

---

[١] لسان العرب (ج٩/ص٢٣٦).

[٢] (ج١٣/ص٢٧١).

[٣] **تفسير ابن كثير (ج٢/ص٢٦٧).**

[٤] زاد المسير لابن الجوزي (ج٣/ص٥٨).

وقال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة:٥].

قال أبو جعفر الطبري: (مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحُمّلوا العمل بها، {ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا} يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذّبوا بمحمد ﷺ، وقد أُمروا بالإيمان به فيها واتّباعه والتصديق به، {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبًا من كتب العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما فيها)[1].

(فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، ولهذا قال في الآية الأخرى: {أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف:١٧٩])[2].

- وفيه ما أنعم الله به على الفاروق من فَراسة لا تكاد تخطئ، وشِدَّة في ذات الله، وحرصٍ وخوف على رسول الله ﷺ.

- وفيه أهميةُ حِراسةِ الإمام ووجوبُه ولو لم يَطلب ذلك، ووجوبُ أخذِ الحيطة والحذر عند لقائِه مَن هو غيرُ مُؤتَمَنٍ عليه لحاجةٍ عرضت له، والحذرُ كلُّ الحذر ممَّن أصاب المسلمون له دماً.

- وفيه أنَّ قتلَ رؤوس المسلمينَ وأئمةِ الجهاد هدفٌ للكافرين، وأنَّ قتل إمامِ النَّاس يعدل الكثير لدرجة أنَّه يمحو آثار هزيمةٍ من النفوس؛ ألا ترى قول صفوان لأهل مكة: (أَبْشِرُوا بِوَاقِعَةٍ تَأْتِيكُمُ الآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ).

ومن ذلك الحرص العظيم والعمل الدؤوب للأمريكان الصليبيين على قتل رؤوس الجهاد وخاصة الشيخ أسامة بن لادن لتمحو آثار هزيمتهم في أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

---

[1] (ج٢٣/ص٣٧٧).
[2] تفسير ابن كثير (ج٤/ص٣٦٤).

- وفيه أن الكافر لا يُمكّن من حمل السلاح بدار الإسلام فضلاً عنه بحضرة الإمام والأمير، ولو مع أخذ الحذر.

- فيه إخبارهُ ﷺ بما هو مِن الغيب بعلم الله له كرامةً منه عليه، {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف:٨٦].

- وفيه أنَّه ينبغي على الداعية أن يتعاهد حديثَ العهدِ بالله وأن يُفَقِّهه بما يُنجيه من العودة إلى الضلال ويحمِّله شيئاً من القرآن.

- وأخيراً وهو هام في القتال؛ أنَّه يجب على المقاتل ألَّا يكتفي بإطلاق النار على جسد العدو بل عليه ضربُ الرأس والعنق للتأكد من إنجاز المهمة، فكثيرًا ما نجى العدوُّ بمخالفة ذلك مع كثرة ما جاءه من إطلاق، قال الله تعالى: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال:١٢]، وقال سبحانه: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} [محمد:٤].

فصل ما كان من شأن عتبة بن ربيعة يوم بدر ومقالة رسول الله ﷺ فيه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزل المسلمون وأقبل المشركون نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: "إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا"، وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه فاجعلوا حقّها برأسي وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولو قد التقينا، فقال عتبة: ستعلم من الجبانُ المفسدُ لقومه، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما ودعا بالمبارزة)[١].

[١] قال الهيثمي في زوائده (ج٦/ص٧٦): (رواه البزار ورجاله ثقات).

وعن علي رضي الله عنه قال: (فلمّا أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحضّ على القتال، ثم قال: "إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل"، فلما دنا القوم وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: "يا علي نادِ حمزة"، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: "إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر"، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ولقد علمتم أني لست بأجبنكم، فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك، والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعباً، فقال عتبة: إياي تعيّر يا مصفر أسته، ستعلم اليوم أينا الجبان، قال فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا من يبارز، فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: "قم يا علي وقم يا حمزة وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب"، فقتل الله شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وجُرح عبيدة)[١].

وانتفاخ السحر: تقوله العرب للجبان؛ كناية عن الفزع.

(ومصفر استه إنما قاله عتبة؛ لأن أبا جهل كان به بعض برَص في أليته، فكان يردّ بالزعفران)[٢].

الفوائد

- في قوله ﷺ: "إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا"، بيان لمنهج هام وخلق قرآني رفيع في التعامل مع الخصوم وشعاره العدل، فعلى الرغم من اصطفاف الفريقين للقتال فقد شهد رسول الله ﷺ لهذا الكافر

---

[١] قال الهيثمي في زوائده (ج٦/ص٧٥-٧٦): (رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة).

[٢] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي (ج١/ص٢٥١).

بالعقل وأنَّه يسعى إلى الرشد، قال الله تعالى: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: ٨].

(أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإنَّ العدل واجب على كلِّ أحد، في كل أحد، في كل حال. وقال بعض السلف: ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السماوات والأرض)[١].

وقال في: (بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوًا)[٢].

قال أبو جعفر الطبري: (وإنما وصف جل ثناؤه «العَدْل» بما وصفه به من أنه {أقرب للتقوى} من الجور، لأنَّ من كان عادلاً كان لله بعدله مطيعًا، ومن كان لله مطيعاً، كان لا شكَّ من أهل التقوى، ومن كان جائراً كان لله عاصياً، ومن كان لله عاصياً، كان بعيدًا من تقواه)[٣].

(ومن هذا القبيل قول عبد الله بن رواحة، لما بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يُرْشُوه ليرفق بهم، فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حُبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم. فقالوا: «بهذا قامت السماوات والأرض»)[٤].

- وفيه تعليمٌ نبوي في كيفية وصفِ الخصوم المشركين، وجواز ذكرِ محاسنهم، وأنهم لا يستوون؛ فمن كان كفره مجرداً ليس كمن تغلّظ كفره بالصدّ عن سبيل الله وحرب المؤمنين وظلمهم، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء:١٦٨-١٦٩]، وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا} [النساء:١٦٧].

---

[١] تفسير ابن كثير (ج٢/ص٥-٦).
[٢] (ج٢/ص٣٠).
[٣] (ج١٠/ص٩٦-٩٧).
[٤] تفسير ابن كثير (ج١/ص٥٦٥).

قال ابن عباس: (منعوا النَّاس من طاعة الله والإِيمان بمحمد ﷺ)[1].

يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: (تعامُلنا مع عتبة بن ربيعة ككافر ليس كتعامُلِنا مع أبي جهل، إنّ لكل أمة فرعونًا وهذا فرعون هذه الأمة، عن من؟ عن أبي جهل، بينما عتبة بن ربيعة قال: إن يكن فيهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر، عن من؟ عن عتبة بن ربيعة. النجاشي كان كافراً وأبو جهل كان كافراً، ولكن الرسول ﷺ قال: "اذهبوا إلى هذا الرجل فإنه لا يُظلم أحد عنده".

- وفيه أنَّ أجواءَ الحروبِ والفتن تضيعُ فيها أصواتُ العقلاء وتذهبُ سدًى آراءُ المصلحين الناصحين تحت تأثير الدعاية الكاذبة والأفكار الخاطئة، فقد حسم أبو جهل دعوى النصح باتهام الخصم بالجبن والخوف على الولد وإثارة روح الثأر، وكأنَّهم لم يقتلوا من المسلمين أحداً فدماء ابن الحضرمي أغلى من دماء آل ياسر، وهكذا الكفر لا يعير لدماء المسلمين حساباً طالما يشعر بنشوة القوة وتسيطر عليه روح الغطرسة، وحدُّه السيف هو الذي يعيد إلى عقولهم صوابه وينصب به فيهم سوقَ العدل والقصاص، ولكن بميزان التقوى.

فصل مُنَاشَدَةُ الرّسُولِ ﷺ رَبّهُ النّصْرَ

جاء عِنْد الطَّبَرَانِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنِ ابْنِ مَسْعُود قَالَ: (مَا سَمِعْنَا مُنَاشِدًا يَنْشُد ضَالَّةً أَشَدّ مُنَاشَدَة مِنْ مُحَمَّد لِرَبِّهِ يَوْم بَدْر)[2].

وذلك لما روى مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ

[1] زاد المسير لابن الجوزي (ج٤/ص١٢١).
[2] فتح الباري لابن حجر (ج٧/ص٣٦٦).

الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]).

وعَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ"، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: ٤٥])[١].

وقد ورد أنَّه ﷺ صلى بأبي بكر ودعا، ولعلَّه كان قبل بدء القتال، (فعَنْ سَعِيد بْن مَنْصُور مِنْ طَرِيق عُبَيْد اللَّه بْن عَبْد اللَّه بْن عُتْبَة قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْم بَدْر نَظَرَ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَتَكَاثُرهمْ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَقَلَّهُمْ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ وَقَامَ أَبُو بَكْر عَنْ يَمِينه، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ وَهُوَ فِي صَلَاته: "اللَّهُمَّ لَا تُودِع مِنِّي، اللَّهُمَّ لَا تَخْذُلنِي، اللَّهُمَّ لَا تَتِرنِي، اللَّهُمَّ أَنْشُدك مَا وَعَدتَّنِي")[٢].

(وقوله: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك»: اللهم إني أسألك إنجاز وعدك وإتمامه بإظهار دينك وإعلاءِ كلمةِ الإسلام الذي رضيت بظهوره على جميع الأديان، وشئت أن يعبدك أهله، ولم تشأ ألا تُعبد، فتمّم ما شئت كونه؛ فإن الأمور كلها بيدك.

وقوله: {سيهزم الجمع ويولون الدبر} فيه تأنيس من استبطأ كريمَ ما وعد الله به من النصر بالبشرى لهم بهزم حزب الشيطان وتذكيرهم بما يثبتهم به من كتابه)[٣].

---

[١] البخاري (٣٧٣٧).
[٢] فتح الباري (ج٧/ص٣٦٦).
[٣] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص١٣٣).

وقال الحافظ في الفتح: (قوْله: "اللَّهُمَّ إِنْ شِئْت لَمْ تُعْبَد..." وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ خَاتَم النَّبِيِّينَ، فَلَوْ هَلَكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حِينَئِذٍ لَمْ يُبْعَث أَحَد مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْإِيمَان، وَلَاسْتَمَرَّ الْمُشْرِكُونَ يُعِيدُونَ غَيْر اللهِ، فَالْمَعْنَى لَا يُعْبَد فِي الْأَرْض بِهَذِهِ الشَّرِيعَة)[1].

(قَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَا يَجُوز أَنْ يَتَوَهَّم أَحَد أَنَّ أَبَا بَكْر كَانَ أَوْثَق بِرَبِّهِ مِنَ النَّبِيّ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَال، بَلِ الْحَامِل لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ شَفَقَته عَلَى أَصْحَابه وَتَقْوِيَة قُلُوبهمْ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّل مَشْهَد شَهِدَهُ فَبَالَغَ فِي التَّوَجُّه وَالدُّعَاء وَالِابْتِهَال لِتَسْكُنَ نُفُوسهمْ عِنْد ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَسِيلَته مُسْتَجَابَة، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْر مَا قَالَ كَفّ عَنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتُجِيبَ لَهُ لَمَّا وَجَدَ أَبُو بَكْر فِي نَفْسه مِنَ الْقُوَّة وَالطُّمَأْنِينَة، فَلِهَذَا عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} اِنْتَهَى مُلَخَّصًا. وَقَالَ غَيْره: وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَالَة فِي مَقَام الْخَوْف، وَهُوَ أَكْمَل حَالَات الصَّلَاة، وَجَازَ عِنْده أَنْ لَا يَقَع النَّصْر يَوْمئِذٍ لِأَنَّ وَعْده بِالنَّصْرِ لَمْ يَكُنْ مُعَيَّنًا لِتِلْكَ الْوَاقِعَة وَإِنَّمَا كَانَ مُجْمَلًا، هَذَا الَّذِي يَظْهَر، وَزَلَّ مَنْ لَا عِلْم عِنْده مِمَّنْ يُنْسَب إِلَى الصُّوفِيَّة فِي هَذَا الْمَوْضِع زَلَلًا شَدِيدًا فَلَا يُلْتَفَت إِلَيْهِ، وَلَعَلَّ الْخَطَّابِيَّ أَشَارَ إِلَيْهِ)[2].

الفوائد

- فيه أنَّ: (الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو مِنْ أعظم ما يُطلب به إجابةُ الدعاء)[3].

- وفيه أنَّ: (الْجِهَاد تَارَة يَكُون بِالسِّلَاحِ وَتَارَة بِالدُّعَاءِ، ومن السُّنَّة أَنْ يَكُون الْإِمَام وَرَاء الْجَيْش لِأَنَّهُ لَا يُقَاتِل مَعَهُمْ فَلَمْ يَكُنْ لِيُرِيحَ نَفْسه، فَتَشَاغَلَ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ الدُّعَاء)[4].

---

[1] (ج/٧ص/٣٦٦-٣٦٧).
[2] فتح الباري (ج/٧ص/٣٦٧).
[3] جامع العلوم والحكم (ص ٩٩).
[4] قَالَه السُّهَيْلِيّ كما في الفتح (ج/٧ص/٣٦٦).

- وفي قوله: «مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ»، أنه: (من آداب الدُّعاء التي يُرجى بسببها إجابته، وفي حديث سلمانَ عن النَّبيّ ﷺ: "إنَّ الله تعالى حييٌّ كريمٌ، يستحيي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أنْ يردَّهما صِفراً خائبتين"، خرَّجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وروي نحوه من حديث أنس وجابر وغيرهما)[1].

ولمشروعية رفع اليدين عموماً في الدعاء قال البخاري في الصحيح: (بَاب رَفْعِ الْأَيْدِي فِي الدُّعَاءِ، وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ"، قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: وَقَالَ الْأُوَيْسِيُّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَشَرِيكٍ سَمِعَا أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ).

وحاصل مسألة الرفع كما قال الحافظ رحمه الله في الفتح: (وَفِي الْحَدِيث الْأَوَّل رَدٌّ على مَنْ قَالَ لَا يَرْفَع كَذَا إِلَّا فِي الِاسْتِسْقَاء، بَلْ فِيهِ وَفِي الَّذِي بَعْده رَدّ عَلَى مَنْ قَالَ لَا يَرْفَع الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاء غَيْر الِاسْتِسْقَاء أَصْلًا، وَتَمَسَّكَ بِحَدِيثِ أَنَس: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيّ ﷺ يَرْفَع يَدَيْهِ فِي شَيْء مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الِاسْتِسْقَاء» وَهُوَ صَحِيح، لَكِنْ جُمِعَ بَيْنه وَبَيْن أَحَادِيث الْبَاب وَمَا فِي مَعْنَاهَا بِأَنَّ الْمَنْفِيّ صِفَة خَاصَّة، لَا أَصْل الرَّفْع، وَقَدْ أَشَرْت إِلَى ذَلِكَ فِي أَبْوَاب الِاسْتِسْقَاء، وَحَاصِله: أَنَّ الرَّفْع فِي الِاسْتِسْقَاء يُخَالِف غَيْره إِمَّا بِالْمُبَالَغَةِ إِلَى أَنْ تَصِير الْيَدَانِ فِي حَذْو الْوَجْه مَثَلًا وَفِي الدُّعَاء إِلَى حَذْو الْمَنْكِبَيْنِ، وَلَا يُعَكِّر عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ثَبَتَ فِي كُلّ مِنْهُمَا: «حَتَّى يُرَى بَيَاض إِبْطَيْهِ»، بَلْ يُجْمَع بِأَنْ تَكُون رُؤْيَة الْبَيَاض فِي الِاسْتِسْقَاء أَبْلَغ مِنْهَا فِي غَيْره، وَإِمَّا أَنَّ الْكَفَّيْنِ فِي الِاسْتِسْقَاء يَلِيَانِ الْأَرْض وَفِي الدُّعَاء يَلِيَانِ السَّمَاء)[2].

أما في صفة الرفع فقد ورد عن رسول الله ﷺ عدّة صفات:

[1] جامع العلوم والحكم (ص ٩٨).
[2] (ج١١/ص١٧١).

الأولى: (أنَّه كان يُشير بأصبعه السَّبَّابةِ فقط، وروي عنه أنَّه كان يفعل ذلك على المنبر، وفعله لما ركب راحلته، وذهب جماعة من العلماء إلى أنَّ دعاء القنوت في الصلاة يُشير فيه بإصبعه؛ منهم الأوزاعي وسعيدُ بن عبد العزيز وإسحاق بن راهويه، وقال ابن عباس وغيره: هذا هو الإخلاص في الدعاء، وعن ابن سيرين: إذا أثنيت على الله فأَشِرْ بإصبعٍ واحدة)[١].

وعمدة أصحاب هذا القول حديث (عمارة بن روبية: «أنه رأى بشر بن مروان رافعًا يديه على المنبر، فسبَّه وقال: لقد رأيت رسول الله لا يزيد على هذا، يعنى أن يشير بالسبّابة»، وروى سعيد عن قتادة قال: رأى ابن عمر قومًا رفعوا أيديهم، فقال: من يتناول هؤلاء فوالله لو كانوا على رأس أطول جبل ما ازدادوا من الله قربًا)[٢].

الثانية: وهي الأشهر عند الناس اليوم، بل يكاد لا يعرف غيرها (رفع يديه وجعل ظُهورِهما إلى جهةِ القبلة وهو مستقبلها، وجعل بطونِهما ممَّا يلي وجهَه. وقد رُويت هذه الصَّفةُ عنِ النَّبيِّ ﷺ في دعاء الاستسقاء، واستحبّ بعضُهمُ الرفع في الاستسقاء على هذه الصفة، منهم الجوزجاني. وقال بعض السَّلف: الرفع على هذا الوجه تضرُّعٌ)[٣].

(واحتجوا بما رواه صالح بن كيسان عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم»)[٤].

الثالثة: وهي عكس الصفة السابقة؛ أي ظاهر اليدين مما يلي الوجه، (وقد رُوي عَنِ النَّبيِّ ﷺ في الاستسقاء أيضاً، ورُوي عن جماعة من السَّلف أنَّهم كانوا يدعون كذلك، وقال بعضهم: الرفع على هذا الوجه استجارةٌ بالله واستعاذة به، منهم ابنُ عمر وابنُ عباس وأبو هريرة)[٥].

---

[١] جامع العلوم والحكم (ص ٩٨-٩٩).
[٢] شرح الصحيح لابن بطال (ج١٩/ص١٣٩).
[٣] جامع العلوم (ص ٩٩).
[٤] شرح الصحيح لابن بطال (ج١٩/ص١٣٩).
[٥] جامع العلوم (ص ٩٩).

الرابعة: (رفعُ يديه على هذا الوجه وجعلُ كفَّيه إلى السَّماء وظهورِهما إلى الأرض. وقد ورد الأمرُ بذلك في سُؤال الله عز وجل في غير حديث، وعن ابن عمر وأبي هريرة وابن سيرين: أنَّ هذا هو الدُّعاء والسُّؤال لله عز وجل)[١].

الخامسة: (عكسُ ذلك؛ وهو قلب كفيه وجعل ظهورهما إلى السماء وبطونهما مما يلي الأرض. وفي صحيح مسلم عن أنس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ استسقى فأشار بظهر كفَّيه إلى السَّماء، وخرَّجه الإمام أحمد رحمه الله ولفظه: فبسط يديه وجعل ظاهرَهما مما يلي السماء، وخرَّجه أبو داود ولفظه: استسقى هكذا؛ يعني: مدّ يديه وجعل بطونَهما مما يلي الأرض)[٢].

وجامع البيان في المسألة ما قاله الطبري: (والصواب أن يقال: إن كل هذه الآثار المروية عن النبي ﷺ متفقة غير مختلفة المعاني، وللعمل بكل ذلك وجه صحيح؛ فأمّا الدعاء بالإشارة بالأصبع الواحدة فكما قال ابن عباس: أنه الإخلاص، والدعاء بسط اليدين، والابتهال رفعهما، وقد حدثني محمد بن خالد بن خراش قال: حدثني مسلم عن عمر بن نبهان عن قتادة عن أنس قال: «رأيت النبي ﷺ يدعو بظهر كفيه وبباطنهما». وجائز أن يكون ذلك كان من النبي لاختلاف أحوال الدعاء، كما قال ابن عباس، وجائز أن يكون إعلامًا منه بسعة الأمر في ذلك، وأن لهم فعل أي ذلك شاءوا في حال دعائهم، غير أن أحبّ الأمر في ذلك إليَّ أن يكون اختلاف هيئة الداعي على قدر اختلاف حاجته)[٣].

وفي المواطن التي بالغ فيها رسول الله ﷺ في الرفع، والراجح فيها ما رواه (الوليد بن مسلم في كتاب الدعاء: نا عبد الله بن العلاء قال: سمعت الزهري ومكحولاً يقولان: لم نحفظ عن رسول الله ﷺ أنه رفع يديه كل الرفع إلا في ثلاثة مواطن: عشية عرفة، وفي الاستسقاء، والانتصار)[٤].

---

[١] جامع العلوم والحكم (ص ٩٩).
[٢] جامع العلوم والحكم (ص ٩٩).
[٣] **شرح الصحيح لابن بطال (ج١٩/ص١٤٠).**
[٤] فتح الباري لابن رجب (ج٧/ص١٣٤).

فصل الجيش النبوي يستغيث بالله ويطلب النصر ممن بيده النصر

قال الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال:٩-١٠].

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: ({تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}: تستجيرون به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم، {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}: فأجاب دعاءكم بأنِّي ممدكم بألف من الملائكة يُرْدِف بعضهم بعضًا، ويتلو بعضهم بعضًا)[1].

(القول في تأويل قوله: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إردافَ الملائكة بعضها بعضًا وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددًا لكم {إلا بُشْرَى} لكم، أي: بشارة لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم، {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم، {وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، يقول: وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون إلا أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه ينصر من يشاء من خلقه، {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، يقول: إن الله الذي ينصركم وبيده نصرُ من يشاء من خلقه، {عزيز} لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل يقهر كل شيء ويغلبه لأنه خلقه، {حكيم} يقول: حكيم في تدبيره ونصره من نصر وخذلانه من خذل من خلقه، لا يدخل تدبيره وهن ولا خَلل)[2].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ مدد الله بالملائكة لأهل الإيمان باقٍ في هذه الأمة، فقال المجموع: (فوعدهم بالإمداد بألف وعدًا مطلقًا، وأخبر أنه جعل إمداد الألف بُشْرى ولم يقيده)[3]، وقال: (وأما قصة بدر فإن البشرى بها عامة، فيكون هذا كالدليل

---

[1] (ج١٣/ص٤٠٩).

[2] تفسير الطبري (ج١٣/ص٤١٧-٤١٨).

[3] (ج١٥/ص٣٧).

على ما روي من أنَّ ألف بدر باقيةٌ في الأمة، فإنَّه أطلق الإمداد والبشرى وقدّم {بِهِ} على {لَكُمْ} عِنَايَةً بِالْأَلْفِ، وَفِي أُحُدٍ كَانَتِ الْعِنَايَةُ بِهِمْ لَوْ صَبَرُوا، فَلَمْ يُوجَدِ الشَّرْطُ)[1].

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ} [آل عمران: ١٢٣-١٢٧].

قال الحافظ ابن كثير مبيّناً حقيقة عدد الملائكة يوم بدر والخلاف فيها: (فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله تعالى في قصة بدر: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال:٩-١٠] فالجواب: أنَّ التنصيص على الألف ها هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: {مُرْدِفِينَ} بمعنى يَرْدَفُهم غيرُهم ويتبْعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أنَّ قتال الملائكة إنَّما كان يوم بدر، والله أعلم)[2].

ومثله قاله الصالحي الشامي مبيناً العلة في تتابع ألوف الملائكة، فقال: (قالوا: فلما استغاثوا أمدَّهم بألف، ثم أمدهم بتمام خمسةِ آلاف لما صبروا واتقوا، وكان هذا التدريج ومتابعة الإمداد أحسن موقعاً، وأقوى لنفوسهم وأسرّ لها مِن أن تأتي دفعة، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة. فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال:٩] إلى آخر الآية؟ فالجواب: أن التنصيص على الألف هنا لا ينافي الثلاثة آلاف

---

[1] (ج١٥/ص٣٨).
[2] تفسير ابن كثير (ج١/ص٤٠١).

فما فوقها، لقوله: مردفين، يعني بردفهم غيرهم، ويتبعهم ألوف أخر مثلهم، وهذا السياق شبيه بالسياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنَّما كان يوم بدر)[١].

الفوائد

- فيه أنَّه من آياته ﷺ تأييد الله له بملائكته.

- وفيه أنَّ من استغاث بالله أغاثه ومن استعان به أعانه ومن توكل على الله فهو حسبه، ومن صرف شيئاً من ذلك لغير الله ضلّ وأشرك مع الله غيره، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (وأنواع العبادة التي أمر الله بها؛ مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها؛ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)، ثم قال: (ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}[الأنفال:٩])[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إِنَّهُ لَا يُعِينُ عَلَى الْعِبَادَةِ الْإِعَانَةَ الْمُطْلَقَةَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ يُسْتَعَانُ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الِاسْتِغَاثَةُ لَا تَكُونُ إلَّا بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ لَا يَكُونُ إلَّا عَلَيْهِ {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، فَالنَّصْرُ الْمُطْلَقُ وَهُوَ خَلْقُ مَا يَغْلِبُ بِهِ الْعَدُوَّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلَّا اللَّهُ)[٣].

فالاستغاثة بالأموات أو بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله كفر وضلال.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ}[القصص:١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء

---

[١] سبيل الهدى (ج٤/ص٨٣).
[٢] الأصول الثلاثة (ص ٣٨-٤٨).
[٣] مجموع الفتاوى (ج١/ص٣٥٧).

يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله)[١].

(كَمَا رَوَى الطبراني فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: قُومُوا بِنَا لِنَسْتَغِيثَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ"، فَهَذَا إنَّمَا أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْمَعْنَى الثَّانِيَ وَهُوَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلَّا اللَّهُ، وَإِلَّا فَالصَّحَابَةُ كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الدُّعَاءَ وَيَسْتَسْقُونَ بِهِ، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرْت قَوْلَ الشَّاعِرِ وَأَنَا أَنْظُرُ إلَى وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيشَ لَهُ مِيزَابٌ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ *** ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وَهُوَ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ. وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُصَنِّفُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنْ لَا غِيَاثَ وَلَا مُغِيثَ عَلَى الْإِطْلَاقِ إلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ كُلَّ غَوْثٍ فَمِنْ عِنْدِهِ، وَإِنْ كَانَ جَعَلَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ غَيْرِهِ فَالْحَقِيقَةُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِغَيْرِهِ مَجَازٌ، قَالُوا: مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْمُغِيثُ وَالْغِيَاثُ، وَجَاءَ ذِكْرُ الْمُغِيثِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالُوا: وَاجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الحليمي: الْغِيَاثُ هُوَ الْمُغِيثُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ وَمَعْنَاهُ الْمُدْرِكُ عِبَادَهُ فِي الشَّدَائِدِ إذَا دَعَوْهُ وَمُجِيبُهُمْ وَمُخَلِّصُهُمْ، وَفِي خَبَرِ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا" يُقَالُ أَغَاثَهُ إغَاثَةً وَغِيَاثًا وَغَوْثًا، وَهَذَا الِاسْمُ فِي مَعْنَى الْمُجِيبِ وَالْمُسْتَجِيبِ، قَالَ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}، إلَّا أَنَّ الْإِغَاثَةَ أَحَقُّ بِالْأَفْعَالِ وَالِاسْتِجَابَةَ أَحَقُّ بِالْأَقْوَالِ، وَقَدْ يَقَعُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ)[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في معنى الاستغاثة وكيفيتها: (وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَعْرُوفٍ الكرخي أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: وَاغَوْثَاهُ، وَيَقُولَ: إنِّي سَمِعْت اللَّهَ يَقُولُ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}. وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ بِرَحْمَتِك

[١] كشف الشبهات (ص٢٧).
[٢] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج١/ص١١٠-١١١).

أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا إلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِك". وَالِاسْتِغَاثَةُ بِرَحْمَتِهِ اسْتِغَاثَةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِصِفَاتِهِ اسْتِعَاذَةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَكَمَا أَنَّ الْقَسَمَ بِصِفَاتِهِ قَسَمٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"، وَفِيهِ: "أَعُوذُ بِرِضَاك مِنْ سَخَطِك وَبِمُعَافَاتِك مِنْ عُقُوبَتِك وَبِك مِنْك لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك أَنْت كَمَا أَثْنَيْت عَلَى نَفْسِك")[١].

فصل التوجيهات الربانية إلى جنده في صفة معونتهم للأبرار وقتلهم للكفار

قال الله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} [الأنفال:١٢-١٤].

قال العز بن عبد السلام في تفسيره: ({فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} بحضوركم الحرب، أو بقتالكم يوم بدر، أو بقولكم لا بأس عليكم من عدوكم)[٢].

و(قال مقاتل: أي: بشّروهم بالنَّصر، وكان الملَك يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم. {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي)[٣].

(والتثبّت: جعل الإنسان ثابتًا لا مرتابًا، وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير)[٤].

---

[١] مجموع الفتاوى (ج١/ص١١١).
[٢] (ج٢/ص٢١١).
[٣] تفسير الإمام البغوي (ج٣/ص٣٣٤).
[٤] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج١٧/ص٥٢٤).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير في قوله {فَاضْرِبُوا}: (في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس فعلَّمهم الله تعالى ذلك. والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من المفسرين)[١].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره[٢]: (وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدّس وتبارك وتمجّد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا. قال ابن إسحاق: وازروهم، وقال غيره: قاتلوا معهم، وقيل: كثّروا سوادهم، وقيل: كان ذلك بأن الملَك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون: «والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ»، فيحدّث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك فتقوى أنفسهم، حكاه ابن جرير وهذا لفظه بحروفه. وقوله: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} أي: ثبّتوا أنتم المسلمين وقوّوا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي، {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} أي: اضربوا الهام فافلقوها، واحتزّوا الرقاب فاقطعوها، واقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم. وقد اختلف المفسرون في معنى {فَوْقَ الأَعْنَاقِ}؛ فقيل: معناه اضربوا الرؤوس، قاله عكرمة. وقيل: معناه {فَوْقَ الأَعْنَاقِ} أي: على الأعناق وهي الرقاب، قاله الضحاك وعطية العوفي. ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد:٤]. وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لم أُبعث لأعذّب بعذاب الله، إنما بُعثت بضرب الرقاب وشدّ الوثاق"، واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام. قلت: وفي مغازي الأموي: أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول: "نُفلّق هاماً..."، فيقول أبو بكر:

---

[١] (ج٣/ص٩١).
[٢] (ج٢/ص٢٩٢-٢٩٣).

من رجال أعزة علينا *** وهم كانوا أعقّ وأظلما

فيبتدئ رسول الله ﷺ بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره؛ لأنَّه كان لا يحسن إنشاد الشعر، كما قال تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ} [يس:٦٩]. وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا هم بضربٍ فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به. وقوله: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} قال ابن جرير: (معناه: واضربوه أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم). والبنان: جمع بنانة، كما قال الشاعر:

أَلا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنْهُ بَنَانَةً *** وَلاقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حَاذِرَا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} يعني بالبنان: الأطراف، وكذا قال الضحاك وابن جريج. وقال السدي: البنان: الأطراف، ويقال: كل مَفْصِل. وقال عكرمة وعطية العوفي والضحاك في رواية أخرى: كل مفصل. وقال الأوزاعي في قوله تعالى: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} قال: اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك).

قلت: البيت الذي كان يستطعمه رسول الله ﷺ للحُصَين بن الحُمام المري، من قصيدة جاء فيها:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ *** لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّما
فلَسْنا على الأَعْقابِ تَدْمَى كُلُومُنا *** ولكِنْ على أَقْدامِنا يَقْطُرُ الدِّما
نفَلِّق هاماً مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ *** عَلَيْنا، وهُمْ كانوا أَعَقَّ وأَظْلَما
ولما رَأَيْنا الصَّبْرَ قد حِيلَ دُونَهُ *** وإِنْ كانَ يَوماً ذا كَواكِبَ مُظْلِما
صَبَرْنا فكان الصَّبْرُ مَنَّا سَجِيَّةً *** بِأَسْيافِنا يَقْطَعْنَ كَفّاً ومِعْصَما
فُلسْتُ بِمُبْتاعِ الحياةِ بِسُبَّةٍ *** ولا مُرْتَقٍ من خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّما
ولَمَّا رَأَيْتُ الوُدَّ ليس بِنافِعٍ *** عَمَدْتُ إِلى الأَمْرِ الذي كانَ أَحْزَما

وقال الزمخشري في تفسيره الكشّاف: (وضرب الرقاب عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل، لأنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء)، ثم أضاف: (على أنَّ في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة؛ وهو حزّ العنق وإطارة العضو الذي هو رأسُ البدنِ وعلوُّه وأوجهُ أعضائه. ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}[الأنفال:١٢])[1].

الفوائد

- في الآية دليلٌ على جواز حزّ الرؤوس؛ أي الذبح، وكما قال ﷺ: "إنما بُعثت بضرب الرقاب"[2]، وسبق قول الذمخشري في معنى الآية: (حزّ العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه).

- وفيه أنَّ (تخويف الكفار والمنافقين وإرعابهم هو من الله نصرة للمؤمنين)[3].

- وفيه أنَّ مؤازرة المجاهدين في جهادهم بكل أنواع النصرة من عمل الصالحين وتشبه بالكرام من الملائكة المرسلين، والنصرة تكون بالفعل والقول؛ بدءاً من الكلمة الطيبة التي ترفع الهمة وتدفع الشبهة وانتهاءً ببذل المال والنفس رخيصة في سبيل الله.

- وفيه أنّنا إذا لقينا الكفار ينبغي لنا أن نسعى لقتِلهم وإراحة الدنيا من شرِّهم، وأنَّ ضربَ الرقابِ ونحرَها وكسر الرؤوس وتهشيمَها مِن أقصر الطرق وأمكنِها لذلك، وهو توجيه الله لنا.

---

[1] (ج٦/ص٣١٥).

[2] إطلاق نسبة هذا الحديث إلى النبي ﷺ لا تصح، فقد أخرجه ابن أبي شيبة (برقم ٣٣١٤٥) من رواية القاسم بن عبد الرحمن المسعودي الكوفي عن النبي ﷺ، والقاسم هذا من الطبقة الرابعة ولم يلقَ من الصحابة غير جابر بن سمرة كما قال ابن المديني، فروايته هذه مرسلة بل معضلة، والله أعلم.

[3] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج١٤/ص٢٠٥).

فصل الملائكة تقاتل يوم بدر

في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: "هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ".

و(الْحَدِيث هُوَ مِنْ مَرَاسِيل الصَّحَابَة، وَلَعَلَّ ابْنَ عَبَّاس حَمَلَهُ عَنْ أَبِي بَكْر، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق أَنَّ النَّبِيّ ﷺ فِي يَوْم بَدْر خَفَقَ خَفْقَة ثُمَّ انْتَبَهَ فَقَالَ: "أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْر، أَتَاك نَصْر اللَّه، هَذَا جِبْرِيل آخِذ بِعِنَانِ فَرَسه يَقُودهُ عَلَى ثَنَايَاهُ الْغُبَار". وَوَقَعَتْ فِي بَعْض الْمَرَاسِيل تَتِمَّة لِهَذَا الْحَدِيث مُقَيَّدَة، وَهِيَ مَا أَخْرَجَ سَعِيد بْن مَنْصُور مِنْ مُرْسَل عَطِيَّة بْن قَيْس: أَنَّ جِبْرِيل أَتَى النَّبِيّ ﷺ بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ بَدْر عَلَى فَرَس حَمْرَاء مَعْقُودَة النَّاصِيَة قَدْ تَخَضَّبَ الْغُبَار بِثَنِيَّتِهِ عَلَيْهِ دِرْعه، وَقَالَ: «يَا مُحَمَّد إِنَّ اللَّه بَعَثَنِي إِلَيْك وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أُفَارِقك حَتَّى تَرْضَى، أَفَرَضِيت؟» قَالَ: "نَعَمْ")[1].

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ")[2].

وروى الإمام مالك بسند صحيح لكنَّه مرسل؛ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ"، قِيلَ: وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ".

---

[1] فتح الباري (ج٧/ص٣٩٧).
[2] رواه مسلم (١٧٦٣).

عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: (قِيلَ -أي قال النبي ﷺ كما في رواية الحاكم- لِعَلِيٍّ وَلِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ؛ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ، أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ)[١].

وعن علي بن أبي طالب قال: (كنت على قليب يوم بدر، فكنت يوم بدر أميح وأمتح منه -متح الدلو يمتحها إذا جذبها مستقيا لها، وماحها يميحها إذ ملأها- فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة شديدة؛ فلم أرَ ريحاً أشدّ منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة؛ فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي ﷺ، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة، وكان أبو بكر عن يمينه وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فلما استويت عليه حمل بي فصرت على عنقه، فدعوت الله فثبّتني عليه، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطي)[٢].

وفي رواية عند الواقدي في المغازي: (وَمَا لِي وَلِلْخَيْلِ، وَإِنّمَا كُنْت صَاحِبَ غَنَمٍ، فَلَمّا اسْتَوَيْت طَعَنْت بِيَدِي هَذِهِ حَتّى اخْتَضَبَتْ مِنّي ذَا؛ يَعْنِي إبِطَهُ)[٣].

وأخرج الحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل، والطبراني في الكبير عن سهل بن حنيف قال: (لقد رأيتُنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه).

عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ؛ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا؛ قَالَ: (إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي)[٤].

---

[١] رواه الإمام أحمد (ج١/ص١٤٧) والحاكم (ج٣/ص٦٨) وغيرهما، إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٢] قال الهيثمي في الزوائد (ج٦/ص٧٧): (رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات)، أخرجه أبو يعلى (برقم ٤٨٩) من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن علي، وهذا سند ضعيف من أجل موسى وشيخه أبي الحويرث، فكلاهما سيئا الحفظ، فضلاً عن أن فيه شبهة انقطاع فلم يُعرف سماع محمد بن جبير من علي، والله أعلم.

[٣] (ص٥٧).

[٤] رواه الإمام أحمد (ج٥/ص٤٥٠)، وإسناده صحيح.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن عبد الرحمن بن عوف قال: (رأيت يوم بدر رجلين؛ عن يمين النبي ﷺ أحدهما وعن يساره أحدهما؛ يقاتلان أشدّ القتال، ثم ثلثهما ثالث من خلفه، ثم ربعهما رابع أمامه)[١].

وهذه آية عظيمة كذلك، وعن جبير بن مطعم قال: (رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون؛ مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى وقع على الأرض، فنظرت فإذا مثل النمل السود مبثوث حتى امتلأ الوادي، فلم أشكّ أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم)[٢].

و(البجاد: الكساء المخطّط؛ سُمِّيَ بذلك لتَدَاخُل ألوانه، من قولهم هو علم ببُجدة أمره أي بدِخْلَتِه. والأسود من البُجُد هو المنسوج على خطوط سود يُفَصِّلُ بينها بيضٌ دِقاق)[٣].

وكان ذلك يوم بدر لا يوم حنين كما زعم الزمخشري؛ فعن حكيم بن حزام قال: (لقد رأيتُنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، وإذا الوادي يسيل نملاً، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أُيِّد به محمد ﷺ، فما كانت إلا الهزيمة، وهي الملائكة)[٤].

وفي حكمة قتال الملائكة مع النبي ﷺ

سُئل السبكي عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ، مع أن جبريل قادرٌ على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فأجاب: بأن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ

---

[١] (ج٣٥/ص٢٥٦).

[٢] أخرج ابن راهويه كما في المطالب العالية (٤٣٦٣) والبيهقي في الدلائل (٩١٩)، وأبو نعيم كما في الدر المنثور (ج٤/ص ١٦٢)، بسند حسن كما قال السيوطي في الخصائص الكبرى، وهو من رواية ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن جبير بن مطعم –وأنظر (سيرة ابن هشام) (ج٤/ص٩١)– وقال الحافظ في المطالب (٤٣٦٣): (هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمع من جبير) لكنه أورده هناك في (السيرة) في غزوة حنين، وهو كذلك عند الطبري (ج٢/ص١٦٩)، والطبراني في الأوسط (٢٥٧١)، والبيهقي في الدلائل (١٩٠٥)، وكذلك أورده ابن كثير في تفسيره (ج٢/ص٣٤٥) وفي البداية والنهاية أيضاً (ج٤/ص ٣٣٤) وغيرهم، والظاهر أن ذلك حاصل في كلا الغزوتين، والله أعلم.

[٣] الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ج١/ص٧٩).

[٤] رواه البيهقي في الدلائل (٩١٨).

وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله في عباده، والله سبحانه هو فاعل الجميع، نقله الحافظ في فتح الباري[١].

فصل سيما الملائكة: أي علاماتهم يوم الفرقان يوم بدر

قال الله تعالى: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}[آل عمران:١٢٥].

قال أبو جعفر الطبري: (واختلف القَرَأَة في قراءة قوله: {مسوّمين}؛ فقرأ ذلك عامة قرَأَة أهل المدينة والكوفة: {مُسَوَّمِينَ} بفتح الواو، بمعنى أن الله سوَّمها. وقرأ ذلك بعض قرَأَة أهل الكوفة والبصرة: {مُسَوِّمِينَ} بكسر الواو، بمعنى أن الملائكة سوَّمتْ لنفسها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو، لتظاهُرِ الأخبار عن أصحاب رسول الله ﷺ فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم؛ بأن الملائكة هي التي سوَّمت أنفسها)[٢].

وعن معنى التسويم (قال ابن قتيبة: ومعنى {مسوّمين} معلّمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء مأخوذ، والسومة: العلامة التي يعلّم بها الفارس نفسه)[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (أي: معلّمين بالسِّيما)[٤].

روى ابن جرير عن ابن عباس: (قوله: {بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}، فإنهم أتوا محمدًا ﷺ مسوِّمين بالصوف، فسوَّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف)[٥].

---

[١] (ج/٧ص/٣٩٧-٣٩٨).
[٢] (ج/٧ص/١٨٤-١٨٥).
[٣] زاد المسير (ج/١ص/٤٠٩).
[٤] (ج/١ص/٤٠١).
[٥] (ج/٧ص/١٨٨).

وروى أيضاً: عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: إنَّ أولَ ما كان الصوف ليومئذ، يعني يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: "تسوَّموا، فإنّ الملائكة قد تسوَّمت". قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري: (فهذا الحديث كما ترى مرسل، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به)[1].

وإن اتَّفقوا على أن العلامة كانت من الصوف، إلّا أنَّهم اختلفوا في لون الصوف ومكانه، وهو اختلاف تنوع على الراجح لا تضادّ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره[2]: (وقال أبو إسحاق السَّبِيعي عن حارثة بن مُضَرِّب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان سِيْمَا الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، وكان سيماهم أيضا في نواصي خَيْلِهم. رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبو زُرْعة حدثنا هَدْبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية: {مُسَوِّمِينَ} قال: بِالْعِهْن الأحمر. وقال مجاهد: {مُسَوِّمِينَ} أي: مُحَذَّقة أعرافها، مُعَلَّمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل. وقال العَوْفِيّ عن ابن عباس قال: أتت الملائكة محمداً ﷺ مُسَوِّمين بالصوف، فسَوَّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف. وقال قتادة وعكرمة: {مُسَوِّمِينَ} أي: بسيما القتال.

وقال مكحول: {مُسَوِّمِينَ} بالعمائم. وروى ابن مَرْدَوَيْه من حديث عبد القدوس بن حَبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: {مُسَوِّمِينَ} قال: مُعَلَّمين. وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سودًا، ويوم حنين عمائم حُمْرًا. ورَوَى من حديث حُصَين بن مُخارق عن سعيد عن الحكم عن مِقْسَم عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وقال ابن إسحاق: حَدّثني مَنْ لا أتهم عن مِقْسَم عن ابن عباس قال: كان سيما الملائكة يوم بدر عَمَائِمَ بيضًا قد أرْسَلُوها في

[1] (ج/٧ص/١٨٦).
[2] (ج/١ص/٤٠١-٤٠٢).

ظهورهم، ويوم حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْرًا، ولم تضرب الملائكة في يومٍ سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدَدًا ومَدَدًا لا يَضْربون).

وقد اتفقوا على أنّ الملائكة كانت يوم بدر معمّمة، واختُلف في لون العمامة هل كانت بيضاء أم سوداء، وكلاهما نُقل عن ابن عباس، أم أنها كانت صفراء وهو أصحّها سنداً، لما روى ابن جرير موصولاً عن عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبي، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن وكيع؛ كلاهما قال: حدثنا هشام بن عروة عن عروة عن عبد الله بن الزبير: (أنّ الزبير كانت عليه مُلاءة صفراء يوم بدر، فاعتمّ بها، وعند وكيع: عمامة صفراء مُعْتَجِرًا بها؛ فنزلت الملائكة يوم بدر على نبيّ الله ﷺ معمَّمين بعمائم صفر)[١].

وقد ذهب ابن سعد -كما سيأتي- إلى أن هذا الاختلاف كان اختلاف تنوّع، ويبدو أن ذلك والله أعلم كان بحسب مكان وجودها في السماوات؛ فقد مضى في صحيح مسلم أن (حيزوم) كان من مدد السماء الثالثة، ولا يُعرف ذلك إلا بعلمٍ من الله تعالى، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يرى الملائكة يوم بدر كما قال شيخ الإسلام، وقد روي عن النبي ﷺ في حديث مرسل كما تقدم: (إنه رأى جبريل يزع الملائكة).

فقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (وكان سيماء الملائكة عمائم قد أخروها بين أكتافهم؛ خضر وصفر وحمر من نور، والصوف في نواصي خيلهم. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "إن الملائكة قد سومت فسوموا"، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم، وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق)[٢].

قال أبو جعفر الطبري: (فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: "تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت"، وقول أبي أسيد: «خرجت الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم»، وقول من قال منهم: «مسوِّمين» معلمين؛

---

[١] (ج٧/ص١٨٨).
[٢] (ج٢/ص١٦).

ينبئ جميعُ ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها، على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى)[١].

الفوائد

– فيه جوازُ بل استحبابُ أن يعلّم المجاهد الشجاعُ نفسه في القتال، وقد علّم أبو دجانة –رضي الله عنه– نفسه بعصابة حمراء يوم أحد ومشى بين الصفين فرحاً باختيار رسول الله ﷺ له مقاتلاً بسيفه ﷺ، كما في ترجمته من أسد الغابة[٢]، وانظر سيرة ابن هشام[٣].

– وفيه أنَّ كلَّ طائفةٍ من الجند وناحية من الجيش تجعل لأنفسها علامة وشعاراً يتميزون به عند القتال، وحتى لا يقتل بعضهم بعضاً عند اشتداد الأمر، كما حدث لليمان والد حذيفة رضي الله عنهما في غزوة أحد فيما أخرجه البخاري وغيره. ويحدث كثيراً في أيامنا هذه. وإن كانت العلامة من الصوف فحَسَن للتأسّي بفعل ملائكة الله الكرام، وأما لماذا من الصوف فذاك في علم الله، ونحن قوم متبعون مقتدون بالكرام المهتدين المسدَّدين.

فصل الشيطان يخيِّل لحزبه من المشركين نصرتَه ويعدهم ويمنيهم

قال الله تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:٤٨].

وفي كيفية استدراج عدو الله لحزبه من المشركين وبما زين لهم القتال قولان:

---

[١] (ج٧/ص١٨٩)

[٢] (ج١/ص١١٦٨).

[٣] (ج٣/ص٧١).

الأول: ما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال: (لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين، وألقى في قلوب المشركين: أنّ أحدًا لن يغلبكم، وإني جار لكم، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة؛ نكص على عقبيه)[١]. وقال ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: (يقول الله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ}، ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيّد الله بهم رسوله ﷺ والمؤمنين على عدوهم {نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ}، وصدق عدوّ الله، رأى ما لم يروا، وقال: {إِنِّي أَخافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقابِ}، فذُكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه، فأوردهم ثم أسلمهم)[٢].

والثاني: ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله: (حسَّن لهم –لعنه الله– ما جاؤوا له وما همّوا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتَوا في ديارهم من عدوهم بني بكر، فقال: إني جار لكم، وذلك أنه تبدّى لهم في صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم، سيد بني مُدْلِج، كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا}[النساء: ١٢٠])[٣].

روى ابن جرير عن ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: (لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر يعني من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: «أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم بشيء] تكرهونه»، فخرجوا سراعاً)[٤].

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره مثله عن عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: ({وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ}، يَذْكُرُ

---

[١] (ج١٣/ص٩).
[٢] (ج٢/ص٣١٩).
[٣] (ج٢/ص٣١٧).
[٤] (ج١٣/ص٨).

اسْتِدْرَاجَ إِبْلِيسَ إِيَّاهُمْ، وَتَشَبُّهُهُ بِسُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ، حِينَ ذَكَرُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ابْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ مِنَ الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ)[1].

والجمع بين الرواتين أصحّ؛ فقد جاء بشياطين في صورة رجال من بني مدلج وجاء هو في صورة سيدهم سراقة، وهو ما رواه ابن جرير رحمه الله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (جَاءَ إِبْلِيسُ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينَ، وَمَعَهُ رَايَةٌ فِي صُوَرِ رِجَالٍ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: {لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ}، وَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَآهُ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، انْتَزَعَ إِبْلِيسُ يَدَهُ وَوَلَّى مُدْبِرًا وَشِيعَتُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سُرَاقَةُ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ؟ فَقَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» وذلك حين رأى الملائكة)[2].

قال ابن الجوزي في زاد المسير: (وفي المراد بأعمالهم ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: شركهم، والثاني: مسيرهم إلى بدر، والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ. قوله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ} أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى. وفي المراد بالفئتين قولان: أحدهما: فئة المسلمين وفئة المشركين، وهو قول الجمهور، والثاني: فئة المسلمين وفئة الملائكة، ذكره الماوردي)[3].

ولقد فرّ الشيطان كما قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (لأن الشيطان لا يملك له نصرًا من الله إذا عاقبه على معصيته إياه في خلافه أمره، بل يخذُله عند حاجته إليه. وإنما حاله معه ما دام حيًّا ممهلاً بالعقوبة، كما وصفه الله جل ثناؤه بقوله: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [آل عمران: ١٢٠]، يعني بذلك جل ثناؤه: يعد الشيطان المرِيد أولياءه الذين هم نصيبُه المفروض؛ أن يكون لهم نصيرًا ممن أرادهم بسوء، وظهيرًا لهم عليه، يمنعهم منه ويدافع عنهم، ويمنّيهم الظفر على من حاول مكروههم

---

[1] (ج٧/ص١١٤).
[2] (ج١٣/ص٧).
[3] (ج٣/ص١٢٠).

والفَلَج عليهم. ثم قال: {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}، يقول: وما يعد الشيطان أولياءَه الذين اتخذوه وليًّا من دون الله {إِلَّا غُرُورًا} يعني: إلا باطلاً. وإنما جعل عِدَته إياهم جل ثناؤه ما وعدهم {غرورًا}، لأنهم كانوا يحسبون أنهم في اتخاذهم إياه وليًّا على حقيقةٍ من عِدَاته الكذب وأمانيه الباطلة، حتى إذا حصحص الحق وصاروا إلى الحاجة إليه، قال لهم عدوّ الله: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ} [إبراهيم: ٢٢])[1].

الفوائد

- فيه أنَّ الشيطان قد يُرى على الحقيقة في صورة الأنس، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع: (وقد يرى الشياطينَ والجنَّ كثيرٌ من الإنس، لكن لهم من الاجتنان والاستتار ما ليس للإنس، وقد قال تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ}[الأنفال:٤٨]، وفي التفسير والسيرة: أن الشيطان جاءهم في صورة بعض الناس، وكذلك قوله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[الحشر:١٦])[2].

- وفيه أنَّ الشياطين ترى الملائكةَ وتصاب ذعراً عند رؤيتها، قال الله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ العِقَابِ} [الأنفال: ٤٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع: (والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيّد بها عبادَه هربت منهم، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته، قال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ

[1] (ج٩/ص٢٢٤-٢٢٥).
[2] (ج١٧/ص٥١٠).

آمَنُواْ}[الأنفال:١٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا}[الأحزاب:٩])[1].

– وفيه أنَّ الشياطين لا تقاتل المسلمين، ولا تنصر الكافرين على الحقيقة إلَّا بما تسحر أعينَهم من أوهام وخيالات لا تقوم على ساقٍ إذا قامت الحرب على ساقها والتقى الصفان وبدأ النزال ورأى عدو الله المعيَّة الإلهية والنصرةَ الربانية، حينئذ يفرّ مذعوراً.

وأذكر أننا أخذنا رأساً من رؤوس الكفر من الرافضة وعندما كنا نحقّق معه كان يذكر أنَّ معه من يعينُه وأنَّه معه الآن وسوف يبيدنا، فلما أخذنا قرارَ قتلِه انهار فجأة وبدأ يبول كما يبول الحمار على نفسه وأخذ ينادي صاحبه: لا تتركني، تعال، ثم قال لنا: راحَ، تركني وراح، وبدأ يقبّل الأيادي رجاء تركه.

وهكذا الحال مع ساحر ادّعى النبوة وأنَّه يوحى إليه، وكان عنده قرآن من الشيطان، به آياتٌ شيطانية، فاستعنا بالله عليه وكان ينادي شيطانه ويقول: هذا هريائيل معي، وهو ملك من الملائكة، فلما أحضرناه إلى مَضافة الموحدين هرب من على الباب وأخذ يناديه، وأقسمنا له أنَّ كل شياطين الأرض لا تستطيع دخول هذا المكان، ولو ظهرت لقيّدناها إلى جنبك، فانهار ونحرناه والحمد لله، وهدى الله الكثير ممن كان يغترّ بضلاله.

فصل الله يغري كِلا الطرفين بصاحبه قبل القتال ليقضي سبحانه أمراً كان مفعولاً

قال الله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[الأنفال:٤٣– ٤٤].

[1] (ج١١/ص٢٣٨).

أخرج البيهقي في الدلائل من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب: (أنَّ النبي ﷺ اضطجع -أي يوم بدر- وقال لأصحابه: "لا تقاتلوا حتى أؤذنكم"، وغشيه نوم فغلبه، فلما نظر بعض القوم إلى بعض، جعل أبو بكر يقول: يا رسول الله قد دنا القوم ونالوا منا، فاستيقظ رسول الله ﷺ وقد أراه الله تعالى إياهم في منامه قليلاً، وقلل المسلمين في أعين المشركين، حتى طمع بعض القوم في بعض، ولو أراه عدداً كثيراً لفشلوا ولتنازعوا في الأمر كما قال الله عز وجل).

قال ابن الجوزي في زاد المسير: (قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً} فيه قولان: أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلَّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: لما أخبر أصحابهَ بأنَّه رآهم في المنام قليلاً كان ذلك تثبيتاً لهم. قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليم بما يضمرونه إذ حدثتَهم بما رأيت في منامك. الثاني: إذ يريكَهم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن. قال الزجّاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي: بعينك؛ ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه. قوله تعالى: {لَفَشِلْتُمْ} أي: لجبنتم وتأخّرتم عن حربهم، وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولرأوا ذلك في وجهك. قوله تعالى: {وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم. {وَلكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} من المخالفة والفشل)[١].

وعن القول الثاني في معنى الرؤيا قال الحافظ ابن كثير: (وهذا القول غريب، وقد صرّح بالمنام ها هنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه)[٢].

والأول هو الذي عليه أئمة التفسير؛ قال أبو جعفر الطبري: (يقول تعالى ذكره: وإن الله يا محمد سميعٌ لما يقولُ أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ يريك الله عدوَّك وعدوَّهم، {فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً}، يقولُ: يريكهم في نومك قليلاً فتخبرهم بذلك حتى قويت

[١] (ج٣/ص١١٦).
[٢] (ج٢/ص٣١٥).

قلوبهم وَاجْتَرَءُوا على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوَّك وعدوهم كثيرًا لفشل أصحابك، فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلّمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنَّه عليم بما تُجنُّه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب)[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وقوله: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً} وهذا أيضًا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلاً في رأي العين، فيجرِّئهم عليهم، ويطمعهم فيهم. قال أبو إسحاق السَّبِيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قُلِّلُوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ قال: لا بل [هم] مئة، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه، قال: كنّا ألفاً، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقوله: {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} قال ابن أبي حاتم: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الخرِّيت عن عكرمة: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} قال: حضض بعضهم على بعض، إسناد صحيح. وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، في قوله تعالى: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} أي: ليلقي بينهم الحرب، للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته. ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلًّا من الفريقين بالآخر، وقلَّله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال وأيّد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ}[آل عمران:١٣]، وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلاّ منهما حق وصدق، ولله الحمد والمنة)[٢].

---

[١] (ج١٣/ص٥٦٩-٥٧٠).

[٢] (ج٢/ص٣١٥).

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره: ({وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} اختلفتم، {وَلكِنَّ اللهَ سَلَّمَ} أي: سلّمكم من المخالفة. ابن عباس: من الفشل، ويحتمل منهما. وقيل: سلّم أي أتمّ أمر المسلمين بالظفر)[1].

قال أبو جعفر الطبري: (وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس؛ وهو أن الله سلّم القومَ بما أرى نبيه ﷺ في منامه من الفشل والتنازع، حتى قويت قلوبهم، وَاجْتَرَءُوا على حرب عدوهم. وذلك أن قوله: {وَلكِنَّ اللهَ سَلَّمَ} عَقِيب قوله: {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ}، فالذي هو أولى بالخبر عنه؛ أنه سلّمهم منه جل ثناؤه ما كان مخوفًا منه لو لم يُرِ نبيه ﷺ من قلّة القوم في منامه)[2].

الفوائد

– فيه أهمية التَّقليل من شأن العدو عند اللقاء، أي عند بدء القتال، وأما قبلَه فلا يُستحسن للأمير والمسؤولين، حتى نأخذَ للأمر أهبتَه ونُحسنَ الإعداد، فقد حرص رسول الله ﷺ على معرفة عدد جيش المشركين ورؤوسهم وفرسانهم، وعلى الجملة حرص على معرفة عددهم وعدّتهم.

وأما عند القتال وفي جهاد الدَّفع عن الدين والعرض فلابد من احتقار قوة العدو وتصغيرها وتهوين أمرها، فإنَّ هذا بنصّ كتاب الله يجرِّئ الموحِّد على عدوه ويقوّي عزيمته ويضاعف من رغبته في النصر، وبالمقابل فيه أهمية إخراس كلَّ ناعق يُعظِّم شأنَ عدونا؛ سلاحِه وجنودِه، وضرورةُ الانتباه لخطرِ ضعفاء النفوس المنهزمين عقدياً ونفسياً وحتى أخلاقياً، فإنَّه ليس من الدين ولا الخُلُق أنه إذا التقى الصفان خرج من يرجف بنا، قال الله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}[التوبة:٤٧]، أي سريع في إلقاء قنابل

---
[1] (ج٨/ص٢٢).
[2] (ج١٣/ص٥٧١-٥٧٢).

الفتن والإرجاف بين الصفوف المؤمنة إذا جدّ الجَدّ. قال ابن زيد: (يقولون: قد جُمع لكم وفُعِل وفُعِل، يخذِّلونكم)[١].

قال أبو جعفر الطبري: {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}، يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم، بتثبيطهم إياكم عنه)[٢].

ومع أنَّ خطر هؤلاء شديدٌ جداً على الصف، لكنَّ مكمنَ الخطر الحقيقي فيمن يستمع إليهم من بسطاء أهل الحق، الذين لا يعلمون حقيقتَهم ولا سوءَ طويَّتِهم، قال الحافظ ابن كثير: ({وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شرّ بين المؤمنين وفساد كبير)[٣].

ولذا يجب على القائدِ منعُ أصحاب الفتن والأهواء المخذّلين من بثّ سمومهم، ومنعُ الناس من الاستماع إليهم.

- وفيه أهمية الدِّعاية في تحديد مسار القتال وأثرُها في معنويات الجند؛ إيجاباً وسلباً، وأهميةُ الإعلامِ الصادقِ المحرض والمقوّي لعزائم الأمة، والمقلّل من خطر العدو، المهوّن مِن شأنه.

يقول صاحب (أضواء البيان) في أهمية الدعاية الحسنة: (وما أجراه الله في غزوة بدر من هذا القبيل أكبر دليل عملي، إذ يقلّل كل فريق في أعين الآخرين، كما قال تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمر ولكن الله سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التقيتم فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور}[الأنفال:٤٣-٤٤]، وهذا كله مما ينبغي الاستفادة منه اليوم على العدو في قضية الإسلام والمسلمين)[٤].

---

[١] تفسير الطبري (ج١٤/ص٢٨٠).
[٢] (ج١٤/ص٢٧٩).
[٣] (ج٢/ص٣٦١).
[٤] (ج٨/ص١٨١).

- وفيه أهمية الرؤية الحسنة المبشّرة، وأنَّه مِن المستحب إشاعتُها بين الجنود وحملُها على كل وجوه الخير؛ فعن أبي قتادة رضي الله عنه كما في الحديث المتفق عليه[٢]، قال: قال رسول الله ﷺ: "الرؤيا الصالحة من الله، والحُلم من الشيطان؛ فإذا رأى أحدُكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإنا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوّذ من شر الشيطان، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره".

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في كتابه بهجة قلوب الأبرار: (وما كان من النبوة فهو لا يكذب، فانظر إلى رؤيا النبي ﷺ في قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} كم حصل بها من منافع واندفع من مضارّ) إلى قوله: (ومرائي الأنبياء والأولياء والصالحين، بل وعموم المؤمنين وغيرهم؛ معروفة مشهورة، لا يُحصى ما اشتملت عليه من المنافع المهمة والثمرات الطيبة، وهي من جملة نِعَم الله على عباده، ومن بشارات المؤمنين وتنبيهات الغافلين وتذكيره للمعرضين وإقامة الحجة على المعاندين)[٣].

- وفيه أنَّ تقليلَ العدوِّ في أعين المجاهدين ممَّا ينصر الله به أهلَ الحق الموحدين؛ من الأمور الثابتة لهذه الأمة وليست خاصة بأهل بدر، إذ لا مخصّص له، وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لقد قُلِّلُوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ قال: لا بل هم مئة)[٤].

ولقد منّ الله علينا بهذا الفضل والجود في مواطنَ كثيرة، أشهرها ببدرِ الرافدين في الفلوجة الأولى، ولقد كنّا بالجولان أخطر الجبهات وأشدّها شراسةً وسخونةً فوالله الذي لا إله إلا هو كانوا يهجمون علينا فنرى دبابتين أو ثلاثًا، وأما الجنود فكنّا نعدّهم مئتين أو ثلاثمئة، وكنا نحن في خطّ القتال لا نزيد عن الخمسين، وبعد انتهاء المعركة فوجئنا أن حجم القوات على خطِّ الجولان وحدها كان نحوَ سبعةِ آلاف مع المئات مِن المدرعات

[٢] البخاري (٣١١٨)، ومسلم (٢٢٦١) واللفظ له.
[٣] (ص ١١٥).
[٤] تفسير ابن كثير (ج٢/ص٣١٥).

والمئات مِن الدبابات، ناهيك عن المدفعية والطيران الحربي والقاصفة، وأما السمتي فقد قطعنا دابَره بعون الله.

- وفيه أنَّه ليس شيء أرجى لنجاح العمل بعد تقوى الله من الوحدة والجماعة؛ فإنَّ الله جعل عدم التنازعِ سبباً من أسبابِه التي هيَّأها للنصر على الأعداء وامتنّ بها على عباده، فحريّ بمن جعلهم الله في قيادة الجموع المسلمة أن يكونَ هذا من أكبرِ هِمّهم، فلا نصرَ على الحقيقة بدونِ لحمة الموحدين ووحدتِهم تحت رايةٍ واحدةٍ وأميرٍ واحد.

فصل النبي ﷺ يحدّد أماكن قتلى المشركين قبل المعركة

ففي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: "هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

وعن أنس رضي الله عنه كما في صحيح مسلم أيضاً، قَالَ: (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ"، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَا هُنَا هَا هُنَا، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: (هَذَا مِنْ مُعْجِزَاته ﷺ الظَّاهِرَة)[1]، وهي كذلك ولا شكّ آية عظيمة وعلامة من علامات النبوة، تجعل قلوب الموحدين أكثر يقيناً وتعلّقاً بالله ومحبةً لرسوله ﷺ، تثبّت القلقين الخائفين، وتجعلهم على ثقة عظيمة بوعد الله وقول رسول الله ﷺ، فتستريح القلوب وتطمئن النفوس، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

[1] (ج١٧/ص٢٠٦).

فصل فرض الله ألا يفرّ مسلم من عشرة يوم بدر

ففي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ...} [الأنفال: ٦٥]، فَكُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ)، فَقَالَ سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ: (أَنْ لَا يَفِرَّ عِشْرُونَ مِنْ مِئَتَيْنِ)، ثُمَّ نَزَلَتْ: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ...} الْآيَةَ، فَكَتَبَ أَنْ لَا يَفِرَّ مِئَةٌ مِنْ مِئَتَيْنِ، زَادَ سُفْيَانُ مَرَّةً: (نَزَلَتْ: {حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ}. قَالَ سُفْيَانُ: وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: وَأُرَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِثْلَ هَذَا).

قال الحافظ في الفتح: (أَيْ أَنَّهُ عِنْدَهُ فِي حُكْمِ الْجِهَادِ، لِجَامِعِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِخْمَادِ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ)[1].

وعن ابن عباس قال: (افترض عليهم أن يقاتل كلُّ رجل منهم عشرة، فثقل ذلك عليهم وشقّ عليهم، فوضع عنهم إلى أنَّ يقاتل الرجل الرجلين، فأنزل الله في ذلك: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ...} إلى آخر الآيات، ثم قال: {لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٦٨] يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه، ثم قال: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرى} [الأنفال: ٧٠] فقال العباس: فيّ والله نزلت؛ حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وُجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر بمال في يده مع ما أرجو من مغفرة الله جل ذكره)[2].

وسياق الحديث واضح أن ذلك كان يوم بدر، كما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (كان قد جعل على أصحاب محمد يوم بدر على كل رجل منهم قتال عشرة من

---

[1] (ج٨/ص٣٩٧).

[2] أخرجه الطبراني في الأوسط (٨١٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٧/ص٢٨): (قلت: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع).

الكفار، فضجّوا من ذلك فجعل على كل رجل قتال رجلين، فنزل التخفيف من الله عز وجل فقال: {الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ})[1].

والظاهر أنَّ التخفيف الرباني وقع بعد بدر لأسباب: قال الجصّاص في أحكام القرآن: (كَانَ اللَّهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى الْعِشْرِينَ أَنْ لَا يَفِرُّوا مِنْ مِئَتَيْنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} لِأَنَّهُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُخْلِصِينَ لِنِيَّةِ الْجِهَادِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَكَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَمِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا رَجَّالَةً قَلِيلِي الْعُدَّةِ وَالسِّلَاحِ وَعَدُوُّهُمْ أَلْفُ فُرْسَانٌ وَرَجَّالَةٌ بِالسِّلَاحِ الشَّاكِّ، فَمَنَحَهُمُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى قَتَلُوا كَيْفَ شَاءُوا وَأَسَرُوا كَيْفَ شَاءُوا. ثُمَّ لَمَّا خَالَطَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ بَصَائِرِهِمْ وَخُلُوصُ ضَمَائِرِهِمْ خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْجَمِيعِ فَقَالَ: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [الأنفال: ٦٦]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ضَعْفَ قُوَى الْأَبْدَانِ وَلَا عَدَمَ السِّلَاحِ؛ لِأَنَّ قُوَى أَبْدَانِهِمْ كَانَتْ بَاقِيَةً وَعَدَدُهُمْ أَكْثَرُ وَسِلَاحُهُمْ أَوْفَرُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ خَالَطَهُمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ الْبَصِيرَةِ مِثْلُ مَا لِلْأَوَّلِينَ؛ فَالْمُرَادُ بِالضَّعْفِ هَا هُنَا ضَعْفُ النِّيَّةِ، وَأَجْرَى الْجَمِيعَ مَجْرًى وَاحِدًا فِي التَّخْفِيفِ، إذْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ تَمْيِيزُ ذَوِي الْبَصَائِرِ مِنْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ ضَعْفِ الْيَقِينِ وَقِلَّةِ الْبَصِيرَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْمِ الْيَمَامَةِ حِينَ انْهَزَمَ النَّاسُ: «أَخْلِصُونَا أَخْلِصُونَا» يَعْنُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ)[2].

الفوائد

- في الباب استحبابُ مصابرة العدد القليل للعدو الكثير، ولو بلغوا عشرة أضعافهم خاصة عند جهادِ الدَّفع عن الدين والنفس والعرض، وأنَّ نسخ الحكم في وجوب مصابرة الواحد للعشرة لا يعني أنَّه لا يجوز المصابرة، بل يُستحب؛ إذا كان أمرُ الدين والعرض في خطر، ولا يبعد وجوبُ المصابرة كوجوبه يوم بدر إذا تشابهت الظروف

[1] نواسخ القرآن لابن الجوزي (ج/١ص ١٦٩).
[2] (ج/٢ص/٣٢٧).

ولزم صيانة الدين وخُشِي من عدوّه الكرّة على الإسلام والمسلمين، وقد ذم الله المنهزمين يومَ أُحُد وكان المشركون ثلاثة أضعافهم، أي أكثرَ من الضعفين، وكان النفاق صفة من تخلّف عن الدفاع عن المدينة يوم الخندق وكانوا أضعاف أضعافهم، مع أنَّ آية نسخ وجوب المصابرة نزلت بعد بدر، فعُلم منه أنَّه يجب المصابرةُ إذا خُشي على الدين كما في أحد أو كان جهاد دفع كما في الخندق.

قال ابن مفلح في الفروع: (وَقَالَ شَيْخُنَا: جِهَادُ الدَّافِعِ لِلْكُفَّارِ يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَيَحْرُمُ فِيهِ الْفِرَارُ مِنْ مِثْلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ جِهَادُ ضَرُورَةٍ لَا اخْتِيَارٍ، وَثَبَتُوا يَوْمَ أُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ وُجُوبًا، وَكَذَا لَمَّا قَدِمَ التَّتَرُ دِمَشْقَ)[1].

- وفيه حرمة الفرار من الزحف من مثلي العدد في جهاد الطلب، ففي الحديث المتفق عليه[2] عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ).

جاء في المنتقى شرح الموطأ: («مَسْأَلَةٌ».. إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْمَعْنَى الْمُرَاعَى فِي جَوَازِ الْفِرَارِ عَنِ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ؛ فَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا -أي المالكية- الْعَدَدُ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ، وَرَوَى ابْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: الْجَلَدُ وَهُوَ السِّلَاحُ وَالْقُوَّةُ، وَجْهُ قَوْلِ ابْنِ الْقَاسِمِ قوله تعالى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} الْآيَةُ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ})[3].

---

[1] (ج١١/ص٣٧٦).

[2] البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩).

[3] (ج٣/ص٢٩).

وقال الحافظ في الفتح على حديث ابن عباس موضوع الباب: (وَاسْتُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيث عَلَى وُجُوب ثَبَات الْوَاحِد الْمُسْلِم إِذَا قَاوَمَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْكُفَّار وَتَحْرِيم الْفِرَار عَلَيْهِ مِنْهُمَا، سَوَاء طَلَبُهُ أَوْ طَلَبُهُمَا، سَوَاء وَقَعَ ذَلِكَ وَهُوَ وَاقِف فِي الصَّفّ مَعَ الْعَسْكَر أَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَسْكَر، وَهَذَا هُوَ ظَاهِر تَفْسِير ابْن عَبَّاس، وَرَجَّحَهُ ابْن الصَّبَّاغ مِنْ الشَّافِعِيَّة، وَهُوَ الْمُعْتَمَد)[1].

وذهب الحنفية إلى اعتبار العدة كما هو رأي الإمام مالك، ولكن هذا عندهم فيما دون الاثني عشر ألفاً، فإن هذا العدد يجب عنده الثبات مهما بلغت قوة عدّة العدو، فقال الشيباني في السير الكبير عن الفرار: (وهذا إذا كان بهم قوة القتال بأن كانت معهم الأسلحة، فأما من لا سلاح له فلا بأس بأن يفرّ ممن معه السلاح، وكذلك لا بأس بأن يفرّ ممن يرمي إذا لم يكن معه آلة الرمي، ألا ترى أن له أن يفرّ من باب الحصن ومن الموضع الذي يرمى فيه بالمنجنيق لعجزه عن المقام في ذلك الموضع؟ وعلى هذا لا بأس بأن يفرّ الواحد من الثلاثة، إلا أن يكون المسلمون اثني عشر ألفاً كلمتهم واحدة فحينئذ لا يجوز لهم أن يفرّوا من العدو وإن كثروا، لأن النبي ﷺ قال: "لن يغلب اثنا عشر ألفاً عن قلة"، ومن كان غالباً فليس له أن يفرّ)[2].

ولكن حرّض الشارع ورغّب في الصبر عند لقاء العدو مهما كانت عُدّته وعدده، وذكر رسولُ الله ﷺ أنَّ هذا مما يعجب منه الرب ويحبه.

روى أبو داود، وأحمد، والحافظ أبو يعلى، وابن حبان، وابن أبي شيبة؛ كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ؛ يَعْنِي أَصْحَابَهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ"[3].

---

[1] (ج٨/ص٣٩٨-٣٩٩).

[2] (ص ١٢٤).

[3] إسناده قوي.

وروى الترمذي[1]؛ عن زيد بن ظبيان عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤوسَهُمْ فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ الشَّيْخُ الزَّانِي وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ"[2].

وروى الحاكم عن أنس رضي الله عنه: (أن رجلاً أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود منتن الريح قبيح الوجه لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا؟ قال: "في الجنة"، فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: "قد بيّض الله وجهك وطيّب ريحك وأكثر مالك"، وقال لهذا أو لغيره: "لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته")[3].

قال الشيباني في السير الكبير: (ولا بأس بالصبر أيضاً بخلاف ما يقوله بعض الناس إنه إلقاء النفس في التهلكة، بل في هذا تحقيق بذل النفس لابتغاء مرضاة الله تعالى، فقد فعله غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم؛ منهم عاصم بن ثابت حمي الدبر، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ بذلك، فعرفنا أنه لا بأس به، والله الموفق)[4].

فصل التعريف الرباني لأفعال النصرة عند لقاء الكفرة

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[الأنفال:٤٥-٤٦].

[1] تحفة الأحوذي (ج٣/ص٣٤٠)، والنسائي في الكبرى (ج٢/ص٤٤)، والإمام أحمد (ج٥/ص١٥٣).
[2] قال الترمذي: هذا حديث صحيح. وهذا الحديث وإن صحّحه الترمذي إلا أنه ضعيف بسبب زيد هذا، فلم يوثقه سوى ابن حبان، وهو معروف بالتساهل وتوثيق المجاهيل، فلذا لا يصحّ حديثه إلا لو تابعه أحد، وهو الأمر المعدوم هنا، والله أعلم.
[3] قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
[4] (ص ١٢٥).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرةَ في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعالَ التي يرُّجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم. ثم يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم، {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا}، يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم)[١].

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: (قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا}، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَنْبَأَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ثنا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: {وَلا تَنَازَعُوا...} الآيَةَ، يَقُولُ: لا تَخْتَلِفُوا فَتَجْبُنُوا وَيَذْهَبَ نَصْرُكُمْ. أَخْبَرَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ أَنْبَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}، قَالَ: الْفَشَلُ: الضَّعْفُ عَنْ جِهَادِ عَدُوِّهِ، وَالانْكِسَارُ لَهُمْ، ذَلِكَ الْفَشَلُ.

وبوب البخاري في (صحيحه): (بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}، قَالَ قَتَادَةُ: الرِّيحُ الْحَرْبُ)[٢].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (قوله تعالى: {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}، وروى أبان: {ويذهبْ} بالياء والجزم، وفيه أربعة أقوال: أحدها: تذهب شدَّتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال السدّي: حِدَّتكم وجدُّكم، وقال الزجّاج: صولتكم وقوتكم. والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد وقتادة. والثالث: تتقطَّع دولتكم، قاله أبو عبيدة، وقال ابن قتيبة: يقال: هبَّت له ريح النصر إذا كانت له الدولة، ويقال: له الريح اليوم، أي:

[١] (ج١٣/ص٥٧٤).
[٢] (ج٧/ص١٠٨).

الدولة. والرابع: أنها ريح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو، ومنه قوله عليه السلام: "نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبور"، وهذا قول ابن زيد ومقاتل)[1].

قال المهلب رحمه الله: (التنازعُ والخلاف هو سببُ الهلاك في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ الله تعالى قد عبَّر في كتابه بالخلاف الذي قضى به على عباده عن الهلاك في قوله: {وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} ثم قال: {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨-١١٩]، فقال قوم: خلقهم للخلاف. وقال آخرون: خلقهم ليكونوا: فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير من أجل اختلافهم. وهذا كثير في كتاب الله، وقد أخبر الله تعالى أنَّ مع الخلاف يكون الفشل والكسل، فيتمكن العدو من المخالفين؛ لأنَّهم كانوا كلهم مدافعين دفاعًا واحدًا، فصار بعضهم يدافع بعضًا، فتمكّن العدو)[2].

وقال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: (فذكر الله تعالى أربعةَ أسباب للطمأنينة.. الأولى: الثبات، وقد دلّ عليها قوله تعالى: {إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}[الصف:٤]. والثانية: ذكر الله كثيراً، وقد دلّ عليها قوله تعالى: {أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القلوب}[الرعد:٢٨]. والثالثة: طاعة الله ورسوله، ويدلّ لها قوله تعالى: {فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ}[محمد:٢٠-٢١]، والرابعة: عدمُ التنازعِ والاعتصامُ والأُلفة، ويدلّ عليها قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣]. ومن ذكرِ أسبابِ الهزيمة من رُعبِ القلوب، وأسبابِ النصر في السَّكينة والطمأنينة؛ تعلمُ مدى تأثير الدعايات في الآونة الأخيرة، وما سُمِّي بالحرب الباردة من كلامٍ وإرجافٍ مما ينبغي الحذرُ منه أشدّ الحذر، وقد حذّر الله تعالى منه في قوله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}[الأحزاب:١٨]، وقد حذّر

[1] (ج٣/ص١١٨).
[2] شرح الصحيح لابن بطال(ج٩/ص٢٥٥).

تعالى من السماع لهؤلاء في قوله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}[التوبة: ٤٧])[1].

ومن أسباب النصر: الإخلاصُ، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[الأنفال:٤٧].

ففي صحيح مسلم: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ؛ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ".

قال أبو جعفر الطبري في آية الإخلاص: (وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله؛ أن لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلبَ رئاء الناس. وذلك أنهم أُخبروا بفَوْت العِير رسولَ الله ﷺ وأصحابه، وقيل لهم: انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها، فأبوا وقالوا: نأتي بدرًا فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القِيان وتتحدث بنا العرب فيها، فَسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا)[2].

قال صاحب الظلال رحمه الله: (فهذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي...)[3].

---

[1] (ج٨/ص١٨٠).
[2] (ج١٣/ص٥٧٨).
[3] (ج٣/ص١٥٢٨).

وقال: (يبقى هذا التعليم ليحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطّرة طاغية تتعاجب بقوتها، وتستخدم نعمةَ القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها. والعصبةُ المؤمنة إنَّما تخرج للقتالِ في سبيل الله؛ تخرج لتقرير أُلوهيَّتِه سبحانه في حياة البشر، وتقريرِ عبوديَّةِ العبادِ لله وحدَه. وتخرج لتحطيم الطواغيت التي تغتصب حقَّ الله في تعبيد العباد له وحده، والتي تزاول الألوهية في الأرض بمزاولتها للحاكمية -بغير إذن الله وشرعه- وتخرج لإعلان تحريرِ «الإنسان» في «الأرض» مِن كلِّ عُبوديَّة لغير الله تستذل إنسانية الإنسان وكرامته. وتخرج لحماية حرمات الناس وكراماتهم وحرياتهم، لا للاستعلاء على الناس واستعبادِهم والتبطّرِ بنعمةِ القوة باستخدامها هذا الاستخدام المنكر. وتخرج متجردة من حظّ نفسها في المعركة جملةً، فلا يكون لها من النصر والغلب إلَّا تحقيق طاعة الله في تلبية أمره بالجهاد، وفي إقامة منهجِه في الحياة، وفي إعلاء كلمته في الأرض، وفي التماس فضله بعد ذلك ورضاه. حتى الغنائم التي تخلفها المعركة فهي من فضل الله)[1].

فصل التعليمات النبوية لكيفية القتال ببدر

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: "إِذَا أَكْثَبُوكُمْ -يَعْنِي كَثَرُوكُمْ- فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ"[2].

وفي رواية عنه عند أبي داود، وعبد الرزاق بسند ضعيف: "فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ".

قال الحافظ في الفتح: (وَقَدْ بَيَّنَتْهُ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُد حَيْثُ زَادَ فِي آخِرِهِ: "وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ"، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: "وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوف حَتَّى يَغْشَوْكُمْ"، فَظَهَرَ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيث الْأَمْرُ بِتَرْك الرَّمْي وَالْقِتَالِ حَتَّى يَقْرُبُوا، لِأَنَّهُمْ إِذَا رَمَوْهُمْ عَلَى بُعْدٍ قَدْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ وَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ، وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: "وَاسْتَبْقُوْا نَبْلَكُمْ"، وَعَرَّفَ بِقَوْلِهِ: "وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوف حَتَّى يَغْشَوْكُمْ" أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقُرْبِ الْمَطْلُوبِ فِي الرَّمْيِ قُرْبٌ نِسْبِيٌّ

[1] (ج٣/ص١٥٢٩).
[2] البخاري (٣٧٦٣).

بِحَيْثُ تَنَالُهُمُ السِّهَامِ لِأَقْرَبِ قَرِيبٍ، بِحَيْثُ يَلْتَحِمُونَ مَعَهُمْ. وَالنَّبْلُ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ جَمْعُ نَبْلَة، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى نِبَالٍ، وَهِيَ السِّهَامُ الْعَرَبِيَّةُ اللِّطَافِ)[١].

وقال أيضاً: (وَيُؤَيِّدهُ مَا وَقَعَ عِنْد ابْنِ إِسْحَاق أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ أَصْحَابه أَنْ لَا يَحْمِلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَأْمُرهُمْ، وَقَالَ: "إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَانْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ")[٢].

وفي صفة الصفوف قال الواقدي في مغازيه: (وَقَالَ خِفَافُ بْنُ إيمَاءٍ: فَرَأَيْت أَصْحَابَ النّبِيّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ تَصَافّ النّاسُ وَتَزَاحَفُوا، فَرَأَيْت أَصْحَابَ النّبِيّ ﷺ لَا يَسُلّونَ السّيُوفَ وَقَدْ أَنْبَضُوا الْقِسِيّ وَقَدْ تَرّسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِصُفُوفٍ مُتَقَارِبَةٍ لَا فُرَجَ بَيْنَهَا، وَالْآخَرُونَ قَدْ سَلّوا السّيُوفَ حِينَ طَلَعُوا، فَعَجِبْت مِنْ ذَلِكَ، فَسَأَلْت بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلّا نَسُلّ السّيُوفَ حَتّى يَغْشَوْنَا)[٣].

وهذا هو الأسلوب الذي اختارته القيادة النبوية في القتال؛ صفوف متراصّة يلي بعضهم بعضاً، وفي نفس الوقت يكون أعضاء الفريق في الصف الواحد متزاحمين، أي مقتربين جداً من بعضهم قرباً لا يخلّ بالقتال، ويشعرُهم أنهم كتلةٌ واحدة، يجرِّئ الشجاعُ فيهم الضعيفَ، ويلتحم الصفُّ مباشرة ليَسدّ ثغرةَ القتيل أو الجريح.

هذا فضلاً عن جعل كلِّ صف من أصحاب صنفٍ معيَّن من السلاح؛ فالرُّماة في المؤخرة، والتعليمات إليهم واضحة؛ السهمُ برأس لا مجالَ لإهدار العتاد، فقد تطول المعركة ولا مدد ولا صديق قريب، والصفوف الأمامية من الفرسان الراسخين المشهورين بالطعن والنزال والثبات، يتقدمهم حمَلة الرماحِ لكسر ثورة الفرسان، وإصابةِ خيولهم لحرمانهم من ميزة القتال عليها والمناورة بها، وقبل وصولهم إلى الرماح كان الرضخُ بالحجارة لإرباكِ الخصم وتشتيت صفوفه.

---

[١] (ج٦/ص١١٥).

[٢] (ج٧/ص٣٨٩).

[٣] (ص ٦٦).

وقد روي في ذلك حديث ضعيف؛ عن حسين بن السائب بن أبي لبابة قال: لما كان ليلة العقبة، أو ليلة البدر قال رسول الله ﷺ لمن معه: "كيف تقاتلون؟"، فقام عاصم بن ثابت بن الأقلح فأخذ القوس وأخذ النبل فقال: أي رسول الله، إذا كان القوم قريباً من مئتي ذراع أو نحو ذلك كان الرمي بالقسي، فإذا دنا القومُ حتى تنالَنا أو تنالَهم الحجارة كانت المراضخة بالحجارة، فإذا دنا القوم حتى تنالنا وتنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تتقصف، فإذا تقصفت وضعنا وأخذ السيف، فتقلّد واستل السيف، وكانت السلة والمجالدة بالسيوف، قال: فقال رسول الله ﷺ: "بهذا أنزلت الحرب، من قاتل فليقاتل قتال عاصم"[١].

فأُمروا بالصمود والثبات لكسر فورة حماسة المشركين وصدّ هجمته الأولى أو (الصدمة) بالاصطلاح المعاصر، ثم أَمَرت القيادة بالهجوم دون خلخلةٍ للصفوف؛ كأن سيلاً من الأسود متراصاً بدأ يزحف ليأكل فريسةً خائفةً متخبطة لا تدري ماذا تفعل.

وكان من أهم التعليمات التي وجهها ﷺ لجنده قبل بدء القتال هي وجهة الصف عند القتال؛ روى الواقدي: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ قال: (...وَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إلَى الصّفُوفِ، فَاسْتَقْبَلَ الْمَغْرِبَ وَجَعَلَ الشّمْسَ خَلْفَهُ وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَقْبَلُوا الشّمْسَ)[٢].

وأما موقع القيادة النبوية فقد كان مشرفاً على القتال من مكان جيد، ترى كل ما يحدث في ساحة المعركة بوضوح، مع عدد من المستشارين العسكريين الأكفّاء للمشاورة، أو لإرسالِهم لتوجيه طائفةٍ معيّنة أو إعادةِ ترتيب لصف معين.

حتى إذا استلزم الأمرُ التدخلَ المباشرَ من القيادة العامة نزلَ مباشرةً إلى أرضِ النزال واقترب من العدو ورتّب الصفوف ووجه الجنود؛ حينئذ تلتهب النفوس حماسةً ويتذكر الجنود تعليماتِ القيادة قبل القتال، فيعود كأنَّه بدأ لتوّه حماسةً وترتيباً.

---

[١] رواه الطبراني في الكبير (٤٥١٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٧٠٠) واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (ج٥/ص ٣٢٧): (ومحمد بن الحجاج قال أبو حاتم: مجهول).

[٢] (ص ٥٦).

عندها تعود القيادة النبوية إلى موضع السيطرة وتنشغلُ بأمرٍ آخرَ عظيم حاسم، هو الاستنصار وطلب العون من القوي الجبار، وهكذا إلى أن بدأت تدبّ روحُ الهزيمة في نفوس العدو، وبدأت مرحلة الفرار، وراحت فرسان المسلمين وأبطالهم من الشباب يلاحقون العدو؛ حينئذ أدرك شيوخُ الحرب ودهاتِه أنَّ هذا وقتُ الخطر الحقيقي على القيادة، فقد انتشرت الصفوف وتفكّكت، وأصبح معظم الجيش بين رجلين؛ من يلحق العدوَّ ومن انشغل بجمع الغنائم، فسارعت الطائفة المحبة للقيادة محبة عظيمة إلى الإحاطة بالنبي ﷺ خوف التفات بعض المشركين عليها بدافع الثأر، أو أن يكون ما حدث خطةً من المشركين تليها عطفة منظمة فتكون الكارثة، لذا ثبت الشيوخ عند الرايات ليجتمع الناس عليها إذا جد الجد، هذا هو المنظر العام للمعركة.

الفوائد

- وفي التوجيه النبوي للقتال بيان هام في كيفيةِ الاستفادة من الأرض وجغرافيا المكان؛ فإنَّ وجود الشمس في عين المقاتل له ضرر عظيم على الرماة، هذا أصلاً إذا استطاعوا الرمي، وله أثر كبير على المقاتل فيصيبه بالعشى، وفي هذا حتمية خبرة القائد الميداني بالعلوم العسكرية ذات الصلة كالطبوغرافيا.

وكذلك أمرُه بالمحافظةِ على العتاد وعدم إهداره، وأنَّ المسلم لا يحلّ له أن يهدر المال فيما لا يفيد، فضربُ الرصاص والقذائف من مسافة لا تبلغ العدو لا يجوز، والرصاص في الهواء أو غيرُ الموجه بعناية للعدو لا يجوز.

- كما أن في التوجيه النبوي إشارة هامة إلى أنَّ المسلم يحافظ على ما عنده من عتاد في قتاله إلى أقصى فترة ممكنة وأطولها.

فصل النبي ﷺ يحرض المسلمين على القتال وطلب الشهادة وما جاء في خطبته يوم بدر

عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ...)، وفي الحديث: (فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)[1].

قال النووي في شرح مسلم: (قَوْله: "بَخٍ بَخٍ"، فِيهِ لُغَتَانِ: إِسْكَان الْخَاء وَكَسْرهَا مُنَوَّنًا، وَهِيَ: كَلِمَة تُطْلَق لِتَفْخِيمِ الْأَمْر وَتَعْظِيمه فِي الْخَيْر)[2].

وقال الحافظ في مقدمة الفتح هدي الساري: (قوله: "بخ بخ" يقال للشيء إذا ارتضي، وقيل إذا عظُم)[3].

وقال النووي أيضاً: (قَوْله: «لَئِنْ أَنَا حَيِيت حَتَّى آكُل تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاة طَوِيلَة، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْر ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» فِيهِ جَوَاز الِانْغِمَار فِي الْكُفَّار، وَالتَّعَرُّض لِلشَّهَادَةِ، وَهُوَ جَائِز بِلَا كَرَاهَة عِنْد جَمَاهِير الْعُلَمَاء)[4].

روى ابن إسحاق[5] عن عَاصِمُ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: (أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ؛ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُضْحِكُ الرّبّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: "غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ

---

[1] صحيح مسلم (١٩٠١).
[2] (ج١٣/ص٤٥).
[3] (ص١١٥).
[4] (ج١٣/ص٤٥).
[5] كما في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٨٠)، ومن طريقه ابن أبي شيبة (١٩٤٩٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٩٤٦) بسند حسن مرسلاً.

حَاسِرًا"، فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ).

و(عوف بن عفراء وهو عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري شهد بدراً مع أخويه معاذ ومعوذ، وأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وقتل عوف ومعوذ أخوه يوم بدر شهيدين. ويقال: عوذ بن عفراء، والأول أكثر، وقيل: إن عوف بن عفراء ممن شهد العقبتين، وقيل: إنه أحد الستة ليلة العقبة الأولى)[١].

(وَخَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيَحُثُّهُمْ وَيُرَغِّبُهُمْ فِي الْأَجْرِ: "أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَحُثُّكُمْ عَلَى مَا حَثَّكُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّ اللهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ، يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَيُحِبُّ الصِّدْقَ وَيُعْطِي عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ، بِهِ يُذْكَرُونَ وَبِهِ يَتَفَاضَلُونَ، وَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِمَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللهُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ، وَإِنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَيُنَجِّي بِهِ مِنَ الْغَمِّ، وَتُدْرِكُونَ بِهِ النَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ، فِيكُمْ نَبِيُّ اللهِ يُحَذِّرُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ فَاسْتَحْيُوا الْيَوْمَ أَنْ يَطَّلِعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ يَمْقُتُكُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: {لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر:١٠]. أُنْظُرُوا إِلَى الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَأَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بَعْدَ ذِلَّةٍ فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ؛ يَرْضَ رَبُّكُمْ عَنْكُمْ، وَأَبْلُوا رَبَّكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ أَمْرًا تَسْتَوْجِبُونَ الَّذِي وَعَدَكُمْ بِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَإِنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ، وَقَوْلَهُ صِدْقٌ، وَعِقَابَهُ شَدِيدٌ، وَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ بِاللهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، إِلَيْهِ أَلْجَأْنَا ظُهُورَنَا، وَبِهِ اعْتَصَمْنَا، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ، يَغْفِرُ اللهُ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ")[٢].

الفوائد

- في حديث مسلم وقصة عوف بن الحارث، أي ابن عفراء؛ جواز أن يحمل المسلم على جيش من العدو مهما كان عدده وعدّته وينغمس فيهم رجاء النكاية، مع غلبة الظن بالقتل، وهو ما جوّزه جمهور أهل العلم كما قال النووي فيما سبق، بل نقل

---
[١] الاستيعاب (ص ٣٨٠).
[٢] مغازي الواقدي (ص ٥٩).

الحافظ ابن حجر في الفتح عن المهلب أنه نقل الإجماع على ذلك، فقال: (وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى جَوَاز تَقَحُّم الْمَهَالِك فِي الْجِهَاد)[١].

واستُدل به على جواز العمليات الاستشهادية من حيث الغاية التي هي إعزاز الدين بالنكاية في العدو، وتجريء المسلمين عليهم، مع الفارق بين غلبة الظن بالقتل وتأكّده في الاستشهادية، ولكنه ليس من باب العدوان والظلم بقتل النفس، قال الحافظ في الفتح: (وَنُقِلَ عَنِ الْمُهَلَّب أَنَّ قَوْمًا مَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ -أي اخْتِيَار الْقَتْل عَلَى الْكُفْر- وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...} [النساء: ٢٩] الْآيَة، وَلَا حُجَّة فِيهِ لِأَنَّهُ قَالَ تِلْو الْآيَة الْمَذْكُورَة: {وَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا} [النساء: ٣٠] فَقَيَّدَهُ بِذَلِكَ، وَلَيْسَ مَنْ أَهْلَكَ نَفْسه فِي طَاعَة اللَّه ظَالِمًا وَلَا مُعْتَدِيًا)[٢].

ولا شك أنَّ الاستشهاديين ما أهلكوا أنفسهم إلا طاعةً لله، كما في قصة الغلام التي في صحيح مسلم وغيره، وكيف أقدَم على ما من شأنه أن يقتله يقيناً، رجاء مصلحةٍ راجحةٍ وهي إسلامُ قومه، الذين دخلوا بسببه في دين الله أفواجاً، وهذا مِن شرع مَنْ قَبلَنا الذي لا ناسخ ولا معارض له في نصوص الكتاب والسنّة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى بعد ذكر قصّة الغلام: (وفيها أنَّ الغلام أمر بقتل نفسه لأجل لمصلحة ظهور الدين)[٣].

والأمرُ بالفعل وفعلُه؛ سواءٌ في الحكم كما هو معلوم، وتكفينا هنا الإشارة للمسألة خوف الإطالة.

وفي خطبة رسول الله ﷺ في هذا المقام الهام فوائد كثيرة[٤]، منها:

---

[١] (ج١٢/ص٣٩١).
[٢] (ج١٢/ص٣٩١).
[٣] (ج٢٨/ص٥٤٠).
[٤] هذا إن ثبتت هذه الخطبة، فقد انفرد بروايتها الواقدي، وهو متروك، فلا يصحّ بعد ذلك نسبة ما ورد في هذه الخطبة إلى النبي ﷺ صراحة، بل هي للاستئناس فقط.

- أهميَّة اتصال القيادة بالجند في مواطن الشدة، لحاجة الجندي إلى توجيه القيادة في مواطن الكرب، تماماً كحاجة المريض إلى زيارة الصحيح وبثّ روح الأمل بالشفاء، ولترسيخ روحِ المساواة في الأتراح والأفراح، وأنَّ القيادة ليست في وادٍ والجنود في وادٍ آخر.

- ومنها استحباب أن يحرّض القائد جنوده قبل القتال، ويعظهم ويذكّرهم ويحثّهم على الصدق والإخلاص والصبر والثبات والاعتصام بالله الناصر لعبيده، ويخوّفهم ويحذّرهم من مغبة معصيته، فلأنْ يستحيوا منه أعظم من أنفسهم، مذكرهم بحقيقة أسمائه وصفاته سبحانه.

- ومنها أنَّه على الداعية المسلم أن يستغلّ الفُرص وأعظمُها مواطن الشدة، لترسيخ حقائق الدين الكبرى في نفوس الفئة المسلمة.

- ومنها أهمية تذكيرِ الفئة المؤمنة أنَّه من مسلَّمات الدين أن نحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فقد قال ﷺ: "فَإِنِّي أَحُثّكُمْ عَلَى مَا حَثَّكُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْهَاكُمْ عَمّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْه".

فصل بدء المناوشات والمبارزة بين الصفين

قال ابن إسحاق[١]: (وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد زعم أن يبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض).

ثم خرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، فدعَوا إلى البراز.

[١] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٧٦-٢٧٧).

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ: {هَـذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩] فِي سِتَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ؛ عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ)[1].

وفي رواية عند البخاري، ومسلم: عن قيس بن عباد قال: (سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا: إنَّ هذه الآية {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}؛ إنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ).

وفي صحيح الخبر عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه، قَالَ: (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ قَيْسٌ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ})[2].

قال أبو جعفر الطبري: (فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه)[3].

وفي الخبر أنَّه (خرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، فدعوا إلى البراز، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار؛ بنو عفراء: معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أوّلُ قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار، وأحبّ أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافّهم وقال لهم خيراً، ثم نادى المشركون: يا محمد أخرج إلينا الأكفّاء من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: "يا بني هاشم؛ قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله"، فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فمشوا إليه، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم، وكان عليهم البيض، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفؤ كريم، وأنا أسد الحلفاء، من هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، قال: كفآن كريمان، ثم قال لابنه:

---

[1] البخاري (٣٧٤٨).
[2] البخاري (٣٧٤٧).
[3] (ج١٨/ص٥٩٠).

قم يا وليد، فقام إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فقتله علي، ثم قام عتبة وقام إليه حمزة، فاختلفا ضربتين، فقتله حمزة، ثم قام شيبة وقام إليه عبيدة بن الحارث، وهو يومئذ أسنّ أصحاب رسول الله ﷺ فضرب شيبة رِجل عبيدة بذباب السيف، يعني طرفه، فأصاب عضلة ساقه فقطعها، فكرّ حمزة وعلي على شيبة فقتلاه)[١].

وفي رواية (قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: "قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي -وكان علي معلماً بصوفة بيضاء- فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله"، فلما قاموا ودنوا معهم قالوا: من أنتم؟ تكلموا، فقال عبيدة: أنا عبيدة، وقال حمزة: أنا حمزة، وقال علي: أنا علي، قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة -وكان أسنّ القوم- عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة)[٢].

(وقال الأموي: حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي قال: برز عتبة وشيبة والوليد، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلي، فقالوا: تكلموا نعرفكم، فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب، فقال: كفء كريم، وقال علي: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وقال عبيدة: أنا الذي في الحلفاء، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوا فقتلهم الله)[٣].

(وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف -سبق ذكره في أول سرية- ولما جاءوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ، فأشرفه رسول الله ﷺ قَدَمَه، فوضع خدّه على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رآني أبو طالب لعلم أني أحقّ بقوله:

ونسلمه حتى نصرّع دونه *** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

---

[١] رواه الواقدي في مغازيه (ص ٦٩)، ومن طريقه تلميذه ابن سعد في طبقاته (ج٢/ص١٧).
[٢] سبل الهدى والرشاد (ج٤/ص٣٥).
[٣] السيرة لابن كثير (ج٢/ص٤١٤).

ثم مات رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: "أشهد أنَّك شهيد"، رواه الشافعي رحمه الله)[١].

وهي لامية أبي طالب الرائعة[٢]، والتي فاقت المعلقات حُسناً في الذود عن رسول الله ﷺ، وجاء فيها:

أعوذُ بربِّ النَّاسِ من كلِّ طاعنٍ ... عَلَيْنا بسوءٍ أوْ مُلِحٌّ بباطلِ
كذبتمْ وبيتِ اللهِ نُبزى محمَّداً ... ولما نطاعنْ دونهُ ونُناضِلِ
ونُسلمُهُ حتَّى نُصرّعَ حولَهُ ... ونذهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ
وما تركُ قومٍ لا أبا لك سيّداً ... يحوطُ الذِّمارَ غير ذربٍ مُواكلِ
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجههِ ... ثُمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ
يلوذُ بهِ الهلاكُ من آلِ هاشمٍ ... فهمْ عندهُ في نعمةٍ وفواضلِ
وقد علِموا أنَّ ابننَا لا مُكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطلِ
فأصبحَ فينا أحمدٌ في أرُومةٍ ... تُقصِّرُ عنها سَورَةُ المتطاولِ

وقال كذلك في الفخر برسول الله ﷺ[٣]:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخرٍ ... فعبدُ منافٍ سرُّها وصميمُها
وإنْ حُصِّلتْ أشرافُ عبدِ منافِها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإنْ فَخَرتْ يوماً فإنَّ محمَّداً ... هو المصطفى من سرِّها وكَريمها
تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسَمينُها ... عَلَيْنا فلم تظفرْ وطاشتْ حُلومُها

الفوائد

- في قصة الأسود؛ ما كان عليه المشركون بالبرّ بقسمهم والوفاء بعهودهم، ولو كان دون ذلك أنفسُهم، وفي هذا نصيحة للموحّدين وتبكيت لأولئك الذين يرمون

[١] السيرة لابن كثير (ج٢/ص٤١٥).
[٢] التي ذكرها بطولها ومن دون إسناد طبعاً؛ ابن إسحاق في السيرة، كما في سيرة ابن هشام (ج١/ص٢٩١-٢٩٩)، وعنه نقلها الكثير.
[٣] وهذا مثل سابقه، انظر سيرة ابن هشام (ج١/ص٢٨٧-٢٨٨).

العهود والمواثيق خلف ظهورهم إذا بدت لهم أدنى لعاعة من الدنيا، أو عند أدنى خطر يشعرون به، فلا هم رجال ولا هم أوفياء، فبهم ابتلي هذا الدين، وكانوا وأشباههم سبب انتكاسة المسلمين وقهر العباد واحتلال البلاد.

- وفي قوله ﷺ: "يا بني هاشم؛ قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله"[1]، ثم قوله: "قم يا فلان"، لرجال من بني هاشم؛ أنه أحب أن يكون أولُ من يقاتل عن دين الله ويدافع عن رسوله ﷺ من أهله وعشيرته، ولا يقال ضنّ بهم، بل روي أنَّه استحى لما قام غيرهم، فقد (قال ابن عقبة وابن سعد وابن عائذ: ولما طلب القوم المبارزة وقام إليهم الثلاثة استحى رسول الله ﷺ من ذلك، لأنَّه أولُ قتال التقى فيه المسلمون والمشركون، ورسول الله ﷺ شاهد معهم، فأحبّ رسول الله ﷺ أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه)[2].

- وفي قوله ﷺ: "قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي" أدب نبوي عظيم في ذكر الأكبر فالأكبر حتى في هذا الموطن، ثم تجلّت الحكمة النبوية وقمة العدل في اختيار الثلاثة؛ فقد اختار لمن خرج من المشركين أقرانهم سناً وشرفاً وشجاعة، فبارز عتبة -وكان كبير السنّ- عبيدة وهو أكبر المسلمين سناً، وعلي للوليد، وهذا قمة العدل والإنصاف والحكمة، فقد كان رسول الله ﷺ قادراً على أن يختار لهم من شباب المهاجرين ولكن حتى لا يقال إنما قتلوا بسبب كذا وكذا، أو يُتهم النبي ﷺ بعدم الإنصاف.

- وفي قول عتبة بن ربيعة: (أكفاء كرام) بيان ما كان عليه العرب في ذلك الوقت من الإنصاف وعدم البغي حتى في مثل هذا الموقف، فقد كانوا يرون البغي أوّلَ الفشل، وهو كذلك. ثم هو مثال في أدب الخلاف وكيفية الخصومة، وحريّ بأن يكون هذا خلق المؤمن، فقد كان رسول الله ﷺ غير سبّاب ولا لعّان ولا يحب الفحش.

---

[1] في نسبة هذا القول إلى النبي ﷺ نظر، فلم يثبت ذلك بسند صحيح معتبر، وإنما هو من رواية الواقدي، وهو متروك كما تقدم غير مرة.

[2] سبل الهدى والرشاد (ج٤/ص٣٥).

- وفي قول حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله، أنا حمزة بن عبد المطلب؛ جواز الفخر والخيلاء في الحرب، والتلّقب بأسماء تلقي الرعب في نفوس المشركين، وسيأتي خبر أبي دجانة ومشيته إن شاء الله بأحد.

كما أنَّ فيها دليلاً على أنَّهم رضي الله عنهم كانوا يلبسون من حلق الحديد ما يغطي وجههم ورؤوسهم، أي البيض، وفي هذا جوازُ لبس الدروع في الحرب والأخذ بأسباب النجاة فيها، ولو من ليوثها وأسودها.

فصل النبي ﷺ يرمي الحصى في وجوه الكفار فتملأ أعينهم تراباً وقلوبهم رعباً

قال الله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[الأنفال:١٧].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنَّ النبي ﷺ قال لعلي: "ناولني كفّاً من حصًى"، فناوله فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} الآية)[١].

وعن أبي أيوب الأنصاري: (أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ قبضة من التراب، فرمى بها رسولُ الله ﷺ في وجوهِ القوم، فانهزموا، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى})[٢].

وعن حكيم بن حزام قال: (سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة في طست، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة فانهزمنا)[٣].

[١] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص٨٤): (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح).
[٢] قال الهيثمي في زوائده (ج٦/ص٧٤): (رواه الطبراني، وإسناده حسن).
[٣] قال الهيثمي (ج٦/ص٨٤): (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن).

وعن حكيم بن حزام قال: (لما كان يوم بدر أمرَ رسولُ الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: "شاهت الوجوه"، فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى})[١].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسير آية الباب: (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممَّن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، فقاتل أعداءَ دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم. وأضاف جلَّ ثناؤه قتلَهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبِّب قتلِهم، وعن أمرِهِ كان قتالُ المؤمنين إيَّاهم. ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها. وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}، فأضاف الرَّميَ إلى نبي الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنَّه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله. فيقال للمنكرين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رَمْيَ نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه بعد وصفه نبيَّه به وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد، كان من الله تسبيبُه وتسديدُه، ومن رسول الله ﷺ الحذفُ والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة؛ من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله)[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: (يبيّن تعالى أنَّه خالق أفعال العباد، وأنَّه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنَّه هو الذي وفّقهم لذلك وأعانهم؛ ولهذا قال: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلّة عددكم، أي: بل هو الذي أظفركم [بهم ونصركم] عليهم، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران:١٢٣]، وقال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ

[١] رواه الطبراني، وقال الهيثمي (ج٦/ص٨٤): (إسناده حسن).
[٢] (ج١٣/ص٤٤١-٤٤٢).

عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} [التوبة:٢٥]، يعلم تبارك وتعالى أنَّ النصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والعدد، وإنما النصر من عنده تعالى، كما قال: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:٢٤٩]. ثم قال تعالى لنبيه ﷺ أيضاً في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: "شاهت الوجوه"، ثم أمر الصحابة أن يصدُقوا الحملة إثرها، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبقَ أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت)[1].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (وفي قوله: {وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة. والثاني: وما بلغ رميُك كفاً من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير إنما الله تولى ذلك، قاله الزجاج. والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب، ذكره ابن الأنباري)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المجموع: (وقوله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}، فمعناه: وما أوصلت إذ حذفت، ولكن الله أوصل المرمى، فإن النبي ﷺ كان قد رمى المشركين بقبضة من تراب، وقال: "شاهت الوجوه" فأوصلها الله إلى وجوه المشركين وعيونهم، وكانت قدرة النبي ﷺ عاجزةً عن إيصالها إليهم. والرمي له مبدأ وهو الحذف، ومنتهى وهو الوصول، فأثبت الله لنبيه المبدأ بقوله: {إِذْ رَمَيْتَ} ونفى عنه المنتهى، وأثبته لنفسه بقوله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}، وإلا فلا يجوز أن يكون المثبت عين المنفي، فإن هذا تناقض. والله تعالى مع أنّه هو خالقُ أفعال العباد فإنه لا

---

[1] (ج٢/ص٢٩٥).
[2] (ج٣/ص٩٣).

يصف نفسه بصفة من قامت به تلك الأفعال، فلا يسمي نفسه مصلياً ولا صائماً، ولا آكلاً ولا شارباً، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً)[١].

وقال أيضاً: (إنَّ الله سبحانَه خرق العادة في ذلك، فصارت رؤوس المشركين تطير قبل وصول السلاح إليها بالإشارة، وصارت الجريدة تصير سيفًا يُقْتَل به، وكذلك رمية رسول الله ﷺ أصابت من لم يكن في قدرته أن يصيبه، فكان ما وجد من القتل وإصابة الرمية خارجًا عن قدرتهم المعهودة، فسلبوه لانتفاء قدرتهم عليه، وهذا أصحّ، وبه يصحّ الجمع بين النفي والإثبات {وَمَا رَمَيْتَ} أي ما أصبت {إِذْ رَمَيْتَ} إذ طرحت {وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}، أصاب، وهكذا كلُّ ما فعله الله من الأفعال الخارجة عن القدرة المعتادة بسبب ضعيف، كإنباع الماء وغيره من خوارق العادات)[٢].

فصل نصر الله بالريح العقيم يوم بدر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أخذتهم ريح عقيم يوم بدر)[٣].

قال الله تعالى: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذريات: ٤١]. روى ابن جرير[٤] عن عكرِمة عن ابن عباس قال: (الريح العقيم: الريح الشديدة التي لا تُلْقح شيئاً)[٥]، ويقال: (ريح عقيم؛ إذا لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً)[٦]، وهو قول قتادة والضحاك وسفيان، وهي ريح العذاب كما قال الحافظ في الفتح: (وَصَفَ رِيح الْعَذَاب بِأَنَّهَا عَقِيم)[٧].

---

[١] (ج٢/ص٣٧٥-٣٧٦).
[٢] (ج١٥/ص٤٠).
[٣] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص٧٧-٧٨): (رواه البزار، ورجاله ثقات).
[٤] (ج٢٢/ص٤٣٣):.
[٥] ورواه الحاكم (ج٢/ص٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
[٦] تفسير الآلوسي (ج١٣/ص٩٧).
[٧] (ج٦/ص٣٧٠).

أما من أين تهب؛ فعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: (الرِّيحُ الْعَقِيمُ: الجنوب)[١]، ولكن ورد أنها الشمال؛ فقد أخرج الحاكم من حديث جابر عن النَّبيّ ﷺ أنه كانَ يدعو: "اللَّهُمَّ أعوذ بك من شرّ الريح، ومن شر ما تجيء به الريح، ومن ريح الشمال؛ فإنها الريح العقيم".

و قد يشكل هذا مع ما رواه الشيخان[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ"، ولا إشكال، قال المهلب: (معنى هذا الحديث –والله أعلم– مفهوم من قوله: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور"، فهو يستبشر بما نصره الله به من الرياح، ويرجو أن يهلك الله أعاديه بالدبور كما أهلك عادًا، وإذا أهلك عدوه بالدبور فقد نصر بها)[٣].

وقد نُصِر رسول الله ﷺ بالصَّبا في الخندق[٤]، ونُصِر بالريح العقيم يوم بدر، وقد تكون الصبا هي نفسها العقيم على الكافرين، لولا الخلاف في مهبّهما؛ فقد سبق القول أن العقيم من الجنوب أو الشمال، وأما الصبا فكما قال ابن بطال في شرح الصحيح: (الصَّبا: هي الريح الشرقية، وهي القبول أيضًا، والريح الدبور: هي الغربية)[٥].

والصحيح إن شاء الله أنَّ: (مهبّ الصَّبا بين المشرق والشمال) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية[٦]، والدَّبور من الجنوب الغربي، ولذا ورد عن بعضهم أن الدَّبور من الغرب، وعن آخرين أنها من الجنوب، قال شيخ الإسلام رحمه الله في شرح عمدة الأحكام: (الصَّبا سميت بذلك لأنها تصبو إلى الكعبة، وهي تهبّ إلى وجهها ما بين مطلع الثريا و مطلع الجدي، والدبور تجاهها تهبّ إلى دبر الكعبة ما بين مطلع سهيل و مغرب الثريا)[٧].

---

[١] تفسير الطبري (ج٢٢/ص٤٣٣).
[٢] البخاري (٩٨٨)، ومسلم (٩٠٠).
[٣] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص١٧٧).
[٤] كما في حديث ابن عباس عند البزار، قال في المجمع (ج٦/ص٦٦): (رجاله رجال الصحيح).
[٥] (ج٥/ص٢١).
[٦] (ج٢/ص٢١٨).
[٧] (ج٤/ص٥٥٦).

وقال الحافظ في الفتح: (يُقَال لَهَا الْقَبُول بِفَتْحِ الْقَاف لِأَنَّهَا تُقَابِل بَاب الْكَعْبَة، إِذْ مَهَبّهَا مِنْ مَشْرِق الشَّمْس، وَضِدّهَا الدَّبُور وَهِيَ الَّتِي أُهْلِكَتْ بِهَا قَوْم عَادٍ. وَمِنْ لَطِيف الْمُنَاسَبَة كَوْن الْقَبُول نَصَرَت أَهْل الْقَبُول وَكَوْن الدَّبُّور أَهْلَكَتْ أَهْل الْإِدْبَار، وَأَنَّ الدَّبُّور أَشَدّ مِنَ الصَّبَا لِمَا سَنَذْكُرُهُ فِي قِصَّة عَادٍ أَنَّهَا لَمْ يَخْرُج مِنْهَا إِلَّا قَدْر يَسِير، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَأْصَلَتْهُمْ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة} [الحاقة: ٨]. وَلَمَّا عَلِمَ اللَّه رَأْفَة نَبِيّه ﷺ بِقَوْمِهِ رَجَاء أَنْ يُسْلِمُوا سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الصَّبَا، فَكَانَتْ سَبَب رَحِيلهمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا أَصَابَهُمْ بِسَبَبِهَا مِنَ الشِّدَّة، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تُهْلِك مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَمْ تَسْتَأْصِلهُمْ)[1].

ثم اعلم أنَّه يستحب القتال عندما تهُب رياحُ النصر، فقد كان رسول الله ﷺ في غاية الحرص على هذا الأمر، ولا يحرص النبي ﷺ إلا على أمر به الخيرُ كلُّ الخير، وهو مما انعدم به الاهتمام في زماننا هذا.

روى الترمذي وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النُّعْمَانَ؛ يَعْنِي ابْنَ مُقَرِّنٍ قَالَ: (شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ وَيَنْزِلَ النَّصْرُ)[2]، وفي رواية معلقة عند البخاري: (انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الْأَرْوَاحُ وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ).

وروى البخاري، ومسلم عن ابْن أَبِي أَوْفَى: إِنَّ الرسول ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ".

قال المهلب: (فكان إذا لم يقاتل بالغدو وهو الوقت الذي تهبّ فيه الرياح، أخّر حتى تزول الشمس وتهب رياح النصر)[3].

---

[1] (ج٢/ص٦٦٢).

[2] وأبو داود (٢٦٥٥)، والنسائي في الكبرى (٨٦٣٧).

[3] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص١٧٧).

وقال: (وفيه: أنَّ قتالَ آخر النهار وإذا هبّت رياح النصر أفضل، كما كان ﷺ يفعل)[١]، وقال الحافظ في الفتح: (فَيَظْهَر أَنَّ فَائِدَة التَّأْخِير لِكَوْنِ أَوْقَات الصَّلَاة مَظِنَّة إِجَابَة الدُّعَاء، وَهُبُوب الرِّيح قَدْ وَقَعَ النَّصْر بِهِ فِي الْأَحْزَاب، فَصَارَ مَظِنَّة لِذَلِكَ وَاللَّه أَعْلَم)[٢]، وقال ابن بطال: (وأوقات الصلوات أفضل الأوقات، ويستجاب فيها الدعاء، والله أعلم)[٣].

ثم اعلم أنَّه ورد أنَّ يوم بدر كلَّه كان يوماً عقيماً على المشركين؛ ففي تفسير قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}[الحج:٥٥] قال أبو جعفر رحمه الله: (قال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يومٌ عقيم، أنَّهم لم يُنظروا إلى الليل، فكان لهم عقيماً)[٤].

وروى ابن جرير عن معمر عن قتادة عن أبيّ بن كعب، في قوله: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}، قال: هو يوم بدر)[٥]، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة، وهو القول الذي اختاره ورجحه ابن جرير رحمه الله، ثم قال: (فتأويلُ الكلامِ إذن: ولا يزال الذين كفروا في مِريةٍ منه، حتى تأتيَهم الساعةُ بغتةً فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيَهم عذابُ يومٍ عقيم له، فلا يُنْظَرُوا فيه إلى الليل ولا يؤخَّروا فيه إلى المساء، لكنهم يُقتلون قبل المساء)[٦].

فصل بدأ القتال وما كان من شجاعة رسول الله ﷺ

روى أحمد، وابن أبي شيبة بسند صحيح عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا)[٧].

[١] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص٣٥٣).
[٢] (ج٦/ص١٤٩).
[٣] (ج٩/ص١٧٧).
[٤] (ج١٨/ص٦٧٢).
[٥] (ج١٨/ص٦٧٢).
[٦] (ج١٨/ص٦٧٢-٦٧٣).
[٧] إسناده صحيح.

وعن علي؛ يعني ابن أبي طالب قال: (لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر ما فعل رسول الله ﷺ، فجئت فإذا هو ساجد يقول: "يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم"، لا يزيد عليهما، ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبتُ إلى القتال ثم رجعت وهو يقول ذلك ففتح الله عليه)[1].

فمِن الواضح أنَّ رسول الله ﷺ كما أسلفنا كان إذا اشتدّت هجمةُ المشركين ترك العريش ونزل إلى الصحابة يحثّهم ويذكّرهم، ويتقدم الصفَّ نحو العدو، فإذا وجد الصحابة ذلك شدّوا على أعداء الله حَميَّة لدينه، ودفاعًا عن رسولِ الله ﷺ، عندئذ يعودُ رسولُ الله ﷺ إلى عريشِه يصلي، يستنصِر لجنده مَن بيدِه النَّصر، مُكثِرًا من السجود ومِن: يا حيُّ يا قيُّوم.

فصل بعض مواقف البطولة للصحابة عند القتال يوم الفرقان

ففي صحيح البخاري عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: (لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ، لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكَنَّى أَبَا ذَاتِ الْكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَطَّأْتُ فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا، وَقَدِ انْثَنَى طَرَفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ).

قَوْله: (عُبَيْدَة) بِالضَّمِّ، أَي ابْنُ سَعِيد بْن الْعَاصِ بْن أُمَيَّة، وَكَانَ لِسَعِيدِ بْن الْعَاصِ عِدَّة إِخْوَة، أَسْلَمَ مِنْهُمْ عَمْرو وَخَالِد وَأَبَان، وَقُتِلَ الْعَاصُ كَافِرًا)[2].

---

[1] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج١٠/ص١٤٧): (رواه البزار، وإسناده حسن، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك)، مسند البزار (٦٦٢)، ومسند أبي يعلى (٥٣٠)، وهو عند النسائي في الكبرى (١٠٤٤٧)، والحاكم (ج١/ص٢٢٢)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٨٩٧)، من طريق إسماعيل بن عون، قال الذهبي في (تعليقه على المستدرك): فيه جهالة.

[2] فتح الباري (ج٧/ص٣٩٩).

عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ لِي أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ مَنِ الرَّجُلُ مِنْكُمُ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ)[٣].

وعن عبد الله؛ يعني ابن مسعود قال: (كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل)[١].

روى الطبراني في الكبير عَنْ عَامِرٍ؛ يعني الشعبي قَالَ: قِيلَ لِسَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ: مَتَى أَصَبْتَ الدَّعْوَةَ؟ قَالَ: يَوْمَ بَدْرٍ، كُنْتُ أَرْمِي بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ فَأَضَعُ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، أَقُولُ: اللَّهُمَّ زَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ وَأَرْعِبْ قُلُوبَهُمْ وافْعَلْ بِهِمْ وافْعَلْ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ"[٢].

وفي صحيح البخاري عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: (كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ؛ إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ، قَالَ إِنْ كُنْتُ لَأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ فُلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: صَدَقْتَ، بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ).

وذلك لما يروى: أنَّ عُروة بن الزُّبير سأل عبدَ الملكِ بن مروان أن يردَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزُّبير، فأخرجه إليه في جملة أسياف مُنْتَضَاةٍ، فأخذه عُروة من بينها، فقال له عبد الملك: بِمَ عرفتَه بين هذه الأسياف؟ أما (قوله: من قراع الكتائب، أي قتال الجيوش)[٣].

---

[٣] رواه الحاكم في المستدرك (ج٢/ص١١٧)، والبيهقي في الكبرى (ج٣/ص٢٧٦)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو عند البزار أيضاً (برقم ١٠١٦).

[١] رواه البزار (١٥١٧)، والطبراني في الكبير (١٠٠٠٤)، قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٢): (رواه البزار بإسنادين؛ أحدهما متصل والآخر مرسل، ورجالهما ثقات).

[٢] قال الهيثمي في المجمع (ج٩/ص١٥٣): (إسناده حسن)، لكنه كان قد قال عنه قبل ذلك (ج٦/ص٨٢): (وفيه مجالد بن سعيد، وقد وُثِّق على ضعفه)، وقد أورد هذا الحديث الحافظ في الفتح (ج٢/ص٣٠٦) وسكت عنه.

[٣] هدي الساري (ص ٢٦٨).

وهو (شَطْر مِنْ بَيْت مَشْهُور مِنْ قَصِيدَة مَشْهُورَة لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيّ وَأَوَّلهَا:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَة نَاصِب *** وَلَيْل أُقَاسِيه بَطِيء الْكَوَاكِب

يَقُول فِيهَا:

وَلَا عَيْب فِيهِمْ غَيْر أَنَّ سُيُوفهمْ *** بِهِنَّ فُلُول مِنْ قِرَاع الْكَتَائِب

وَهُوَ مِنَ الْمَدْح فِي مَعْرِض الذَّمّ، لِأَنَّ الْفُلّ فِي السَّيْف نَقْص حِسِّيّ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُوَّة سَاعِد صَاحِبه كَانَ مِنْ جُمْلَة كَمَالِهِ)[١].

ومن أبطال المسلمين في بدر أبو دجانة؛ فإنه (لَمّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاخْتَلَطُوا أَقْبَلَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي عَوْفِ بْنِ صُبَيْرَةَ السّهْمِيّ كَأَنّهُ ذِئْبٌ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ بِالْقَاطِعِ مُفَرّقِ الْجَمَاعَةِ، الْآتِي بِمَا لَا يُعْرَفُ؛ مُحَمّدٍ، لَا نَجَوْت إنْ نَجَا، وَيَعْتَرِضُهُ أَبُو دُجَانَةَ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ وَوَقَفَ عَلَى سَلَبِهِ يَسْلُبُهُ، فَمَرّ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ: دَعْ سَلَبَهُ حَتّى يُجْهَضَ الْعَدُوّ وَأَنَا أَشْهَدُ لَك بِهِ. وَيُقْبِلُ مَعْبَدُ بْنُ وَهْبٍ، فَضَرَبَ أَبَا دُجَانَةَ ضَرْبَةً بَرَكَ أَبُو دُجَانَةَ كَمَا يَبْرُكُ الْجَمَلُ ثُمّ انْتَهَضَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَضَرَبَهُ ضَرَبَاتٍ لَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا، حَتّى يَقَعُ مَعْبَدٌ بِحُفْرَةٍ أَمَامَهُ لَا يَرَاهَا، وَبَرَكَ عَلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَذَبَحَهُ ذَبْحًا وَأَخَذَ سَلَبَهُ)[٢].

فصل مشورةُ العبَّاس على النبي ﷺ ألَّا يلحق العير بعد النصر

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَدْرٍ قِيلَ لَهُ عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ، قَالَ: فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ وَهُوَ فِي وَثَاقِهِ؛ لَا يَصْلُحُ، وَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ، قَالَ: "صَدَقْتَ")[٣].

---

[١] فتح الباري (ج٧/ص٣٨١).
[٢] مغازي الواقدي (ص ٨٦).
[٣] أخرجه الإمام أحمد (ج١/ص٢٢٨)، والترمذي (ج٤/ص١١٢-تحفة)، والحاكم (ج٢/ص٣٢٧). وقد حسّنه الترمذي وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وجوّد سنده ابن كثير في التفسير (ج٢/ص٢٨٨).

قلت: والحديث من رواية سماك عن عكرمة، وفيها اضطراب عند جمهور أهل العلم، إلا أنَّ منهم من حسّن رواية سماك عموماً لكونه ثقة، والى هذا -والله أعلم- جنح الترمذي والحاكم في تصحيحهما للحديث[١]، قال ابن عَدي في الكامل: (ولسماك حديث كثير مستقيم إن شاء الله كلها، وقد حدّث عنه الأئمة، وهو من كبار تابعي الكوفيين، وأحاديثه حسان عن من روى عنه، وهو صدوق لا بأس به)[٢].

فصل بعض ما كان يوم بدر من كرامات

وروى أبو يعلى في مُسنده، ومن طريقه البيهقي في الدلائل، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: (عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان: (أنَّه أصيبت عينُه يومَ بدر، فسالت حدقتُه على وجنتِه، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: "لا"، فدعاه فغمز حدقتَه براحته، فكان لا يُدرى أيُّ عينيه أصيب)، وفي رواية: (فكانت أحسنَ عينيه).

قال ابن كثير في السيرة النبوية: (وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة، وأنشد مع ذلك:

أنا ابنُ الذي سالت على الخدِ عينُه *** فرُدّت بكفّ المصطفى أيَّما ردّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قولَ أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن، فأنشده عمر في موضعه حقاً:

تلك المكارم لا قعبان من لبن *** شيبا بماء فعادا بعد أبوالا)[٣].

---

[١] وهذا من تساهلهما المعروف في التصحيح، إذ الاضطراب الذي توصف به رواية سماك عن عكرمة كما قرّره ابن المديني وغيره؛ يمنع من تصحيح روايته هذه أبداً بل هي ضعيفة. ولا يفيد حسن الكلام والثناء على سماك هذا فالأمر لا يتعلّق بشخصه ولا بروايته عموماً، بل بروايته عن عكرمة خاصة، ثم إن هناك إشكالاً في هذه الرواية وهو استشهاد العباس رضي الله عنه بنصّ الآية من سورة الأنفال عقيب المعركة، والمفروض أنها لم تنزل بعدُ، والله أعلم.

[٢] (ج٣/ص٤٦١).

[٣] (ج٢/ص٤٤٧-٤٤٨).

وروى الطبراني في الكبير، والبيهقي في الدلائل: عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك قال: (لما كان يوم بدر تجمّع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فأطعنه بالسيف فيها طعنة فقطعته، ورُميت بسهم يوم بدر، ففُقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيء)[١].

وروى البيهقي في الدلائل عن خبيب بن عبد الرحمن قال: (ضرب خبيب؛ يعني ابن عدي، يوم بدر فمال شقه، فتفل عليه رسول الله ﷺ ولأمه وردّه فانطبق).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٢]: (وَقَاتَلَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ الْأَسَدِيّ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ جِذْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكّاشَةُ، فَلَمّا أَخَذَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَزّهُ فَعَادَ سَيْفًا فِي يَدِهِ طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتّى فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ السّيْفُ يُسَمّى «الْعَوْنَ»، ثُمّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى قُتِلَ فِي الرّدّةِ وَهُوَ عِنْدَهُ، قَتَلَهُ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيّ).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٣]: (وَعُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَدْخُلُ الْجَنّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "إِنّكَ مِنْهُمْ" أَوْ "اللّهُمّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ"، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: "سَبَقَكَ بِهَا عُكّاشَةُ" وَبَرَدَتِ الدّعْوَةُ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا عَنْ أَهْلِهِ: "مِنّا خَيْرُ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ"، قَالُوا: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ"، فَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ الْأَسَدِيّ: ذَاكَ رَجُلٌ مِنّا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "لَيْسَ مِنْكُمْ، وَلَكِنّهُ مِنّا لِلْحِلْفِ").

---

[١] قال الحافظ ابن كثير في السيرة (ج٢/ص٤٤٨): (وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده جيد ولم يخرجوه)، لكن قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٢): (وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف)، قلت: بل هو متروك، فلا يصحّ الاحتجاج به، والله أعلم.

[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩٠).

[٣] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩١).

و(انْكَسَرَ سَيْفُ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيشٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَقِيَ أَعْزَلَ لَا سِلَاحَ مَعَهُ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَضِيبًا كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ عَرَاجِينِ ابْنِ طَابٍ فَقَالَ: "اضْرِبْ بِهِ" فَإِذَا هُوَ سَيْفٌ جَيِّدٌ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جِسْرِ أَبِي عُبَيْدٍ)[١].

وأَجملَ ما حدث يوم الفرقان يوم بدر من آيات صاحب كتاب سبل الهدى والرشاد، فقال: (الوقعة العظيمة التي أعزّ الله تبارك وتعالى بها الإسلام، ودفع الكفر وأهله، وجمعت الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة، وليحقّق الله تعالى ما وعدهم من إحدى الطائفتين، وما أخبرهم به من ميلهم إلى العير دون الجيش، ومجيءُ المطر عند الالتقاء، وكان للمسلمين نعمةً وقوة، وعلى الكفار بلاءً ونقمةً. وإمداد الله تعالى المؤمنين بجند من السماء حتى سمعوا أصواتهم حين قالوا: أقدم حيزوم، ورأوا الرؤوسَ تتساقطُ من الكواهل من غير قطع ولا ضرب، وأثرُ السياطِ في أبي جهل وغيره، ورمى رسولُ الله ﷺ المشركين بالحصى والتراب حتى عمّت رميتُه الجميع، وتقليلُ المشركين في أعين المسلمين ليزيلَ عنهم الخوف، ويشجعَهم على القتال، وإشارةُ المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين بقوله: هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه ﷺ وذكره، وقوله لعقبة بن أبي معيط: إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً، فحقّق الله تعالى ذلك، وإخبارُ عمّه العباس بما استودع أمَّ الفضل من الذهب، فزالت شبهة العباس في صدقِه وحقيقة نبوّته، فازداد بصيرةً ويقيناً في أمره، وتحقيقُ الله تبارك وتعالى وعده للمؤمنين، إذ يقول: {إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ} [الأنفال: ٧٠] فأعطى العباسَ بدل عشرين أوقية عشرين غلاماً يتّجرون له بماله. وإطلاعُ الله تعالى رسوله على ائتمار عمير بن وهب وصفوان بن أمية بمكة على قتله ﷺ، فعصمه الله تعالى من ذلك وجعله سبباً لإسلام عمير بن وهب، وعاد إلى مكة داعياً إلى الإسلام. إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسوله ﷺ، وأراها من معه من المؤمنين فزادهم بصيرة ويقيناً)[٢].

---

[١] مغازي الواقدي (ص ٩٤).

[٢] (ج٤/ص١٨).

الفوائد

- في هذا الباب من الفوائد أنَّه سبحانه وتعالى يمدّ عباده الصالحين المتّبعين لشريعته القائمين على أمره بما يحتاجونه لإقامة دينه، فيُجري على أيديهم من خوارق العادات ويمنّ عليهم من الكرامات ما يثبّت قلوبهم على دينه ويقوّي عزيمتهم على الامتثال لحكمه، وخاصةً عند الشدائد وضيق الحال، مع صدق التوجه إلى مصرّف الأحوال، فإنَّ حاجتهم إلى ذلك في هذا المقام أشدّ منه في غيره كحالة الجهاد في سبيل الله.

ولذلك تجد أنَّ الله سبحانه أجرى في يومٍ بدر من الكرامات ما لم يكن في غيره من الأيام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع: (فإن خوارق العادات إنما تكون لأمَّة محمد ﷺ المتّبعين له باطناً وظاهرًا، لحجة أو حاجة؛ فالحجة لإقامة دين الله، والحاجة لما لابد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله)[1]، وكان قد فصَّل ذلك رحمه الله قبلُ، فقال في المجموع: (حال نبينا محمد ﷺ والخواصّ من أمته المتمسّكين بشرعته ومنهاجه باطنًا وظاهرًا، فإن كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحُجّة أو حاجة، فالحجّة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر ويخلص المنافق ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، فكانت فائدتها اتّباع دين الله علمًا وعملًا، كالمقصود بالجهاد، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه، أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به، فقيل له: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى}[الأنفال:١٧]، وكلٌّ من هذين يعود إلى منفعةِ الدين كالأكل والشرب وقتال العدو والصدقة على المسلمين، فإنَّ هذا من جملة الدين والأعمال الصالحة)[2].

وأعظمُ الفضل في هذه الكرامات الشعور بمعيَّة الله واليقينُ بصحَّة الطريق والعمل، خاصةً إذا كثرت الشهوات وتطايرت حولَك الشُّبهات التي يلقيها جيش من السحرة

---

[1] (ج١١/ص٤٦٠).
[2] (ج١١/ص٣٢٥-٣٢٦).

والكهنة، مع قلة في الصبر وضعف في الحال، يقول الشاطبي في الموافقات[١]: (تفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً وعلماً بالله تعالى، وقوة فيما هم عليه)[٢].

ولقد رأينا في جهادنا بالعراق من الكرامات ما أثلج الصدور وثبّت الفؤاد، فوالله لو كان المرء جاهلاً بربه ثم عاين فضلَ الله وكرمَه في هذا الجهاد لعرف اللهَ حقَّ المعرفة رأينا كيف يدفع الله عن عباده المجاهدين من البلايا ما تشيب له الولدان، وكيف يحميهم من الحادثات التي لا طاقة للبشر بها؛ فممَّا رأينا أنَّ العبوة بها عشرات الكيلوجرامات تنفجر في يدي المجاهد ولا تحرق له ثوباً فضلاً على أن تَقطَع له عضواً، بينما تُطيِّر حائطاً إلى جانبه، وسمِع إخوانُنا صهيلَ الخيولِ بل أقسم لي الصادق أنَّه سمع وقعَ أقدامِهم على الخيل لما أحاط ببيته المحتلُّ الأمريكي من كل حدب، فخرج يمشي لا يضرُّه شيء من بينهم.

وعالجت بيدي من طار مخّه على جسمه وأنا أقسم؛ لَعقله بعد إصابته صار أقوى منه قبل الإصابة.

ومِن ذلك أنَّا دخلنا بيتاً نأوي إليه عند مطاردةِ الأعداء، فقال أحد الإخوة فتشوا البيت خوفَ وجودِ عدو مختفٍ فيه، فقال: لا تفتشوه، فقلنا له: لمَ؟ قال: ألا ترون أنَّه لا أثر للأقدام، وكانت البيوت معبئة من غبار القصف.

ولقد عالجت من ضُرب بأكثر من ثلاثين رصاصة لم تأتِ واحدة منها بعظم، كلها باللحم.

---

[١] (ج٤/ص٥٦).

[٢] وجد هنا عبارة معزوة للشاطبي، ونصّها: (وكل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي كما قرره أهل السنة والجماعة)، وهذه أولاً: ليست من نصّ كلام الشاطبي هناك في (الموافقات) فحذفناها، وثانياً: ليس هذا من مذهب أهل السنة والجماعة بإطلاق، بل هي من إطلاقات أهل الكلام، التي تؤول إلى مساواة آيات الأنبياء وبراهينهم بكرامات الصالحين ولا يُفرّق بينهما إلا بدعوى النبوة والتحدّي كما قرّره أهل الكلام، وهذا كله من إطلاقاتهم الباطلة التي نبّه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه، أقربها (النبوات) (ص ١٧، ١٧٥) وغيره. والمسألة تحتاج إلى مزيد بحث وبيان، والله أعلم.

ولقد كنا في بيتٍ، فاشتهى أحدنا اللحم وقال: فتّشوا لعلكم تجدون، فدخل الإخوة البيت المجاور وكانوا تعبوا من كثرة تفتيشه سابقاً، والعجب أنهم أول ما دخلوا وجدوا عُلب اللحم أمامهم مباشرة منشورة بطرق مستقيمة كأنها تقول خذوني، وإسلاميَّة المنشأ.

وأما عن قصص الماء، وكيف كان الله يسوقه، وعن الدماء والمسك الذي يفوح منها؛ فصار كأنَّه أمر عادي، حتى أن أحد الإخوة شمّ ريح المسك من دمه على بعد مئة إلى مئتي متر، وذاك في غاية الغرابة، وغير ذلك من الكرامات التي ثبّت الله بها القلوب أثناء معارك (الفلوجة الثانية)، فقد كان بها من الكرامات أكثر بكثير من المعركة الأولى، ورأينا بالعراق من الكرامات أكثر بكثير مما رأينا أو سمعنا بأفغانستان.

وقد يقول قائل: تذكرون من الكرامات ما لم يكن في العصور الخيّرة، بل ما لم يَجْرِ على أيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ، أأنتم أفضل حالاً منهم؟ فأقول:

يقول الشاطبي رحمه الله في الموافقات: (وإنَّ الكرامات التي كثرت في العصور المتأخرة عنها في العصور المتقدمة وذلك أن الكرامات لتثبيت الناس على الطَّريق الذي يسلكون، ولكن ما للمتأخرين كرامةٌ إلا للمتقدمين خير منها). وسئل الإمام أحمد بن حنبل: ما بال الصحابة لم يُنقل عنهم من الكرامات ما نُقل عن من بعدهم؟ فقال: لقوة إيمانهم[١].

فصل صور من روعة البراءة من الشركِ وأهلِه يومَ بدر

قال الله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

---

[١] أما قول الشاطبي فلم أعثر عليه في (الموافقات) فالله أعلم. وأما القول المنسوب للإمام أحمد فلم أجده كذلك، لكن قاله بمعناه عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في رسالته (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة) (ص ١٠٧).

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[المجادلة:٢٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وقيل في قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ} نزلت في أبي عبيدة قتَل أباه يومَ بدر {أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} في الصديق؛ هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، {أَوْ إِخْوَانَهُمْ} في مصعب بن عمير؛ قتل أخاه عبيدَ بن عمير يومئذ، {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} في عمر؛ قتل قريباً له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث؛ قتَلوا عتبةَ وشيبةَ والوليدَ بن عتبة يومئذ، فالله أعلم. قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسولُ الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوةً للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكّني من فلان -قريب لعمر- فأقتله، وتمكّن عليًا من عقيل، وتمكّن فلانًا من فلان، ليعلم الله أنَّه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... القصة بكاملها)[١].

فعن عبد الله بن شَوْذَبٍ قال: (جَعَلَ أَبُو أَبِي عُبَيْدَةَ يَتَصَدَّى لِأَبِي عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ قَصَدَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَتَلَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الآيَةَ حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}[المجادلة:٢٢] إِلَى آخِرِ الآيَةِ)[٢].

وفي سبل الهدى والرشاد في فضائل أبي عبيدة رضي الله عنه: (قال الحافظ ابن عساكر: وهو أول من سُمي أمير الأمراء، وأنزل الله تعالى فيه لما قتل أباه يوم بدر حيث

---

[١] (ج٤/ص٣٢٩).

[٢] رواه الطبراني في الكبير (٣٦٠)، ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٥٨)، والحاكم (ج٣/ص٢٦٥)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (ج٩/ص٢٧). وقال الهيثمي في المجمع (ج٩/ص٢٣٢): (رواه الطبراني، وإسناده منقطع ورجاله ثقات)، وبيّن الحافظ في الفتح (٧/١١٧) أنه مرسل. والأصحّ أن يقال إنه معضل كما نصّ عليه الحافظ أيضاً في تلخيص الحبير (ج٤/ص ١١٣)، فابن شوذب هذا من الطبقة السابعة، ولد سنة ست وثمانين، وليست له رواية عن الصحابة بل عن التابعين فقط. وقال في (التلخيص) أيضاً: (وكان الواقدي ينكره ويقول: مات والد أبي عبيدة قبل الإسلام) فالله أعلم.

تصدّى له وحاد عنه مراراً: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ})[1].

وقال ابن هشام في السيرة[2]: (حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص، ومرّ به: إني أراك كأن في نفسك شيئاً، أراك تظن أنّي قتلت أباك؟ إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خاليَ العاصَ بنَ هشام بن المغيرة، فأمّا أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه، فحِدت عنه وقصدَ له ابنُ عمِّه علي فقتله)[3].

وكان مصعب بن عمير حاملَ لواءِ المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صفّ المشركين، بل كان كما قَالَ ابْنُ هِشَامٍ في السيرة[4] صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ بَعْدَ النّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، فأُسر، فلما رآه أخوه مصعب؛ ماذا كانت وصيته فيه؟

فعن محمد بن إسحاق عن نبيه بن وهب أخي بني عبد الدار: (أنَّ رسولَ الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه، فقال: "استوصوا بالأسارى خيراً"، كان أبو عزيز أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يأسُرني، فقال: اشدد به يدك فإنَّ أمه ذات متاع، لعلها تفتديه منك)[5].

(فَأَمّا أَبُو عَزِيزٍ فَاسْمُهُ زُرَارَةُ، وَأُمّهُ الّتِي أَرْسَلَتْ فِي فِدَائِهِ أُمّ الْخُنَاسِ بِنْتُ مَالِكٍ الْعَامِرِيّةُ، وَهِيَ أُمّ أَخِيهِ مُصْعَبٍ، وَأُخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُمَيْرٍ، وَهِنْدٌ هِيَ أُمّ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ حَاجِبُ الْكَعْبَةِ، جَدّ بَنِي شَيْبَةَ. أَسْلَمَ أَبُو عَزِيزٍ وَرَوَى الْحَدِيثَ وَأَسْلَمَ أَخُوهُ أَبُو الرّومِ وَأَبُو يَزِيدَ، وَلَا خَفَاءَ بِإِسْلَامِ مُصْعَبٍ أَخِيهِ، وَغَلِطَ الزّبَيْرُ بْنُ بَكّارٍ فَقَالَ: قُتِلَ أَبُو عَزِيزٍ

---

[1] (ج١١/ص٣٢٢).
[2] وانظر السيرة لابن كثير (ج٢/ص٤٤٠).
[3] (ج٢/ص٢٨٩-٢٩٠).
[4] (ج٢/ص٣٠٠).
[5] رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩٩-٣٠٠)، ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٢٩٨).

يَوْمَ أُحُدٍ كَافِرًا، وَلَمْ يَصِحّ هَذَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ، وَقَدْ روى عَنْهُ نُبَيْهُ بْنُ وَهْبٍ وَغَيْرُهُ، وَلَعَلّ الْمَقْتُول بِأُحُدِ كَافِرًا أَخٌ لَهُمْ غَيْرُهُ)[1].

وذكر الواقدي في مغازيه أنّه لما دعا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى الْبِرَازِ: (قَامَ إِلَيْهِ ابنهُ أَبُو حُذَيْفَةَ يُبَارِزُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اجْلِسْ"، فَلَمّا قَامَ إِلَيْهِ النّفَرُ؛ أَعَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ عَلَى أَبِيهِ بِضَرْبَةٍ)[2].

الفوائد

- فيه أنَّ غزوة بدر الكبرى هي بحق غزوة الفرقان بين الحق والباطل؛ بين رابطة العقيدة ورابطة العشيرة، فلأول مرة يقتل ويقاتل الرجل أخاه وأباه وعمه وخاله، لا لغرض من أغراض الدنيا ولكن لله رب العالمين، وجسدت الفرقان المفاصلة بين الحق والباطل إلى قيام الساعة؛ مفاصلة عاشها الصحابة الكرام حقيقة ملموسة.

- والآية وما جاء في تفسيرها عمدة في رد آراء القوميين والوطنيين؛ التي تجعل من رابطة الأرض أو رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ محل رابطة الدين والشرع، يقول الشيخ حمود العقلاء: (إنَّ من الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية البعد عن الكفار ومعاداتهم وقطع الصلة بهم، فلا يصحّ إيمان المرء حتى يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ويتبرء منهم، ولو كانوا أقرب قريب. قال سبحانه وتعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:٢٢]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنه لا يتحقق الإيمان إلا لمن تباعد عن الكفار المحادّين لله ورسوله وبرئ منهم وعاداهم، ولو كانوا أقرب قريب، وقد أثنى سبحانه وتعالى على خليله إبراهيم حينما تبرأ من أبيه وقومه ومعبوداتهم، حيث

---

[1] الروض الأنف (ج٣/ص٩٥).
[2] (ص ٦٩).

قال: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٢٦-٢٨]).

فقد جاء الإسلام ليردّ الإنسان إلى ربه، فإنَّه (من استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة؛ لا من أرض ولا من جنس ولا من وطن ولا من لون ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر، لقد انبتّت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبتّت هذه الوشائج جميعاً)[١].

فصل النبي ﷺ يأمر بعدم قتل نفر كانوا في جيش المشركين لعلّة

فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: "مَنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْسِرُوهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كُرْهًا"[٢].

وعن أبي إسحاق السبيعي عن البراء أو غيره قال: (جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله ليس هذا أسرني، أسرني رجلٌ من القوم، أنزع من هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: "قد آزرك الله بملك كريم")[٣].

عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ -أو عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ- مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: (كُنْتُ غُلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا فَأَسْلَمْتُ وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الْفَضْلِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ أَسْلَمَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَهَابُ قَوْمَهُ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ)[٤].

قال ابن القيم في زاد المعاد: (وَأَرَادَتْ بَنُو هَاشِمٍ الرُّجُوعَ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ: لَا تُفَارِقُنَا هَذِهِ الْعِصَابَةُ حَتّى نَرْجِعَ، فَسَارُوا)[٥].

---

[١] في ظلال القرآن (ص ٣٥١٥-٣٥١٦).

[٢] رواه الإمام أحمد (ج١/ص٨٩)، والبزار (٧٢٠)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٥): (ورجال أحمد ثقات).

[٣] رواه الإمام أحمد (ج٤/ص٢٨٣)، وقال الهيثمي (ج٦/ص٨٥): (ورجاله رجال الصحيح)، لكن السند ضعيف لوجود شبهة انقطاع، فأبو إسحاق السبيعي مدلّس وقد رواه بالعنعنة، فضلاً عن التردد عمّن رواه، والله أعلم.

[٤] رواه الإمام أحمد (ج٦/ص٩)، والحاكم (ج٣/ص٣٢١-٣٢٣)، والطبراني في الكبير (٩١٢)، وفي الإسناد حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، وهو ضعيف.

[٥] (ج٢/ص٨٦).

وذلك لأنَّ العباس كان يخشى أبا جهل، ويؤيد ذلك ما كان منه بشأن رؤيا عاتكة التي رأتها في شأن ما حدث للمشركين بمكة، حتى إنَّ نساء عبد المطلب لُمْنَهُ في لينه معه، قال العباس -كما روى ابن إسحاق-: (فَلَمّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ إلّا أَتَتْنِي فَقَالَتْ: أَقْرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ ثُمّ قَدْ تَنَاوَلَ النّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَك غِيَرٌ لِشَيْءٍ مِمّا سَمِعْت؟ قَالَ: قُلْت: قَدْ وَاللهِ فَعَلْتُ، مَا كَانَ مِنّي إلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ، وَايْمُ اللهِ لَأَتَعَرّضَنّ لَهُ، فَإِنْ عَادَ لأَكْفِيَنّكُنّه)[1].

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ: أَنّ النّبِيّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: "إنّي قَدْ عَرَفْتُ أَنّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ عَمّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ فَإِنّهُ إنّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا". قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ: أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَنَتْرُكُ الْعَبّاسَ! وَاللهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْحِمَنّهُ السّيْفَ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ لَأُلْجِمَنّهُ السّيْفَ- قَالَ: فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ: "يَا أَبَا حَفْصٍ -قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إنّهُ لَأَوّلُ يَوْمٍ كَنّانِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي حَفْصٍ- أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمّ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسّيْفِ؟" فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ بِالسّيْفِ فَوَاللهِ لَقَدْ نَافَقَ، فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إلّا أَنْ تُكَفّرَهَا عَنّي الشّهَادَةُ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَإِنّمَا نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيّ لِأَنّهُ كَانَ أَكَفّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكّةَ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصّحِيفَةِ الّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطّلِبِ)[2].

---

[1] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٦٠).
[2] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٨١-٢٨٢).

ومما روي في دفاع أبي البختري عن رسول الله ﷺ[1]؛ عن عبد الله بن مسعود، وفيه الحديث: (فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَأْتِي جَزُورَ بَنِي فُلانٍ فَيَأْتِينَا بِفَرْثِهَا فَيُلْقِيَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَانْطَلَقَ أَشْقَاهُمْ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَتَى بِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفَيْهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَأَنَا قَائِمٌ لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لَيْسَ عِنْدِي عَشِيرَةٌ تَمْنَعُنِي فَأَنَا أَرْهَبُ، إِذْ سَمِعْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَتْ حَتَّى أَلْقَتْ ذَلِكَ عَنْ عَاتِقِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ قُرَيْشًا فَسَبَّتْهُمْ، فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا، وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُهُ عِنْدَ تَمَامِ سُجُودِهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاتَهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ" ثَلاثًا "عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ وَعُقْبَةَ وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ"، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ، وَمَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ سَوْطٌ يَتَخَصَّرُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "خَلِّ عَنِّي"، قَالَ: عَلِمَ اللَّهُ لا أُخَلِّي عَنْكَ أَوْ تُخْبِرَنِي مَا شَأْنُكَ فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ غَيْرُ مُخَلٍّ عَنْهُ أَخْبَرَهُ فَقَالَ: "إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطُرِحَ عَلَيَّ فَرْثٌ"، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ فَدَخَلا الْمَسْجِدَ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ فَطُرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْثُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ، قَالَ: فَثَارَتِ الرِّجَالُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ: وَيْحَكُمْ هِيَ لَهُ، إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ وَيَنْجُوَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ)[2].

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: (فلقيه المجَذَّر بن ذياد فقال له: يا أبا البختري قد نهى رسول الله ﷺ عن قتلك، ومع أبي البختري زميلٌ له خرج معه من مكة وهو جبارة بن مليحة؛ رجل من بني ليث، قال: وزميلي؟ فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك، قال: فقال أبو البختري: لا والله إذاً لأموتَنَّ أنا وهو جميعاً، لا يتحدث عني قريش بمكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، فقال له المجذر: إن لم تسلمه قاتلتك، فأبى إلا القتال، فلما نازله جعل أبو البختري يرتجز:

---

[1] كما عند البزار (١٨٥٣)، والطبراني في الأوسط (٧٦٢).

[2] – قال الهيثمي في المجمع (٦/١٨): (وفيه الأجلح بن عبدالله الكندي، وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره).

لن يُسلِمَ ابنُ حرَّة زميلَه
ولا يفارق جزعاً أكيلَه
حتَّى يموتَ أو يرى سبيلَه

وارتجز المجذَّر:

أنا المجذَّر وأصلي من بلي
أطعن بالحربة حتى تنثني
ولا يرى مجذَّراً يفري الفري

فاقتتلا فقتله المجذر، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته، وقُتِل المجذَّر بنُ زياد يوم أحد شهيداً، قتله الحارث بن سويد بن الصامت ثم لحق بمكة كافراً ثم أتى مسلماً بعد الفتح، فقتله النبي ﷺ بالمجذر)[١]، (وللمجذر بن ذياد عقب بالمدينة وبغداد)[٢].

(وكان اسمُ المجذَّر عبدَ الله، وهو قتل سويدَ بن الصامت في الجاهلية فهيّج قتلَه وقعةُ بعاث)[٣].

فصل ذكر الفتية الذين نزل فيهم: {إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمْ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان ناس من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا مستخفين بالإسلام، فلمَّا خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم مُكرَهين، فأصيب بعضُهم يومَ بدر مع المشركين، فقال المسلمون: أصحابُنا هؤلاء مسلمون، أخرجوهم مكرهين، فاستغفروا لهم، فنزلت هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ...} [النساء: ٩٧] الآية، فكتب المسلمون إلى مَن بقي منهم بمكة بهذه الآية، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ظهر عليهم المشركون وعلى خروجهم، فلحقوهم

[١] (ص ٤٥٨).
[٢] طبقات ابن سعد (ج٣/ص٥٥٣).
[٣] ابن سعد (ج٣/ص٥٥٢).

فردّوهم فرجعوا معهم، فنزلت هذه الآية: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت: ١٠]، فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا، فنزلت هذه الآية: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١١٠]، فكتبوا إليهم بذلك)[١].

والحديث أوله في صحيح البخاري: عن اللَّيْثِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَنَهَانِي أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}).

(قال ابن إسحاق: وَكَانَ الْفِتْيَةُ الّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرِ فَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا: {إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} فِتْيَةً مُسْلِمِينَ؛ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ: الْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو قَيْسِ بْنُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأَبُو قَيْسِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَمِنْ بَنِي جُمَحَ: عَلِيّ بْنُ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ، وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: الْعَاصُ بْنُ مُنَبّهِ بْنِ الْحَجّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ. وَذَلِكَ أَنّهُمْ كَانُوا أَسْلَمُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكّةَ، فَلَمّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ بِمَكّةَ وَفَتَنُوهُمْ فَافْتَتَنُوا، ثُمّ سَارُوا مَعَ قَوْمِهِمْ إلَى بَدْرٍ فَأُصِيبُوا بِهِ جَمِيعًا)[٢].

[١] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٧/ص١٠): (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة).
[٢] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩٤-٢٩٥).

قال الحافظ في الفتح: (وَاسْتَنْبَطَ سَعِيد بْن جُبَيْر مِنْ هَذِهِ الْآيَة وُجُوب الْهِجْرَة مِنِ الْأَرْض الَّتِي يُعْمَل فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ)[٣].

وقال في موضع آخر: (إِنَّ الْقَادِر عَلَى التَّحَوُّل عَنْهُمْ لَا يُعْذَر، كَمَا وَقَعَ لِلَّذِينَ كَانُوا أَسْلَمُوا وَمَنَعَهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلهمْ مِنَ الْهِجْرَة، ثُمَّ كَانُوا يَخْرُجُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ لَا لِقَصْدِ قِتَال الْمُسْلِمِينَ بَلْ لِإِيهَامِ كَثْرَتِهِمْ فِي عُيُون الْمُسْلِمِينَ فَحَصَلَتْ لَهُمُ الْمُؤَاخَذَة بِذَلِكَ، فَرَأَى عِكْرِمَة أَنَّ مَنْ خَرَجَ فِي جَيْش يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ يَأْثَم وَإِنْ لَمْ يُقَاتِل وَلَا نَوَى ذَلِكَ؛ وَيَتَأَيَّد ذَلِكَ فِي عَكْسه بِحَدِيثِ: "هُمُ الْقَوْم لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسهمْ")[٢].

وقال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (فإن كان مُجالسُ أهل الفسق كارهًا لهم ولعملهم، ولم يستطع مفارقتهم خوفًا على نفسه، أو لعذر منعه؛ فتُرجى له النجاة من إثم ذلك، يدل على ذلك قوله في آخر الآية التي نزلت فيمن كثّر سواد المشركين: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ} [النساء: ٩٨])[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة: (وعلى من أُكره على الخروج في العساكر الظالمة؛ مثل أن يُكره المستضعفون من المؤمنين على الخروج مع الكافرين لقتال المؤمنين، كما أخرج المشركون عام بدر معهم طائفة من المستضعفين؛ فهؤلاء إذا أمكنهم ترك الخروج بالهجرة أو بغيرها، وإلا فهم مفتونون، وفيهم نزل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}، لأنهم فعلوا المحرَّم مع القدرة على تركه. وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي الأسود قال: «قُطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة فأخبرته، فنهاني أشد النهي ثم قال: أخبرني ابن عباس أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ،

---

[٣] (ج٨/ص٣٣٤).
[٢] (ج١٣/ص٤٧).
[٣] (ج١٩/ص٤٣).

فيأتى السهم فيُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله، فأنزل الله: {إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}».

وأما إذا كانوا غير قادرين على الترك بحيث لو لم يخرجوا لقتلهم المشركون ونحو ذلك؛ فهؤلاء غير مأثومين في الآخرة، لما روي أن النبي ﷺ قال: "يغزو هذا البيت جيش من الناس، فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم"، فقالت أم سلمة: ففيهم المكره يا رسول الله! قال: "يحشرون على نياتهم"، وفي الصحيح عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: "ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به"، وفي رواية: "فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه"، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفين يضربني رجل بسيفه ويجيء سهم فيقتلني؟ قال: "يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار"، فقد أمر ﷺ بالهجرة إلى حيث لا يقاتل، وبإفساد السلاح الذي يقاتل به في الفتنة، وأخبر أن المكرَه لا إثم عليه، ولما كان القتال في الفتنة؛ كان قاتله قاتلاً له بغير حقٍ فباء بإثمه وإثم صاحبه. وأما المكره الذي يقاتل طائفة بحق؛ كالذي يكون في صفّ الكفار والمرتدين والمارقين من الإسلام فلا إثم على من قتله، بل هو مثاب على الجهاد وإن أفضى إلى قتله، كما قال النبي ﷺ للعباس: "أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله".

وقد أخرجا في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم يُبعثون على نياتهم"، فهذا أيضاً دليل على أن المكره على تكثير سواد المقاتلين بغير حق وإن أصابه عذاب الدنيا فإنه يُحشر في الآخرة على نياته. فهذا كله يدل على أنه ليس كل مكره على فعل محرمٍ يأثم به كأشهر الروايتين، وهو الذي عليه جمهور العلماء، ومن ذلك مقام المسلمين بين المشركين مستضعفين، وقد دلّ القرآن على هذا وعلى هذا، ومنه استئسار المسلم إذا أكرهه الكافر وقال: إن لم

تستأسر وإلا قتلتك، فإن دخوله في أسره محرّم لولا الإكراه، وقد فعل ذلك خبيب بن عدي وغيره، وهم في ذلك كالمستضعفين)[١].

وذلك لأن الإجماع منعقد على أنَّ الإكراه عذر، قال ابن بطال في شرح الصحيح: (وأجمع المسلمون على أنَّ المشركين لو أكرهوا رجلاً على الكفر بالله بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، وله زوجةٌ حرَّة مسلمة؛ أنها لا تحرم عليه، ولا يكون مرتداً بذلك)[٢].

وأما عن الحدّ المجمع عليه في اعتبار الإكراه فقال: (قال ابن سحنون: وفي إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه؛ ما يدل على أنَّ الإكراه يكون من غير تلف نفس)[٣].

ومما سبق يتبين لك أيها المسلم ضلالُ من وقف في صفّ الكفار الصليبيين من الصحوات، فضلاً عن الشُرَط وغيرهم، فإنه مَن قاتل المجاهدين منهم كافر مرتد لا شك في ذلك عند أحد من أهل العلم، ومن وقف في صفّهم ولم يقاتل المجاهدين فكثّر صفهم فلبس زيَّهم أو ما يكون علامةً أنَّه منهم فحسب، دون إكراه معتبر؛ فهذا بنصّ كتاب الله مفتون هالك، ومن خرج ووقف في صفّهم بعد وقوع الإكراه المعتبر عليه، لكنَّه كان قبل ذلك قادرا على اللحاق بالمجاهدين والتخندق معهم، فهذا والذي قبله سواءٌ في الهلاك، نعوذ بالله من الضلال. ولا اعتبار لدعوى أنَّ الوقوف مع المسلمين المجاهدين فيه تلف النفس والمال والتعرض للأسر والقتل، فهل الجهاد إلا ذلك.

فصل مقتل فرعون هذه الأمة

فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا –وفي رواية:

---

[١] (ج٢/ص٣٣٩-٢٤٣).
[٢] (ج١٥/ص٣٢٠).
[٣] (ج١٥/ص٣٢١).

فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا- تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟" قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟" قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ"، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ)[1].

وفي رواية: (قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ)[2].

قوله: (فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا)، معناه كما نقل الحافظ في الفتح عن مَغَازِي ابْنِ عَائِذ: (فَأَشْفَقْت أَنْ يُؤْتَى النَّاس مِنْ نَاحِيَتِي لِكَوْنِي بَيْنَ غُلَامَيْنِ حَدِيثَيْنِ)[3].

قوله: (مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ)، فإنه: (شَبَّههمَا بِهِ لِمَا اشْتُهِرَ عَنْهُ مِنَ الشَّجَاعَة وَالشَّهَامَة وَالْإِقْدَام عَلَى الصَّيْد، وَلِأَنَّهُ إِذَا تَشَبَّثَ بِشَيْءٍ لَمْ يُفَارِقهُ حَتَّى يَأْخُذهُ، وَأَوَّل مَنْ صَادَ بِهِ مِنَ الْعَرَب الْحَارِث بْن مُعَاوِيَة بْن ثَوْر الْكِنْدِيّ، ثُمَّ اشْتُهِرَ الصَّيْد بِهِ بَعْده)[4].

وفي الجمع بين روايتي الصحيحين في قاتل أبي جهل: (وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ)، ورواية: (حَتَّى ضَرَبَاهُ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ)؛ قال النووي في شرح مسلم: (يُحْمَل عَلَى أَنَّ الثَّلَاثَة اِشْتَرَكُوا فِي قَتْله، وَكَانَ الْإِثْخَان مِنْ مُعَاذ بْن عَمْرو بْن الْجَمُوح، وَجَاءَ ابْنُ مَسْعُود بَعْد ذَلِكَ وَفِيهِ رَمَق فَحَزَّ رَقَبَته)[5].

---

[1] البخاري (٢٩٧٢)، ومسلم (١٧٥٢).
[2] البخاري (٣٧٦٦).
[3] (ج٧/ص٣٩١).
[4] الفتح (ج٧/ص٣٩١).
[5] (ج١٢/ص٦٣).

وهو ما ثبت عند أبي نعيم في دلائل النبوة، والبيهقي في الدلائل أيضا بسند جيد، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: (سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما مكّنني حملت عليه فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة حين تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلده من جنبي، فأجهضني القتال عنه، ولقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها -قال: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان- ثم مرّ بأبي جهل معوذ بن عفراء وهو عقير فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قُتل، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ به أن يُلتمس مع القتلى، قال عبد الله بن مسعود: فأدركته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبم أخزاني؟ أأعمد من رجل قتلتموه؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم، قلت: لله ولرسوله)، قال: سألت ابن إسحاق: ما أعمد من رجل؟ قال: يقول: هل هو إلا رجل قتلتموه. وفي رواية الخطابي عن ابن شهاب: (فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله وهو منكّب لا يتحرك فضربه فوقع رأسه بين يديه ثم سلبه).

قال الواقدي في مغازيه: (فَاجْتَمَعَ قَوْلُ أَصْحَابِنَا؛ أَنّ مُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو وَابْنَيْ عَفْرَاءَ أَثْبَتُوهُ، وَضَرَبَ ابْنُ مَسْعُودٍ عُنُقَهُ فِي آخِرِ رَمَقٍ، فَكُلّ قَدْ شَرِكَ فِي قَتْلِهِ)[1].

وإنما أدركه ابن مسعود لأنَّ رسول الله ﷺ أرسله يبحث عن خبره ويأتيه بأمره، فكان من تقدير الله له أن حاز هذا الشرف. فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟"، فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى

[1] (ص ٩٠).

بَرَدَ، قَالَ: أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ)[١].

وعن الحوار الدائر بين فرعون هذه الأمة وبين أحد رموز المستضعفين المؤمنين؛ روى الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود قال: (أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله، قال: وبم أخزاني، من رجل قتلتموه؟ ومعي سيف لي فجعلت أضربه ولا يحتكّ فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: "الله الذي لا إله إلا هو؟" قلت: الله الذي لا إله إلا هو، قال: "انطلق فاستثبت"، فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته، فقال رسول الله ﷺ: "انطلق" فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: "هذا فرعون هذه الأمة")[٢].

ثم نجد أنفسنا هنا في أمسّ الحاجة لإلقاء نظرة علي بيتٍ متميز في السبق إلى الله، وعن امرأةٍ قاتل يوم الفرقان يوم بدر إلى جنب رسول الله ﷺ من أبنائها ثلاثةٌ، وفي رواية أربعة، وفي أخرى سبعة، وكان من شأن أبنائها: أنَّ أولَ من أسلم من الأنصار أحدُ أبنائها، وأولَ من قاتل حاسراً في سبيل الله أحد أبنائها، وأول من برز للقاتل بين يدي رسول الله ﷺ اثنان من أولادها، وكان لأولادها شرفُ استشهاد اثنين يوم الفرقان، يعني ربعَ عددِ قتلى الأنصار يومئذ؛ فمن هي عفراء؟ ومن هم أولادها؟

هي: (عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم، ويقال ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. ذكرها ابن حبيب في المبايِعات، وهي والدة معاذ ومعوذ

---

[١] البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (١٨٠٠).

[٢] قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٧٩): (ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة، وفي رواية عنده (٨٤٧١): فكبّر وقال: "الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده"، وزاد في رواية أخرى (٨٤٧٢): "وأعز دينه") وهو عند النسائي في الكبرى (٦٠٠٤).

وعوف بني الحارث، يقال لكل منهم ابن عفراء. وقال ابن سعدٍ: أمها الرعاة بنت عدي بن معاذ، تزوجها الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد فولدت له)[١].

وقال الحافظ هناك أيضاً: (قلت: وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها، وهي أنها تزوجت بعد الحارث البكير بن ياليل الليثي، فولدت له أربعة: إياساً وعاقلاً وخالداً وعامراً، وكلهم شهدوا بدراً، وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث، فانتظم من هذا أنها امرأةٌ صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدراً مع النبي ﷺ).

و(معوذ ابن عفراء، وهي أمه، وهو معوذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، شهد بدراً مع إخوته معاذ وعوف بني عفراء، وأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ومعوذ ابن عفراء هذا هو الذي قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر، ثم قاتل حتى قُتل يومئذ ببدر شهيداً، قتله أبو مسافع)[٢].

(وكان لمعوذ من الولد الربيع بنت معوذ وعميرة بنت معوذ، وأمهما أم يزيد بنت قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار في رواية محمد بن إسحاق وحده، وشهد بدراً، وهو الذي ضرب أبا جهل هو وأخوه عوف بن الحارث حتى أثبتاه وعطف عليهما أبو جهل لعنه الله يومئذ فقتلهما، ووقع أبو جهل صريعاً فذفف عليه عبد الله بن مسعود رحمه الله، وليس لمعوذ بن الحارث عقب)[٣].

وعوف ابن عفراء، هو: (ابن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم، وأمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم، ويجعل في الستة النفر الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكة، وشهد العقبتين في رواية محمد بن عمر، وفي رواية محمد بن إسحاق: شهد العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً هو وأخوه معاذ

---

[١] الإصابة (ج٨/ص٢٦).
[٢] الاستيعاب (ص٤٥٢).
[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد (ج٣/ص٤٩٢).

ومعوذ؛ ثلاثة في رواية أبي معشر ومحمد بن عمر وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري، وكان محمد بن إسحاق يزيد فيهم واحداً فيجعلهم أربعة إخوة شهدوا بدراً يضم إليهم رفاعة بن الحارث بن رفاعة، قال محمد بن رفاعة: وليس ذلك عندنا بثبت -أي رابعاً من ولد الحارث- وقتل عوف بن الحارث يوم شهد بدراً شهيداً، قتله أبو جهل بن هشام بعد أن ضربه عوف وأخوه معوذ ابنا الحارث فأثبتاه، ولعوف عقب)[١].

ومعاذ بن عفراء: (وقال الواقدي: يروى أن معاذ بن الحارث ورافع بن مالك الزرقي أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل معاذ هذا في النفر الثمانية الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في النفر الستة الذين يروى أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ من الأنصار فأسلموا لم يتقدم أحد، وقال الواقدي: وأمر الستة أثبت الأقاويل عندنا)[٢].

الفوائد

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم، في حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي قِصَّةِ قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ: (وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنَ الْفَوَائِد: الْمُبَادَرَة إِلَى الْخَيْرَات، وَالِاشْتِيَاق إِلَى الْفَضَائِل، وَفِيهِ: الْغَضَب لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُحْتَقَر أَحَد فَقَدْ يَكُون بَعْض مَنْ يُسْتَصْغَر عَنِ الْقِيَام بِأَمْرٍ أَكْبَر مِمَّا فِي النُّفُوس وَأَحَقّ بِذَلِكَ الْأَمْر، كَمَا جَرَى لِهَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ، وَاحْتَجَّتْ بِهِ الْمَالِكِيَّة فِي أَنَّ اسْتِحْقَاقَ الْقَاتِلِ السَّلَب يَكْفِي فِيهِ قَوْله بِلَا بَيِّنَة، وَجَوَاب أَصْحَابنَا عَنْهُ: لَعَلَّهُ ﷺ عَلِمَ ذَلِكَ بِبَيِّنَةٍ أَوْ غَيْرهَا)[٣].

- وفيه مسألة السلب؛ هل يشترط إذن الإمام أم لا؟ وهل يخمس أم لا؟

قال الحافظ في الفتح: (حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي قِصَّةِ قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ هُنَا قَوْلُهُ فِي آخِرِهِ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ"، فَقَدِ احْتَجَّ بِهِ مَنْ قَالَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْقَاتِلِ السَّلَبَ مُفَوَّضٌ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ، وَقَرَّرَهُ الطَّحَاوِيُّ

[١] طبقات ابن سعد (ج٣/ص٤٩٢-٤٩٣).
[٢] الاستيعاب (ص٤٤١).
[٣] (ج١٢/ص٦٣-٦٤).

وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَجِبُ لِلْقَاتِلِ لَكَانَ السَّلَبُ مُسْتَحَقًّا بِالْقَتْلِ وَلَكَانَ جَعَلَهُ بَيْنَهُمَا لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي قَتْلِهِ، فَلَمَّا خَصَّ بِهِ أَحَدَهُمَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَحَقُّ بِالْقَتْلِ وَإِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِتَعْيِينِ الْإِمَامِ. وَأَجَابَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ فِي السِّيَاقِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ السَّلَبَ يَسْتَحِقُّهُ مَنْ أَثْخَنَ فِي الْقَتْلِ وَلَوْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي الضَّرْبِ أَوِ الطَّعْنِ، قَالَ الْمُهَلَّبُ: نَظَرُهُ ﷺ فِي السَّيْفَيْنِ وَاسْتِلَالُهُ لَهُمَا هُوَ لِيَرَى مَا بَلَغَ الدَّمُ مِنْ سَيْفَيْهِمَا وَمِقْدَارَ عُمْقِ دُخُولِهِمَا فِي جِسْمِ الْمَقْتُولِ لِيَحْكُمَ بِالسَّلَبِ لِمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَبْلَغُ، وَلِذَلِكَ سَأَلَهُمَا أَوَّلًا: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا أَمْ لَا؟" لِأَنَّهُمَا لَوْ مَسَحَاهُمَا لَمَا تَبَيَّنَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ" وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا هُوَ الَّذِي أَثْخَنَهُ لِيُطَيِّبَ نَفْسَ الْآخَرِ. وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: أَقُولُ إِنَّ الْأَنْصَارِيَّيْنِ ضَرَبَاهُ فَأَثْخَنَاهُ وَبَلَغَا بِهِ الْمَبْلَغَ الَّذِي يُعْلَمُ مَعَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَقَاؤُهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَّا قَدْرَ مَا يُطْفَأُ، وَقَدْ دَلَّ قَوْلُهُ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ" عَلَى أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا وَصَلَ إِلَى قَطْعِ الْحَشْوَةِ وَإِبَانَتِهَا أَوْ بِمَا يُعْلَمُ أَنَّ عَمَلَ كُلٍّ مِنْ سَيْفَيْهِمَا كَعَمَلِ الْآخَرِ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا سَبَقَ بِالضَّرْبِ فَصَارَ فِي حُكْمِ الْمُثْبِتِ لِجِرَاحِهِ حَتَّى وَقَعَتْ بِهِ ضَرْبَةُ الثَّانِي فَاشْتَرَكَا فِي الْقَتْلِ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا قَتَلَهُ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ وَالْآخَرُ قَتَلَهُ وَهُوَ مُثْبَتٌ، فَلِذَلِكَ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلسَّابِقِ إِلَى إِثْخَانِهِ)[١].

ثم هل يخمس السلب أم لا؟

قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (اختلف الفقهاء في السلب، هل يخمس؟ فقال الشافعي: كلُّ شيء من الغنيمة يخمَّس إلا السلب؛ فإنَّه لا يخمس، وهو قولُ أحمدَ بن حنبل وجماعةٍ من أهل الحديث، وذكر ابنُ خواز بنداذ عن مالك: أنَّ الإمام مخيّر فيه؛ إن شاء خمَّسه على الاجتهاد كما فعل عمر في سلب البراء بن مالك، وإن شاء لم يخمِّسه، واختاره إسماعيل بن إسحاق، وقال إسحاق بن راهويه: إذا كثرت الأسلاب خمِّست، كما فعل عمر بن الخطاب، وقال مكحول والثوري: السلب مغنم ويخمس، وفي مختصر الوقار عن مالك: أنه يخمِّس السلب، وهو قولُ ابنِ عباس، روى الزُّهري عن القاسم بن محمد عن ابن عباس قال: السلب من النَّفل، والنفل يخمَّس.

---

[١] (ج٦/ص٣٠٥).

وحجَّةُ من رأى تخميسَها قولُه تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال: ٤١]، ولم يستثن سلبًا ولا غيره، وحجة من قال: لا يخمس حديث معاذ بن عمرو، وحديث أبي قتادة، وليس في واحد منهما تخميس الأسلاب.

وعموم قوله ﷺ: "من قتل قتيلاً فله سلبه" فملَّكه السلب ولم يستثن شيئًا منه، وإلى هذا ذهب البخاري، وحجة من رأى تخميسها على الاجتهاد إذا كثرت؛ ما رواه سفيان عن أيوب عن ابن سيرين عن أنس بن مالك: «أنَّ البراءَ بن مالك بارز مُرزبان الزاره فقتله، فقُوِّم سلبُه ثلاثين ألفًا، فلما صلينا الصبح غدا علينا عمر بن الخطاب فقال لأبي طلحة: إنا كنا لا نخمِس الأسلاب وإنَّ سلبَ البراء بلغ مالاً، ولا أرانا خامِسُه، فقومنا ثلاثين ألفًا فدفعنا إلى عمر ستة آلاف، فكان أول سلب خُمِّس في الإسلام»، فدلَّ فعلُ عمرَ أن لهم أنَّ يخمسوا إذا رأى الإمام ذلك)[١].

- وفي حديث أنس وابن مسعود أهمية قتل رؤوس الكفر، وأنَّ الإمام لابد أن يتولى متابعة ذلك بنفسه ويتثبّت من الأخبار، خاصة الهامة والمصيرية منها، وإن استطاع أن يقف بنفسه على ذلك فحسن، وإلا اكتفى بشهادة العدول الثقات.

- وفيه جوازُ التَّهكّم على الكافر والسخرية والاستهزاء منه ومن باطله.

- وفيه أنَّ التجلّد عند المصائب كان وما زال من شِيَم العرب المحمودة.

- وفيه جوازُ ذبح الكافر وحزّ عنقه ما دام به حياة، غيظاً للكافرين وشفاء لصدور المؤمنين.

- وفيه جوازُ استحلاف الصادق الثقة عند الشهادة ونقل الأخبار، وأنَّ هذا ليس تكذيباً له.

- وفيه أنَّ المسلم إذا قتل رأسًا من رؤوس الكفر يكبّر ثم يقول: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز دينه.

---

[١] (ج٩/ص٣٨٦).

- وفيه أنَّه على المسلم أن يختار لولده المرأة والأم الصالحة؛ فالعاقل الكيّس لا يستبدل الأرض الطيبة بشيء، والخائب الخاسر من يزرع في السبخة المالحة.

فصل ما جاء في عذاب أبي جهل بقبره

عن الأعمش عن مسلم قال: (أتى رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! رأيت رجلاً يخرج من الأرض وعلى رأسه رجل في يده مرزبة من حديد، كلما أخرج رأسه ضرب رأسه فيدخل في الأرض ثم يخرج من مكان آخر، فيأتيه فيضرب رأسه، قال: "ذاك أبو جهل بن هشام، لا يزال يُصنع به ذلك إلى يوم القيامة")[1].

وعن نافع عن ابن عمر قال: (سافرت سفراً فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيناديني: يا عبد الله اسقني، فوالله ما أدري يناديني باسمي أو كما ينادي الرجل الرجل لا يعرفه، قال: فيخرج على إثره رجل في يده مرزبة من حديد، فيضرب بها رأسه، فيغيب في الأرض، قال: ثم يخرج من مكان آخر فيقول: يا عبد الله اسقني، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته، فقال: "ذاك أبو جهل، لا يزال يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة")[2].

فصل قتل كل من دعا عليهم رسول الله ﷺ بمكة

يوم أن سخروا منه وحرَّضوا عليه سفهائهم ليمنعوه من الصلاة

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٧٨) بسند صحيح مرسلاً، ونحوه عند البيهقي في الدلائل (٩٥٢) بسند ضعيف عن الشعبي مرسلاً كذلك.

[2] رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٩٣٣)، وأخرجه أيضاً البيهقي في إثبات عذاب القبر(٢٠٥)، وفي السند عباءة بن كليب الليثي، وهو صدوق لكن له أوهام، وله شاهد عند الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي في المجمع (ج٣/ص٥٧): (وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة، وهو ضعيف)، وأنظر أيضاً المجمع (ج٦/ص٨٠- ٨١).

ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ"، ثُمَّ سَمَّى: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ"، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ؛ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً")[1].

وفي رواية: (فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ، وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا)[2].

(«السَّلَا» بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، مَقْصُور، وَهُوَ اللِّفَافَةُ الَّتِي يَكُون فِيهَا الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ وَسَائِرِ الْحَيَوَان، وَهِيَ مِنَ الْآدَمِيَّةِ: الْمَشِيمَة)[3].

(«قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْس»: أَيْ غَيَّرَتْ أَلْوَانهمْ إِلَى السَّوَاد، أَوْ غَيَّرَتْ أَجْسَادهمْ بِالِانْتِفَاخِ، وَقَدْ بَيَّنَ سَبَب ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا»)[4].

الفوائد

- وفي قول كفار قريش على النبي ﷺ (أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي) قال الحافظ في الفتح: (مَأْخُوذ مِنَ الرِّيَاءِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ فِي الْمَلَأِ دُونَ الْخَلْوَةِ لِيُرَى)[5]، وهو يدل على أن طريقة الكفار واحدة في تشنيعهم على الموحّدين ووصفهم بما ليس فيهم ولا هم من أهله، فلما كان الرياء في العمل وتسميع العرب هو خُلُقهم وديدنهم؛ رموا به رسول الله

---

[1] رواه البخاري (٤٩٨).
[2] البخاري (٣٧٤٣).
[3] شرح مسلم للنووي (ج١٢/ص١٥١).
[4] فتح الباري (ج٧/ص٣٧٢).
[5] (ج١/ص٥٩٤).

ﷺ في عبادته، وهكذا الكفار أبداً يرمون الموحّدين المجاهدين بأنهم طلاب شهوة وشهرة، تقول العرب: (رمتني بدائها وانسلت)، وللمتوكل الكناني ثم الليثى[١]:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله *** عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

- (وَفِي الْحَدِيثِ تَعْظِيم الدُّعَاء بِمَكَّةَ عِنْدَ الْكُفَّارِ، وَمَا ازْدَادَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَعْظِيمًا. وَفِيهِ مَعْرِفَة الْكُفَّار بِصِدْقِهِ ﷺ؛ لِخَوْفِهِمْ مِنْ دُعَائِهِ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمُ الْحَسَد عَلَى تَرْك الِانْقِيَاد لَهُ. وَفِيهِ حِلْمُهُ ﷺ عَمَّنْ آذَاهُ؛ فَفِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيّ عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُود قَالَ: «لَمْ أَرَهُ دَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ»، وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِهِ ﷺ حَالَ عِبَادَة رَبِّهِ. وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ اسْتِحْبَابُ السَّلَامِ ثَلَاثًا وَغَيْر ذَلِكَ. وَفِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ، لَكِنْ قَالَ بَعْضهمْ: مَحَلُّهُ مَا إِذَا كَانَ كَافِرًا فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُسْتَحَبُّ الِاسْتِغْفَارُ لَهُ وَالدُّعَاءُ بِالتَّوْبَةِ، وَلَوْ قِيلَ: لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى الدُّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِ لَمَا كَانَ بَعِيدًا، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ اطَّلَعَ ﷺ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُدْعَى لِكُلِّ حَيّ بِالْهِدَايَةِ.

وَفِيهِ قُوَّةُ نَفْسِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مِنْ صِغَرِهَا لِشَرَفِهَا فِي قَوْمِهَا وَنَفْسِهَا، لِكَوْنِهَا صَرَخَتْ بِشَتْمِهِمْ وَهُمْ رُؤوس قُرَيْش فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهَا.

وَفِيهِ أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ آكَدُ مِنَ السَّبَبِ وَالْإِعَانَةِ لِقَوْلِهِ فِي عُقْبَةَ: "أَشْقَى الْقَوْم" مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْهُ كُفْرًا وَأَذًى لِلنَّبِيِّ ﷺ، لَكِنَّ الشَّقَاءَ هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ لِأَنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي الْأَمْرِ وَالرِّضَا، وَانْفَرَدَ عُقْبَة بِالْمُبَاشَرَةِ فَكَانَ أَشْقَاهُمْ، وَلِهَذَا قُتِلُوا فِي الْحَرْبِ، وَقُتِلَ هُوَ صَبْرًا)[٢].

- (وفي هذا الحديث: أنواع من معجزات النبي ﷺ، وإجابة دعوته، وتعجيل عقوبة من أذاه، وأن العقوبة من جنس الذنب؛ بأن هؤلاء تواطؤوا على وضع فرث الجزور على

[١] كما في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ج١٢/ص١٨٧-١٨٨)، وقيل إن هذا البيت ينسب لأبي الأسود الدؤلي من جملة أبيات له، كما عند ابن هشام في شرح شذور الذهب (ص٣٠٩-٣١٠).
[٢] فتح الباري لابن حجر (ج١/ص٣٥٢).

ظهره ﷺ في السجود فما مضى إلا يسير حتى قتلوا وسحبوا إلى القليب في يوم شديد الحر، وخرج فرث كل منهم وحشوته من بطنه، وكان ذلك جزاء وفاقا)[١].

قال ابن بطال رحمه الله في فوائد الحديث في شرح الصحيح: (وذلك أنَّ المرأة إذا تناولت طرح ما على المصلى من الأذى فإنها لا تقصِد إلى أخذِ ذلك من ورائه إلَّا كما تقصد إلى أخذه من أمامه، بل تتناول ذلك من أي جهات المصلى أمكنها تناوله وسهل عليها طرحه، فإن لم يكن هذا المعنى أشدّ من مرورها من بين يديه فليس بدونه، ومن هذا الحديث استنبط العلماء حكم المصلى إذا صلى بثوب نجس وأمكنه طرحه في الصلاة فطرحه؛ فذهب الكوفيون إلى أنَّه يتمادى في صلاته ولا يقطعها، وروى ابن وهب عن مالك مثله، وذكره في المبسوط، وروى مثله عن ابن عمر والقاسم والنخعي والحسن البصري والحكم وحماد، ولمالك في المدونة قول آخر؛ قال: يقطع وينزع الثوب النجس ويبتدئ صلاته، قال إسماعيل: وعلى مذهب عبد الملك يُتمّ صلاته ولا يقطعها ثم يعيد، وهو قول الكوفيين، ورواية ابن وهبٍ عن مالك أشبه، بدليل هذا الحديث، وقوله في المدونة: يقطع وينزع الثوب النجس ويبتدئ صلاته؛ هو استحسان منه واحتياط للصلاة، والأصل في ذلك ما فعل الرسول من أنه لم يقطع صلاته للسَّلا الذي وُضع على ظهره، بل تمادى فيها حتى أكملها، والحجة في السُّنَّةِ لا فيما خالفها، وأما قول عبد الملك: يُتمّ الصلاة ثم يعيد؛ فلا وجه له؛ لأنه لا يخلو أن يجوز له التمادي فيها أو لا يجوز، فإن جاز له التمادي فلا معنى لإعادته، وإن كان لا تجزئه صلاته فلا معنى لأمره بالتمادي في ما لا يجزئه. وهؤلاء الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ كانوا ممن لم تُرجَ إجابتهم ورجوعهم إلى الإسلام فلذلك دعا عليهم بالهلاك، فأجاب الله دعاءه فيهم، وهم الذين أخبره الله أنه كفاه إياهم بقوله تعالى: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:٩٥]، وأما كل من رجا منه الرسول الرجوع والتوبة عما هو عليه فلم يعجل بالدعاء عليه، بل دعا له بالهدى والتوبة فأجاب الله دعاءه فيهم. وفيه: الدعاء على أهل الكفر إذا جَنَوْا جنايات وآذوا المؤمنين)[٢].

[١] فتح الباري لابن رجب (ج٣/ص٣٦٨).
[٢] (ج٣/ص١٨٣).

- وفيه استحباب دفن الكافر إذا كان ثمَّة ضرر يعود على المسلمين بتركه وإلَّا فلا، قال النووي في شرح مسلم: (وَإِنَّمَا وُضِعُوا فِي الْقَلِيب تَحْقِيرًا لَهُمْ، وَلِئَلَّا يَتَأَذَّى النَّاس بِرَائِحَتِهِمْ، وَلَيْسَ هُوَ دَفْنًا، لِأَنَّ الْحَرْبِيّ لَا يَجِب دَفْنه، قَالَ أَصْحَابنَا: بَلْ يُتْرَك فِي الصَّحْرَاء إِلَّا أَنْ يُتَأَذَّى بِهِ)[٣].

- وفيه جواز إطلاق القول الذي يفيد الشمول بلا استثناءٍ ما دام ما ذُكر هو الأعمّ الأغلب، إذ الشاذ النادر لا حكم له؛ فإنَّ (كَلَامَ ابْن مَسْعُود فِي أَنَّهُ رَآهُمْ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ مَحْمُول عَلَى الْأَكْثَرِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ عُقْبَةَ بْن أَبِي مُعَيْط لَمْ يُطْرَحْ فِي الْقَلِيبِ وَإِنَّمَا قُتِلَ صَبْرًا بَعْدَ أَنْ رَحَلُوا عَنْ بَدْر مَرْحَلَة، وَأُمَيَّة بْن خَلَف لَمْ يُطْرَحْ فِي الْقَلِيبِ كَمَا هُوَ بَلْ مُقَطَّعًا)[١].

وكذلكَ: (مَعْلُوم أَنَّ أَهْل السِّيَر قَالُوا: إِنَّ عُمَارَة بْن الْوَلِيد وَهُوَ أَحَد السَّبْعَة كَانَ عِنْد النَّجَاشِيّ، فَاتَّهَمَهُ فِي حَرَمه، وَكَانَ جَمِيلًا، فَنَفَخَ فِي إِحْلِيله سِحْرًا، فَهَامَ مَعَ الْوُحُوش فِي بَعْض جَزَائِر الْحَبَشَة فَهَلَكَ)[٢].

فصل خبر أمية بن خلف وكيف استُدرج عدو الله إلى بدر وكيف هلك

فقد روى البخاري عن عَمْرِو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ أَوَيْتُمْ الصُّبَاةَ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا

---
[٣] (ج١٢/ص١٥٣).
[١] فتح الباري لابن حجر (ج١/ص٣٥١).
[٢] شرح مسلم للنووي (ج١٢/ص١٥٣).

لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ فَقُلْتُ لَهُ بِمَكَّةَ قَالَ لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ).

قال الحافظ في الفتح: (وَالصُّبَاة بِضَمِّ الْمُهْمَلَة وَتَخْفِيف الْمُوَحَّدَة، جَمْع صَابِي بِمُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَة ثُمَّ تَحْتَانِيَّة خَفِيفَة بِغَيْرِ هَمْز، وَهُوَ الَّذِي يَنْتَقِل مِنْ دِين إِلَى دِين، وَفِي رِوَايَة إِسْرَائِيل: «وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابه». قَوْله: «طَرِيقك عَلَى الْمَدِينَة» أَيْ مَا يُقَارِبهَا أَوْ يُحَاذِيهَا)[1].

وقال: (قَوْله: «فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّة فَزَعًا شَدِيدًا» بَيَّنَ سَبَب فَزَعه فِي رِوَايَة إِسْرَائِيل فَفِيهَا: «قَالَ فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِب مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ»، وَوَقَعَ عِنْد الْبَيْهَقِيّ: «فَقَالَ: وَاللهِ مَا يَكْذِب مُحَمَّد، فَكَادَ أَنْ يُحْدِث» كَذَا وَقَعَ عِنْده بِضَمِّ التَّحْتَانِيَّة وَسُكُون الْمُهْمَلَة وَكَسْر الدَّال مِنَ الْحَدَث؛ وَهُوَ خُرُوج الْخَارِج مِنْ أَحَد السَّبِيلَيْنِ، وَالضَّمِير لِأُمَيَّة أَيْ أَنَّهُ كَادَ أَنْ يَخْرُج مِنْهُ الْحَدَث مِنْ شِدَّة فَزَعه)[2].

---

[1] (ج٧/ص٣٥٩).

[2] (ج٧/ص٣٥٩-٣٦٠).

وقال: (قَوْله: «وَأَنْتَ سَيِّد أَهْل الْوَادِي» أَيْ وَادِي مَكَّة، قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أُمَيَّة وَصَفَ بِهَا أَبَا جَهْل لَمَّا خَاطَبَ سَعْدًا بِقَوْلِهِ: «لَا تَرْفَع صَوْتك عَلَى أَبِي الْحَكَم وَهُوَ سَيِّد أَهْل الْوَادِي» فَتَقَارَضَا الثَّنَاء، وَكَانَ كُلّ مِنْهُمَا سَيِّدًا فِي قَوْمه)[١].

وروى البزار بسند صحيح: أنَّ صديق سعد هذا هو عتبة بن ربيعة، وأنَّه الذي أخبر بالقتل، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: (كَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَدِيقًا لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ إِذَا قَدِمَ عُتْبَةُ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَكَانَ إِذَا قَدِمَ سَعْدٌ مَكَّةَ نَزَلَ عَلَى عُتْبَةَ، وَكَانَ عُتْبَةُ يُسَمِّيهِ أَخِي الْيَثْرِبِيَّ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ قَدِمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَكَّةَ كَمَا كَانَ يَقْدَمُ، فَنَزَلَ عَلَى عُتْبَةَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: أَمْهِلْ حَتَّى يَتَفَرَّقَ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمَسْجِدِ أَوْ مِنْ حَوْلِ الْبَيْتِ، قَالَ: فَأَمْهَلَ قَلِيلاً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: انْطَلِقْ مَعِي، فَلَمَّا أَتَيَا الْبَيْتَ تَلَقَّى أَبُو جَهْلٍ سَعْدًا فَقَالَ: يَا سَعْدُ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا ثُمَّ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ آمِنًا؟ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: لَئِنْ مَنَعْتَنِي لأَقْطَعَنَّ عَلَيْكَ أَوْ لأَمْنَعَنَّكَ مِنْ تِجَارَتِكَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا، لِمَوْضِعٍ ذَكَرَهُ، قَالَ: وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَقَالَ عُتْبَةُ لِسَعْدٍ: أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: وَأَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ قَاتِلُكَ، قَالَ: فَنَفَضَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لا يَكْذِبُ، قَالَ: فَطَافَ سَعْدٌ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَأَتَى عُتْبَةُ امْرَأَتَهُ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَاتِلِي، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لا يَكْذِبُ، قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا قَلِيلا حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ بَدْرٍ)[٢].

قال الحافظ في الفتح: (اِتَّفَقَ أَصْحَاب أَبِي إِسْحَاق ثُمَّ أَصْحَاب إِسْرَائِيل عَلَى أَنَّ الْمَنْزُول عَلَيْهِ أُمَيَّة بْن خَلَف، وَخَالَفَهُمْ أَبُو عَلِيّ الْحَنَفِيّ فَقَالَ: نَزَلَ عَلَى عُتْبَة بْن رَبِيعَة، وَسَاقَ الْقِصَّة كُلّهَا، أَخْرَجَهُ الْبَزَّار، وَقَوْل الْجَمَاعَة أَوْلَى، وَعُتْبَة بْن رَبِيعَة قُتِلَ بِبَدْرٍ أَيْضًا لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَارِهًا فِي الْخُرُوج مِنْ مَكَّة إِلَى بَدْر، وَإِنَّمَا حَرَّضَ النَّاس عَلَى الرُّجُوع بَعْد أَنْ سَلِمَتْ تِجَارَتهمْ فَخَالَفَهُ أَبُو جَهْل، وَفِي سِيَاق الْقِصَّة الْبَيَان الْوَاضِح أَنَّهَا لِأُمَيَّة بْن

[١] (ج٧/ص٣٦٠).
[٢] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص٧٣): (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح).

خَلَف لِقَوْلِهِ فِيهَا: «فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ يَا أُمّ صَفْوَان» وَلَمْ يَكُنْ لِعُتْبَة بْن رَبِيعَة اِمْرَأَة يُقَال لَهَا أُمّ صَفْوَان)[١].

قلت: الحديث صحيح، وأبو عَلِيٍّ الْحَنَفِيّ هو عبيد الله بن عبد المجيد البصري، من رجال الصحيحين، وكأنّ الحافظ لم يطّلع على رواية البزار فإنه ليس بها ذكر لأم صفوان حتى يبطلها بهذه الحجة، وسبحان من لا يسهو، ثم وما المانع أن يكون تكرر غير مرة مع سعد، ومثله سيد الأوس يكثر أصحابه وعلاقاته، ويكون قد سمع من نبي الله ﷺ ما كان في شأن الرجلين، فالله أعلم[٢].

الفوائد

– (وَفِي الْحَدِيث مُعْجِزَات لِلنَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرَة. وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَعْد بْن مُعَاذ مِنْ قُوَّة النَّفْس وَالْيَقِين. وَفِيهِ أَنَّ شَأْن الْعُمْرَة كَانَ قَدِيمًا، وَأَنَّ الصَّحَابَة كَانَ مَأْذُونًا لَهُمْ فِي الِاعْتِمَار مِنْ قَبْل أَنْ يَعْتَمِر النَّبِيّ ﷺ بِخِلَافِ الْحَجّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٣].

قلت: وفي الحديث أنَّ ملة الكفر يتحيّز بعضها لبعض، ولو كان بعضهم أظلم وأطغى.

وأنَّ الكفار قد يضحّون ببعض مصالحهم المادية عند المسلمين ولا يقبلون أن يعلو الإسلام والمسلمون على الشرك والمشركين.

– وفيه أنَّ الحصار الاقتصادي على المشركين من أجلّ ما يردعهم ويكفّهم عن بغيهم ويجعلهم يلتزمون الهدوء مع المسلمين، وأنَّ هذا السلاح في الحرب كان معلوماً ومستعملاً من القِدَم.

---

[١] (ج٧/ص٣٥٩).

[٢] الذي أراده الحافظ، وهو الذي يجري وفق الأصول الحديثية عند أهل العلم؛ أن رواية أبي علي الحنفي مخالفة لرواية سائر الحفاظ من أصحاب أبي إسحاق ومن أصحاب إسرائيل كذلك، فهم أكثر عدداً حتى لو كان الحنفي حافظاً لكنه خالف من هم أوثق منه لمزيد عددٍ، ولا يمكن اعتبار روايته زيادة ثقة فيقبل الجميع، لأن الأصل عدم تعدّد الواقعة فخلاف ذلك يحتاج إلى دليل خارجي، وعليه إذا استُبعد احتمال تعدّد الواقعة فإن قبول رواية الحنفي هذه يلزم منها ردّ روايات الآخرين، وهم أرجح لكونهم أكثر عدداً؛ فتعيّن ترجيح روايتهم على روايته، والله أعلم بالصواب.

[٣] فتح الباري لابن حجر (ج٧/ص٣٦١).

– وفيه أنَّ الشيطانَ يستدرج أوليائه ولا يدعهم حتى يطرحهم في جهنم، وأنَّ الحذر الحذر من مكر الشيطان وخطواته.

– وفيه أنَّ من أعظم أبواب الكفر الحياءَ من مخالفة الأهل والعشيرة ولو كانوا على شر عظيم وباطل محقّق، وأنَّ العاقل لا ينبغي له أن يجعل شريعة الأهل والعشيرة فوق شريعة رب الأهل والعشيرة، ولو كان في ذلك المسبّة والمعرّة.

وأما كيف قُتِل عدوُّ الله بعدما استأسر؛ فقد روى البخاري عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ! لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ، فَبَرَكَ فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ).

(قَالَ الْأَصْمَعِيّ: صَاغِيَة الرَّجُل كُلّ مَنْ يَمِيل إِلَيْهِ، وَيُطْلَق عَلَى الْأَهْل وَالْمَال)[١].

ورواه ابْنُ إِسْحَاقَ قال: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِيهِ أَيْضًا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: (كَانَ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكّةَ وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو، فَتَسَمّيْت حِينَ أَسْلَمْتُ عَبْدَ الرّحْمَنِ وَنَحْنُ بِمَكّةَ، فَكَانَ يَلْقَانِي إذْ نَحْنُ بِمَكّةَ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو أَرَغِبْتَ عَنِ اسْمٍ سَمّاكَهُ أَبَوَاكَ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَإِنّي لَا أَعْرِفُ الرّحْمَنَ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَك

---

[١] الفتح (ج٤/ص٦٠٥).

شيْئًا أَدْعُوك بِهِ، أَمّا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِك الْأَوّلِ وَأَمّا أَنَا فَلَا أَدْعُوك بِمَا لَا أَعْرِفُ، قَالَ: فَكَانَ إذَا دَعَانِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو لَمْ أُجِبْهُ، قَالَ: فَقُلْت لَهُ: يَا أَبَا عَلِيّ اجْعَلْ مَا شِئْت، قَالَ: فَأَنْت عَبْدُ الْإِلَهِ، قَالَ: فَقُلْت: نَعَمْ، قَالَ: فَكُنْت إذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ فَأُجِيبُهُ فَأَتَحَدّثُ مَعَهُ، حَتّى إذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ ابْنِهِ عَلِيّ بْنِ أُمَيّةَ آخُذُ بِيَدِهِ وَمَعِي أَدْرَاعٌ قَدِ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَحْمِلُهَا، فَلَمّا رَآنِي قَالَ لِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ؟ فَقُلْت: نَعَمْ، قَالَ هَلْ لَك فِيّ فَأَنَا خَيْرٌ لَك مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الّتِي مَعَك؟ قَالَ: قُلْت: نَعَمْ هَا اللهِ ذَا، قَالَ فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي وَأَخَذْت بِيَدِهِ وَيَدِ ابْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأَيْت كَالْيَوْمِ قَطّ، أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللّبَنِ؟ قَالَ: ثُمّ خَرَجْت أَمْشِي بِهِمَا)، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: (يُرِيدُ بِاللّبَنِ أَنّ مَنْ أَسَرَنِي افْتَدَيْتُ مِنْهُ بِإِبِلٍ كَثِيرَةِ اللّبَنِ)[1].

(قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللهُ بِلَالًا، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرَيّ)[2].

الفوائد

- (قال المهلب: وترك عبدَ الرحمن بن عوف أن يكتب إليه عبد الرحمن لأن التسمية علامة، كما فعل ذلك النبي عليه السلام يوم الحديبية حين قال له رسول أهل مكة: لا أعرف الرحمن، فكتب باسمك اللهم، فلم يضرّه محو ذلك عليه السلام، ولا تشاحّ فيه إذا ما محي من الكتاب ليس بمحو من الصدور، وإذ التشاح في مثل هذا ربما آل إلى فساد ما أحكموه من المقاضاة. وقوله: فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فلم يمتنع بذلك أمية بن خلف من القتل، هو منسوخ بقوله عليه السلام: "يجير على المسلمين أدناهم"، لأنَّ حديث أم هانئ كان يوم فتح مكة. وفيه من الفقه: مجازاة المسلمِ الكافرَ على البرّ يكون منه للمسلم والإحسان إليه، ومفارضته على جميل فعله، والسعي له في تخليصه من القتل وشبهه. وفيه أيضًا: المجازاة على سوء الفعل بمثله، والانتقام من الظالم.

[1] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٨٣-٢٨٤).
[2] ابن هشام (ج٢/ص٢٨٥).

وإنَّما سعى بلال في قتل أمية بن خلف واستصرخ الأنصار عليه وأغراهم به في ندائه: أمية بن خلف! لا نجوتُ إن نجا أمية؛ لأنه كان عذَّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، وكان يُخرِجُه إلى الرمضاء بمكة إذا حميت فيضجعُهُ على ظهره، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضعُ على صدره، ويقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد)[1].

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث: (بَاب إِذَا وَكَّلَ الْمُسْلِمُ حَرْبِيًّا فِي دَارِ الْحَرْبِ أَوْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ جَازَ).

قال الحافظ في الفتح: (وَوَجه أَخذ التَّرْجَمَة مِنْ هَذَا الْحَدِيث أَنَّ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف وَهُوَ مُسْلِم فِي دَار الْإِسْلَام فَوَّضَ إِلَى أُمَيَّة بْن خَلَف وَهُوَ كَافِر فِي دَار الْحَرْب مَا يَتَعَلَّق بِأُمُورِهِ، وَالظَّاهِر اطِّلَاع النَّبِيّ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرهُ، قَالَ اِبْن الْمُنْذِر: تَوْكِيل الْمُسْلِم حَرْبِيًّا مُسْتَأْمَنًا، وَتَوْكِيل الْحَرْبِيّ الْمُسْتَأْمَن مُسْلِمًا لَا خِلَاف فِي جَوَازه)[2].

وقال ابن بطال في شرح الصحيح: (ألا ترى أن عبد الرحمن بن عوف وكّل أمية بن خلف بأهله وحاشيته بمكة أن يحفظهم؟ وأمية مشرك، والتزم عبد الرحمن لأمية من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازاة لصنعه)[3].

فصل ما صنع رسول الله ﷺ بقتلى المشركين وما قاله لهم بعدما جيفوا

(ولَمّا انقَضَتِ الْحَرْبُ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى وَقَفَ عَلَى الْقَتْلَى، فَقَالَ: "بِئْسَ عَشِيرَةُ النّبِيّ كُنْتُمْ لِنَبِيّكُمْ؛ كَذّبْتُمُونِي وَصَدّقَنِي النّاسُ، وَخَذَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النّاسُ"، ثُمّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا إلَى قَلِيبٍ مِنْ قُلُبِ بَدْرٍ، فَطُرِحُوا فِيهِ)[4].

---

[1] شرح الصحيح لابن بطال (ج١١/ص٤٤٩).
[2] (ج٤/ص٦٠٥).
[3] (ج١١/ص٤٤٨).
[4] زاد المعاد (ج٢/ص٩٠).

وروى البخاري عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: (ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: "يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ؛ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ"، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا).

(فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ: «وَتَنَدُّمًا وَذِلَّة وَصَغَارًا»، وَالصَّغَار: الذِّلَّة وَالْهَوَان، وَأَرَادَ قَتَادَة بِهَذَا التَّأْوِيل الرَّدّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ)[1].

وفي رواية لمسلم: (فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُون وَأَنَّى يُجِيبُون وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا"، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ: "هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" ثُمَّ قَالَ: "إِنَّهُمُ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ"، فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ، ثُمَّ قَرَأَتْ: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢] حَتَّى قَرَأَتِ الْآيَةَ)[2].

(قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْعِلْم لَا يَمْنَع مِنَ السَّمَاع، وَالْجَوَاب عَنِ الْآيَة أَنَّهُ لَا يُسْمِعُهُمْ وَهُمْ مَوْتَى وَلَكِنَّ اللَّه أَحْيَاهُمْ حَتَّى سَمِعُوا كَمَا قَالَ قَتَادَة، وَلَمْ يَنْفَرِد عُمَر وَلَا اِبْنُهُ بِحِكَايَةِ ذَلِكَ بَلْ وَافَقَهُمَا أَبُو طَلْحَة كَمَا تَقَدَّمَ، وَلِلطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيث ابْن مَسْعُود مِثْله بِإِسْنَادٍ صَحِيح،

---
[1] الفتح (ج/٧ص/٣٨٤).
[2] البخاري (٣٧٦٠).

وَمِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن سِيدَانَ نَحْوه وَفِيهِ: «قَالُوا يَا رَسُول اللَّه وَهَلْ يَسْمَعُونَ؟» قَالَ: "يَسْمَعُونَ كَمَا تَسْمَعُونَ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ"، وَفِي حَدِيث اِبْنِ مَسْعُود: "وَلَكِنَّهُمْ الْيَوْم لَا يُجِيبُونَ"، وَمِنَ الْغَرِيب أَنَّ فِي الْمَغَازِي لِابْنِ إِسْحَاق رِوَايَة يُونُس بْن بُكَيْر بِإِسْنَادٍ جَيِّد عَنْ عَائِشَة مِثْل حَدِيث أَبِي طَلْحَة وَفِيهِ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَع لِمَا أَقُول مِنْهُمْ"، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَد بِإِسْنَادٍ حَسَن، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَكَأَنَّهَا رَجَعَتْ عَنِ الْإِنْكَار لِمَا ثَبَتَ عِنْدهَا مِنْ رِوَايَة هَؤُلَاءِ الصَّحَابَة لِكَوْنِهَا لَمْ تَشْهَد الْقِصَّة)[1].

وَ(قَالَ السُّهَيْلِيّ: عَائِشَة لَمْ تَحْضُر قَوْل النَّبِيّ ﷺ فَغَيْرهَا مِمَّنْ حَضَرَ أَحْفَظ لِلَفْظِ النَّبِيّ ﷺ، وَقَدْ قَالُوا لَهُ: «يَا رَسُول اللَّه أَتُخَاطِبُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟» فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَع لِمَا أَقُول مِنْهُمْ"، قَالَ: وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونُوا فِي تِلْكَ الْحَال عَالِمِينَ جَازَ أَنْ يَكُونُوا سَامِعِينَ إِمَّا بِآذَانِ رُؤوسهمْ كَمَا هُوَ قَوْل الْجُمْهُور أَوْ بِآذَانِ الرُّوح عَلَى رَأْي مَنْ يُوَجِّه السُّؤَال إِلَى الرُّوح مِنْ غَيْر رُجُوع إِلَى الْجَسَد، قَالَ: وَأَمَّا الْآيَة فَإِنَّهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِع الصُّمّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ} [الزخرف: ٤٠]، أَيْ إِنَّ اللَّه هُوَ الَّذِي يُسْمِع وَيَهْدِي اِنْتَهَى)[2].

قال صاحب أضواء البيان: (التحقيق الذي دلَّت عليه القرائن القرآنية واستقراء القرآن؛ أن معنى قوله هنا: إنك لا تسمع الموتى لا يصحّ فيه من أقوال العلماء إلا تفسيران: الأول.. أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى، أي لا تسمع الكفار الذين أمات الله قلوبهم وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى وانتفاع، لأنَّ الله كتب عليهم الشقاء، فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على قلوبهم الأكنة وفي آذانهم الوقر وعلى أبصارهم الغشاوة، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع، ومن القرائن القرآنية الدالّة على ما ذكرنا أنَّه جل وعلا قال بعده: {وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ} [النمل: ٨١]...)، إلى قوله: (ومن الآيات النازلة تسلية له ﷺ قوله هنا: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢]، أي لا تسمع من أضله الله إسماعَ هُدى وقُبول، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا يعني ما تسمع إسماع هُدى وقَبُول

[1] الفتح (ج/٧ص/٣٨٦).
[2] الفتح(ج/٣ص/٣٠٠).

إلَّا من هديناهم للإيمان بآياتنا فهم مسلمون...)، ثم قال: (التفسير الثاني: هو أنَّ المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكنَّ المراد بالسماع المنفي في قوله: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ} خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأنَّ هذا مَثَل ضُرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتّباع، كما قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} [البقرة: ١٧١]، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميعُ أنواع السماع كما لم ينفِ ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماعُ المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماعٌ آخر فلا، وهذا التفسير الثاني جزم به واقتصر عليه العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله)[1].

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين وهو يتكلم عن مراتب الهداية الخاصَّة والعامة، وهي عشر مراتب: (المرتبة الثامنة: مرتبة الإسماع، قال الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٣]، وقد قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٢-٢٤]، وهذا الإسماع أخصّ من إسماع الحجَّة والتبليغ، فإنَّ ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجةُ عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب، فإنَّ الكلام له لفظٌ ومعنى وله نسبة إلى الآذان والقلب وتعلّق بهما؛ فسماع لفظه حظّ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظّ القلب، فإنَّه سبحانه نفى عن الكفار سماعَ المقصودِ والمراد، الذي هو حظّ القلب، وأثبت لهم سماعَ الألفاظ الذي هو حظّ الأذن)[2].

جاء في أضواء البيان: (اعلم أنَّ الذي يقتضي الدليلُ رُجحانَه هو أنَّ الموتى في قبورهم يسمعون كلام من كلَّمهم، وأنَّ قولَ عائشة رضي الله عنها ومن تبعها: إنَّهم لا يسمعون استدلالاً بقوله تعالى وما جاء بمعناها من الآيات غلط منها رضي الله عنها وممَّن

---

[1] (ج٦/ص١٩١-١٩٣).
[2] (ج١/ص٤٣).

تبعها، وإيضاح كونِ الدليل يقتضي رجحان ذلك مبني على مقدمتين: الأولى منهما: أنَّ سماع الموتى ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث متعددة، ثبوتاً لا مطعن فيه، ولم يذكر ﷺ أنَّ ذلك خاص بإنسان ولا بوقت. والمقدمة الثانية: هي أنَّ النصوص الصحيحة عنه ﷺ في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيء يخالِفُها، وتأويلُ عائشة رضي الله عنها بعضَ الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة لا يجب الرجوعُ إليه، لأنَّ غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه، فلا تُردّ النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ بتأويل بعض الصحابة بعض الآيات، وسنوضح هنا إن شاء الله صحَّة المقدمتين المذكورتين، وإذا ثبت بذلك أنَّ سماع الموتى ثابت عنه ﷺ من غير معارض صريح؛ عُلِم بذلك رجحانُ ما ذكرنا أنَّ الدليل يقتضي رجحانَه)[1].

ثم ذكر رحمه الله أدلةَ المسألتين فلتراجع في مكانهما[2]، إلى أن قال: (والحاصل: أنَّ تأوّل عائشةَ رضي الله عنها بعضَ آيات القرآن لا تُرَدُّ به رواياتُ الصحابة العدول الصحيحة الصريحة عنه ﷺ، ويتأكّد ذلك بثلاثة أمور.. الأول: هو ما ذكرناه الآن مِن أنَّ رواية العدل لا تردّ بالتأويل. الثاني: أنَّ عائشة رضي الله عنها لما أنكرت رواية ابنِ عمر عن النبي ﷺ إنهم ليسمعون الآن ما أقول؛ قالت: إن الذي قاله ﷺ: "إنهم ليعلمون الآن أنَّ الذي كنت أقول لهم هو الحق"، فأنكرت السماع ونفته عنهم، وأثبتت لهم العلم، ومعلوم أنَّ من ثبت له العلم صحّ مِنه السماع كما نبَّه عليه بعضهم. الثالث: هو ما جاء عنها ممَّا يقتضي رجوعَها عن تأويلها المذكور إلى الروايات الصحيحة)[3].

فَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: (لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِأُولَئِكَ الرَّهْطِ فَأُلْقُوا فِي الطُّوَى؛ عُتْبَةُ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ؛ وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: "جَزَاكُمُ اللَّهُ شَرًّا مِنْ

---

[1] (ج٦/ص١٩٤).

[2] وهناك رسالة نافعة في هذه المسألة بعنوان (الآيات البينات في عدم سماع الأموات) للعلامة نعمان خير الدين الآلوسي، وهي فريدة في بابها.

[3] (ج٦/ص٢٠٠).

قَوْمِ نَبِيٍّ مَا كَانَ أَسْوَأَ الطَّرْدِ وَأَشَدَّ التَّكْذِيبِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ قَوْمًا جَيَّفُوا؟ فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَفْهَمَ لِقَوْلِي مِنْهُمْ، -أَوْ- لَهُمْ أَفْهَمُ لِقَوْلِي مِنْكُمْ")[1].

وفي صحيح مسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: "يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا"، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنَّى يُجِيبُونَ وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا"، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ).

ولكن ثبت عند الإمام أحمد: عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَتْلَى أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ فَطُرِحُوا فِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلَأَهَا، فَذَهَبُوا يُحَرِّكُونَهُ فَتَزَايَلَ، فَأَقَرُّوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غَيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ، فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلِيبِ وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ...") الحديث[2].

وجمع الحافظ في الفتح بين كونه نودي مع أصحاب القليب مع أنه لم يدفن معهم، فقال: (لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القليب فنودي فيمن نودي، لكونه كان من جملة رؤسائهم)[3].

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمّا أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ يُلْقَوْا فِي الْقَلِيبِ، أُخِذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَسُحِبَ إلَى الْقَلِيبِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي- فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ فَإِذَا هُوَ كَئِيبٌ قَدْ تَغَيّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: "يَا أَبَا حُذَيْفَةَ لَعَلّك قَدْ دَخَلَك مِنْ شَأْنِ أَبِيك شَيْءٌ؟" أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ، فَقَالَ: لَا وَاَللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي

---

[1] قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٩٠): (رواه أحمد، ورجاله ثقات إلا أن إبراهيم لم يسمع من عائشة ولكنه دخل عليها)، قلت: هو في مسند الإمام أحمد (ج٦/ص١٧٠)، بسند ضعيف؛ فهو من رواية المغيرة بن مقسم عن إبراهيم النخعي، وهي رواية مطعون بها، ثم الانقطاع بين إبراهيم وعائشة رضي الله عنها.

[2] إسناده حسن.

[3] (ج٧/ص٣٨٤).

مَصْرَعِهِ، كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكُنْت أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا)[1].

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ ... كَخَطّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ
تَدَاوَلُهَا الرّيَاحُ وَكُلّ جَوْنٍ ... مِنَ الْوَسْمِيّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وَأَمْسَتْ ... يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ
فَدَعْ عَنْكَ التّذَكّرَ كُلّ يَوْمٍ ... وَرُدّ حَرَارَةَ الصّدْرِ الْكَئِيبِ
وَخَبّرْ بِالّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ ... بِصِدْقٍ غَيْرِ إخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ ... لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
فَلَاقَيْنَاهُمُ مِنّا بِجَمْعٍ ... كَأُسْدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشِيبِ
أَمَامَ مُحَمّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ ... عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ ... وَكُلّ مُجَرّبٍ خَاظِي الْكُعُوبِ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ وَازَرَتْهَا ... بَنُو النّجّارِ فِي الدّينِ الصّلِيبِ
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيعًا ... وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجَبُوبِ
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالٍ ... ذَوِي حَسَبٍ إذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللهِ لَمّا ... قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقّا ... وَأَمْرُ اللهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ ؟
فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا ... صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ)[2].

---
[1] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩٤).
[2] سيرة ابن هشام (ج٢/ص٢٩٣-٢٩٤).

فصل النهي عن سب قتلى المشركين ببدر لكيلا يتأذّى الحي

أخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، عن محمد بن علي بن الحسين الباقر: (أن النبي ﷺ نهى عن قتلى بدر من المشركين أن يسبّوا، وقال: "إنه لا يخلص إليهم مما تقولون، وتؤذون به الأحياء، ألا إن البذاء لؤم")[١].

وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا".

قال الحافظ في الفتح: (وَأَصَحّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَمْوَات الْكُفَّار وَالْفُسَّاق يَجُوز ذِكْر مَسَاوِيهِمْ لِلتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِير عَنْهُمْ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى جَوَاز جَرْح الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاة أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا)[٢].

وقال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (فإن كان الرجل أغلب أحواله الخير وقد تكون منه الفلتة؛ فالاغتياب له محرم، وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة فيه، فكذلك الميت إذا كان أغلب أحواله الخير لم يجز ذكر ما فيه من شر ولا سبه به، وإن كان أغلب أحواله الشرّ فيباح ذكره منه، وليس ذلك مما نهى عنه من سبّ الأموات. ويؤيد ذلك ما أجمع عليه أهل العلم من ذكر الكذابين وتجريح المجرَّحين.

وفيه وجه آخر: وهو أن حديث: "لا تسبوا الأموات" عام، وسببه ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: "أمسكوا عن ذي قبر"، فيحتمل أن يكون ﷺ أباح ذكر الميت بما فيه من غالب الشرّ عند موته خاصة، ليتّعظ بذلك فسّاق الأحياء، فإذا صار الميت في قبره وجب الإمساك عنه لإفضائه إلى ما قدم كما قال ﷺ، فسقط التعارض)[٣].

---

[١] قال في تحفة الأحوذي (ج٣/ص١٣٩): (حديث مرسل، صحيح الإسناد)، وكذلك قال في عمدة القاري (ج٨/ص٢٣٠)، ويعنون صحّة السند إلى محمد الباقر، لكنْ دونه مفاوز حتى يصحّ عن النبي ﷺ، كما لا يخفى.

[٢] (ج٣/ص٣٣١).

[٣] (ج٥/ص٣٩٧).

(وَقَالَ ابْن رَشِيد مَا مُحَصِّله: إِنَّ السَّبّ يَنْقَسِم فِي حَقّ الْكُفَّار وَفِي حَقّ الْمُسْلِمِينَ؛ أَمَّا الْكَافِر فَيُمْنَع إِذَا تَأَذَّى بِهِ الْحَيّ الْمُسْلِم، وَأَمَّا الْمُسْلِم فَحَيْثُ تَدْعُو الضَّرُورَة إِلَى ذَلِكَ كَأَنْ يَصِير مِنْ قَبِيل الشَّهَادَة، وَقَدْ يَجِب فِي بَعْض الْمَوَاضِع، وَقَدْ يَكُون فِيهِ مَصْلَحَة لِلْمَيِّتِ؛ كَمَنْ عُلِمَ أَنَّهُ أَخَذَ مَاله بِشَهَادَةِ زُور وَمَاتَ الشَّاهِد فَإِنَّ ذِكْرَ ذَلِكَ يَنْفَع الْمَيِّت إِنْ عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَال يُرَدّ إِلَى صَاحِبه)[1].

(قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي الْعُمْدَةِ: قَوْلُهُ: الْأَمْوَاتَ، الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ أَيْ أَمْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اُذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ"، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا فِي كِتَابِ الْأَدَبِ مِنْ سُنَنِهِ، وَلَا حَرَجَ فِي ذِكْرِ مَسَاوِئِ الْكُفَّارِ، وَلَا يُؤْمَرُ بِذِكْرِ مَحَاسِنِ مَوْتَاهُمْ إِنْ كَانَتْ لَهُمْ مِنْ صَدَقَةٍ وَإِعْتَاقٍ وَإِطْعَامِ طَعَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَأَذَّى بِذَلِكَ مُسْلِمٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَيَجْتَنِبَ ذَلِكَ حِينَئِذٍ)[2].

والخلاصة.. أنَّه يجب على المسلمين ذكر مساوئ الكافرين إذا دعت الحاجة لذلك، أي حاجة شرعية؛ كبيانٍ لباطل مذهبهم، أو صرف قلوب الناس عن محبتهم أو غير ذلك. فإذا كان ذلك معلوماً للجميع واطمأنت به النفوس وانتفت الحاجة؛ لا حاجة حينئذ لذلك، فإنا نُهينا عن لغو الحديث وخاصة إذا كان ذلك مما يؤذي المسلم، أو شُمّ منه رائحة التعيير والتشفّي، أو يُقصد منه الحطّ من قدر قريبه المسلم.

ويشهد لذلك ما أخرج ابن سعد[3] عن أمّ سلمة قالت: (شكا إليه عكرمة أنَّه إذا مرّ بالمدينة قيل له: هذا ابن عدو الله أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: "إن الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لا تؤذوا مسلماً بكافر")، ولفظ ابن سعد: فقال: "ما بال أقوام يؤذون الأحياء بسبّهم الأموات، ألا لا تؤذوا الأحياء بشتم الأموات".

---

[1] الفتح (ج٣/ص٣٣٠).
[2] تحفة الأحوذي (ج٣/ص١٣٩).
[3] كما في اللمع في أسباب ورود الحديث (ص٤٨)، والحاكم (ج٣/ص٢٤٣)، بسند ضعيف.

فصل أول قتيل من المسلمين يوم الفرقان ببدر

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ رُمِيَ مِهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطّاب بِسَهْمٍ فَقُتِلَ، فَكَانَ أَوّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمّ رُمِيَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ أَحَدُ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ نَحْرَهُ فَقُتِلَ).

وذلك لما روى الواقدي في مغازيه عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أنَّ مولى عمر هو من أول من بادر إلى الله فقَال: (لَمّا أَفْسَدَ الرّأْيَ أَبُو جَهْلٍ عَلَى النّاسِ وَحَرّشَ بَيْنَهُمْ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيّ فَأَقْحَمَ فَرَسَهُ، فَكَانَ أَوّلَ مَنْ خَرَجَ إلَيْهِ مَهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ فَقَتَلَهُ عَامِرٌ)[١].

الفوائد

- فيه أنَّ أوَّلَ مَن قُتِلَ من المسلمين أحدُ الموالي، ثم شاب صغير خرج نظّاراً كما سيأتي في الفصل التالي؛ بمعنى أنَّهما لم يكونا من رؤوس الناس وأعيانهم، وممن يؤثر غيابهم ومقتلهم في نفوس الجند، أمَّا أول من قُتل من المشركين فهم أئمة الضلالة وأعيان قريش، وممَّا لذلك مِن أثر يقوّي نفوسَ المسلمين ويضع الوهن والضعف في نفوس المشركين، وخاصة أنَّهم كانوا قوماً يتطيّرون.

ولا يقول قائل: فقد أصيب عبيدة رضي الله عنه في المبارزة وهو من رؤوس الناس، لأنَّا نقول: نعم أصيب، ولم يقتل ولم يمت مِن أثر جرحه إلا بعد انتهاء المعركة وعند رجوع المسلمين من بدر، وفرق بين الإصابة وبين القتل.

فصل خبر حارثة بن سراقة وأنه في الفردوس الأعلى

ففي صحيح البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: (إنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؛ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ

---

[١] (ص ٦٦).

بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ؛ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: "يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى").

(قَوْله: أُمّ الرُّبَيِّع بِنْت الْبَرَاء وَهْم، وَإِنَّمَا هِيَ الرُّبَيِّع بِنْت النَّضْر، عَمَّة أَنَس بْن مَالِك بْن النَّضْر بْن ضَمْضَم بْن عَمْرو)[١].

وإنما قالت ما قالت لأن سراقة رضي الله عنه كما عند أحمد وغيره، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (أَنَّ حَارِثَةَ خَرَجَ نَظَّارًا)، وفي رواية النسائي في الكبرى: (ما انطلق لقتال)، ففيه كما (قال المهلب: هذا نحو حديث أم حرام إذ سقطت عن دابتها فماتت، فهذا وشبهه مما يستحقّ به الجنة إذا صحّت فيه النية)[٢].

فصل في عدد من قُتل من المسلمين يوم بدر وما فعل الله بهم

عَنْ شَقِيقٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ: (أَنَّ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: "فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ إِطِّلاعَةً فَقَالَ: يَا عِبَادِي، مَاذَا تَشْتَهُونَ؟ قَالُوا: يَا رَبَّنَا مَا فَوْقَ هَذَا شَيْءٌ، قَالَ: فَيَقُولُ: عِبَادِي، مَاذَا تَشْتَهُونَ؟ فَيَقُولُونَ فِي الرَّابِعَةِ: تَرُدُّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا فَنُقْتَلُ كَمَا قُتِلْنَا")[٣]، وعند مسلم مثله في شهداء أُحُد.

ومن أُسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، كما قال ابن هشام في السيرة[٤]: (وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ قُرَيْشٍ ثُمّ مِنْ بَنِي الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ: عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطّلِبِ، قَتَلَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، قَطَعَ رِجْلَهُ فَمَاتَ بِالصّفْرَاءِ. رَجُلٌ.

---

[١] الفتح (ج٦/ص٣٢).
[٢] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص٣٠).
[٣] رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٦٦)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٩٠): (رجاله ثقات)، لكن منهم الحسين بن واقد، وهو وإن كان ثقة إلا أن له أوهاماً، فقد يكون هذا من وهمه في جعل ما يخصّ شهداء أحد إلى شهداء بدر كما هي رواية مسلم، فالله أعلم.
[٤] (ج٢/ص٣٦٤-٣٦٥).

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ: عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصِ بْنِ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَهُوَ أَخُو سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. وَذُو الشِّمَالَيْنِ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غُبْشَانَ. رَجُلَانِ.

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ: عَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ. وَمِهْجَعُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. رَجُلَانِ.

وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ: صَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ. رَجُلٌ. سِتَّةُ نَفَرٍ.

وَمِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ. وَمُبَشِّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبَرٍ. رَجُلَانِ.

وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ فُسْحُمٍ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ كَعْبِ بْنِ غَنْمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلِمَةَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَضَبِ بْنِ جُشَمَ: رَافِعُ بْنُ الْمُعَلَّى. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي النَّجَّارِ: حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ: عَوْفٌ وَمُعَوِّذٌ ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ. رَجُلَانِ. ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ)[1].

فهؤلاء أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

---

[1] وانظر الروض الأنف (ج٣/ص١٦٤).

ومنهم عبد الله بن سعيد بن العاص، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: (كان اسمه في الجاهلية الحكم، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وأمره أن يعلّم الكتابة بالمدينة، وكان كاتباً محسناً، قُتل يوم بدر شهيداً)[١].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب أيضاً: (وذكر المدائني عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استُشهد يوم بدر أبو آنسة مولى رسول الله ﷺ)[٢].

وما روي في قصة استشهاد سعد بن خيثمة، وهو أحد النقباء، وكان نقيب بني عمرو بن عوف؛ روى سعيد بن منصور[٣]، عن سليمان بن أبان بن أبي حدير: (أن رسولَ الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجا جميعاً، فذُكر لرسول الله ﷺ فأمرهما أن يخرج أحدهما، فاستهما فخرج سهم سعد فقال: أتؤثرني بها يا بني؟ فقال سعد: إنّها الجنة، ولو كان غيرها لآثرتك به، فخرج سعد مع النبي ﷺ فقُتل يوم بدر، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد).

وصحّ أنَّه شهد بدراً وابنه عبدُ الله بن سعد بن خيثمة رضي الله عنهم أجمعين؛ فقد روى البخاري في التاريخ الكبير[٤] عن المغيرة بن حكيم قال: سألت عبدَ الله بن سعد بن خيثمة: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم، والعقبة مع أبي رديفًا، وكان نقيباً)[٥].

الفوائد

- في مناصفة المهاجرين لقتلى المسلمين يوم بدر على الرغم من قلّة عددهم حيث كانوا نحو ربع الجيش النبوي؛ دلالة على شدّة بأسهم في هذا اليوم وتعرّضهم للشهادة

---

[١] (ص ٢٧٩).

[٢] (ص٤٣).

[٣] وابن المبارك في الجهاد (٧٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٦٥)، والحاكم (ج٣/ص١٨٩) بسند ضعيف ومرسل كما قال الذهبي.

[٤] (ج٤/ص٤٩).

[٥] وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص١٠٥): (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح).

بكل سبيل، وحرصهم الأشدّ على نصرة الدين، والخوف من علوّ المشركين، فهم أدرى من إخوانهم الأنصار بما يعنيه ظهور الكفر، فما لاقوه من أذى هم به أخبر.

وفيه دلالةٌ على حرصِهم على فداء إخوانهم الأنصار بأنفسهم، فقد كانوا يستشعرون فضلهم، وخاصّة وكما قيل إنَّ هذا أوَّلُ قتالٍ لهم دفاعاً عن الدِّين.

– وفي قصة استشهاد سعد بن خيثمة دلالة على أنَّ روح الجهاد والاستشهاد كانت تسري في نفوس الجماعة المؤمنة عموماً وآل خيثمة خصوصاً، وإنما استهما لأنَّ جهادَهم كان فرض كفاية وجهاد طلب، فأما جهاد الدفع فلا يحلّ لأحدهم القعود، وقد تنازع أيضاً اثنان من الصحابة في الخروج يوم بدر.

روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بن ثعلبة: (أنَّ رسول الله ﷺ أخبرهم بالخروج إلى بدر، وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار: أقم على أمك يا ابن أخت، فقال أبو أمامة: بل أنت أقم على أختك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي ﷺ وقد توفيت، فصلى عليها)[١].

– وفيه ما كانوا يتمتعون به من أدب رفيع في الخطاب واختيار الألفاظ، وخاصة من الابن لأبيه، ولِمَ لا؟ فقد كان يقال لسعد بن خَيْثَمَة: (سعد الخير).

– وفيه أنَّ القرعة وسيلةٌ شرعية لفضّ الخلاف كما سبق، وأنَّه لا إيثار في الطاعة، وأي طاعة هنا؟ إنه الموت وضرب الرقاب في سبيل الله.

– وفي حديث ابن مسعود: (ستة أدلة.. أحدها: كونها مودعة في جوف طير، الثاني: أنها تسرح في الجنة، الثالث: أنها تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها، الرابع: أنها تأوي إلى تلك القناديل أي تسكن إليها، الخامس: أن الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته وخاطبته، السادس: أنها طلبت الرجوع إلى الدنيا فعلم أنها مما يقبل الرجوع، فإن قيل هذا كله صفة الطير لا صفة الروح؟ قيل: بل الروح المودعة في الطير قصد)[٢].

[١] قال الهيثمي (ج٣/ص٣٢): (رجاله ثقات).
[٢] الروح لابن القيم (ص١٨١).

- فيه أنَّ الروح خلق من خلق الله، تنعّم وتعذّب، تتكلم وتصمت، (قال الشيخ أبو سعيد الخراز؛ أحد أكابر المشائخ الأئمة من أقران الجنيد، فيما صنفه في أنَّ الأرواح مخلوقة، وقد احتجّ بأمور، منها: لو لم تكن مخلوقة لما أقرت بالربوبية، وقد قال لهم حين أخذ الميثاق وهم أرواح في أشباح؛ كالذَرّ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا} [الأعراف:١٧٢]، وإنما خاطب الروح مع الجسد، وهل يكون الربّ إلا لمربوب؟ قال: ولأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصارى لومٌ في عبادتهم عيسى ولا حين قالوا: إنه ابن الله وقالوا: هو الله، قال: ولأنه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار، ولأنها لو كانت غير مخلوقة لما حجبت عن الله، ولا غيبت في البدن، ولا ملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبّد ولم تَخَف ولم ترجُ، ولأنَّ أرواح المؤمنين تتلألأ وأرواح الكفار سود مثل الحمم)[١].

وزنادقة هذه الأمة من أهل الحلول يقولون عنها: غير مخلوقة بل هي من الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلّالها من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشرُّ قولًا من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده؛ نصفه رب ونصفه عبد، وقد كفَّر الله النصارى بنحوٍ من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعمّ ذلك في كل أحد؟ حتى في فرعون وهامان وقارون)[٢].

- وفيه أنَّ الروح تأكل وتشرب وتسكن وتتحرك في موضعها، قال ابن القيم في كتاب الروح: (وهذا صريح في أكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها)[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (فقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بأنَّ الأرواح تقبض، وتنعّم وتعذّب)[٤].

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٤/ص٢٢٠-٢٢١).
[٢] مجموع الفتاوى (ج٤/ص٢٢٢).
[٣] (ص ٤٠).
[٤] مجموع الفتاوى (ج٤/ص٢٢٣).

- وفيه أنَّ مكان أرواح الشهداء في الجنة في أجواف طير خضر، (قال الإمام أحمد في رواية حنبل: أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة، والأبدان في الدنيا؛ يعذب الله من يشاء ويرحم بعفوه من يشاء، وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن أرواح الموتى: أتكون في أفنية قبورها؟ أم في حواصل طير؟ أم تموت كما تموت الأجساد؟ فقال: قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "نَسَمَة المؤمن إذا مات طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه"، وقد روي عن عبد الله بن عمرو أنَّه قال: أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزَّرَازِير -جمع زرزور، وهو نوع من العصافير- يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها، قال: وقال بعض الناس: أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل في الجنة معلقة بالعرش، وقد روى مسلم في صحيحه عن مسروق قال: سألنا عبد الله؛ يعني ابن مسعود عن هذه الآية: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩]، فقال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: "إن أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث تشاء، ثم تأوي إلى تلك القناديل")[١].

- وفيه أنَّ الروح تسبق الجسد إلى الجنة، قال ابن القيم: (قال رسول الله ﷺ: "إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة"، وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة، ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبي ﷺ: "أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة أو شجر الجنة" رواه أهل السنن وصحّحه الترمذي)[٢].

(وأما المَقعد الخاص به والبيت الذي أعدّ له فانه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أنَّ منازلَ الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعدّ الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعاً، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرّهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنّما يكون يوم

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٤/ص٢٢٤-٢٢٥).
[٢] حادي الأرواح (ج١/ص٤٠).

القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك، ونظيرُ هذا أهلُ الشقاء تُعرَضُ أرواحُهم على النار غُدواً وعشياً فإذا كان يومُ القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يُعرضون عليها في البرزخ، فتنعُّم الأرواح بالجنة في البرزخ شيءٌ وتنعُّمها مع الأبدان يوم القيامة بها شيءٌ آخر، فغذاه الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث)[1].

– وفيه أنَّه لا تناقض بين كون الروح في الجنة؛ وردهِّا السلام في القبر وغير ذلك من أنواع النعيم والعذاب، قال ابن القيم رحمه الله في الروح: (فإنَّ للروح شأناً آخر؛ تكونُ في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلّم المسلِّم على الميت ردّ الله عليه روحه فيردّ عليه السلام وهي في الملأ الأعلى، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أنَّ الروح من جنس ما يُعهد مِن الأجسام التي إذا شَغَلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين وتُردّ إلى القبر فتردّ السلام وتعلم بالمسلِّم وهي في مكانها هناك، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً ويردّها الله سبحانه إلى القبر فتردّ السلام على من سلَّم عليه وتسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبرٍ ورآه في السماء السادسة والسابعة؛ فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإمَّا أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء)[2].

وقال أيضاً: (فهذا سيِّد ولد آدم الذي روحُه في أعلى عليين مع الرَّفيق الأعلى ﷺ عند قبره؛ ويردّ سلام المسلِّم عليه، وقد وافق أبو عمر رحمه الله على أنَّ أرواح الشهداء في الجنة ويُسَلَّمُ عليهم عند قبورهم كما يُسَلَّمُ على غيرهم، كما علمنا النبي ﷺ أن نسلِّم عليهم، وكما كان الصحابة يسلِّمون على شهداء أحد، وقد ثبت أنَّ أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم، ولا يضيق عقلك عن كون الروح في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت؛ وتسمع سلام المسلِّم عليها عند قبرها وتدنو حتى تردّ عليه

---

[1] الروح (ص٩٧).
[2] (ص ١٠١).

السلام. وللروح شأن آخر غير شأن البدن، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه رآه النبي ﷺ وله ستمئة جناح منها جناحان قد سدّ بهما ما بين المشرق والمغرب؛ وكان من النبي ﷺ حتى يضع ركبتيه بين ركبتيه ويديه على فخذيه، وما أظنك يتّسع بظنك أنّه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السماوات حيث هو مستقره؛ وقد دنا من النبي ﷺ هذا الدنوّ، فإنَّ التصديق بهذا له قلوب خُلقت له وأُهّلت لمعرفته، ومن لم يتّسع بطانة لهذا فهو أضيق أن يتّسع للإيمان بالنزول الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة؛ وهو فوق سماواته على عرشه، لا يكون فوقه شيء البتة، بل هو العالي على كل شيء، وعلّوه من لوازم ذاته)[١].

فصل هل صلى رسول الله ﷺ على قتلى المسلمين ببدر؟

روى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، بسند صحيح مرسلاً؛ عن عطاء بن أبي رباح: (أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى بدر).

(ويردّه ما رواه الستة إلا مسلماً؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كان يجمعُ بين الرجلين مِن قتلى أحد، ثم يقول: "أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟"، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدّمه في اللّحد، وقال: "أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة"، وأمر بدفنهم ولم يصلِّ عليهم، ولم يغسّلوا.

ولا يخالف هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والنسائي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاتَه على الميت كالمودّع للأحياء والأموات، لأنَّ المراد بالصلاة هنا الدعاء، وقوله: صلاته على الميّت المراد به كدعائه للميت من غير نية ولا تكبير. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: جاءت الأخبار كأنَّها عيان من وجوه متواترة: أنَّ النبي ﷺ لم يصلِّ على قتلى أحد، وما روي أنه ﷺ صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصحّ، وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث الصحيحة أن يستحي على نفسه، قال: وأما حديث عقبة بن عامر فقد وقع في نفس الحديث أنَّ ذلك كان بعد ثمانِ سنين، يعني والمخالف يقول: لا يصلي على

---

[١] (ص ١٠٢).

القبر إذا طالت المدة، قال: وكان ﷺ دعا لهم واستغفر لهم، حين علم قرب أجله توديعاً لهم بذلك، ولا يدلّ ذلك على نسخ هذا الحكم الثابت)[١].

فصل علي رضي الله عنه يزيد في تكبيره على جنائز البدريين

روى البخاري عن عبد الله بْنِ مَعْقِلٍ: (أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَبَّرَ عَلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا).

وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن الشعبي قال: (حدثني عبد الله بن معقل: أن علياً صلى على سهل بن حنيف فكبّر عليه ستاً، ثم التفت إلينا فقال: إنه بدري)، قال الشعبي: وقدم علقمة من الشام فقال لابن مسعود: إن إخوتك بالشام يكبّرون على جنائزهم خمساً فلو وقّتم لنا وقتاً نتابعكم عليه، فأطرق عبد الله ساعة ثم قال: "انظروا جنائزكم فكبّروا عليها ما كبّر أئمتكم، لا وقت ولا عدد").

قال الحافظ في الفتح: (قوله: «كبّر على سهل بن حنيف» أي الأنصاري، قوله: «فقال: لقد شهد بدراً» كذا في الأصول لم يذكر عدد التكبير، وقد أورده أبو نعيم في المستخرج من طريق البخاري بهذا الإسناد فقال فيه: «كبّر خمساً»، وأخرجه البغوي في معجم الصحابة عن محمد بن عباد بهذا الإسناد، والإسماعيلي والبرقاني والحاكم من طريقه فقال: «ستاً» وكذا أورده البخاري في التاريخ عن محمد بن عباد، وكذا أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة وأورده بلفظ: «خمساً»، زاد في رواية الحاكم: «التفت إلينا فقال إنه من أهل بدر».

وقول علي رضي الله عنه: «لقد شهد بدرا» يشير إلى أن لمن شهدها فضلاً على غيرهم في كل شيء حتى في تكبيرات الجنازة، وهذا يدل على أنه كان مشهوراً عندهم أن التكبير أربع وهو قول أكثر الصحابة، وعن بعضهم التكبير خمس، وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم حديث مرفوع في ذلك، وقد تقدم في الجنائز أن أنساً قال: «إن التكبير على الجنازة ثلاث، وإن الأولى للاستفتاح» وروى ابن أبي خيثمة من وجه آخر مرفوعاً:

---

[١] نقلاً من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ج٤/ص٢٤٧-٢٤٨).

«إنه كان يكبّر أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانياً، حتى مات النجاشي فكبّر عليه أربعاً، وثبت على ذلك حتى مات»، وقال أبو عمر: «انعقد الإجماع على أربع، ولا نعلم من فقهاء الأمصار من قال بخمس إلا ابن أبي ليلى» انتهى. وفي المبسوط للحنفية عن أبي يونس مثله، وقال النووي في شرح المهذب كان بين الصحابة خلاف ثم انقرض وأجمعوا على أنه أربع، لكن لو كبر الإمام خمساً لم تبطل صلاته إن كان ناسياً، وكذا إن كان عامداً على الصحيح، لكن لا يتابعه المأموم على الصحيح، والله أعلم)[١].

فصل عدد قتلى المشركين وأسراهم في بدر

ثبت أنَّ عدد قتلاهم سبعون، وكذلك عدد أسراهم. فعن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في صحيح البخاري قَالَ: (جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِئَةً؛ سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ).

وعن ابن شهاب عن عروة بن الزبير قال: (كان أولُ قتيل قتل يوم بدر من المسلمين مهجع مولى عمرَ بنِ الخطاب ورجل من الأنصار، فهُزم يومئذ المشركون، وقُتل منهم زيادةٌ على سبعين منهم، وأسر منهم مثل ذلك)[٢].

فصل النبي ﷺ يأمر بقتل نفر من أسارى المشركين صبراً

والصَّبْر: الحَبْس، قال أبو عبيد بن سلّام في غريب الحديث: (وأصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره)[٣].

---

[١] (ج/٧ص/٤٠٣-٤٠٤).

[٢] رواه البيهقي في دلائل النبوة (٩٧٦)، وقال: (وهو أصحّ ما رُوِّيناه في عدد من قُتل من المشركين وأُسر منهم، فحديث البراء بن عازب له شاهد، وهو حديث موصول صحيح).

[٣] (ج/١ص/٢٥٤).

(ومنه الحديث الآخر في رجل أمسك رجلاً فقتله آخر فقال: "أقتلوا القاتل واصبروا الصابر"، قوله: اصبروا الصابر يعني: احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت، ومنه يقال للرجل يُقدّم فتُضرب عنقه: قُتل صبراً، يعني أنه أُمسك على الموت)[1].

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (فَادَى النَّبِيُّ ﷺ أُسَارَى بَدْرٍ، وَكَانَ فِدَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلافٍ، وَقُتِلَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ قَبْلَ الْفِدَاءِ؛ قَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ صَبْرًا، فَقَالَ: مَنْ لِلصِّبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ)[2].

وصحّ أنَّ النبي ﷺ قتله لوعد توعّده إياه ﷺ وهو بمكة أن يقتله صَبراً؛ فقد روى ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسندٍ صحيح كما قال السيوطي في الدر المنثور، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنَّ أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليلٌ غائبٌ عنه بالشام، فقالت قريش: صبأَ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشدّ مما كان أمراً، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ، فبات بليلةِ سوء، فلمَّا أصبح أتاه أبو معيط فحيّاه فلم يردّ عليه التحية، فقال: ما لك لا تردّ عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبوت؟ قال: أوقد فعلتها قريش؟ قال: نعم، قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البُزاق ثم التفت إليه فقال: "إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً".

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يَضرِبَ عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحلَ به جملُه في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من

[1] تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ج٤/ص٢٠١).
[2] رواه الطبراني في الكبير (١٢١٥٤)، والأوسط (٣٠٠٣)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٩): (رجاله رجال الصحيح).

قريش، وقُدّم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: "نعم بما بزقت في وجهي"، فأنزل الله في أبي معيط: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...} إلى قوله: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً} [الفرقان:٢٧-٢٩]، كما قُتل النضر بن الحارث الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [الأنفال:٣١]}).

أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير بسند صحيح مرسلاً قال: (قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: "وإنَّه كان يقول في كتاب الله ما يقول"، فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال المقداد: أسيري، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اغنِ المقداد من فضلك" فقال المقداد: هذا الذي أردت، وفيه نزلت هذه الآية: {وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا...} الآية)[1].

وهؤلاء الذين قتلهم رسول الله ﷺ صبراً على الرغم من أنَّهم لم يكونوا رؤوس المشركين، لكنهم كانوا من عتاة المجرمين المحادّين لله ورسوله، فكانوا باصطلاح اليوم بحقّ: (مجرمي حرب وعقيدة).

(وجاءت قتيلة -ابنة النضرِ بن الحارث بن علقمة بن كلدة العبدري- إلى رسول الله ﷺ وأنشدته:

أمحمدٌ يا خير ضنء كريمة ... من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرّك لو مننت وربما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنَّضرُ أقربُ من قتلت قرابة ... وأحقُّهم إن كان عتق يُعتق

فقال رسول الله ﷺ: "أما إني لو سمعت هذا قبل قتله لم أقتله"، وهذا ليس معناه الندم، لأنَّه عليه السلام لا يقول ولا يفعل إلا حقاً، لكن معناه لو شفعتْ عندي بهذا

[1] (ج١٣/ص٥٠٤).

القول لقبلتُ شفاعتها، وفيه تنبيه على حقّ الشفاعة والضّراعة، ولا سيما الاستعطاف بالشعر، فإنَّ مكارمَ الأخلاق تقتضي إجازةَ الشّاعر وتبليغَه قصدَه، والله أعلم)[١].

فصل النبي ﷺ يشاور الصحابة بشأن الأسرى

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قال: (فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: "مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟"، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ"؛ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ...} إِلَى قَوْلِهِ: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٨-٦٩]، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ)[٢].

(قَوْله: «هَؤُلَاءِ أَئِمَّة الْكُفْر وَصَنَادِيدهَا»، يَعْنِي: أَشْرَافهَا، الْوَاحِد صِنْدِيد بِكَسْرِ الصَّاد، وَالضَّمِير فِي «صَنَادِيدهَا» يَعُود عَلَى أَئِمَّة الْكُفْر أَوْ مَكَّة). (وَقَوْله تَعَالَى: {حَتَّى يُثْخِن فِي الْأَرْض}، أَيْ: يُكْثِر الْقَتْل وَالْقَهْر فِي الْعَدُوّ)[٣].

وفي مسند أحمد وغيره، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

[١] الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص٢٦).
[٢] رواه مسلم (١٧٦٣).
[٣] شرح مسلم للنووي (ج١٢/ص٨٦-٨٧).

قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ قَرِّبْهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعْتَ رَحِمَكَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَالَ: {مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى قَالَ: رَبِّ {اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}، أَنْتُمْ عَالَةٌ فَلَا يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ"، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ، قَالَ: فَسَكَتَ، فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخْوَفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ: "إِلَّا سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} -إِلَى قَوْلِهِ- {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٦٨-٦٩]).

وفي رواية أخرى: (قَالَ: "إِلَّا سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ")، وَقَالَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ: (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِتْرَتُكَ وَأَصْلُكَ وَقَوْمُكَ تَجَاوَزْ عَنْهُمْ يَسْتَنْقِذْهُمُ اللَّهُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ بِوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ فَأَضْرِمْهُ نَارًا ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ). ورواية أخرى كذلك: (فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ كَذَّبُوكَ وَآذَوْكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوكَ وَأَنْتَ بِوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ فَاجْمَعْ لَهُمْ حَطَبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَضْرِمْهُ عَلَيْهِمْ)، وَقَالَ: (سَهْلُ بْنُ بَيْضَاءَ)[١].

---

[١] قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٧): (فيه أبو عبيدة، ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات).

الفوائد

قَوْلُ الْجُمْهُور: (إِنَّ الْأَمْر فِي أَسْرَى الْكَفَرَة مِنَ الرِّجَال إِلَى الْإِمَام؛ يَفْعَل مَا هُوَ الْأَحَظُّ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ الزُّهْرِيّ وَمُجَاهِد وَطَائِفَة: لَا يَجُوز أَخْذ الْفِدَاء مِنْ أَسَارَى الْكُفَّار أَصْلًا، وَعَنِ الْحَسَن وَعَطَاء: لَا تُقْتَل الْأَسَارَى بَلْ يُتَخَيَّر بَيْنَ الْمَنّ وَالْفِدَاء، وَعَنْ مَالِك: لَا يَجُوز الْمَنّ بِغَيْرِ فِدَاء، وَعَنِ الْحَنَفِيَّة: لَا يَجُوز الْمَنّ أَصْلًا لَا بِفِدَاءٍ وَلَا بِغَيْرِهِ فَيُرَدّ الْأَسِير حَرْبِيًّا، قَالَ الطَّحَاوِيُّ: وَظَاهِر الْآيَة حُجَّة لِلْجُمْهُورِ وَكَذَا حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة فِي قِصَّة ثُمَامَة، لَكِنْ فِي قِصَّة ثُمَامَة ذِكْر الْقَتْل، وَقَالَ أَبُو بَكْر الرَّازِّي: اِحْتَجَّ أَصْحَابنَا لِكَرَاهَةِ فِدَاء الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ...} الْآيَة، وَلَا حُجَّة لَهُمْ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْل حِلّ الْغَنِيمَة، فَإِنْ فَعَلَهُ بَعْد إِبَاحَة الْغَنِيمَة فَلَا كَرَاهَة اِنْتَهَى، وَهَذَا هُوَ الصَّوَاب؛ فَقَدْ حَكَى ابْنُ الْقَيِّم فِي الْهَدْي اخْتِلَافًا؛ أَيّ الْأَمْرَيْنِ أَرْجَح؟ مَا أَشَارَ بِهِ أَبُو بَكْر مِنْ أَخْذ الْفِدَاء أَوْ مَا أَشَارَ بِهِ عُمَر مِنَ الْقَتْل؟ فَرَجَّحَتْ طَائِفَة رَأْي عُمَر لِظَاهِرِ الْآيَة وَلِمَا فِي الْقِصَّة مِنْ حَدِيث عُمَر مِنْ قَوْل النَّبِيّ ﷺ: "أَبْكِي لِمَا عُرِضَ عَلَى أَصْحَابك مِنَ الْعَذَاب لِأَخْذِهِمُ الْفِدَاء"، وَرَجَّحَتْ طَائِفَة رَأْي أَبِي بَكْر لِأَنَّهُ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَال حِينَئِذٍ وَلِمُوَافَقَةِ رَأْيه الْكِتَاب الَّذِي سَبَقَ وَلِمُوَافَقَةِ حَدِيث: "سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي"، وَلِحُصُولِ الْخَيْر الْعَظِيم بَعْدُ مِنْ دُخُول كَثِير مِنْهُمْ فِي الْإِسْلَام وَالصُّحْبَة وَمَنْ وُلِدَ لَهُمْ مَنْ كَانَ وَمِنْ تَجَدُّد، إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِمَّا يُعْرَف بِالتَّأَمُّلِ، وَحَمَلُوا التَّهْدِيد بِالْعَذَابِ عَلَى مَنِ اخْتَارَ الْفِدَاء فَيَحْصُل عَرَض الدُّنْيَا مُجَرَّدًا، وَعَفَا اللَّه عَنْهُمْ ذَلِكَ)[١].

والقولُ الراجح إن شاء الله قولُ الجمهور؛ فهو يُعمِل جميع الأدلة، وبه جاءت السنة وسارت عليه الأمة، (قَالَ أَبُو عُبَيْد: لَا نَسْخ فِي شَيْء مِنْ هَذِهِ الْآيَات بَلْ هِيَ مُحْكَمَة، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ عَمِلَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ كُلّهَا فِي جَمِيع أَحْكَامه؛ فَقَتَلَ بَعْض الْكُفَّار يَوْم بَدْر وَفَدَى بَعْضاً وَمَنَّ عَلَى بَعْض، وَكَذَا قَتَلَ بَنِي قُرَيْظَة وَمَنَّ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِق، وَقَتَلَ ابْنَ خَطَل وَغَيْره بِمَكَّة وَمَنَّ عَلَى سَائِرهمْ، وَسَبَى هَوَازِن وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، وَمَنَّ عَلَى

[١] فتح الباري لابن حجر (ج٦/ص١٨٧).

ثُمَامَة بْن أثَال؛ فَدَلَّ كُلّ ذَلِكَ عَلَى تَرْجِيح قَوْل الْجُمْهُور إِنَّ ذَلِكَ رَاجِع إِلَى رَأْي الْإِمَام. وَمُحَصِّل أَحْوَالهمْ تَخْيِير الْإِمَام بَعْد الْأَسْر بَيْن ضَرْب الْجِزْيَة لِمَنْ شُرِعَ أَخْذهَا مِنْهُ أَوِ الْقَتْل أَوِ الِاسْتِرْقَاق أَوِ الْمَنّ بِلَا عِوَض أَوْ بِعِوَض، هَذَا فِي الرِّجَال، وَأَمَّا النِّسَاء وَالصِّبْيَان فَيُرَقُّونَ بِنَفْسِ الْأَسْر، وَيَجُوز الْمُفَادَاة بِالْأَسِيرَةِ الْكَافِرَة بِأَسِيرِ مُسْلِم أَوْ مُسْلِمَة عِنْد الْكُفَّار، وَلَوْ أَسْلَمَ الْأَسِير زَالَ الْقَتْل اتِّفَاقًا، وَهَلْ يَصِير رَقِيقًا أَوْ تَبْقَى بَقِيَّة الْخِصَال؟ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ)[١].

- وفيه استحباب المشورة، وهي استطلاعُ رأي الخُبَرَاء وأصحابِ الرأي في مسألة معينة لاختيار الأصلح. روى الطبري في تفسيره عن الحسن: (ما شاور قوم قطّ إلا هُدُوا لأرشد أمورهم)[٢]، وَفِي لَفْظ كما عند ابن أبي حاتم بسند قوي كما قال الحافظ في الفتح : (... إِلَّا عَزَمَ اللَّه لَهُمْ بِالرُّشْدِ أَوْ بِالَّذِي يَنْفَع)[٣]. ومدح الله أهل الإيمان فقال سبحانه: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[الشورى:٣٨]، وقال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:١٥٩].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره: (إنَّ الله عز وجل أمرَ نبيَّه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حَزَبه مِن أمرِ عدوه ومكايدِ حربه، تألُّفًا منه بذلك من لم تكن بصيرتُه بالإسلام البصيرةَ التي يُؤْمَنُ عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفًا منه أمَّتَه مأتى الأمور التي تحزُبهم من بعده ومطلَبَها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله، فأمَّا النبي ﷺ، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بِوَحيه أو إلهامِه إيَّاه صوابَ ذلك، وأمَّا أمَّتُه فإنَّهم إذا تشاوروا مستنِّين بفعلِه في ذلك على تصادُقٍ وتآخٍ للحق وإرادةِ جميعِهم للصواب، مِن غير ميلٍ إلى هوى ولا حَيْدٍ عن هدى؛ فالله مسدِّدُهم وموفِّقُهم)[٤].

[١] الفتح (ج٦/ص١٨٨).
[٢] (ج٧/ص٣٤٤).
[٣] (ج١٣/ص٤٢٠).
[٤] (ج٧/ص٣٤٥-٣٤٦).

(وفِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة: «مَا رَأَيْت أَحَدًا أَكْثَر مَشُورَة لِأَصْحَابِهِ مِنَ النَّبِيّ ﷺ»، وَرِجَاله ثِقَات إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِع)[٥].

وقد بوّب البخاري رحمه الله لذلك فقال في كتاب الاعتصام (باب ٢٨): (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}، {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}. وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}؛ فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمُقَامِ وَالْخُرُوجِ فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ، فَلَمَّا لَبِسَ لَأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا أَقِمْ فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْعَزْمِ وَقَالَ: "لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ". وَشَاوَرَ عَلِيًّا وَأُسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الْإِفْكِ عَائِشَةَ فَسَمِعَ مِنْهُمَا حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ فَجَلَدَ الرَّامِينَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تَنَازُعِهِمْ وَلَكِنْ حَكَمَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ. وَكَانَتِ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ. وَرَأَى أَبُو بَكْرٍ قِتَالَ مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ تَابَعَهُ بَعْدُ عُمَرُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَشُورَةٍ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ". وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَشُورَةِ عُمَرَ؛ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

قال ابن بطال في شرح الصحيح: (وأما قول البخاري: فكان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم؛ فبذلك تواصى العلماء والحكماء، قال سفيان الثوري: ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ومن يخشى الله، فإذا أشار أحد برأي سأله: من أين قاله؟ فإن اختلفوا أخذ بأشبههم قولاً بالكتاب والسنة، ولا يحكم بشيء حتى يتبين له حجة يجب الحكم بها. وقول البخاري: فإذا وضح الكتاب والسنة؛ يعني: إن

[٥] الفتح (ج١٣/ص٤٢٠).

وجد فيهما نصّ لم يتعدّوه، وإن لم يوجد نصّ وسعهم الاجتهاد. وقال الشافعي: وإنما يؤمر الحاكم بالمشورة؛ لأن المشير ينبهه لما يغفل عنه ويدله من الأخبار على ما يجهله، فأما أن يقلد مشيرًا فلم يجعل الله هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ)[1].

وعن أَبِي سَعِيدٍ؛ كما في صحيح البخاري؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إلا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تعالى".

قال ابن بطال رحمه الله: (ينبغي لمن سمع هذا الحديث أن يتأدّب به، ويسأل الله العصمة من بطانة الشر وأهله، ويحرّض على بطانة الخير وأهله. قال سفيان الثوري: ليكن أهلُ مشورتك أهلَ التقوى وأهلَ الأمانة ومَن يخشى الله. قال سفيان: وبلغني أنَّ المشورة نصف العقل)[2].

فصل الإحسان إلى الأسرى

قال الله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}[الإنسان:٨].

قال ابن جرير رحمه الله: (وقوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا}، يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبِّهم إياه، وشهوتهم له)[3].

قال ابن الجوزي في زاد المسير: (وفي الأسير أربعةُ أقوال.. أحدها: أنّه المسجون من أهل القبلة، قاله عطاء ومجاهد وابن جبير. والثاني: أنَّه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي. والرابع: العبد، ذكره الماوردي)[4].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (إنَّ الله وصف هؤلاء الأبرار بأنَّهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وُصِفت صفته؛ واسم الأسير قد يشتمل على

---

[1] (ج٢٠/ص٣٠).
[2] (ج١٥/ص٢٩٥).
[3] (ج٢٤/ص٩٦).
[4] (ج٦/ص١٠٣).

الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنَّهم يطعمونهم فالخبر على عمومه حتى يخصُّه ما يجب التسليم له. وأما قول من قال: لم يكن لهم أسيرٌ يومئذ إلَّا أهلَ الشرك، فإنَّ ذلك وإن كان كذلك، فلم يُخصَّص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ، وإنَّما هو خبر من الله عن كلّ من كانت هذه صفتَه يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معنيّ به أسيرُ المشركين والمسلمين يومئذ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة)[١].

وفي صحيح البخاري عن جابرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِيَ بِالأُسَارَى وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ)، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ.

(قَوْله: «فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيّ ﷺ قَمِيصه الَّذِي أَلْبَسهُ»، أَيْ لِعَبْدِ الله بن أُبَيّ عِنْد دَفْنه)[٢].

قال المهلب: (وفيه كِسوة الأسارى والإحسان إليهم، وأن لا يُترَكُوا عراة فتبدو عوراتهم، ولا يجوز النظر إلى عورات المشركين. وفيه: وجوب المكافأة على اليد تُسدى إلى قريب الرجل، إذا كان ذلك إكرامًا له في قريبه ولم يطلبها القريب إذا كانت بسبب الستر من أهله. وفيه: أنَّ المكافأة تكون في الحياة وبعد الممات)[٣].

وعن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال: (كنت في الأسرى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: "استوصوا بالأسارى خيراً"، وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البرّ لوصية رسول الله ﷺ)[٤].

---

[١] (ج٢٤/ص٩٨).

[٢] فتح الباري (ج٦/ص١٧٨).

[٣] شرح الصحيح لابن بطال (ج٩/ص٢١٦).

[٤] رواه الطبراني في الصغير (٤٠٩)، والكبير (٩٧٧)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٦): وإسناده حسن.

فصل فداء الأسرى

روى أبو داود[١]، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعَ مِائَةٍ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (فَادَى النَّبِيُّ ﷺ أُسَارَى بَدْرٍ، وَكَانَ فِدَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلافٍ، وَقُتِلَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ قَبْلَ الْفِدَاءِ؛ قَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ صَبْرًا، فَقَالَ: مَنْ لِلصِّبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ)[٢].

ورَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ، قَالَ: فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي، قَالَ: الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ! وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا)[٣].

(وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ أَحَدٌ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَا مَالَ لَهُ فَيَقْبَلُ مِنْهُ أَنْ يُعَلِّمَ عَشَرَةً مِنَ الْغِلْمَانِ الْكِتَابَةَ وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ، فَيَوْمَئِذٍ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ غِلْمَةِ الْأَنْصَارِ)[٤].

وفيه الحرص على تعلّم الكتابة فهي المدخل لتعلّم الدين، وبها يصلح دينُ المرء ودنياه، ولا سبيل إلى معرفةِ ما ينفعنا في الدين والدنيا إلا بالكتابة؛ أي بالعلم.

فصل زينب بنت رسول الله ﷺ ترسل في فداء زوجها

روى الإمام أحمد[٥]؛ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ

---

[١] والنسائي في الكبرى (٨٦٦١)، والحاكم (ج٢/ص١٢٥).

[٢] رواه الطبراني في الكبير (١٢١٥٤)، والأوسط (٣٠٠٣)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٨٩): (رجاله رجال الصحيح) وقد تقدم.

[٣] قال الهيثمي في زوائده (ج٤/ص٩٦): (رواه أحمد عن علي بن عاصم، وهو كثير الغلط والخطأ وقد وثّقه أحمد، وبقية رجاله ثقات)، لكن لـه طريق أخرى لا مطعن فيها عند الحاكم (ج٢/ص١٤٠) وصحّحه ووافقه الذهبي، وهو عند البيهقي أيضاً في الكبرى (١٢٦٢٦).

[٤] الروض الأنف (ج٣/ص١٣٢).

[٥] وأبو داود (٢٦٩٢) بإسناد حسن وأخرجه أيضاً الحاكم (ج٣/ص٣٢٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا"، فَقَالُوا: نَعَمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: "كُونَا بِبَطْنِ يَأْجَجَ حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاهَا حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا").

(«رَقَّ لَهَا» أَيْ: لِزَيْنَب، يَعْنِي لِغُرْبَتِهَا وَوَحْدَتهَا، وَتَذَكَّرَ عَهْد خَدِيجَة وَصُحْبَتهَا، فَإِنَّ الْقِلَادَة كَانَتْ لَهَا وَفِي عُنُقهَا)[1].

(«أَنْ يُخَلِّي سَبِيل زَيْنَب إِلَيْهِ» أَيْ: يُرْسِلهَا إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَيَأْذَن بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَة. قَالَ الْقَاضِي: وَكَانَتْ تَحْت أَبِي الْعَاصِ زَوْجهَا مِنْهُ قَبْل الْمَبْعَث)[2].

(قال ابن هشام: وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام. قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمُّه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوِّجه بابنتها زينب)[3].

أما عن إطلاق سراحه فقد ذكرنا قول الجمهور أنَّ أمرَ الأسير إلى الإمام؛ يفعل ما فيه المصلحة، وليست مصلحةٌ أعظمَ من رجاء تخليص بنتِ رسول الله ﷺ وإمامِ المسلمين، روى الطحاوي في مشكل الآثار عن يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: (لما بعث أهل مكة في فداء أسيرهم؛ بعثت زينبُ بنتُ رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع، وبعثت فيه بِقِلادة لها كانت خديجةُ أدخلتْها على أبي العاص حين بنى عليها، فلما رأى رسولُ الله ﷺ القلادة رقّ لها رقّة شديدة، حتى دمعت عيناه وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وأن تردّوا عليها الذي لها، فافعلوا" فقالوا: يا رسولَ الله بأبينا أنت وأمِّنا، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها).

---

[1] عون المعبود (ج٣/ص١٤).
[2] المصدر السابق.
[3] السيرة لابن كثير (ج٢/ص٤٨٣)، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام (ج٢/ص٣٠٦).

قال الطحاوي: فقال قائل: وما كانت الحاجة في هذا إليهم، وإنما المنّ في ذلك كان إلى رسول الله ﷺ لا إليهم، ألا ترى إلى حديث جبير بن مطعم لما كلّم النبي ﷺ فيهم، فقال: "لو كان جاءني -يعني أباه المطعم بن عدي- لأطلقتهم له"، وقد رُوّينا هذا الحديث فيما تقدم منّا في كتابنا هذا، وكان جوابنا له في ذلك: إن الذي كان من رسول الله ﷺ في حديث جبير إنَّما كان في الوقت الذي كان للنبي ﷺ قتلُهم وكان إليه المنُّ عليهم بِتَرك قتلهم، وكان الذي في حديث عائشة إنَّما كان بعد أن حقنَ فداؤهم دماءَهم وعاد ما افتُدُوا به مَالاً، حكمُه حكمُ الغنيمة التي صارت لِمَن أوجف عليها ما لهم فيها، فلم يَصلح أن يُطلق أموالَهم منها إلَّا بما طابت به أنفسُهم، وقد يجوز أن يكون رسولُ الله ﷺ ردّ ذلك إلى معنى مِن وجوه الغنيمة بأن يعوّض أهلَها الذين صَرف ذلك إليهم ما رأى أن يُعوّضهم من تلك الغنيمة حتى تستقرّ بكليَّتها في مواضعِها التي يجب أن تستقر فيها، والله الموفق)[1].

الفوائد

- وَفِيهِ (دَلِيل عَلَى جَوَاز خُرُوج الْمَرْأَة الشَّابَّة الْبَالِغَة مَعَ غَيْر ذِي مَحْرَم لِضَرُورَةٍ دَاعِيَة لَا سَبِيل لَهَا إِلَّا إِلَى ذَلِكَ)[2]، وأنَّه إذا دعت الضرورة الشرعية لسفرها مع رجل يستحبّ أن يكون مع أكثرَ من شخص، وأن يُختار لذلك الثقة المجرّب الأمين في الخلق والعقيدة.

قال الصنعاني في سبل السلام: (وَيَجُوزُ سَفَرُ الْمَرْأَةِ وَحْدَهَا فِي الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ وَالْمَخَافَةِ عَلَى نَفْسِهَا، وَلِقَضَاءِ الدَّيْنِ وَرَدِّ الْوَدِيعَةِ وَالرُّجُوعِ مِنَ النُّشُوزِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ)[3].

---

[1] (ج١٠/ص٣٣٧).
[2] عون المعبود (ج٣/ص١٤).
[3] (ج٢/ص١٨٣).

قَالَ فِي الْفَتْحِ: (وَضَابِطُ الْمَحْرَمِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَرُمَ عَلَيْهِ نِكَاحُهَا عَلَى التَّأْبِيدِ بِسَبَبٍ مُبَاحٍ لِحُرْمَتِهَا)[٤].

(وقد أجمع المسلمون أنه لا يجوز السفر للمرأة بدون محرم، إلا على وجه تأمنُ فيه. ثمَّ ذكر كلٌّ منهم الأمر الذي اعتقده صائناً لها وحافظاً، من نسوة ثقات أو رجال مأمونين، ومنعُها أن تسافر بدون ذلك، فاشتراط ما اشترطه الله تعالى ورسوله ﷺ أحقّ وأوجب، وحكمته ظاهرة، فالذين خالفوا ظاهر الأحاديث وأباحوا لها السفر حين تكون آمنة نظروا إلى المعنى المراد وقالوا: إنها مأمورة بالحج على وجه العموم بقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: ٩٧])[٢].

فصل دلائل النبوة في قصة سهيل بن عمرو

(سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية، أُسر يوم بدر كافراً)[٣].

روى الحاكم، والبيهقي في دلائل النبُّوة، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد بن الحنيفة قال: (قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً، فقال: "دعها، فلعلّها أن تسرّك يوماً"، قال سفيان: فلما مات النبي ﷺ نفر منه أهلُ مكة، فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة فقال: من كان محمد إلهه فإن محمداً قد مات، والله حي لا يموت). قلت -والقائل هو البيهقي-: (ثم لحق سهيلٌ في أيام عمر رضي الله عنه بالشام مُرابطاً في سبيل الله عز وجل حتى مات بها في طاعون عمواس).

[٤] (ج٤/ص٩٤).
[٢] تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله البسام (ج١/ص٣٤٣).
[٣] الاستيعاب لابن عبد البر (ص٢٠٢).

و(قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤى، أنَّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ: "لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبياً". قلت: هذا حديث مرسل، بل معضل)[١].

و(روى ابن سعد[٢] من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي عمرو بن عدي بن الحمراء الخزاعي قال: نظرت إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نعيُ رسول الله إلى مكة وقد خطبنا بخطبة أبي بكر التي خطب بالمدينة كأنَّه سمعها، فلما بلغ ذلك عمر، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، وأنَّ ما جاء به حقّ، هذا هو المقام الذي عنى رسول الله ﷺ حين قال لي: "لعله يقوم مقاماً لا تكرهه". ورواه المحاملي في فوائده موصولاً من طريق سعيد بن أبي هند عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها)[٣].

وفي قصة فدائه من أسر المسلمين؛ قال ابن هشام في السيرة: (ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ الْأُسَارَى، فَقَدِمَ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخْيَفِ فِي فِدَاءِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ الّذِي أَسَرَهُ مَالِكُ بْنُ الدّخْشُمِ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ:

أَسَرْتُ سُهَيْلًا فَلَا أَبْتَغِي ... أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنّ الْفَتَى ... فَتَاهَا سُهَيْلٌ إذَا يُظّلَمْ
ضَرَبْتُ بِذِي الشّفْرِ حَتّى انْثَنَى ... وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمِ).

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا قَاوَلَهُمْ فِيهِ مِكْرَزٌ وَانْتَهَى إلَى رِضَاهُمْ قَالُوا: هَاتِ الّذِي لَنا، قَالَ: اجْعَلُوا رِجْلِي مَكَانَ رِجْلِهِ وَخَلّوا سَبِيلَهُ حَتّى يَبْعَثَ إلَيْكُمْ بِفِدَائِهِ، فَخَلّوْا سَبِيلَ سُهَيْلٍ وَحَبَسُوا مِكْرِزًا مَكَانَهُ عِنْدَهُمْ، فَقَالَ مِكْرَزٌ:

فَدَيْت بِأَذْوَادٍ ثَمَانٍ سِبَا فَتَى ... يَنَالُ الصّمِيمَ غُرْمُهَا لَا الْمُوَالِيَا

---

[١] السيرة لابن كثير (ج٢/ص٤٨١)، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام (ج٢/ص٣٠٤).
[٢] هو في الجزء المتمّم لطبقات ابن سعد(ج١/ص٢٩١) من روايته عن شيخه الواقدي المتروك، فالله أعلم.
[٣] سبل الهدى والرشاد (ج١٠/ص٩٧).

رَهَنْتُ يَـدَيَّ وَالْمَـالُ أَيْسَـرُ مِنْ يَـدَيّ عَلَيّ وَلَكِنّي خَشِـــيــتُ الْمَخَازِيَا
وَقُلْتُ سُـــهَيْلٌ خَيْرُنَا فَـــاذْهَبُوا بِـــهِ لِأَبْنَائِنَـــا حَتّى نُـــدِيرَ الْأَمَانِيَـــا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُ هَذَا لِمِكْرَزٍ)[1].

(وهو الذي جاء في الصلح يوم الحديبية فقال رسول الله ﷺ حين رآه: "قد سهل لكم من أمركم"، وعقد مع رسول الله ﷺ الصلح يومئذ، وهو كان متولي ذلك دون سائر قريش، وهو الذي مدحه أمية بن أبي الصلت فقال:

أبا يزيد رأيت سيبكَ واسعاً *** وسجالُ كفِّك يستهل ويمطرُ

وقال فيه ابن قيس الرقيات حين منع خزاعة من بني بكر بعد الحديبية وكانوا أخواله فقال:

منهم ذو الندى سهيل بن عمرو *** عصبة الناس حين جب الوفاء
حاط أخواله خُزاعة لما *** كثرتهم بمكة الأحياء)[2].

الفوائد

- فيه دلالة كبيرة وآية عظيمة من آيات نبوته ﷺ كما ذكر القاضي عياض في (الشفا) وغيره؛ إذ أخبر عن رجل ما زال مشركاً أنَّه سيقوم مقاماً محموداً، فقام مقامات محمودة في حياته ﷺ وبعد مماته، وحمده الناس في موقفه من المسلمين بعد ذلك في شركه وإسلامه، فتولى الصلح العظيم والفتح الكبير بالحديبية، وقال ﷺ في مَقدمه على المسلمين يومئذ، كما في صحيح البخاري: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ".

ووقف المقام الكبير المحمود في الأرض والسماء، ببشارة رسول الله ﷺ يوم ماجت الأرض بالرّدة، فمنع خير البلاد وعصمهم الله منها به.

---

[1] (ج٢/ص٣٠٣-٣٠٥).
[2] الاستيعاب لابن عبد البر (ص٢٠٢).

ووقف مقاماً محموداً لما ثبّت أشياخَ قريش على الإسلام ونصحهم وذكّرهم، وكان هو من أشرفهم.

(روى جرير بن حازم عن الحسن قال: حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأولئك الشيوخ من مسلمة الفتح، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيبٍ وبلال وعمَّار وأهلِ بدر، وكان يحبهم، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قطّ، إنَّه ليُؤذن لهؤلاء العبيد ونحنُ جلوس لا يُلتَفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو –قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله!– فقال: أيها القوم إني والله قد أرى ما في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه)[1].

ثم وقف المقام المحمود لما هاجر بنفسه وأهلِه ومالِه مجاهداً إلى الله، وهو الشيخ الكبير فلم يرجع من ذلك بشيء، حيث (قال: أيها الناس إن هؤلاء سبقوكم بما ترون، فلا سبيل والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم الشهادة، ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام، قال الحسن: صدق والله، عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه، وخرج سهيل بأهل بيته إلا ابنته هند إلى الشام مجاهداً فماتوا هناك)[2].

وكانت كل هذه المقامات في حياة عمر وبشهوده، فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

– وفي موقف مكرز بن حفص وقصة مَقدمه لفداء سهيل دلالةٌ عجيبة على تقدير قريش لأهل الفضل منهم والحرص عليهم وفدائهم بأنفسهم والثقة بأخلاق أشرافهم، بل والحرص على أموالهم وليس فحسب حياتهم، ففاوض المسلمين على قدر فدائه فلما وصل الحد الأدنى وضع رجله في القيد مكانه. فما أحوجنا نحن المسلمين إلى هذه الأخلاق.

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير (ص٤٩٠).
[2] أسد الغابة لابن الأثير (ص٤٩٠).

والحمد لله أنِّي رأيتها في هذا الجهاد ببلاد الرافدين؛ فقد أُسِر مهاجرٌ من الجزيرة في منطقة (العويسات) وكان محبوباً فيهم، فاحتال أنصاريٌ كريمٌ وذهب لزيارةٍ في زيّ النساء هو وأمُّه، فلما جلس إليه وكان ذلك في البداية ممكناً؛ لبس لباسه ودخل مكانه إلى السجن بعدما هرب الأخ المهاجر بصحبة أم العيساوي، فنعم الابنُ ونعمتِ الأم، ولا يخفى عليك حجم العذاب الذي صبّه الكفارُ على المسكين لفعله، ولكن العجب أنَّه أُطلق سراحُه بعد فترة بسيطة لقصة ادّعاها ليس هذا موضعَها.

فصل شيء مما جاء في تجلّد قريش لمُصَابها

عن عبد الله بن الزبير قال: (كانت قريشُ ناحت قتلاها ثم ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، وكان في الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ له بمكة ابناً تاجراً كيساً ذا مال، كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه"، فلما قالت قريش في الفداء ما قالت؛ قال المطلب: صدقتم والله، لئن صدقتم ليثأرنّ عليكم، ثم انسلّ من الليل فقدم المدينة ففدى أباه أربعة آلاف درهم)[1].

وَعَنْ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (قَالَتْ قُرَيْشٌ حِينَ رَجَعُوا إلَى مَكّةَ وَقُتِلَ أَهْلُ بَدْرٍ: لَا تَبْكُوا عَلَى قَتْلَاكُمْ فَيَبْلُغَ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ فَيَشْمَتُوا بِكُمْ، وَلَا تَبْعَثُوا فِي أَسْرَاكُمْ فَيَأْرَبَ بِكُمُ الْقَوْمُ، أَلَا فَأَمْسِكُوا عَنِ الْبُكَاءِ، قَالَتْ: وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطّلِبِ أُصِيبَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ وَلَدِهِ؛ زَمْعَةُ وَعُقَيْلٌ وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ، فَكَانَ يُحِبّ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى قَتْلَاهُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ سَمِعَ نَائِحَةً مِنَ اللّيْلِ فَقَالَ لِغُلَامِهِ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ: هَلْ بَكَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهَا؟ لَعَلّي أَبْكِي عَلَى أَبِي حُكَيْمَةَ -يَعْنِي زَمْعَةَ- فَإِنّ جَوْفِي قَدِ احْتَرَقَ، فَذَهَبَ الْغُلَامُ وَرَجَعَ إلَيْهِ فَقَالَ: إنّمَا هِيَ امْرَأَةٌ تَبْكِي عَلَى بَعِيرِهَا قَدْ أَضَلّتْهُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ:

تُبَكّي أَنْ يَضِلّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النّوْمِ السّهُودُ

[1] قال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٩٠): (رواه الطبراني، رجاله ثقات).

فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْــــــرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَــــدْرٍ تَصَـــاغَرَتِ الْخُدُودُ
فَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيـــــلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَـــدَ الْأُسُــــودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسَـــمِي جَمِيعًـــا وَمَـــا لِأَبِي حُكَيْمَـــةَ مِنْ نَدِيـــدِ
عَلَى بَـــدْرٍ سَـــرَاةِ بَنِي هُصَـيْصٍ وَمَخْزُومٍ وَرَهْـــطِ أَبِي الْوَلِيـــدِ
أَلَا قَـــدْ سَـــادَ بَعْـــدَهُمُ رِجَـــالٌ وَلَـــوْلَا يَوْمُ بَـــدْرٍ لَمْ يَسُـــودُوا)[١].

الفوائد

- أنَّ المسلم ينبغي له أن يصبر عند البلاء ويتجلّد عند المصاب، فهذا مما توارثته النفوس الأبية، وخاصة إذا كان في ذلك شماتة الأعداء، ولقد ابتلينا بكثرة خطبِ البكاء على الآلام والجراح دون هدف يُذكر، سوى نواحٍ وولولةِ النساء، وإضعاف الهِمم في النفوس دون الدعوة إلى العمل.

فصل الغنيمة بعد النصر والغنى بعد الفقر

روى أبو داود[٢]؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ"، فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَانْقَلَبُوا حِينَ انْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ، وَاكْتَسَوْا وَشَبِعُوا).

الفوائد

- فيه أن الإمام يقول: "اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ"؛ متضرعاً إلى الله إذا رأى الفاقة في جيشه، رجاء أن يتغمّدهم الله برحمته وفضله.

---
[١] مغازي الواقدي (ص١٢٤).
[٢] والحاكم (ج٢/ص١٣٢-١٣٣، ١٤٥)، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي -وقال مرة: على شرط مسلم-.

- وفيه بركة الجهاد وعظيم مِنن الله فيه، وكيف أنهم -رضي الله عنهم- خرجوا لطلب العير فلما فاتتهم أو ظنوا ذلك رضوا بالحرب إعلاءً لكلمةِ الله في الأرض، فأكرمهم الله بالخيرين؛ النصر والغنيمة.

فصل ما قيل أنّ أولَ سيفٍ تقلّده النبي ﷺ خاصاً به كان من غنائم بدر

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَنَفَّلَ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ)[١].

وأمّا ما روي أنّ الحجاج بن علاط أهداه له فهو غير صحيح، فقد رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس: (أن الحجاج بن علاط أهدى لرسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، ودحية الكلبي أهدى له بغلته الشهباء)[٢].

روى الواقدي من رواية سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ، ورواية ابْنِ عَبّاسٍ؛ قَالَا: (تَنَفّلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ لِمُنَبّهِ بْنِ الْحَجّاجِ) -قال الواقدي:- (وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَدْ غَزَا إلَى بَدْرٍ بِسَيْفٍ وَهَبَهُ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يُقَالُ لَهُ الْعَضْبُ، وَدِرْعِهِ ذَاتِ الْفُضُولِ، فَسَمِعْت ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ يَقُولُ سَمِعْت صَالِحَ بْنَ كَيْسَانَ يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا مَعَهُ سَيْفٌ، وَكَانَ أَوّلُ سَيْفٍ تَقَلّدَهُ سَيْفَ مُنَبّهِ بْنِ الْحَجّاجِ، غَنِمَهُ يَوْمَ بَدْرٍ)[٣].

أي ما معه سيف خاص به ويحتمل ظاهر الكلام، وقد حدث لنا ذلك بفضل الله في معركة الفلوجة الأولى؛ حيث داهم العدوُّ البلدةَ فجأةً فخرجنا ثلاثة نتنازع سلاحاً واحداً، فما هي إلا ساعات حتى غنمتُ سلاحاً جديداً.

وفي صفة السيف؛ أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن عامر قال: (أخرج إلينا عليُّ بن الحسين سيفَ رسول الله ﷺ، فإذا قَبِيعته والحَلْقتان اللتان فيهما الحمائلُ فضة، وسلّته

---

[١] رواه الترمذي (ج٢/ص٣٨٣-تحفة) وحسّنه، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والحاكم (ج٢/ص١٢٩) وصحّحه، ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير (١٠٧٣٣)، وحسّنه الحافظ في الفتح (ج١٣/ص٤٢١).

[٢] قال الهيثمي في المجمع (ج٤/ص١٥٣): (فيه إبراهيم بن عثمان أبو شيبة وهو متروك).

[٣] (ص ١٠٣).

فإذا هو قد نحل، كان سيف منبِّه بن الحجاج السَّهمي اتخذه النبي ﷺ لنفسه يومَ بَدْر).

وعن أنس -بسند صحيح - قال: (كانت قَبِيعة سيفِ رسول الله ﷺ من فضة)[١]، (قال ابن جرير: وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة)[٢].

فصل في الصَّفِيّ

عن يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: (كُنَّا بِالْمِرْبَدِ جُلُوسًا فَأَتَى عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، لَمَّا رَأَيْنَاهُ قُلْنَا: هَذَا كَأَنَّ رَجُلٌ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ؟ قَالَ: أَجَلْ، فَإِذَا مَعَهُ كِتَابٌ فِي قِطْعَةِ أَدِيمٍ، قَالَ وَرُبَّمَا قَالَ فِي قِطْعَةِ جِرَابٍ، فَقَالَ: هَذَا كِتَابٌ كَتَبَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ -وَهُمْ حَيٌّ مِنْ عُكْلٍ- إِنَّكُمْ إِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْطَيْتُمُ الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ ثُمَّ سَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّفِيَّ، -وَرُبَّمَا قَالَ- وَصَفِيَّهُ فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمَانِ رَسُولِهِ")[٣].

قال الحافظ في الفتح: (وَالصَّفِيُّ، بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ التَّحْتَانِيَّةِ، فَسَّرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ فِيمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ يُضْرَبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِسَهْمٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَالصَّفِيُّ يُؤْخَذُ لَهُ رَأْسٌ مِنَ الْخُمُسِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ»، وَمِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ سَهْمٌ يُدْعَى الصَّفِيَّ إِنْ شَاءَ عَبْدًا وَإِنْ شَاءَ أَمَةً وَإِنْ شَاءَ فَرَسًا يَخْتَارُهُ مِنَ الْخُمُسِ»، وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا غَزَا كَانَ لَهُ سَهْمٌ صَافٍ يَأْخُذُهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ، وَكَانَتْ صَفِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ»، وَقِيلَ: إِنَّ صَفِيَّةَ كَانَ اسْمُهَا قَبْلَ أَنْ تُسْبَى زَيْنَبَ، فَلَمَّا صَارَتْ مِنَ الصَّفِيِّ سُمِّيَتْ صَفِيَّةَ)[٤].

(وقد كان هذا لولي الجيش في الجاهلية مع حظوظ أخر. وفيه يقول القائل:

---

[١] رواه أبو داود (٢٥٨٣)، والترمذي (١٦٩١)، والنسائي في الكبرى (٩٧٢٧).

[٢] السيرة النبوية لابن كثير (ج٢/ص٤٦٧).

[٣] رواه أحمد (ج٥/ص٧٨)، والنسائي (٤١٤٦)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٣٥)، والبيهقي في الكبرى (١٢٥٢٩)، إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيّه.

[٤] (ج٧/ص٦٠٩-٦١٠).

لك المرباع منها والصفايا *** وحكمك والنشيطة والفضول

فانتسخ ذلك كله سوى الصفي، فإنّه كان لرسولِ الله ﷺ)[١].

وعارض البعض أن يكون للنبي ﷺ هذا السهم، قال ابن عبد البر: (وقد قال جماعة من أهل العلم إن هذا الحديث فيه نفي الصفيّ، لقوله عليه السلام وقد أخذ وبرة من البعير: "والذي نفسي بيده ما لي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس، والخمس مردود عليكم"، وقال آخرون ممن أوجب الصفيّ: كان هذا القول منه قبل أن يجعل الله له الصفيّ، وقال آخرون: يحتمل أن يكون سكت عن الصفيّ لمعرفتهم به إذ خاطبهم، وقالت طائفة: لا صفيّ ولم تعرفه، واحتجّت بظاهر هذا الحديث، قال أبو عمر: سهم الصفيّ لرسول الله ﷺ معلوم، وذلك أنه كان يصطفي من رأس الغنيمة شيئاً واحداً له عن طيب أنفس أهلها ثم يقسمها بينهم على ما ذكرنا، وأمر الصفيّ مشهور في صحيح الآثار معروف عند أهل العلم)[٢].

وقال ابن قدامة في المغني: (ولنا ما روى أبو داود بإسناده: أن النبي ﷺ كتب إلى بني زهير بن أقيش: إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأديتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم الصفيّ إنكم آمنون بأمان الله ورسوله، وفي حديث وفد عبد القيس الذي رواه ابن عباس: «وأن يعطوا سهم النبي ﷺ والصفيّ»، وقالت عائشة: كانت صفية من الصفي، رواه أبو داود)[٣].

وعلى العموم قد (أجمع العلماء على أنَّ الصفيّ ليس لأحد بعد النبيِّ ﷺ، إلَّا أنَّ أبا ثور حُكي عنه ما يخالف هذا الإجماع، فقال: الآثار في الصفيّ ثابتة ولا أعلم شيئاً نسخها، قال: فيؤخذ الصفيّ ويجري مجرى سهم النبي ﷺ. قال أبو عمر: قد قسم الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ الغنائم ولم يبلغنا أنهم اصطفوا من ذلك شيئاً لأنفسهم غير سهامهم، والله أعلم)[٤].

---

[١] السير الكبير (ج٢/ص٦٠٨).
[٢] التمهيد (ج٢٠/ص٤٢-٤٣).
[٣] (ج٧/ص٣٠٣).
[٤] الاستذكار لابن عبد البر (ج٥/ص٨٣-٨٤).

وجاء في السير الكبير: (ولم يبق بعد موته بالاتفاق، حتى إنه ليس للإمام الصفيّ بعد وفاة الرسول عليه السلام، وإنما الخلاف في سهمه من الخمس أنه هل بقي للخلفاء بعده؟)[٥].

يقول ابن رشد الحفيد: (وأجمعوا على أن الصفيّ ليس لأحد مِن بعد رسول الله ﷺ إلا أبا ثور؛ فإنه قال: يجري مجرى سهم النبي ﷺ)[١].

قال ابن قدامة رحمه الله في المغني عن رأي أبي ثور: (فجمع بين الشك فيه في حياةِ النبي ﷺ ومخالفةِ الإجماع في إبقائه بعد موته، قال ابن المنذر: لا أعلم أحداً سبق أبا ثور إلى هذا القول)، وقال بعد ذلك: (وأما انقطاعه بعد النبي ﷺ فثابت بإجماعِ الأمَّة قبل أبي ثور وبعده عليه، وكونُ أبي بكر وعمر وعثمان ومَن بعدهم لم يأخذوه ولا ذكره أحد منهم، ولا يجمعون على ترك سنة النبي ﷺ)[٢].

فصل الشراكة فيما يصاب من المغنم

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: (اشْتَرَكْتُ أَنَا وَعَمَّارٌ وَسَعْدٌ فِيمَا نُصِيبُ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: فَجَاءَ سَعْدٌ بِأَسِيرَيْنِ وَلَمْ أَجِئْ أَنَا وَعَمَّارٌ بِشَيْءٍ)[٣].

ومع هذا فإنَّ الحديثَ حجةُ القائلين بشركة الأبدان: وهي أن يتفق اثنان على أن يتقبلا عملاً من الأعمال على أن تكون أجرةُ هذا العمل بينهما حسب الاتفاق كالصانع والعامل، وقد جوّزها طائفة عند اتحاد الحرفة؛ سواء عمِلا جميعاً أو عمل أحدهما دون الآخر، منفردين ومجتمعين، وعلى حسب الاتفاق المبرم بينهما، وهو ما عليه عملُ الناس اليوم وفي كل مكان تقريباً، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة، وأبطله الشافعيةُ وابنُ حزم.

---

[٥] (ج٢/ص٦٠٨).

[١] بداية المجتهد (ص٥١٧).

[٢] (ج٧/ص٣٠٣).

[٣] رواه أبو داود (٣٣٨٨)، والنسائي (٣٩٣٧)، (قَالَ الْمُنْذِرِيّ: وأخرجه النسائي وابن ماجه، وَهُوَ مُنْقَطِع، وَأَبُو عُبَيْدَة لَمْ يَسْمَع مِنْ أَبِيهِ) عون المعبود (ج٣/ص٢٦٧).

جاء في عون المعبود: (أُسْتُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيث عَلَى جَوَاز شَرِكَة الْأَبْدَانِ؛ وَهِيَ أَنْ يَشْتَرِك الْعَامِلَانِ فِيمَا يَعْمَلَانِهِ فَيُوَكِّل كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا صَاحِبه أَنْ يَتَقَبَّل وَيَعْمَل عَنْهُ فِي قَدْر مَعْلُوم مِمَّا اسْتُؤْجِرَ عَلَيْهِ وَيُعِينَانِ الصَّنْعَة، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى صِحَّتهَا مَالِك بِشَرْطِ اتِّحَادِ الصَّنْعَة، وَإِلَى صِحَّتهَا ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَة وَأَصْحَابه، وَقَالَ الشَّافِعِيّ: شَرِكَة الْأَبْدَانِ كُلّهَا بَاطِلَة لِأَنَّ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا مُتَمَيِّز بِبَدَنِهِ وَمَنَافِعه فَيَخْتَصّ بِفَوَائِدِهِ، وَهَذَا كَمَا لَوِ اشْتَرَكَا فِي مَاشِيَتهمَا وَهِيَ مُتَمَيِّزَة لِيَكُونَ الدَّرّ وَالنَّسْل بَيْنهمَا فَلَا يَصِحّ)[١].

وقال ابنُ حزم بعد أن ضعّف الحديث: (إنَّ هذه شِركةٌ لم تتمّ ولا حصل لسعد ولا لعمار ولا لابن مسعود من ذينك الأسيرين إلَّا ما حصل لطلحة بن عبيد الله الذي كان بالشام، ولعثمانَ بنِ عفان الذي كان بالمدينة، فأنزل الله تعالى في ذلك: {قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١]، فكيف يستحلّ مَن يرى العار عاراً أن يحتجّ بشركة أبطلها الله تعالى ولم يُمضها؟)[٢].

وعند ابن حزم: (فَإِنْ وَقَعَتْ فَهِيَ بَاطِلَةٌ لَا تَلْزَمُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا كَسَبَ، فَإِنِ اقْتَسَمَاهُ وَجَبَ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ مَا أَخَذَ وَإِلَّا بَدَّلَهُ، لِأَنَّهَا شَرْطٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ)[٣].

(وَقَدْ قَسَّمَ الْفُقَهَاءُ الشَّرِكَةَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، أَطَالُوا فِيهَا وَفِي فُرُوعِهَا فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ فَلَا نُطِيلُ بِهَا. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الشَّرِكَةَ الصَّحِيحَةَ أَنْ يُخْرِجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِثْلَ مَا أَخْرَجَ صَاحِبُهُ ثُمَّ يَخْلِطُ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَتَمَيَّزَ ثُمَّ يَتَصَرَّفَا جَمِيعًا، إلَّا أَنْ يُقِيمَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ مَقَامَ نَفْسِهِ وَهَذِهِ تُسَمَّى شَرِكَةَ الْعِنَانِ، وَتَصِحُّ إنْ أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا أَقَلَّ مِنَ الْآخَرِ مِنَ الْمَالِ وَيَكُونُ الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ عَلَى قَدْرِ مَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَكَذَلِكَ إذَا اشْتَرَيَا سِلْعَةً بَيْنَهُمَا عَلَى السَّوَاءِ أَوْ ابْتَاعَ أَحَدُهُمَا أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِ مِنْهُمَا فَالْحُكْمُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ كُلٌّ مِنَ الرِّبحِ وَالْخُسْرَانِ بِمِقْدَارِ مَا أَعْطَى مِنَ الثَّمَنِ، وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا

---

[١] (ج٣/ص٢٦٧).
[٢] المحلى (ج٨/ص١٢٤).
[٣] سبل السلام (ج٣/ص٦٣).

إِذَا خَلَطَ الْمَالَيْنِ فَقَدْ صَارَتْ تِلْكَ الْجُمْلَةُ مُشَاعَةً بَيْنَهُمَا فَمَا ابْتَاعَا بِهَا فَمُشَاعٌ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَثَمَنُهُ وَرِبْحُهُ وَخُسْرَانُهُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا وَمِثْلُهُ السِّلْعَةُ الَّتِي اشْتَرَيَاهَا فَإِنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الثَّمَنِ)[١].

فصل أهل الشجاعة يظنون أن لهم في الغنيمة أكثر من الضعفاء

روى البخاري في صحيحه عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: (رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ").

قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (ذكر النسائي زيادةً في حديث سعد يبيّن بها معناه، فيقال فيه: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؛ بصومهم وصلاتهم ودعائهم"، وتأويل ذلك أنَّ عبادةَ الضعفاء ودعاءهم أشدُّ إخلاصًا وأكثر خشوعًا، لخلاء قلوبهم من التعلّق بزُخرفِ الدنيا وزينتِها، وصفاءِ ضمائرِهم ممَّا يقطعُهم عن الله، فجعلوا همَّهم واحدًا؛ فزكت أعمالُهم، وأجيبَ دعاؤهم. قال المهلَّب: إنَّما أراد ﷺ بهذا القول لسعد الحضّ على التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين، ففيه مِن الفقه أنَّ من زها على ما هو دونه أنَّه ينبغي أن يبيِّن مِن فضله ما يُحدِثُ له في نفس المزهو مقدارًا أو فضلاً حتى لا يحتقر أحدًا من المسلمين، ألا ترى أنَّ الرسولَ أبان مِن حال الضعفاء ما ليس لأهلِ القوّة والغناء، فأخبرَ أنَّ بدعائِهم وصلاتِهم وصومهم يُنصرون. وذكر عبد الرزاق عن مكحول أنَّ سعدَ بن أبي وقاص قال: يا رسولَ الله، أرأيت رجلاً يكونُ حاميةَ القوم ويدفعُ عن أصحابِ ليكونَ نصيبُه كنصيب غيره؟ فقال النبي ﷺ: "ثكلتك أمك يا ابن أم سعد، وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم")[٢].

وقوله: (ثَكِلَتْك أمُّك، أي: فَقَدَتْك، والثُّكْل: فقْد الوَلَد، وامرأة ثَاكِل وثَكْلَى، ورجُل ثَاكِل وَثكْلَان؛ كأنه دَعَا عليه بالموتِ لسوء فِعْله أو قوله، والموت يَعُمُّ كلَّ أحد؛ فإذَنِ الدعاء عليه كَلَا دُعَاء، أو أرادَ إذا كُنْت هكذا فالموت خيرٌ لك لئلا تَزْدَادَ سُوءاً،

[١] سبل السلام (ج٣/ص٦٣).
[٢] (ج٩/ص١١٤).

ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تَجْري على ألسِنة العرب ولا يُرادُ بها الدُّعاء، كقولهم: تَرِبَتْ يدَاك وقاتَلك الله)[١].

وقال الحافظ في الفتح: ("ثَكِلَتْك أُمُّك"؛ فَكَأَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ أَنْ يَفْقِد أُمّهُ أَوْ أَنْ تَفْقِدهُ أُمُّهُ، لَكِنَّهُمْ قَدْ يُطْلِقُونَ ذَلِكَ وَلَا يُرِيدُونَ حَقِيقَتَهُ)[٢].

قال ابن بطال رحمه الله في شرح الصحيح: (ولا يراد بها الدعاء بإيقاعِ الهلكة لمن خوطب بها، وإنما يراد به المدح والتعجّب، كما تقول العرب: ويل أمه مسعّر حرب، على عادتها في نقلها الألفاظ الموضوعة في بابها إلى غيره، كما يقال: انجُ، ثكلتك أمك، وتربت يداك)[٣].

- وفيه أنَّ الكبيرَ قد يُخطِئ في التأويل فيُردّ إلى الشرع، وأنَّ عظيمَ القوم ومَن له في نفوس أصحابِه قدرٌ يجوز منه وله أن يَبدر منه في حقِّ أصحابه ما ظاهره التعدّي، ولكن هو في حقيقة أمره على ما جربنا في غاية التقرّب، فيشعر به التابع بسقوط الكلفة، كما بين الوالدِ وولدِه، وله في نَفسِ المحبّ نشوة أشدّ منها في المدح.

قال السيوطي في تنوير الحوالك: (وقد قال البديع في رسالته:

وقد يُوحِشُ اللفظَ وكله ودّ *** ويكره الشيء وليس من فعله بدّ)

ثم قال: (ولك لبابٌ في هذا الباب أن تنظر إلى القول وقائله؛ فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشُن، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسُن)[٤].

- وفيه حسنُ بلاء سعدٍ رضي الله عنه يومَ الفرقان، وإقرارُ رسولِ الله ﷺ له بذلك.

---

[١] النهاية في غريب الأثر (ج١/ص٦٢٨).
[٢] (ج٢/ص٣٤٥).
[٣] (ج١٧/ص٤١٥).
[٤] (ج١/ص٧٢).

فصل التنازع في غنائم بدر والعناية الإلهية بالدَّولة النبوية

قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:١].

قال ابن الجوزي في زاد المسير: (قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} في سبب نزولها ثلاثةُ أقوال.. أحدُها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوم بدر: "من قتل قتيلاً فله -كذا وكذا-، ومن أسر أسيراً فله -كذا وكذا-"، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشرِكونا معكم فإنّا كنّا لكم ردءاً، فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت سورة الأنفال، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنَّ سعد بن أبي وقاص أصاب سيفاً يوم بدر، فقال: يا رسول الله هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه، وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه، فأتيت به رسول الله، فقال: "اذهب فاطرحه في القَبَض"، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله، فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال: "اذهب فخذ سيفك"، وقال السدي: اختصم سعدٌ وناسٌ آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطِيَهم منها شيئاً فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس)[١].

وقد ثبت وصحّ فيما سبق جملة من الأحاديث، منها ما روى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: "مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا وَكَذَا"، قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشْيَخَةُ كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} إِلَى قَوْلِهِ {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن

---
[١] (ج٣/ص٨٢).

بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}، يقُولُ: فَكَانَ ذَلِكَ خَيرًا لَهُمْ فَكَذَلِكَ أَيْضًا، فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَغَارَ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ نَفَلَ الرُّبُعَ وَإِذَا أَقْبَلَ رَاجِعًا وَكُلَّ النَّاسِ نَفَلَ الثُّلُثَ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ وَيقُولُ: "لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِم")[1].

ومما جاء في أمر السيف؛ فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ نَحْوَ هَذَا، هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، فَقَالَ: "هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ"، فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي، فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: "إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلَيس لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي وَهُوَ لَكَ"، قَالَ: فَنَزَلَتْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ...} الْآيَةَ)، رواه الترمذي[2]، وقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وعن الأرقم بن أبي الأرقم قال: (قال رسول الله ﷺ يوم بدر: "رُدّوا ما كان معكم من الأنفال"، فرفع أبو أسيد الساعدي سيف بني العابد المرزبان، فعرفه الأرقم فقال: هبه لى يا رسول الله، فأعطاه إياه)[3].

---

[1] رواه أحمد (ج٥/ص٣٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٦/ص٩٢): رجاله ثقات.
[2] تحفة الأحوذي: (ج٤/ص١١٠).
[3] رواه الطبراني في الأوسط (٦٠٣١)، وهو في الكبير (٩٠٩) أيضاً لكنه مختصر، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص٩٢): ورجاله ثقات.

و(اختلف العلماء في المراد بالأنفال هنا على خمسة أقوال.. الأول: أنَّ المراد بها خصوص ما شذّ عن الكافرين إلى المؤمنين وأُخذ بغير حرب، كالفرس والبعير يذهب من الكافرين إلى المسلمين، وعلى هذا التفسير فالمراد بالأنفال هو المسمى عند الفقهاء «فيئاً»، وهو الآتي بيانه في قوله تعالى: {وَمَآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ}[الحشر:٦]، وممن قال بهذا القول عطاء بن أبي رباح. الثاني: أنَّ المراد بها الخُمس، وهو قول مالك. الثالث: أنَّ المراد بها خُمس الخُمس. الرابع: أنَّها الغنيمة كلها، وهو قول الجمهور، وممن قال به ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد، قاله ابن كثير. الخامس: أن المراد بها أنفال السرايا خاصة، وممَّن قال به الشعبي، ونقله ابن جرير عن علي بن صالح بن حي، والمراد بهذا القول: ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش، واختار ابن جرير أنَّ المراد بها الزيادة على القسم)[١].

قال الشنقيطي رحمه الله مرجحاً بين الأقوال السابقة في سبب نزول آية الأنفال: (جمهور العلماء على أنَّ الآية نزلت في غنائم بدر لما اختلف الصحابة فيها، فقال بعضهم: نحن الذين حزنا الغنائم وحويناها فليس لغيرنا فيها نصيب، وقالت المشيخة: إنا كنا لكم ردءاً ولو هُزمتم للجأتم إلينا، فاختصموا إلى النَّبي ﷺ. وقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عبادة بن الصامت: أنها نزلت في ذلك، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. وروى نحو ذلك أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وابن جرير وابن مردويه من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. وعلى هذا القول الذي هو قول الجمهور فالآية مشكلة مع قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ...}الآية [الأنفال:٤١]، وأظهر الأقوال التي يزول بها الإشكال في الآية: هو ما ذكره أبو عبيد ونسبه القرطبي في تفسيره لجمهور العلماء؛ أن قوله تعالى: {واعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ...}الآية، ناسخ لقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ...} الآية، إلا أن

---

[١] أضواء البيان للشنقيطي (ج٢/ص١٥٢).

قول أبي عبيد: إنَّ غنائم بدر لم تخمس لأنَّ آية الخمس لم تنزل إلا بعد قسم غنائم بدر غير صحيح، ويدل على بطلانه ما ثبت في صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس يومئذ...» الحديث، فهذا نص صحيح في تخميس غنائم بدر، لأنَّ قول علي في هذا الحديث الصحيح يومئذ صريح في أنه يعني يوم بدر كما ترى)[١].

فصل كيفية توزيع غنيمة الحرب

قال الله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال: ٤١].

أولاً.. ينبغي أن يُعلم أن (الآية نزلت بعد وقعة بدر، قبل قسم غنيمة بدر، بدليل حديث علي الثابت في صحيح مسلم، الدال على أن غنائم بدر خمست)[٢].

وهو قول الجمهور، قال الحافظ في الفتح: (وَالْجُمْهُور عَلَى أَنَّ آيَة الْخُمُس نَزَلَتْ فِي قِصَّة بَدْر)[٣]. وقال: (وَقَدْ جَزَمَ الدَّاوُدِيّ الشَّارِح بِأَنَّ آيَة الْخُمُس نَزَلَتْ يَوْمَ بَدْر، وَقَالَ السُّبْكِيّ: نَزَلَتِ الْأَنْفَالُ فِي بَدْرٍ وَغَنَائِمِهَا)[٤].

فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: (كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنَ نَصِيبِي مِنْ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْتَحِلُ مَعِي فَنَأْتِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ

---

[١] (ج٢/ص١٥٣).
[٢] أضواء البيان (ج٢/ص١٦٤).
[٣] (ج٧/ص٤٠٢).
[٤] (ج٦/ص٢٤٤).

وَشَارِفَايَ مُنَاخَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَجَمَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ فَإِذَا شَارِفَايَ قَدِ اجْتُبَّتْ أَسْنِمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا...)[1].

قال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان: (اعلم أولاً أنَّ أكثر العلماء فرّقوا بين الفَيء والغنيمة، فقالوا: الفيء هو ما يسّره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر، كفيء بني النضير الذين نزلوا على حكم النّبي ﷺ ومكّنوه من أنفسهم وأموالهم يفعل فيها ما يشاء، لشدّة الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم، ورضي لهم ﷺ أن يرتحلوا بما يحملون على الإبل غير السلاح، وأما الغنيمة فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر، وهذا التفريق يُفهم من قوله: {واعلموا أنَّما غَنِمْتُمْ...} الآية [الأنفال:٤١]، مع قوله: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}؛ فإن قوله تعالى: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ...} الآية؛ ظاهر في أنه يراد به بيان الفرق بين ما أوجفوا عليه وما لم يوجفوا عليه كما ترى)[2].

وزيادة في الإيضاح؛ فما لم يكن هناك قتال انتُزع بموجبه المال فهو فيء، فالنبي ﷺ خرج بجيش إلى بني النضير وكان له راية يحملها عَلِي وحاصر القوم أياماً، قال أهل السير خمسة عشر يوماً، ومع ذلك لأنَّه لم يحدث هناك قتال؛ كان ما جاء منهم فيئاً، وعلى هذا فقِسْ.

وقال الشنقيطي: (مسائل من أحكام هذه الآية الكريمة.. المسألة الأولى: اعلم أنَّ جماهير علماء المسلمين على أن! أربعة أخماس الغنيمة للغزاة الذين غنموها، وليس للإمام أن يجعل تلك الغنيمة لغيرهم، ويدلّ لهذا قوله تعالى: {غَنِمْتُمْ}، فهو يدلّ على أنها غنيمة لهم، فلما قال: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} علمنا أن الأخماس الأربعة الباقية لهم لا لغيرهم)[3].

وذهب العلماء إلى أنَّ للإمام أن ينفل منها بعض الشيء باجتهاده.

---

[1] البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (١٩٧٩).
[2] (ج٢/ص١٦٣).
[3] (ج٢/ص١٦٤).

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: (لم يختلف العلماء أن قوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ} ليس على عمومه وأنَّه يدخله الخصوص، فمما خصّصوه بإجماع أن قالوا: سلب المقتول لقاتله إذا نادى به الإمام، وكذلك الرقاب؛ أعني الأسارى، الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف على ما يأتي بيانه. ومما خُصّ به أيضًا الأرض. والمعنى: ما غنمتم من ذهب وفضة وسائر الأمتعة والسبي، وأما الأرض فغير داخلة في عموم هذه الآية)[١].

ثم اعلم أنَّه هناك من ذَهَب إلى أنَّ الغنيمة للإمام، يصرفها كيف يشاء في مصالح المسلمين بعد إخراج الخمس.

قال القرطبي في تفسيره: (وقد قيل: إنها محكمة غير منسوخة، وأنَّ الغنيمة لرسول الله ﷺ، وليست مقسومة بين الغانمين، وكذلك لمن بعده من الأئمة، كذا حكاه المازري عن كثير من أصحابنا رضي الله عنهم، وأنَّ للإمام أن يخرجها عنهم. واحتجّوا بفتح مكة وقصة حنين، وكان أبو عبيد يقول: افتتح رسول الله ﷺ مكة عُنوة ومَنّ على أهلها فردّها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها عليهم فيئاً. ورأى بعض الناس أن هذا جائز للأئمة بعده، قلت: وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}، والأربعة الأخماس للإمام؛ إن شاء حبسها وإن شاء قسمها بين الغانمين)[٢].

ثم قال الشنقيطي رحمه الله: (المسألة الثانية: هي تحقيق المقام في مصارف الخُمس الذي يؤخذ من الغنيمة قبل القسمة؛ فظاهر الآية الكريمة أنه يجعل ستة أنصباء: نصيب لله جل وعلا ونصيب للرسول ﷺ ونصيب لذي القربى ونصيب لليتامى ونصيب للمساكين ونصيب لابن السبيل)[٣].

لكن قال الطبري -وهو ما رجّحه كذلك الشنقيطي-: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال: قوله: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...}، افتتاح كلام، وذلك لإجماع الحجّة على أنّ الخُمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو

---

[١] (ج٨/ص٤).
[٢] (ج٨/ص٢-٣).
[٣] (ج٢/ص١٦٦).

العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسومًا على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية، وفي إجماع من ذكرت الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما اخترنا)[١].

قال الحافظ ابن كثير داعماً هذا القول في تفسيره: (ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القُرى، وهو يعرض فرسًا، فقلت: يا رسول الله ما تقول في الغنيمة؟ فقال: "لله خمسها، وأربعة أخماس للجيش"، قلت: فما أحد أولى به من أحد؟ قال: "لا ولا، السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحقّ به من أخيك المسلم")[٢].

وقال بعد ذلك: (وأما سهم ذوي القربى فإنه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام ودخلوا معهم في الشعب غضباً لرسول الله ﷺ وحماية له؛ مسلمهم طاعة لله ولرسوله، وكافرهم حَمِيَّة للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول الله ﷺ)[٣].

وذلك لما في صحيح البخاري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: "إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد").

(بهذا الحديث الصحيح الذي ذكرنا: يتّضح عدم صحة قول من قال: بأنهم بنو هاشم فقط، وقول من قال: إنهم قريش كلهم)[٤].

---

[١] (ج١٣/ص٥٥٢).
[٢] (ج٢/ص٣١١).
[٣] (ج٢/ص٣١٢).
[٤] أضواء البيان (ج٢/ص١٧٠).

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: (والمساكين: هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، وابن السبيل: المجتاز سفرًا قد انقُطِع به)[١].

وقد كان سهم الله ورسوله إلى رسوله ﷺ في حياته يتصرّف فيه كيف يشاء.

قال الحافظ ابن كثير: (قال عبد الملك بن أبي سليمان: عن عطاء بن أبي رباح قال: «خمس الله والرسول واحد، يَحمل منه ويَصنع فيه ما شاء» يعني النبي ﷺ، وهذا أعم وأشمل؛ وهو أن الرسول ﷺ يتصرّف في الخُمس الذي جعله الله له بما شاء، ويردّه في أمته كيف شاء، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الأعرج عن المقدام بن معد يكرب الكندي: (أنه جلس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي رضي الله عنهم، فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء لعبادة: يا عبادة؛ كلمات رسول الله ﷺ في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس؟ فقال عبادة: إن رسول الله ﷺ صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم، فلما سلّم قام رسول الله ﷺ فتناول وَبَرة بين أنملتيه فقال: "إن هذه من غنائمكم، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدّوا الخيط والمخيط، وأكبر من ذلك وأصغر، ولا تغلوا، فإن الغلول نارٌ وعارٌ على أصحابه في الدنيا والآخرة، وجاهدوا الناس في الله؛ القريب والبعيد، ولا تبالوا في الله لومة لائم، وأقيموا حدود الله في الحضر والسفر، وجاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم، ينجي به الله من الهمّ والغمّ"، هذا حديث حسن عظيم، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه)[٢].

ثم في تصريف الخمس؛ أي خمس الخمس؛ بعد النبي ﷺ، أين يذهب؟

---

[١] (ج١٣/ص٥٦٠).
[٢] (ج٢/ص٣١١).

قال الحافظ ابن كثير: (وقال آخرون: إنَّ الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء. وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله: وهذا قولُ مالك وأكثرِ السلف، وهو أصحّ الأقوال)[١].

قال ابن كثير رحمه الله: (فإذا ثبت هذا وعُلم؛ فقد اختُلف أيضاً في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس؛ ماذا يُصنع به من بعده؟ فقال قائلون: يكون لمن يلي الأمر من بعده، روي هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة وجماعة، وجاء فيه حديث مرفوع. وقال آخرون: يُصرف في مصالح المسلمين. وقال آخرون: بل هو مردود على بقية الأصناف: ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، اختاره ابن جرير. وقال آخرون: بل سهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل. قال ابن جرير: وذلك قول جماعة من أهل العراق. وقيل: إن الخمس جميعه لذوي القربى كما رواه ابن جرير)[٢].

والراجح هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ أنَّه يعود إلى الإمام من بعده ليصرفه فيما يرى من مصالح المسلمين، قال صاحب أضواء البيان: (والصحيح أنَّ نصيبه ﷺ باقٍ، وأنَّ إمام المسلمين يصرفه فيما كان يصرفه فيه رسول الله ﷺ من مصالح المسلمين، وقال بعض العلماء: يكون نصيبه ﷺ لمن يلي الأمر بعده، وروي عن أبي بكر وعلي وقتادة وجماعة، قال ابن كثير: وجاء فيه حديث مرفوع. قال مقيده – عفا الله عنه-: والظاهر أنَّ هذا القول راجع في المعنى إلى ما ذكرنا أنه الصحيح، وأن معنى كونه لمن يلي الأمر بعده؛ أنه يصرفه فيما كان يصرفه فيه ﷺ، والنَّبي ﷺ قال: "والخمس مردود عليكم" وهو واضح كما ترى)[٣].

---

[١] (ج٢/ص٣١٢).
[٢] (ج٢/ص٣١٢):.
[٣] (ج٢/ص١٦٨).

فصل من ضُرب له بسهم في بدر ولم يشهد الوقيعة

عن عثمان بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ، ثم سأله عن عُثْمَانَ: هل تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثم قال ابن عمر: وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ").[1]

ورَوَى الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَك بسند رجاله ثقات؛ مرسلاً عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (خَلَّفَ النَّبِيّ ﷺ عُثْمَان وَأُسَامَة بْن زَيْد عَلَى رُقَيَّة فِي مَرَضهَا، وخَرَجَ إِلَى بَدْر وهي وجعة، فجاء زيد بن حارثة على العضباء بالبشارة وقد ماتت رقية رضي الله عنها، فسمعنا الهيعة، فوالله ما صدّقنا بالبشارة حتى رأينا الأسارى).

وعند ابن أبي شيبة بسند صحيح؛ مرسلاً عن عروة بن الزبير: (أنَّ رقية بنت رسول الله ﷺ توفّيت، فخرج النبي ﷺ إلى بدر وهي امرأة عثمان، فتخلّف عثمان وأسامة بن زيد يومئذ، فبينما هم يدفنونها إذ سمع عثمان تكبيراً، فقال: يا أسامة انظر ما هذا التكبير؟ فنظر فإذا هو زيد بن حارثة على ناقة رسولِ الله ﷺ الجدعاء يبشّر بقتل أهل بدرٍ من المشركين، فقال المنافقون: لا والله ما هذا بشيء، ما هذا إلّا الباطل، حتى جيء بهم مصفّدين مغلّلين).

وروى أبو داود بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ؛ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: "إِنَّ عُثْمَانَ انْطَلَقَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنِّي أُبَايِعُ لَهُ"، فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمٍ وَلَمْ يَضْرِبْ لِأَحَدٍ غَابَ غَيْرَهُ).

قوله: ("فِي حَاجَة اللَّه وَحَاجَة رَسُوله" أَيْ: فِي خِدْمَتهمَا وَسَبِيلهمَا وَأَمْر دِينهمَا).[2]

---

[1] رواه البخاري (٣٤٩٥).
[2] كما في عون المعبود (ج٣/ص٢٦).

وعددَّ ابن سعد في الطبقات أنَّ من ضُرِب لهم بسهمٍ ثمانية، فقال: (وثمانية تخلّفوا لعلة، ضَرب لهم رسولُ الله ﷺ بسهامِهم وأجورِهم؛ ثلاثةٌ من المهاجرين: عثمان بن عفان خلّفه رسول الله ﷺ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فأقام عليها حتى ماتت، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بعثهما يتحسّسان خبر العير، وخمسةٌ من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر خلّفه على المدينة، وعاصم بن عدي العجلاني خلّفه على أهل العالية، والحارث بن حاطب العمري ردّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصمة كُسر بالروحاء، وخوات بن جبير كُسر أيضاً، فهؤلاء ثمانية لا اختلاف فيهم عندنا، وكلهم مُستوجِب)[١].

فصل في قصة القطيفة المفقودة

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ١٦١].

روى الطبري: (عن ابن عباس: أن هذه الآية: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ}، نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، قال: فقال بعض الناس: فلعلّ النبي أخذها، قال: فأكثروا في ذلك، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ})[٢].

(وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعاً؛ عن قتيبة عن عبد الواحد بن زياد به، وقال الترمذي: حسن غريب)[٣].

وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير سبعة أقوال في سبب نزول الأية، أصحّها ما سبق، ومنها ما قال: (والثالث: أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من رسول الله ﷺ أن يخصّهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نُقل عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن النبي

---

[١] (ج٢/ص١٢).
[٢] (ج٧/ص٣٤٨-٣٤٩).
[٣] تفسير ابن كثير (ج١/ص٤٢١).

ﷺ بعث طلائعَ، فغنم النبي ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. والخامس: أن قوماً غلُّوا يوم بدر فنزلت هذه الآية، قاله قتادة)[١].

قال ابن الجوزي: (وفي إتيانه بما غلّ ثلاثة أقوال.. أحدها: أنه يأتي بما غلّه يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: "لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك". الرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يُغل من السَّبي، والرقاع: الثياب، والصامت: المال. والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غلّ. والثالث: أنه يردُّ عوض ما غلّ من حسناته. والقول الأول أصحّ لمكان الأثر الصحيح)[٢].

قال أبو عبيد بن سلام في غريب الحديث: (وأما الغلول فإنه من المغنم خاصة، يقال منه: قد غلّ يغلّ غلولاً)[٣].

---

[١] (ج١/ص٤٤٤).
[٢] (ج١/ص٤٤٥).
[٣] (ج١/ص٢٠٠).

و(«الغُلُول» في الحديث؛ وهو الخيانة في المغْنَم والسَّرقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة، يقال: غَلَّ في المَغْنم يَغُلُّ غُلولاً فهو غالٌّ، وكلُّ مَن خان في شيء خُفْيَةً فقد غَلَّ)[١].

(وَنَقَلَ النووي الإِجْمَاع عَلَى أَنَّه مِنَ الْكَبَائِر)[٢].

ففي صحيح البخاري، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَالْإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا"، فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ").

قال الحافظ في الفتح: (قَوْله: "لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا" يُحْتَمَل أَنْ يَكُون ذَلِكَ حَقِيقَة بِأَنْ تَصِير الشَّمْلَةُ نَفْسُهَا نَارًا فَيُعَذَّب بِهَا، وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون الْمُرَاد أَنَّهَا سَبَب لِعَذَابِ النَّار، وَكَذَا الْقَوْل فِي الشِّرَاكِ الْآتِي ذِكْرُهُ. قَوْله: «فَجَاءَ رَجُل» لَمْ أَقِف عَلَى اسْمِهِ. قَوْله: "بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ" الشِّرَاكُ بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ: سَيْرُ النَّعْلِ عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ، وَفِي الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ أَمْر الْغُلُول)[٣].

وفي صحيح البخاري، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: (كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هُوَ فِي النَّارِ"، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا).

[١] النهاية في غريب الأثر (ج٣/ص٧١٧).
[٢] فتح الباري (ج٦/ص٢٢٨).
[٣] (ج٧/ص٦٢٣).

قال الحافظ: (وَفِي الْحَدِيث تَحْرِيم قَلِيل الْغُلُول وَكَثِيره. وَقَوْله: "هُوَ فِي النَّار" أَيْ يُعَذَّب عَلَى مَعْصِيَته، أَوِ الْمُرَاد هُوَ فِي النَّار إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّه عَنْهُ)[١].

ثم اعلم أن رسول الله ﷺ قال -كما في صحيح مسلم-: "لا تُقْبَلُ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُول"، أي: (أَنَّ الْغَالَّ لَا تبرَأُ ذِمَّتُهُ إِلَّا بِـرَدِّ الْغُلُول إِلَى أَصْحَابِهِ بِأَنْ يَتَصَدَّقَ بِـهِ إِذَا جَهِلَهُمْ مَثَلًا، وَالسَّبَب فِيهِ أَنَّهُ مِنْ حَقّ الْغَانِمِينَ، فَلَوْ جُهِلَتْ أَعْيَانهمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّف فِيهِ بِالصَّدَقَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ)[٢].

ولا يصحّ حديث عمر عند أبي داود في إحراق متاع الغال، قال الحافظ في الفتح: (وقَالَ الْبُخَارِيّ فِي التَّارِيخ: يَحْتَجُّونَ بِهَذَا الْحَدِيث فِي إِحْرَاق رَحْل الْغَالّ، وَهُوَ بَاطِل لَيْسَ لَهُ أَصْل، وَرَاوِيه لَا يُعْتَمَد عَلَيْهِ. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: صَالِح مُنْكَر الْحَدِيث[٣])[٤].

وقد روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "أَعْظَمُ الْغُلُول عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ذِراعٌ مِنْ أَرْضٍ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ أَوْ بَيْنَ الشَّرِيكَيْنِ لِلدّارِ فَيَقْتَسِمانِ فَيَسْرِقُ أَحَدُهُما مِنْ صاحِبِهِ ذِراعًا مِنْ أَرْضٍ فَيُطَوَّقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"[٥].

فصل النبي ﷺ يرسل من يبشر المسلمين في المدينة بنصر الله

روى ابن أبي شيبة بسند صحيح؛ مرسلاً عن عروة بن الزبير: (أنَّ رقية بنت رسول الله ﷺ توفيت، فخرج النبي ﷺ إلى بدر وهي امرأة عثمان، فتخلّف عثمان وأسامة بن زيد يومئذ، فبينما هم يدفنونها إذ سمع عثمان تكبيراً فقال: يا أسامة انظر ما هذا التكبير؟ فنظر فإذا هو زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء يبشّر بقتل

---

[١] (ج٦/ص٢٣١).

[٢] الفتح (ج٣/ص٣٥٥).

[٣] وصالح المذكور هو ابن محمد بن زائدة الليثي، أحد الضعفاء، والحديث أخرجه أيضاً الترمذي (ج٢/ص٣٣٨-تحفة)، والحاكم (ج٢/ص١٢٧-١٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى(ج٩/ص١٠٢) وضعفه.

[٤] (ج٦/ص٢٣٠).

[٥] وقد حسّنه الحافظ في الفتح (ج٥/ص١٣٢)، والبدر العيني في عمدة القاري (ج١٢/ص٢٩٩).

أهل بدر من المشركين، فقال المنافقون: لا والله ما هذا بشيء، ما هذا إلا الباطل، حتى جيء بهم مصفّدين مغلّلين).

وروى عبد الرزاق بسند صحيح، عن هشام بن عروة: (أنَّ النبيَّ ﷺ بعث يومئذ زيد بن حارثة بشيراً يبشر أهل المدينة، فجعل ناس لا يصدّقونه ويقولون: والله ما رجع هذا إلا فاراً، وجعل يخبرهم بالأسارى ويخبرهم بمن قُتل، فلم يصدّقوه، حتى جيء بالأسارى مقرنين في قدّ، ثم فاداهم النبي ﷺ).

قال ابن سعد في الطبقات: (وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة يخبرهم بسلامة رسول الله ﷺ والمسلمين وخبر بدر وما أظفر الله به رسوله وغنمه منهم، وبعث إلى أهل العالية عبد الله بن رواحة بمثل ذلك، والعالية قباء وخطمة ووائل وواقف وبنو أمية بن زيد وقريظة والنضير، فقدم زيد بن حارثة المدينة حين سُوّي على رقية بنت رسول الله ﷺ التراب بالبقيع)[١].

الفوائد

- وفيه استحباب التَّعجيل بالبشرى للمسلمين، وخاصة إذا كانوا متربصين منتظرين فرج الله وفتحه، ومن ذلك ما صحّ الكثير؛ منه ما جاء في قصة الثلاثة الذين خُلّفوا ومنها ما جاء في البشارة بقتل كعب بن الأشرف ومنها ما جاء في البشارة بحرق ذي الخلصة، وفي سيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ذلك الكثير.

فصل أفضلية من شهد بدراً

قال الله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران:١٣].

---

[١] (ج٢/ص١٩).

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال: ٦٢-٦٣].

عن مِقْسَمٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: ({لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} عَنْ بَدْرٍ، وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ)[1].

(قَوْلُهُ: «عَنْ بَدْرٍ وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ»، هَذَا تَفْسِيرٌ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْنِي أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: {الْقَاعِدُونَ} الْقَاعِدُونَ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَمِنْ قَوْلِهِ: {الْمُجَاهِدُونَ} الْخَارِجُونَ إِلَى غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَكِنَّ الْعِبْرَةَ لِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا لِخُصُوصِ السَّبَبِ)[2].

(وَحَاصِل تَفْسِير ابْن جُرَيْجٍ أَنَّ الْمُفَضَّل عَلَيْهِ غَيْر أُولِي الضَّرَر، وَأَمَّا أُولُو الضَّرَر فَمُلْحَقُونَ فِي الْفَضْل بِأَهْلِ الْجِهَاد إِذَا صَدَقَتْ نِيَّاتهمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْمَغَازِي مِنْ حَدِيث أَنَس: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِير وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْر")[3].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: (جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: "مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ" أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)[4].

(وَكَانَ رِفَاعَةُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَكَانَ رَافِعٌ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ، فَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ: مَا يَسُرُّنِي أَنِّي شَهِدْتُ بَدْرًا بِالْعَقَبَةِ)[5].

أي الأب من أهل العقبة، والابن بدريٌّ، فنِعْم الابن ونِعْم الأب، رضي الله عنهما.

---

[1] البخاري (٣٧٣٨).
[2] تحفة الأحوذي (ج٤/ص٩١).
[3] الفتح (ج٨/ص٣٣٢).
[4] البخاري (٣٧٧١).
[5] البخاري (٣٧٧٢).

ومع ذلك فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، (وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ رَافِع بْن مَالِك لَمْ يَسْمَع مِنْ النَّبِيّ ﷺ التَّصْرِيح بِتَفْضِيلِ أَهْل بَدْر عَلَى غَيْرهمْ فَقَالَ مَا قَالَ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ، وَشُبْهَته أَنَّ الْعَقَبَة كَانَتْ مَنْشَأ نُصْرَة الْإِسْلَام وَسَبَب الْهِجْرَة الَّتِي نَشَأَ مِنْهَا الِاسْتِعْدَاد لِلْغَزَوَاتِ كُلّهَا، لَكِنَّ الْفَضْل بِيَدِ اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء)[١].

وعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَ مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: "وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ؟ أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ"[٢].

وفي رواية: (أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ)[٣].

وفي رواية عند أحمد، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (انْطَلَقَ حَارِثَةُ ابْنُ عَمَّتِي يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامًا نَظَّارًا؛ مَا انْطَلَقَ لِلْقِتَالِ، قَالَ: فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، قَالَ فَجَاءَتْ أُمُّهُ عَمَّتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...)[٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (في هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فان هذا الذي لم يكن في بحبحة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظّارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غَرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا؛ فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعِدداً)[٥].

---

[١] الفتح (ج/٧ص/٣٩٧).
[٢] البخاري (٦١٤٨).
[٣] البخاري (٢٦٥٤).
[٤] إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن المغيرة فمن رجال مسلم.
[٥] (ج/٣ص/٣٢٩).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ"[١].

قال الإمام النووي في شرح مسلم: (فِيهِ فَضِيلَة أَهْل بَدْر وَالْحُدَيْبِيَة، وَفَضِيلَة حَاطِب لِكَوْنِهِ مِنْهُمْ، وَفِيهِ أَنَّ لَفْظَة الْكَذِب هِيَ الْإِخْبَار عَنِ الشَّيْء عَلَى خِلَاف مَا هُوَ؛ عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا، سَوَاء كَانَ الْإِخْبَار عَنْ مَاضٍ أَوْ مُسْتَقْبَل، وَخَصَّتْهُ الْمُعْتَزِلَة بِالْعَمْدِ، وَهَذَا يَرُدّ عَلَيْهِمْ)[٢].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ؛ وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ"...)، وفيه: (فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟" فَقَالَ: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ" أَوْ "فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)[٣].

وَسَيَأْتِي شَرْحُ الْقِصَّةِ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وما يتعلق بها من أحكام، وخاصة: خلاصة القول فيما يسمى (الجاسوس المسلم).

(وَالْمُرَاد مِنْهُ هُنَا الِاسْتِدْلَال عَلَى فَضْل أَهْل بَدْر بِقَوْلِهِ ﷺ الْمَذْكُور، وَهِيَ بِشَارَة عَظِيمَة لَمْ تَقَع لِغَيْرِهِمْ، وَوَقَعَ الْخَبَر بِأَلْفَاظٍ: مِنْهَا "فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ"، وَمِنْهَا "فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّة"، وَمِنْهَا "لَعَلَّ اللَّه اطَّلَعَ"، لَكِنْ قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّ التَّرَجِّي فِي كَلَام اللَّه وَكَلَام رَسُوله الْمَوْقُوع، وَعِنْد أَحْمَد وَأَبِي دَاوُدَ وَابْن أَبِي شَيْبَة مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة بِالْجَزْمِ وَلَفْظه: "إِنَّ اللَّه اطَّلَعَ عَلَى أَهْل بَدْر فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ"، وَعِنْد أَحْمَد

---

[١] رواه مسلم (٢٤٩٥).
[٢] (ج١٦/ص٥٧).
[٣] البخاري (٣٧٦٢)، ومسلم (٢٤٩٤) بنحوه.

بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْط مُسْلِم مِنْ حَدِيث جَابِر مَرْفُوعًا: "لَنْ يَدْخُل النَّار أَحَد شَهِدَ بَدْرًا"، وَقَدِ اسْتُشْكِل قَوْله: "اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ" فَإِنَّ ظَاهِره أَنَّهُ لِلْإِبَاحَةِ وَهُوَ خِلَاف عَقْد الشَّرْع، وَأُجِيب بِأَنَّهُ إِخْبَار عَنِ الْمَاضِي، أَيْ كُلّ عَمَل كَانَ لَكُمْ فَهُوَ مَغْفُور، وَيُؤَيِّدهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ الْعَمَل لَمْ يَقَع بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَقَالَ فَسَأَغْفِرُهُ لَكُمْ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْمَاضِي لَمَا حَسُنَ الِاسْتِدْلَال بِهِ فِي قِصَّة حَاطِب لِأَنَّهُ ﷺ خَاطَبَ بِهِ عُمَر مُنْكِرًا عَلَيْهِ مَا قَالَ فِي أَمْر حَاطِب، وَهَذِهِ الْقِصَّة كَانَتْ بَعْد بَدْر بِسِتِّ سِنِينَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد مَا سَيَأْتِي، وَأَوْرَدَهُ فِي لَفْظ الْمَاضِي مُبَالَغَة فِي تَحْقِيقه، وَقِيلَ: إِنَّ صِيغَة الْأَمْر فِي قَوْله: "اِعْمَلُوا" لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيم، وَالْمُرَاد عَدَم الْمُؤَاخَذَة بِمَا يَصْدُر مِنْهُمْ بَعْد ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ خُصُّوا بِذَلِكَ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْحَال الْعَظِيمَة الَّتِي اقْتَضَتْ مَحْو ذُنُوبهمْ السَّابِقَة، وَتَأَهَّلُوا لِأَنْ يَغْفِر اللَّه لَهُمْ الذُّنُوب اللَّاحِقَة إِنْ وَقَعَتْ، أَيْ كُلّ مَا عَمِلْتُمُوهُ بَعْد هَذِهِ الْوَاقِعَة مِنْ أَيّ عَمَل كَانَ فَهُوَ مَغْفُور)[1].

والإجماع منعقد على أنه لو وقع من أحد منهم حدّ أقيم عليه في الدنيا، كما حدث لقدامة بن مظعون رضي الله عنه وكان بدرياً.

قال القاضي عياض رحمه الله: (فقال: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، لا دليل فيه أنَّ غفرانَ الذنب في الآخرة لا يسقِطُه حدّه في الدنيا، بدليل حدّ النبي عليه الصلاة والسلام ماعزاً والغامدية وقد أخبر بتوبتهما، والتوبة مسقطة للعقاب، وبإجماع الأمة على إقامة الحدود على كل مذنب، فأقام عمر الحدّ على بعضهم، وضرب النبي عليه الصلاة والسلام مسطحاً الحدّ وكان بدرياً)[2].

وقال الحافظ في الفتح: (وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْبِشَارَة الْمَذْكُورَة فِيمَا يَتَعَلَّق بِأَحْكَامِ الْآخِرَة، لَا بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا مِنْ إِقَامَة الْحُدُود وَغَيْرهَا، وَاللَّه أَعْلَم)[3].

---

[1] فتح الباري (ج٧/ص٣٨٨).
[2] وانظر شرح مسلم للنووي (ج١٦/ص٥٦-٥٧)، وعمدة القاري (ج٢٤/ص٩٥).
[3] (ج٧/ص٣٨٨).

قال بدر الدين العيني في عمدة القاري: (فلو توجّه على أحد منهم حدّ أو حقّ يُستوفى منه)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار عَمِيَ، فبعث إلى رسول الله ﷺ: اخطط لي في داري مسجداً لأصلي فيه، فجاء رسول الله ﷺ وقد اجتمع إليه قومه فتغيب رجل منهم، فقال رسول الله ﷺ: "ما فعل فلان؟" فذكره بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: "أليس قد شهد بدراً؟" قالوا: نعم ولكنه كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: "فلعل الله طلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[٢].

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَلَّمَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ بِشَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "مَهْلا يَا طَلْحَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا كَمَا شَهِدْتَهُ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِمَوَالِيهِ"[٣].

وكان يوم بدر يومَ سعدٍ لمن حضره من المؤمنين لا يزالون يُذكرون به بكل خير إلى يوم القيامة، وبه فضَّلهم الله وأنزلهم المنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: (فسُعودُ الأيام ونحوسُها إنما هو بسعود الأعمال وموافقتها لمرضاة الرب، ونُحوسُ الأعمال مخالفتها لما جاءت به الرسل، واليوم الواحد يكون يومَ سعد لطائفة ونحسٍ لطائفة، كما كان يومُ بدر يومَ سعدٍ للمؤمنين ويومَ نحسٍ على الكافرين)[٤].

ففي صحيح البخاري عَنْ قَيْسِ بنِ أبي حازم: (كَانَ عَطَاءُ الْبَدْرِيِّينَ خَمْسَةَ آلَافٍ خَمْسَةَ آلَافٍ، وَقَالَ عُمَرُ: لَأُفَضِّلَنَّهُمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ).

---

[١] (ج٢٢/ص٢٥٠).
[٢] رواه الطبراني في الأوسط (٦٥٨)، وقال الهيثمي في المجمع (ج٦/ص١٠٦): وإسناده جيد.
[٣] رواه الطبراني في الكبير (٢٨٧) والأوسط (٩٣٠٥) والصغير (١١٢١)، ورواه الحاكم (ج٤/ص٧٧) أيضاً وصحّحه، ووافقه الذهبي، لكن قال الهيثمي في المجمع (ج٤/ص٢٣٧)(ج٩/ص٣٠١): (وفيه مصعب بن مصعب وهو ضعيف).
[٤] (ج٢/ص١٩٤).

قال الحافظ في الفتح: (أَي الْمَال الَّذِي يُعْطَاهُ كُلّ وَاحِد مِنْهُمْ فِي كُلّ سَنَة مِنْ عَهْد عُمَر فَمَنْ بَعْده. قَوْله: «وَقَالَ عُمَر: لَأُفَضِّلَنهُمْ»، أَيْ عَلَى غَيْرهمْ فِي زِيَادَة الْعَطَاء، وَفِي حَدِيث مَالِك بْن أَوْس عَنْ عُمَر: «أَنَّهُ أَعْطَى الْمُهَاجِرِينَ خَمْسَة آلَاف خَمْسَة آلَاف، وَالْأَنْصَار أَرْبَعَة آلَاف أَرْبَعَة آلَاف، وَفَضَّلَ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ فَأَعْطَى كُلّ وَاحِدَة اثْنَيْ عَشَر أَلْفًا»)[١].

(وفيه فضل ظاهر للبدريين)[٢].

وقال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار: (قوله: «لأفضلنهم على من بعدهم»، فيه إشعار بمزية البدريين من الصحابة، وأنَّه لا يلحق بهم من عداهم وإن هاجر ونصر)[٣].

فصل أسماء النجوم العوالي ممن شهد بدراً من الصحابة رضوان الله عليهم

قال ابن عبد البر رحمه الله في الدرر في اختصار المغازي والسير: (تسمية من استشهد ببدر من المسلمين: فائدة هذه التسمية معرفة الحق لأهل الحق، وفضيلةُ السبق لأهل السبق، وحسن العهد وتجديد الذكر، والمسارعة إلى الدعاء لهم بالرضوان والغفران على اليقين)[٤].

قال الإمام البخاري في الصحيح: (بَاب: تَسْمِيَةُ مَنْ سُمِّيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فِي الْجَامِعِ الَّذِي وَضَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ: النَّبِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ ﷺ، إِيَاسُ بْنُ الْبُكَيْرِ، بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ، حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ، حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ حَلِيفٌ لِقُرَيْشٍ، أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ، حَارِثَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ كَانَ فِي النَّظَّارَةِ، خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ، رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ الْأَنْصَارِيُّ، رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَبُو لُبَابَةَ الْأَنْصَارِيُّ، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ الْقُرَشِيُّ، زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ، أَبُو

---

[١] (ج٧/ص٤١١).
[٢] عمدة القاري (ج١٧/ص١١٨).
[٣] (ج٨/ص٢٣٧).
[٤] (ص ٢٦).

زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الزُّهْرِيُّ، سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ الْقُرَشِيُّ، سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ، سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ، ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَخُوهُ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الْقُرَشِيُّ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ، عُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ، عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيُّ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْقُرَشِيُّ خَلَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ، عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَنَزِيُّ، عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيُّ، عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ، قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيُّ، مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَأَخُوهُ، مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ، مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، مِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو الْكِنْدِيُّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْأَنْصَارِيُّ).

فصل غزوة بدر الكبرى في أسفار أهل الكتاب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[١].

قال الإمام البغوي في شرح السنة: (ليس على معنى إباحة الكذب على بني إسرائيل، بل معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، من غير أن يصحّ ذلك بنقل الإسناد، لأنَّه أمر قد تعذّر في أخبارهم، لطول المدة ووقوع الفترة)[٢].

وقال الحافظ في الفتح: (وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأنَّ قوله أولاً: "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب، فأشار إلى عدم الوجوب، وأن الأمر فيه للإباحة بقوله: "ولا حرج"، أي في ترك التحديث عنهم، وقيل: المراد رفع الحرج عن حاكي

[١] البخاري (٣٢٧٤).
[٢] (ج١/ص٢٤٤).

ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة؛ نحو قولهم: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا}، وقولهم: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً})، حتى قال رحمه الله: (وقال مالك: المراد جواز التحدّث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا. وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح. وقيل: المراد جواز التحدّث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذّر الاتصال في التحدث عنهم)[١].

والآن إلى نصّ (نبوءة أشعياء)، والمشهور من ترجمة كلامهم وتفسيره، من كتاب (غزوة بدر الكبرى في أسفار اليهود والنصارى / دراسة في دلالات المكان من الإشارات الواردة في سفر أشعياء)، وجاء فيه:

(١٣- وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ؛ فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ.

١٤- هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ.

١٥- فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ.

١٦- فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ».

١٧- وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ).

(نستدل من بشارة أشعياء[٢] بحدوث معركة بدر الكبرى؛ من قول أشعياء بعد ذكر حدث الهجرة في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قسيّ أبطال بني قيدار تقل، وقيدار كما يشير الباحثون إلى أنه أحد أولاد إسماعيل عليه السلام، كما جاء في سِفر التكوين[٣]، وأن أبناءه هم أهل مكة، فنستنتج من النصّ التالي:

---

[١] (ج٦/ص٦١٧).
[٢] (ج٢١/ص١٣-١٧).
[٣] (ج٢٥/ص١٣).

- أشار النصّ لمعركة بدر الكبرى التي تحدث بعد سنة من الهجرة.

- حدد النصّ وقت وقوع معركة بدر الكبرى، بعد سنة من هجرة [العطشان.. والهارب].

- تنبأ النصّ بنتيجة معركة بدر الكبرى بين الرسول ﷺ وصناديد قريش وهزيمتهم بفناء مجد قيدار، [في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار]، وقد قُتل سبعون من قادة وصناديد قريش يوم بدر).

وإنما ذكرت هذا الفصل إتماماً للكلام على الحادثة، وما فيه من بشارةٍ بنبوة رسول الله ﷺ وهجرته وجهاده، وما به من حجّة على أهل الكتاب، ولكن كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[البقرة:١٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره[١]: (يخبر تعالى أنّ علماء أهل الكتاب يعرفون صِحّة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدُهم ولده، والعربُ كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير: "ابنك هذا؟"، قال: نعم يا رسول الله، أشهد به. قال: "أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه". قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدًا -ﷺ- كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته وإني لا أدري ما كان من أمه)[٢].

علماً أنه في الترجمات العربية الحديثة تمّ تحريف الترجمة من (فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ)، أي في الجزيرة العربية إلى وادي العربة.

---

[١] (ج١/ص١٩٤).

[٢] وانظر تفسير القرطبي (ج٢/ص١٦٣).

و(عَربة: اسم عِبري معناه «قفر»، وهي الاسم الجغرافي للمنحدر الذي يجري فيه نهر الأردن، وتتّسع فيه بحيرة طبرية والبحر الميت)[٣].

و(إن الهدف والغاية هي محاولة صرف مدلولات النصّ عن حدث الهجرة النبوية وما تلاها من غزوة بدر الكبرى لارتباطها بالمكان المحدّد في النصّ (بلاد العرب... في الوعر من بلاد العرب)، ولارتباط كلا الحدثين -وهذا هو بيت القصيد والدافع الأهم- بدلائل النبوة التي تستدعي تلقائياً استحقاق الاعتراف للمبعوث برسالتها وأنه رسولٌ من عند الله حقاً وصدقاً، وأن نبوءة أشعياء قد تحقّقت في شخصه وفي ما جرى له من تلك الأحداث الفاصلة المعلومة من سيرته الخالدة، والتي هي من حقائق تاريخ المسلمين القطعية الثبوت لا خلاف عليها بينهم)[٢].

---

[٣] غزوة بدر الكبرى في أسفار اليهود والنصارى.

[٢] المصدر السابق.

وفي الختام

فإنَّ حقوق الطبع غير محفوظة، ويباح لكلِّ أحد طبعه ونشره بكل السبل، وحتى دون ذكر اسم مؤلفه أو وضع أيِّ اسم وهمي عليه عند طباعته، شرط ألا يكون لشخصية حقيقية فيعدّ كذباً أو سرقة، وهو ما لا يجوز.

كما أبي أبيح لدواعي الأمن كذلك حذف ما يؤدي إلى ملاحقة من يقتنيه؛ كذكر الفلوجة وأحداث تخصّ العراق، دون التعرّض لأصل الكتاب ومادته.

وجزى الله خيراً كل من يساهم في نشر مادته أو جزء منها، ونسأل الله القبول.

أخوكم

ديوان هموم وآلام

مُقدّمةُ الشّيخِ أبي حَمْزَةَ المُهَاجِرْ - رَحِمَهُ الله تَعالَى

الحمدُ لله الذي اصطفى العرَب على العالمين، وحفِظ بالقُرآن أمّة نبيّنا الأمين، والقائلِ في مُحكم التنْزيل: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}، والصّلاة والسّلام على القائِل لشاعره كما في الصّحيح: "إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً"، والقائِل كما في الصّحيحين عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَسَّانَ:"اهْجُهُمْ أَوْ قَالَ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ".

ورضي الله عن أصْحابه الذين جاهَدوا المُشركين بالبَيان كما جاهدوهم بالسّنان.

أما بعد:

كنتُ أقرأُ قولَ ابن عبّاس رضي الله عنهُما عنِ الشّعر كما في المُسند بسندٍ صَحيح قال: (إذا خَفي عليكُم شيءٌ من القُرآن فابتغوهُ من الشّعر فإنّه ديوانُ العرب)، فكنتُ أظنّ أنّه يؤرّخ لأيّام الناسِ وتواريخهم ولُغاتهم فحسْب، وإذا بي أعلمُ أنّه يؤرخُ لمشاعرِ العرب وأحاسيسهم، فكلّما قرأتُ بيتاً كتبتُه منذُ زمنٍ شعرْت أني أعيشُ جوّ النّص، وأرجعُ بأحاسيسي وكلّي إلى تلك الأيّام.

وإنّي أعلمُ وأعرفُ من نفسي أني لستُ من أهلِ الشّعر وفنونه، وما كنتُ لأغوصَ في بحاره لولا مشاعرُ حملتني على أمواجه، فما كتبتُ كلمةً قطّ إلا ووراءَها ما يحملُني على ذلك.

وما بينَ يديكَ يا أخي إنّما هو نُتفٌ من قصائدَ طويلةٍ ضاعت منّي وحاولتُ أن أتذكّر بعضَها قدر المستطاع، وما ضاعَ من قصائدي ثلاثةُ أضعاف ما بين يديك أو يزيد.

ثُمّ إنّ أعداءَ الله أخذوها مرّتين وقصفوها مرّة، وفي كلّ مرة أحاول أن أتذكّر بعضها فتأتي الأخرى لتذهب بالبقيّة، وفي أحداث الفلّوجة الثّانية طلَب منّي أخي وشيخي الحبيب أبو مصعب رحمه الله تعالى ألّا أدعَ الورقة والقلم، فكنتُ أسجّل شِعري ومشاعري، حتّى اشتدّ الخطبُ، وكنتُ أقفز من بيتٍ لبيت وأضعُ دفتري إلى جانب مخزني، حتى حوصِرتُ في أحد البيوت وأيقنْت بالهَلاك ولم أشكّ في ذلك، فأبصرتُ عجوزاً كان لها فضل كبيرٌ عليّ، فقُلت لها: يا أمّي هذا مالي، هوَ لكِ، وهذا الدّفتر حاوِلي إيصالَه إلى إخواني فإنه عندي لا يقدّر بمال، وكنتُ أرجو أن يصلَ إلى ابني ولعلّه يقرؤه بعدما يكبُر فيعرفُ ما كان عليه أبوه، فلا يحيد، ولعلّه يتّعظُ، لكن ضاعَ الدّفتر... ولذا إنْ كانَ ثمّة إهداءٌ لهذه المشاعر فإنّي أقول:

إلَيْكَ أنْتَ يا بُنَي..

أُهْدِيْ مَشَاعِرِيْ...

فَافْهَمْ عَنّيْ وَالْزَمِ الطّرِيْقَ طَرِيْقَ الجِهَادِ والاسْتِشْهَاد..

فَإنّيْ قَدْ وَهَبْتُكَ لله...

فَلا تُخْزِنِيْ يَا بُنَيَّ..

وَأَسْأَلُ الله ألّا يَرُدّ عَطِيّتِي، آمين...

يا دُمُوْعِيْ!![1]

أعدّ الرّوافض المجوس والمحتل الصّليبي مسرحيّة الانتخابات العراقيّة، ومنْ عَجائِب الدّنيا أنّ يذهبَ قادةُ الإخوانِ خَدماً وأتْباعا عندَ الرّافضي (علاوي)، ممّا لبّس على أهلِ السنّة أمرَهُ، ونسُوا جرائمَ الخَبيثِ فيْ تَدمير الفلّوجة والقائِم وحديثةَ وتلّعفر، وقدْ هالَني أنّ قائمةَ الرّافضي كانَ نصيبُها الأوفرَ في المناطِق السنيّة، ولا حظّ له على الحقيقةِ بين بني دِينه، بلْ من غرائبِ الأمور أنّه حلّ أولاً بالفلّوجة!، واحتفلَ بفوزه أهلُ الأعظميّة، فقُلت:

أهلّـــــي يا دمـــــوعي بالبكــــاءِ ... وثـــوري يا شــــجوني للبـــلاءِ
لعمـــري مـــا عـــرفْنا في آبـــائي ... خنـــوعاً لا وحـــتى في النـــساءِ
فمـــا كـــنا زمـــانا غــير أســدٍ ... تصيـــدُ العـــزّ مـــن جـــوف الفناء
فمـــا هـــبْنا حصـــاراً للبـــلادِ ... ولا غـــزوَ التـــحالف للســـماءِ
فمـــا بال الأصـــاغر في نعيـــقٍ ... تريـــدُ الخــير من شـــرّ الوبـــاءِ
أجـــبْني يا فـــؤادي هـــل تطـــيقُ ... هلاكـــــا للعــــشيرة بالشقـــــاء
أجبْـــني لا تدعـــني هل صحـــيحٌ ... لشيــــعيّ هتـــــفنا بالفـــــداء
أحـــقٌ أم خيـــالٌ مـــا سمـــعتُ ... أكـــادُ أُجـــنّ من مـــرِّ الحســـاءِ
أحــــقٌ يا عـــبادَ الله رشـــــداً ... أرِدْتم مـــن كـــفورٍ بالقـــضاءِ
وربي مـــا لثـــأر قـــد نسيـــنا ... أينـــسى القـــتل صـــبحا والمســـاءِ
أيـــنسى العـــرض تـــنهشُهُ كلابٌ ... لهـــم نـــبذ الـــروافضِ في الســـماءِ
لمـــاذا يا عبـــادَ الله حِـــدتُم ... وشـــرعُ اللهِ يـــبرقُ بالصفـــاءِ

[1] هذه القصيدة والتي بعدها من آخر ما كتب الشّيخ رحمه الله قبل أن يترجّل..

قَوْمِيْ وَالشّركُ

مـــاذا يفيـــد المشتـــكى والقـــلب أنهـــكه البكـــا
مـــاذا أقـــول وقـــد أبى فعـــلُ العصـــاة المبتغى
إني أردتُ نجاتَهـــــــــم رغمَ المكـــــــارهِ والأذى
إني أردتُ فلاحـــــــــهم دنيـــا وديـــنا في العلا
إنـــا بذلـــنا وســـعنا نحـمي العشـيرة من بلا
قالـــوا إليّ أمـــا تـــرى طعنا بعرضك قد سرى
ســرا وجــهرا أضــرموا نــارَ العـداوة في الــورى
فلمَ المحــــبة كلــــها هـذا الجـزاء ومـا جـرى
قلـــتُ المحـــبةُ للأهـــل شـــيءٌ جُبِلتُ فلا قِـــرى
هـــذا النـــبي محمـــدٌ يرجـــو هـــداية من أذى
ردّ الجـــبال بطــــائف يرجـــو وليـــدا مـــا درى
حســـبي النّـــبي ونهجـــه حـــبٌ وحـــرصٌ مـــا حيا

رَمَضَانُ وَالجِهَادُ

أنْعِمْ حياةً في الجهـادِ وفي الهـدى | إنَّ الجهـادَ مجـامعُ الإيمـانِ
فالْزَمْ سِـلاحكَ لا يغيبُ بريقهُ | إنَّ السـلاحَ وسـامةُ الفرسـانِ
وارْمِ بنفْسـكَ في الـنزالِ فإنَّمـا | لا تَقْصـرُ الأعمـارُ للشـجعانِ
آجالنـا محسـومةٌ أوقاتُهـا | فاطْلبْ حياةَ الخلـدِ في رمضـانِ
شـهرٌ كـريمٌ قد أطَـلَّ صـباحُهُ | فاضـربْ وكبِّـرْ لا تكن كجبانِ

أبَتَاهُ

أبتـــــاهُ لاحَ الشــــطُّ ولَّت مِحنَـــتي ... بـــدمي ســـأروي روضـــتي وجنـــاني
أبتـــاهُ هذا الـــرَّكْبُ جـــدَّ مســـيره ... وَتَجهَّـــزَ الفرســـانُ فـــي صـــفّانِ
وَمَضـــتْ مَســـيَرةُ الفلاحِ يحُفّهـــا ... نـــورٌ وطيبٌ يمَلأ الوجـــــدانِ
وتقاطرَ السُّـــعداءُ كـــلٌّ يَرتجـــي ... شَـرَفَ الطريـق وصُـحْبَةَ الإخـوانِ
أبتـــاهُ كيف أكـــونُ آخِـــرَ قادمٍ ... والفوزُ كـــلُّ الفوزِ للسُـــرعَانِ
لا يســـتوي من جـــادَ بَعْدَ مَسَـــرَّةٍ ... ومضـــحّياً بالنفسِ قبـــلَ زَمَـــانِ
فالســـابقونَ الأولـــون أولئكم ... قد قُرِّبـــوا في جنـــةِ الرضـــوانِ
أبتـــاهُ هذي المـــلاحِمُ كشَّـــرتْ ... وغدا الفِـــرارُ مَعَرَّةَ الرُكبَانِ
وتقدَّمَ النجباءُ يقْطُـــرُ كلْمُهُم ... روَّى نباتـــاً بـــذْرةَ القرآنِ
أبتـــاهُ لـــو بَخِـلَ الكـريمُ بروْحِـهِ ... لطغى كفورٌ خـــائرُ البنيانِ
أبتـــاهُ ولَّى ليـــلُ كـــلِّ فجيْعَـــةٍ ... وبـــدا الصَّـــباحُ يلـــوحُ بالأغصَـــانِ
إنّـــا وربّي كاسِـــرون عدوّنـــا ... فعدوُّنا مُتصـــدِّعُ الأركـــانِ
إنَّـــا بـــربّي قادِمُـــون نُطهِّـــرُ ... أرضـــاً تئنُّ برِيـــحةِ الأنتـــانِ
أبتـــاهُ لَسْـــتُ لذاتـــهِ أهوى الـــردى ... كرهاً عَشـــقْناهُ لِوَعْـــدِ جنـــانِ
أبتـــاهُ منْ يبغي الهمـــومَ عَذَابهَا ... وَتكـــدُّرُ اللـــذاتِ بالأحـــزانِ
أبتـــاهُ لـــو عادَ الزَّمـــانُ وَرَاءهُ ... مـــا اخـــترتُ إلا صُـــحْبَةَ الفرســـانِ
إن الجبانَ يقيم فوق بعيره ... والطيْـــبُ في ركبِ الجِـــهَادِ عيَانِ
أبتـــاهُ نحنُ ودائـــعٌ مَـــرْدُودةٌ ... مَشْـــرُوطةٌ بِعَبادةِ الـــدَّيَانِ
فطريقُنَـــا حـــقٌ يســـيرُ لرَبّنـــا ... وَجهادُنـــا مِن صِـــحَّةِ الإيمـــانِ

أبتـــــاهُ لا تلُمْ طهــــــارةَ دَرْبِنـــــا　　اللـــــومُ كــلُّ اللـــــومِ في الخُـــذْلانِ
أبتــــاهُ مـــــاذا لــــو أَمَــــرْتَ بفاحشٍ　　حاشــــــاكَ هذا كــــــالقعودِ سِـــــيَانِ
فرضٌ عظيمٌ غُيِّبَتْ أحْكَامُـــــــــــــــهُ　　فالـــــــــذلُّ في الإدبارِ والكِتْمــــــــانِ
أبتــــاهُ إن سُـــــفكتْ دمــــاءُ بُنَيِّــــكَ　　فاغْفِرْ أبى خَطَــــئي كمــــا نِســــياني
بَعْدَ الإلــــهِ لَسْــــتُ أَبْتــــغي ســــوى　　رِضَـــــــاكَ عنِّي يا سكينَ جنَــــــاني

أَسَدُ الجُوْلاَنِ

لله درُّ فوارسٍ وكـــــــــــــريمِهِمْ ... من دوَّخَ الأعداءَ في الجـــــولانِ
بالنفسِ والأمـــوالِ كـــانَ جهـــادُهُ ... أعني بـــذلك ناصِـــرَ الإخـــوانِ
شـــهمٌ كـــريمٌ لا تمَـــلُّ حديثَـــهُ ... في القلبِ مكمنـــــهُ وبالعينـــانِ
متـــــأدِّبٌ كلماتُـــــهُ فكأنَّهـــــا ... منحوتَـــةٌ مضْـــبوطَةُ الأوزانِ
عَجِـــزَ الرجـــالُ تشـــبُّهاً بعجـــوزِهِ ... نِعْـــمَ الأمومـــةُ في رُبَى الإيمـــانِ
لوحيـــدها دَفَعَتْ رَجـــاءَ رِضـــائِهِ ... خَطبت لَـــهُ حُورِيَّةُ الرضـــوانِ
شـــمسَ الضُّـــحى أفْجَعْتنـــا برحيلـــكَ ... في القلب تـــبقى عاليَ البـــنيانِ
قمـــرَ الـــدُّجَى وَجِـــدَتْ عليْكَ جَوارِحـــاً ... آلامُ بُعدِكَ حطَّمتْ وجـــــــــداني
فابكي عُيـــوني بالـــدموعِ وبِالـــدِّما ... والقلبُ قَرحٌ مِنْ لظى الأحـــزانِ

المِحْنَة

كُتِبَتْ هذه القصيدةُ في حيّ نزّال في الجهةِ المُقابلة لجامِع الفِردَوس، حيثُ دارت في هذا المكان أشدّ معارك الفلّوجة ضراوةً، وهي مشاعر سطّرتها ولعلّي أدوِّنُ معركةَ الفلّوجة ومَا بِها مِنْ كَراماتٍ فيْ وقْتٍ لاحقٍ إذا تيسّر لنَا ذَلك إنْ شاءَ الله...

أطَّ الفـؤادُ بمِحْنـةٍ تتعاظمُ ... إنَّ البلاءَ يَـدوسُ بالإخـوانِ
إخـوانُ عمـري في مهبِّ عاتيٍ ... يُعْمـي العيـونَ بلمحـةِ الأجفانِ
من أين أبـدأُ فالخطوبُ ثقيلـةٌ ... وَسَـمتْ همـومي فوق كـل بيانِ
كنـا وكـانوا تلـك أوّلُ قصـتي ... كـونٌ يُفَجِّـرُ طاقةَ البركـانِ
يا سـامعاً عن قصـتي وعَذَابها ... حـزني يفيضُ ويُغْرِقُ الشطـآنِ
أو بعدما كنـا نجـوبُ ضـواحياً ... شـمَّ الأنـوف أعزةً بسـنانِ
نتنفسُ الصـعداء في أسـحارنا ... ونعانقُ الجَـوزاءَ والقمـرانِ
فصـهيلُ خَيْلِ اللهِ ينْشِـدُ مَجْـدَنا ... وكـأنَّ فينـا خالـد الفرسـانِ
وتُبارك الهيجـاءُ خُفَّ موحـدٍ ... تتسـابقُ الـذراتُ للقدمـانِ
أمنَ النسـاء وفي الخُـدُورِ فلا ... يخفْـنَ مِنَ الأعادي قاصـياً أو دانِ
أطفالُنـا عرفوا الكرامـةَ عزَّها ... لا لن تُهـابَ زيارةُ الصلبـانِ
بَـدَت المدينـةُ شكلها كعروسـةٍ ... وتـزيّنَتْ لشـريعةِ الرحمـانِ
غَبِطتْ وصَـائِفُها بهـاءَ رِجالها ... وبـدتْ تُمَشِّـطُ شَـعثهَا بِحَنـانِ
ثـارَ الغبارُ من الركـام مذلـةً ... وتصـاعَدَ الـدخانُ كالشيطـانِ
مـاتتْ حقولٌ بالكرامـة روّيت ... وغدا الفراتُ كـالحَ الشـطآنِ
وتمايـلَ الزيتـونُ يسكبُ دَمْعَةً ... لا للمُقامِ بواحـةِ الأوثـانِ

الحـــزنُ ظِلّي والهمـــومُ ردائيا ... والخطبُ أقبـــل باديَ الأســـنانِ
دبّابةٌ بالموت تَقْذفُ نَارهَا ... تَحْتَ الجـــدارِ بقيةُ الفرســـانِ
عصفٌ يبيــــدُ ديارَ قَوْمٍ أهلهـــا ... رفضـــوا الخنـــوعَ لِســلْطةِ الكفرانِ
بيتٌ لــــبيتٍ هُدِّمَتْ ومنـــازلٌ ... دُكَّتْ بحقدٍ ظـــــــــاهرٍ لعيانِ
حِمَمُ الهلاكِ تُـــدَمِّرُ الْمَنْصـــورة ... فتُجَسِّـــدُ الحقدَ الصّـــليبي القاني
قصفٌ يُطيـرُ حجـارةَ المعمـورةِ ... لكنّ دِيـــني راســـخُ الأركـــانِ
أفلا سَـمعْتَ صـرَاخَهُ عُمْرَاننـــا ... بعد الإصـــابةِ راجيَ الشـــجعانِ
لا تـــتركوني يا بشـــيرُ لحاليـــا ... قُطِعتْ لِسَـــامِي يومهـــا قدمانِ
بجـــوارهِ راحتْ عُيـــونُ مُحمّـــدٍ ... كـــلٌّ يناشـــدُ رحمـــةَ الرحمـــانِ
لمـــا تفجّـــرَ للحـــبيبِ عُيُونـــهُ ... أعطى الســـلاحَ لجعفرٍ ببنـــانِ
ومـــع المخـــازنِ قائلاً بثباتِـــهِ ... لا تَـــــــــــرْحَمِ الكفارَ بالنيرانِ
فأمـــام عيـــني بعضُ أشـــلاءٍ لهم ... وهنـــاك يَرْقُدُ فارسُ الميـــدانِ
جَسَـــدُ الشَّـــهيدِ ولا ســـبيلَ لِحقِّهِ ... همٌّ وأحـــزانٌ لـــذي الوجـــدانِ
مـــا ضـــرَّ شـــاةً فارَقَتْهـــا رُوحُهـــا ... نفســـي أُرَوِّضُـــها على الأشـــجانِ
وإليْك أكْتُبُ يا أُخَيَّ مشـــــاعري ... يَهْـــتزُّ بيـــتي كـــالفتى السكرانِ
الخـــوفُ يطفو لا يكـــادُ مفارقاً ... بـــابَ المبيـــتِ ثمَّ يُـــشرِّفُ ثـــاني
أعْني بِهِ ذاكَ المَضِـــيقُ مَكَاننـــا ... إذْ وصـــفهُ: ســـجنٌ بلا ســـجَّانِ
الصـــوت همسٌ والحـــروفُ بِبَحّـــةٍ ... غيرَ الخلاءِ ضَـــرُورَةَ الإنســـانِ
همجـــــيةٌ تترِيةٌ مســـــعورةٌ ... صـــالتْ بحقدٍ أمـــةُ الصـــلبانِ
فَحُـــــروبُهم عَقَديّةٌ مَدْروسَـــــةٌ ... أفعالهم سُـــــبِقَتْ بقولِ لســـانِ
علمـــاء ديـــني يا شِـــراعَ سفينتي ... تَلَفُ الشّـــــراعِ مُصِـــيبةُ الرَّبانِ
لا يحصـــدُ الإنســـانُ إلا مـــا بَـــذَرْ ... وخـــيرُ البُـــذورِ ذروةُ الإيـــمان

العزُّ حيٌّ والــــــــــتراجمُ بينكم ما مــاتَ من أحيا العقيـدة ثـاني
فقهَ الجهــادِ لا حيـضَ النّســا السـيفُ بطَّــال بلا قرآنِ
الظّلمُ دومـــاً لا فنـــاءَ لِعُذْرِهِ وسِـــهامُكمُ سـمٌّ عَلَى الإخــوانِ
الحـــقُّ أبْلجُ وَالضَّــلالُ ملجلجٌ فـــإلى مـــتى ننســاقُ كالخرفانِ
كَفَرَ الشــبابُ بالكهانــةِ نَفْــثِها هجـــروا بِعَزْمٍ صَــنْعةَ الكهّـــانِ
إذ بالخيانــةِ صَــوَّبَتْ بسِــهَامهَا غدراً من العلمــــاءِ والرهبانِ
للحـــرِّ قلتم خـــارجٌ أو جاهلٌ في قتلِهم أجــرٌ أبيــدوا الجــاني
فسماحةُ الـدين الحـنيفِ تقتضـي رَدْعَ الخــوارجِ فــي جميع زمــان
صــبراً فَمِـيزانُ العدالــةِ عِنْـدَهُ عِنْــدَ العليمِ ســيلتقي الخصــمانِ
أخـــذَ الإلـــهُ عليكُـــمُ ميثاقَهُ ببيانِ شـــرعِ اللهِ لا الكتمــــانِ
فنبـــذتموه لمْ تخـــافوا حُكْمـــهُ بخســـاً شَـــرَيتُم دينَكم بهـــوانِ
اللهُ يحكمُ بيننــــا فتجهـــــزوا بـــــدمائنا جُـــدنا ليـــومٍ دانِ
فلقد قرأنـــا في كِتـــابِ إلَهِنَـــا وَهوَ العظيمُ تباركَ المنــــــانِ
أمـــراً صريـــحاً بِالنَّفيرِ لِعدوِّنا حتّى تعمَّ عِبادةُ الرحمـــــــانِ

عَاشِقُ الإخْوَانِ

لـمّا سقَطت دولةُ الإسلامِ -أفغانستان- عرفنا معنى التّيه، ولِمَ لا، فنحنُ من عاشَرْنا التشرّد، وتخطّفتنا أيادي الغدْر في البُلدان، وبالكادِ استرَحنا من عَناء الأسفار وتفرّق الإخوان، فرَحلنا ورحَل معي كثيرٌ مِن إخْواني، وما زِلْت أتقلّب من بلدٍ إلى بلد حتّى تفرّقنا كلّ مفرق، وأجهزَ المجوسُ في إيرانَ على منْ تبقّى مِنْ إخواني بعد خديعةٍ عظيمة، فجلسْت يوماً أتذكّر حلاوةَ الصّحبة وطعْم المحبّة في حلْقي شهد، وإذا بي أفوقُ على مَرارة الفُرقة وحقيقتها، فتذكّرت أبا السّماحِ ذاك الشّهْم الشُّجاع الكَريم النّبيل، وأين هو موضعه الآن، فكتبت أقول:

تـاقَ الفؤادُ لِصـحْبةٍ ميمونـةٍ ... أينَ الأحبةُ بَلسَـمُ الأحـزانِ
منـذُ الفراق فلا عَرفْتُ بشاشـةً ... تشـفي عليـلَ عاشـقِ الإخـوانِ
عودوا إليّ أحِبَّـتي لـو سـاعَةً ... فالعيشُ دونَ ظِلالِكُمْ أعْياني
عَلّي أضِـيءُ النَّفسَ مِنْ مِصـباحِكُمْ ... مـا قيمـةُ الـرَّاعِي بِلا عينـان
إنْ غابَ عَنّي شخْصُكمْ وضـياؤكُمْ ... فالحبُّ نـورٌ شـاهقُ البنيانِ
وأبَا السَّـماحِ دموعُنـا فيّاضـةٌ ... مِنْ هَوْلِ مـا حَـطّ عَلى الولهـانِ
مَكـروا كَبـيراً يا أُخَيَّ فَلنْ يـروا ... إلا رِماحـاً في عُيـونِ الجـاني
مهْمـا تطـاوَلَ إفْكُهُمْ فكـأنَّهمْ ... حَشـراتُ ليْلٍ هاويَ النـيرانِ
هذا أخـوكَ يُـذِيقُهمْ كَـأسَ الـرَّدَى ... ويـردُّ صـاعاً في الـوغى صَـاعانِ
إنْ كـانَ بَعْدُ بَقيّة في عمرنـا ... فالسـيفُ رَمْـزي والقتـالُ بَياني
لا خـيرَ فِي عَيْشٍ بِغَيْـرِ كَرامَـةٍ ... إنَّ الكَرامَـةَ حُلّـةُ الإيمـانِ

دَمْعَةٌ عَلَى الإِخْوَة

ذهبتْ حياةُ العزِّ منـــــــــذُ فِرَاقهمْ   فالعزُّ في كَنَفِ الحــبيبِ جفاني
ذهبَ الـذين بنـورِ صُـحبتهمْ عَلا   من ليس للمجـــــدِ الرفيعِ بباني
قد كـــــــــان منهم للفقيرِ محبةٌ   حـتى غدوتُ بسـترهمْ كَجُمـانِ
أين المحبةُ صــــــــدقُها ونقاؤُها   أينَ الأخـــوةُ يا أخــا العرفانِ
ليس المليءُ بــــــدرهمٍ في جيبهِ   حـــتى يُحــال عليهمُ الغرمــانِ
إن المليءَ خزينــهُ من تــرتجى   أخلاقُهُ في شـــدَّةِ الأزمـــانِ

غَزْوةُ (بالي)

-أو ما تبقى من القصيدة!-

اللهُ أكـــــبرُ.. قدْ أتَتْنـــــا فَرحَـــــةٌ
اللهُ أكـــبرُ..ناصـــرُ الفرســـانِ

اللهُ أكـــــبرُ.. يا لخيْـــرِ بَشـــائرٍ
تفوحُ بالفتحِ .. عظيمِ الشّـــــانِ

اللهُ أكـــبرُ.. مِنْ خَـــبيثٍ طـــاغيٍ
مُسْـــتكْبِرٍ.. مُتَجبّـــرٍ.. شـــيطانِ

اللهُ أكـــــبرُ.. مِنْ صَـــــليبٍ حاقِدٍ
ومُتَمـــرِّدٍ للشَّـــرْعِ ذي نكْـــرانِ

في ليلـــــــــةٍ رقصَ الْهَلاكُ مهلّلاً
والقومُ يَرْقصُـــونَ رَقْصَ الجـــانِ

تتســـارَعُ الضَّـــحَكاتُ في سَـــكَرَاتِهِمْ
يتـــأبَّطونَ خواصِـــرَ النِّسْـــوانِ

فَشـــــذوذُهُمْ.. قد أطلقوهُ حَضَـــــارَةً
والكُفْرُ مِنْ مَحاسِـــنِ الإيمـــانِ

لا والّـــذي رَفعَ السَّـــماءَ بِلا عَمَـــدْ
قَسَـماً بِـذي المَلكـوتِ والسُّلطانِ

لَنْ تَنْعمـــــوا بِالأمْنِ فوق ديارِنـــــا
فالسَّـــيفُ أصْـــدَقُ قَائـلٍ بِبيانِ

هلا سَـمِعْتَ ببالي حيثُ صـراخهم؟
والفِعْلُ مِنهُم مِثْلَمـــا الصِّـــبْيانِ

عُرياً ســـراعاً فِي تَـــدافُعِ محنـــةٍ
والمـوتُ يحصـدهُمْ بغير تـوانِ

أَوَ مـــــا عَلِمْتُمْ أنَّ بَحْـــرَ ظَلامِهمْ
بَحـــرُ المَذَلَّـــةِ أسْـوَدُ الشـطْآنِ

أوَ مـــــا عَلمْتُمْ أنَّ نـــــاراً حَتفُكمْ
فالخزْيُ في الـــــدارينِ بالنِّيرانِ

أوَ مـــا علمتُمْ أنَّ حَـــقَّ جِهادنـــا
ليُطهِّـــرَ الـــدنْيا مِنَ الأنتـــانِ

فالحَمْـــــدُ للباري عَلىَ نَعْمائِـــــهِ
أخْـــزَى الحَقُودَ بِعُصْـــبَةِ القرْآنِ

هُمُوْمُ مُسَافِر

بُعَيد سُقوط بغداد كنتُ ومن معيَ منَ الإخوة لا نَدري ما نَفعل، فنحنُ حديثو عهدٍ بالبلاد ولا صديقَ أو مُعينَ إلا ما نَدَر، وسارَت شائعاتٌ عنِ العَرب الأجانب، وكانت جميعُ أوراقنا مزوّرة ولا تصلح للسّفر مرّة أخرى، فاتّصلت على الإخوة في دولةٍ مجاورة واتفقت معهم أن نأتي إليهم قريباً، لكنّه سُرعان ما قُبض على الأخ المستقبِل، وضاع الاتّصال بالإخوة تماماً، ودارت بنا الأرض أين نذهب؟، وماذا نفعل؟، عِندنا أطفالٌ ونساءٌ، هل يتحمّلون عناءَ التّهريب براً وكانت هناك حوامل، فخنقَتني عبْرة وكتبت أقول:

حتّى متى نتيهُ في أوطاننا — كسفينةٍ صارتْ بلا ربّانِ
أنّى اتّجهتُ بِأرضِنا فوجدتُها — أرضَ البلاءِ عبوسةَ الجدرانِ
بحرُ الحياةِ كئيبةٌ أعماقُهُ — لا خيرَ في بحرٍ كئيبٍ فانِ
الضوءُ فيهِ لا يُجاوزُ قدْرَهُ — موجٌ مريعٌ حاجبُ الشطآنِ
يا بانيَ الأحلامِ هلّا يقظةٌ — فالحلمُ حتماً ساقطُ الأركانِ
الموتُ حقٌّ والحياةُ سرابُنا — كُتِبَ الفناءُ لزمرةِ الثقلانِ
شَرِّق وغرّبْ يا أُخيّ فلنْ تَجدْ — دنيا تَسُرُّ فجهزِ الأكفانِ
إمّا مفارقٌ أهلهُ أو مُبْتلى — فالموتُ يا صاحبي قريبٌ دانِي
يا ربِّ قتلاً لا أكونُ أسيرَهُم — فالأسرُ أسوأُ حالةِ الإنسانِ
قهرُ الرجالِ وذلّهم لرزيةٌ — فالحرَّ يقْتُلُهُ سبابُ لِسانِ

أُمّاهُ

اتّصلت على أهْلي بعدَ فترةِ انقطاعٍ طَويلةٍ، وكانَتْ أمّي علَى الهاتِف تَنتظرُ، فما أن سِمِعت صَوتي حتّى انخرطَتْ في البُكاء، فأخذَ منْها والدي السّماعة ريثما تهدأ ثم تكلمني كالعادة، إلا أنها هذِه المرّة لـمّا جاءَت تكلّمني ثانيةً بكَت وبكَت ولم تستطِع قطّ أنْ تُكلّمني، إلا أنّها قالت: (يا ولدي أريد أن أراك..) فقلت:

أمـــاه حســـبك فالفؤاد مكلَّمُ ... لا تُحزنيني واتركيني مُـرَاغِمُ
دمعاتُ عينـــكِ يا حبيبةُ غالياً ... قطراتـــهُ لهَبٌ لقلـــبي يضـــرمُ
مـا زلت أذكـر يـوم فُرّق بيننا ... والـدمع يقطـرُ والرحيـلُ محتَّمُ
إن باعد الكفارُ ظلمًـــا بيننـــا ... فالله يجمــــع يا حبيبةُ يُنعِـــمُ
أُمــاهُ مـــا نبَجــوا عليَّ لريبةٍ ... ومـــا ذنـــوبي غير أنّي مسـلمُ
لا أقبـلُ السفلى بحـقِ عقيدتي ... ولا عن نُصـرة الشّـريعةِ أُحجمُ
أُمـاهُ لا تبكي إذا حـانَ الـوداعْ ... بالموتِ في نصـرِ العقيـدةِ أحلمُ
واجــثي لربكِ بالـدعاءِ لعلـهُ ... للمـذنبِ المسكينِ يغفرُ يــرحمُ
خطي كرامـةَ أمتي بـدمي كـذا ... وابـري سهاماً من عظامي تنقمُ
شـبةُ ممـاتي أو حياتي إنـني ... للـــدين همّي لا لـــدنيا أخـــدمُ
ســأظلُّ يا أمي فتيـلَ عقيـدةٍ ... نــوراً لــدرب الســالكين ليُقْدِموا
فلا تـــزال عصـــابة تقاتـــلُ ... حـــتى تســودَ عقيــدتي وتُحكَّمُ
في ســـــبيلِ اللهِ باقٍ دربهمْ ... وإن قلّ السّـــــالكون وردَّ مُعَمَّمُ

دَمْعَةٌ عَلى حبّ

فَقْدِي لأصْـــحابِي بلاءٌ مُــؤْلِمُ　　لكنّ فَقْدَ أبِي الزُّبَيْــــــرِ يُحطِّمُ
مـا زلْتُ أذْكُـرُ حُسْـنَهُ وَبَشَاشَـةً　　تُنْسِـــي الهُمُــوْمَ وَلِلْبلايا تَــرْجمُ
قَسَـماً بِـربِّ النَّـاسِ غَيْـر حانِثٍ　　إنّيْ لِفَقْدِكَ يا حَــــــــبيْبُ لَمُكْلمُ
لــو كــان بُــدًّا للجوامـدِ كلَّمتْ　　ورثتْ قراحي حينهـــا تتـــألمُ
فَحَياتُنـــــا زَفَراتُهـــــا تَتلاطَمُ　　آلامُنَـــا فَوقَ الضِّـــفافِ تَـرَاكمُ
لَــوْ يَنْطِــقُ المكلــومُ مِنْ هَمٍّ بِهِ　　لَكَسَـا الجَمـادَ كِسـاءَ حـزنٍ أيْهَمُ

جَدَّ المَسِيْرُ

جدَّ المسيرُ ألا فشدوا يا عَرَب　　لا حـلَّ غيرَ السـيفِ والقضُـبِ
فإلى مــتى تجمُّــلٌ بالكــذبِ　　حــتى غدونا عاهـــةَ الحَسَــبِ
أين مَكــارِمُ العروبــةِ بيننــا　　مِن نَـــخوَةٍ وشَــجاعَةِ الشُّـــهُبِ
أينَ ابنُ جِدعانَ ونصرةُ مُطعِمٍ　　ولا أقـــــولُ خالِـــــدَ العَجَبِ
يمــوتُ باكياً ومــا بِجســمِهِ　　إلّا مواضِــعُ زانهــا في اللّجَبِ
تَعِسَ الجبانُ يموتُ كلّ ساعةٍ　　والحـــرُّ يَطلُبُ حَتفَهُ بالنَّصَــبِ

عَاشِقُ الحُوْرِ

هذه القَصيدة كَتبتُها وقد أُحيط بيتُنا من كلّ مكانٍ واشتدّ القَصْف وزحَف العَدوّ إلينا، وسَحب الإخوةُ الأقْسام واستعدّوا للمَوت، وتطايرَ زُجاجُ النّوافذ وعلا غُبارُ البَارود، جلسْتُ أكتُب هذهِ القَصيدة ثمّ أوقَفتُ الإخوةَ وقُلت لهم: كتَبتُ قَصيدةً في الحُور. قالوا: كيفَ لكَ قلبٌ على الكِتابة، وهلْ هَذا وقتُه؟، قُلتُ: ومَتى إذَن وقتُها؟، وهلْ للحُور وتذكّرِها موضعٌ إلّا هذا الموضِع والوقت؟، وبالفِعْل أكثرُ من ثُلثَي مَن كانَ مَعيَ قُتِلوا رحِمهُم الله رحمةً واسعة في ثاني يومٍ من هذهِ الجَلسة، أسألُ اللهَ أنْ يجْمعَنا ويتقبّلنا برحمَته فِي عِدادِ الشّهداء.

يا لاهثاً خلفَ النِّساءِ جمالِها ... تَرْجو مَتاعاً للفؤادِ يُضَرِّمُ

هلّا رَأيْتَ الحورَ عِنْدَ تَبَسُّمٍ ... كالبدرِ وضاءً بليلٍ يُبْهِمُ

لو نَظَرَتْ إليْكَ بِنظْرةِ عاشقٍ ... عَجِبَ الرِّياضُ لخدِّها وأقسمُ

حُسْناً وسِحراً لو وصفتَ كأنها ... في وسطِ روضٍ وردةً تتَكَلّمُ

أو أسدَلَتْ بحَريْرِها من خلفها ... يبْدُو كأنَّ الليلَ داجٍ يهْجِمُ

أو أَسبلتْ أجْفانَها بأُنوثةٍ ... قلباً بعشقٍ لا يخورُ ويُفْصَمُ

وإذا خَطَتْ للحُبّ خُطْوَةَ واثقٍ ... عَرفَ الجمالُ عَوارَهُ لا يَنْقِمُ

مرآةُ صفوٍ بل شموسٌ تسطعُ ... نظراتُ عينَيها سِهامٌ تكْلِمُ

وكواعبُ ياقوتٍ هنَّ نواهدٌ ... وتدافُؤُ الملهوفِ لا تَتَصَنَّمُ

بَيْنَ الشِّفاهِ حلاوةٌ سكْرٌ بهِ ... بِلِعَابِهَا ولُعَابُها يتَنَعَّمُ

تَتَحدَّرُ الحبَّاتُ عِنْدَ وِصالِها ... أنشودةُ الآهاتِ ليسَتْ تَرْحَمُ

لا تَشْتَكِي طُوْلَ الوِصالِ فقُرْبُها ... أحلى جَميلاً بالجنانِ يُعْلَمُ

لا للْـــفُتورِ فَكُلّمَـــا أتَيتهـــا　　لوجَــدْتَها بِكْــرًا ولا تتــألّمُ
وعلى الأرائِكِ هُيّئَتْ لمَضَـاجِعٌ　　لانتْ لخــلٍّ عاشــقٍ لا يســأمُ
تَعْلُـــوْ وَتُعْلَى لا تَمِـــلُّ تقَلُّبا　　ذاكَ النَّعِيمُ حَقيقَةً تتكَلَّمُ
يا ربِّ عُذْرًا إنْ طغت أقلامنـــا　　لِلْحـــورِ وَجْـــدِي باللّقاءِ مُتَيَّمُ

رِسَالَةُ الحَبِيْبِ

أرسَل إليّ الشّيخ أبو مصْعَب رحمهُ الله بعد إصابته رسالة مُداعباً ومُعاتباً قلّة همّتي في رسائلي إليه، وممّا قال: (أين شعرك في إصابتي، فلو كنت محباً حقاً لكتبت) فأجبته قائلاً:

طَلَبَ الْفُؤادُ مِنَ الْفُؤادِ قَصِـــــيْدَةً ... وَعلامَــــــةً أنّي أُحِبُّ أكِيْــــدَا
فَأَجَابَهُ إنَّ الكَلَامَ مكبــــــــــلٌ ... بَيْنَ الـدّمُوعِ عَلَى الحَبِيْبِ وَئِيْـدَا
تَاهَتْ حُرُوْفُ قَصِيْدَتِي بَيْنَ الْأَسَى ... وَ تَنَـاثَرَتْ فَوْقَ الجُـرُوْحِ خُلـودَا
حَتَّى تَمَلّحَتْ عُيــــونِي فَجْــــأَةً ... بِرِسَـــالَةٍ كَـــانَتْ عَلَيَّ وُرُوْدَا
و تَعَانَقَتْ كَلِمَاتُنَــــا وَتَرَاقَصَــــتْ ... قَالتْ هَنِيْئًـــا بِالثّوَابِ حَصِـــيدَا
أبْقَى الْحَكِيمُ بِمَـــا يَسُــوءُ حَقودَهُمْ ... حَتّى يُعِيـــدَ ضِــرَابَهُ ويَسُــودَا
يَــرْعَى خِرَافًا للـــذّئابِ فَرِيْسَـــةٌ ... وَيُهَدْهِدُ الْحَمَـلَ الرَّضِـيعَ سَـعِيدَا
وَيُمِيطُ عَنْ وَجْــهِ الكَفُوْرِ لِثَامَـــهُ ... وَجْـهُ الـذّئابِ خِيَانَـةً وَجُحُـودَا
يُشْـفِي الصـدَاعَ حسـامُهُ بصـرامةٍ ... في نَحْـرِ مَنْ للـدِّيْنِ كَـادَ عُقودَا
فاحْفَظْ بِفَضْــــــلِكَ يا إلهِي مُسْلِمَاً ... جَعَلَ الجِهَــادَ نَشِـيدَهُ وَ قَصِـيدَا

دَوْلَةُ الإسْلامِ

يا دولـــةَ الإســـلامِ يا فجــراً بــدا | يا أروعَ الكلمــاتِ يا شـمسَ الهـدى
يا دولـــةَ الفرســـانِ يا كيـــدَ العِدا | يا دمعةَ المحــرابِ يا قطــرَ النــدى
يا وثبةَ الشـجعانِ في جوفِ الـردى | يا قطـــرةَ الشـــهداءِ يا فخــرَ الفدا
يا صرخةَ المظلومِ يا سهماً مضـى | يا أنَّـــةَ الســـجناءِ عاليةَ الصـــدى
إنــا صــبرنا كي تكــوني في الــدنا | أملاً لكـــــل موحـــــدٍ قد جاهدا
في نـــورِ رايتِنـــا البهيةِ قد أتى | تأليهُ ربي في العلا متفرِّدا
ختْمُ النبـــوةِ للرســـولِ محمـــدٍ | قمـــرٌ ينـــيرُ لنـــا الظلامَ لنســـعدا
يحميكِ ربي من كفورٍ ظـــــــالمٍ | لن يغلبَ الثقلانِ من قد أَيَّـــــــدا

سِهَامُ الإصَابَةِ

وَإِذا اعْتَرَتْـــكَ بَلِيَّةٌ فاصْـــبِرْ وَلَا ... تَدَعِ الصَّـلَاةَ كَما الدُّعَاءِ وَبِالخَلَا
وَ اذْرِفْ دُمُوعَكَ لِلْكَـريمِ تَوَسُّـلاً ... تَلْـــقَ السَّكِينَةَ والخَلَاصَ مِنَ الْبلَا
لِلَّيْلِ سِـــرٌ فِي الــدُّعَاءِ فَقَلّمَـــا ... تَلْـقَ الْإِصَــابَةَ لاْ تُجِيْبُ السَّـائِلَا
أوَسَـــائِلٌ فَنُجِيْبَ حُسْـنَ دُعائِـهِ ... اللهُ يَنْــــزِلُ لِلسَّــــمَاءِ قائِلا
لَا تَرْفَعُ الْحَسَــــــرات إلّا تَوْبَةٌ ... مَنْ قَلْبِ مَلْهُوْفٍ يَتـوقُ إلَى الْعُلَا
حَاجَاتُنَـا تقضـى بقصـدٍ خـالصٍ ... وَ نُطَهِّرُ الأجْسادَ مِنْ شِـرْكٍ عَلَا
فَاتْرُكْ سُـــؤالَ الْعَالَمِينَ موحــداً ... وَاطْمَـعْ بِرَبّكَ إنْ أَرَدْتَ مُحَصّـلَا

خَرَابُ المَدِيْنَة

هذه أنشُودةٌ كتَبتها بعد نحوِ أسبوعَين من الغزو الأمريكي للفلّوجة، فاسْتَحسنها أصحابي وأنْشَدوها، بلْ وكَتبوها على جُدران المدينة، وكنتُ أرى الدّمع ينزِل وخاصةً حينَما كانَ يُنشِدها أبو جعفر ويصِل إلى (يا لَيتَها تزُوْل....)، وهيَ في مَضْمُونها ثَورةٌ داخليّة على خُذلان أهلِ المدينة لَنا، وإن كنتُ لستُ على يَقين بدقّة بِنائها العَروضي لكنّي على يَقين أنّها خَرجت مِن أعماقِ نَفْسي...

كانَتْ لنَا مَدِيْنَــةْ
حَقاً لنا مَديْنَـةْ
مِنَّا ارْتَوَتْ دِماءَا
فَيَا لَها بِطِيْنَةْ
لا تَسْأَمُ الشَّـراب
خَبالةُ الْعَجِيْنَــةْ
الزَّرْعُ كـانَ وَهْما
نُحيطُهُ نُـزِينَهْ
حتَّى إذَا تَرَعْرَعَتْ
آمَالُــنَا لِدِينهْ
تَحَطَّمَتْ جَميعَا
بِصَخْرَةٍ مَتيْنَــةْ
فِي لَحْظَةٍ أُزِيْلَتْ
أرْكانُها الحَصِيْنَة
يا لَيْتَها تـزُولُ

أَيَّامُنَا الحَزِينَـة

بِدَوْلَـةِ الإسْلامِ

مَنْسُوجَةٍ رَصَيْنَـة

نَعِيْشُ فِيـهَا عِزّا

وَلّىَ مِنَ المَدِيْنَــةْ

عَلّمْنِي يَا شَهِيْد

جاءَ الأخُ أبو أسامةَ المغربيّ إلى بيْتي في ليلةِ تَنفيذ عمليةِ (الأمم المتحدة الثانية)، وأخذَ الرّجل في الصّلاة والبُكاء حتى الثّانية بعدَ مُنتصف اللّيل، فقُلت: أيّها الحَبيب نَمْ، أمامك عملٌ غداً فنامَ ولم أنَمْ ورأيت على الرّجل وضّاءة وفي وجهِه النّور، وأصابَتني قَشْعريرة، فأخذْتُ قَلمي وجَعلتُ أنظرُ إليه وأكتب فقلت:

عَلِّمْ أخاكَ بمَ أكونُ شهيدا ... عَلِّمْ أخاكَ بمَ أموتُ وَحيدا
علِّم بما سبقت من كانوا لنا ... رمزَ الفدا فسموتَ أنتَ فريداً
علِّم أخاكَ بمَ يُوَدِّع أهلَه ... جَلِداً صَبوراً كالجبالِ صمودا
علِّم أخاكَ بما يُعَافُ الولد ... غَضَّاً طرياً في الحياةِ جَديدا
أذرُ الأحبةَ للرحيمِ يقيناً ... غيرَ الرحيمِ من يعينُ وليدا
فيا شهيدُ لأَنْتَ من علَّمْتَنِي ... قِيمَ الرجالِ وذاك منك أكيدا
ويا شهيدُ لأَنْتَ من علمتَنِي ... عيشَ الكرامةِ بعدَ ذُلٍّ عُهودا
قل لي برَبِكَ يا شهيدُ مُعلّما ... أكنتَ يوماً للحياةِ مُرِيدا؟
قل لي بربِك يا حبيبُ مُبَشّراً ... كيف الحلاوةُ في الفؤادِ وجودا؟
وجهُك نورٌ يَستحيلُ وَصفُهُ ... قولُكَ حقٌّ والدليلُ شهيداً
صمتُك تفكّرٌ لا تحبُّ سَفاسِفاً ... خُلُقُ الرَّسولِ للشهيد نشيداً
فارقد أُخَيَّ قَريرَةً أجفانَك ... ذَهَبَت مخافة عَليكَ أكيداً

كَواكِبُ النّوْرِ

كنتُ أثناءَ معاركِ الفلّوجة الأولى واقفاً مع زُمرة منْ أسود التّوحيد حوالي السّاعة الثّالثة فجراً، وإذا بصاروخٍ يُفرّق أجسَادنا ثمّ ثانٍ وثالثٍ، فاستُشهد في الحالِ حوَالي عشرة من الإخوة، وأُصِبْتُ حينَها إصابةً بسيطةً بحمد الله، وكانَ قد سبَق هذه الحادثةَ رحيلُ الأسَديْن: الحاجّ ثامرْ وأبي فارس الأنصاريّن، فجلستُ في البيْت مهموماً، فلا أنا في ساحات الوَغى أشفِي غليلي، ولا أنا فُزتُ بجنّة عَرضها السّمواتُ والأرض، فجَلستُ أُعيّر نَفسي فكانت هذه المشاعرُ، وكانَ ذلك في بيتِ القائد عُمَر حَديد الكائن بحي الجُولان:

وَجِلٌ عَلى الأشوَاكِ أمشي باكيا — في ظُلمَةِ الليلِ البَهيمِ مناديا
أيـنَ الـحبيبُ وأينَ حُسنُ حَديثِهِ — مَن للضّعيفِ يُعينُهُ وهاديا
كواكبُ النُّورِ مَضَت تترَنَّمُ — مَن باعَ نفساً نالَ روضاً عَاليا
نحنُ الذينَ تاجَروا لربِّهم — الصّادقونَ الرّابحونَ... بِناديا
هانَت نفوسُنا فَعزَّ مَقامُنا — هَذا الجَزاءُ يا تقياً غازِيا
فقوافلُ الشُّهَداءِ بَرقٌ خاطِفٌ — رِيحُ العبيرِ تَحُفُّهُم فَحَنانِيا
أنا الصّديقُ والرَّفيقُ بِمحنَةٍ — دامت عَليَّ فلا حَبيباً حاديا
أنا الَّذِي قَعَدَت بِهِ ذُنوبُهُ — أشعُرُ أنّي بِالمَعاصِي عَاريا
وَحدِي بَقِيتُ فَلا تُعزّوا مُكْلَماً — هَيَّا خذُونِي لا أُريدُ مُعَزِّيا
حَسبِي أُخَيَّ بِأنّنَا نُحبُّكُم — هَل يَنفَعُ الحُبُّ قَعِيداً جَانيا

قَلْبُ الفتى

رُزق فِلذاتُ كبدي أبو دُجانة وأبو الزّبير وأبو تُراب وأبو عُبيدة الشّهادة، ومن قبلُ رُزقها أميرُ الأنبار أبو أسامة، ومن ثمّ أبو أنَس وأبو سُفيان، وهُما من أكابِرِ الأمراءِ، وذلكَ كلُّه في فترة وجيزة، فبلغَ بيَ الهمّ مبلغَه، وبعدَ ذلكَ حطّ بي المقامُ عندَ أخيْ أبي طارق وهو من ساداتِ الإخوة، وفي صَباح اليومِ التّالي لنُزولي عندَه جاءَ الخبَرَ أنّ صاعقاً انفجَر في يدِ أبي طارق فأطارَ أصابعاً ثلاثةً، وكانَت هذه القشّة التي كتبتُ بعدها:

هَذا الــــذِيْ جَعَلَ الهُمُـــومَ رِدَاءَهُ ... وَ تَجَـرَّعَ الْحُـزْنَ الْمَرِيْـرَ حِسَـاءً
وَ تَنَـازَعَتْ سُبُلُ الْأَسَـى لِشِعارِهِ ... غَيْـرَ السَّـوادِ فَمَـا رَأَيْتُ سَـمَاءً
وَأُخَبِّئُ الأَفْرَاحَ خَـوْفَ مُصَـــابِهَا ... بِسُـمُومِ هَمِّي قَدْ تُصـيبُ الــدَاءً
فَورُوْدُ قَلْبِيْ غَبَّـــرَتْ أَوْرَاقَهَـــا ... حَتَّىْ تُمَـــارِي فِتْنَـــةً دَهْمَـــاءً
كَمْ بَسْـمَةٍ جَـــالَتْ عَلَيْهَـــا غُمَّتِي ... فِي مَهْـــدِهَا كَيْ لاْ أَرَىْ ســـنَاءً
يا وَيْحَ طِفْلٍ ضَـــــمَّهُ ذَاكَ الْأَبُ ... أَتُـــرَى يحسُّ بالحنينِ سِـــقَاءً
ويْحَ العَدُوِّ يَطَالُـــــــهُ هَمّ الفَتَى ... مَـــاذا تَظُنُّ وَقَدْ مَلَكْتُ شِـــفَاءً
إِنّيْ حَلفْتُ لَأَســـفكَنَّ دِمَـــاءهُمْ ... يا رَبِّ أَكْـــرِمْ للفَقِيْـــرِ وَفَاءً

صَرْخَةُ العِرْضِ

كثُرت انتهاكاتُ الـمُجرمين وتعرّضهم لأعراضِ العَفيفات من أهلِ السنّة، وتعدَد إجرام كلابِ وعُملاء الرّافضة لأهلِنا، وممّا يُدمي القلْب أنّ من تولّى كِبْر هذه الجرائم أُناسٌ ينْتسبونَ لأهلِ السنّة ولنفسِ العَشائر إلا أنّهم عُملاء لحُكومة الرّوافض وخَدَمٌ فيها ولأهدافِها، وجاءَت النّداءات تفطّر القلْب وتُذيبُ الرّوح فكانت هذِه الكلِمات، وأتشرّف أنِ استشهَد ببعضِها شيخُنا لمّا أرسلتُها له...

قالتْ بِدمْعٍ لا يَجفُّ بَلائي — وَلَغَ الكلابُ بَعِفَّتيْ وحَيائي
عقروا عفافاً ما فتئتُ أحُوطهُ — أينَ الرجالُ ونخوةُ الشرفاءِ
أينَ الجيوشُ تكاثرتْ أسْماؤها — ما لي أصيحُ فلا مجيبَ ندائي
أينَ الرجالُ وأينَ جيشُ محمَّدٍ — الباذلينَ نفوسَهُمْ بسَخاءِ
أينَ الأسودُ تذودُ عنْ أعراضِها — ما ماتَ مَنْ بالنفسِ فكّ عنائي
ما ماتَ منْ للدينِ باعَ حياتَهُ — لا خيرَ في عيشٍ بذلِّ نساءِ
يا مَنْ لعِرْضكَ لا تثورُ وتحفظُ — قلْ ليْ بربِكَ مَنْ يردُّ بلائي
هلْ أدْركَ الأعداءُ أنَّا أمّةٌ — صحّ حديث نبيّها كغثاءِ
قدْ كُنْتُ أحْسَبُ أنَّ وقتَ معرّةٍ — ولى وحلَّتْ رَحْمةُ الرحماءِ
لِلْعُرْبِ أوْ لِلسّنْدِ أُرْسلُ صَيْحتِي — وامُسْلِمَاهُ أجِبْ صريخَ رجائي

دُنْيَا الهُمُوْمِ

بعدَ مقتلِ الشّيخ الإمامِ أسد الفُراتِ أبي مصعبِ الزّرقاوي، أسْكنَه الله فَسيح جنّاته، انتابَني ألمٌ عصَر فُؤادي وفتّت عِظامي، زادَه كبتٌ لـمَشاعري فرضتْه ضَرورة المهمّة والمرحلة، وفي لحظةٍ من لحظاتِ التّنفيس الذّاتي، أمسكتُ قلَمي وكتبتُ تلكَ الكلمات...

وتَنافَرتْ من هوْلِها حسراتُهمْ ... حَمِدَ البلاءُ لِهوْلِها كُلّ التّعبْ
إنّي بِصحْراءِ الكَآبةِ مُبْتلى ... لا شوْكَ لا شَيئاً يجيرُ مِنَ اللّهبْ
دُنيا الهمومِ تربّعتْ في ساحتي ... وبَدتْ تقوْلُ مِنْ نصائِحها العَجَبْ
وتلفّحَتْ بِسوادِها وَتَبسّمتْ ... لا تَنْقمِ الأتراحَ فالحبُّ السّببْ
لا تَطْلبِ الأفراحَ إني عاشِقَةْ ... لسوادِ عينكَ لا فكاكَ ولا هَربْ
اليومَ أكْشِفُ عَنْ قناعِ صبابتي ... فَإلى مَتىْ يَبْقى الحَياءُ مِنَ اللّعبْ
منْذُ الطفولةِ فيْكَ أذْبحُ بَسْمةً ... شيطانُ حبّي قدْ تبَلْوَرَ بالرّغبْ
اليومَ أنْشِبُ وصْلنا بفؤادكَ ... لا للنجاةِ رَمَيْتُ سَهْمِي بِالوَصبْ
عاجَلْتُها بِكتابِ ربّي قارِئا ... هذا الكتابُ بهِ النجاةُ مِنَ العَطبْ
صاحَتْ تُوَلْوِلُ وَيْلَتِي راحَ الأمَلْ ... حَلّ الفِراقُ نَجا ابْنُ آدمَ مِنْ نَصَبْ
غَفلاتُ قَلْبِكَ ماءُ كُلِّ بَليّةٍ ... فغَداً أعودُ وحِينهـا يَاتِي الْعَتبْ
(صَبْراً جَميلاً) تِلكَ أحسنُ عُدَّتي ... يا ربّ عَفْوكَ عَنْ فؤادٍ قدْ خَربْ
فَالْحَمْدُ وَالشّكْرُ الجَزِيْلُ فَإننا ... مَهْما نقومُ فلَنْ نُوفيَ بِالطّلبْ
فاقْبلْ بِفَضْلِكَ يا إلهي مُذْنِبا ... عَرفَ السّعادةَ في رِياضٍ مِنْ رَغبْ

يَا رَبِّ

يا ربِّ إنْ أَخْطَـأتُ أطْلُبُ حِلمَكَ　　فالعَفوُ مِنْـــكَ مُؤَمَّـــلٌ وقَرِيبُ
يا ربِّ مَن يَملِـكُ سِـترَ عُيُوبِهِ　　للسّـــــــرّ تعْلمُ لا يغيبُ دَبِيبُ
يا ربِّ مُعتَــرِفٌ بِســالِفِ ذَنبِهِ　　أنتَ الـرَّحيمُ فَمَنْ سِـواكَ يَتُـوبُ
يا ربِّ تَعْلَمُ مَــا ألَمَّ بحَـــالي　　فالخَطـبُ يَـرْكُضُ بالفقِيْرِ رَهِيبُ
تِلـــكَ البَلايا أرهَقَتنِي لا تَــدَعْ　　قَلْبِي يُهَلّــلُ ســاعةً ويَطيــبُ
عِقْدٌ تَــداعَى نَظْمُــهُ مُتنــاثراً　　أيْنَ البقاءُ وَقَدْ أَهَلَّ عَصِيـــــبُ
يا كاشِفَ الضُّـرِ رَمَيْتُ حُمُـولَتِي　　عَنْ كَـاهِلِي فَاللُّطْفُ مِنْكَ عَجِيبُ

حَمْداً لِربّيْ

وأصلُ القصّة أنّ الشّيخ أبا مصعب رحمه الله تعالى، دخَل عليّ يوماً وكانَ منقوعاً في النّفط الأسود، حتّى أنّه يكادُ يكونُ قد تسلّل إلى عِظامه!، فحكَى لِيْ كيفَ جاءَ تهريباً في شاحنةِ نفطٍ، ثمّ حكَى لِيْ رحلة الذّهاب أيضاً تهريباً إلى تلكَ الدّولة، وممّا قالَ: إنّه وفي أثناءِ عُبورهم للحدود، اكتشف أمرَهم حرسُ الحُدود، فبدؤوا يُطلقون النّار بكثافة عليه وعلى المهرّب، فانبطحَ والمهرّب وبدأت الأنوارُ تقتربُ منهُم، وفي هذه اللّحظة نامَ الشّيخ، فرأى أنّ هاتفًا يناديه يقولُ: لا تخَف، الله ينجيكَ فلا تعتمد على الأسَد أو حسين، واستيقظَ على صَوت الـمُهرّب يقول قُم بسرعة، وزحَفوا غير بعيد، وإذا بالمهرّب يقول: الحمدُ لله نجَونا، فكتبتُ مشاعرَ ضاعَ معظمُها، وممّا علِق في الذّهن منها:

حمـداً لـربي يا حـبيبَ فؤادي ... على السـلامةِ بَعدَ ضَـربِ زِنـادِ
في لـيـلةٍ ظلمـاءَ غارَ ضـياؤها ... نبَحَتْ عليك كلابُهُم بِســــوادِ
صـيدٌ وحيـدٌ أقبلـوا وسـدّدوا ... بِســهامِ حقدٍ لا يفــوتُ بِـوادِ
وكيـومِ بـدرٍ نـامَ فيهِ أحمـدٌ ... فجـاءهُ مِـنَ العلـيمِ منـادِ
لا تعتمـــدْ وذرِ الطُّغاةَ بِغيِّهم ... وعليك باللهِ الـــرّحيمِ الهـادي

أخْتاهُ

زُرت لبنانَ فرأيتُ حالاً عظيمًا، القارئُ أدرى به، ثمّ زُرت مخيّم عَين الحُلوة، فتعجّبت لنساءِ وبناتِ الشّام، وكيفَ وصلَ بهنّ الحال، فكتبتُ أنصحُهنَّ في قصيدةٍ ذهبَ من ذِهني كثيرٌ منها ومما أتذكره:

أخْتاهُ بِالفُجّارِ لا لا تَقْتدِي ... ولِزيّهِمْ إيَّاكِ أنْ تتقلدِي
قدْ خَطَّطَ الكُفْرُ دَماراً لَكِ ... مَكْراً بليلٍ دامسٍ متلبّدِ
باسمِ الحَضارَةِ الّتِي أقْبَلَتْ ... بزيّها الفتّاكِ والخَرْمَدِ
إياكِ قوماً صادروا قيمَ العفافْ ... قد حاربوا طهراً بفعلٍ أسودِ
وتَجَنّبِي ثوبَ الفضيحةِ بالحجابْ ... فالكفر ذو عَوَرٍ وطَرْفٍ أرمدِ
عِطْرُ النِّساءِ محرمٌ لسوى الحليلْ ... حتى الخروجُ إلى صلاةِ المسجدِ
لا تلمسي غُرْباً تمدي باليدِ ... وبسورةِ النورِ العظيمةِ إقتدِي

نَاصِحُ الأحْرَارِ

كانَ أخي أبو عبد الله الشاميّ من أحبّ خلْق الله إلى نفسي، وكانَ من أصْدَقهم لي مودّة، فكانَ نِعم الأخُ النّاصح والصّديق المخلص في السرّ والعلَن، فما وقَفت منه قطّ على شيءٍ ساءَني، فقدتُه أثناءَ معارِك الفلّوجة الثّانية، وكنتُ آمل أنْ يكونَ ما زالَ حيّاً، وعلى الرّغم من طُول مدّة فقده، إلا أنّ خبَر استشهادِه خرَج من أحَد الإخوة الذين اعتقَلهم الأمريكانُ في الفلّوجة، وكانَ معه إذ انسحَب الإخوةُ ورفضَ هوَ الانسحابَ، فتعرّض بيتُه لقصفٍ عنيفٍ استُشهد على إثره مع كَوكبة منَ الإخوة، فكتبتُ فيه أقول:

أكـرِمْ أُخيَّ، برفعةٍ وكرامـةٍ ... واخلـدْ بـروضٍ عاليَ المقدارِ
لا يرحـلُ الإنسـانُ كـلَّ حياتـهِ ... حتمـاً يحـطُّ منْ عَنَـا الأسفارِ
البـؤسُ ولّى، لن يعودَ زمانُـهُ ... اليـومَ تلقى نعمـةَ الإبكـارِ
اليومَ تُـدْركُ مـا طَفقتَ تؤمّلُـهُ ... اليـومَ تلقى ربّنـا الغفارِ
مـا زلتُ أذكرُ فيك أنت صـلابةً ... وجهـادَكَ الأعداءَ بالبتـارِ
برياضِ ثغْرِ الرافدينِ جلادكمْ ... وعلى رُبى الشـهداءِ كنتَ تُجاري
تَعَبُ النفوسِ وسـيلةٌ لتُريحَهـا ... ذاكَ السـبيلُ سـبيلُ كـلِّ خيارِ
إن غابَ عنّي يا أُخيَّ ضـياؤُكم ... فجميـلُ فِعلـكَ باقيَ الأَسْـرارِ
يـدبُّ في نفس الصـديقِ عبيرهُ ... فتثـورُ فيهِ شـهامةُ الأغيارِ
رُحِمَ الكريمُ، أخو المودةِ والتُّقى ... قدْ كـانَ حقاً ناصـحَ الأحـرارِ
لا يعرفُ القولَ الـدنيَّ لسـانُهُ ... أدبُ الكلامِ طريقةُ الأطهـارِ
إن السـيوفَ مَفاتحٌ لنجاتِنـا ... وشـعارُهُ بالجهرِ والإسـرارِ

رِسَالَةُ الأسِيْرِ

بيْنَ الرِّجــالِ عَرفْتُ سِــرَّ عَقيــدتي ... تَحْتَ السياطِ صبرتُ بالإصرارِ

جبــــلٌ أشَـــــمٌّ لا ألينُ مَذلّــــــةً ... لســوى إلهي فالقتــالُ شعاري

قِنْـــديلُ إيمـــاني مُحـــالٌ ينطفئْ ... نَفْخُ الكفورِ يزيــدُ من أنْــواري

الجمـــرُ لا تَفنى حــــرارةُ أصْـــلِهِ ... والطّــرْقُ يُشْــعِلُ جَـذْوةَ النّــارِ

إنَّ الشّـــدائدَ فِي الطَّريـــقِ فَخارُنـــا ... فغداً يُصــارُ إلى العلا بِــديارِي

أعْنِي بِهـــا دارَ الخلـــودِ بجَنَّـــتي ... ثمــرٌ وخلــدٌ زوجــةٌ بجــواري

ألقى الأحبةَ في الفداءِ تُـــــــرحِّبُ ... ألقى الملائِـكَ إخْـوتي الأطْهـارِ

وإلَيْكَ أنْتَ بُـــنيَّ تِلْـــكَ وصـــيَّتِي ... قَبْلَ الرَّحيـلِ لِصُـحْبةِ الأبْـرارِ

أيْ يُثْبِتُونَـــكَ يُخْرِجُوْنَـــكَ يَقْتلـــوا ... هذا الطَّرِيْـقُ طَرِيْـقُ كُـلِّ خِيارِ

ابْنُ النَّبِيِّ كمـــــــــــا النَّبِيّ قُتِّلا ... لِرِضَـــى بَغِيٍّ حُـــزَّ بِالمِنشــارِ

فاقْبِضْ بُــنيَّ على المَكـارِمِ في الْفِتَنْ ... حَسْـــبُ الفتى بُؤســـاً حياةَ العارِ

ثمَّ الكَلامُ لــــــدُرَّتِي متحســـــراً ... فَكــأنَّ لَيْلَـكِ حالِـكُ الإمــرارِ

تبْكِي أنيســـاً لا يــزالُ بصـــوتهِ ... يَتلُــو عظيمــاً من كلامِ الباري

لم تَعْرِفِي منـــهُ سِـــوَى بسـماتِهِ ... لِيُخفّفَ العِبْءَ الثقيــلَ بــدارِ

دارٌ بهـــا الصّـــلبانُ تطْبعُ ذِلّـــةً ... فَوْقَ الجــبينِ بِعتْمــةٍ ونهــارِ

فالهجْ لِربِّكِ بالـــــدعاءِ لعلّنـــا ... نُــــــدافعُ الأقدارَ بِالأقدارِ

لا تَيْأسِــــي لِلْأرْضِ رَبٌّ يَـــرْحَمُ ... واسْــــتَنْجِدِي بالقاهِرِ الجبَّارِ

فِيْ رِثَاءِ أَبِيْ الحَسَنِ

واسمه عليّ، وهوَ منْ أحبِّ خلْقِ الله إلى قلْبي، وأحسَبُه منْ أصدَقِهم لي وِدًّا، ولا تُضاهِيه منزلةٌ عندَ فُؤادي إلا أيّوبَ رحمه الله، والغريبُ أنّ اسمه الحقيقيّ كذلك (علي)، وقد قُتل أبو الحسن في إنزالٍ أمريكيّ على بيتِه معَ كوكبةٍ من الفُرسان الصّادقين، فرحمةُ الله عليهم أجمعين، وبفضلِ الله علِمنا الجاسوسَ الذيْ وضَع القُرص الإلكتروني على بَيتهم، وتمّ بحمدِ الله التّعجيل به إلى جهنّم وبئسَ المصير...

يا أيُّهــا المغوارُ أينَ ذَهَابُكَ ... هل قد سئمتَ جوارَنا بجوارِكْ
أوبَعدَما لعِبَ الغرامُ بقلْبيَ ... تَمْضي وَتَتْرُكُ حَسرَةً بِصِحابِكْ
يا صَاحِبي أَوَما عَرَفتَ صَبابتي ... قل لي بربكَ ما الذي قدْ نابكْ
أمْ أنَّه شَوقٌ طغى بفؤادِكم ... للقاءِ رَحمانٍ يُسكِّنُ ما بِكْ
فلقد بكيتُ وما أراحتْ دَمْعَتي ... تِلكَ الدموعُ تَزيدُني بِعَذابِكْ
غَدرٌ سَرَى بِسوادِ ليلٍ نافثاً ... حِقداً تسارعَ جاهداً لِحِرابِكْ
للحَقِّ أعداءٌ يَرَونَ حياتَهم ... في موتِ كلِّ مُوَحِّدٍ كَمُصابِكْ!
يا داعيَ الخَيراتِ أبْشِرْ جاءَكَ ... ما كنت تعملُ والحصادُ ثَوابُكْ
يأبَى بياني أن يصيغَ خِصالَكَ ... كُلُّ الحروفِ صَغيرَةٌ بِحِسابِكْ
فاهنأ عليٌّ قدْ عَلَوْتَ مُعانِقاً ... حوراً حِساناً زُيّنَتْ لِجنابِكْ

حِوَار الكُفّارِ

رأيتُ تسابُق قَومي إلى الصّحواتِ كالنّار في الهَشيم بِساعة ظَهيرة في يومٍ حارّ، وعجبتُ كيفَ يَرضى مُسلم أنْ يرتَدي بدلةَ (الفُسفور) ليَحمي النّصراني الصّليبي المحتلّ، بعد هتْك العِرض وقتْلِ النّفس وسرِقة المال، بينما يقطَع الطّريق على بني عمّه وأهلِ ملّته ومن هبّوا للدّفاع عنهُ ودينِه، وتخيّلت حوارًا دارَ بينَهم وكيفَ يدعون النّاس إلى طريقِهم، والحقّ أنّي كذلكَ سمعتُ كثيرًا من كلامِهم فقُلت على قلّة بضاعتي:

قالوا تنَعّمْ فالحياةُ جميلةٌ — وافْسُقْ بِعنْفٍ لا تفوّت حِيلَة
واجْهَرْ بِكفْرٍ لا تقل نَذالةً — إنَّ النذالةَ في الحياةِ وسِيلَةْ
قلتُ الطريقُ إلى معالمِ كفرِكمْ — دَلْوُ الشَّقيّ لسكْرِكمْ وسَبيلَهْ
إنّي سئمْتُ قيُودَ شِرْعةِ مِلّتي — يا ليْتَ عَيْني لمْ تَرَ ترتيلَهْ
قالوا توَشّحْ بدلةً لَمّاعة — واحْظَ بِأمْن صليبِهمْ ودَخيلَهْ
واجْهَرْ بِحربِ جَماعةٍ مُتَشَدّدَةْ — لا للغريبِ ودِينهِ وأثِيلَهْ
قلتُ الحياةُ عزيزةٌ وأولئِكمْ — لايتْركونَ عَدوّهُم وعَميلَهْ
مهْما تَحصّن لا تملُّ نفوسُهمْ — حتْماً تصيْرُ رؤوسُنا كفتيلَةْ
قالوا تُريدُ أَمانَهُمْ دولارَهمْ — مِنْ غيْرِ تَضْحِيةٍ فتلكَ رَذيلَةْ
فالبسْ ثيابَ الذلِّ دون تردُدٍ — إنَّا كَفرْنا بِالحَيَاءِ فَضيلَةْ

دَعْوَةٌ للرّحِيْلِ

تعرّض بعضُ أحبّائي ونُور عَيني إلى حملةِ انتقادٍ عنيفةٍ، قادَ زِمامها كلابُ الدّنيا وأربابُ القُعود، فقلتُ لهُم على رِسْلكم إنْ هيَ إلا أيّامٌ وشُهور، ولن تجِدوا أحداً من هؤلاء وتَخلو لكم دُنياكم من ناصحٍ أمينٍ أو مُجاهدٍ مِغوار، وبالفعل لم تمضِ إلا أيامٌ وبدأت قوافلُ شُهداء الأحّبة وعلى رأسهم من صبروا على المر لله تعالى، فقلتُ هذه الكلمات التي وددت أنْ أقولَ فيها وباختصار: (ها هيَ دُنياكُم فاهنؤوا بها، ودَعوا لنا الآخِرة).

أبْنائيَ الأبرارَ قوموا وارْحَلوا ... ودَعوا رَديْئةَ أهْلِها وتحوَّلوا
فمُقامُكُمْ عِنْدَ الجيافِ يَعيبُكُمْ ... شُدُّوا الرِّحالَ إلى العُلا وتَجمَّلوا
وتجَهَّزوا من ساعةٍ لا تقْعُدوا ... أخْشَى الوَباءَ يُصيبكمْ وتُخَذَّلوا
طَمِعَ الكِلابُ بِكُمْ فَريسةَ ذِلَّةٍ ... حَسِبوا الدِّماءَ رخيصةً فأمَّلوا
عِزًّا على الآهاتِ ثمّ جراحكمْ ... ودمُ الشهيدِ كؤوسُهمْ فتحوقلوا
دُنيا المذلَّةِ لا تَليقُ بِمثلِكمْ ... حورُ السَّماءِ تزينت فتزيلوا
واهْنَأ حقوداً بِالخيانَةِ ذُلِّها ... وخُذِ الدَّنيّةَ جِيْفةً فأقبِلوا
إنَّ الرِّجالَ إلى الشّواهقِ دربهم ... درْبُ الحَضيْضِ عَلى الخَنافِسِ يَسْهلُ
يا سالِكَ الدَّرْبِ الأغرّ لَدَرْبُكُمْ ... دَرْبُ الأسودِ مَصاعِباً فتحمَّلوا

فَوَارِسُ بَغْدَادَ

هـذه أبيـاتٌ كتبتُها بُعيـد العمليّات المباركـة على وزارات الـردّة، وخاصّـة وزارة الطّـاغوت وقـانون الشّـرك، وموضـعِ الظّلم والطّغيـان، وصَـنم العصـر: وزارة (العـدل الطّاغوتي...

أصـبنا الكفرَ في رأسٍ تهـاوتْ ضَـرَبْنا الشرك في حِصْنٍ توارَتْ
مَقَراتٌ بهـا اجْتَمَـعَ الفَسـادُ وباضَ الشِّـرْكُ فيهـا مُنْذُ كـانتْ
مقرَّاتٌ تَعُدُّ الظُّلمَ شَـرْعاً لِحـرْبِ الـدِّينِ رايتُهـا تَعالـتْ
مَقَرّاتٌ لِمَكْـرِ الـرّفْضِ رُكْنـاً تُثَبِّتُ حُكْمَهُمْ خَسِـئوا وَبارَتْ
حِرَاسـاتٌ بِعونِ اللهِ خـابَتْ وِزاراتٌ بِجُنْـدِ الْحـقّ خـارَتْ
بِبَغْداد أُسُـودٌ لم يَهـابُوا طَواغِيتـاً بِكُـلِّ المكْـرِ كـادَتْ
بِبَغْداد رِجـالٌ قَدْ أعدّوا نُفُوسًـا لا تَهابُ الْمَوْتَ صـارَتْ
رِجـالٌ لِلْشَّـريعَةِ خَيْـرُ جُنْـدٍ بِعَزْمٍ كَالْجِبالِ لَنـا أعادَتْ
أفاعِيـلَ الصَّـحَابَةِ في الْعِراقِ تبارَكَ ربنـا في العِزِّ دامَتْ
فَيا رَبَّ السَّـماءِ احْفَظْ عَبِيْـدَكْ وَأكْـرِمْهُمْ بِفَضْـلِكَ ما اسْـتَقامَتْ

وَفِيْ عِيْدِ الأَضْحَى ١٤٢٨

أَدَامَ اللهُ دَولَتَكُمْ وأبْقَى جِهَـادَ العِزِّ فِي حِفْظٍ وصــونِ
وَعَوَّدَكُمْ أمَانــاً كُــلّ عِيْــدٍ وأبنـــاءُ العِرَاقِ بِغَيْـــرِ هوْنِ

عَتَبْتُ عَلَى امْرِئِ القَيْسِ وَصْفَ لَيْلِ الهَمّ

فَقُلْتُ:

و ليـــلٍ كَقَعْرِ القدْرِ أَنَّى سَـــوادُهُ ... كَأَنَّ هُمومِي قَدْ لَفَحْنَ جِدَارَهُ
فَطَحْنٌ كَحَبٍّ في الـرَّحَى طَـارَ لُبُّهُ ... يُطــيرُ فُؤادًا حَاذِقًا وَ حَــذارَهُ
فَهَـــذا فِراشـــي قَدْ تَوَقّدَ يَــرْتَجِي ... بَشِـيراً ينـادي قَدْ أتانـا نَهَـارَهُ

عِتَابٌ

قلوبُنا ليسَت صَخراً أصمّ، وليسَ كما يدّعون لا تعرِف إلا الدّماء، أرباب عُقدٍ نفسيّة، إنّا كما فطَر الله الخلْق نعرِف النّساء، ونحبّ في الحَلال كما كان يحبّ النّبي صلّى الله عليه وسلم، فلمّا سُئل: من أحبُّ النّاس إليك؟، قالَ: عائشةُ. وما كتبتُه في الغَزل العَفيف قد يزيدُ على غيرِه، ولا يَمنعُني منْ ذكره إلا الحياء، إلا أني سأذكُر أوّل قصيدةٍ منظومة كتبتُها في ذلك، وقلتها لما طَلب منّي أحدُ الإخوة طلاقَ أهلي ولامَني على شدّة محبتي لها على بُعد الدّار وعدم القدرة على جمعِ الشّمل رغمَ مرورِ السّنين.

أخي لا تُسارِعْ إليّ العِتابْ ... وصَبراً عليَّ أردُّ الجَوابْ
تَمَهّلْ قليلاً كَفاكَ المَلام ... فَقلْبي مَلِيءٌ بِفصْلِ الخِطابْ
حَيِيْتُ أعَارِضُ قَبْرَ الهَوى ... ومِثْلكَ جِرْتُ لِذاكَ العَذابْ
فَكيْفَ يُحِبُّ الأريْبُ جُنوناً ... لأجلِ حَبيبٍ حَليفِ التُّرابْ
فأدْرَكَني ما طَفقْتُ أراهُ ... وولّى سَريعاً غِشاءُ العُجابْ
وأيقَنْتُ أنَّ فؤادَ المُحِبِّ ... يَطيرُ سَعيداً بِذاكَ الخرابْ
و أنَّ جُنونَ المُحبّ فَضاءٌ ... يُرفْرِفُ فِيْهِ بِغيرِ حِسابْ
و أنّ قيودَ الحبيبِ مَنارٌ ... تُضيءُ الفؤادَ تُزيْلُ الضَّبابْ
فقَلْبُ المُحبّ يَظلُّ سِجلّاً ... يُصنّفُ فِيهِ فريدَ العُجابْ
ألا ليْتَ شِعْرِي فَكُفّ العِتابْ ... ودَعْني أُقاسِي هُمومَ الغِيابْ

إعْذَارٌ

وشَى بِيْ أحدُ النّاس عندَ أميري، فأرسلَ إليّ رسالةً فهمتُ منها أنّه وجِد عليّ في تصرّفٍ منّي متعلّق بالعمل وإمارَتِه، فحزنتُ حُزناً شديداً، لا لأنّ أحدَ النّاس وشى بي عنده، بلْ لأنّ أخي ورفيقَ درْبي ظنّ بي ذلك، فكتبتُ هذهِ القَصيدة ثمّ أرسَل إليّ يحلِف بالله أنّه ما ظنّ ذلك، ولكنْ أرادَ النّصح وما الأمر إلا من باب {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ}.

بلـــغ حبيباً وَجـــدَةً مِـــني ... مَن يَهـــدِمُ الإخلاصَ لا يَبنِي
واذكـــر لـــهُ كيف الوفاءُ لـــهُ ... واهمِـــس بهِ من روعةِ الفـــنّ
فـــنُّ الصـــفاءِ فإنَّـــهُ حَسبي ... وهنـــاءُ عيشـــي إنـــهُ فني
سَـــتُثبِتُ الأيـــامُ لكُم وِدًا ... إني محبٌّ خـــالِيَ المنّ
فَـلَحُبُّكمْ في ذا الـفؤادِ عظـيمْ ... فاطوِ كِتابا بِالجَفا مِـــني
إنّـــي كـــما عَرفـــتَ لا أبتغي ... همـــاً وعُســـراً لِلبَلا أَجـــني
أعنـــي إمـــارةً في نَيلهـا حَتفي ... يـــومَ الحِســـابِ مَـــن يَقِي عَنّي
أبعـــدما ولّى ربيعُ العُمـــر ... والشـــيبُ بان ذاك من وهنِ
أبغِي مَكَـارِهَ في الـدُّنَا سَـفَهاً! ... مَن يـزرعُ الأشـواكَ لـه يَجنِي

يَا نَفْسُ

لـمّا اشتدّ الخطْب في حربِ الفلّوجة الثّانية، وبدأ العَدو يقتَرب بجرّافاته من بَيتِنا، فأخذَ يهدمُ البُيوت، البيتَ تِلْو الآخر، وأيقَن الجميعُ بدُنوّ الأجَل، وجَلس الإخوةُ في مواقِعهم، هذا بـ(البيكا) بالقربِ من البابِ وآخر يراقبُ من الشّباك، كرِهَتْ نفسي الموْت، وبدا أمامي أهلي ووَلدي، وكنتُ أدّعي حبّ الشّهادة، فحزِنتُ علَى نفسي وحَاولْتُ إصْلاحَها وتوبيخَها، فقلتُ في الحال:

يا نفسُ طِيبي باللقاءْ ... ماذا ابتغيتِ بِالبقاءْ؟
يا نفسُ حقًّا قَد أتى ... كَذِبًا تُريدينَ السَّماءْ؟
الطينُ أصلُكِ يا دُنا ... أفلا تُجيبينَ النِّداءْ؟
نِداءُ ربي بالقِرَى ... عِندَ النبي والبهاءْ
يا نفسُ هيَّا لِلهنا ... وتَحرَّري مِنْ ذا العناءْ
ليس الشهيدُ بميّتٍ ... الروحُ تَرقى في اجتباءْ
الروحُ تَلقى ربَّها ... حيثُ الثوابَ والاصطفاءْ
في جَوفِ طَيرٍ سارحٍ ... مِنَ الجِنانِ كما تَشاءْ
الموتُ أقبلَ زاحفاً ... يجني بأغصَانِ الرَّجاءْ
يَضحكُ من طُولِ الأمل ... فَهَلُمَّ يا حقَّ القضاءْ

الرِّيَاءُ

عملتُ عمَلاً وظننْت منْ نَفسي فخراً فاحتقرتُها، وصَغُرت أمامَ عيني، وشعرتُ كأنّ الكونَ يسخرُ منّي ويحتقرُ أمريْ، وكأنّ الكائناتِ جميعَها تعرفُ سرّي فقُلت:

الخَــوفُ يَمْلأُ قلــبي — مــاذا أقــولُ لِرَبِــي
عَمَـلي يَـفوحُ رِيـاؤُهُ — فعــليّ أطْــبَقَ ذَنْبِــي
الحمـدُ أصـبحَ ظـاهِرا — والكــلَّ يَــرْقُبُ عُجْبِي
الــدِّينُ يَنْقُصُ هَمَّــهُ — فالشِّــرْكُ يَحْشــو جنْبِي
يا ربِّ حَسْــبِي أنَّــهُ — للــدِّينِ يَرْكَــنُ حُبّي
إنِّي وَرَبِّي آمــــلٌ — بالحُبِّ ألْحَــقُ صَــحْبِي
فَلَحشْــرُ كُــلِّ مُكَلَّفٍ — مَـــعَ مَنْ أحَبَّ بِقَلبِ

تَوْفِيْقُ رَبّيْ

في ليلةٍ مُقمرةٍ غبّرتها عاصفةٌ تُرابية ذكّرتني بدولتِنا الفتيّة، وما يُحاك لها، وكنتُ انتهيتُ من نقاشٍ حولَ كيانٍ جديدٍ يسعى ألا يحكمَ شرع الله في أرضِه، وقدْ أتَوا بحِيلة خبيثةٍ مع مكْر كُبّار ممّن يَنسب نَفسه للعِلم الشّرعي والدّين ويرفعُ راية تحاربُه كلّ ذلك هيّج هذه الخواطر، فقلتُ وأنا أتذكّر رحمة الله بنا ولُطفه وتَوفيقَه:

توفيـــــقُ ربّي بالعمـــــلْ   أصـــلُ الســـدادِ بلا جـــدلْ
لـــو كنتَ تَحســـبُ عقْلــكَ   ســـرّ النجـــاحِ فقدْ هَبــلْ
لــــو كنْتَ تُـــــدْركُ لطْفَهُ   في الحادثـاتِ ومـا حصـلْ
ســـــــــبحانَ ربٍّ راحمٍ   عبــــــــداً فقيراً قدْ غَفلْ
للشـــــرِّ يـــــدفعُ ربُّنـــــا   مكـــراً يُحـــاكُ بلا ملــلْ
فاجمعْ حشـــودكَ وامْكـــروا   لنْ يغلبَ الحـــقَّ الهمـــلْ
إنّي رأيتُ وجـــــــــــودَهُ   في حفظِ دِيْنٍ قدْ هُمِـــــلْ
اللهُ ربّي بالـــــــــــــعُلا   لِلسّـــــرّ يَعْلمُ والأجـــــلْ
فاهْمِــــسْ أوِ ارْفعْ حِـــقْدكَ   أبـــــداً فلا يَخْفى الزّلـــــلْ

الملاّ عُمَرُ

للنَّـاسِ فِي الـدُّنيا عِبَرْ   تَخْفَى وَتَظْهـرُ كـالقَمَرْ
خَيْراتُهـا لا تَنْضَـبُ   أمْثـال مُلانـا عُمَـرْ
فأميرُنـــــا يا دُرَّةً   وأجَـلُّ مـا يلقى البَصَـرْ
كالنَّخْـلِ في أوْصـافِهِ   يُعْطِي الرُّمَـاةَ مِنَ الثَمَـرْ
نَجمٌ تَجَلَّى مـا انْحَـدَرْ   لا يَنْحَنِي أبَـدَ الـدَّهرْ
بِجِهـادِهِ أضْحَـى هُدًى   لِجَـــوادِهِ حَقاً عَقَرْ
فَأمِيرُنـا يا صـاحِبي   مِنَ الزَّمـانِ لقَدْ نَـدُرْ

رَمَضَانُ

كتبتُ أوّل بيتٍ في هذِهِ القَصيدة قبْل عقْدين من الزّمان، وأردتُ بعدَها إكمالَ ما في نَفسي، لكنْ لم يتيسّر لي، وإلى الله المُشتكى من قلّة الحيلة، وهنيئاً للشّعراء الإسلاميين الذينَ يعبّرون عمّا في صُدورهم ونعجز.

رمضانُ يا تاجَ السّنةْ   يا مِنْحةَ الرّبِ الغفورْ
أهلاً وسهلاً ضَيفنا   القلبُ يغْمُرهُ سرورْ
ها قدْ أتيتَ مُبارَكاً   فَملأتَ دنْيانا حُبورْ
بالحبِّ تدْخلُ بيْننا   عَجَزَ اللسانُ من السرورْ
النّاسُ تَرْقُبُ بَدْرَهُ   كلٌّ بِليْلاهُ فخورْ
حَملَ السِّلاحَ مجاهدٌ   طلقاتهُ تُشْفي الصّدورْ
الليلُ مَرّ مُرابِطا   مُتمنِّيا جُرحاً يفورْ
والبُعْدُ سِيْمةُ أمّةٍ   يتسابقونَ إلى الفجورْ
كأسُ المعاصي حَتْفُهمْ   وغداً مساكنهم قبورْ
لا تَسْتوي سُبلُ الرّدى   وسبيلُ ربّي في النّشورْ
مَنْ جدّ فِي طَلبِ العُلا   حازَ المكارمَ والأجورْ

أَبُوْ عَبْدُوْ

الشيخُ أبُو عبدو أسدٌ من أسُود الإسلام وشُيوخهم، ومن السّابقين الأوّلين في قِتال الطّغاة المرتدّين من حُماة العزّ؛ فقد قاتلَ النّظام النُّصيري شابًّا في ثورة الشّام بحماه، وعرفَ السّجون مرارًا فما هادنَ وما جَلس حتّى نفَر الشّيخ الذي قاربَ الستّين عامًا إلى العراق، ورُزق فيها الشّهادة بمعارك الفلّوجة الثّانية، وأحسبُ أنّه يُبعث من بُطون السّباع وحواصلِ الطّير حيث تَرك المحتلّ وأذنابُه جسدهُ ملقى أيامًا طوالاً بجانب دبّابة لهم.

لهفي على نبعِ الفِدا | بطـلِ الشـدائدِ جِـدُّ
قعدَ الشّـبابُ ومـا قعدْ | دومًـا لدينـهِ يعدو
كـان المعلمَ و الأخ | يحنـو بحلْمٍ .. لا يشـدُّ
يـرقى الشـريفُ لحتفِهِ | والعبـدُ للحضـيضِ يعدو
النـاسُ تبعـثُ جيفةً | والمسـكُ طيبُكَ تغدو
اللهُ يرفـعُكَ العـلا | للـدّينَ كنتَ تَجِـدُّ

أَسَدُ الفُرَاتِ

هذهِ كلماتٌ بُعيد مقتلِ الشّيخ الشّهيد نَحسبُه والله حَسيبُه أبي مصعبٍ، والله يتولّانا برحمتِه ويوفّقنا بفضلِه...

أَسَـدُ الفراتِ لقَدْ رَحـلْ ... لَيْتَ الشـجاعَ ما نـزلْ
إنَّ الفؤادَ مُكَـــــــذِّبٌ ... جُـرْحِي محـالٌ ينْدمِلْ
صَـبْراً أخيْ لم أحْتَمِـلْ ... تِلْــكَ الْبَليَّةُ كالجَبــلْ
صَـبْراً فَتلْـكَ رَعيَّتُـهْ ... غَنمٌ تَسـيرُ بِلا فَحـلْ
حَمـلٌ هُنالِـك تائِهـا ... أخشى الذئابَ لـهُ دَغلْ
صَـبْراً نُـروّضُ نَفْسَـنا ... هذا البلاءُ لقَدْ حَصـلْ
هيَّا نُعاهِدُ رَبَّـــــــنا ... صِدْقَ التَّوجُّهِ والعَمَلْ
شدّوا الخُيوطَ وأحْكِموا ... عَهْـدَ الوفاءِ بلا وجـلْ
مَـوتُ النّـبيِّ لَنـا عَزاءْ ... تِلْـكَ المُصـيبةُ والجَلَلْ
عَهْــداً نَســيْرُ لِربِّـنا ... حتّـى يُوَافِينَـا الأجَـلْ

رِثَاءُ أَبِيْ عُمَرَ

أبو عمَر من أوائلِ من حمَل رايةَ الجِهاد في العراق، من أوّل عشرةِ مهاجرينَ تحمّلوا هذا العِبء حتّى قُتل شَهيداً في اقتحامٍ لمنزلِه بعد اشتباكٍ دامَ ساعتين، وبعدَها فجّر عبوةً بنفْسه وسَط الأمريكان وتناثرَت أشلاؤه في المكان، وفي الصّباح أخذَ أطْفاله يجمعونَ جُثمانَ أبيهِم ويبكُون أمّهم التي اعتقَلها المحتلّ وتركهُم مع خالتِهم، وكانَت الرّضيعة سلْمى عمرُها أيام، وأكبرهُم عمَر ذو الثّماني سنين، والله وحدَه يجزيه فهوَ من يعلَم عدّاد الدّراهم:

سلمى الحبيبةُ افخري فأبوك صيادُ السّباعِ
طعنَ العدوَ ولم يولِ حاشا بُنيَّتي أن تُضاعي
تسنيمُ يا بنتَ العُلا لا تسمعي صوتَ الأفاعي
فأبوك حيٌّ في السما طوبى لهُ للخلدِ ساعِ
عمرُ الحبيبُ وصيّتي الثأرُ باعاً بل ذراعِ
دينٌ وعرضٌ والدماءْ إياكَ منْ سقطِ المتاعِ
ومحمّدٌ كُنْ فارساً أسدٌ تطيرُ على الكراعِ
وعلى طريقِ أبيكَ كنْ للنّاسِ خيراً كالشُّعاعِ
للهِ درُّك يا بطلْ نعم الرفيقُ بلا نِزاعِ
لينُ الجناحِ شِعارُهُ في الخيرِ يسعى نعمَ داعِ

الجُبّ

أيَّ قبرٍ قد أغمَّ أي ذنب قد ألمَّ
أي هم جــاء يســعى ليـدوس الحـرَّ هضـما
حـــرَّ جبٍّ والظنــونْ تســتبيحُ المــرءَ ســقما
لا تحـــدِّثْ عن هواءٍ بجحيمِ الجبِّ حلمـــا
في ظلام الجبِّ وحـدهْ يــوقنُ الإنســانُ علمـا
أنَّ ذنباً كـــان مِنَّـــا أورثَ المحبـوسَ همًّـا
لــو يُقالُ المــوتُ أَقْبَلْ مــا ركبتُ الــذلَّ يومـا
لــو رأيتُ الضـنْكَ فيهِ لـركبتُ الصـعبَ عزمـا
لا تقولـــوا القتــلُ ظلمٌ قد رأيتُ الـــذلَّ سُـــمًّا
لا يمــوتُ المــرءُ إلَّا في معادِ الحــقِّ حتمــا

الدُّنْيَا

إنَّمــا الــدنْيا فنــاءُ وبلاءٌ وعنـــــــــاءُ
كـلُّ مــا فيهــا يَهِمٌّ فحيـــــاةٌ وشــــقاءُ
كبــــــدٌ قالَ الحكيمُ فَمـــتى يأتي الهنـــاءُ
يُحمـدُ القوْمُ البكـورُ حيث لا يفنى الشـــبابُ
تِلْــكَ دنْياهمْ تــؤولُ ســفرٌ حتْمـــاً تـــزولُ
لجنـــانٍ أو بـــوارٍ وَحْـــــدَهُمْ فازَ العدولُ

رَايَةُ الحَقّ

رايةُ الحــــــقِ تعالتْ مِنْ ركـــام الـــذل قامتْ
بالـــدِّماء الطـــاهراتِ بِجهـــادِ الخلصِ جـــاءتْ
فارْفعوها في القلـــوبِ يا جنـــــــــودَ اللهِ هانتْ
يـــومُ نصْـــرٍ قدْ أطـــلَّ فثمـــارُ الخـــيرِ طـــابتْ

دوْلَةُ الإسْلامِ

دولـــــــــةُ الأفغانِ حلمٌ   راودَ الأجيالَ شـــــعرا
رحمـــةٌ للنـــاس جـاءتْ   بعد يأسٍ طـــــالَ دهرا
بعد ظلمٍ مســــــــتفيضٍ   بعد حكمٍ ســـادَ شـــرّا
بعد كســــرٍ للعظــــام   لشــيوخٍ شـــابَ عُمْـــرا
بعد سـلخٍ في المجـازرْ   لشـــبابٍ عافَ عُهـــرا
و مـــوالاةُ...اليهـــودِ   شـرفٌ بـل صـارَ فخراً!
دولـــةُ الإســـلامِ قامتْ   برجـــالٍ ليسَ سِـــحرا
بنفيسٍ و وضـــــــــيعٍ   سَـــطَّرَ الأفغانُ فِكْـــرا
بشـــــهيدٍ و شـــــهيدٍ   لحظـــوظِ النفسِ نُكـــرا
بــــــــدماءِ الطَّالبانِ   ســجَّلَ الإســـلامُ نَصْـــرا
فجَّــرَ الفرســـانُ بـــوذا   حطَّمَ الأخيارُ كفرا
ظلمـــةُ الأوثـــانِ غارتْ   بقرارٍ داسَ كِـــــــــبرا
قاهراً للشـــركِ مــاضٍ   رافعاً للـــــــــدين قدرا
أيهــــــــــا الملا، تقدم   قد سُـقينا الكـأس مُـرّا
ضـاقتِ الأرضُ علينـا   ضـاعتِ الأوطـانُ قسـرا
وســط النــيرانِ تسـمو   أنفسُ الأخيارِ طُهــــرا
يا جنـــودَ الله ســـيروا   وارفعوا القرآنَ فخـــرا
واعملــوا للــدين دومــاً   واســــــجدوا لله شكرا

الهَمّ

كانَ النّاس يقُولون ذَهب فُلان وعبد العزيز، وجاءَ فُلان وعبد العزيز، حتّى صرتُ وعبد العزيز كأنّا روحٌ واحدةٌ في جسدَين، فقدْ رأيتُ في الرّجل هِمّة وحرصًا على نُصرة الدّين قلّما وُجدت في غيرِه، فكانَ حقّاً صاحبَ نخوة. ولم نكُن قطّ نفترق، وفي يومٍ ذهبتُ إلى الطّبيب وتركتُه بمبيتِنا، وفي اليوم الثّاني اتّصل عليّ أحد الإخوة طالباً مجيئي وشعرتُ بالأمرِ، فقلت: أينَ عبدُ العزيز؟، قال: تعالَ وأقولُ لك، فعرفتُ الخبر، ولما وصلتُ إلى البيتِ حطّت عليّ غُمّة لا يعلمُها إلا الله.. اعتُقِل.. أُسِر عبد العزيز فكتبت:

عَضَّنِي الهمُّ فَمَاتَ — ما دَرَى أنّي رُفاتُ
يملأ السُّمُّ نُخاعَهْ — هَكذا الحُزْنُ مَواتُ
هدَّنِي فَقْدُ الصَّدِيقِ — يا تُرى أيْنَ النَّجاةُ
كُلّما حَلَّ حَبيبٌ — أدْرَكَ الْكَرْبَ بَياتُ
رَبَّنا إنّي كَرِهْتُ — ما تُمَنِّيناِ الحَياةُ
بسْمُها مَكْرٌ هَلاكٌ — لثْمها حتفٌ مواتُ
لَيْسَ فِيها مَا يَطِيْبُ — حُلْوُهَا مُرٌّ فُتاتُ

الإنْفَاقُ

وفي الإنفاق مقتبساً من القرآن قلت:

أنْفِقوا مِنْ طَيّباتِ الْـــ مَالِ نَصٌ جَاءَ مَوزونْ
(لَنْ تَنَـالُوا الْبِـرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّـــا تُحِبُّـــونَ)
يُنْفِقُ المَـــــالَ مُحِبٌّ لِلْجِنـــانِ غَيْـرَ مَفْتُــونْ
يَـدَعُ البُخْـلَ رِجَـالٌ لِرِضَـــاءِ اللهِ يَرْجُـــونْ

عِيْدُنَا

وهذه قصيدةٌ كتبتُها أيامَ عيد الأضْحى عقِب حملةِ النّصارى على أفغانستان، وكنتُ في مكانٍ يصعُب عليّ حتّى الذّهاب إلى الخلاءِ، وكنتُ ساعتَها أسمعُ ضحِكات النّاس وفرَحهم بالعيد، فكانَت نفْسي وأحزاني تهيجُ فأتذكّر كلّ شيءٍ ومنهُ:

عِيدُنا أقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاطْبَعِ الخِزْيَ وَسَطّرْ
عِيدُنا بَلّغْ تَحِيَّةْ وَ دُمُوعِي تَتَحَدَّرْ
لِشَهيدٍ قَدْ تَسامَى مسْتَرِيحًا مِنْ تَجَبُّرْ
عِيدُنا بَلّغْ سَلامِي فَحَنَانِي يَتقَطّرْ
لِأُسُودٍ في قيودٍ تَذْرِفُ الأحْزانَ أَنْهُرْ
عِيدُنَا لِلهِ دَرُّكْ هاجَتِ الأشْواقُ أكْثَرْ
لِحَبِيْبٍ يَتَلألأ مِلْءَ قَلْبِي يَتَبَخْتَرْ

صَرْخَةُ أسِيْرٍ

هلْ رأيتَ الطفلَ يبكي ساعةَ القبضِ يُزمزمْ
ارحمونا واتركونا فأبي ما كان مجرمْ
وعجوزٌ تتهاوى إثرَ ضربٍ تترحمْ
يا بُنيَّ أين تذهب فَجْرُنا تالله مُظلمْ
منظرُ الحُرة تبكي خلف بعلٍ وتهمهمْ
ربنا إليك بثّي يُدمع الصخرَ ويَقصمْ
هل رأيتَ السجنَ يوماً أم رأيتَ الذلَّ خيّمْ
هل رأيتَ الأُسْدَ تزأرْ خلفَ قضبانٍ تُحمحمْ
وسياطُ الحقدِ نارٌ تسلخُ الحُرَّ وتُلجِمْ
تطبعُ الخزيَ علينا تنقشُ العارَ وتختمْ
أيها الضرغامُ صبراً فطعامي صار علقمْ
ومياهُ الأرضِ آلتْ مُرَّةَ الطعمِ وتُسأمْ
من صميمِ القلبِ أبكي بدماءٍ لستُ أكتمْ
من يفكّ قيدَ عانٍ صرخةً لكلِّ مسلمْ
أن أموتَ أو أحطِّمْ محبسُ الكفرِ تحتمْ
بدماءِ الكفرِ أحلمْ شَربةً أشهى وأطعمْ
أُثلجُ الصدرَ بقتلٍ لكفورٍ يترنَّمْ
صرخةُ الأسيرِ دوَّتْ طالَ حبسي أين أنتمْ

أبُوْ عُمَيْرٍ

عانقْتُ أبا عُمير الحبيب وهو ذاهبٌ إلى عمليّة (القوّات البولنديّة بالحلّة) فكتبتُ هذه الأبياتَ في ورَقة صغيرةٍ وأعطيتُها إيّاه وهو يركبُ السيّارة، فنَظر إليّ وضحِك، ثمّ قال: (إن شاء الله)..

أبا عُمَيْـــــــــرٍ لا تَكـــــــلّ
فـــــــالسَّعدُ في طَلَبِ المعالي
عجِّــلْ خطــاك إلى الإلـــهْ
فالحورُ في شَــوقِ الوِصــالِ
نَشـــــرتْ جـــــدائِلها تقولْ
هلمَّ يا فخــــــر المنـــــالِ

مَحَبّةُ الوَلَدِ

كنتُ قدِ التقَيتُ بولدي بعدَ فترةٍ طويلة، وصحّ طبعُه بعدَما على العُزلة استقرّ أمرُه، و لـمّا حـانَ موعـدُ ذهـابي عنـهُ ابتلاهُ وابتلاني الله بأنْ أُصيـب بالتهـابِ الكبِـد الوبائيّ، فاصفرّت عيناهُ وجِسمه وقلّت حركتُه، فأفهَمته أنّي سأذهبُ، فقالَ: أنا أحبّك. قلت: عندي شُغل، قال: ومنْ يأتي بالطّعام لك؟ ومنْ يأتيكَ باللّحم، قلت: الله، يعلم الله أن هذا عينُ قولِ الصّبي ولم يكمِل عامَه الثّالث، ولما حانَ وقتُ ذَهابي جعلْتُ منْ يُشغله فقـال: لا تـذهب، قلت: قريباً وآتي، نظـرتُ إلى عينِـه ووجهِـه فرأيتُـه شـاحِباً مصفرّاً ففاضتْ عيني بالبُكاء ثم كتبتُ:

صِـــدقُ المحبّةِ في مَحبَّةِ الوَلَـــدْ
صَــدَقَ المَقُولُ فذاكَ خَــيرٌ أوكَبَــدْ
إنّ البُـــنيَّ للعيـــونِ ضِياؤُهـــا
حَسْبُ الصَّغيرِ كـالفؤادِ من الجَسَدْ
ليتــكَ يـــا بُـــنيَّ تعــلَمُ حُـــبّيَ
إذِ الــرُّفاتُ بِالتُّـــرابِ كالوَتَـــدْ
حبُّ البـــنين مَســـيرُهُ بِدمـــائنا
وبِالنُّخَـــاعِ و بالفؤادِ لـــذا عُقِدْ
أبناؤنـــا أحلامُنـــا تَتَجسَّـــدُ
كـلَّ الجميـل لهم نُريـدُ بلا حَسَدْ
أبناؤنـــا بِـــدُعائِهم كَـــنزٌ لنـــا
إن صَـحَّ مِنّـا الـدِّينُ بِالكهفِ السَّنَدْ

يا أخِيْ

يا أخِــي اسْمَــعْ نَصِـيْحَةْ
مِنْ مُــحِبٍّ لا فَضِــيْحَةْ
حُبّــكَ النَّفْسَ رَذِيْــلَةْ
فَــانْبِذِ الــدّنْيا الْقَبِيْــحَةْ
يَا أخِي خَــلّ الجِــدَالْ
واتْــــرُكِ القِيْلَ وَقَالْ
بِكِتَـــابِ الله تَـــرْبُو
فَوْقَ شَــحْناءِ المَــقالْ
غِيْبَةُ المُؤْمِــنِ ذَنْـــبٌ
فِي الكِتَـابِ جَـاءَ شَجْبٌ
كَفْكِفِ اللّسَـانَ واحْـذَرْ
كِلْمَــةً لِلْنَّـــارِ كَسْــبٌ
يَا أخِـــي إسْــعَ وَجِــدّ
واسْــتَقِمْ ثم اسْـــتَعِدْ
بِصِـــــــيامٍ وَقِيامٍ
فالصِّـــراطُ سَـــيْفُ غَدْ
صَـاحِبِ البَـرَّ وَصَـاهِرْ
فَسَــماءُ البَـــرِّ هادرْ
صَــاحَبَ الأَبْــرارَ كَلْبٌ

فِي كِتَــابِ اللهِ سُــــطِّرْ
يَا أَخِي للهِ نَشْكُـــــــــو
كُفْرَ حُكَّـــامٍ وَجَـــوْرا
فَـــارْفَعِ السَّـــيْفَ وَهُزَّهْ
وانْـــــزَعَنْ قَلْباً كَفُورا
تَشْخَصُ الحُورُ لِناسِـكْ
بِزِمَـــامِ الخَيْلِ ماسِــــكْ
كُلَّمـــا نَـــادى المُنــادِي
هَبَّ لِلْهَيْجـــاءِ فَاتِــــكْ

وآخرُ دَعْوانا أنِ الحمْدُ لله ربّ العَالمينِ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا مُحمّد وعَلى آله وصحْبه أجْمعينَ

ولا تَنسوْنا مِن صالح دُعائِكم

المستدرك على ديوان هموم وآلام

نِدَاءٌ إِلَى عُلَمَاءِ الأُمَّةِ

علماءَ الدِّين أيا ملح البلد — من للشراع مرشد الربَّانِ
لا يحصدُ الإنسانُ إلا ما بذر — خيرُ البذورِ ذروةُ الإيمانِ
العزُّ حيٌّ والتراجمُ بينكم — ما مات مَن أحيا العقيدةَ ثانِ
عقيدةَ الجهادِ لا حيضَ النساءِ — السيفُ بطَّالٌ بلا قرآنِ
أبدًا ترقعون للسُّلطانِ — وسهامُكم لا تخطئ الإخوانِ
فالحقُّ أبلجُ والباطلُ لجلجٌ — فإلى متى عقيدةُ الخذلانِ؟!
كفر الشبابُ بالكهانةِ نفسِها — جَدُّوا المسيرَ يعدُّون سنانِ
إذ بالخيانةِ صوَّبتْ سهامَها — غدرًا من العلماءِ والرهبانِ
خوارجُ بالدِّينِ جهَّالٌ كما — في قتلهم أجرٌ أبيدوا الجاني
سماحةُ الدِّين الحنيفِ تقتضي — ردعَ الخوارجِ في كلِّ مكانِ
صبراً أئمةَ الضلالةِ صبرًا — عند العليمِ ملتقى الخصمانِ
أخذ اللهُ عليكُمُ الميثاقَ — لتبيِّنُنَّهُ بلا كتمانِ
فنبذتموهُ مثلما نبذوهُ — بخسًا شريتُمْ دينكم شتَّانِ
الله يحكمُ بيننا فتجهَّزوا — بدمائنا جُدْنَا ليومٍ دانِ
فلقد جاءنا كلامُ ربِّنا — وهو الحقُّ تبارك المنَّانِ
أمرٌ صريحٌ في قتال عدونا — أنِ اضربوا منهم كلَّ بنانِ

الخوف من الله

وفي نفسي، وفي مثلِ خوفِ سيف الأمة قلتُ:

يا ربِّ إنْ أخطـــأتُ أو نسيـــت ... فـــالعفو منْـــك مؤمَّـــلٌ وقـــريبُ
يا ربِّ منْ يملِـــكُ ســـترَ عيوبـــه ... وأنتَ لا يخفى عليـــــك دبيبُ؟!
يا ربِّ معترفًـــا بســـالِفِ ذنبِـــهِ ... أنت الـــرَّحيمُ فمَن ســـواك يتـــوبُ؟!
يا ربِّ مَن لمقـــاليدِ أمـــوري ... والخطـــبُ زاحـــفٌ عليَّ رهيبُ؟!
هـــذي البـــلايا أرهقتْنِي لا تـــدع ... قلـــبي يهـــلكُ ســـاعةً ويطيـــبُ
عِقْـــدٌ تـــداعى نثْـــرُه وتناثـــرَ ... أينـــما حللـــتَ حـــلَّ عصيـــبُ
يا كاشـــفَ الضُّـــرِّ رميت حملي ... عن كـــاهلي فـــاللُّطفُ منـــك مجيبُ

همومُ مسافرٍ (نسخة أ):

حلَّت بنا الهموم، وكرهنا الحياةَ بلا جهادٍ ومنازلة، وفي هذا قلتُ قصيدةً بعنوان (هموم مسافر)، قلتُ فيها على ما مكَّنني اللهُ من البلاغة:

إلى مــــتى نتيـــهُ في البلــــدانِ ... كســــــفينةٍ غَــــــدت بلا رُبَّانِ
أنَّى اتجهتَ لـــــــدارٍ وجــــدتَّها ... مقطبـــــة عبوســـــةَ الأركـــانِ
بحرُ الحيـــــاةِ مظلمُ الأعمـــــاقِ ... لا خـــــيرَ في بحرٍ كـــئيبٍ فـــانِ
إذا أضــــاءَ بريــــقٌ فمصــــيرهُ ... مــــوجٌ مريـــعٌ يحجبُ الشــــطآنِ
يا بانيَ الأحلامِ هلَّا يقظــــــــــةٌ ... فـــالحُلْمُ حتمــــاً ســـاقطُ الجدرانِ
ليســــــتْ لحيٍّ دارُنا وطنًــــــا ... كُتِبَ الفنــــاءُ لزمـــرة الثقلانِ
ملعونـــــةٌ على لســـانِ نبينــــا ... إلَّا ذكـــــــرُ اللهِ يا إخـــــواني
شَـــرِّقْ وغـــرِّبْ يا أخي فلن تجد ... دنيــــا تســـرُّ فجهـــزِ الأكفـــانِ
إمَّــــا مفـــارقٌ وإمَّــــا مبتلًى ... فـــالموتُ يا صـــاحِ قريبًـــا دانِ
يا ربِّ قتلًا لا أكـــــونُ أســــيرًا ... فالأســـرُ أســـوأ حالـــة الإنســـانِ
قهـــرُ الرجـــالِ مصـــيبةُ الأحـــرارِ ... والحرُّ تقتلـــــهُ ببنتِ لســــانِ

رثاء أبي عمر المصري

رحم الله أبا عمر رحمةً واسعةً هو وسائرَ إخوانه، فقلتُ بعد هذا بعضَ أبياتٍ أواسي بها نفسي وأبناءه، وخاصَّة عمر، ذلك الصَّغيرُ المؤدَّب، والذي يحملُ نِصْفَ القرآن وعمرُهُ ثماني سنوات، أقول فيها:

أمَّ حبيبــــــةٍ لا تـــــراعي ... فـــأبوكِ ســـيدُ السِّـــباعِ
طعنَ العـــدوُّ ولم يـــولِّ ... حاشـــا بُنيَّـــةُ أن تُضَـــاعِي
تســـنيمٌ يا بنتَ الشَّـــهيد ... لا تصـــغي لصـــوتِ ناعِ
فـــأبوكِ حيٌّ في الجنـــان ... طـــوبى لـــهُ من راعِ
عُمَـــــــرُ الحبيبُ هلمَّ ... للثـــأرِ باعًـــا بـــذراعِ
احملْ كتابَـــك دومًـــا ... إياك مِن ســـقطِ المتـــاعِ
محمَّــــدُ كن فارسًـــا ... في الطَّعن ليس بمســـتطاعِ
دينُـــك لحمُـــك والـــدَّم ... ســـنامُه ركبُ الكِـــراعِ
فعلى نهج أبيـــــك كنْ ... للنَّـــاس خـــيرَ شـــعاعِ
رحم الله أبا عُمَــــــــر ... نِعم الرَّفيـــقُ بلا نـــزاعِ
ســـلامةُ الصَّـــدر طبعًـــا ... في الخيرِ أســـــرعُ داعِ
حبُّ السَّـــــماحةِ دينُـــه ... في الله ليس يُـــــــراعِي
لينُ الجنـــاحِ شـــعارُه ... لله درُّك يا ســـــــاعِ

أبو عبدو (نسخة أ):

قصيدةٌ عنْ أخي وشَيخي أبي حَمْزةَ وكانَتْ كُنْيَتُهُ الحقيقيَّةُ (أبا عبدو):

لهَفي عَليْـــك أبا عَبـــدو بَطـــلٌ مُجرَّبٌ يَعْــــدُو
عِنْـــد الشّدائِـــد ألـــفٌ لله دَرُّك ... جَـــــــدُّ
قَعَـــدَ الشَّـــبابُ وقُمْتَ بِـــواجِب الـــدِّين تَجِدُّ
كُنْتَ الـــمُعلِّمَ والـــمُربِّي أبًا حَنُوناً.. لا يَشُــــــدُّ
يَرْقَى الشَّـــريفُ لِحَتْفِـــهِ والعَبْـدُ للحَضـيضِ يَعْـدُو
النَّـــاسُ تُبْعـــثُ جِيفَـــةً والمِسْـــكُ طِيبُـــك تَغْـدو
الله يَرفـــعُ قَـــدْرَك كَمـــا رَفعْتَ الـــدِّينَ جــدُّ

أمّ الشهيد

بلِّـغْ سـلامي للعفيفـةِ طيبـة ... أكـرِمْ بها مـن حـرَّةٍ وحسـيبة
أبكـتْ عيـوني بالمكـارمِ جـودًا ... هـل بعـد نفسٍ رضـيعِهَا فتطيبـه
تبغي الثَّـوابَ من الكـريمِ جـزيلًا ... ترجـو دوامًـا للحيـاةِ بطِيبـة
كانـت تحـبُّ صـغيرَها فتـذاكرا ... كيـفَ الفِـراقُ ولا فـراقَ نصـيبه
قـالت بـنيَّ إلـى الجنـانِ ترفـرفُ ... تلـك الـديارُ ودونها فمُصـيبة
أسـرعْ بـنيَّ إلى المعـالي شـامخًا ... إنـي وراءك فالحيـاةُ عصـيبة
أكـرم أباك فـلا يـراك فـي الشَّـقا ... وأخلـص لربـك بالرجـاءِ تجيبـه
فمضـى الصـغيرُ كالشـمس مشـرقةً ... قـالا وداعًـا فالجنـانُ رغيبـة

علِّمني يا شهيدُ (نسخة أ)

عِلِّمْــني كيــف أكــونُ شــهيدًا   عِلِّــمني كيــف أمــوتُ حميــدا
علمـــني كيـــف أَدِينُ لـــربي   أدعُ الدُّنـــيا هنـــاك عيـــدا
علمــــني كيــــف أودّعُ أهلي   جلــدًا صــبورًا كالجبــالِ صــمودا
علمـــني كيــفَ أعــوفُ بـــنيَّ   غضًّـــا طريًّا في الحيـــاةِ جديـــدا
أذرُ الأحبـــةَ للـــرحيمِ يقينًـــا   غـــيرُ الـــرحيمِ مَن يعينُ وليـــدا
فقــل لي بربــك يا شــهيدُ معلمًــا   أكـــنتَ يومًـــا للحيـــاةِ مريـــدا
وقــل لي بربــك يا حــبيبُ مبشــرًا   مـــاذا رأيتَ للشـــهيدِ حصـــيدا
وجهُـــك نـــورٌ لا يمَلُّ نـــاظرُهُ   قـــولُك حـــقٌّ والـــدَّليلُ شـــهيدا
صـــمتُك فكـــرٌ لا تحبُّ سفاســـفًا   هَزْلُــك جِــدٌّ في الأمــورِ بعيــدا
فـــارقدْ أُخيَّ قـــريرةً أجفانُـــك   لا خـــوفَ عليـــك بعـــدُ أكيـــدا

أبو عمير (نسخة أ)

أَبَا عُمَيْرٍ لا تُبَـــــــــــــالي فالسَّـــعْدُ في طَلَبِ الــمَعَالي

عَجِّـــلْ خُطَـــاكَ لِرَبِّـــكَ فـــالحُوْرُ في شَـــوْقِ الوِصَـــالِ

نَشَـــرَتْ جَــدَائِلَها تقـــولُ هَلُمَّ يا فَخْـــرَ الـــــمَنَالِ

الحجي ثامر مبارك

كنتَ أهلًا للفضــــــيلةِ حـــــاملًا   وبـــرزتَ في تاجِ الوَقـــارِ الأنبـــلِ
في صـــدْرك الصَّـــافي حملتَ سماحةً   تجتثُّ كفـــرًا في العُلـــوجِ النـــذَّلِ
ومضـــيتَ في دربِ الجهـــادِ مجاهـــدًا   يـــومَ الشـــدائدِ إذ تنـــوءُ بكلكـــلِ

قصةُ مسرفٍ

لمَّا لاحت نذُر الهجومِ على الفلُّوجة؛ نزلوا لحمايتها، وعند بدء الحصارِ كان الحاجُّ موجودًا مع إخوانه في المنطقة الصناعية وما جاورها، وبسبب قلَّة عدد المجاهدين مع اتساع المنطقة وكثرة المنافذ؛ تمكَّن الأمريكانُ من دخول الحيِّ، وفي منتصف اللَّيل دار اشتباكٌ عنيفٌ بين الإخوةِ المجاهدينَ وجنودِ (المارينز) المتسلِّلين، فاخترقتْ رصاصةٌ صدرَ أحد الإخوة، ورجع الحاجُّ لينقذ أخاهُ فأصابه قنَّاصٌ في رأسِهِ فسقط شهيدًا -رحمه الله-، وفي تلك اللَّيلةِ نفسِها استشهد الأخُ خطابٌ وأبو فارسٍ بعد ذلك، فرحمةُ الله على الجميع، وبعدها بعدَّة أيام أصيب العبدُ الفقيرُ، فجلستُ أبكي نفسي في البيت، ولأن الشَّهادةَ تخلَّفَتْني عن هؤلاءِ الأحبَّة فقلتُ هذه الأبيات:

رجلٌ على الشوكِ يسيرُ باكيًا ... في ظلمة الليلِ البهيمِ مناديا
أين الرفيقُ يعالجُ المحتاج ... مَن للضعيفِ معينًا وهاديا؟!
كواكبُ النور مضتْ تترنَّمُ ... مَن باع مثلنا يطيرُ عاليا
نحن الذين تاجروا لربهم ... الصَّادقونَ الرابحونَ بناديا
قوافلُ الشُّهداءِ برقٌ خاطفٌ ... ريحُ العبيرِ تحفُّهم فحنانيا
أين الصديقُ والرفيقُ بمحنة ... دامتْ عليَّ فلا حبيبَ حاديا
وحدي وحيدًا أكابدُ الحسرات ... هيَّا خذوني فلا أريدُ معزيا
حسبي أخي بأني أحبُّكم ... هل يفيدُ الحبُّ قعيدًا جانيا

علمًا أنِّي أسميتُها (قصة مسرف)، أسألُ الله أن يتوبَ عليَّ برحمته ومنِّه وفضلِه، آمين.

رثاءُ أبي فارسٍ

الله حســـبي حينمـــا تترجَّـــلُ والصـبرُ أجـبرُ للفـؤادِ وأجمـلُ
والله حســـبي حينمـــا يجتـــالني أسـفٌ عليـك وحرقـةٌ وتململُ
والله حسـبي حين أجـترعُ الأسـى غصصا، ودمعي في ركابك يهملُ
والله حســبي كلمــا صــالتْ بنــا بــرحى المنيَّــةِ صـــولةٌ لا تمهـلُ
ذهب الــذين أحبُّهم في جحفــلٍ يتلــوه في عين المصيــبة جحفـلُ

المراجع

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.

الحديث النبوي وآثار الصحابة

أ- كتب الحديث:

- صحيح البخاري، طبعة دار التأصيل ط١.
- صحيح البخاري، : السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية. [في النبي القائد]
- صحيح مسلم، طبعة دار الطباعة العامرة التركية.
- سنن النسائي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- سنن أبي داود، طبعة مؤسسة الرسالة.
- سنن الترمذي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- سنن ابن ماجه، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة قرطبة. [في النبي القائد]
- موطأ الإمام مالك رواية أبي مصعب، طبعة دار التأصيل.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، طبعة دار الكتب العلمية، ط١. [في النبي القائد]
- المعجم الكبير، الطبراني، طبعة مكتبة ابن تيمية ط٢.
- المعجم الأوسط، الطبراني، طبعة دار الحرمين.
- المعجم الصغير، الطبراني، طبعة المكتب الإسلامي، ط١.
- صحيح ابن حبان، طبعة دار ابن حزم، ط١.
- صحيح ابن خزيمة، طبعة المكتب الإسلامي.
- سنن الدارقطني، طبعة مؤسسة الرسالة ط١.
- مسند البزار، طبعة مكتبة العلوم والحكم ط١.
- الأوائل، الطبراني، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- كتاب الجهاد، ابن المبارك، طبعة الدار التونسية.
- مسند أبي يعلى، طبعة دار المأمون للتراث، ط١.

ب- المصنفات:

- مصنف عبد الرزاق، طبعة دار التأصيل ط٢.
- مصنف ابن أبي شيبة، طبعة دار كنوز إشبيليا، ط١.

ج- الدعاء والآداب والسير المسندة:

- الأدب المفرد، البخاري، طبعة مكتبة المعارف ط١.
- الدعاء، الطبراني، طبعة دار الكتب العلمية ط١.
- الدعوات الكبير، أبو بكر البيهقي، طبعة غراس للنشر والتوزيع ط١.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة مطبعة السعادة.
- عمل اليوم والليلة، ابن السني، طبعة دار القبلة.

د- الجوامع والزوائد والمختصرات:

- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين المقدسي، طبعة دار خضر، ط٣.
- الجامع الكبير، السيوطي، طبعة جامعة الأزهر.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني طبعة دار العاصمة، ط١.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، طبعة مكتبة القدسي.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم المنذري، طبع دار الكتب العلمية، ط١.
- أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح، ابن حجر العسقلاني، طبعة مؤسسة قرطبة.
- رياض الصالحين، النووي، دار ابن كثير، ط١.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين الهيثمي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، ابن حجر العسقلاني، طبعة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، البوصيري، طبعة دار العربية، ط٢.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، طبعة الرسالة، ط٥.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، طبعة دار بلنسية، ط٢.

العقيدة:

- إثبات عذاب القبر، البيهقي، طبعة دار الفرقان، ط١.
- السنة، ابن أبي عاصم، طبعة المكتب الإسلامية، ط١.
- شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، طبعة دار طيبة.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، طبعة مكتبة الرشد ط١.
- شرح السنة، البربهاري، طبعة المكتبة الشاملة.

تفسير القرآن:

- أحكام القرآن، ابن العربي، طبعة دار الكتب العلمية.
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- أحكام القرآن للشافعي، أبو بكر البيهقي، طبعة مكتبة الخانجي، ط٢.
- أسباب النزول، أبو الحسن الواحدي، طبعة دار الإصلاح، ط٢.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار عطاءات العلم، ط٥.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الجلال السيوطي، طبعة دار الفكر.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، طبعة دار الريان، ط٣.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، طبعة ن موقع التفاسير. [في النبي القائد]
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، طبعة دار هجر.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١. [في النبي القائد]
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة دار الكتب المصرية، ط٢.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة دار عاصم. [في النبي القائد]
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، ط١.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر، ط١٣٩٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، طبعة مكتبة نزار الباز.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، طبعة دار ابن الجوزي.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصره أحمد شاكر، طبعة دار الوفاء.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق، ط٣٢.
- معالم التنزيل، البغوي، طبعة دار طيبة، ط٤.
- نواسخ القرآن، ابن الجوزي، طبعة الكتب العلمية.

علوم الحديث

أ- التخريج:

- تغليق التعليق على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة الإسلامية دار عمار، ط١.
- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار ابن كثير، ط٢.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ العراقي، طبعة دار ابن حزم، ط١.
- التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار أضواء السلف، ط١.
- تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الرشيد، ط١.
- تلخيص المستدرك للحاكم النيسابوري، شمس الدين الذهبي، ضمن المستدرك طبعة التأصيل.

ب- علوم الحديث:

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، طبعة مكتبة المعارف.
- معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم، طبعة المكتبة الشاملة.

ج- العلل:

- الضعفاء الكبير، العقيلي، طبعة دار المكتبة العلمية، ط١.
- التعليقات على المجروحين لابن حبان، الدارقطني، طبعة الفاروق الحديثة، ط١.
- العلل، ابن أبي حاتم، طبعة، مؤسسة الجريسي، ط١.

- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، طبعة دار طيبة، ط١.
- العلل الكبير، الترمذي، طبعة عالم الكتب، ط١.

د- شرح حديث:

- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، الخطابي، طبعة جامعة أم القرى.
- الاستذكار، ابن عبد البر، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، الطبعة المغربية، ط١٣٨٧هـ
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، ابن علان، طبعة جمعية النشر الأزهرية.
- اللمع في أسباب ورود الحديث، الجلال السيوطي، طبعة دار الفكر، ط١.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، طبعة دار ابن كثير.
- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، طبعة مطبعة السعادة، ط١.
- المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووي، طبعة دار إحياء التراث، ط٢
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، عبد الرحمن السعدي، طبعة مكتبة الرشد.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، عبد الرحمن المباركفوري، طبعة دار الكتب العلمية.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، الجلال السيوطي، طبعة دار الكتب العلمية.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، طبعة دار ابن الجوزي، ط٣.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، طبعة مكتبة الرشد، ط٢.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، طبعة المكتبة الشاملة الذهبية. [في النبي القائد]
- شرح مشكل الآثار، الطحاوي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- شرح السنة، البغوي، طبعة المكتب الإسلامي.
- طرح التثريب في شرح التقريب، الحافظ العراقي، طبعة المكتبة الشاملة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، طبعة إدارة الطباعة المنيرية،
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، طبعة مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١.
- عون المعبود، شمس الحق آبادي، طبعة دار الكتب العلمية.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء، ط١.
- فيض القدير، المناوي، طبعة المكتبة التجاري الكبرى.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج ابن الجوزي، طبعة دار الوطن.

مصنفات ابن قيم الجوزية

طبعة عطاءات العلم:

- أحكام أهل الذمة.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين.
- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

- الوابل الصيب من الكلم الطيب.
- بدائع الفوائد.
- تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين.
- زاد المعاد في هدي خير العباد.
- مدارج السالكين في منازل السائرين.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

طبعات أخرى:

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، طبعة دار الكتب العلمية، ط٣ ١٤٠٣هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، طبعة دار الكتب العلمية.
- تحفة المودود بأحكام المولود، طبعة مكتبة دار البيان، ط١.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، طبعة مكتبة العروبة، ط٢.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، طبعة دار الكتاب العربي. [في النبي القائد]
- الروح، طبعة دار الكتب العلمية.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، طبعة الجامعة الإسلامية.

مصنفات ابن تيمية:

- الاستغاثة في الرد على البكري، طبعة مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط١.
- الاستقامة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، طبعة عطاءات العلم، ط٤.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، طبعة المكتبة الشاملة.
- العقيدة الواسطية.
- الفتاوى الكبرى، طبعة دار الكتب العلمية.
- المستدرك على مجموع الفتاوى، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.
- مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن القاسم.
- منهاج السنة النبوية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

فقه

أ- عام:

- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، عبد الحي الكتاني المغربي، طبعة دار الأرقم، ط٢.
- القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار، حمود العقلاء.
- المحلى بالآثار، ابن حزم الظاهري، طبعة دار التراث.
- بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق، طبعة المكتبة الشاملة، ط١.

- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر النميري، طبعة دار ابن الجوزي، ط١.

ب- حنفي
- المبسوط، شمس الأئمة السرخسي، طبعة مطبعة السعادة.
- شرح السير الكبير، شمس الأئمة السرخسي، طبعة المكتبة الشاملة.

ج- مالكي

د- شافعي
- الأحكام السلطانية، الماوردي، طبعة دار الحديث.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا النووي، طبعة المكتب الإسلامي.

هـ- حنبلي
- الشرح الكبير على المقنع، ابن أبي عمر ابن قدامة، طبعة دار الكتاب العربي.
- الفروع وتصحيح الفروع، شمس الدين ابن مفلح، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي، طبعة دار الفكر.

جوامع:
الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط٦.

الرقائق والمواعظ:
- أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، شمس الدين ابن مفلح، طبعة دار الكتب.
- التوابين، ابن قدامة، طبعة دار الكتب العلمية، ط١٤٠٧.
- صفة الصفوة، ابن الجوزي، طبعة دار المعرفة، ط٢.

التاريخ
أ- السيرة النبوية:
- أخلاق النبي وآدابه، أبو الشيخ الأصبهاني، طبعة دار مسلم، ط١.
- السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢.
- السيرة النبوية، ابن كثير، طبعة عيسى البابي.
- دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية.
- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، طبعة دار النفائس.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي الدمشقي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- مغازي الواقدي، محمد بن عمر الواقدي، طبعة دار الأعلمي.

ب- التاريخ الإسلامي:

- البداية والنهاية، ابن كثير، طبعة دار هجر.
- البداية والنهاية، ابن كثير، طبعة دار السعادة. [في النبي القائد]
- تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر الطبري، طبعة دار المعارف، ط٢.
- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، طبعة دار الغرب الإسلامي ط١,
- تأريخ جرجان، حمزة السهمي الجرجاني، طبعة عالم الكتب، ط٤.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، طبعة دار الفكر، ط١٤١٥.
- فتوح البلدان، البَلاذُري، طبعة دار ومكتبة الهلال.

ج- معجم البلدان:

- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحِميري، طبعة ناصر للثقافة، ط٢.
- المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، عاتق البلادي، طبعة دار مكة، ط١.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، طبعة دار صارد، ط٢.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبد الله البكري، طبعة عالم الكتب، ط٣.

د- الطبقات:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، طبعة مكتبة نهضة مصر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الجيل بيروت، ط١. [في النبي القائد]
- الأعلام، الزِّرْكلي، طبعة دار العلم للملايين، ط١٥.
- التاريخ الكبير، البخاري، طبعة دائرة المعارف العثمانية.
- الثقات، ابن حبان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبعة دار صادر، ط١.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر العسقلاني، طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، طبعة الرسالة.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، طبعة دار الفكر، ط١.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١.

هـ- الأنساب:

- الأنساب، السمعاني، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (الطبعة الهندية).
- لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ظهير الدين البيهقي (ابن الفندق)، طبعة المكتبة الشاملة.

العربية

أ- نحو

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام النحوي، طبعة الشركة المتحدة.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١

ب- قواميس:

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، طبعة دار العلم للملايين، ط٤.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات ابن الأثير، طبعة المكتبة العلمية.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، طبعة المكتبة الشاملة.
- لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، طبعة دار المعرفة، ط٢.

ج- الأدب:

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الفكر بيروت، ط٢.
- الأمثال من الكتاب والسنة، الحكيم الترمذي، طبعة دار ابن زيدون.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، طبعة دار الكتب العلمية.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، طبعة دار الكتب العلمية.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١.

كتب عامة:

- الإنجيل.
- غزوة بدر الكبرى في أسفار اليهود والنصارى دراسة في دلالات المكان من الإشارات الواردة في سفر أشعياء، ليلى زعزوع وعصام مدير، طبعة المكتبة الشاملة الذهبية.

- مراجع في كتاب النبي القائد لم نجد طبعاتها التي استعملت:

قد يكون سبب ذلك اختلاف نسخة المكتبة الشاملة التي عمل منها تحقيق الكتاب، فالنسخ القديمة يختلف في عدد من الكتب ترقيم أعداد الصفحات فيها عن النسخ الأخيرة.

- سيرة ابن هشام.
- تاريخ الطبري.
- تفسير ابن كثير.
- أضواء البيان للشنقيطي.
- فتح الباري، ابن حجر.
- سنن البيهقي الكبرى.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم..

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.
- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد البري.
- ميزان الاعتدال، الذهبي.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية.
- تهذيب الأسماء واللغات، النووي.
- أسد الغابة لابن الأثير.
- الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي.
- فتح الباري لابن رجب.
- زاد المعاد، لابن القيم.
- أنساب الأشراف، البَلَاذُري.
- التحقيق في أحاديث الخلاف، ابن الجوزي.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر.
- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي.
- معرفة السنن والآثار، البيهقي.
- الأم، الشافعي.
- شرح مشكل الآثار، الطحاوي.
- التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق.
- العدة شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي.
- المدونة، الإمام مالك.
- البخلاء، الجاحظ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم.
- تفسير ابن أبي حاتم.
- كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب.
- تهذيب اللغة، الأزهري.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب.
- الأصول الثلاثة، محمد بن عبد الوهاب.
- تفسير العز بن عبد السلام.
- الفروع وتصحيح الفروع، شمس الدين ابن مفلح.
- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر.
- تفسير الآلوسي (روح المعاني).
- الموافقات للشاطبي.
- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله البسام.

- بداية المجتهد، ابن رشد.
- سبل السلام، الصنعاني.
- النهاية في غريب الأثر.

لا تنسوا إخوانكم من الدعاء

فالأصل الذي يجب أن يكون عليه المسلمون هو الاجتماع لا الفُرقة والاعتصام بحبل الله لا الشّذوذ والاختلاف، وهذا الاجتماع يورث في الدنيا عزّا ونصرًا وتمكينًا، وفي الآخرة بياضاً للوجه ورِفعة للدرجة. كما ثبت عن ابن عباسٍ في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران:106]، قال: (تبيضُّ وجوهُ أهل السنة والجماعة، وتسودُّ وجوهُ أهل البدعة والفرقة).

من كلمة مسالك النصر
الوزير أبو حمزة المهاجر تقبله الله